

ذخائر العرب

٣٠

تاريخ الطبري

تاريخ الرسل والملوك

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٣١٠ هـ

الجزء الثاني

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم



دار المعارف

تاريخ الطب

ذخائر العرب

٣٠

تاريخ الطبرك

تأليف الرسل والملوك

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٣١٠ هـ

الجزء الثاني

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

الطبعة السادسة



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. ٢٠٠٤ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذكر الخبر عن أصحاب الكهف .

وكان أصحابُ الكهف فتية آمنوا بربهم ؛ كما وصفهم الله عز وجل به من صفتهم في القرآن المجيد ؛ فقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ .^(١) ٧٧٦/١

والرقيم هو الكتاب الذي كان القوم الذين منهم كان الفتية ، كتبوه في لوحٍ بذكر خبرهم وقصصهم ، ثم جعلوه على باب الكهف الذي أووا إليه ، أو نقروه في الجبل الذي أووا إليه ، أو كتبوه^(٢) في لوح وجعلوه في صندوق خلقوه^(٣) عندهم ، « إذ أوى الفتية إلى الكهف » .

وكان عددُ الفتية - فيما ذكر ابنُ عباس - سبعة ، وثامنهم كلبهم .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا إسرائيل ، عن سيماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾^(٤) ، قال : أنا من القليل ، كانوا سبعة .

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن ابن عباس كان يقول : أنا من أولئك القليل الذين استثنى الله تعالى ؛ كانوا سبعة وثامنهم كلبهم^(٥) .

(١) سورة الكهف ٩ .

(٢) في الأصول : « وكتبوه » .

(٣) ت : « وخلقوه » .

(٤) سورة الكهف ٢٢ ، والخبر في التفسير ١٥ : ١٥٠ (بولاق) .

(٥) الخبر في التفسير ١٥ : ١٥٠ (بولاق) .

قال : وكان اسمُ أحدهم - وهو الذى كان يلبى شيراً الطعام لهم ، الذى ذكره الله عنهم أنهم قالوا إذ هبوا من رقتهم : ﴿ فَأَبْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ ﴾ (١) .
حدثني عبد الله بن محمد الزهرى ، قال : حدثنا سفيان ، عن مقاتل :
﴿ فَأَبْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ﴾ - اسمه يملخا (٢) .

وأما ابنُ إسحاق فإنه قال - فيما حدثنا به ابن حميد - قال : حدثنا سلمة ، عنه : اسمه يملخا .

وكان ابنُ إسحاق يقول : كان عدد الفتية ثمانية ؛ فعلى قوله كان كلُّهم تاسعهم . وكان - فيما حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق - يسميهم فيقول : كان أحدهم - وهو أكبرهم والذى كلمه الملك عن سائرهم - مكسلينا ، والآخر محسلينا ، والثالث يملخا ، والرابع مرطوس (٣) ، والخامس كسوطونس (٤) ، والسادس بيرونس (٥) ، والسابع ريمونس (٦) ، والثامن بطونس (٧) ، والتاسع قالوس (٨) . وكانوا أحداثاً .

وقد حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي تميم ، عن مجاهد ، قال : لقد حدثت أنه كان على بعضهم من حداثة أسنانهم وضع الورق . وكانوا من قوم يعبدون الأوثان من الروم ، فهداهم الله للإسلام ، وكانت شريعتهم شريعة عيسى في قول جماعة من سلف علمائنا .

(١) سورة الكهف ١٩ ، والخبر في التفسير ١٥ : ١٤٨ (هولاق) .

(٢) ت ، ح : « تمنيح » ، التفسير : « يملخ » .

(٣) التفسير : « مرطونس » .

(٤) التفسير : « كسلونس » ، ل : « كسر طويس » .

(٥) التفسير : « بيورس » .

(٦) التفسير : « يكرزوس » .

(٧) التفسير : « يطلبيونس » ، ل : « بطويس » ، ح : « بطوس » .

(٨) التفسير : « قالوش » .

حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا الحكم بن بشير ، قال : حدثنا عمرو -

يعنى ابن قيس الملائي - في قوله : ﴿ أَنْ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ ﴾ ، كانت
الفتية على دين عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم على الإسلام ، وكان ملكهم
كافراً . وكان بعضهم يزعم أن أمرهم ومصيرهم إلى الكهف كان قبل المسيح ،
وأن المسيح أخبر قومه خبرهم ، فإن الله عز وجل ابتعثهم من رقبتهم بعد
ما رفع المسيح ، في الفترة بينه وبين محمد صلى الله عليه وسلم ؛ والله أعلم أى
ذلك كان .

فأما الذى عليه علماء أهل الإسلام فعلى أن أمرهم كان بعد المسيح .
فأما أنه كان في أيام ملوك الطوائف ؛ فإن ذلك مما لا يدفعه دافع من أهل
العلم بأخبار الناس القديمة .

وكان لهم في ذلك الزمان ملك يقال له : دقيوس ، يعبد الأصنام - فيما
ذكر عنه - فبلغه عن الفتية خلافهم إياه في دينه ، فطلبهم فهربوا منه بدينهم ،
حتى صاروا إلى جبل لم يقال له - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا
سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نجيع ، عن مجاهد ، عن ابن
عباس - نيلولس .

وكان سبب إيمانهم وخلافهم به قومهم - فيما حدثنا الحسن بن يحيى ،
قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : حدثنا معمر ، قال : أخبرني إسماعيل بن
سليوس^(١) ، - أنه سمع وهب بن منبه يقول : جاء حوارى عيسى بن مريم إلى
مدينة أصحاب الكهف ، فأراد أن يدخلها ، فقبل له : إن على بابها صنماً
لا يدخلها أحد إلا سجد له ، فكره أن يدخلها ، فأتى حمّاماً ، وكان فيه
قريباً من تلك المدينة ، فكان يعمل فيه ، يؤاجر^(٢) نفسه من صاحب الحمام .
ورأى صاحب الحمام في حمّامه البركة ، ودر^(٣) عليه الرزق ، فجعل يعرض عليه
[الإسلام]^(٤) وجعل يسترسل إليه . وعلّق فتية من أهل المدينة وجعل يُخبرهم

(١) ل : « شروس » ، ح : « سروس » ، ت : « سلوش » .

(٢) ح ، ل : « يأجر » . (٣) في ط : « رد » وما أثبت من التفسير وانظر التصويبات .

(٤) من التفسير .

خير السماء والأرض وخير الآخرة ، حتى آمنوا به وصدّ قوه ، وكانوا على مثل حاله في حسن الهيئة ، وكان يشترط^(١) على صاحب الحمام أن الليل لي ، لا تحول بيني وبين الصلاة إذا حضرت . فكان على ذلك حتى جاء ابنُ الملك بامرأة ، فدخل بها الحمام ، فغيره الخواري ، فقال : أنت ابنُ الملك وتدخلُ ومعك^(٢) هذه الكذا^(٣) ! فاستحيا ، فذهب . فرجع مرة أخرى ، فقال له مثل ذلك ، وسبه وانتهره ، ولم يلتفت حتى دخل ، ودخلت معه المرأة فاتتا في الحمام جميعاً ، فأثبي الملك فليل له : قتل صاحبُ الحمام ابنتك . فالتمس ، فلم يُقدّر عليه فهرب . قال من كان يصحبه : فسموا الفتية ، فالتمسوا فخرجوا من المدينة ، فرأوا بصاحب لهم في زرع له ، وهو على مثل أمرهم فذكروا أنهم التمسوا ، وانطلق معهم ومعه الكلب ؛ حتى آواهم الليل إلى الكهف ، فدخلوه فقالوا : نبيت هاهنا الليلة ثم نصبح إن شاء الله ، فبرؤن رأيكم . فضرب على آذانهم ، فخرج الملك في أصحابه يتبعونهم ، حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف ؛ فكلّما أراد رجل أن يدخل أُعرب ، فلم يطق أحد أن يدخل ، فقال قائل : أليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم ؟ قال : بلى ، قال : فابن عليهم باب الكهف ، فدعّهم فيه يموتوا عطشاً وجوعاً . ففعل^(٤) . فغبروا — بعد ما بنى عليهم باب الكهف — زماناً بعد زمان .

ثم إن راعياً أدركه المطر عند الكهف ، فقال : لو فتحت هذا الكهف فأدخلته غنى من المطر ! فلم يزل يعالجه حتى فتح ما أدخل فيه ، وردّ الله إليهم أرواحهم في أجسادهم من الغد حين أصبحوا ، فبعثوا أحدهم بورق يشترى لهم طعاماً ، فكلّما أتى باب مدينتهم رأى شيئاً ينكره ، حتى دخل على رجل ، فقال : يعني بهذه اللراهم طعاماً ، قال : ومن أين لك هذه اللراهم ! قال : خرجت ، وأصحاب لي أمس ، فأوانا الليل حتى أصبحوا ، فأرسلوني ، فقال :

(١) ت والتفسير : « يشترط » .

(٢) ح ، ل : « ملك » .

(٣) التفسير : « الكذا » .

(٤) إلى هنا ، الخبر في التفسير ١٥ : ١٣٦ (بولاق) .

هذه الدراهم كانت على عهد الملك فلان فأنتى لك بها ! فرفعه إلى الملك - وكان ملكاً صالحاً - فقال : من أين لك هذه الورق ؟ قال : خرجت أنا وأصحابى لى أمس حتى أدركتنا الليل فى كهف كذا وكذا ، ثم أمرنى أن أشتري لهم طعاماً . قال : وأين أصحابك ؟ قال : فى الكهف ، قال : فانطلقوا معه حتى أتوا باب الكهف ، فقال : دعونى أدخل إلى أصحابى قبلكم ، فلما رأوه ودنا منهم ضُرب على أذنه وآذانهم ، فجعلوا كلماً دخل رجل أَرِيب ، فلم يقدرُوا على أن يدخلوا إليهم ، فبنوا عندهم كنيسة ، واتخذوها مسجداً يصلُّون فيه .

٧٨١/١

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن عكرمة ، قال : كان أصحاب الكهف أبناء ملوك الروم ، رزقهم الله الإسلام ، ففتردوا^(١) بدينهم ، واعتزلوا قومهم ، حتى انتهوا إلى الكهف ، فضرب الله على سُمُخَانِهِمْ . فلبثوا دهرًا طويلاً ، حتى هلكت أمَّتُهم ، وجاءت أمة مسلمة ، وكان ملكهم مسلماً ، واختلقوا فى الروح والجسد ، فقال قاتل : تبع الروح والجسد جميعاً ، وقال قاتل : تبع الروح ، وأما الجسد فتأكله الأرض ، فلا يكون شيئاً . فشقَّ على ملكهم اختلافهم ، فانطلق فلبس السُّوح ، وجلس على الرماد ، ثم دعا الله عزَّ وجلَّ ، فقال : يا ربِّ ، قد ترى اختلاف هؤلاء ، فابعث لهم ما يبين لهم ، فبعث الله أصحاب الكهف ، فبعثوا أحدهم يشتري لهم طعاماً ، فدخل السوق ، فجعل يُنْكِرُ الوجوه ويعرف الطرق^(٢) ، ويرى الإيمان بالمدينة ظاهراً ، فانطلق وهو مستخف ، حتى أتى رجلاً يشتري منه طعاماً ، فلما نظر الرجل إلى الورق أنكرها - قال : حسبت أنه قال : كأنها أخفاف الرُّبْع - يعنى الإبل الصغار - قال له الفتى : أليس ملككم فلان ؟ قال : بل ملكنا فلان ، فلم يزل ذلك بينهما حتى رفعه إلى الملك ، فسأله فأخبره الفتى خبر أصحابه ، فبعث الملك فى الناس ، فجمعهم فقال : إنكم قد اختلفتم فى الروح والجسد ،

(١) ت والتفسير : « تصدوا » .

(٢) ت : « الطريق » .

وإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قد بعث لكم آيةً ، فهذا رجل من قوم فلان - يعنى ملكهم الذى مضى - فقال القتي : انطلقوا بي إلى أصحابي ، فركب الملك ، وركب معه الناس ، حتى انتهى إلى الكهف ، فقال القتي : دعوني أدخل إلى أصحابي ، فلما أبصرهم ضرب الله على أذنه وعلى آذانهم ، فلما استبطئوه دخل الملك ودخل الناس معه ، فإذا أجساد لا يتكرون منها شيئاً غير أنها لا أرواحَ فيها . فقال الملك : هذه آية بعثها الله لكم ^(١) .

• • •

قال قتادة : وغزا ابن عباس مع حبيب بن مسلمة ، فرؤوا بالكهف ؛ فإذا فيه عظام ، فقال رجل : هذه عظام أصحاب الكهف ، فقال ابن عباس : لقد ذهب عظامهم منذ أكثر من ثلثمائة سنة .

• • •

قال أبو جعفر : فكان منهم ^(٢) :

(١) التلخيص للسير ١٥ : ١٤٣ (بولاقي) .

(٢) أى من كان في أيام ملوك الطوائف . انظر ابن الأثير ١ : ٢٠٨ .

يونس بن متى

— فكان فيما ذُكر — من أهل قرية من قرى الموصل يقال لها : نينوى ، وكان قومه يعبدون الأصنام ، فبعث الله إليهم يونس بالتهمة عن عبادتها ، والأمر بالتوبة إلى الله من كفرهم ، والأمر بالتوحيد . فكان من أمره وأمر الذين بعث إليهم ما قصه الله في كتابه ، فقال عز وجل : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ ^(١) . وقال : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ أَعْتَبْتُ الْإِنْسَانَ أَنْ يَكُنْ مِنَ الْغَالِينَ . فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٢) .

• • •

وقد اختلف السلف من علماء أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في ذهابه لرَبِّه مغاضباً وظنّه أن لن يُقدَّر ^(٣) عليه ، وفي ^(٤) حين ذلك .

فقال بعضهم : كان ذلك منه قبل دعائه القوم الذين أرسل إليهم ، وقبل إبلاغه إياهم رسالة ربّه ؛ وذلك أن القوم الذين أرسل إليهم لما حضرم عذاب الله أمير بالمصير إليهم ؛ ليعليهم ما قد أظلمت من ذلك ، لينبئوا ممّا هم عليه مقيمون بما يسخطه الله ، فاستنظر ربّه المصير إليهم ، فلم يُنظره ، فغضب لاستعجال الله إياه للنفوذ لأمره وترك إنظاره .

(١) سورة يونس ٩٨ .

(٢) سورة الأنبياء ٨٧ ، ٨٨ .

(٣) كذا في ت : وفي ط : « فقدر » .

(٤) ح ، ل : « في » بدون واو .

• ذكر من قال ذلك :

حدثني الحارث ، قال : حدثنا الحسن الأشيب ، قال : سمعت أبا هلال محمد بن سليم ، قال : حدثنا شهر بن حوشب ، قال : أنه جبريل عليه السلام - يعني يونس - وقال : انطلق إلى أهل نينوى ، فأندِرهم أن العذاب قد حضرهم . قال : ألتمسُ دابةً ، قال : الأمر أعجل من ذلك ، قال : ألتمسُ حذاءً ، قال : الأمر أعجل من ذلك ، قال : فغضب ، فانطلق إلى السفينة فركب ، فلما ركب احتبست السفينة لا تتقدم ولا تأخر . قال : فاسهوا . قال : فسُهِم^(١) ، فجاء الحوت يبصص بذنبه ، فنودي الحوت : أيا حوت ، إنا لم نجعل يونس لك رزقاً ، إنما جعلناك له حِرْزاً ومسجداً ، فالتقمه الحوت ، فانطلق به من ذلك المكان حتى مرَّ به على الأيكة^(٢) ، ثم انطلق حتى مرَّ به على دجلة ، ثم انطلق به حتى ألقاه في نينوى^(٣) .

٧٨٢/١

حدثني الحارث ، قال : حدثنا الحسن ، قال : حدثنا أبو هلال ، قال : حدثنا شهر بن حوشب ، عن ابن عباس ، قال : إنما كانت رسالة يونس بعد ما نبذته الحوت .

• • •

وقال آخرون : كان ذلك منه بعد دعائه من أرسل إليهم إلى ما أمره الله بدعائهم إليه ، وتبليغه إياهم رسالة ربِّه ، ولكنّه وعدهم نزول ما كان حذرهم من بأس الله في وقت وقته لهم ، ففارقهم إذ لم يتوبوا ولم يراجعوا طاعة الله والإيمان ، فلما أظلت القوم عذاب الله ، فغشيهم - كما وصف الله في تنزيله - تابوا إلى الله ، فرفع الله عنهم العذاب ، وبلغ يونس سلامتهم وارتفاع العذاب الذي كان وعدهموه ، فغضب من ذلك ، وقال : وعلمهم وعداً ، فكذب وعدي ! فذهب مغاضباً ربِّه ، وكره الرجوع إليهم وقد جرّبوا عليه الكذب .

(١) سهم ، بالبناء السجول ، أي غلب .

(٢) ط : « الأيكة » ، وما أثبتته من ت ، والتفسير .

(٣) الخبر في التفسير ٢٣ : ٦٧ (بولاق) .

• ذكر بعض من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن زياد ، عن عبد الله بن أبي سلمة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : بعث الله تعالى - يعنى يونس - إلى أهل قريته ، فردوا عليه ما جاءهم به ، وامتنعوا منه ، فلما فعلوا ذلك أوحى الله إليه : إني مرسل عليهم العذاب في يوم كذا وكذا ، فاخرج من بين أظهرهم . فأعلم قومه الذي وعدهم الله من عذابه إياهم ، فقالوا : ارمقوه ، فإن هو خرج من بين أظهركم فهو والله كائن ما وعدكم . فلما كانت الليلة التي وعدهم العذاب في صبيحتها أدلج وراءه القوم ، فحينروا . فخرجوا من القرية إلى بَرَزَا^(١) من أرضهم ، وفرقوا بين كل دابة وولدها ، ثم عجزوا إلى الله واستقالوه فأقالم . وتنتظر يونس الخبر عن القرية وأهلها حتى مر به بار ، فقال : ما فعل أهل القرية ؟ فقال : فعلوا أن نبئهم لما خرج من بين أظهرهم عرفوا أنه صدقهم ما وعدهم من العذاب ، فخرجوا من قريتهم إلى بَرَزَا من الأرض ، وفرقوا^(٢) بين كل ذات ولد وولدها ، ثم عجزوا إلى الله وتابوا إليه ، فقبل منهم ، وأخر عنهم العذاب . قال : فقال يونس عند ذلك وغضب : والله لا أرجع إليهم كذاباً أبداً ، وعدتهم العذاب في يوم ، ثم رد عنهم ! ومضى على وجهه مغاضباً لربه فاستتره الشيطان^(٣) .

حدثني المنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا إسحاق بن الحجاج ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع [بن أنس]^(٤) ، قال : حدثنا رجل قد قرأ القرآن في صدره في إمامة عمر بن الخطاب ، فحدث عن قوم يونس حيث أنذر قومه فكذبوه ، فأخبرهم أنه مصيبتهم العذاب وفارقهم ، فلما رأوا ذلك وغشيتهم العذاب ؛ لكنهم^(٥) خرجوا من مساكنهم ، وصعدوا

(١) البراز : القضاء الواسع الحال من الشجر .

(٢) ت : « ثم فرقوا » .

(٣) الخبر في التفسير ١٧ : ٦١ (بولاق)

(٤) من التفسير .

(٥) كذا ورد الاستراك هنا بلفظ « لكنهم » ، وورد بمد بلفظ « لكنه » ، في التباين

والتفسير ؛ وهو غير واضح .

في مكان رفيع ، وأنهم جأروا إلى ربهم ، ودعوه مخلصين له الدين أن يكشف عنهم العذاب ، وأن يرجع إليهم رسولهم ، قال : ففى ذلك أنزل الله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ ^(١).

٧٨٦/١

فلم يكن قرية غشيتها العذاب ثم أمسك عنها إلا قوم يونس خاصة ، فلما رأى ذلك يونس ، لكنه ذهب عاتياً على ربه ، وانطلق مغاضباً ، وظن أن لن يُقَدَّرَ عليه ، حتى ركب سفينة ، فأصاب أهلها عاصف من الريح ^(٢) . فقالوا : هذه بخطينى أحدكم . وقال يونس - وقد عرف أنه هو صاحب الذنب : هذه بخطينى ، فالتقى في البحر . وإنهم أبوا عليه حتى أفاضوا بسهامهم ، ﴿ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ ^(٣) ، فقال لهم : قد أخبرتكم أن هذا الأمر بذنبى . وإنهم أبوا عليه أن يلقوه في البحر ، حتى أفاضوا بسهامهم الثانية ؛ ﴿ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ . فقال لهم : قد أخبرتكم أن هذا الأمر بذنبى ، وإنهم أبوا عليه أن يلقوه في البحر حتى أفاضوا بسهامهم الثالثة ، ﴿ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ . فلما رأى ذلك أتى نفسه في البحر ، وذلك تحت الليل ، فابتلعه الحوت ﴿ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ ﴾ ^(٤) - وعرف الخطيئة - ﴿ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(٥) . وكان قد سبق له من العمل الصالح ، فأنزل الله فيه فقال : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ . لَلِئِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ ؛ وذلك أن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر ؛ ﴿ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ ^(٦) . وأتى على ساحل البحر ، وأثبت الله عليه شجرة من يقطين - وهى فيما ذكر - شجرة القرع يتقطر عليه

(١) سورة يونس ٩٨ . (٢) الخبر إلى هنا في التفسير ١٥ : ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

(٣) سورة الصافات ١٤١ ؛ وفي التفسير : « فاسم : ققارح . ومن المسيبين : من المفلولين ، يقال منه : أحضر الله حبة فلان ففسخت ، أى أبطلها فبطلت » .

(٤) سورة الأَنْبياء ٨٧ . (٥) سورة الصافات ٢٤٣ - ١٤٥ .

من اللين ؛ حتى رجعت إليه قُوَّتُه . ثم رجع ذاتَ يوم إلى الشجرة ٧٨٧/١
فوجدها قد يبست ، فحزن وبكى عليها ، فعوب قليل له : أحزنت على
شجرة ، وبكيت عليها ولم تحزن على مائة ألف أو زيادة أردت هلاكهم
جميعاً !

ثم إن الله اجتباه من الضلالة ، فجعله من الصالحين ، ثم أمر أن يأتي
قومه ويُخبرهم أن الله قد تاب عليهم . فعمد إليهم ، حتى لقي راعياً ،
فسأله عن قوم يونس وعن حالهم ، وكيف هم ؟ فأخبره أنهم بخير ، وأنهم
على رجاء أن يرجع إليهم رسولهم ، فقال له : فأخبرهم أنتي قد لقيت يونس .
فقال : لا أستطيع إلا بشاهد ، فسمي له عزراً من غنمه ، فقال : هذه تشهد
لك أنك قد لقيت يونس ، قال : وماذا ؟ قال : وهذه البقرة التي أنت فيها
تشهد لك أنك قد لقيت يونس . قال : وماذا ؟ قال : وهذه الشجرة تشهد
لك أنك قد لقيت يونس . وإنه رجع الراعي إلى قومه فأخبرهم أنه لقي يونس
فكذبوه وهموا به شراً ، فقال : لا تمجلوا عليّ حتى أصبح ، فلما أصبح
غداً بهم إلى البقرة التي لقي فيها يونس فاستنطقها ، فأخبرته أنه لقي يونس ،
وسأل العتر ، فأخبرتهم أنه لقي يونس ، واستنطقوا الشجرة ، فأخبرتهم
أنه قد لقي يونس . ثم إن يونس أتاهم بعد ذلك . قال :
{ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ • فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ } ^(١) .

حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقري ^(٢) ، قال : حدثنا أبي ، عن
إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون الأودي ، قال : حدثنا
٧٨٨/١ ابن مسعود في بيت المال ، قال : إن يونس كان وعد قومه العذاب ، وأخبرهم
أنه يأتيهم إلى ثلاثة أيام ، ففرقوا بين كلّ ولادة وولدها ، ثم خرجوا فجأروا
إلى الله ، واستغفروه ، فكفّ الله عنهم العذاب ، وغدا يونس ينتظر
العذاب ، فلم ير شيئاً ، وكان من كذب ولم يكن ^(٣) له بيّنة قتل

(١) سورة الصافات ١٤٧ ، ١٤٨ .

(٢) ط : « البقري » ، والصواب ما في الباب لابن الأثير وانظر التصويبات .

(٣) ت : « تكن » .

فانطلق مغاضباً ﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ ، قال : ظلّمة بطن الحوت ، وظلمة الليل ، وظلمة البحر .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابنِ إسحاق ، عمنَ حدثه عن عبد الله بن رافع ، مولى أم سلمة زوج ^(١) النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما أراد الله حبس يونس في بطن الحوت أوحى الله إلى الحوت أن " خذْه " ولا تخدش له لحمًا ، ولا تكسر عظمًا ، فأخذه ، ثم هَوَى به إلى مسكنه من البحر . فلما انتهى به إلى أسفل البحر ، سمع يونس حسًا ، فقال في نفسه : ما هذا ؟ فأوحى الله إليه وهو في بطن الحوت : " إنَّ هذا تسييح دوابَّ البحر . قال : فسبح وهو في بطن الحوت ، قال : فسمعت الملائكة تسيحه ، فقالوا : يا ربنا ، إنا لنسمع صوتًا ضعيفًا بأرض غريبة . قال : ذلك عبدى يونس ، عصافى فحبسته في بطن الحوت في البحر ، قالوا : العبد الصالح الذى كان يصعد إليك منه في كلِّ يوم ليلة عمل صالح ! قال : نعم ، قال : فشفعوا له عند ذلك . فأمرَ الحوت ، فقذفه في الساحل كما قال الله : ﴿ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ ، وكان سقمه الذى وصفه الله به ، أنه ألْقاه الحوت على الساحل كالصبي المنفوس ^(٢) ، قد بُشِّر ^(٣) اللحم والعظم ^(٤) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابنِ إسحاق ، عن يزيد ابن زياد ، عن عبد الله بن أبي سلمة ، عن سعيد بن جبَّير ، عن ابن عباس ، قال : خرج به - يعنى الحوت - حتى لفظه في ساحل البحر ، فطرحه مثل الصبي المنفوس ، لم ينقص من خلقه شيء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثني أبو صخر ،

(١) كذا في ت ، وفى ط : « زوجة » . (٢) المنفوس : حديث العهد بالولادة .

(٣) ت : « نشر » ، والتضير « نشر » . (٤) الخبر في التفسير ٢٣ : ٦٧ (بولاق) .

وفى ط : « تنشر » .

قال : أخبرني ابن قُسيَط أنه سمع أبا هريرة يقول : طُرِحَ بالمرء ، فأُنبت الله عليه يَقطِينةً ، فقلنا : يا أبا هريرة ، وما اليَقطِينة ؟ قال : شجرة الدُّباء ؛ هيَّا الله له أروية^(١) وحشية ، تأكل من حشائش^(٢) الأرض - أو هشاش الأرض - فتفتش^(٣) عليه ، فتُرويه من لبنها كلَّ عشية وبُكرة ، حتى نبت^(٤) .

• • •

ومما كان أيضاً في أيام ملك الطوائف :

(١) الأروية ، بالضم والكسر : أنثى الوعل .

(٢) حشاش الأرض وهشاشها : يابس النبات .

(٣) يقال : فتشت الدابة ، إذا فرجت ما بين رجلها .

(٤) الخبر في التفسير ٢٣ : ٦٦ (بولاق) .

إرسال الله رسله الثلاثة

الذين ذكرهم في تنزيهه ، فقال : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ ۚ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ۚ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ۚ ﴾ (١) ، الآيات التي ذكر تعالى ذكره في خبرهم . ٧٩٠/١

• • •

واختلف السلف في أمرهم ، فقال بعضهم : كان هؤلاء الثلاثة — الذين ذكرهم الله في هذه الآيات ، وقص فيها خبرهم — أنبياء ورسلا أرسلهم إلى بعض ملوك الروم ، وهو أنطيوخس ، والقرية التي كان فيها هذا الملك الذي أرسل الله إليه فيها هؤلاء الرسل أنطاكية .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حمّيد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : كان من حديث صاحب «يس» — فيما حدثنا محمد بن إسحاق — قال : مما بلغه عن كعب الأحبار ، وعن وهب بن منبه اليماني ، أنه كان رجلاً من أهل أنطاكية ، وكان اسمه حبيباً وكان يعمل الحرير ، وكان رجلاً سقيماً قد أسرع فيه الجذام ، وكان متره عند باب من أبواب المدينة قاصياً ، وكان مؤمناً ذا صدقة ، يجمع كسبه إذا أمسى — فيما يذكرون — فيقسمه نصفين ، فيطعم نصفاً عياله ، ويتصدق بنصف ، فلم يمهئ سقمه ولا عمله ولا ضعفه حين طهر قلبه ، واستقامت فطرته ، وكان بالمدينة التي هو بها ، مدينة أنطاكية ، فرعون من القرانة يقال له أنطيوخس بن أنطيوخس بن أنطيوخس^(٢) ، يعبد الأصنام ، صاحب شيرك

(١) سورة يس ١٣ وما بعدها .

(٢) التفسير : « أبيليس » .

فبعث الله المرسلين ، وهم ثلاثة : صادق وصادق وشلوم^(١) ، فقدّم الله إليه ٧٩١/١ .
ولمّا كان أهل مدينته^(٢) منهم اثنين ، فكذبوهما ، ثم عزّز الله بثالث .

• • •

وقال آخرون : بل كانوا من حواريتي عيسى بن مريم ، ولم يكونوا رسلاً
لله ، وإنما كانوا رسل عيسى بن مريم ، ولكن لإرسال عيسى بن مريم إياهم ،
لمّا كان عن أمر الله تعالى ذكره إياه بذلك ، أضيف إرساله إياهم إلى الله ، فقيل :
﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾ .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا بيشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ،
عن قتادة ، قوله : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ ﴾ إِذْ جَاءَهَا
الْمُرْسَلُونَ . إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا
إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿ . قال : ذكر لنا أنّ عيسى بن مريم بعث رجلين
من الحواريتين إلى أنطاكية ، مدينة بالروم ، فكذبوهما ، فأعزّزهما بثالث ،
﴿ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ . . . ﴾ ، الآية .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، فلما دعت الرسل ، ونادته بأمر
الله ، وصدّعت بالذي أمرت به ، وعابت دينهم وما هم عليه ، قال أصحاب
القرية [٣] : ﴿ إِنَّا نَطِيرُ نَايَكُمْ لَيْنَ لَمْ نَنْتَهُوا لَنَرَجُمَنَّكُمْ وَلَيَسْتَنَكُنَّ مِنَّا
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾^(٤) . قالت لهم الرسل : ﴿ طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ ﴾ ، أي أعمالكم ،
﴿ أَتَيْنَ دُكْرَهُمْ . بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ . فلما أجمع هو وقومه على قتل
الرسل بلغ ذلك حبيباً^(٥) ، وهو على باب المدينة الأقصى ، فجاء يسعى إليهم ٧٩٢/١

(١) التفسير : « سلوم » . (٢) ح ، ل : « المدينة » .

(٣) زيادة يقتضها السياق . (٤) الخبر إلى هنا في التفسير ٢٢ : ١٠١ (بولاق)

(٥) قال في التفسير : « اسمه - فيها ذكر - حبيب بن مري » .

يذكركم الله ، ويدعوهم إلى اتباع المرسلين ، قال : ﴿ يَا قَوْمِ أَتَيْتُوُا الْمُرْسَلِينَ .
 أَتَيْتُوُا مِنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ . أى لا يسألونكم أموالكم على
 ما جاءكم به من الهدى ، وهم لكم ناصحون فاتبعوهم تهتلكوا بهدم .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد : قال : حدثنا سعيد ، عن
 قتادة ، قال : لما انتهى - يعنى حبيباً - إلى الرسل ، قال : هل تسألون على هذا
 من أجر ؟ قالوا : لا ، فقال عند ذلك : ﴿ يَا قَوْمِ أَتَيْتُوُا الْمُرْسَلِينَ .
 أَتَيْتُوُا مِنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ ..

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق : ثم ناداهم بخلاف ما هم عليه
 من عبادة الأصنام ، وأظهر لهم دينه وعبادة ربه ، وأخبرهم أنه لا يملك نفعه
 ولا ضرره غيره ، قال : ﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ .
 أَأَخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونَ ﴾ .
 أى آمنت بربكم ، الذى كفرتم به ، فاسمعوا قولى . فلما قال لهم ذلك وثبوا عليه
 وثبة رجل واحد فقتلوه ، واستضعفوه لضعفه وسقمه ، ولم يكن أحد يدفع عنه .
 حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، عن
 بعض أصحابه ، أن عبد الله بن مسعود كان يقول : وطئوه بأرجلهم ، حتى
 خرج قُصْبُهُ من دبره ^(١) .

وقال الله له : ادْخُلِ الْجَنَّةَ ، فدخلها حياً يرزق فيها ، قد
 أذهب الله عنه سَقَمَ الدنيا وحزنها ونقصها ، فلما أفضى إلى رحمة الله وجنته
 وكرامته ، قال : ﴿ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ
 الْمُكْرَمِينَ ﴾ . وغضب الله له لاستضعافهم إياه غضبة لم يَبْقَ [معها] من القوم
 شيئاً فعبجل لهم النعمة بما استحلوا منه وقال : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَٰرِهِ
 مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴾ ، يقول : ما كابدناهم بالجموع ،

٧٩٣/١

أى الأمر أيسر علينا من ذلك ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾ . فأهلك الله ذلك الملك وأهل أنطاكية ، فبادوا عن وجه الأرض ، فلم يبق منهم باقية .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن ابن عمار ، عن الحكم بن عتيبة ، عن مقسم أبي القاسم ، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عباس ، أنه كان يقول : كان اسم صاحب «يس» حبيباً ، وكان الجُلُثم قد أسرع فيه .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا مؤمل ، قال : حدثنا مفيان ، عن عاصم الأحول ، عن أبي غنْد ، قال : كان اسم صاحب «يس» حبيب بن مرى .

• • •

وكان فيهم ^(١) :

(١) أى فيمن كان في زمان ملوك الطوائف .

شمسون

٧٩٤/١ وكان من أهل قرية من قرى الروم ؛ قد هداه الله لرشده ، وكان قومه أهل أوثان يعبدونها فكان^(١) من خبره وخبرهم — فيما ذكر — ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن المغيرة بن أبي لسيد ، عن وهب بن منبه اليماني : أن شمسون كان فيهم رجلاً مسلماً ، وكانت أمه قد جعلته نذيرة^(٢) ، وكان من أهل قرية من قراهم ، كانوا كفاراً يعبدون الأصنام ، وكان منزله منها على أميال غير كثيرة ، وكان يفرّون وحده ويجاهدون في الله ، فيصيب منهم وفيهم حاجته ، فيقتل ويسبي ، ويصيب المال ، وكان إذا لقيهم لقيهم بلحى بغير ليلقاهم بغيره ، فإذا قاتلوه وقتلهم ، وتعب وعطش انفجر له من الحجر الذي مع^(٣) اللّحى ماء عذب فيشرب منه حتى يروى ، وكان قد أعطى قوة في البطش ، وكان لا يوثقه حديد ولا غيره ، وكان على ذلك يجاهدون في الله ويغزّونهم ، ويصيب منهم حاجته ، لا يقدرون منه على شيء حتى قالوا : لن تأتوه إلا من قبل امرأته ، فدخلوا على امرأته ، فجعلوا لها جمللاً ، فقالت : نعم أنا أوثقه لكم ، فأعطوها حبلاً وثيقاً ، وقالوا : إذا نام فأوثقي يده إلى عنقه حتى نأتيه فنأخذه . فلما نام أوثقت يده إلى عنقه بذلك الحبل ، فلما هبّ جلد به بيده ، فوقع من عنقه ، فقال لها : لم فعلت ؟ فقالت : أجرب به قوتك ، ما رأيت مثلك قط ! فأرسلت إليهم أنى قد ربطته بالحبل فلم أغر عنه شيئاً ، فأرسلوا إليها يجماعة من حديد ، فقالوا : إذا نام فاجعلينا في عنقه ، فلما نام جعلتها في عنقه ، ثم أحكمتها ، فلما هبّ جنبها ، فوقع من يده ومن عنقه ، فقال لها : لم فعلت هذا ؟ قالت : أجرب به قوتك ؛ ما رأيت مثلك في الدنيا يا شمسون !

(١) ل : « وإنما كان » .

(٢) النذيرة : الابن يحمله أبواه قياً أو خادماً للكنيسة أو المعبود .

(٣) ط : « في » وما أثبت من ل .

أَمَا فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ يَغْلِبُكَ ! قَالَ : لَا ، إِلَّا شَيْءٌ وَاحِدٌ ، قَالَتْ : وَمَا هُوَ ؟
 قَالَ : مَا أَنَا بِمُخْبِرِكَ بِهِ ، فَلَمْ تَزَلْ بِهِ تَسْأَلُهُ عَنْ ذَلِكَ — وَكَانَ ذَا شَعْرٍ كَثِيرٍ —
 فَقَالَ لَهَا : وَيْحَكَ ! إِنَّ أَمْسِي جَعَلْتَنِي نَذِيرَةً^(١) ، فَلَا يَغْلِبُنِي شَيْءٌ أَبَدًا ، وَلَا يَضِيقُنِي
 إِلَّا شَعْرَى فَلَمَّا نَامَ أَوْثَقَتْ يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ بِشَعْرِ رَأْسِهِ ، فَأَوْثَقَهُ ذَلِكَ ، وَبَعَثَتْ
 إِلَى الْقَوْمِ ، فَجَاءُوا فَأَخَذُوهُ ، فَجَدَعُوا أَنْفَهُ وَأُذُنَيْهِ ، وَفَقَّشُوا عَيْنَيْهِ ، وَوَقَفُوهُ لِلنَّاسِ
 بَيْنَ ظَهْرَانِي الْمَثَلَذَةِ — وَكَانَتْ مَثَلَذَةً ذَاتَ أَسَاطِينٍ ، وَكَانَ مَلِكُهُمْ قَدْ أَشْرَفَ
 عَلَيْهَا بِالنَّاسِ لِيَنْظُرُوا إِلَى شَمْسُونٍ ، وَمَا يَصْنَعُ بِهِ — فَدَعَا اللَّهُ شَمْسُونَ حِينَ مَثَلُوا
 بِهِ وَوَقَفُوهُ أَنْ يَسْلُطَهُ عَلَيْهِمْ ، فَأَمَرَ أَنْ يَأْخُذَ بِعَمُودَيْنِ^(٢) مِنْ عُمْدِ الْمَثَلَذَةِ الَّتِي
 عَلَيْهَا الْمَلِكُ وَالنَّاسُ الَّذِينَ مَعَهُ فَيَجْلِسُ فِيهَا ، فَجَلَسَ فِيهَا فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بَصَرَهُ
 وَمَا أَصَابُوا مِنْ جَسَدِهِ ، وَوَقَعَتِ الْمَثَلَذَةُ بِالْمَلِكِ وَمَنْ عَلَيْهَا مِنَ النَّاسِ ؛ فَهَلَكُوا
 فِيهَا هَدْمًا .

(١) ط : « فذيراً » وانظر الحاشية رقم ٢ في الصفحة السابقة .

(٢) ل : « العمودين » . ابن الأثير : « عمودين » .

ذكر خبر جرجيس

وكان جرجيس - فيما ذكر - عبداً لله صالحاً من أهل فلسطين ، ممن أدرك بقايا من حواريتي عيسى بن مريم ، وكان تاجراً يكسب بتجارته ما يستغني به عن الناس ، ويعود بالفضل على أهل المسكنة . وإنه تجهز مرة إلى ملك بالموصل ، كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن وهب بن منبه وغيره من أهل العلم : أنه كان بالموصل ذاذاً^(١) ، وكان قد ملك الشام^(٢) كله ، وكان جباراً عاتياً لا يطيقه إلا الله تعالى . وكان جرجيس رجلاً صالحاً من أهل فلسطين ، وكان مؤمناً بكم إيمانه في عصبه معه صالحين ، يستخفون بإيمانهم ، وكانوا قد أدركوا بقايا من الحواريتين فسمعوا منهم ، وأخذوا عنهم . وكان جرجيس كثير المال ، عظيم التجارة ، عظيم الصدقة ، فكان يأتي عليه الزمان يتخلف ماله في الصدقة حتى لا يبقى منه شيء ؛ حتى يصير فقيراً ، ثم يضرب الضربة فيصيب مثل ماله أضعافاً مضاعفة ، فكانت هذه حاله في المال . وكان إنما يرغب في المال ، ويعمره ويكسبه من أجل الصدقة ؛ لولا ذلك كان الفقير أحب إليه من الغني .

وكان لا يأمن ولاية المشركين عليه مخافة أن يؤذوه في دينه ، أو يفتنوه عنه ؛ فخرج يوم ملك الموصل ، ومعه مال يريد أن يهديه له ؛ لئلا يجعل لأحد من تلك الملوك عليه سلطاناً دونه ؛ فجاءه^(٣) حين جاءه ، وقد برز في مجلس له ، وعنده^(٤) عظماء قومه وملوكهم ؛ وقد أوقف ناراً ، وقرّب أصنافاً من أصناف العذاب الذي كان يعذب به من خالفه ، وقد أمر بصنم يقال له : «أفلون» فنصب ؛ فالتاس يعرضون عليه ، فمن لم يسجد له ألقى في تلك النار ، وعذب بأصناف ذلك العذاب . فلما رأى جرجيس ما يصنع قطع به

(١) ل : « دادايه » .

(٢) ل : « دان له » .

(٣) ل : « قبا » ، وكذلك في ابن الأثير .

(٤) ل : « عنده » ، بدون واو .

وأعظمه ، وحدّث نفسه بجهاده ، وألّى الله في نفسه بخصّته ومحاربتة ، فعمد إلى المال الذي أراد أن يهديه له قسّمه في أهل ميلته حتى لم يبق منه شيئاً ؛ وكره أن يماهده بالمال ، وأحبّ أن يلكي ذلك بنفسه ؛ فأقبل عليه عند ما كان أشدّ غضباً وأسفاً ، فقال له : اعلم أنّك عبد ملوك لا تملك لنفسك شيئاً ولا لغيرك ، وأنّ فوقك ربّاً هو الذي يملكك وغيرك ، وهو ^(١) الذي خلّقت ورزّقت ، وهو الذي يُحييك ويميتك ، ويضرّك وينفعك ، وأنت ^(٢) قد عمدت إلى خلق من خلقه — قال له : كن فكان — أصمّ أبكم ، لا ينطق ولا يبصر ولا يسمع ، ولا يضرّ ولا ينفع ، ولا يغني عنك من الله شيئاً ، فريسته بالذهب والفضة لتجعله فتنة للناس ، ثم عبّده دين الله ، وأجبرت عليه عباد الله ، ودعوته ربّاً .

فكلّم الملك جرجيس بنحو هذا ، من تعظيم الله وتعجّده ، وتعريفه أمر الصنم ، وأنه لا تصلح عبادته . فكان من جواب الملك إياه مسأله إياه عنه ، ومن هو ؟ ومن أين هو ؟ فأجابه جرجيس أن قال : أنا عبد الله وابن عبده وابن أمّته ، أذلّ عبادته وأقرّم إليه ، من التراب خلّقت ، وفيه أصير . وأخبره ما الذي جاء به وحاله . وإنّه دعا ذلك الملك جرجيس إلى عبادة الله ورفض عبادة الأوثان . وإنّ الملك دعا جرجيس إلى عبادة الصنم الذي يعبد ، وقال : لو كان ربك الذي تزعم أنه ملك الملوك كما تقول ، لرأى عليك أثره كما ترى أثري على من حول من ملوك قوى .

فأجابه جرجيس بتعجيد الله وتعظيم أمره . وقال له — فيما قال : أين تجعل طرقلينا ^(٣) ، وما نال ^(٤) بولايتك ؟ فإنه عظيم قومك ، من إلياس ، وما نال إلياس بولاية الله ! فإنّ إلياس كان بدوّه آدمياً يأكل الطعام ، ويمشي في الأسواق ، فلم تتنّه به كرامة الله حتى أثبت له الريش ، وألبسه الثور ،

(١) ل : هو • من غير واو .

(٢) ت : • إنك • .

(٣) ت : • طرقلينا • .

(٤) ل : • ما نال • .

فصار إنسياً ملكياً ، سمائياً أرضياً ، يطير مع الملائكة . وحدثنى : أين تجعل مجلّطيس ، وما نال بولايتك : فإنه عظيم قومك ، من المسيح بن مريم وما نال بولاية الله ! فإن الله فضله على رجال العالمين ، وجعله وأمه آية للمعتبرين . ثم ذكر من أمر المسيح ما كان الله خصّه به من الكرامة . وقال أيضاً : وحدثنى : أين تجعل أمّ هذا الروح الطيّب التي اختارها الله لكلمته ، وطهر جوفها لروحه ، وسودها على إمامته ؟ فأين تجعلها وما نالت بولاية الله ، من أزيل وما نالت بولايتك ؟ فلها إذ^(١) كانت من شيعتك وملّتك أسلمها الله عند عظيم ملكها إلى نفسها ، حتى اقتحمت عليها الكلاب في بيتها ، فانتهست لحمها وولّغت دمه ، وجرت الثعالب^(٢) والضباع أوصالها . فأين تجعلها وما نالت بولايتك من مريم ابنة عمران وما نالت بولاية الله !

فقال له الملك : إنك لتحدثنا عن أشياء ليس لنا بها علم ، فأثنى بالرجلين اللذين ذكرت أمرهما ؛ حتى أنظر إليهما ، وأعتبر بهما ؛ فإني أنكر أن يكون هذا في البشر .

فقال له جرجيس : إنما جاءك الإنكار من قبل الغيرة^(٣) بالله ، وأما الرجلان فلن تراهما ولن يرياك ؛ إلا أن تعمل بعملهما ، فتتزل منازلهما . فقال له الملك : أما نحن فقد أعذرنا إليك ، وقد نيتن لنا كذبك ، لأنك فخرت بأمر عجزت عنها ، ولم تأت بتصديقها . ثم خير الملك جرجيس بين العذاب وبين السجود لأفلّون ، فبشّيه !

فقال له جرجيس : إن كان أفلّون هو الذي رفع السماء — وعدّ عليه أشياء من قدرة الله — فقد أصبت ونصحت [لي]^(٤) ، وإلا فاخسأ أيتها النجس الملعون !

فلما سمعه الملك يسبه ويسب آلهته غضب من قوله غضباً شديداً ، وأمر بخشبة فتصبت له للعذاب ، وجعلت عليه أمشاط الحديد ، فخذش بها

(١) في الأصول : « إذا » .

(٢) زاد في ل : « إليه » .

(٣) الغرة ، بالكسر : الجهل .

(٤) تكلّة من ل .

جسده حتى تقطع لحمه وجلده وعروقه ، ينضح خلال ذلك بالخلّ والخلود .
فلما رأى ذلك لم يقتله ، أمر بستة مسامير من حديد فأحسيت حتى إذا جعلت
ناراً ، أمر بها فمسر بها رأسه حتى سال منه دماغه . فلما رأى ذلك لم يقتله ،
أمر بمحوض من نحاس ، فأوقد عليه حتى إذا جعله ناراً أمر به فأدخل في
جوفه ، وأطبق عليه ، فلم يزل فيه حتى برّد حرّه .

فلما رأى ذلك لم يقتله ، دعا به فقال : ألم تجد ألم هذا العذاب الذى تعذب به !
فقال له جرجيس : أمّا أخبرتك أنّ لك ربّاً هو أولّى بك من نفسك !
قال : بلى قد أخبرتنى ، قال : فهو الذى حمّل عنّى عذابك ، وصبرتنى
ليحتجّ عليك . فلما قال له ذلك أيقن بالشرّ ، وخافه على نفسه ومملكه ،
وأجمع رأيه على أن يخلّده فى السجن ، فقال للأمر من قومه : إنك إن تركته
طليقاً يكلم الناس أشك أن يميل بهم عليك ، ولكن مرّه له بعداب فى السجن
يشغله عن كلام الناس . فأمر فبطّح فى السجن على وجهه ، ثم أوتد فى يديه
ورجليه أربعة أوتاد من حديد ، فى كلّ ركن منها وتد ، ثم أمر بأسطوان^(١)
من رخام ، فوضّع على ظهره . حمّل ذلك الأسطوان سبعة رجال فلم يقلّوه ، ثم
أربعة عشر رجلاً فلم يقلّوه ، ثم ثمانية عشر رجلاً فأقلّوه ؛ فظلّ يومه ذلك
موتداً تحت الحجر .

فلما أدركه الليل أرسل الله إليه ملكاً — وذلك أولّ ما أيّد بالملائكة ،
وأولّ ما جاءه الوحي — فقلع^(٢) عنه الحجر ، ونزع الأوتاد من يديه ورجليه ،
وأطعمه وسقاه ، وبشّره وعزّاه ، فلما أصبح أخرجه من السجن ، وقال له :
الحقّ بعدوك فجاهدته فى الله حقّ جهاده ؛ فإنّ الله يقول لك : أبشّر واصبر ،
فلئنّى ابتليتك بعدوى هذا سبع سنين ، يعذبك ويقتلك فيهنّ أربع مزار ، فى
كلّ ذلك أردّ إليك روحك ؛ فإذا كانت القنلة الرابعة تقبلت روحك وأوفيتك
أجرك . فلم يشعر الآخرون إلّا وقد وقف جرجيس على رءوسهم يدعونه إلى الله .
فقال له الملك : أجرجيس ! قال : نعم ، قال : منّ أخرجك من السجن ؟

(١) ل : « أسطوانة » .

(٢) كذا فى ابن الأثير ؛ وفى الأسفل « قتل » .

قال : أخرجتني الذي سلطانه فوق سلطانك . فلما قال له ذلك ملء غيظاً ، فدعا بأصناف العذاب حتى لم يخلف منها شيئاً ، فلما رآها جرجيس تُصنّف له ، أوجس في نفسه خيفة وجزعاً ، ثم أقبل على نفسه يعاتبها بأعلى صوته ، وهم يسمعون . فلما فرغ من عتابه نفسه مدّوه بين خشبتين ، ووضعوا عليه سيفاً على مفترق رأسه ، فوثّروه^(١) حتى سقط بين رجليه ، وصار جزلتين^(٢) ، ثم حملوا إلى جزلتيه ، فقطعوهما قطعاً . وله سبعة أسدضارية في حبس ، وكانت صنفاً من أصناف عذابه ، ثم رموا يحمده إليها ، فلما هوى نحوها أمر الله الأسد فخضعت برعوسها وأعناقها ، وقامت على جوارحها ، لا تألو أن تغيّه الأذى ، فظلّ يومه ذلك ميتاً ، فكانت طوله ميتة ذاقها . فلما أدركه الليل جمع الله له جسده الذي قطعوه بعضه على بعض ، حتى سواه . ثم ردّ فيه روحه وأرسل ملكاً فأخرجه من قعر الحبس ، وأطعمه سقاه ، وبشّره وعزّاه . فلما أصبحوا قال له الملك : يا جرجيس ، قال : لبيك ! قال : اعلم أن القدرة التي خلقت آدم بها من تراب هي التي أخرجتك من قعر الحبس ، فالحق بعدوك ثم جاهده في الله حتى جهاده ، وموت الصابرين .

٨٠٢/١

فلم يشعر الآخرون إلاّ وقد أقبل جرجيس ، وهم عكوف على عيذ لم قد صنعوه فرحاً - زعموا بموت جرجيس - فلما نظروا إلى جرجيس مقبلاً ، قالوا : ما أشبه هذا بجرجيس ! قالوا : كأنه هو ؟ قال الملك : ما بجرجيس من خفاء ، إنه هو ! ألا ترون إلى سكون ريحه ، وقلة هيئته . قال جرجيس : بلى ، أنا هوحاً ! بشس القوم أنتم ! قتلتم ومثلتم ، فكان الله - وحى - لسخيراً وأرحم منكم . أحياني وردّ على روعي . هلمّ إلى هذا الربّ العظيم الذي أراكم ما أراكم . فلما قال لهم ذلك ، أقبل بعضهم على بعض ، فقالوا : ساحر - ساحر أيديكم وأعينكم عنه . فجمعوا له من كان ببلادهم من السحرة ، فلما جاء السحرة ، قال الملك لكبيرهم : اعرض على من كبير سحرك ما تسرى به عني ، قال له : ادع لي بثور من البقر ، فلما أتى به نفث في إحدى أذنيه فانشقت باثنتين ، ثم نفث في الأخرى ، فإذا هو ثوران ، ثم أمر ببذر فحرت وبذر ، ونبت

(١) ت : « فثّروه » ، وما بمعنى .

(٢) يقال : قطعته جزلتيه ، أي نصفين .

الزروع ، وأبنع وحصد ، ثم داس وذرى ، وطحن وعجن ، وخبز وأكل ذلك فى ساعة واحدة كما ترون ! قال له الملك : هل تقدر على أن تمسخه لى^(١) دابة ؟ قال الساحر : أى دابة أمسخه لك ؟ قال : كلباً ، قال : ادع لى بقدر من ماء ، فلما أتى بالقدح نفث فيه الساحر ، ثم قال للملك : اعزم عليه أن يشربه ، فشربه جرجيس حتى أتى على آخره ، فلما فرغ منه قال له الساحر : ماذا تجد ؟ قال : ما أبجد إلا خيراً ، قد كنت عطشت فلطف الله لى بهذا الشراب ، فقواتى به عليكم . فلما قال له ذلك أقبل الساحر على الملك فقال : اعلم أيها الملك ، أنك لو كنت تقاسى رجلاً مثلك إذا كنت غلبته ، ولكنك تقاسى جبار السموات ، وهو الملك الذى لا يرام !

وقد كانت امرأة مسكينة ، سمعت بجرجيس وما يصنع من الأعاجيب ، فأنته وهو فى أشد ما هو فيه من البلاء ، فقالت له : يا جرجيس ، إئتى امرأة مسكينة ، لم يكن لى مال ولا عيش إلا نور كنت أحرث عليه فأت ، وجئتك لترحمنى وتدعوا الله أن ينجى لى ثورى . فلترفت عيناه . ثم دعا^(٢) الله أن يجيب لها ثورها ، وأعطاهما عصا ، فقال : اذهبي إلى ثورك ، فافرقيه بهذه العصا وقولى له : احنى بإذن الله . فقالت : يا جرجيس مات ثورى منذ أيام ، وفترفته السباع ، وبنى وبينك أيام ، فقال : لولم تجدى منه إلا سناً واحدة ثم قرعتها بالعصا لقام بإذن الله . فانطلقت حتى أتت مصرع ثورها ، فكان أول شيء بدا لها من ثورها أحد روقيه^(٣) وشعر ذنبه ، فجمعت أحدهما إلى الآخر ، ثم قرعهما بالعصا إلى أعطاهما ، وقالت كما أمرها ، فعاش ثورها ، وعملت عليه حتى جاءهم الخبر بذلك .

فلما قال الساحر للملك ما قال ، قال رجل من أصحاب الملك - وكان أعظمهم بعد الملك : اسمعوا منى أيها القوم أحدنكم ، قالوا : نعم ، فتكلم ، قال : إنكم قد وضعتم أمر هذا الرجل على السحر ، وزعمتم أنه سحر أيديكم^{٨٠٤/١} عنه وأعينكم . فأراكم أنكم تغذونه ، ولم يصل إليه عذابكم وأراكم أنكم

(١) ت : « تمسخ لى هذا » .

(٢) ل : « ودعا » .

(٣) الرزق : القرن من كل فى قرن .

قد قتلتموه فلم يمِتْ ، فهل رأيتم ساحراً قطَ قَدَرَ أن يدرأ عن نفسه الموت ، أو أحياً ميتاً قط ! ثم قصّ عليهم فعل جرجيس ، وفعلهم به ، وفعله بالثور وصاحبه ، واحتجّ عليهم بذلك كله ، فقالوا له : إن كلامك لتكلام رجل قد أصغى إليه ، قال : ما زال أمره لي معجباً منذ رأيته منه ما رأيته ، قالوا له : فلعله استهواك ! قال : بل آمنت وأشهدُ الله أنني برىء مما تعبدون . فقام إليه الملك وصحابته بالخناجر ، فقطعوا لسانه ، فلم يلبث أن مات ، وقالوا : أصابه الطاعون ، فأعجله الله قبل أن يتكلم .

فلما سمع الناس بموته أفرغهم ، وكنموا شأنه ، فلما رأيهم جرجيس يكتومونه برز للناس ، فكشف لهم أمره ، وقصّ عليهم كلامه ، فاتبعه على كلامه أربعة آلاف وهو ميت ، فقالوا : صدق ، ونعيم ما قال ! يرحمه الله ! فعمد إليهم الملك فأوقفهم ، ثم لم يزل يلوّن لهم العذاب ويقتلهم بالمشلات ^(١) . حتى أفتانهم .

فلما فرغ منهم أقبل على جرجيس ، فقال له : هلاّ دعوت ربك . فأحيا لك أصحابك ، هؤلاء الذين قُتلوا بجريرتك ! فقال له جرجيس : ما خلّيت بينك وبينهم حتى خار لهم ^(٢) . فقال رجل من عظمائهم يقال له مجليطيس : إنك زعمت يا جرجيس أن إهلك هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ، وإنني سأثلك أمراً إن فعله إهلك آمنت بك وصدقتك ، وكفيتك قوى هؤلاء ؛ هذه تحتنا أربعة عشر منبراً حيث ترى ، ومائدةً بيننا عليها أقذاح وصحاف ، وكلُّ صنيع من الخشب اليابس ، ثم هومن أشجار شتى ؛ فادع ربك ينشئ هذه الآتية وهذه المنابر ، وهذه المائدة ، كما بدأها أوّل مرة ؛ حتى تعود خضراً نعرف كلّ عود منها بلونه وورقه وزهره وثمره .

فقال له جرجيس : قد سألتَ أمراً عزيزاً عليّ وعليك ؛ وإنه على الله لمين . فدعا ربه ، فإبرحوا مكانهم حتى اخضرت تلك المنابر ، وتلك الآتية كلها ، فساخت عروقها ، وأليست اللحاء ، وتشعبت ، ونبت ورقها وزهرها وثمرها ؛ حتى عرفوا كلّ عود منها باسمه ولونه وزهره وثمره .

فلما نظروا إلى ذلك انتدب له مجليطيس ، الذي تمنى عليه ما تمنى ،

(١) المظلات : العقوبات .

(٢) ت : « جازاهم » .

فقال : أنا أعدت لكم هذا الساحر عذاباً يضل عنه كيده . فعمد إلى نحاس فصنع منه صورة نور جوفاء واسعة ، ثم حشاها نفطاً ورصاصاً وكبريتاً وزرنيخاً ، ثم أدخل جرجيس مع الحشو في جوفها ، ثم أوقد تحت الصورة ، فلم يزل يؤقد حتى التهبت الصورة ، وذاب كل شيء فيها واختلط ، ومات جرجيس في جوفها . فلما مات أرسل الله ريحاً عاصفاً ، فلأت السماء سحباً أسوداً مظلماً ، فيه رعد لا يقر ، وبرق صواعق متدراكات ، وأرسل الله أعصاراً فلأت بلادهم عجاجاً وقتاما ، حتى اسود ما بين السماء والأرض وأظلم ، ومكثوا أياماً متحيرين في تلك الظلمة ، لا يفصلون بين الليل والنهار . وأرسل الله ميكائيل فاحتمل الصورة التي فيها جرجيس ، حتى إذا ألقاها ضرب بها الأرض ضرباً ، فزع من روعته أهل الشام أجمعون ، وكلهم يسمعه في ساعة واحدة ؛ فخرؤا لوجوههم صمغيين من شدة الهول ، وانكسرت الصورة ، فخرج منها جرجيس حياً ، فلما وقف بكلتهم انكشفت الظلمة ، وأسفر ما بين السماء والأرض ، ورجعت إليهم أنفسهم . فقال له رجل منهم يقال له طرقلينا : لا ندرى يا جرجيس أنت تصنع هذه العجائب أم ربك ؟ فإن كان هو الذي يصنعها ، فادعه يُخبرنا لنا موتانا ، فإن في هذه القبور التي ترى أمواتاً من أمواتنا ، منهم من نعرف ومنهم من مات قبل زماننا ، فادعه يُخبرهم حتى يمدوا كما كانوا ونكلمهم ، ونعرف من عرفنا منهم ، ومن لا نعرف أخبرنا خبره . فقال له جرجيس : لقد علمت ما يصفح الله عنكم هذا الصنف ، ويريدكم هذه العجائب ^(١) إلا ليت عليكم حججه ، فتسترجعوا بذلك غضبه . ثم أمر بالقبور فنبشت وهي عظام ورقات ورمم . ثم أقبل على الدعاة فنا برحوا مكانهم ؛ حتى نظروا إلى سبعة عشر إنساناً : تسعة رهط وخمس نسوة وثلاثة صبية ؛ فإذا شيخ منهم كبير ، فقال له جرجيس : أيها الشيخ ، ما اسمك ؟ فقال : اسمي يوبيل ^(٢) ، فقال : متى ميت ؟ قال : في زمان كذا وكذا ، فحسبوا فإذا هو قد مات منذ أربعمئة عام ^(٣) .

(١) ت : « الأعاجيب » .

(٢) ل : « يوبك » .

(٣) ل : « ستة » .

فلما نظر إلى ذلك الملك وصحابته ، قالوا : لم يبق من أصناف عذابكم شيء إلا قد عذبتموه ، إلا الجوع والعطش ، فعذبوه بهما . فعملوا إلى بيت عجوز كبيرة فقيرة ، كان حريزاً ، وكان لها ابنٌ أعشى أبكم مقعد ، فحضره ٨٠٧/١ في بيتها فلا يصل إليه من عند أحد طعام ولا شراب . فلما بلغه الجوع ، قال للعجوز : هل عندك طعام أو شراب ؟ قالت : لا والذي يُحلف^(١) به ، ما عهدنا بالطعام^(٢) . منذ كذا وكذا ، وسأخرج وألتمس لك شيئاً . قال لها جرجيس : هل تعرفين الله ؟ قالت له : نعم ، قال : فإياه تعبدين ؟ قالت : لا ، قال : فدعاهما إلى الله فصدقته ، وانطلقت تطلب له شيئاً ، وفي بيتها دُعامة من خشبة يابسة تحمل خشب البيت ، فأقبل على الدعاء ، فما كان كشيء حتى اخضرت تلك الدُعامة ، فأثبتت كل فاكهة تؤكل أو تعرف ، أو تسمى حتى كان فيها أنبت اللبَاء^(٣) واللوبياء .

قال أبو جعفر: اللبَاء نبت بالشَّام له حبٌ يؤكل . وظهر للدُعامة فرع من فوق البيت أظله وما حوله وأقبلت العجوز ، وهو فيما شاء يأكل رَغَدًا ، فلما رأت الذي حدث في بيتها من بعدها ، قالت : آمنت بالذي أطعمك في بيت الجوع ، فادعُ هذا الربَّ العظيم ليشقَّ ابني ، قال : أذنيه مني ، فأذنته منه ، فبصق في عينيه فأبصر ، فنفث في أذنيه فسمع ، قالت له : أطلق لسانه ورجليه ، رحمك الله ! قال : أخبريه ، فإن له يوماً عظيماً . وخرج الملك يسير في مدينته ، فلما نظر إلى الشجرة ، قال لأصحابه : إني أرى شجرةً بمكان ما كنت أعرفها به ، قالوا له : تلك الشجرة نبتت للملك الساحر الذي أردت أن تعذِّبه بالجوع ، فهو فيما شاء قد شبع منها ، وشبعت^(٤) الفقيرة وشقني لها ابنتها . فأمر بالبيت فهدم ، وبالشجرة ليقتطع ، فلما هموا بقطعها ٨٠٨/١ أبسها الله تعالى كما كانت أول مرة ، فتركوها ، وأمر بجرجيس فبُطِّح على

(١) ل : « تحلف به » .

(٢) ت : « ما عهدنا من طعام » .

(٣) قال في اللسان : الباء : حب أبيض كالخضض شديد البياض يؤكل ، وفي ط : « الباء » .

(٤) كلما في ل ، وفي ط : « أشبعت » . تحريف .

وجهه وأوتد^(١) له أربعة أوتاد ، وأمر يعجّل فأوقر أسطواناً ما حمل ، وجعل في أسفل العجل خناجر وشفاراً^(٢) ، ثم دعا بأربعين ثوراً ، فنهضت بالعجل نهضة واحدة ، وجرجيس تحتها ، فتقطع^(٣) ثلاث قطع ، ثم أمر بقطعة فأحرقت بالنار ، حتى إذا عادت رماداً بعث بذلك الرماد رجلاً ذرّوه في البحر ، فلم يبرحوا مكانهم حتى سمعوا صوتاً من السماء يقول : يا بحر ، إن الله يأمرك أن تحفظ ما فيك من هذا الجسد الطيب ، فإنني أريد أن أعيده كما كان . ثم أرسل الله الرياح فأخرجته من البحر ، ثم جمعته حتى عاد الرماد صبرة كهيئته قبل أن يذرّوه ، والذين ذرّوه قيام لم يبرحوا . ثم نظروا إلى الرماد يثور كما كان ، حتى خرج منه جرجيس مغبراً ينفخ رأسه ، فرجعوا ، ورجع جرجيس معهم ، فلما انتهوا إلى الملك أخبروه خبر الصوت الذي أحياه ، والريح التي جمعته . فقال له الملك : هل لك يا جرجيس فيما هو خيرى ولك ! فلولاً أن يقول الناس إنك قهرتني وغلبتني لا تبتعتك وأمنت بك ؛ ولكن اسجد لأقلّون سجدة واحدة ، أو اذبح له شاة واحدة ، ثم أنا أفعل ما يسرك .

فلما سمع جرجيس هذا من قوله طمع أن يهلك الصنم حين يدخله عليه ، رجاء أن يؤمن له الملك حين يهلك صنمه ، ويشس منه ، فخذعه جرجيس ، فقال : نعم ؛ إذا شئت فأدخلتني على صنمك أسجد له ، وأذبح له ، ففرح الملك بقوله ، فقام إليه فقبل يديه ورجليه ورأسه ، وقال : إني أعزم عليك ألا تنظر هذا اليوم ، ولا تبين هذه الليلة إلا في بيتي وعلى فراشي ، ومع أهلي حتى تستريح ويذهب عنك صلب العذاب ، فيرى الناس كرامتك على . فأخلى له بيته ، وأخرج منه من كان فيه . فظل فيه جرجيس ؛ حتى إذا أدركه الليل ، قام يصلي ، ويقرأ الزبور - وكان أحسن الناس صوتاً - فلما سمعته امرأة الملك استجابت له ، ولم يشعر إلا وهي خلفه تبكي معه ، فدعاها

(١) ت : « ووتد » .

(٢) في الأصول : « وشفاراً » ؛ والصواب ما أثبت من ابن الأثير .

(٣) ل : « فانقطع » .

جرجيس إلى الإيمان فآمنت ، وأمرها فكنتت إيمانها . فلما أصبح غدا به إلى بيت الأصنام ليسجد لها ، وقيل للعجوز التي كان سجن في بيتها^(١) : هل علمت أن جرجيس قد فتن بعدك ، وأصغى إلى الدنيا ، وأطمعه الملك في ملكه ، وقد خرج به إلى بيت أصنامه ليسجد لها ! فخرجت العجوز في أعراضهم ، تحمل ابنها على عاتقها ، وتوبّخ جرجيس ، والناس مشتغلون عنها .

فلما دخل جرجيس بيت الأصنام ، ودخل الناس معه ، نظر فإذا العجوز وابنها على عاتقها أقرب الناس منه مقاماً ، فدعا ابن العجوز باسمه ، فنطق بإجابته ، وما تكلم قبل ذلك قط ، ثم اقتحم عن عاتق أمه يمشي على رجله سويتين ، وما وطئ الأرض قبل ذلك قط بقدميه ، فلما وقف بين يدي جرجيس قال : اذهب ، فادعُ لي هذه الأصنام ، وهي حينئذ على منابر من ذهب ، واحد وسبعون صنماً ، وهم يعبدون الشمس والقمر معها ، فقال له الغلام : كيف أقول للأصنام ؟ قال : تقول لها : إن جرجيس يسألك ويعزم عليك بالذي خلدك إلا ما جئته^(٢) . فلما قال لها الغلام ذلك ، أقبلت تدرج إلى جرجيس ، فلما انتهت إليه ركض الأرض برجله ، فحسف بها وبمنابرها ، وخرج إبليس من جوف صنم منها هارباً فرقاً من الحسف ، فلما مرّ بجرجيس ، أخذ بناصيته ، فخضع له برأسه وعنقه ، وكلمه جرجيس فقال له : أخبرني أينها الروح النجسة ، والخلق الملعون ، ما الذي يحملك على أن تهلك نفسك ، وتهلك الناس معك ، وأنت تعلم أنك وجندك تصيرون إلى جهنم ! فقال له إبليس : لو خيّر بين ما أشرقت عليه الشمس ، وأظلم عليه الليل ، وبين هلكة نبي آدم وضلالتهم أو واحد منهم طرفة عين ، لاخترت طرفة العين على ذلك كله ، وإنه يقع^(٣) لي من الشهوة في ذلك واللذة مثل جميع ما يتلذذ به جميع الخلق . ألم تعلم يا جرجيس أن الله أسجد لأبيك آدم جميع الملائكة ، فسجد^(٤) له : جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وجميع الملائكة

(١) ل : « سكن في بيتها » .

(٢) ت : « إلا ما أجته » .

(٣) ل : « يقع » .

(٤) كذا في ل ، وفي ط : « فسجدوا » .

المقربين ، وأهل السموات كلهم ، وامتنعت من السجود ، فقلت : لا أسجد لهذا الخلق وأنا خير منه ! فلما قال هذا خلاه جرجيس ، فما دخل إبليس ٨١١/١ منذ يومئذ جوف صنم ، مخافة الحسف ، ولا يدخله بعدها - فيما يذكرون - أبداً . وقال الملك : يا جرجيس خدعني وغررتني ، وأهلك آلهتي ، فقال له جرجيس : إنما فعلت ذلك عمداً لتعتبر وتعلم أنها لو كانت آلهة كما تقول إذا لامتنعت مني ، فكيف تقتك وبلك بآلهة لم تمنع أنفسها مني ! وإنما أنا مخلوق ضعيف لا أملك إلا ما ملكتني ربّي . قال : فلما قال هذا جرجيس ، كلمتهم امرأة الملك ، وذلك حين كشفت لهم إيمانها ، وباينتهم بدینها ، وعددت عليهم أفعال جرجيس ، والعبر التي أراهم . وقالت لهم : ما تنتظرون من هذا الرجل إلا دعوة فتخسف بكم الأرض فتهلكوا ، كما هلك أصنامكم . الله الله أيها القوم في أنفسكم ! فقال لها الملك : ويحاً لك إسكندرة ! ما أسرع ما أضلكت هذا الساحر في ليلة واحدة ! وأنا أفاقيه منذ سبع سنين ، فلم يطق مني شيئاً . قالت له : أفأ رأيت الله كيف يظفرك بك ، ويسلطه عليك ، فيكون له الفلج والحجة عليك في كل موطن ! فأمر بها عند ذلك فحملت على خشبة جرجيس التي كان علق عليها ، فعلق بها ، وجعلت^(١) عليها الأمشاط التي جعلت على جرجيس . فلما أليمت من وجع العذاب قالت : ادع ربك يا جرجيس يخفف عني ، فأني قد ألت [من] العذاب فقال : انظري فوقك . فلما نظرت ضحكت ، فقال لها : ما الذي يضحكك ؟ قالت : أرى ملكين فوق ، ٨١٢/١ معهما تاج من حلكي الجنة ينتظران به روعي أن تخرج ، فإذا خرجت زيناهما بذلك التاج ، ثم صعدا بها إلى الجنة ، فلما قبض الله روحها أقبل جرجيس على الدعاء ، فقال : اللهم أنت الذي أكرمتني بهذا البلاء ، لتعطيني به فضائل الشهداء ! اللهم فهذا آخر آيائي الذي وعدتني فيه الراحة من بلاء الدنيا ، اللهم فأني أسألك ألا تقبض روعي ، ولا أزول من مكاني هذا حتى تنزل بهذا القوم المتكبرين من سطواتك وتقمطك ما لا قبل لهم به ، وما تشفي به صدري ، وتقر به عيني ؛ فإنهم ظلموني وعذبوني . اللهم وأسألك ألا يدعوا

بعدى داعٍ في بلاء ولا كرب فيذكرني ، ويسألك باسمي إلا فرجت عنه
ورحمته وأجبت ، وشفعتني فيه .

فلما فرغ من هذا الدعاء ، أمطر الله عليهم النار ، فلما احترقوا عمدوا
إليه فضربوه بالسيوف غيظاً من شدة الحريق ، ليعطيه الله تعالى بالقتلة الرابعة
ما وعده . فلما احترقت المدينة بجميع ما فيها ، وصارت رماداً ، حملها الله من
وجه الأرض حتى أقلتها ، ثم جعل عاليها سافلها ، فلبثت زماناً من الدهر
يخرج من تحتها دخان منن ، لا يشمه أحد إلا سقم سقماً شديداً ، إلا أنها أسقام
مختلفة ، لا يشبه بعضها بعضاً ، فكان جميع من آمن بمرجيس ، وقتل معه
أربعة وثلاثين ألفاً ، وامرأة الملك . رحمها الله !

• • •

ونرجع الآن إلى : ٨١٣/١

ذكر الخبر عن ملوك الفرس وسنى ملكهم

لسياق تمام التأريخ ؛ إذ كنا قد ذكرنا الجلائل من الأمور التي كانت في أيام ملوك الطوائف في الفرس ، وبني إسرائيل ، والروم ، والعرب ، إلى عهد أردشير .

• • •

[ذكر ملك أردشير بن بابك]

ولما مضى من لدن ملك الإسكندر أرض بابل في قول النصارى وأهل الكتب الأول خمسمائة سنة وثلاث وعشرون سنة ، وفي قول المجوس مائتان وست وستون سنة ؛ وثب أردشير بن بابك شاه ماث خير بن ساسان الأصغر بن بابك ، بن ساسان بن بابك بن مهرمس بن ساسان بن بهمن الملك بن إسفنديار بن يشناسب بن لهراسب بن كيوجي بن كيمنش - وقيل في نسبه : أردشير بن بابك بن ساسان بن بابك بن زرار بن بهافريد بن ساسان الأكبر . بن بهمن بن إسفنديار بن يشناسب بن لهراسب - بفارس طالباً - بزعمه - بدم ابن عمه دارا بن دارا بن بهمن بن إسفنديار ، الذي حارب الإسكندر ، فقتله حاجباه ، مريداه - فيما يقول ^(١) - رد الملك إلى أهله ، وإلى ^(٢) ما لم يزل عليه أيام سلفه وآبائه الذين مضوا قبل ملوك الطوائف ، وجمعه لرئيس واحد وملك واحد .

وذكر أن مولده كان بقرية من قرى إصطخر يقال لها طبروده ، من رستاق خير من كورة إصطخر . وكان جده ساسان شجاعاً شديداً البطش ، وإنه بلغ من شجاعته وشدة بطشه ، أنه حارب وحده ثمانين رجلاً من أهل إصطخر ، ذوى بأس ونجدة ، فهزمهم . وكانت امرأته من نسل قوم من الملوك ، كانوا بفارس ، يعرفون بالبازرنجين ، يقال لها : راميهشت ، ذات جمال وكمال ، وكان ساسان قيماً على بيت نار إصطخر ، يقال له بيت

(١) ت : « نزم » . (٢) ت : « على » .

نار أنا هيد،^(١) وكان مغرمًا بالصيد والفروسيّة ، فولدت راميهشت اساسان بابك ، وطولُ شعره حين ولدته أطولُ من شبر . فلما احتسّنتك قام بأمر الناس بعد أبيه ، ثم ولد له ابنه أردشير .

وكان ملكك إصطخر يومئذ رجل من البازرنجين ، يقال له — فيما حدثت عن هشام بن محمد — جُوزِهَر . وقال غيره : كان يسمّى جُزِهَر ، وكان له خصي يقال له تيرى ، قد صيّرهُ أَرْجَبِنَا^(٢) بدارا بَجِرْد . فلما أتى لأردشير سبع سنين ، سار به أبوه إلى جُزِهَر ، وهو بالبليضاء ، فوقفه بين يديه ، وسأله أن يضمه إلى تيرى ؛ ليكون ربيبا له ، وأرجبِنَا من بعده في موضعه . فأجابه إلى ذلك ، وكتب بما سأله من ذلك سجيلا ، وصار به إلى تيرى ، فقبله أحسن قبول ، وتبناه . فلما هلك تيرى تقلّد أردشير الأمر ، وحسّن قيامه به ، وأعلمه قوم من المنجمين والعرفان صلاح مولده ، وأنه يملك البلاد . فذكر أن أردشير تواضع واستكان لملك ، ولم يزل يزداد في الخير كل يوم ، وأنه رأى في نومه ملكا جلس إلى رأسه ، فقال له : إن الله يملكه البلاد ؛ فليأخذ لذلك أهبته ، فلما استيقظ سرّ بذلك ، وأحسّ من نفسه قوّةً وشدةً بطش ، لم يكن يعهد مثله .

وكان أوّل ما فعل أنه سار إلى موضع من دارا بَجِرْد ، يقال له جوبانان ، فقتل ملكا كان بها يقال له فاسين^(٣) . ثم سار إلى موضع يقال له كونس ، فقتل ملكا كان بها يقال له مَنُوشَهَر ، ثم إلى موضع يقال له لروير^(٤) ، فقتل ملكا كان بها يقال له دارا ، وملك هذه المواضع قوما من قبله ، ثم كتب إلى أبيه بما كان منه ، وأمره بالوثوب بجزهر وهو بالبليضاء ، ففعل ذلك ، وقتل جُزِهَر وأخذ تاجه ، وكتب إلى أَرْدَوَانَ البَهْلَوِي ملك الجبال وما يتصل بها ، يتضرّع له ويسأله الإذن في تتويج سابور ابنه بتاج جُزِهَر . فكتب إليه أَرْدَوَان كتابا عنيقا ، وأعلمه أنه وابنه أردشير على الخلاف بما كان من

(١) ت : « نار أهيد » ؛ س : « نار هيد » .

(٢) وهي أيضا : « هرجبنا » ، وانظر ص ٤٤ ، س ١٦ .

(٣) ت : « قاسين » ، س : « قاسير » .

(٤) ت : « لزوير » ، س : « لزوين » .

قتلَهُمَا مَن قَتَلَ - فلم يحفل بابلك بذلك ، وهلك في تلك الأيام ، فتتوج سابور ابن بابلك بالتاج ، وملك مكان أبيه ، وكتب إلى أردشير أن يشخص إليه . فامتنع أردشير من ذلك ، فغضب سابور من امتناعه ، وجمع جموعاً ، وسار بهم نحوه ليحاربه ، وخرج من إصطخر ، فألقى بها عدة من إخوانه ، كان بعضهم أكبر سنّاً منه ، فاجتمعوا وأحضروا التاج وسرير الملك ، فسلم الجميع لأردشير ، فتتوج بالتاج ، وجلس على السرير ، وافتتح أمره بقوة وجيد ، ورتب قوماً مراتب ، وصير رجلاً يقال له أبرسام بن زحفر^(١) وزيراً ، وأطلق يده وفوض إليه ، وصير رجلاً يقال له فاهر^(٢) مؤيداً موبد ، وأحسن من إخوانه وقوم كانوا معه بالفتك به ، فقتل جماعة منهم كثيرة . ثم أتاه أن أهل دارا بجريد قد فسدوا عليه ، فعاد إليها حتى افتتحها بعد أن قتل جماعة من ٨١٧/١ أهلها . ثم سار إلى كترمان ، وبها ملك يقال له : بلاش ، فاقتل وهو قتالاً شديداً ، وقاتل أردشير بنفسه حتى أسر بلاش ، واستولى على المدينة ، فلك أردشير على كترمان ابناً له يقال له أردشير أيضاً .

وكان في سواحل بحر فارس ملك يقال له أبتنود ، كان يعظم ويعبد ، فسار إليه أردشير فقتله وقطعه بسيفه نصفين ، وقتل مَن كان حوله ، واستخرج من مظامير كانت لهم كنوزاً مجموعة فيها ، وكتب إلى مِهْرَك ، وكان ملك إبراهيمان من أردشير خيرة ، وإلى جماعة من أمثاله في طاعته ، فلم يفعلوا ، فسار إليهم ، فقتل مِهْرَك ، ثم سار إلى جُور ، فأسسها ، وأخذ في بناء الجوسق المعروف بالطربال ، وببيت نار هناك .

فبينما هو كذلك إذ ورد عليه رسول الأردّ وأن بكتاب منه ، فجمع أردشير الناس لذلك ، وقرأ الكتاب بحضرتهم ؛ فإذا فيه : إنك قد عدوت طورك ، واجتلبت حتفك ، أيها الكردي الربّي في خيام الأكراد! مَن أذن لك في التاج الذي لبسته ، والبلاد التي احتويت عليها وغلبت ملوكها وأهلها ! ومَن أمرك ببناء المدينة التي أسستها في صحراء - يريد جور - مع أننا إن خلتيناك

(١) ت : « زحفر » .

(٢) ت : « فاهر » ، ل : « فاهر » .

وبناها قابتين في صحراء طولها عشرة فراسخ مدينة ، وسمّاهَا رام أردشير .
وأعلمه أنه قد وجه إليه ملك الأهواز ليأتيه به في وثاق . ٨١٨/١

فكتب إليه أردشير : إن الله جاني بالثأج الذي ليستهُ ، وملّكني البلاد
التي افتتحتها ، وأعانني على مَنْ قُتِلَ من الجبابرة والملوك ؛ وأمّا المدينة التي
أبنيها وأسميها رام أردشير ، فأنا أرجو أن أمكن منك ، فأبعث برأسك وكنوزك
إلى بيت النار الذي أمسته في أردشير خُرة .

ثم شخص أردشير نحو إصطخر ، وخلف أبرسام بأردشير خُرة ، فلم
يلبث أردشير إلّا قليلا حتى ورد عليه كتاب أبرسام بموافاة ملك الأهواز ، وانصرافه
منكوبا . ثم سار^(١) إلى إصبيهان فأسر شاذ سابور ملكها ، وقتله ، ثم عاد إلى
فارس ، وتوجه لمحاربة نيروفر صاحب الأهواز ، وسار إلى الرّجّان وإلى بنيان^(٢)
وطاشان من رامهرمز ، ثم إلى سُرّق . فلما سار إلى ما هنالك ، ركب في
رهنط من أصحابه ، حتى وقف على شاطئ دُجستيل ، فظفر بالمدينة ، وابتنى
مدينة سوق الأهواز ، وانصرف إلى فارس بالغنائم ؛ ثم ارتحل من فارس راجعا
إلى الأهواز على طريق جيره وكازرون ، ثم صار من الأهواز إلى ميسان ،
فقتل ملكا كان بها يقال له بندو^(٣) ، وبني هنالك كرخ ميسان ، ثم
انصرف إلى فارس ، وأرسل إلى أردوان يرتاد موضعا يقتتلان فيه ، فأرسل إليه
أردوان : إنني أوافيك في صحراء تدعى هُرمزجان ، لانسلاخ مهترماه . فوافاه
أردشير قبل الوقت ، وتبوأ من الصحراء موضعا ، وخذلق على نفسه وجنده ،
واحتوى على عشرين كانت هناك ، ووافاه أردوان . فاصطف القوم للقتال ،
وقد تقدّم سابور بن أردشير دافعا عنه ، ونشب القتال بينهم ، فقتل سابور
دارا بنداذ ، كاتب أردوان بيده ، فانقضّ أردشير من موضعه إلى أردوان حتى
قتله ، وكثر القتل في أصحابه ، وهرب مَنْ بقي على وجهه . ويقال : إن
أردشير نزل حتى توطأ رأس أردوان بقدمه . وفي ذلك اليوم سمى أردشير
« شَاهَنْشَاه » .

(١) ل : « صار » .

(٢) ط : « سار » ، وما أثبت من التصويبات .

(٣) س : « نبذوا » .

ثم سار من موضعه إلى هَمَدَان فافتتحها ، وإلى الجبل وأذَرَبِيجَان ولَرَمِينِيَّة والموصل عَنقِيَّة ، ثم سار من الموصل إلى سَوْرِسْتَان ؛ وهي السَّوَاد فاحتازها ، وبني على شاطئ دِجْلَة قبالَة مدينة طهسيون^(١) - وهي المدينة التي في شرق المداين - مدينة^(٢) غربيَّة وسماها به "أَرْدَشِير" ، وكورها وضَمَّ إليها بَهْرَسِير ، والرُّومَقَان ، ونهر دَرَقِيط ، وكُوَيْثِي ونهر جَوْبَر ، واستعمل عليها عمالاً ، ثم توجَّه من السَّوَاد إلى إصطَخَر ، وسار منها إلى سَجِسْتَان ، ثم جُرْجَان ، ثم إلى أَبَرَشَهَر ، ومَرَو ، وبلخ ، وخَوَارِزْم ؛ إلى تخوم بلاد خراسان . ثم رجع إلى مَرَو ، وقتل جماعة وبعث رهسهم إلى بيت نار أناهيد ، ثم انصرف من مَرَو إلى فارس . ونزل جُور . فأنته رسل ملك كوشان ، وملك طُوران ، وملك مُكْران بالطاعة . ثم توجه أَرْدَشِير من ٨٢٠/١ جُور إلى البَحْرَيْن ، فحاصر سنطرق^(٣) ملكها ، واضطره الجَهْد إلى أن يري نفسه من سَور الحصن ، فهلك . ثم انصرف إلى المداين ، فأقام بها وتوج سابور ابنه بتاجه في حياته .

ويقال : إنَّه كانت بقرية يقال لها الأَر^(٤) ، من رُسْتاق كُوجَرَان^(٥) من رساتيق سيف أَرْدَشِير خَرَّة ملكة تعظَّم وتعبَّد ، فاجتمعت لها أموال وكنوز ومقاتلة . فحارب أَرْدَشِير سدنتها وقتلها ، وغنم أموالاً وكنوزاً عظيماً كانت لها : وإنه كان بنى ثمانى مدن ؛ منها بقاى مدينة أَرْدَشِير خَرَّة ؛ وهي جُور ، ومدينة رام أَرْدَشِير ، ومدينة ريو أَرْدَشِير ، وبالأهواز هَرْمَز أَرْدَشِير ؛ وهي سوق الأهواز ، وبالسَّوَاد به أَرْدَشِير ، وهي غربي المداين ، وإستاباذ أَرْدَشِير ؛ وهي كَرْنَج مَيْسَان ، وبالبَحْرَيْن فنياذ أَرْدَشِير^(٦) ؛ وهي مدينة الخط ؛ وبالموصل بوذ أَرْدَشِير ؛ وهي خَرَّة .

• • •

(١) ت : طهسيون ، س : طهسيون .

(٢) في الأصل : مدينة .

(٣) ت : سيطرق .

(٤) ت : الأَر ، أَس ، ل : أَلان .

(٥) ت : جوجران . (٦) ط : فسا أَرْدَشِير ، وما أتبعه من التصويبات .

وذكر أن أردشير عند ظهوره كتب إلى ملوك الطوائف كتباً بليغة ، احتج عليهم فيها ، ودعاهم إلى طاعته ، فلما كان في آخر أمره رسم لمن بعده عهده ، ولم يزل محموداً مظفراً منصوراً ، لا يفصل له جمع ، ولا ترد له راية ، وقهر الملوك حول مملكته وأذلهم ، وأثخن في الأرض ، وكوّر الكوّر ، ومدن المدن ، ورتب المراتب ، واستكثر من العمارة . وكان ملكه من وقت قتله أردوان إلى أن هلك أربع عشرة سنة . وقال بعضهم : كان ملكه أربع عشرة سنة وعشرة أشهر .

وحدثت عن هشام بن محمد ، قال : قدم أردشير في أهل فارس يريد الغلبة على الملك بالعراق ، فوافق بابا ملكاً [كان] ^(١) على الأرمنيين ، ووافق أردوان ملكاً على الأرمنيين .

قال هشام : الأرمنيون أنباط السواد ، والأرمنيون أنباط الشام .

قال : وكل واحد منهما يقاتل صاحبه على الملك ، فاجتمعا على قتال أردشير . فقاتلاه متساندين ، يقاتله هذا يوماً ، وهذا يوماً ؛ فإذا كان يوم بابا لم يبق له أردشير ، وإذا كان يوم أردوان لم يبق لأردشير ؛ فلما رأى ذلك أردشير صالح بابا على أن يكف عنه ويدعه وأرادون ، ويخلى أردشير بين بابا وبين بلاده وما فيها ، وتفرغ أردشير لحرب أردوان ، فلم يلبث أن قتله واستولى على ما كان له ، وسمع له ، وأطاع بابا ^(٢) ، فقبض أردشير ملك العراق ودانت له ملوكها ، وقهر من كان يناوئه من أهلها ؛ حتى حملهم على ما أراد عما خالفهم وواقفه .

• • •

ولما استولى أردشير على الملك بالعراق كره كثير من تنوخ أن يقيموا في مملكته ، وأن يدينوا له ، فخرج من كان منهم من قبائل قضاة الذين كانوا أقبلوا مع مالك وعمرو ابني قهم ، ومالك بن زهير وغيرهم ، فلققوا بالشام إلى من هنالك من قضاة .

وكان فارس من العرب يحدثون في قومهم الأحداث ، أو تضيق بهم

(٢) ت : بابا وأطاع .

(١) تكملة من ت .

المعيشة ، فيخرجون إلى ريف العراق ، وينزلون الحيرة على ثلاثة أثلاث :
ثلث تنوخ ، وهو من كان يسكن المظالّ وبيوت الشعير والوبر في غربيّ
الفرات ، فيما بين الحيرة والأنبار وما فوقها . والثلث الثاني العباد ، وهم الذين
كانوا سكنوا الحيرة وابتنّوا بها . والثلث الثالث الأحلاف ، وهم الذين لحقوا
بأهل الحيرة ، ونزلوا فيهم ، ممّن لم يكن من تنوخ الوبر ، ولا من العباد الذين
دانوا لأردشير .

وكانت الحيرة والأنبار بنيتا جميعاً في زمن بختنصر ، فخربت
الحيرة لتحوّل أهلها عنها عند هلاك بختنصر إلى الأنبار ، وعمرت الأنبار
خمسائة سنة وخمسين سنة ، إلى أن عمرت الحيرة في زمن عمرو بن عدى ،
باتخاذها إياها منزلاً ، فعمرت الحيرة خمسائة سنة وبضعاً وثلاثين سنة إلى أن
وُضعت الكوفة ، ونزلها الإسلام ، فكان جميع ملوك عمرو بن عدى مائة
سنة وثمانى عشرة سنة ، من ذلك في زمن أردوان وملوك الطوائف خمس وتسعون
سنة ، وفي زمن ملوك فارس ثلاث وعشرون سنة ؛ من ذلك في زمن أردشير بن
بابك أربع عشرة سنة وعشرة أشهر ، وفي زمن سابور بن أردشير ثمانى سنين
وشهران .

ذكر الخبر

عن القائم كان بملك فارس بعد أردشير بن بابك

ولما هلك أردشير بن بابك ، قام بملك فارس من بعده ابنه سابور . ٨٢٣/١
 وكان أردشير بن بابك لما أفضى إليه الملك أسرف في قتل الأشكانيين ،
 الذين منهم كان ملوك الطوائف ، حتى أفناهم بسبب أليّة كان ساسان بن
 أردشير بن بهمن بن إسفنديار الأكبر ، جدّ أردشير بن بابك ، كان آلاها ،
 أنه إن ملك يوماً من الدهر لم يستبق^(١) من نسل أشك بن خرّه أحدًا ، وأوجب ذلك
 على عقبه ، وأوصاهم بالألّا يقولوا منهم أحدًا إن هم ملكوا ، أو ملك منهم
 أحد يوماً . فكان أول من ملك من ولد ولده ونسله أردشير بن بابك ، فقتلهم
 جميعًا ؛ نساءهم ورجالهم ، فلم يستبق منهم أحدًا لعزّة جدّه ساسان .
 فذكر أنه لم يبق منهم أحد ، غير أن جارية كان وجدها أردشير^(٢) في
 دار المملكة ، فأعجبه جمالها وحسنها ، فسأها — وكانت ابنة الملك المقتول —
 عن نسبها . فذكرت أنها كانت خادمًا لبعض نساء الملوك ، فسأها : أبيك^(٣) أنت
 أم تيسب ؟ فأخبرته أنها بيكر^(٤) فوقعها واتخذها لنفسه ، فعلقته منه ، فلما أمته
 على نفسها لاستمكانها منه بالحبل ، أخبرته أنها من نسل أشك ، فنفر منها^(٥)
 ودعا هرجبدا أبرسام — وكان شيخًا مسنًا — فأخبره أنها أقرت أنها من نسل
 أشك ، وقال : نحن أولى باستناب الوفاء بنذر أبينا ساسان ، وإن كان موقعها
 من قلمي على ما قد علمت ، فانطلق بها فاقتلها . ففنى الشيخ ليقولها ، فأخبرته
 أنها حبلى ، فأتى بها القوابل ، فشهدن بحبلها ، فأودعها سربًا في الأرض ، ثم
 قطع مذاكيره فوضعها في حق ، ثم ختم عليه ، ورجع إلى الملك ، فقال له
 الملك : ما فعلت ؟ قال : قد استودعتها بطن الأرض ، ودفع الحق إليه ،
 وسأله أن يختم عليه بخاتمه ، ويودعه بعض خزائنه ففعل ، فأقامت الجارية
 عند الشيخ ، حتى وضعت غلامًا ، فكره الشيخ أن يسمي ابن الملك دونه ،

(١) ل : « لا يستبق » . س : « لا يستبق » .

(٢) ل : « كان أردشير وجدها » .

(٣) ت : « فنفر عنها » .

وكره أن يعلمه به صبيًا حتى يدرك ، ويستكمل الأدب . وقد كان الشيخ أخذ قياس الصبي ساعة وُلد ، وأقام له الطالع ، فعلم عند ذلك أن سيملك ، فسماه اسمًا جامعًا يكون صفة واسمًا ويكون فيه بالخيار إذا علم به ، فسماه « شاه بور » ، وترجمتها بالعربية : ابن الملك ، وهو أول مَنْ سُمي هذا الاسم ، وهو سابور الجنود بالعربية ، بن أردشير . وقال بعضهم : بل سماه « أشه بور » ، وترجمتها بالعربية : ولد أشك ، الذي كانت أم الغلام من نسله .

• • •

فغَبَر (١) أردشير دهرًا لا يُؤلَد له ، فدخل عليه الشيخ الأمين ، الذي عنده الصبي ، فوجده محزونًا ، فقال : ما يُحزّنك أيها الملك ؟ فقال له أردشير : وكيف لا أحزن ، وقد ضربتُ بسيفي ما بين المشرق والمغرب حتى ظفرتُ بجأحي ، وصفا لي المُلْك ملك آبائي . ثم أهْلِك لا يعقبني فيه عَقِب ، ولا يكون لي فيه بَقِيَّة ! فقال له الشيخ : سرّك الله أيها الملك وعمرك ! لك عندى ولد طيّب نفيس ، فادع بالحق الذى استودعتك ، وختمته بخاتمك إرك برهان ذلك .

فدعا أردشير بالحق ، فنظر إلى نقش خاتمه ، ثم فصّه ، وفتح الحق ، فوجد فيه مذاكير الشيخ ، وكتابًا فيه : إنّا لما اخترنا ابنة أشك التى علقت من ملك الملوك أردشير حين أمرنا بقتلها حين حملها ، لم نستحلّ إثنوآء (٢) زرع الملك الطيب ، فأودعناها بطن الأرض كما أمرنا ملكنا ، وتبرأنا إليه من أنفسنا لئلا يجد عاضيه إلى عضهها سبيلًا ، وقمنا بتقوية الحق المزروع (٣) حتى لحق بأهله ، وذلك فى ساعة كذا من عام كذا . فأمره أردشير عند ذلك أن يميته فى مائة غلام . وقال بعضهم : فى ألف غلام من أترابه وأشباهه فى الهيئة والقامة ، ثم يُدْخِلُهُمْ عليه جميعًا لا يفرق بينهم فى زى ولا قامة ولا أدب ؛ ففعل ذلك الشيخ ؛ فلما نظر إليهم أردشير قبلت نفسه ابنة من بينهم ، واستحلاه من غير أن يكون أشير له إليه أو لُحِنَ به . ثم أمر بهم جميعًا

(١) ط : « عير » . (٢) إثنوآء : إهلاك .

(٣) ط : « المزروع » . ت : « المزروع » .

فأخترجوا إلى حجرة الإيوان ، فأعطوا صوالحة ، فلعبوا بالكرة وهو في الإيوان على سريره ، فدخلت الكرة في الإيوان الذي هو فيه ^(١) ، فكاع الغلمان ^(٢) جميعاً أن يدخلوا الإيوان ، وأقدم سابور من بينهم فدخل فاستدلَّ أَرْدَشِير بدخوله عليه ، وإقدامه وجُرأته مع ما كان من قبول نفسه له أوّل مرّة حين رآه ، وورقته عليه دون أصحابه أنه ابنه . فقال له أَرْدَشِير بالفارسية : ما اسمك ؟ فقال الغلام : شاه بور ، فقال : أَرْدَشِير : شاه بور ! فلما ثبت عنده أنه ابنه شهرَ أمره ، وعقد له التاج من بعده .

٨٢٦/١

وكان سابور قد ابتلى منه أهل فارس — قبل أن يُفَضِّلَ إليه الملكُ في حياة أبيه — عقلاً وفضلاً وعلماً ، مع شدة بطش ، وبلاغة منطقي ، ورأفة بالرعيّة ورقّة . فلما عقّد التاج على رأسه ، اجتمع إليه العظماء ، فدعوا له بطول البقاء ، وأطنبوا في ذكر والده وذكر فضائله ، فأعلمهم أنهم لم يكونوا يستدعون لإحسانه بشيء يعدل عنده ذكرهم والده ، ووعدهم خيراً .

ثم أمر بما كان في الخزائن من الأموال ، فوسّع بها على الناس ، وقسمها فيمن رآه لها موضعاً ، من الوجوه والجنود وأهل الحاجة ، وكتب إلى عمّاله بالكوّر والتواحي أن يفعلوا مثل ذلك في الأموال التي في أيديهم ، فوصل من فضله وإحسانه إلى القريب والبعيد، والشريف والوضيع ، والخاصّ والعام ما عثمهم ورُفِغَتْ ^(٣) معاشهم . ثم تخيّر لهم العمّال ، وأشرف عليهم وعلى الرعيّة إشرافاً شديداً ، فبان فضل سيرته ، وبعُدَ صوته ، وفاق جميع الملوك .

وقيل : إنه سار إلى مدينة نصيبين ، لإحدى عشرة سنة مضت من ملكه ، وفيها جنود من جنود الروم ، فحاصروهم حيناً ، ثم أتاها عن ناحية من خراسان ما احتاج إلى مشاهدته ، فشخصَ إليها حتى أحكم أمرها ، ثم رجع إلى نصيبين . وزعموا ^(٤) أن سور المدينة تصدّع وانفجرت له فُرْجة دخل ^(٥) منها ،

(١) ل : « فيه الملك » .

(٢) كاع الغلمان : جنوا . وفي الحديث : « ما زالت قريش كاعة حتى مات أبو طالب » ؛ الكاعة : جمع كائع ، وهو الجبان .

(٣) ط : « رقت » تصحيف ، والرفع : السعة في الرزق .

(٤) ت : « قزعوا » .

(٥) ت : « قدخل » ، ل : « ودخل » .

فقتل المقاتلة وسبى وأخذ أموالا عظيمة كانت لقيصر هنالك ، ثم تجاوزها إلى الشام وبلاد الروم ، فافتتح من مدائنها مدناً كثيرة .
 وقيل : إن فيما افتتح قالوقية وقنوقية ، وإنه حاصر ملكاً كان بالروم ، يقال له الريانوس بمدينة أنطاكية ، فأمره وحمله وجماة كثيرة معه ، وأسكنهم ٨٢٧/١ جندى سابور .

وذكر أنه أخذ الريانوس ببناء شاذراون تُسَمَّر ، على أن يجعل عَرَضَه ألف ذراع ، فبناه الرومى يقوم أشخاصهم إليه من الروم ، وحكم سابور في فكاكه بعد فراغه من الشاذراون ، فقيل إنه أخذ منه أموالاً عظيمة ، وأطلقه بعد أن جَدَعَ أنفه . وقيل إنه قتله .

• • •

وكان بحيال تَكْرِيت بين دجلة والفرات مدينة يقال لها الحَضْر ، وكان بها رجل من الجرامقة يقال له الساطيرون ، وهو الذى يقول فيه أبو حواد الأبادى :

وَأَرَى الْمَوْتَ قَدْ تَدَلَّى مِنَ الْحَضْرِ عَلَى رَبِّ أَهْلِ السَّاطِرُونِ^(١)

والعرب تسميه الضَّيْرَن . وقيل : إن الضَّيْرَن من أهل بآجرمى .
 وزعم هشام بن الكلبي^(٢) أنه من العرب من قضاة وأنه الضَّيْرَن بن معاوية ابن العبيد بن الأجرام بن عمرو بن النخع بن سليح بن حُلُون بن عمران ابن الحاف بن قضاة ، وأن أمه من تزويد بن حُلُون اسمها جيهلة^(٣) ، وأنه إنما كان يعرف بأمه . وزعم أنه كان ملك أرض الجزيرة ، وكان معه من بنى عبيد بن الأجرام وقبائل قضاة ما لا يحصى ، وأن ملكه كان قد بلغ الشام ، وأنه تطرف من بعض السواد في غيبة كان غابها إلى ناحية خراسان ٨٢٨/١ سابور بن أردشير ، فلما قدم من غيبته أخبر بما كان منه ، فقال في ذلك من فعل الضَّيْرَن ، عمرو بن إله^(٤) بن الجندى بن الدهاء بن جشم بن حُلُون

(١) كذا في اللسان ٦ : ٢٩ ، وغرر أخبار ملوك الفرس ٤٠٢ ، وفي معجم البلدان ٣ :

٢٩٠ نسب إلى عدى بن زيد . (٢) الخبر في الأغاني ٢ : ١٤٠ (طبعة دار الكتب) بسنده من

جماة ، منهم هشام الكلبي . (٣) في الأغاني : « جيهلة » .

(٤) في الأغاني : « عمرو بن السليح بن حدى بن الدهاء بن غم بن حلوان » ، وفي معجم البلدان

٣ : ٢٩٠ : « الجندى بن الدهاء » ، وفي ت ، ل : « الجندى » .

ابن عمران بن الخاف بن قضاة :

لَقِينَاهُمْ بِمَجْمَعٍ مِنْ عِلَافٍ وَبِالْخَيْلِ الصَّلَادِمَةِ الذُّكُورِ^(١)
فَلَاقَتْ فَارِسٌ مِنَّا نِكَالًا وَقَتَلْنَا هَرَايِدَ شَهْرَزُورِ^(٢)
دَلَفْنَا لِلْأَعَاجِمِ مِنْ بَعِيدٍ بِمَجْمَعٍ كَالْجَزِيرَةِ فِي السَّيْرِ

فلما أخبر سابور بما كان منه شخص إليه حتى أناخ على حصنه ، ونحصن
الضبيزن في الحصن ، فزعم ابن الكلبي أنه أقام سابور على حصنه أربع سنين ،
لا يقدر على هدمه ولا على الوصول إلى الضبيزن .

وَأَمَّا الْأَعشى ميمون بن قيس فإنه ذكر في شعره أنه إنما أقام عليه
حولين ، فقال^(٣) :

أَلَمْ تَرَ لِلْحَضَرِ إِذْ أَهْلُهُ بِنُعْمَى وَهَلْ خَالِدٌ مَنْ نَعِمَ^(٤)
أَقَامَ بِهِ شَاهِبُورُ الْجَنُودِ دَحْوَلَيْنِ تَضْرِبُ فِيهِ الْقَدَمُ^(٥)
فَمَا زَادَهُ رَبُّهُ قُوَّةً وَمِثْلُ مُجَاوِرِهِ لَمْ يُقِمِ^(٦)
فَلَمَّا رَأَى رَبُّهُ فِيسْلَهُ أَنَاهُ طُرُوقًا فَلَمْ يَنْتَقِمِ
وَكَانَ دَعَا قَوْمَهُ دَعْوَةً هَلُمُّوا إِلَى أَمْرِكُمْ قَدْ صُرِمَ
فَوْتُوا كِرَامًا بِأَسْيَافِكُمْ أَرَى الْمَوْتَ يَحْشُمُهُ مَنْ جِشَمَ

٨٢٩/١

• • •

ثم إن ابنة الضبيزن يقال لها النضيورة عركت^(٧) فأخبرت إلى ربّص^(٨)

(١) هو علاف بن حلوان بن الخاف بن قضاة ؛ وإليه تنسب الخيل الصلادية .
الصلادية : القوة الشديدة .

(٢) شهر زور : كورة واسعة بين إربل وهلمان ؛ قال ياقوت : وأهل هذه النواحي كلهم
أكراد ؛ ولأهلها بطش وشدة . (٣) ديوانه ٣٥ ؛ من قصيدته التي أولها :

أَتَهَجَّرُ غَانِيَةً أَمْ تُلِمُّ أَمْرَ الْحَبْلِ وَأَمْرَ بِهَا مُنْجَزِمٌ

(٤) الديوان : « أَلَمْ تَرَى الْحَضَر » .

(٥) الديوان : « أَقَامَ بِهِ سَابُور » . والقدم : جمع قدم .

(٦) في ط : « وَمِثْلُ مُجَاوِرِهِ لَمْ يُقِمِ » وما أثبت عن الديوان .

(٧) في الأغاني : « عركت ، أي حاضمت » . (٨) الربض : ما حول المدينة من الخارج .

المدينة ، وكانت من أجمل نساء زمانها — وكذلك كان يفعل بالنساء إذا هنَّ عَرَكَنَّ — وكان سابور من أجمل أهل زمانه — فيما قيل — فرأى كل واحد منهما صاحبه ، فعشقته وعشيقها ، فأرسلت إليه : ما تجعل لي إن دَلَّكَتْكَ على ما تهديم به سورَ هذه المدينة وتقتل أبي ؟ قال : حكمتك ^(١) وأرفعك على نسائي ، وأخصك بنفسى ذنبن . قالت : عليك بحمامة ورقاء مطوقة ، فاكذب في رجلها بحيث يضجر جارية بيكر زرقاء ، ثم أرسلتها ، فلما تقع على حائط المدينة ؛ فتنداعى ^(٢) المدينة . وكان ذلك طليئ ^(٣) المدينة لا يهدمها إلا هذا ، ففعل وتأهب لهم ، وقالت : أنا أسقى الحرس الخمر ، فإذا صرعوا فاقتلهم ، وادخل المدينة . ففعل وتداغت المدينة ، ففتحتها عتوة ، وقتل الضبيرن يومئذ ، وأبيدت أفتاء قضاة الذين كانوا مع الضبيرن ، فلم يبقَ منهم باقٍ يُعرف إلى اليوم ، وأصيب قاتل من بنى حلوان ، فانقضوا ودرجوا ، فقال عمرو ^(٤) بن لثة — وكان مع الضبيرن :

ألم يمزّنك والأنباء تنى ^(٥) بما لآقت سراة بني عبيد !
ومصرع ضبيرن وبني أيه وأحلاس الكتائب من نزيدي ^(٦) !
أنأهم بالقيول مجلات وبالأبطال سابور الجنود
فهدم من أوامى الحصن صخرا ^(٧) كأن نفا له زبر الحديد

وأخرب سابور المدينة ، واحتمل النصيرة ابنة الضبيرن ، فأعرس بها بعين التمر ، فذكر أنها لم تزل ليلتها تصوّر ^(٨) من خشونة فرشها ، وهى من

(١) فى الأغافى : « أحكمتك » .

(٢) ط : « فتداعى » ، وما أنبته عن الأغافى .

(٣) الطلم : السر المكتوم .

(٤) نسب ياقوت هذه الأبيات ٣ : ٢٩١ إلى الجلبى بن الدهاش .

(٥) تنى ، أى تشج .

(٦) أحلاس الكتائب : الشجعان الملازمون لها .

(٧) الأغافى : « من أوامى الحضر » . والأوامى : جمع أسيه ؛ وهو ما أسس من بنيان فأحكم

أصله ، من سارية أو غيرها .

(٨) الأغافى : « تتصور » .

٨٣٠/١ حريز محشوة بالقزّ فالتصمّس ما كان يؤذيها ، فإذا آس ملتزقة بُعكثنة من عُكثنيها قد أثرت فيها . قال : وكان يُنظر إلى عُكثها من لين بشرتها - فقال لها سابور : ويحك بأى شيء كان يغذوك أبوك ؟ قالت : بالزبد والمخ وشهد الأبكار من النحل وصفوا الحمر . قال : وأبيك لأنا أحدث عهداً بك ، وأثر^(١) لك من أبيك الذى غذاك بما تذكرين . فأمر^(٢) رجلاً فركب فرساً جموحاً ، ثم عصب غداثها بذنبه ، ثم استركضها فقطعها قطعاً ، فذلك قول الشاعر :

أَقَرَّ الْحِصْنَ مِنْ تَضِيرَةِ فَالِمِرِّ بَاعُ مِنْهَا فَجَانِبُ التَّرَارِ^(٣)
وقد أكثر الشعراء ذكر ضيّن هذا في أشعارهم ، وإياه عنتى عدى بن زيد بقوله :

وَأَخُو الْحَضَرِ إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دَجَّ لَمَّةٌ تُجَيِّ إِلَيْهِ وَالْخَابُورُ^(٤)
شَادَهُ مَرَمَرًا وَجَلَّلَهُ كَذَا سَا فَلِلطَّيْرِ فِي ذُرَاهُ وَكُورُ^(٥)
لَمْ يَهَبْهُ رَبُّ الْمَنُونِ فَبَادَ مَلِكُ عَنَنْهُ فَبَابُهُ مَهْجُورُ^(٦)
ويقال إن سابور بنى بميسان شاذ سابور ، التى تسمى بالنبطية « ريماء » .

• • •

وفى أيام سابور ظهر مانى الزنديق ، ويقال : إن سابور لما سار إلى موضع جُنْدَى سابور ليؤسسها صادف عندها شيخاً يقال له بيل ، فسأله : هل يجوز أن يتخذ فى ذلك الموضع مدينة ؟ فقال له بيل : إن أُنْهِمْتُ الكتابة مع ما قد بلغت من السنّ جاز أن يبنى فى هذا الموضع مدينة . فقال له سابور : بل ليكن الأمران اللذان أنكرت كونهما . فرسم المدينة وأسلم بيل إلى معلم ، وفرض عليه تعليمه الكتاب والحساب فى سنة ، فخلا به المعلم وبدأ بخلق رأسه

-
- (١) ط : « وأثر » ، وما أثبت عن الأغاني . (٢) الأغاني : « ثم أمر » .
(٣) التّرار : واد بين سنجار وتكرت ؟ كان فى القديم منازل لكر بن وائل ؟ ويمر بمدينة الحضر ؟ ثم يصب فى دجلة أسفل تكرت .
(٤) الخابور : اسم لنهر كبير بين رأس عين والقرات من أرض الجزيرة .
(٥) الكلّس : الصاروج ؟ وهى النورة وأغلاطها التى تصرع بها النزل وغيرها . فارسى معرب .
(٦) ط : « ديماء » .

ولحيته لثلاثين شاعلاً بهما ، وجادته التعليم . ثم أتى به سابور وقد نفذ ومهر ، فقلده لإحصاء النفقة على المدينة وإثبات حسابها ، وكور الناحية ومماها بهما زنديو سابور ، وتأويل ذلك : « خير من أنطاكية » ، ومدينة سابور - وهي التي تسمى جندى سابور ، وأهل الأهواز يسمونها « بيل » باسم القيم كان على بناتها . ولما حضر سابور الموت ملك ابنه هرمز وعهد إليه عهداً أمره بالعمل به .

واختلف في سني ملكه ، فقال : بعضهم كان ذلك ثلاثين سنة وخمسة عشر يوماً . وقال آخرون : كان ملكه إحدى وثلاثين سنة وستة أشهر وتسعة عشر يوماً .

• • •

[ذكر ملك هرمز بن سابور]

ثم قام بالملك بعد سابور بن أردشير بن بابك ابنه هرمز . وكان يلقب بالجرىء ، وكان يشبه في جسمه وخلقه وصورته بأردشير ؛ غير لاحق به في رأيه وتدبيره ، إلا أنه كان من البطش والجرأة وعظم الخلق على أمر عظيم . وكانت أمه - فيما قيل - من بنات مهران ، الملك الذي قتله أردشير بأردشير خرة . وذلك أن المنجمين كانوا أخبروا أردشير أنه يكون من نسله من يملك . فتبع أردشير نسله فقتلهم ، وأفلتت أم هرمز . وكانت ذات عقل وجمال وكالوشدة خلق ، فوقع إلى البادية ، وأوت إلى بعض الرعاء .

وإن سابور خرج يوماً متصيداً ، فأمن في طلب الصيد ، واشتد به العطش ، فارتفعت له الأخبية التي كانت أم هرمز أوت إليها ، فقصدها فوجد الرعاء غيباً ، فطلب الماء ، فناولته المرأة ، فعان منها جمالاً فائقاً ، وقواماً عجيباً ، ووجهها عتيقاً . ثم لم يلبث أن حضر الرعاء ، فسأله سابور عنها ، فنبهها بعضهم إليه ، فسأله أن يزوجه منها ، فسأفه ، فصار بها إلى منزله ، وأمر بها فظفقت وكسيت وحليت ، وأزادها على نفسها ، فكان إذا خلا بها والتمس منها ما يلتمس الرجل من المرأة امتعت وقهرته عند المجاذبة قهراً ينكره . وتعجب من قوتها ، فلما تناول ذلك من أمرها أنكره ، ففحص عن أمرها

فأخبرته أنها ابنة مهرك ، وأنها إنما فعلت ما فعلت إبقاء عليه من أردشير ،
 فعاهدها على ستّر أمرها ، ووطنها فولدت هُرمز ، فستر أمره حتى أتت له سنون .
 وإن أردشير ركب يوماً ، ثم انكفاً إلى منزل سابور لشيء أراد ذكره
 له ، فدخل منزله مفاجأة ، فلما استقرّ به القرار خرج هُرمز ، وقد ترعرع
 وبيده صولجان يلعب به وهو يصيح في أثر الكرة ، فلما وقعت عين أردشير
 عليه أنكره ، ووقف على المشابه التي فيه منهم ؛ لأن الكيئة التي في آل أردشير
 كانت لا تخفى ، ولا يذهب أمرهم على أحد ، لعلامات^(١) كانت فيهم ؛
 من حُسن الوجوه ، وعَبَّالة^(٢) الخلق ، وأمور كانوا بها مخصوصين في
 أجسامهم . فاستدناه أردشير ، وسأل سابور عنه ، فخرّ مكفراً على سبيل الإقرار
 بالخطأ ممّا كان منه ، وأخبر أباه حقيقة الخبر ، فسُرّ به ، وأعلمه أنه قد
 تحقق الذي ذكر المنجمون في ولد مهرك ، ومن يملك منهم ، وأنهم إنما ذهبوا
 فيه إلى هُرمز ؛ إذ كان من نسل مهرك ، وأنّ ذلك قد سلّى ما كان في
 نفسه وأذهبه .

٨٣٣/١

فلما هلك أردشير وأفضى الأمر إلى سابور وليّ هُرمز خراسان ، وسيّره
 إليها ، فاستقلّ بالعمل ، وقمّع من كان يليه من ملوك الأمم ، وأظهر تجبراً
 شديداً ، فوشى به الوشاة إلى سابور ، ووهّموه أنّه إن دعاه لم يجيب ، وأنه
 على أن يبتزّه الملك ؛ ونمت الأخبار بذلك إلى هرمز ، فقيل : إنّه خلا بنفسه ،
 فقطع يده وحسّمها ، وألقى عليها ما يحفظها ، وأدرجها في نفيس من الثياب ،
 وصيرها في سَفَط^(٣) ، وبعث بها إلى سابور ، وكتب إليه بما بلغه ، وأنه إنما
 فعل ما فعل ؛ إزالة للثمة عنه ؛ ولأنّ في رسمهم ألا يملّكوا ذا عاهة . فلما وصل
 الكتاب بما معه إلى سابور ، تقطّع أسفاً ، وكتب إليه بما ناله من الغم بما فعل ،
 واعتذر ، وأعلمه أنه لو قطع بدنه عضواً عضواً ، لم يؤثّر عليه أحداً بالملك .
 فلكه .

• • •

(١) ت ، س : « بعلامات » . (٢) العبالة هنا : غشامة الجسم ؛ وأصله في اللغتين .

(٣) السفط : الجوالق .

وقيل : إنه لما وضع التاج على رأسه ، دخل عليه العظماء ، فدعوا له فأحسن لهم الجواب ، وعرفوا منه صدق الحديث ، وأحسن فيهم السيرة ، وعدل في رعيته ، وسلك سبيل آبائه ، وكوّر كورة رام هرمز وكان ملكه سنة وعشرة أيام .

• • •

[ذكر ملك بهرام بن هرمز]

ثم قام بالملك بعده ابنه بهرام . وهو بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير ابن بابك .

وكان من محال سابور بن أردشير ، وهرمز بن سابور ، وبهرام بن هرمز بن سابور — ٨٣٤/١ — بعد مهليك عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة على فرج^(١) العرب من ربيعة ومضّر وسائر من ببادية العراق والحجاز والجزيرة يومئذ ابن عمرو بن عدى ، يقال له امرؤ القيس البداء^(٢) ، وهو أول من تنصّر من ملوك آل نصر بن ربيعة وعمال ملوك الفرس ، وعاش — فيما ذكره شام بن محمد — مملّكا في عمله مائة سنة وأربع عشرة سنة ؛ من ذلك في زمن سابور بن أردشير ثلاثاً وعشرين سنة وشهراً ، وفي زمن^(٣) هرمز بن سابور سنة وعشرة أيام ، وفي زمن بهرام بن هرمز ابن سابور ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام ، وفي زمن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير ثمانى عشرة سنة .

وكان بهرام بن هرمز — فيما ذكر — رجلاً ذا حلم وتؤدة ، فاستبشر الناس بولايته ، وأحسن السيرة فيهم ، واتّبع في ملكه في سياسة الناس آثار آبائه ؛ وكان ماني الزنديق — فيما ذكر — يدعو إلى دينه ، فاستبرأ ما عنده ، فوجده داعية للشيطان ، فأمر بقتله وسكّخ جلده وحشوه تبناً وتعليقه على باب من أبواب مدينة جندى سابور ، يدعى باب الماني ، وقتل أصحابه ومن دخل في ملته . وكان ملكه — فيما قيل — ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام .

• • •

(١) الفرغ هنا : موضع المخافة من العدو الجاور . (٢) ت ، س : « البلى » .

(٣) ت ، س : « زمان » .

[ذكر ملك بهرام بن هرم بن هرمز]

ثم قام بالملك بعده ابنه بهرام بن بهرام بن هرم بن سابور بن أردشير .
 وكان ذا علم - فيما قيل - بالأمور ، فلما عقد التاج على رأسه دعا له العظماء
 بمثل ما كانوا يدعون لأبائه ، فردّ عليهم مردّاً حسناً ، وأحسن فيهم السيرة ،
 ٨٣٥/١ وقال : إن ساعدنا الدهر فقبل ذلك بالشكر ، وإن يكن غير ذلك نرضى بالقسم .
 واختلّف في سني ملكه ، فقال بعضهم : كان ملكه ثمانى عشرة سنة .
 وقال بعضهم : كان سبع عشرة سنة .

. . .

[ذكر ملك شاهنشاه بن بهرام]

ثم ملك بهرام الملقب بشاهنشاه بن بهرام بن بهرام بن هرم بن سابور بن
 أردشير ، فلما عقد التاج على رأسه اجتمع إليه العظماء ، فدعوا له ببركة
 الولاية وطول العمر ، فردّ عليهم أحسن الرد ، وكان قبل أن يُنْقَضَ إليه الملك
 مملّكاً على سجستان .
 وكان ملكه أربع سنين .

. . .

[ذكر ملك نرسی بن بهرام]

ثم قام بالملك بعده نرسی بن بهرام ، وهو أخو بهرام الثالث ، فلما
 عقد التاج على رأسه دخلت عليه الأشراف والعظماء ، فدعوا له فوعدهم
 خيراً ، وأمرهم بمكانفته على أمره ، وسار فيهم بأعدل السيرة ، وقال يوم ملك :
 إنا لن نضيق شكر الله على ما أنعم به علينا .
 وكان ملكه تسع سنين .

. . .

[ذكر ملك هرمز بن نرسی]

ثم ملك هرمز بن نرسی بن بهرام بن بهرام بن هرم بن سابور بن أردشير .
 وكان الناس قد وحلوا منه ، وأحسوا بالفظاظة والشدّة ، فأعلمهم أنه قد

عليهم ما كانوا يخافونه من شدة ولايته، وأعلمهم أنه قد أبدل ما كان في خلقه من الغليظة والفظاظة رأفة، وساسهم بأرفق السياسة، وسار فيهم بأعندل السيرة، وكان حربياً على انتماش الضعفاء وعمارة البلاد والعدل على الرعية. ٨٣٦/١
ثم هلك ولا ولد له، فشق ذلك على الناس، فسألوا بميلهم إليه عن نسائه، فذكر لهم أن بعضهن حبلى. وقد قال بعضهم: إن هرمز كان أوصى بالملك لذلك الحمل في بطن أمه، وأن تلك المرأة ولدت سابور ذا الأكتاف.
وكان ملكُ هرمز في قول بعضهم ست سنين وخمسة أشهر، وفي قول آخرين سبع سنين وخمسة أشهر.

• • •

[ذكر ملك سابور ذي الأكتاف]

ثم ولد سابور ذو الأكتاف بن هرمز بن تترسي بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير، مملكا بوصية أبيه هرمز له بالملك، فاستبشر الناس بولادته، وبشوا خبرة في الآفاق، وكتبوا الكتب، ووجهوا به البرد إلى الآفاق والأطراف، ونقلد الوزراء والكتاب الأعمال التي كانوا يعملونها في ملك أبيه، ولم يزالوا على ذلك، حتى فشا خبرهم، وشاع في أطراف مملكة الفرس أنه كان لا ملك لهم، وأن أهلها إنما يتلومون^(١) صبييا في المهدي، لا يدرون ما هو كائن من أمره، فطسعت في مملكتهم الترك والروم.

وكانت بلاد العرب أدنى البلاد إلى فارس، وكانوا من أحوج الأمم إلى تناول شيء من معاشهم وبلادهم: لسوء حالهم وشظف عيشهم، فسار جمع عظيم منهم في البحر من ناحية بلاد عبد القيس والبحرين وكازمة، حتى أناخوا على أبرشهر وسواحل أردشير خرة وأسيف فارس، وغلبوا أهلها على مواشيهم وحروثهم ومعاشهم، وأكثروا الفساد في تلك البلاد، فكنوا على ٨٣٧/١
ذلك من أمرهم حيناً، لا يغزوهم أحد من الفرس، لعقدتهم تاج المثلث على طفل من الأطفال، وقلة هيبة الناس له؛ حتى تحرك سابور وترعرع، فلما ترعرع ذكر أن أول ما عرف من تدبيره وحسن فهمه، أنه استيقظ ذات

(١) التلوم : الانتظار والتلبث .

ليلة وهو في قصر المملكة بطَيْسَبُون ، من ضوضاء الناس بَسَحَرَ ، فسأل عن ذلك ، فأخبر أن ذلك ضجّة الناس عند ازدحامهم على جسر دَجَلَة مقلين ومدبرين ، فأمر باتخاذ جسر آخر ، حتى يكون أحدهما مَعْبَرًا للمقيلين ، والآخر مَعْبَرًا للمدبرين ، فلا يزدحم الناس في المرور عليهما . فاستبشر الناس بما رأوا من فطنته لما فطن من ذلك على صِفَر سنه . وتقدّم فيما أمر به من ذلك ، فذكّر أن الشمس لم تغرب من يومهم ذلك حتى عَقِدَ جِسْرًا بالقرب من الجَمْر الذي كان فاستراح الناس من المخاطرة بأنفسهم في الجَوَاز على الجسر، وجعل الغلام يتزيّد في اليوم ما يتزيّده غيره في الحين الطويل .

وجعل الكتاب والوزراء يَعْزِضُونَ عليه الأمر بعد الأمر، فكان فيما عُرِضَ عليه أمرُ الجنود التي في الثُّغُور ، ومَنْ كان منهم بإزاء الأعداء . وإن الأخبار وردت بأن أكثرهم قد أُخِلَّ ، وعظّموا عليه الأمر في ذلك ، فقال لهم سابور : لا يكبرنّ هذا عنكم ، فإنّ الحيلة فيه يسيرة ، وأمر بالكتاب إلى أولئك الجنود جميعاً ، بأنّه انتهى إليه طول مكثهم في النواحي التي هم بها ^(١) ، وعظّم غنائمهم عن أوليائهم وإخوانهم ، فمن أحبّ أن ينصرف إلى أهله فليُنْصَرَفْ مَأْذُونًا له في ذلك ، ومَنْ أحبّ أن يستكمل الفضل بالصَّبْر في موضعه عُرِفَ ذلك له . وتقدّم إلى من اختار الانصراف في لزوم أهله وبلاده إلى وقت الحاجة إليه .

٨٣٨/١

فلما سمع الوزراء ذلك من قوله استحسّوه ، وقالوا : لو كان هذا قد أطلّ تجربة الأمور ، وسياسة الجنود ما زاد رأيُه وصحّة منطقُه على ما سمعنا به . ثمّ تابعت أخباره إلى البلدان والثغور ، بما قوّم أصحابه ، وقمع أعداءه . حتى إذا حَتَمَتْ له ستّ عشرة سنة وأطلق حمل السلاح وركوب الخيل ، واشتدّ عَظْمُه ، جمع إليه رؤساء أصحابه وأجناده ، ثمّ قام فيهم خطيباً ، ثمّ ذكر ما أنعم الله به عليه وعليهم بآبائهم ، وما أقاموا من أديهم ونفّوا من أعدائهم ، وما اختلّ من أمورهم ، في الأيام التي مضت من أيام صباه ، وأعلمهم أنه

(١) ت « فيها » .

يبتدئ العمل في الذَّبّ عن البيضة ، وأنه يقدّر الشخص إلى بعض الأعداء لمحاربتهم ، وأنّ عدّة من يشخص معه من المقاتلة ألف رجل . فنهض إليه القوم داعين متشكرين ، وسألوه أن يُقيم بموضعه ، ويوجه القواد والجند ليكفّوه ما قدّر من الشخص فيه ، فأبى أن يجيبهم إلى المقام ، فسألوه الاّ يزيدا على العدّة التي ذكرها فأبى . ثمّ انتخب ألف فارس من صناديد جنده وأبطالهم ، وتقدّم إليهم في المضيّ لأمره ، ونهاهم عن الإبقاء على من لقوا من العرب ، والعرجة على إصابة مال . ثمّ سار بهم فأوقع بمن انتجع بلاد فارس من العرب وهم غارتون ، وقتل منهم أبرح القتل ، وأسر أعنف الأسر ، وهرب بقيتهم . ثمّ قطع البحر في أصحابه ، فورد الخطّ ، واستقرى بلاد البحرين ، ٨٣٩/١ يقتل أهلها ولا يقبل فداء ، ولا يعرج على غنيمة . ثمّ مضى على وجهه ، فورد هَجَر ، وبها ناس من أعراب نعيم وبكر بن وائل وعبد القيس ، فأفشى فيهم القتل ، وسفك فيهم من الدماء سفكًا سالت كسيل المطر ، حتى كان المارب منهم يرى أنه لن يُنجيه منه غار في جبل ، ولا جزيرة في بحر ، ثمّ عطف إلى بلاد عبد القيس ، فأباد أهلها إلاّ من هرب منهم ، فليحقّ بالرمال ، ثمّ أتى اليمامة ، فقتل بها مثل تلك المقتلة ، ولم يمرّ بماء من مياه العرب إلاّ عوّره ^(١) ، ولا جُبّ من جبابهم إلاّ طمّهُ . ثمّ أتى قرب المدينة ، فقتل من وجد هنالك من العرب وأسر ، ثمّ عطف نحو بلاد بكر وتغلب فيما بين مملكة فارس ومناظر الروم بأرض الشام ، فقتل من وجد بها من العرب ، وسبى وطمّ مياههم . وإنّه أسكن من من بني تغلب من البحرين دارين واسمهما هينج - والخطّ ، ومن كان من عبد القيس وطوائف من بني نعيم هَجَر ، ومن كان من بكر بن وائل كَرَمَان ، وهم الذين يدعون بكر أبان ، ومن كان منهم من بني حنظلة بالرملة من بلاد الأهواز . وإنّه أمر فبُنيّت بأرض السواد مدينة وسماها ، بَزْرَج سابور - وهي الأنبار - وبأرض الأهواز مدينتان : إحداهما إيران خَرّه سابور ، وتأويلها « سابور وبلاده » ، وتسمى بالسريانية الكَرخ ، والأخرى السوس ، وهي مدينة بناها إلى جانب الحصن الذي في جوفه تابوت فيه جثة دانيال النبي عليه السلام . وإنّه غزا أرض الروم فسبى منها سبيًا كثيرًا ،

(١) عوّره ، أي طمّهُ وكبسه بالتراب

فأسكن مدينة إيران خَرَه سابور ، وسمّتها العرب السوس بعد تخفيفها في التسمية . وأمر فبنيّت بباجرَمَى مدينة سماها خُنَي سابور وكوَر كُورة ، وبأرض خُرَّاسان مدينة ، وسمّاها نيسابور وكوَر كورة .

وإن سابور كان هادن قسطنطين ملك الروم ، وهو الذى بنى مدينة قُسْطَنْطِينِيَّة ، وكان أوّل مَنْ تنصّر من ملوك الروم ، وهلك قسطنطين ، وفترق مُلْكُه بين ثلاثة بنين ، كانوا له ، فهلك بنوه الثلاثة ، فلكت الروم عليهم رجلاً من أهل بيت قسطنطين يقال له لُليَانوس ، وكان يدين بملّة الروم التى كانت قبل النصرانيّة ، ويُسِرُّ ذلك ويظهر النصرانية قبل أن يملك ، حتى إذا ملك أظهر ملّة الروم ، وأعادها كهيتها ، وأمرهم بإحيائها ، وأمر بهدم البيع وقتل الأساقفة وأجبار النصارى . وإنه جمع جموعاً من الروم والخزر ، ومن كان فى مملكته من العرب ، ليقاتل بهم سابور وجنود فارس .

وانتهزت^(١) العرب بذلك السبب الفرصة من الانتقام من سابور ، وما كان من قتله العرب ، واجتمع فى عسكر لُليَانوس من العرب مائة ألف وسبعون ألف مقاتل ، فوجههم مع رجل من بطارقة الروم ، بعثه على مقدّمته يسمّى يوسانوس . وإن لليانوس سار حتى وقع ببلاد فارس ، وانتهى إلى سابور كثرة من معه من جنود الروم والعرب والخزر ، فهاله ذلك ، ووجهه عيوناً تأتيه بخبرهم ومبلغ عددهم وحالمهم فى شجاعتهم وعيشهم^(٢) فاختلفت أقاويل أولئك العيون فيما أتوه به من الأخبار عن لليانوس وجنده ، فتنكّر سابور ، وسار فى أناس من ثقاته ليعاين عسكرهم ، فلما اقترب من عسكر يوسانوس صاحب مقدّم لليانوس ، وجهه رهطاً ممّن كان معه إلى عسكر يوسانوس ليتحتسوا الأخبار ، ويأتوه بها على حقائقها ، فندرت الرّوم بهم ، فأخذوهم ودفعوهم إلى يوسانوس ، فلم يقرّ أحدٌ منهم بالأمر الذى توجهوا له إلى عسكره ، ما خلا رجلاً منهم أخبره بالقصة على وجهها ، وبمكان سابور حيث كان ، وسأله أن يوجهه معه جنداً ، فيدفع إليهم سابور . فأرسل يوسانوس حيث سمع هذه المقالة إلى سابور رجلاً من بطانته ، يعلمه ما لقي من أمره ، وينذره ، فارتحل

(١) ت : « فانتهزت » . (٢) ت : « وعدتهم » .

سابور من الموضع الذى كان فيه إلى عسكره . وإنَّ من كان فى عسكر الليانوس من العرب سألوهُ أن يأذنَ لهم فى محاربة سابور ، فأجابهم إلى ما سألوهُ ، فزحفوا ٨٤٢/١ إلى سابور ، فقاتلوه فقتلوا جمعةً ، وقتلوا منهم مقتلةً عظيمةً ، وهرب سابور فيمنَ بَقِيَ من جنده ، واحتوى لليانوس على مدينة طيسبون محلةً سابور ، وظفير ببيوت أموال سابور وتخزيناته فيها ، فكتب سابور إلى مَنْ فى الآفاق من جنوده يُعلمهم الذى لَقِيَ من الليانوس ومَنْ معه من العرب ، ويأمر مَنْ كان فيهم من القوَّاد أن يقدِّموا عليه فيمنَ قَبِلَهم من جنوده ، فلم يلبث أن اجتمعت إليه الجيوش من كلِّ أَقْى ، فانصرف فحارب لليانوس واستنقذ منه مدينة طيسبون ، ونزل لُليانوس مدينةً بهارْدَشير وماوالاها بعسكره ، وكانت الرُّسلُ تختلف فيما بينه وبين سابور . وإنَّ لليانوس كان جالساً ذات يوم فى حُجْرته ، فأصابه سهم غرَبٌ^(١) فى فؤاده فقتله ، فأستقَط فى رُوع جنده ، وهالَم الذى نزل به ، ويشوا من التفصى من بلاد فارس ، وصاروا شورى لا ملك عليهم ولا سائس لهم ، فطلبوا إلى يوانوس أن يتولَّى المُلكَ لهم فيملكوه عليهم ، فأبى ذلك ، وألْحُوا عليه فيه ، فأعلمهم أنه على مِيلة النُصرانية ، وأنه لا يلى ناساً له مخالفين فى المِيلة . فأخبرته الروم أنهم على مِيلته . وأنهم إنما كانوا يكتُمونها مخافة لليانوس ، فأجابهم إلى ما طلبوا ، وملكوه عليهم ، وأظهروا النُصرانية .

وإنَّ سابور علم بهلاك الليانوس ، فأرسل إلى قوَّاد جنود الروم ، يقول : إنَّ الله قد أمكننا منكم ، وأدالنا عليكم ، بظلمكم إيتانا ، وتخطيكم إلى بلادنا ، وإنا نرجو أن تهلكوا بها جوعاً من غير أن نهتَى لقتالكم سيفاً ، ونشرع له ٨٤٣/١ رحماً ؛ فسرَّحو إلينا رئيساً إن كنتم رُمستموه عليكم . فعزم يوانوس على إيتان سابور ، فلم يتابعه على رأيه أحدٌ من قوَّاد جنده ، فاستبدَّ برأيه ، وجاء إلى سابور فى ثمانين رجلاً من أشراف مَنْ كان فى عسكره وجنده ، وعليه تاجه ، فبلغ سابور بجيشه إليه ، فقتلناه وتساجداً ، فعانقه سابور شكراً لما كان منه فى أمره ، وطعمٍ عنده يومئذ ونعم .

وإنَّ سابور أرسل إلى قوَّاد جند الروم وذوى الرياسة منهم^(٢) يُعلمهم أنهم

(١) سهم غرب : لا يدري راييه . (٢) س ، ل : « فيهم » .

لو ملكوا غير يوسانوس لجرى هلاكهم في بلاد فارس ، وأنّ تملّكهم إياه يُنجيهم من سطوته . وقوى أمر يوسانوس بجده ، ثم قال : إنّ الروم قد شتوا الغارة على بلادنا ، وقتلوا بشراً كثيراً ، وقطعوا ما كان بأرض السّواد من نخل وشجر ، وخرّبوا^(١) عمارتها ؛ فلمّا أن يدفعوا إلينا قيمة ما أفسدوا وخرّبوا ، وإما أن يعوضونا من ذلك نصيبين وحيزها ، عوضاً منه ، وكانت من بلاد فارس ، فغلبت عليها الرّوم .

فأجاب يوسانوس وأشراف جنده سابور إلى ما سأل من العوّض ، ودفعوا إليه نصيبين ، فبلغ ذلك أهلها ، فجلّوا منها إلى مدن في مملكة الروم ، مخافة على أنفسهم من ملك الملك المخالف ملّتهم ، فبلغ ذلك سابور ، فنقل اثني عشر ألف أهل بيت من أهل إصطخر وإصبهان وكور أنخر من بلاده وحيزه إلى نصيبين ، وأسكنهم إياها ، وانصرف يوسانوس ومن معه من الجنود إلى الرّوم ، وملكها زمناً^(٢) سيراً ثم هلك .

وإنّ سابور ضيّق بقتل العرب ، ونزع أكتاف رؤسائهم إلى أن هلك . ٨٤٤/١
وكان ذلك سبب تسميتهم إياه ذا الأكتاف

• • •

وذكر بعض أهل^(٣) الأخبار أنّ سابور بعد أن أئخّن في العرب وأجلاهم عن النواحي التي كانوا صاروا إليها ممّا قرب من نواحي فارس والبحرين واليمامة ، ثم هبط إلى الشام ، وصار إلى حدّ الروم ، أعلم أصحابه أنّه على دخول الروم حتى يبحث عن أسرارهم ، ويعرف أخبار من هم وعدد جنودهم ، فدخل إلى الروم ، فجال فيها حيناً ، وبلغه أنّ قيصر أوّلهم ، وأمر يجمع الناس ليحضروا طعامه ، فانطلقت سابور بهيئة السّؤال حتى شهد^(٤) ذلك الجمع ، لينظر إلى قيصر ، ويعرف هيئته وحاله في طعامه ، ففطّن له فأخذه ، وأمر به قيصر فأدرج في جلد ثور ، ثم سار بجثوده إلى أرض فارس ، ومعه سابور على تلك

(١) ت : « وأخربوا » .

(٢) ل : « زماناً » .

(٣) ت : « بعضهم » .

(٤) ت : « يشهد » .

الحالة ، فأكثر من القتل وغراب المدائن والقرى وقطع النخل والأشجار ، حتى انتهى إلى مدينة جُندَى سابور ، وقد تحصن أهلها ، فنصب الخنادق ، وهدم بعضها . فبينما هم كذلك ذات ليلة إذ غفل الروم الموكلون بحراسة سابور ، وكان يقربه قوم من سبئي الأهواز ، فأمرهم أن يلقوا على القيد الذي كان عليه زيتاً من زقاق كانت يقربهم ، ففعلوا ذلك ، ولان الجلد وانسل منه ، فلم يزل يدب حتى دنا من باب المدينة ، وأخبر حُرَّاسهم باسمه . فلما دخل على أهلها ، اشتدَّ سرورهم به ، وارتفعت أصواتهم بالحمد والتسبيح ، فانتبه أصحاب قيصر بأصواتهم ، وجمع سابور مَنْ كان في المدينة وعيَّاهم ، وخرج إلى الروم في تلك الليلة سَحَرًا ، فقتل الروم وأخذ قيصر أسيراً ، وغنم أمواله ونسائه ، ثم أنقل قيصر بالحديد وأخذه بعمارة ما أخرب ؛ ويقال : إنه أخذ قيصر بنقل التراب من أرض الروم إلى المدائن وجُندَى سابور ، حتى يرمَّ به ما هدم منها ، وبأن^(١) يفرس الزيتون مكان النخل والشجر الذي عقره ، ثم قطع عقبه ورتقه ، وبعث به إلى الروم على حمار ، وقال : هذا جزاؤك ببغيتك علينا ، فلذلك تركت الروم اتَّخَاذُ الأعقاب ، ورتَّقتِ الذُّوَابُ^(٢) .

ثم أقام سابور في مملكته حيناً . ثم غزا الروم فقتل مِنْ أهلها ، وسبى سبياً كثيراً ، وأسكن مِنْ سبى مدينة بناها بناحية السُّوس ، وسماها إيرانشهر سابور ، ثم استصلح العرب ، وأسكن بعض قبائل تغلب وعبد القيس وبكر بن وائل كَرَمَانَ وتَوَّجَ والأهواز ، وبني مدينة نيسابور ومدائن أخرى بالسند وسجستان ، ونقل طبيباً من الهند فأسكنه الكَرْنَجَ من السُّوس ؛ فلما مات ورث طيِّبُه أهلُ السُّوس ؛ ولذلك صار أهلُ تلك الناحية أطبَّ العجم . وأوصى بالملك لأخيه أردشير .

وكان ملك سابور اثنتين وسبعين سنة .

• • •

وهلك في عهد سابور عامله على ضاحية مُضر وربيعة ، امرؤ القيس البله^(٣) بن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر ، فاستعمل سابور على عمله

(١) س : « وأن » . (٢) كذا وردت العبارة في ط ، وانظر المسمى ١ : ٢٥٨ .

(٣) ت : « البلى » ؛ س : « البلى » .

ابنه عمرو بن امرئ القيس - فيما ذكر - فبقى فى عمله بقية ملك سابور ،
 ٨٤٦/١ وجميع أيام أخيه أردشير بن هرمز بن نرسى ، وبعض أيام سابور بن سابور .
 وكان جميع عمله - على ما ذكرت - من العرب ، وولايته عليهم - فيما
 ذكر ابن الكلبي - ثلاثين سنة .

• • •

[ذكر ملك أردشير بن هرمز]

ثم قام بالملك بعد سابور ذى الأكتاف أخوه أردشير بن هرمز بن نرسى
 ابن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير بن بابك . فلما عقّد التاج
 على رأسه جلس للعظماء ، فلما دخلوا عليه دعوا له بالنصر ، وشكروا عنده
 أنجاه سابور ، فأحسن جوابهم ، وأعلمهم موقع ما كان من شكرهم لأخيه
 عنده ، فلما استقرّ به الملك قراره عطف على العظماء وذوى الرياسة ، فقتل منهم
 خلقاً كثيراً ، فخلعه الناس بعد أربع سنين من ملكه .

• • •

[ذكر ملك سابور بن سابور]

ثم ملك سابور بن سابور ذى الأكتاف بن هرمز بن نرسى . فاستبشرت
 الرعية بذلك وبرجوع مُلك أبيه إليه ، فلقيتهم أحسن اللقاء ، وكتب الكتب إلى
 العمال فى حُسْن السيرة والرفق بالرعية ، وأمر بمثل ذلك وزراءه وكتابه وحاشيته ،
 وخطبهم خطبة بليغة ، ولم يزل عادلاً على رعيته ، متحنناً عليهم لما كان تبين
 من مودتهم ومحبتهم وطلاعتهم ، وخضع له عمّه أردشير المخلوع ، ومنحه الطاعة .
 وإنّ العظماء وأهل البيوتات قطعوا أطناب فسطاط كان ضُرب عليه فى حجرة
 من حُجَّره ، فسقط عليه الفسطاط .
 وكان ملكه خمس سنين .

• • •

[ذكر ملك بهرام بن سابور]

ثم ملك بعده أخوه بهرام بن سابور ذى الأكتاف . وكان يلقب كَرَمَان
 ٨٤٧/١ شاه ؛ وذلك أنّ أباه سابور كان ولّاه فى حياته كَرَمَان ، فكتب إلى قواده
 كتاباً يحثهم فيه على الطاعة ، ويأمرهم بتقوى الله والنصيحة للملك ، وبنى
 يَكْرَمَان مدينة ، وكان حَسَنَ السياسة لرعيته ، محموداً فى أمره .

وكان ملكه إحدى عشرة سنة . وإن ناساً من الفتاك ثاروا إليه فقتله رجل منهم برمية رماها إيّاه بنشابة^(١) .

[ذكر ملك يزددجرد الأثيم]

ثم قام بالملك بعده يزددجرد الملقب بالأثيم ، بن بهرام الملقب بكّرمان شاه بن سابور ذي الأكتاف .

ومن أهل العلم بأنساب الفرس من يقول : إن يزددجرد الأثيم هذا ، هو أخو بهرام الملقب بكّرمان شاه وليس بابنه ، ويقول : هو يزددجرد بن سابور ذي الأكتاف . ومن نسب هذا النسب وقال هذا القول ، هشام بن محمد .

وكان - فيما ذكر - قَطَطًا غليظًا ذا عيوب كثيرة ، وكان من أشدّ عيوبه وأعظمها - فيما قيل - وَضَعُهُ ذكاء ذهن وحسن أدب كان له وصنوفًا من العلم قد مهرها وعلمها ، غير موضعه ، وكثرة رؤيته في الضارّ من الأمور ، واستعمال كلّ ما عنده من ذلك ، في المواربة والدهاء والمكايدة والمخاتلة ، مع ٨١٨/١
فطنة كانت بجهات الشرّ ، وشدة عُجْبِهِ بما عنده من ذلك ، واستخفافه بكلّ ما كان في أيدي الناس من عِلْمٍ وأدب ، واحتقاره له ، وقلة اعتداده به ، واستطالته على الناس بما عنده منه . وكان مع ذلك غليظاً سَيِّئُ الخلق ، ردى الطّعنة^(٢) حتى بلغت من شدة غلظه وحدته أنّ الصغير من الزلات كان عنده كبيراً ، واليسير من السقطات عظيماً . ثم لم يقدر أحد - وإن كان لطيف المنزلة منه - أن يكون لمن ابْتِلىَ عنده بشيء من ذلك شفيعاً ، وكان دهره كلّهُ للناس متهمّاً ، ولم يكن يأتمن أحداً على شيء من الأشياء ، ولم يكن يكافئ على حسن البلاء . وإن هو أولّى الخسيس من العرف استجزل ذلك ، وإن جَسَرَ على كلامه في أمر كلمه فيه رجل لغيره قال له : ما قدّر جعلتلك^(٣) في هذا الأمر الذي كلمتنا فيه ؟ وما أخذت عليه ؟ فلم يكن يكلمه في ذلك وما أشبهه إلاّ الوفود القادمون عليه من قبيّل ملوك الأمم . وإن رعيته إنما سَلِمُوا من سطوته وبلبليته ، وما كان جمع من الخلال السيئة يتمسكهم

(٢) ردى الطعمة ، أى سبوا السيرة .

(١) ت ، س : « بنشاب » .

(٣) الجمالة : الرشوة .

بمن كان قبل مملكته بالسُّنن الصالحة وبأدبهم . وكانوا لسوء أدبه ، وغفاهة سطوته ، متواصلين متعاونين ، وكان من رأيه أن يعاقب كلَّ من زلَّ عنده وأذنب إليه من شدة العقوبة بما لا يستطاع ^(١) أن يُبلغ منه مثلها في مدة ثلثائة . وكان لذلك لا يقرعه بسوط انتظاراً منه للمعاقبة له بما ليس وراءه أفضح منه . وكان إذا بلغه أن أحداً من بطانته صافى رجلاً من أهل صناعته أو طبخته نحاه عن خدمته .

وكان استوزر عند ولايته نرسي حكيم دهره . وكان نرسي كاملاً ٨٤٩/١
في أدبه ، فاضلاً في جميع مذاهبه ، متقدماً لأهل زمانه . وكانوا يسمونه ميهَر نرسي وميهَر نرسي ، ويلقب بالهزاربندده ، فأملت الرعية بما كان منه أن يتزع عن أخلاقه ، وأن يصلح نرسي منه ، فلما استوى له الملك ، اشتدت ^(٢) إهانته الأشراف والعظماء ، وحمل على الضعفاء ، وأكثر من سفك الدماء ، وتسلط تسلطاً لم يُبتل الرعية بمثله في أيامه . فلما رأى الوجوه والأشراف أنه لا يزداد إلا تنابعا في الجور ، اجتمعوا فشكوا ما يتزل بهم من ظلمه ، ونصروا إلى ربهم ، وابتهلوا إليه بتعجيل إنقاذهم منه . فزعوا أنه كان يجرّجان ، فرأى ذات يوم في قصره فرساً عاتراً ^(٣) — لم ير مثله في الخيل ، في حسن صورة ، وتمام خلقي — أقبل حتى وقف على بابه ، فتعجب الناس منه ، لأنه كان متجاوز الحال ، فأخير يزدجرد خبره ، فأمر به أن يسرج ويلبّج ، ويدخل عليه ، فحاول ساسته وصاحب مراكبه إلحامه وإسراجه ، فلم يمكن أحداً منهم من ذلك ، فأنتهى إليه امتناع الفرس عليهم ، فخرج بيده ^(٤) إلى الموضع الذي كان فيه ذلك الفرس فألجمه بيده ، وألقى ليداً على ظهره ، ووضع فوقه سرجاً ، وشدّ حزامه ولبّبه فلم يتحرك الفرس بشيء من ذلك ، حتى إذا رفع ذنبه ليُشْفِرَه ^(٥) استدبره الفرس فرمحه على فؤاده رحمة هلك منها مكانه ، ثم لم يعاين ذلك الفرس . ويقال : إن الفرس ملأ فروجه جرياً فلم يدرك ولم

(١) ت : « ما استطاع » .

(٢) في الأصول : « واشتدت » ، والأجود حذف الواو .

(٣) يقال : حار الفرس ، إذا ذهب كأنه منفلت من صاحبه .

(٤) البدن هنا : شبه الدرع ؛ إلا أنه قصير قدر ما يكون على البدن فقط .

(٥) أنفر الدابة ، أي عمل لها نفراً ، وأنفر : السير الذي في مؤخر السرج .

يوقف على السبب فيه ، وخاضت الرعيّة بينها ، وقالت : هذا من صنع الله لنا ورافته بنا .

وكان مُلْكُ يَزْدَجِرْدَ في قول بعضهم اثنتين وعشرين سنة وخمسة أشهر وستة عشر يوماً . وفي قول آخرين إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر وثمانية عشر يوماً .

٥ ٤ ٣

ولما هلك عمرو بن امرئ القيس البدء بن عمرو بن عدى في عهد سابور ابن سابور ، استخلف سابور بن سابور على عمله أَوْسَ بْنَ قَلَامَ في قول هشام . قال : وهو من العماليق من بني عمرو بن علق ، فثار به جَحْشَجَبِي بن عَتِيك بن لَحْمٍ فَقَتَلَهُ ، فكان جميعُ ولايةِ أَوْسٍ خمسَ سنين ، وهلك في عهد بَهْرَامِ بن سابور ذى الأكثاف . واستخلف بعده في عمله امرؤ القيس البدء بن عمرو بن امرئ القيس البدء بن عمرو خمساً وعشرين سنة ، وكان هلاكه في عهد يَزْدَجِرْدَ الْأَثِيمِ . ثم استخلف يَزْدَجِرْدَ مكانه ابنه النعمان بن امرئ القيس البدء بن عمرو بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى ، وأمه شقيقة ابنة أبي ربيعة بن ذُهَلْ بن شَيْبَانَ ، وهو فارس حكيمة ، وصاحب الخورنق .

وكان ^(١) سبب بنائه الخورنق — فيما دُكِرَ — أن يَزْدَجِرْدَ الْأَثِيمِ بن بَهْرَامِ كَثْرَمَانَ شاه بن سابور ذى الأكثاف كان لا يبيح له ولد فولد له بهرام ، فسأل ٨٥١/١ عن منزل برّى مريء صحيح من الأدواء والأسقام ، فدلّ على ظهر الحيرة ، فدفع ابنه بهرام جُورَ إلى النعمان هذا ، وأمره ببناء الخورنق مسكناً له ، وأنزله إياه ، وأمره بإخراجه إلى بوادي العرب ، وكان الذي بنى الخورنق رجلاً يقال له سِنِمَارٌ ، فلما فرغ من بنائه ، تعجبوا من حسنه وإتقان عمله ، فقال : لو علمت أنكم تُوفوني أجرى وتصنعون بي ما أنا أهله بِنَيْتِهِ بناءً يدور مع الشمس حيثما دارت ، فقال : وإنك لتقدير على أن تبني ما هو أفضل منه

(١) الخبر في الأغاني ٢ : ١٤٤ - ١٤٦ (طبعة دار الكتب) .

ثم لم تبته ! فأمر به فطرح من رأس الخورنق^(١) ، ففي ذلك يقول أبو الطمّحان القتيبي :

جَزَاءُ سِنَمَارٍ جَزَاهَا ، وَرَبَّهَا . وَبِاللَّاتِ وَالْعُزَّى جَزَاءُ الْمَكْفَرِ^(٢)

وقال سليط بن سعد :

جَزَى بَنُوهُ أَبَا الْغِيلَانِ عَنْ كِبَرٍ وَحُسْنٍ فَعِلَ كَمَا يُجْزَى سِنَمَارٌ

وقال يزيد بن لؤياس النهشلي :

جَزَى اللَّهُ كَمَالًا بِأَسْوَأِ فَعِلِهِ جَزَاءَ سِنَمَارٍ جَزَاءَ مُوقَرَا

وقال عبد العزى بن امرئ القيس الكلبى - وكان أهدى أفراساً إلى

الحارث بن مارية الغساني ، ووفد إليه فأعجبه وأعجب به بعد العزى وحديثه ،

وكان للملك ابن مسترضع في بني الحميم^(٣) بن عوف من بني عبد ود ، من كلب ،

فنهشته حبة ، فظن الملك أنهم اغتالوه ، فقال لعبد العزى : جننى هؤلاء

القوم ، فقال : هم قوم أحرار ، وليس لى عليهم قِصْلٌ في نسب ولا فِعال ، ٨٥٢/١

فقال : لتأتينى بهم أو لأفعلن ولا فعلن ! فقال : رجونا من حباتك أمراً حال

دونك عقابك . ودعا ابنه : شراحيل وعبد الحارث ، فكتب معهما إلى قومه :

جَزَانِي جَزَاءُ اللَّهِ شَرَّ جَزَائِهِ جَزَاءُ سِنَمَارٍ وَمَا كَانَ ذَا ذَنْبٍ^(٤)

سِوَى رَحْمَةِ الْبُنْيَانِ عَشْرِينَ حِجَّةً يُعَلَّى عَلَيْهِ بِالْقَرَامِيدِ وَالسَّكْبِ^(٥)

فَلَمَّا رَأَى الْبُنْيَانُ تَمَّ سَوْقُهُ وَأَضْ كَمِثْلِ الطُّودِ ذِي الْبَاذِخِ الصَّبِ^(٦)

(٢) في الأغاني : « من أهل الجوق » .

(٣) في الأغاني ؛ وعنه في خزائن الأدب ١ : ١٤٢ : « جزوها » ، والمكفر : الحسن

المحمود إحصانه .

(٤) كذا في الطبري وفي الأغاني : « ابن مسترضع في بني عبدة » .

(٥) وردت الأبيات في الحيوان ١ : ٢٣ ، وثمار القلوب ١٠٩ ، والروض الأنف ١ : ٦٧ ،

والصينى ٢ : ٤٩٦ ، ومعجم البلدان (الخورنق) ، بروايات مختلفة .

(٦) القراميد ، مفردة قرمد ؛ وهو الأجر . والسكب : التنحاس أو الرصاص ، وفي الحيوان :

« سبعين حجة » ، وفي معجم البلدان : « ستين حجة » .

(٦) في معجم البلدان : « كثل الطود والشاخ الصب » .

فَاتَمَّهُ مِنْ بَدْرِ حَزْمٍ وَحِقَةٍ وَقَدْ هَرَّ أَهْلُ الْمَشَارِقِ وَالْقُرْبِ
وَقَلَّ سَيْنَارُ بِهِ كُلُّ حَبْرٍ ^(١) وَفَارَ لَدَيْهِ بِالْوَدَّةِ وَالْقُرْبِ
قَالَ أَفْذِفُوا بِالْمَلِجِ مِنْ فَوْقِ بُرْجِهِ هَذَا الْمَرْءُ أَفْهٍ مِنْ أَجْعَبِ الْخَطْبِ ^(٢)
وَمَا كَانَ لِي عِنْدَ ابْنِ جَفَنَةَ فَاعْلَمُوا مِنَ الذَّنْبِ مَا آلَى يَمِينًا عَلَى كَلْبِ
لَيْلَتَمَسْنَ بِالْخَيْلِ عُمْرَ بِلَادِهِمْ تَحَلَّلَ أَبَيْتُ اللَّعْنِ مِنْ قَوْلِكَ الْمُرِّي ^(٣)
وَدُونَ الَّذِي مَتَّى ابْنُ جَفَنَةَ فَفَسَهُ رَجُلٌ يَرُدُّونَ الظُّلُمَ عَنِ الشَّعْبِ
وَقَدْ رَأَيْنَا مِنْ قَبْلِكَ الْمَرْءَ حَارِثُ فُؤُودٍ رَمَلُوا لَدَى الْأَكَمِ الصُّهْبِ ٨٥٣/١

قال هشام : وكان النعمان هذا قد غزا الشام مراراً ، وأكثر المصائب في أهلها ، وسبى وغنم ، وكان من أشد الملوك نكابة في عدوه ، وأبعدهم مغاراً فيهم ، وكان ملك فارس جعل معه كسيتين : يقال لإحدهما : دوسر ، وهي لتنوخ ، وللأخرى : الشهباء ، وهي لفارس ، وهما اللتان يقال لهما : القيلتان ، فكان يغزو بهما بلاد الشام ومن لم يدن له من العرب .

قال : قد كبر لنا - والله أعلم - أنه جلس يوماً في مجلسه من الخورنق ، فأشرف منه على النجف وما يليه من البساتين والنخل والجنان والأنهار مما يلي المغرب ، وعلى القرات مما يلي المشرق ، وهو على متن النجف ، في يوم من أيام الربيع ، فأعجبه ما رأى من الخضرة والنور والأنهار ، فقال لوزيره وصاحبه : هل رأيت مثل هذا المنظر قط ؟ فقال : لا ، لو كان يدوم ! قال : فما الذي يدوم ؟ قال : ما عند الله في الآخرة ، قال : فم يئال ذلك ؟ قال : بترك الدنيا وعبادة الله والتماس ما عنده ، فترك ملكته من ليلته ولبس المسوح ، وخرج مستخفياً هارباً لا يعلم به ، وأصبح الناس لا يعلمون بحاله ، فحضروا بابه ، فلم يؤذن لهم عليه كما كان يفعل ، فلما أبطل الإذن عليهم ، سألو عنه فلم يجده ، وفي ذلك يقول عدى بن زيد العبادي :

(١) الحبرة : السرور ، وفي الحيوان ومعجم البلدان : « حبرة » .
(٢) ت : « أعلم الخطب » . (٣) المزني : الملقق المزج .

وَتَفَكَّرَ رَبُّ الْخَوَرَقِ إِذْ أَشَدَّ رَفَ يَوْمًا وَلِلْمَهْدَى تَبْصِيرٌ^(١)
 سَرَّهُ حَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمُنُّ لَكَ وَالْبَحْرُ مُفْرَضٌ وَالسَّيْرُ^(٢) ٨٥٤/١
 فَارْتَعَوَى قَلْبُهُ فَقَالَ وَمَا غِيْبُ عِلَّةٍ حَتَّى إِلَى الْعَمَاتِ يَصِيرُ^(٣)
 ثُمَّ بَدَأَ الْفَلَاحَ وَالْمُلْكَ وَالْإِمَّةَ وَارْتَهَمُ هُنَاكَ الْقُبُورُ^(٤)
 ثُمَّ أَضْحَوْا كَأَنَّهُمْ وَرَقٌ جَفَّ ، فَأَلَوْتَ بِهِ الصَّبَا وَاللَّذْبُورُ^(٥)

فكان مُلْكُ النعمان إلى أن ترك مُلْكُهُ وساح في الأرض تسعاً وعشرين سنة وأربعة أشهر .

قال ابن الكلبي : من ذلك في زمن يَزْدَجِيرْدَ خمس عشرة سنة ، وفي زمن بهرام جور بن يَزْدَجِيرْدَ أربع عشرة سنة .
 وأمّا العلماء من الفُرس بأخبارهم وأمورهم فإنهم يقولون في ذلك ما أنا ذاكره .

• • •

[ذكر ملك بهرام جور]

ثم ملك بعد يَزْدَجِيرْدَ الأئيم ابنه بهرام جور بن يَزْدَجِيرْدَ الحثين ابن بهرام كَرَمَان شاه بن سابور ذى الأكتاف . وذكر أن مولده كان هَرْمَزْدَرُوزَ فَرَوَزْدِينِ ماه^(١) ، لسبع ساعات مضين من النهار . فإن أباه يَزْدَجِيرْدَ دعا ساعة ولدَ بهرام ممتن كان ببابه من المنجمين ، فأمرهم بإقامة كتاب مولده وتبينته بياناً يدل على الذى يتول إليه كل أمره . فقاموا الشمس ونظروا في مطالع النجوم ، ثم أخبروا يَزْدَجِيرْدَ أن الله مورث بهرام مُلْكُ أبيه ، وأن رضاعه بغير أرض يسكنها الفرس ، وأن من رأى أن يربى بغير بلاده ، فأجال يَزْدَجِيرْدَ الرأى في دفعه في الرضاع والتربية إلى بعض من ببابه من الروم أو العرب أو غيرهم ممن لم يكن من الفرس ، فبدا له في اختيار العرب لتربيته وحضانته ، فدعا بالندبر ٨٥٥/١

(١) في الأغاني ٢ : ١٣٩ . « وتذكر » . (٢) الأغاني : « سره ماه » .

(٣) الإمة : النعمة . (٤) ألوت به ، أى ذهبت به .

(٥) يريد أنه ولد في غرة شهر الربيع ، وهو أول شهر في السنة الشمسية عند الفرس .

ابن النعمان، واستحضنه بهرام، وشرّفه وأكرمه، وملكه على العرب، وحيّاه
بمربيتين سنيتين، تدعى إحداهما: رام أبزوذ يزّجيرد، وتأويله «زاد سرور
يزّجيرد»، والأخرى تدعى بمهشّت، وتأويلها «أعظم الخول»، وأمر له بصلة
وكسوة بقدر استحقاقه لذلك في منزله، وأمره أن يسير ببهرام إلى بلاد العرب.

فسار به المنذر إلى محلّته منها، واختار لرضاعه ثلاث نسوة ذوات أجسام
صحيحة، وأذهان ذكية، وآداب رضية، من بنات الأشراف؛ منهنّ امرأتان
من بنات العرب، وامرأة من بنات العجم، وأمر لهنّ بما أصلهنّ من
الكسوة والفرش والطعم والمشرب وسائر ما احتجنّ إليه، فتداولنّ رضاعه ثلاث
سنين، وقُطِمَ في السنة الرابعة، حتى إذا أتت له^(١) خمس سنين، قال للمنذر:
أحضرنّ مؤدّبين ذوي علم، مدّربين بالتعليم؛ ليعلمنّ الكتابة والرّمي والفقّه.
فقال له المنذر: إنّاك بعدُ صغير السنّ، ولم يأنّ لك أن تأخذ في التعليم؛
فالزم ما يلزم الصّبيان الأحداث، حتى تبلغ من السنّ ما يُطبق التعلّم والتأدّب،
وأحضِر^(٢) مَنْ يَعْلَمُك كلّ ما سألت تعلّمه. فقال بهرام للمنذر: أنا لعمرى
صغير، ولكنّ عقلى عقل مُحسّن، وأنّك كبير السنّ وعقلك عقل ضَرَع^(٣).
أما تعلّم أيّتها الرجل، أن كلّ ما يُتقدّم في طلبه ينال في وقته، وما يُطلب
في وقته ينال في غير وقته، وما يُفترط في طلبه يَفوتُ فلا ينال! وإنّى من ولد
الملوك، والمُلُك صائر إلى بلّذن الله، وأولى ما كُلف به الملوك وطلبوه صالح
العلم؛ لأنّه لهم زَيْن، ولملكهم ركن به يقوون. فعجّل علىّ بمن سألتك
من المؤدّبين.

فوجّه المنذر ساعة سمع مقالة بهرام هذه إلى باب الملك منّ أناه برهط
من فقهاء الفرس. ومعلّم الرّمي والفروسية ومعلّم الكتابة وخاصة^(٤) ذوي
الأدب، وجمع له حكماء من حكماء فارس والرّوم، ومحدّثين من العرب، فألزمهم
بهرام، ووقّت لأصحاب كلّ مذهب من تلك الميّهن وقتاً يأتونه فيه؛ وقدّر

(١) ل: «عليه». (٢) ت: «وأحضرك».

(٣) الضرع، بالتحريك: الصغير السن الضعيف.

(٤) ط: «وحصة».

لم قدراً يفيدونه ما عندهم، ففزع بهرام لتعلم كل ما سأل أن يتعلم، والاستماع^(١) من أهل الحكمة وأصحاب الحديث، ووعى كل ما استمع، وثقيف كل ما علم بأيسر تعليم. وألقى بعد أن بلغ اثنتي عشرة سنة، وقد استفاد كل ما أفيد وحفظه، وفاق معلميه ومن حضره من أهل الأدب؛ حتى اعترفوا له بفضلهم عليهم.

وأثاب بهرام المنذر ومعلميه، وأمرهم بالانصراف عنه، وأمر معلمى الرمنى والفروسيّة بالإقامة عنده؛ ليأخذ عنهم كل ما ينبغي له التدرّب به، والإحكام له؛ ثم دعا بهرام بالنعمان بن المنذر، وأمره أن يؤذن العرب بإحضار خيلهم من الذكور والإناث على أنسابها، فأذن النعمان للعرب بذلك، وبلغ المنذر الذى كان من رأى بهرام فى اختيار الخيل لمركبه، فقال لبهرام: لا تجشمن^{٨٥٧/١} العرب إجراء خيلهم؛ ولكن مر من يعرض الخيل عليك، واختر منها رضاك، وارتيطه لنفسك. فقال له بهرام: قد أحسنت القول؛ ولكنى أفضل الرجال سؤداً وشرفاً، وليس ينبغي أن يكون مركبى إلا أفضل الخيل، وإنما يعرف فضل بعضها على بعض بالتجربة^(٢)؛ ولا تجربة بلا إجراء.

فرضى المنذر مقاتلته، وأمر النعمان العرب فأحضروا خيولهم، وركب بهرام والمنذر لحضور الخلبة، وسرحت الخيل من فرسخين، فبدر فرس أشقر للمنذر تلك الخيل جميعاً سابقاً، ثم أقبل بعده بقيتها بداد بداد^(٣) من بين فرسين تاليتين، أو ثلاثة موزعة، أو سكيتاً^(٤). فغرب المنذر بيده ذلك الأشقر إلى بهرام، وقال: يبارك الله لك فيه، فأمر بهرام بقبضه وعظم سروره به، وتشكر للمنذر.

وإن بهرام ركب ذات يوم الفرس الأشقر الذى حملة عليه المنذر إلى الصيد، فبصر بعاة^(٥)، فرمى عليها وقصد نحوها؛ فإذا هو بأسد قد شد على

(١) م، ل: «والاستماع».

(٢) ت: «فى التجربة».

(٣) بداد بداد؛ أى مرتين. وفى الأصول: «بداد بداد».

(٤) السكيت: من يجى آخر الخلبة.

(٥) العاة: القطيع من حمر الوحش.

عَبِيرَ كان فيها ، فتناول ظهره بفيه لِيَتَقَصِّمَهُ ويفترسه ، فرماه بِهَرَامِ رمية في ظهره ، فنفذت النشابة من بطنه وظهر العَبِيرِ وَسُرَّتِيهِ حتى أَفْضَتْ إلى الأرض . فساخت فيها إلى قريب من ثلثيها ، فتحرك طويلا ، وكان ذلك بمشهد ناس من العرب وحرس بهرام وغيرهم . فأمر بِهَرَامِ فصور ما كان منه في أمر الأسد والعَبِيرِ في بعض مجالسه .

ثم إنَّ بهَرَامَ أعلم المنذر أنه على الإلمام بأبيه ، فشخص إلى أبيه ، وكان أبوه يَزْدَجِيرِد لسوء خلقه لا يحفل بولد له ، فاتخذ بهَرَامَ للخدمة ، فلقى بهَرَامَ من ذلك عناه .

ثم إنَّ يَزْدَجِيرِد وقد عليه أخ لقبصر ، يقال له : ثيادوس ، في طلب ٨٥٨/١ الصلح والهدنة لقبصر والروم ، فسأله بهَرَامُ أن يكلم يَزْدَجِيرِد في الإذن له في الانصراف إلى المنذر ، فانصرف إلى بلاد العرب ، فأقبل على التمتع والتلذذ . وهلك أبوه يَزْدَجِيرِد وبهرام غائب ، فتعاقد ناس من العظماء وأهل البيوتات ألاَّ يملكوا أحداً من ذرية يَزْدَجِيرِد لسوء سيرته ، وقالوا : إن يَزْدَجِيرِد لم يخلّف ولداً يحتمل الملك غير بهَرَامِ ، ولم يَلِ بهَرَامَ ولاية قطَّ يسلمى^(١) بها خبره ، ويعرف بها حاله ، ولم يتأدّب بأدب العجم ، وإنما أدبه أدب العرب ، وخلّقه كخلّقتهم ، لنشئه بين أظهرهم . واجتمعت كلمتهم وكلمة العامة على صرف الملك عن بهَرَامِ إلى رجل من عترة أردشير بن بابك ، يقال له كسرى ، ولم يقيموا أن ملكوه . فأنهى هلاك يَزْدَجِيرِد والذي كان من تمليكهم كسرى إلى بهَرَامِ وهو ببادية العرب ، فدعا بالمنذر والنعمان ابنه ، وناس من عليّة العرب ، وقال لهم : إني لا أحسبكم تجعلون خصيصي والذي كان أتاكم معشر العرب بإحسانه وإنعامه كان عليكم ، مع حفاظته وشدته كانت على الفرس ، وأخبرهم بالذي أتاه من نعي أبيه ، وتمليك الفرس من ملكوا عن تشاور منهم في ذلك .

فقال المنذر : لا يهولنك ذلك حتى ألطيف الحيلة^(٢) فيه . وإن المنذر

(١) ت : « يسلم » .

(٢) ط : « الحيلة ، وما أتته من ت » .

جهنم عشرة آلاف رجل من فرسان العرب ، ووجههم مع ابنه إلى طيسون^(١) وبهتاردشير مدينتي الملك ، وأمره أن يعسكر قريباً منهما ، ويدمن إرسال طلائمه إليهما ، فإن تحرك أحد لقاتله وأغار على ماوالاهما ، وأسر وسبى ، وبهاه عن سقك الدماء . فسار النعمان حتى نزل قريباً من المدينتين ، ووجه طلائمه إليهما ، واستعظم قتال الفرس . وإن من الباب من العظماء وأهل البيوتات أوفدوا جواني صاحب رسائل يزدجرد إلى المنذر ، وكتبوا إليه يعلمونه أمر النعمان ، فلما ورد جواني على المنذر وقرأ الكتاب الذي كتب إليه . قال له : ألقى الملك بهتارم ، ووجه معه من يوصله إليه . فدخل جواني على بهتارم فراه ما رأى من وسامته وبهاه ، وأغفل السجود دهشاً ، فعرف بهتارم أنه إنما ترك السجود لما راعه من روائه ، فكلّمه بهتارم ، ووعدّه من نفسه أحسن الوعد ، وردّه إلى المنذر ، وأرسل إليه أن يجيب في الذي كتب ، فقال المنذر لجواني : قد تدبرت الكتاب الذي أتيتني به ؛ وإنما وجه النعمان إلى ناحيتكم الملك بهتارم حيث ملكه الله بعد أبيه ، وحوّله إيناكم .

فلما سمع جواني مقالة المنذر ، وتذكر ما عاين من رواء بهرام وهيبته عند نفسه ، وأن^(٢) جميع من شاور^(٣) في صرف الملك عن بهتارم مخصوم محجوج ، قال^(٤) للمنذر : إني لست عيبراً جواباً ، ولكن سِرْ إن رأيت إلى حلة الملوكة فيجتمع^(٥) إليك من بها من العظماء وأهل البيوتات ، وتشاوروا في ذلك . وأت فيه ما يحمل ؛ فإنهم لن يخالفوك في شيء مما تشير به .

فرد المنذر جواني إلى من أرسله إليه ، واستعدّ وسار بعد فصول جواني من عنده بيومٍ بهرام في ثلاثين ألف رجل من فرسان العرب وذوي^(٦) البأس والتجدة منهم إلى مدينتي الملك ؛ حتى إذا وردهما ، أمر فجمع الناس ، وجلس بهتارم على منبتر^(٧) من ذهب مكلّل بجوهر ، وجلس المنذر عن يمينه ،

(١) ت : « طيسون » . س : « طيسون » . (٢) ل : « علم بأن » .

(٣) ت ، س : « تشاور » . (٤) ل : « فقال » .

(٥) ت : « فجمع » . (٦) ت : « وأهل » . (٧) ت : « سرير » .

وتكلم عظماء القرس وأهل البيوتات، وفرشوا للمنبر بكلامهم فظاظة يزدد جرد أبي بهرام كانت ، وصوه سيرته ، وأنه أخرب بسوء رأيه الأرض ، وأكثر القتل ظلماً ، حتى قد قتل الناس في البلاد التي كان يملكها ، وأموراً غير ذلك فظيعة . وذكروا أنهم إنما تعاقبوا وتواثقوا على صرف الملك عن ولد يزدد جرد لذلك ، وسألوا المنبر ألا يجبرهم في أمر الملك على ما يكرهونه .

فوعى المنبر ما بشوا من ذلك ، وقال لبهرام : أنت أولتى بإجابة القوم متى . فقال بهرام : إننى لست أكذبكم معشر المتكلمين في شيء مما نسبم إليه يزدد جرد لئلا استقر عندى من ذلك ، ولقد كنت زارياً عليه لسوء هديته ، ومتنكباً لطريقه ^(١) ودينه ، ولم أزل أسأل الله أن يمن على بالملك ، فأصلح كل ما أفسد ، وأرأب ما صدع ، فإن أنت للملكى سنة ولم أف لكم بهذه الأمور التي عددت لكم تبرأت من الملك طائعاً ، وقد أشهدت بذلك على الله وملائكته وموحدان مؤيد . وليكن هو فيها حاكماً بيني وبينكم . وأنا مع الذي بينت على ما أعلمكم من رضاى بتمليككم من تناول التاج والزينة ، من بين أسدين ضارئين مشيلين ، فهو الملك .

• • •

فلما سمع القوم مقالة بهرام هذه ، وما وعد من نفسه ، استبشروا بذلك ، وانبسطن آمالهم ، وقالوا فيما بينهم : إننا لسنا نقدر على رد قول بهرام ، مع ٨٦١/١
أننا إن تمسنا على صرف الملك عنه نتخوف أن يكون في ذلك هلاكنا لكثرة من استمد واستجاش من العرب ، ولكننا نتمنحه بما عرّض علينا مما لم يدعه إليه إلا ثقة بقوته وبطشه وجراته ، فإن يكن على ما وصف به نفسه ، فليس لنا رأى إلا تسليم الملك إليه ، والسمع والطاعة له ، وإن يهلك ضعفاً ومعجزة ، فنحن من هلكته ^(٢) برآء ، ولشره وغائلته آمنون .

وتفرقوا على هذا الرأى ، فعاد بهرام بعد أن تكلم بهذا الكلام ، وجلس كجلسه الذى كان فيه بالأمس ، وحضره من كان يحاده . فقال لهم : إنما

(١) ل : « لطريقته » . (٢) س : « مهلكه » .

أن تجيبوني فيما تكلمت أمس ، وإما أن تسكتوا باخعين^(١) لي بالطاعة .
فقال القوم : أمّا نحن ، فقد اخترنا لتدبير الملك كسرى ، ولم نتر منه إلا
ما نحب ؛ ولكننا قد رضينا مع ذلك أن يوضع التاج والزينة كما ذكرت بين
أسدين ، وتتنازعهما أنت وكسرى ، فأيكما تناوفا من بينهما ، سلمنا له الملك .
فرضى بهرام بمقالتهم ، فأتى بالتاج والزينة موبدان موبد ، الموكل كان
بعقد التاج على رأس كل ملك يملك ، فوضعها في ناحية ، وجاء بسطام
إصْبَهْبَهْبَد ، بأسدين صاريين مجوعين مُشْبِلين ، فوقف أحدهما عن جانب الموضع
الذي وُضع فيه التاج والزينة ، والآخر بحذائه ، وأرخى وثاقهما ، ثم قال بهرام
لكسرى : دونك التاج والزينة . فقال كسرى : أنت أولى بالبدء وتناولهما
منى ؛ لأنك تطلب الملك بوراثته ، وأنا فيه مغتصب . فلم يكره بهرام قوله ،
لثفته كانت ببطشه^(٢) وقوته ، وحمل جُرْزاً^(٣) ، وتوجه نحو التاج والزينة ، فقال
له موبدان موبد : استأثرتك في هذا الأمر الذي أقدمت عليه ؛ إنما هو تطوع
منك ، لا عن رأى أحد من الفرس ، ونحن برآء إلى الله من إتلافك نفسك .
فقال بهرام : أنتم من ذلك برآء ، ولا وِزْرَ عليكم فيه . ثم أسرع نحو الأسدين ،
فلما رأى موبدان موبد جِدَهُ في لِقائهما ، هتف به وقال : بَعْجْ بذنوبك ،
وتب منها ، ثم أقدم إن كنت لا محالة مُقدماً ، فباح بهرام بما سلف من
ذنوبه ، ثم مشى نحو الأسدين ، فبدر إليه أحدهما ، فلما دنا من بهرام
وثب وثبة ، فعلا ظهره . وعصر جنبى الأسد بفخذه عصراً أثخنه ، وجعل
يضرب على رأسه بالجُرْز الذى كان حمل ، ثم شدّ الأسد الآخر عليه ،
فقبض على أذنيه ، وعركهما بكلتا يديه ، فلم يزل يضرب رأسه برأس
الأسد الذى كان راكمه حتى دمهغما ثم قتلها كليهما على رأسهما بالجُرْز
الذى كان حملة : وكان ذلك من صنيعه^(٤) بمراى من كسرى ومن حضر
ذلك المحفل .

(١) ل : « باخعين » . (٢) ل : « كانت في بطشه » .

(٣) الجُرْز : عمود من الحديد . (٤) ت : « صناعه » .

فتناول بهرام بعد ذلك التاج والزينة ، فكان كسرى أول من هتف به ، وقال : عمرك الله بهرام ! الذي منّ حوله سامعون ، وله مطيعون ، وورقه مملوك أقاليم الأرض السبعة . ثم هتف به جميع ^(١) الحضر ، وقالوا : قد أذعنّا للملك بهرام ، وخضعنا له ورضينا به ملكاً . وأكثروا الدعاء له . وإن العظماء وأهل البيوتات وأصحاب الولايات والوزراء لقنوا المنذر بعد ذلك اليوم ، وسألوه ^(٢) أن يكلم بهرام في التغمّد لإساعتهم في أمره ، والصفح والتجاوز عنهم ، فكلّم المنذر بهرام فيما سألوه من ذلك ، واستوهم ما كان احتمال عليهم في نفسه ، فأسفف بهرام فيما سأل ، وبسط آماله .

٨٦٣/١

وإن بهرام ملك وهو ابن عشرين سنة ، وأمر من يومه ذلك أن يلزم رعيته مراحة ودعة ، وجلس للناس بعد ذلك سبعة أيام متوالية ، يعدّهم الخير من نفسه ، ويأمرهم بتقوى الله وطاعته .

. . .

ثم لم يزل بهرام حيث ملك مؤثراً للهو ^(٣) على ما سواه ، حتى كثرت ملامه رعيته إياه على ذلك ، وطمع منّ حوله من الملوك في استباحة بلاده ، والغلبة على ملكه ، وكان أول من سبق إلى المكاثرة ^(٤) له عليه خاقان ملك الترك ، فإنه غزاه في مائتين وخمسين ألف رجل من الترك ، فبلغ الفرس إقبال خاقان في جمّع عظيم إلى بلادهم ، فتعاظمهم ذلك وهلم ، ودخل عليه من عظمائهم أناس لم رأى أصيل ، وعندهم نظر للعامة ، فقالوا له : إنه قد أزمك أيها الملك من باقية هذا العدو ما قد شغلك عما أنت عليه من اللهو والتلذذ ، فتأهّب له كيلا يلحقنا منه أمر يلزمك فيه مسبة وعار . فقال لهم بهرام : إن الله ربنا ^(٥) قوي ونحن أولياؤه . ولم يزد إلا مثابرة على اللهو والتلذذ والصيد .

وإنه تجهّز فسار إلى أذربيجان لينسك ^(٦) في بيت نارها ، ويتوجه منها إلى

(١) ت : « الجميع » . (٢) ل : « سألوه » .
(٣) س ، ل : « الهو » . (٤) ت ، س : « المكاثرة » .
(٥) ت : « تعالى » . (٦) ينسك : يصيد .

٨٦٤/١ أرمينية ، ويطلب الصيد في آجامها ، ويلهو في مسيره في سبعة رهط من العظماء وأهل البيوتات ؛ وثلاثة رجل من رابطة ذوى بأس ونجدة ، واستخلف أخا له يسمي نرسى على ما كان يدبر من ملكه . فلم يشك الناس حين بلغهم سير بهرام فيمن سار واستخلافه أخاه على ما استخلف في أن ذلك هرب من علوه ، وإسلام الملكة ، وتأمروا في إنقاذ وفد إلى خاقان ، والإقرار له بالخراج ، مخافة منه لاستباحة بلادهم ، واصطلامه مقاتلتهم إن هم لم يدعوا له بذلك . فبلغ خاقان الذى أجمع عليه القرس من الانقياد والخضوع له ، فأمن ناحيتهم ، وأمر جنده بالتورع ، فأتى بهرام عين كان وجهه ليأتيه بخبر خاقان ، فأخبره بأمر خاقان وعزمه ، فسار إليه بهرام في العدة الذين كانوا معه فينته ، وقتل خاقان بيده ، وأفشى القتل في جنده ، وانهم من سليم من القتل منهم ، ومنحوه أكتافهم ، وخلفوا عسكرهم وذرائعهم وأثقالهم ، وأمن بهرام في طلبهم يقتلهم ويحوى ما غنم منهم ، ويسبى ذرائعهم . وانصرف وجنده سالمين ، وظفر^(١) بهرام بتاج خاقان وإكليله ، وغلب على بلاده من بلاد الترك ، واستعمل^(٢) على ما غلب^(٣) عليه منها مئزباناً حباه سريراً من فضة ، وأناه أناس من أهل البلاد المتاخمة لما غلب عليه من بلاد الترك خاضعين باخمين له بالطاعة ، وسأله أن يعلمهم حداً ما بينه وبينهم فلا يتعدوه ، فحد لهم حداً ، وأمر فبنيت منارة ، وهى المنارة التى أمر بها فيروز الملك ابن يزدجرد ، فقدمت إلى بلاد الترك ، ووجه بهرام قائداً من قواده إلى ما وراء النهر منهم ، وأمره بقتالهم فقاتلهم وأنخنهم ، حتى أقرؤا لبهرام بالعبودية وأداء الجزية .

وإن بهرام انصرف^(٤) إلى أذربيجان ، راجعاً إلى محلته من السواد ، وأمر بما كان في إكليل خاقان من ياقوت أحمر وسائر الجوهر ، فعلق على بيت نار أذربيجان ، ثم سار وورد مدينة طيسون ، فنزل^(٥) دار المملكة بها ، ثم

(١) ت : « ظفر » ، ل : « وظهر » . (٢) ت : « واستخلف » .

(٣) ت : « ما قد غلب عليه » . س : ل : « على ما غلب عليه » .

(٤) ت : « سار » . (٥) ت : « ونزل » .

كتب إلى جُنْدِه وعَمَّالِه بقتله خاقان ، وما كان من أمره وأمر جنده . ثم ولَّى أخاه نَرْسِي خُرَّاسَانَ ، وأمرَه أن يسير إليها ويتزل بلخ ، وتقدّم إليه بما أراد .

ثم إنَّ بهرام سار في آخر مُلْكِه إلى ماء للصيد بها ، فركب ذات يوم للصيد ، فشَدَّ على عَتِيرٍ ، وأمعن في طلبه ، فارتطم في جُبٍّ ، فغرق ، فبلغ والدته فسارت إلى ذلك الجُبِّ بأموال عظيمة ، وأقامت قريية منه ، وأمرت بإنفاق تلك الأموال على مَنْ يخرجُه منه ، فتقلوا من الجب طيناً كثيراً وحِمْأةً ، حتى جَمَعُوا من ذلك آكاماً عظاماً ، ولم يقدرُوا على جُشَّة بهرام .

وذكرَ أن بهرام لما انصرف إلى مملكته من غَزْوِهِ^(١) الترك ، خطب أهلَ مملكته أياماً متوالية ، حثَّهم في خطبته على لزوم الطاعة ، وأعلمهم أنَّ نَيْتَهُ التَّوَسُّعَ عليهم ، وإيصالُ الخير إليهم ، وأنَّهم إن زالوا عن الاستقامة نالهم من غلظته أكثر مما كان نالهم من أبيه ، وأنَّ أباه كان افتتح أمرهم باللين والمعدلة ، فجحِدُوا ذلك أو مَنْ جحدَه منهم ، ولم يخضعوا له خضوع الخوَك والعبيد للملوك ، فأصاره ذلك إلى الغِلْظَةِ وضرب الأَبْشارِ وشفكِ الدماء . وإنَّ انصراف بهرام من غزوه ذلك كان على طريق أَذَرَ بيجان ، ولأنه نَحَلَ بيت ناز ٨٦٦/١ الشيز ما كان في إكليل خاقان من اليواقيت والجوهر^(٢) وسيفاً كان لخاقان مُقْصَصاً بدرَ وجوهر وحليّة كثيرة ، وأخذه خاتون امرأة خاقان ، ورفع عن الناس الخراج ثلاث سنين شكراً على ما لقِيَ من النَّصْرِ في وجهه ، وقسم في الفقراء والمساكين مالا عظيماً ، وفي البيوتات وفوى الأحساب عشرين ألف ألف درهم ، وكتب بخبر خاقان إلى الآفاق كتباً ، يذكر فيها أنَّ الخير ورد عليه بورود خاقان بلادَه ، وأنَّه مجدُّ الله وعظَّمه وتوكَّل عليه ، وسار نحوه في سبعة رهط من أهل البيوتات ، وثلاثمائة فارس من نُحْبَةِ رابطته على طريق أَذَرَ بيجان وجبل القُبُش ؛ حتى نفذ على براري خوارزم ومقاوزها ، فأبلاه

(١) ت : « غزو » .

(٢) ت : « والجوهر » .

الله أحسن بلاء ، وذكر لم ما وضع عنهم من الخراج ، وكان كتابه في ذلك كتاباً بليغاً .

وقد كان بهرام حين أفضى إليه الملك أمر أن يرفع عن أهل الخراج البقايا التي بقيت عليهم من الخراج ، فأعلم أن ذلك سبعون ألف ألف درهم ، فأمر بتركها وبترك ثلث خراج السنة التي ولي فيها .

وقيل إن بهرام جور لما انصرف إلى طيسبُون من مغزاه خاقان التركي ، ولقي نرسی أخاه خراسان ، وأنزله بلخ ، واستوزر مِهْر نرسی بن بُرّازة ، وخصه وجعله بُزْجَمَرَمَدَار ، وأعلمه أنه ماض إلى بلاد الهند ، ليعرف أخبارها ، والتلطّف لحيازة بعض مملكة أهلها إلى مملكته ؛ ليخفف بذلك بعض مؤونة عن أهل مملكته ، وتقدّم إليه بما أراد التقدّم إليه فيما خلفه عليه إلى أوان انصرافه ، وأنه شخص من مملكته حتى دخل أرض الهند متكرراً ، فكث بها حيناً لا يسأله أحدٌ من أهلها عن شيء من أمره غير ما يرون من فروسيته^(١) وقتله السباع ، وجماله وكال خلقه ما يعجبون منه . فلم يزل كذلك حتى بلغه أن في ناحية من أرضهم فيلا قد قطع السبُل ، وقتل ناساً كثيراً ، فسأل بعضهم أن يدلّهُ عليه ليقتله ، وانتهى أمره إلى الملك فدعا به ، وأرسل معه رسولاً ينصرف إليه بخبره . فلما انتهى بهرام والرسول إلى الأجمة التي فيها الفيل ، رقى الرسول إلى شجرة لينظر إلى صنّيع^(٢) بهرام . ومضى بهرام ليستخرج الفيل ، فصاح به ، فخرج إليه مُزِيداً وله صوت شديد ، ومنظر هائل ، فلما قرب من بهرام رماه رمية وقعت بين عينيه حتى كادت تغيب ، ووقّده بالنشّاب ، حتى بلغ منه ، ووثب عليه فأخذه بِمَشْفَرِهِ ، فاجتذبه جذبة جثا لها الفيل على ركبتيه ، فلم يزل يطعنه حتى أمكن من نفسه ، فاحتز رأسه وحمله على ظهره حتى أخرجه إلى الطريق ، ورسول الملك ينظر إليه . فلما انصرف الرسول اقتصر خبره على الملك ، فعجب من شدته وجراته ، وحباه حياء عظيماً ، واستفهمه أمره . فقال له بهرام : أنا رجل من عظماء الفُرس ، وكان

(١) ت : « فروسته » .

(٢) ت : « إلى صنّيع » ، س : « ما يصنع » .

ملك فارس سَخَطَ على شيء فهربت منه إلى جوارك ، وكان لذلك الملك عدو قد نازعه ملكته ، سار إليه بجنود عظيمة ، فاشتدَّ وجَلَّ الملك صاحب بهرام منه لما كان يعرف من قوته ، وأراد على الخضوع له وحمل الخراج إليه ، وهمَّ صاحب بهرام بإجابهته إلى ذلك ، فنهاه بهرام عن ذلك ، وضَمِنَ له كفاية أمره ، فسكن إلى قوله ، وخرج بهرام مستعداً له ، فلما التقوا قال لأساورة الهند : احرسوا ظهري . ثم حمل عليهم فجعل يضرب الرجل على رأسه فتنتهى ضربته إلى فمه ، ويضرب وسط الرجل فيقطعه باثنين ، ويأتي القيل فيقد مشفره بالسيف ، ويحمل الفارس عن سرجه — والهند قوم لا يحسنون الرمي ، وأكثرهم رجالة لا دواب لهم — وكان بهرام إذا رى أحدهم أنفذ سهم فيه ، فلما عاينوا منه ما عاينوا ، ولَّوْا منهزمين لا يلون على شيء ، وغنم صاحب بهرام ما كان في عسكر عدوه ، وانصرف مجبوراً مسروراً ، ومعه بهرام ، فكان في مكافاته إيتاءه أن أنكحه ابنته ، ونحله الدبيل ومكران وما يليها من أرض السند ، وكتب له بذلك كتاباً ، وأشهد له على نفسه شهوداً ، وأمر بتلك البلاد حتى ضُمَّت إلى أرض المعجم ، وحمل خراجها إلى بهرام ، وانصرف بهرام مسروراً .

ثم إنه أغزى مِهْرَنَرَسِي بن بُرَازَة بلاد الروم في أربعين ألف مقاتل ، وأمره أن يقصد عظيمها ، وينظره في أمر الإتاوة وغيرها ، مما لم يكن يقوم بمثله إلا مثل مِهْرَنَرَسِي ، فتوجَّه^(١) في تلك العدة ، ودخل القسطنطينية ، وقام مقاماً مشهوراً ، وهادنه عظيم الروم ، وانصرف بكلِّ الذي أراد بهرام ، ولم يزل لِمِهْرَنَرَسِي مكرماً ، وربما خفف اسمه فقيل «نَرَسِي» وربما قيل «مِهْرَنَرَسِي» ، وهو مِهْرَنَرَسِي بن بُرَازَة بن فَرْخَزَاد بن خُورْهَبَاد بن سيسفاد ابن سينابروه بن كَمِي أَشَكَّ بن دارا بن دارا بن بَهْمَن بن إسفنديار بن بشتاسب .

٨٦٩/١

وكان مِهْرَنَرَسِي معظمًا عند جميع ملوك فارس بحسن أدبه ، وجودة آرائه ، وسكون العامة إليه ، وكان له أولاد مع ذلك قد قاربوه في القدر ، وعملوا للملوك من الأعمال ما كادوا يلحقون بمرتبه ، وإن منهم ثلاثة قد كانوا برزوا :

أحدهم زَرَوَنداذ ؛ أن مِهْرَ نرسي قصد به للدين والفقه ، فأدرك من ذلك أمراً عظيماً ، حتى صيّر بهرام جور هَرَبْدان هَرَبْدَ ، مرتبة شبيهة بمرتبة مَوْبْدان مَوْبَدَ . وكان يقال للآخر : ما جُسُنَس ، ولم يزل متولياً ديوان الخراج أيام بهرام جور . وكان اسم مرتبته بالفارسية « راسترای و شانسلان » . وكان الثالث اسمه كارد صاحب الجيش الأعظم ، واسم مرتبته بالفارسية « أسطران سلا » ؛ وهذه مرتبة فوق مرتبة الإصبهبد تقارب مرتبة الأَرَجَبَدَ ، وكان اسم مِهْرَ نرسي بمرتبة بالفارسية « بَزُرُ جفر مانداد » ؛ وتفسيره بالعربية « وزير الوزراء » ٨٧٠/١ أو رئيس الرضاء . وقيل إنه كان من قرية يقال لها إبروان من رستاق دشتبارين من بكورة أردشير خُسرَ ، فابتنى فيه وفي جبره من كورة سابور لاتصال ذلك ودشتبارين أبنية رفيعة ، واتخذ فيها بيت نار — هو باق فيما ذكر إلى اليوم . وناره توقد إلى هذه الغاية — يقال لها مِهْرَنَرَسِيان ، واتخذ بالقرب من إبروان أربع قرى ، وجعل في كل واحدة منها بيت نار ، فجعل واحداً منها لنفسه ، وسماه فراز مرا آوَرُ خُدايان ؛ وتفسير ذلك : « أقبل إلى سيدتي » ، على وجه التعظيم للنار ، وجعل الآخر لزرَوَنداذ ، وسماه زراونداذان ، والآخر لكارد وسماه كارداذان ، والآخر لماجُسُنَس ، وسماه ماجُسُنَسَفان ؛ واتخذ في هذه الناحية ثلاث باغات^(١) ، جعل في كل باغ منها اثنتي عشرة ألف نخلة ، وفي باغ اثني عشر ألف أصل زيتون ، وفي باغ اثني عشرة ألف سررة^(٢) ، ولم تزل هذه القرى والباغات وبيوت النيران في يد قوم من ولده معروفين إلى اليوم ؛ وإن ذلك — فيما ذكر — إلى اليوم باق على أحسن حالاته .

وذكر أن بهرام بعد فراغه من أمر خاقان وأمر ملك الروم ، مضى إلى بلاد السودان من ناحية^(٣) اليمن ، فأوقع بهم ؛ فقتل منهم مقتلة عظيمة . وسبى منهم خلقاً ، ثم انصرف إلى مملكته . ثم كان من أمر هلاكه ما قد وصف . واختلفوا في مدة ملكه ، فقال بعضهم : كان ملكه ثمانى عشرة سنة وعشرة

(١) الباغ : البستان ، وانظر المعجم في اللغة الفارسية ٣٢ .

(٢) السرة : شجر حسن الهيئة قويم الساق ؛ فسرّه صاحب القاموس بالمرمر ، وأحدته سررة .

(٣) ت : « مایل » .

أشهر وعشرين يوماً . وقال آخرون كان ملكه ثلاثا وعشرين سنة وعشرة أشهر وعشرين يوماً .

• • •

[ذكر ملك يزديجرد بن بهرام جور]

ثم قام بالملك من بعده يزديجرد بن بهرام جور . فلما عقد التاج على رأسه دخل عليه العظماء والأشراف ، فدعوا له وهنثوه بالملك ، فرد عليهم ردًا حسنًا ، وذكر أباه ومناقبه ، وما كان منه إلى الرعية ، وطول جلوسه كان لها ، وأعلمهم أنهم إن فقدوا منه مثل الذي كانوا يعهدونه من أبيه ، فلا ينبغي لهم أن يستنكروه ؛ فإن خلواته إنما تكون في مصلحة للمملكة وكيد للأعداء ، وأنه قد استوزر ميهرنرسي بن برزاة صاحب أبيه ، وأنه سائر فيهم بأحسن^(١) السيرة ، ومنن لهم أفضل السنن ، ولم يزل قاعمًا لعدوه ، رعوفاً برعيته وجنوده ، محسنًا إليهم .

وكان له ابنان : يقال لأحدهما هرمز ، وكان ملكًا على سجستان ، والآخر يقال له قيروز ، فغلب هرمز على الملك من بعد هلاك أبيه يزديجرد ،^{٨٧٢/١} فهرب فيروز منه ولحق ببلاد الهياطلة ، وأخبر ملكها بقصته وقصة هرمز أخيه ، وأنه أولى بالملك منه ، وسأله أن يمدّه بجيش يقاتل بهم هرمز ، ويحتوى على ملك أبيه ، فأبى ملك الهياطلة أن يجيبه إلى ما سأل من ذلك ؛ حتى أخير أن هرمز ملك ظلوم جائر فقال ملك الهياطلة : إن الجور لا يرضاه الله^(٢) ، ولا يصلح عمل أهله ، ولا يستطاع أن ينتصف ويحترف في ملك الملك الجائر إلا بالجور والظلم . فأمد فيروز بعد أن دفع إليه الطالقان بجيش ، فأقبل بهم^(٣) وقتلن هرمز أخاه فقتله ، وشنت جمعه ، وغلب على الملك .

وكان الروم الثناوا على يزديجرد بن بهرام في الحراج الذي كانوا يحملونه إلى أبيه ، فوجّه إليهم ميهرنرسي بن برزاة ، في مثل العدة التي كان بهرام وجهه إليهم عليها ، فبلغ له إرادته .

(٢) ل : « ما لا يرضاه » .

(١) ت : « أحسن » .

(٣) ت : « فيهم » .

وكان مُلْك يَزْدَجَرْد ثمانى عشرة سنة وأربعة أشهر فى قول بعضهم .
وفى قول آخرين سبع عشرة سنة .

• • •

[ذكر ملك فيروز بن يزدجرد]

ثم ملك فيروز بن يَزْدَجَرْد بن بهرام جور ، بعد أن قتل أخاه وثلاثة نفر من أهل بيته .

وحدثت عن هشام بن محمد ، قال : استعدّ فيروز من خراسان ، واستنجد بأهل طَخَارِسْتَان وما يليها ، وصار إلى أخيه هَرْمَز بن يَزْدَجَرْد ، وهو بالرّى — وكانت أمّهما واحدة ، واسمها دينك ، وكانت بالمداثن تدبّر ما يليها من الملك — فظفر فيروز بأخيه فحبسه ، وأظهر العدل وحسن السيرة ، وكان يتدبّر ، وقحط الناس فى زمانه سبع سنين ، فأحسن تدبير [ذلك]^(١) الأمر حتى قسم ما فى بيوت الأموال ، وكفّ عن الجباية ، وساسهم أحسن السياسة ، فلم يهلك فى تلك السنين أحدٌ ضياعاً إلا رجل واحد .

وصار إلى قوم كانوا قد غلبوا على طَخَارِسْتَان يقال لهم الهياطلة ، وقد كان قوادهم فى أول مُلْكِهِ لمعونتهم إياه على أخيه ، وكانوا — فيما زعموا — يعملون عمل قوم لوط ، فلم يستحلّ ترك البلاد فى أيديهم ، فقاتلهم فقتلوه فى المعركة ، وأربعة بنين له ، وأربعة إخوة ، كلّهم كان يتسمّى بالملك ، وغلبوا على عامة خراسان حتى سار إليهم رجل من أهل فارس يقال له سوخرا من أهل شيراز ، وكان فيهم عظيماً ، فخرج فيمن تبعه شبه المختب المتطوّل حتى لقي^(٢) صاحب الهياطلة ، فأخرجه من بلاد خراسان ، فافترقا على الصلح ، وردّ ما لم يضع مما فى عسكر فيروز من الأسراء والسبي . وملك سبعا وعشرين سنة .

وقال غير هشام من أهل الأخبار : كان فيروز ملكاً محمّداً محارفاً^(٣) مشتملاً على رعيته ، وكان جلّ قوله وفعله فيما هو ضرر وآفة عليه وعلى أهل مملكته . وإنّ البلاد قحطت فى مُلْكِهِ سبع سنين متوالية ، فغارت الأنهار والقنبيّ والعيون ، وقحلت^(٤) الأشجار والغياض ، وماجت عامة الزروع

(١) تكله من ل ، س . (٢) ت : « أقي » . (٣) الحارث : المروم الذى إذا طلب شيئاً لا يتركه ، وهو خلاف المبارك . (٤) ل : « وحلت » .

والآجام في السَّهْل والجبل من بلاده ، وموت فيها الطَّيْر والوحش ، وجاعت الأنعام والبواب ؛ حتى كانت لا تَقْدِر أن تحمل حمولة ، وقلّ ماء دجلة ، وعمّ أهل بلاده الزَّيَّات ^(١) والمجاعة والجهد والشدائد .

فكتب إلى جميع رعيته يعلمهم أنه لا خراج عليهم ولا جزية ، ولا نأبة ^{٨٧٤/١} ولا سُخْرة ، وأن قد ملكهم أنفسهم ، ويأمرهم بالسعي فيما بقوتهم وقيمهم ، ثم أعاد الكتاب إليهم في إخراج كلّ مَنْ كان له منهم مطمورة أو هَرَى ^(٢) أو طعام أو غيره ^(٣) ؛ مما يقوت الناس ، والتأسي فيه ، وترك الاستئثار فيه ؛ وأن يكون حالُ أهل الغنى والفقر وأهل الشرف والضيعة في التأسي واحداً . وأخبرهم ^(٤) أنه إن بلغه أن إنسياً مات جوعاً عاقب أهل المدينة ، أو أهل القرية ، أو الموضع الذي يموت فيه ذلك الإنسي جوعاً ، ونكّل بهم أشدّ النكّال .

فساس فيروز رعيته في تلك الزَّيَّة والمجاعة سياسة لم يعطَب أحد منهم جوعاً ؛ ما خلا رجلاً واحداً من رُستاق كورة أردشير خُرة ، يدعى بديه ^(٥) فتعظّم ^(٦) ذلك عظماء الفرس ، وجميع أهل أردشير خُرة وفيروز ، وأنه ابتهل إلى ربه في تشرّ رحمته له ولرعيته ، وإنزال غيئه عليهم ؛ فأغاثه الله ، وعادت بلاده في كثرة المياه على ما كانت تكون عليه ، وصلحت الأشجار . وإن فيروز أمر فبنيت بالرى مدينة ، وسماها رام فيروز ، وفيما بين جرجان وباب صول مدينة ، وسماها رُوشن فيروز ، وبناحية أذربيجان مدينة وسماها شهرام ^(٧) فيروز .

(١) الزَّيَّات : الشدائد .

(٢) المطمورة : حفرة تحت الأرض يوسع أسفلها تنبأ فيها الحبوب ، والهرى : بالضم : بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان .

(٣) ت : « غير ذلك » .

(٤) ت : « وأعلمهم » ، ل : « فأخبرهم » .

(٥) ت : « س » : « بديه » .

(٦) ت : « فيعظم » ، ل : « فعظم » .

(٧) ت : « ل » : « شهرام » .

ولما حَبِيتَ بلاد فيروز ، واستوثق له المُلْكُ ، وأتخن في أعدائه وقهرهم ، وفرغ من بناء هذه المدن الثلاث ، سار بجنوده نحو خراسان مريداً حرب إخشنوار ملك الهَيَاطَلَة ؛ فلما بلغ إخشنوار خبره اشتدَّ منه رعبه . فدُكِّرَ أن رجلاً من أصحاب إخشنوار بذلَّ له نفسه ، وقال له : اقطع يديَّ ورجلي ، وألقني على طريق فيروز ، وأحسينَّ إلى ولدي وعتالي — يريد بذلك فيما ذكر الاحتيال لفيروز — ففعل ذلك إخشنوار بذلك الرجل ، وألقاه على طريق فيروز ، فلما مرَّ به أنكر حاله وسأله عن أمره ، فأخبره أن إخشنوار فعل ذلك به لأنه قال له : لا قوام لك بفيروز وجنود الفرس^(١) . فرقَّ له فيروز ورَحِمَه ، وأمر بحمله معه ، فأعلمه على وجه النصيح منه له — فيما زعم — أنه يدلُّه وأصحابه على طريق مختصر لم يدخل إلى ملك الهَيَاطَلَة منه أحد ، فاعتزَّ فيروز بذلك منه ، وأخذ بالقوم في الطريق الذي ذكره^(٢) له الأقطع ، فلم يزل يقطع بهم مفازة بعد مفازة ، فكلَّمَا شكوا عطشاً أعلمهم أنهم قد قَرَّبُوا من الماء ومن قطع المفازة ؛ حتى إذا بلغ بهم موضعاً علم أنهم لا يقدرُون فيه على تقدُّم ولا تأخُّر ، بيَّن لهم أمره ، فقال أصحاب فيروز لفيروز : قد كُنَّا حزنناك هذا أيها الملك فلم تحذَرْ ، فأما الآن فلا بدَّ من المضيِّ قُدُماً حتى نوافي القوم على الحالات كلها . فضوُّوا لوجوههم ، وقتل العطشُ أكثرهم ، وصار فيروز بمن نجا معه إلى عدوهم ، فلما أشرفوا عليهم على الحال التي هم فيها دَعَوْا إخشنوار إلى الصلح ، على أن يخلَّى سبيلهم ؛ حتى ينصرفوا إلى بلادهم ؛^{٨٧٦/١} على أن يجعل فيروز له عهد الله وميثاقه ألاَّ يغزوهم ولا يروم أرضهم ، ولا يبعث إليهم جنداً يقاتلونهم ، ويجعل بين مملكتهما حداً لا يجوزه . فرضيَّ إخشنوار بذلك ، وكتب له به فيروز كتاباً مختوماً ، وأشهد له على نفسه شهوداً ، ثم خلَّى سبيله وانصرف .

فلما صار إلى مملكته حَمَلَه الأتف والحمية على معاودة إخشنوار ، ففراه بعد أن نهاء وزراؤه وخاصته عن ذلك ؛ لما فيه من نقض العهد ، فلم يقبل منهم

(١) س : « فارس » .

(٢) ت : « ذكره » .

وأبى إلا ركوب رايه ، وكان فيمن نهاء عن ذلك رجل كان يخصه ويحتج رايه ، يقال له مَزْدَبُود^(١) ، فلما رأى مَزْدَبُودَ حاجته ، كتب ما دار بينهما في صحيفة ، وسأله الختم عليها ، ومضى فيروز لوجهه نحو بلاد إخشنوار ، وقد كان إخشنوار حفر خندقاً بينه وبين بلاد فيروز عظيماً ، فلما انتهى إليه فيروز عقد عليه القناطر ، ونصب عليها رايات جعلها أعلاماً له ولأصحابه في انصرافهم ، وجاز إلى القوم ، فلما التقى بعسكرهم احتج عليه إخشنوار بالكتاب الذي كتبه له ، ووعظه بعهده وميثاقه ، فأبى فيروز إلا بلحاجاً ومحكاً وتواقفاً ، فكلّم كل واحد منهما صاحبه كلاماً طويلاً ، ونشبت^(٢) بينهما بعد ذلك الحرب ، وأصحاب فيروز على فتور من أمرهم ، للعهد الذي كان بينهم وبين الهياطلة ، وأخرج إخشنوار الصحيفة التي كتبها له فيروز ، ورفعها على رُمح وقال : اللهم خذ بما في هذا الكتاب . فانهم فيروز وسها عن ١٧٧ / ١ موضع الرايات ، وسقط في الخندق ، فهلك . وأخذ إخشنوار أثقال فيروز ونسائه وأمواله ودواوينه ، وأصاب جند فارس شيء لم يصبهم مثله قط .

وكان بسجستان رجل من أهل كورة أردشير خرة من الأعاجم ، ذو علم وبأس وبطش ، يقال له : سوخرا ، ومعه جماعة من الأساورة ، فلما بلغه خبر فيروز ركب من ليلته ، فأغذ السير حتى انتهى إلى إخشنوار ، فأرسل إليه وأذنه بالحرب ، وتوعده بالهائحة والبوار ، فبعث إليه إخشنوار جيشاً عظيماً . فلما التقوا ركب إليهم سوخرا فوجدهم مدلين ، فيقال : إنه رى بعض من ورد عليه منهم رمية فوقعت بين عيني فرسه حتى كادت النشابة تغيب في رأسه ، فسقط الفرس ، وتمكن سوخرا من راحيه ، فاستبقاه وقال له : انصرف إلى صاحبك فأخبره بما رأيت ، فانصرفوا إلى إخشنوار ، وحملوا الفرس معهم ، فلما رأى أثر الرمية بهت وأرسل إلى سوخرا : أن سل حاجتك ، فقال له : حاجتي أن ترد علي الديوان ، وتطلق الأسرى . ففعل ذلك ، فلما صار الديوان في يده ، واستنفذ الأسرى ، استخرج من الديوان بيوت الأموال التي كانت

(١) ت : « مردنذ » .

(٢) ت : « ونشب » ، س : « ونشبت » .

مع فيروز، فكتب إلى إخشنوار أنه غير منصرف إلا بها . فلما تبين الجِدَّة ، اقتدى نفسه وانصرف سوخرا بعد استنقاذ الأسارى وأخذ الديوان وارتجاع الأموال ، وجميع ما كان مع فيروز من خزائنه إلى أرض فارس ، فلما صار إلى الأعاجم شرّفوه وعظّموا أمره ، وبلغوا به من المنزلة ما لم يكن بعده إلا الملك .

وهو سوخرا بن ويسابور^(١) بن زهان^(٢) بن نرسی بن ويسابور بن قارن ابن کروان بن أبید بن أوبید بن تیرویه^(٣) بن كردنك^(٤) بن ناور بن طوس ابن نودكا بن منشو^(٥) بن نودر بن منوشهر .

وذكر بعض أهل العلم بأخبار القُرُس من خبَر فيروز وخبر إخشنوار نحواً مما ذكرت ، غير أنه^(٦) ذكر أن فيروز لما خرج متوجّهاً إلى إخشنوار ، استخلف على مدينة طيسون^(٧) ومدينة بهرسير^(٨) - وكانتا محلة الملوك - سوخرا هذا ، قال : وكان يقال لمرتبة قارن ، وكان يلكي معهما سجستان . وأن فيروز لما بلغ منارة كان بهرام جور ابتناها فيما بين تخوم بلاد خراسان وبلاد الترك ؛ لئلا يجوزها الترك إلى خراسان ليشاق كان بين الترك والفرس على ترك الفريقين التعدى لها ؛ وكان فيروز عاهد إخشنوار ألا يجاوزها إلى بلاد الهياطلة ، أمر فيروز فصعد^(٩) فيها خمسون فيلاً وثلاثمائة رجل ، فجرت أمامه جراً ، واتبعها ؛ أراد بذلك زعم الوفاء لإخشنوار بما عاهده عليه ؛ فبلغ إخشنوار ما كان من فيروز في أمر تلك المنارة ، فأرسل إليه يقول : انته يا فيروز عما انتهى عنه أسلافك ، ولا تُقدِّم على ما لم يقدموا عليه . فلم يحفل فيروز بقوله ، ولم تكره رسالته ؛ وجعل يستطعم محاربة إخشنوار ، ويدعوه إليها ، وجعل إخشنوار يمتنع من محاربه

(١) ل : « ساپور » .

(٢) س : « زهان » .

(٣) س : « يرويه » .

(٤) س : « كردنك » .

(٥) س : « منشو » .

(٦) ل : « من ذلك إلا أنه » . س : « ما قد ذكرت غير أنه » .

(٧) س : « طيسون » ل : « طيسون » .

(٨) ت : « بهرشير » ، ل : « بهرشير » .

(٩) ط : « فصعد » .

ويستكرهها^(١) ، لأنّ جلّ محاربة الترك إنّما هو بالخداع والمكر والمكاينة ، وأنّ إخشنوار أمر فحصر خلف عسكره حتّى دُخِلَ عَرْضُهُ عشرة أذرع ، وعمقه عشرون ذراعاً ، وضُمِّيَ بخشب ضعاف ، وألْقِيَ عليه تراباً ، ثم ارتحل في جنده ، ففُضِيَ غير بعيد ، فبلغ فيروز رحلة إخشنوار بجنده من عسكره^(٢) ، فلم يشكّ في أنّ ذلك منهم انكشاف وهرب ، فأمر بضرب الطبول ، وركب في جنده في طلب إخشنوار وأصحابه ، فأغْدَوْا السير ، وكان مسلّكهم على ذلك الخندق . فلما بلغوه أقْبَحُوا على عَمَائِهِ^(٣) ، فَرَدَّيْ فِيهِ فيروز وعامة جنده ، وهلكوا من عند آخرهم .

وإنّ إخشنوار عطف على عسكر فيروز ، فاحتوى على كلّ شيء فيه ، وأسر مؤبذان موبذ ، وصارت فيروز دُخِت ابنة فيروز فيمن صار في يده من نساء فيروز ، وأمر إخشنوار فاستخرجت جُثَّة فيروز وجُثَّة كلّ مَنْ سَقَطَ مَعَهُ في ذلك الخندق ، فوضعت في النواويس ، ودعا إخشنوار فيروز دخت إلى أن يَبْأَشَرَهَا ، فأبَتْ عليه .

وإنّ خير هلاك فيروز سقط إلى بلاد فارس^(٤) ، فارتجوا له وفزعوا ، حتّى إذا استقرّت حقيقة خبره عند سوخرا تأهّب^(٥) وصار في عظم مَنْ كَانَ قَبْلَهُ من الجند إلى بلاد الهياطلة . فلما بلغ جرجان بلغ إخشنوار خبرُ مسيره لمحاربته ، فاستعدّ وأقبل متلقياً له ، وأرسل إليه يستخبره عن خبره ، ويسأله عن اسمه ومريته ، فأرسل أنه رجل يقال له سوخرا ، ولمريته قارن ، وأنه إنما سار إليه لينتقم منه لفيروز ، فأرسل إليه إخشنوار يقول : إنّ سيّلك في الأمر الذي قدِمْتَ له كسبيل فيروز . إذ لم يعقبه في كثرة جنوده من محاربته إِيَّايَ إلا الهلكة والبوار ، فلم ينهني سوخرا قولُ إخشنوار ، ولم يعبأ به ، وأمر جنوده فاستعملوا وتسلسلوا ، وزحف إلى إخشنوار لشدة إقدامه وحدة قلبه ، فطلب مواعنته وصلّحه ،

(١) ت : « يتكرهها » .

(٢) ت : « عسكره » .

(٣) ط : « غمائه » .

(٤) س : « الفرس » .

(٥) ت : « فاهم » .

فلم يقبل منه سوخرا صلحاً دون أن يصير في يده كل شيء صار عنده من
عسكر فيروز. فسلم إخشنوار إليه ما أصاب من أموال فيروز وخزائنه ومرايطه
ونسائه ، وفيهن فيروز دخت ، ودفع إليه موبدان موبذ وكل أحد كان عنده
من عظماء الفرس ، فانصرف سوخرا بذلك كله إلى بلاد الفرس .

واختلف في مدة ^(١) ملك فيروز ؛ فقال بعضهم : كانت ستاً وعشرين سنة .
وقال آخرون : كانت إحدى وعشرين سنة .

ذكر ما كان من الأحداث في أيام يزْدَجَرْد بن بهرام وفيروز بين عمّالهما على العرب وأهل اليمن

حدّثت عن هشام بن محمد ، قال : كان يحدّم الملوك من حِمِير في زمان ملكهم أبناءُ الأشراف من حِمِير وغيرهم من القبائل ؛ فكان ممّن يحدّم حسان بن تُبّع عمرو بن حُجْر الكِنْدِي ، وكان سيّد كِنْدَة في زمانه . فلمّا سار حسان بن تُبّع إلى جدّيس خلّفه على بعض أموره ، فلما قتل عمرو بن تُبّع أخاه حسان بن تُبّع ، وملك مكانه ، اصطنع عمرو بن حُجْر الكِنْدِي . وكان ذا رأي ونُبُل ؛ وكان ممّا أراد عمرو لإكرامه به وتصغير بني أخيه حسان أن زوجته ابنة حسان بن تُبّع ، فتكلّمت في ذلك حِمِير . وكان عندهم من الأحداث التي ابتلوا بها ؛ لأنّه لم يكن يطعمُ في التزويج إلى أهل ذلك البيت أحد من العرب . وولدت ابنة حسان بن تُبّع لعمرو بن حُجْر الحارث بن عمرو ، وملك بعد عمرو بن تُبّع عبد كُلال بن مَثُوب ؛ وذلك أنّ ولّد حسان كانوا صغاراً ، إلّا ما كان من تُبّع بن حسان ؛ فإنّ الجنّ استهامته ، فأخذ الملك عبد كُلال بن مَثُوب مخافة أن يطعم في الملك غير أهل بيت المملكة ، فوليه بسنّ وتجربة وصياغة حسنة . وكان — فيما ذكروا — على دين النصرانية الأولى ، وكان يسير ذلك من قومه ، وكان الذي دعاه إليه رجل من غسان ، قدم عليه من الشام ، فوثب حَمِير بالفساني فقتلته ، فرجع تُبّع بن حسان من استهامة الجنّ إياه صحيحاً ، وهو أعلم الناس بنجْم ، وأعقل من تعلّم في زمانه ، وأكثره حديثاً عما كان قبله ، وما يكون في الزمان بعده . فلذلك تبع ابن حسان بن تُبّع بن مَلِكِيكَرِب بن تُبّع الأقرب ، فهابته حِمِير والعرب هبة شديدة ، فبعث بابن أخته الحارث بن عمرو بن حُجْر الكِنْدِي في جيش عظيم إلى بلاد معدّ والحيرة وما والاها ، فسار إلى النعمان بن امرئ القيس ٨٨٢/١ ابن الشقيقة فقاتله ، فقتل النعمان وعدّة من أهل بيته ، وهزم أصحابه وأفلته المنذر بن النعمان الأكبر وأمّه ماء الساء ، امرأة من التّمير ، فذهب ملك

آل النعمان ، وملك الحارث بن عمرو الكندي ما كانوا يملكون .

وقال هشام^(١) : ملك بعد النعمان ابنه المنذر بن النعمان وأمّه هند ابنة زيد مناة بن زيد الله بن عمرو الغساني أربعاً وأربعين سنة ، من ذلك في زمن بهرام جور بن يزدجيرد ثمانى سنين وتسعة أشهر ، وفي زمن يزدجيرد بن بهرام ثمانى عشرة سنة . وفي زمن فيروز بن يزدجيرد سبع عشرة سنة . ثم ملك بعده ابنه الأسود بن المنذر ، وأمّه هراينة النعمان من بنى الهيجمانة ، ابنة عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيان ، وهو الذى أسرته فارس عشرين سنة ، من ذلك في زمن فيروز بن يزدجيرد عشر سنين ، وفي زمن بلاش بن يزدجيرد أربع سنين ، وفي زمن قباذ بن فيروز ، ست سنين .

• • •

[ذكر ملك بلاش بن فيروز]

ثم قام بالملك بعد فيروز بن يزدجيرد ابنه بلاش بن فيروز بن يزدجيرد ابن بهرام جور ، وكان قباذ أخوه قد نازعه الملك ، فغلب^(٢) بلاش ، وهرب قباذ إلى خاقان ملك التتر يسأله المعونة والممدد ، فلما عُقِدَ التاج لبلاش على رأسه اجتمع إليه العظماء والأشراف فهتفوه ودعوا له ، وسألوه أن يكافئ سوخرا بما كان منه ، فخصه وأكرمه وجبّاه ، ولم يزل بلاش حسن السيرة ، حريصاً على الصيانة . وكان بلغ من حسن نظره أنه كان لا يبلغه أن بيتاً خرب وجلاً أهله عنه إلا عاقب صاحب القرية التى فيها ذلك البيت على تركه انتعاشهم وسد فاقتهم حتى لا يضطروا إلى الجلاء عن أوطانهم ، وبنى بالسواد مدينة سماها بلا شاود ، وهى مدينة ساباط التى بقرب المدائن . وكان ملكه أربع سنين .

• • •

[ذكر ملك قباذ بن فيروز]

ثم ملك قباذ بن فيروز بن يزدجيرد بن بهرام جور ، وكان قباذ قبل أن يصير الملك إليه قد سار إلى خاقان مستنصراً به على أخيه بلاش ، فرى طريقه بحدود

(٢) س : « فغلبه » .

(١) س : « غير هشام » .

نيسابور، ومعه جماعة يسيرة ممن شايعه على الشخص متكترين ، وفيهم زرميه بن سوخرا ، فتأقت نفس قباز إلى الجماع ، فشكا ذلك إلى زرميه ، وسأله أن يلتصق له امرأة ذات حسب ، ففعل ذلك ، وصار إلى امرأة صاحب منزله ، وكان رجلا من الأساورة ، وكانت له ابنة يكبر فائقة في الجمال ، فتتصع لها في ابنتها ، وأشار^(١) عليها أن تبعث بها إلى قباز ، فأعلمت ذلك زوجها ، ولم يزل زرميه يرغب المرأة وزوجها ، ويشير عليهما بما يرغبهما فيه حتى قعلا ، وصارت الابنة إلى قباز ، واسمها نيوندخت^(٢) ، فغشيها ٨٨٤/١ قباز في تلك الليلة ، فحملت بأنو شيروان ، فأمر لها بمجازة حسنة ، وجباها حياء جزيلًا .

وقيل : إن أم تلك البخارية سألتها عن هيئة قباز وحاله ، فأعلمتها أنها لاتعرف من ذلك غير أنها رأت سراويله منسوجا بالذهب ، فعلمت أمها أنه من أبناء الملوك وسرها ذلك . ومضى قباز إلى خاقان ، فلما وصل إليه أعلمه أنه ابن ملك فارس ، وأن أخاه ضاده في الملك وغلبه ، وأنه أناه يستنصره فوعده أحسن العدة ، ومكث قباز عند خاقان أربع سنين يدافعه بما وعده . فلما طال الأمر على قباز أرسل إلى امرأة خاقان يسألها أن تتخذ ولدًا ، وأن تكلم فيه زوجها ، وتسأله إنجاز عديته ففعلت ، ولم تزل تحمّل على خاقان حتى وجّه مع قباز جيشًا ، فلما انصرف قباز بذلك الجيش ، وصار في ناحية نيسابور سأل الرجل الذي كان أناه بالبخارية عن أمرها ، فاستخبر ذلك من أمها ، فأخبرته أنها قد ولدت غلامًا ، فأمر قباز أن يؤتى بها ، فأنته ومعها أنو شروان تقوده بيدها . فلما دخلت عليه سأله عن قصة الغلام ، فأخبرته أنه ابنه ، وإذا هو قد نزع إليه في صورته وجماله .

ويقال : إن الخبر ورد عليه في ذلك الموضع بهلاك بلاش ، فتمن بالمولود ، وأمر بحمله وحمل أمه على مراكب نساء الملوك ، فلما صار إلى المدائن^(٣) ،

(١) ت : « وسأله » .

(٢) ت : « بيوندخت » ، س : « بيوندخت » .

(٣) س : « بالمدائن » .

٨٨٥/١ واستوثق له أمرُ الملِكِ خصَّ سوخرا، وفوض إليه أمره، وشكرَ له ما كان من خدمة ابنه إياه، ووجه الجنودَ إلى الأطراف، ففتكوا في الأعداء، وسيّوا سبایا كثيرة، وبني بين الأهواز وفارس مدينةَ الرّجّان، وبني أيضاً مدينةَ حلوان، وبني بكورة أردشير خيرةً في ناحية كازرين^(١) مدينة يقال لها قباد خرة، وذلك سوى مدائن وقرى أنشأها، وسيّى أنهار احتفرها، وجسور عقدها. فلما مضت أكثر أيامه، وتولى سوخرا تدبير ملكه وسياسة أموره مال الناس عليه، وعاملوه واستخفوا بقباد، وهانوا بأمره، فلما احتنك لم يحتمل ذلك، ولم يرض به، وكتب إلى سابور الرازي - الذي يقال للبيت الذي هو منه مِهْران، وكان أصبّهجَ البلاد - في القدوم عليه فيمن قبله من الجند، فقدم سابور بهم عليه، فواصفه قباد حالة سوخرا، وأمره بأمره فيه، فغدا سابور على قباد فوجد عنده سوخرا جالساً، فشى نحو قباد متجاوزاً له متغافلاً^(٢) لسوخرا، فلم يأت به سوخرا لذلك من أرب سابور، حتى ألقى وهماً^(٣) كان معه في عنقه، ثم اجتنبه فأخرجه فأوثقه واستودعه السّجن، فحينئذ قيل: «نقصت ريع سوخرا وهبت لمِهْران ريع»^(٤)، وذهب ذلك مثلاً. وإن قباد أمر بعد ذلك بقتل سوخرا فقتل، وإنه لما مضى لملك قباد عشر سنين اجتمعت كلمة مؤبدان مؤبد والعظماء على إزالته عن ملكه، فأزالوه عنه وجسوه، لتابعته^(٥) لرجل يقال له مزدك مع أصحاب له قالوا: إن الله إنما جعل الأرزاق في الأرض ليقسمها العباد بينهم بالتامى، ولكن الناس ظالموا فيها، وزعموا أنهم يأخذون للفقراء من الأغنياء، ويردّون من الكثيرين على القليلين، وأنه من كان عنده فضل من الأموال والنساء والأمتعة فليس هو بأولى به من غيره، فافترس السّيلة ذلك واغتصموه، وكانفوا^(٦) مزدك وأصحابه وشيعتهم، فابتلى الناس بهم، وقوى أمرهم حتى كانوا يدخلون على الرجل في داره فيخلبونه على منزله

(١) س: «كازرين». ت: «كارين».

(٢) س: «متغافلاً».

(٣) الهمز: الحبل في طرفيه أنشوجة يطرح في حق الدابة أو الإنسان حتى يوطئ.

(٤) ت: «وهبت ريع هرام». (٥) ت: «لجايته».

(٦) المكافئة: المعاينة.

ونسائه وأمواله ، لا يستطيع الامتناع منهم ، وجعلوا قبّاذ على تزوين ذلك وتوعده بخلعه ، فلم يلبثوا إلا قليلا حتى صاروا لا يعرف الرجل منهم ولده ، ولا المولود أباه ، ولا يملك الرجل شيئا مما يتسع به . وصيروا قبّاذ في مكان لا يصل إليه أحد سواهم ، وجعلوا أخا له يقال له جاماسب مكانه ، وقالوا لقبّاذ : إنك قد أثمت فيما عملت به فيما مضى ، وليس يظهر لك من ذلك إلا إباحة نسائك ، وأرادوه على أن يدفع إليهم نفسه فيذبحوه ويجعلوه قربانا للنار ، فلما رأى ذلك زرميهر بن سوخرا خرج بمن شايعه من الأشراف بأذلا نفسه ، فقتل من المزدكية ناسا كثيرا ، وأعاد قبّاذ إلى ملكه ، وطرح أخاه جاماسب . ثم لم يزل المزدكية بعد ذلك إنما يحرشون قبّاذ على زرميهر حتى قتله ، ولم يزل قبّاذ من خيار ملوكهم حتى حمله مزدك على ما حمله عليه ، فانتشرت (١) الأطراف وضدت الثغور .

• • •

وذكر بعض أهل العلم بأخبار الفرس أن العظماء من الفرس هم حبسوا قبّاذ حين اتبع مزدك وشايعه على ما دعاه اليه من أمره ، وملكوا مكانه أخاه جاماسب بن فيروز ، وأن أخا لقبّاذ أتت الحبس الذي كان فيه قبّاذ محبوسا ، فحاولت الدخول عليه (٢) ، فنهاه إياه الرجل الموكل كان بالحبس ومن فيه ، وطمع الرجل أن يفصحها بذلك السبب ، وألّى إليها طمعه فيها ، فأخبرته أنها غير مخالفتة في شيء مما يهوى منها ، فأذن لها فدخلت السجن فاقامت عند قبّاذ يوما ، وأمرت فلئف قبّاذ في بساط من البسط التي كانت معه في الحبس ، وحمل على غلام من غلمانه قوي ضابط ، وأخرج من الحبس . فلما مرّ الغلام بوالى الحبس سأله عما كان حامله فأفحم ، واتبعته أخت قبّاذ فأخبرته أنه فیراش كانت افترشته في عيراكها ، وأنها إنما خرجت لتتطهر وتنصرف ، فصدقها الرجل ولم يمس البساط ، ولم يدن منه استقذارا له ، وخطى عن الغلام الحامل لقبّاذ ، فضى بقبّاذ وضعت على أثره . وهرب قبّاذ فلحق بأرض الهياطلة ليستمد ملكها ويستجيشه فيحارب

من خالفه وخلعه . وأنه نزل في مبدئه^(١) إليها بأبر شهر رجل من عظام أهلها ، له ابنة مُعَصِر^(٢) ، وأن نِكَاحَه أم كسرى أنوشروان كان في سفره^(٣) هذا ، وأن قباد رجع من سفره ذلك معه ابنه أنوشروان وأمّه ، ففَلَسَبَ أخاه جاماسب على مُلْكِهِ بعد أن مَلَكَ أخوه جاماسب ست سنين ، وأنه قباد غزا بعد ذلك بلاد الروم ، وافتتح منها مدينة من مدُن الجزيرة تُدعى آمِد ، وسبى أهلها ، وأمر فُبَيْتَ في حد ما بين فارس وأرض الأهواز مدينة ، وسمّاها رامقباد^(٤) ، وهي التي تُسمى بومقباد^(٥) ، وتُدعى أيضاً أرجان وكور كورة ، وجعل لها رساتيق من كورة سرق ، كورة رام هرْمَز ، ومَلَكَ قبادُ ابنه كسرى ، وكتب له بذلك كتاباً وختمه بخاتمه .

فلما هلك قبادُ — وكان مُلْكُهُ بسنن^(٦) مُلْكِ أخيه جاماسب : ثلاثاً وأربعين سنة — فنَفَذَ كسرى ما أمر به قباد من ذلك .

(١) الأصول : « مبداه » .

(٢) المعصر : البنت التي بلغت شباهها ، وفي س : « محسن » .

(٣) ت : « سيره » .

(٤) ط : « رام قباد » ، وما أثبت من تصحيحات ط ص ٥٩١ .

(٥) ط : « بومقباد » ، وانظر تصويبات ط .

(٦) ت : « كسرى » .

ذكر ما كان من الحوادث التي كانت بين العرب في أيام قبّاذ في مملكته وبين عمّاله

وحدّثتُ عن هشام بن محمد، قال: لما لقي الحارث بن عمرو بن حُجْر ابن عدى الكندي النعمان بن المنذر بن امرئ القيس بن الشقيقة قتله، وأفكته المنذر بن النعمان الأكبر، وملك الحارث بن عمرو الكندي ما كان يملك، بعث قبّاذ بن فيروز ملك فارس إلى الحارث بن عمرو الكندي: إنه قد كان بيننا وبين الملك الذي قد كان قبلك عهدٌ، وإنّي أحبُّ أن ألقاك. وكان قبّاذ زنديقاً يُظهرُ الخيرَ ويكره الدماءَ، ويدارِ أعداءه فيما يكره من سفك الدماءِ، وكثرت الأهواءُ في زمانه، واستضعفه الناسُ، فخرج إليه الحارث بن عمرو الكندي في عددٍ وعدّةٍ حتى التقوا بقطرة القسيوم، فأمر قبّاذ بطبق من تمر فتزّرع نواه، وأمر بطبق فجعل فيه تمر فيه نواه، ثم وضعاً بين أَيْلِهما، فجعل الذي فيه النوى يلى الحارث بن عمرو، والذي لا نوى فيه يلى قبّاذ. فجعل الحارث يأكل التمر ويلقى النوى، وجعل قبّاذ يأكل ما يليه، وقال للحارث: مالك لا تأكل مثل^(١) ما آكل! فقال: [له الحارث] إنما يأكل النوى إيلنا وغنمنا. وعلم أن قبّاذ يهزأ به، ثم اصطالحا على أن يُورد الحارث بن عمرو ومن أحب من أصحابه خيولهم القرات إلى ألبابها^(٢)، ولا يجاوزوا أكثر من ذلك. فلما رأى الحارث ما عليه قبّاذ من الضعف طمّس في السواد، فأمر أصحاب مسالحه أن يقطعوا القرات فيغيروا في السواد، فألق قبّاذ الصريع وهو بالمداخن فقال: هذا من تحت كنتف مُلكيهم. ثم أرسل إلى الحارث بن عمرو أن لصوصاً من لصوص

(١) ط: « ما ذكر »، وما أثبت عن ت.

(٢) ت: « من ».

(٣) ت: « كما أكل ».

(٤) تكلّة من ت.

(٥) الألباب: جمع لب، وهو المنحر.

العرب قد أغاروا ، وأنه يحب لقاءه . فلقىّه ، فقال له قُبّاذ : لقد صنعت صنيعاً ما صنعه أحد قبلك ، فقال له الحارثُ : ما فعلتُ ولا شعرتُ ، ولكنها لصوصٌ من لصوص العرب ، ولا أستطيع ضبط العرب إلاّ بالمال والجنود ، قال له قبّاذ : فما الذى تريد ؟ قال : أريدُ أن تُطعِمَنى من السّواد ما أتخذُ به سلاحاً ، فأمر له بما يلى جانب العرب من أسفل الفرات ، وهى ستّة طاسيج^(١) ، فأرسل الحارثُ بن عمرو الكنديّ إلى تَبَع وهو باليمن : إني قد طمعت فى مَلِكِ الأعاجم ، وقد أخذتُ منه ستّة طاسيج ، فاجتمع الجنودُ وأقبل فإنه ليس دون مَلِكهم شىءٌ لأن الملكَ [عليهم] ^(٢) لا يأكلُ اللحم ، ولا يستحلُّ هراقة الدّماء لأنه زنديق . فجمع تَبَعُ الجنود ، وسار حتى نزل الحيرة وقرب من الفُرات ، فأذاه البق ، فأمر الحارث بن عمرو أن يَشُقَّ له نهراً إلى النّجف ففعل ، وهو نهر الحيرة . فزل عليه ووجه ابن أخيه شَميراً ذا الجناح إلى قبّاذ ، فقاتله فهزمه شمرٌ حتى لحق بالرى ، ثم أدركه بها فقتله ، وأمضى تَبَعُ شَميراً ذا الجناح إلى خراسان ، ووجه تَبَعُ ابنه حسان إلى الصّغد ، وقال : أتُكَمَا سبقَ إلى الصين فهو عليها . وكان كل واحد منهما فى جيشٍ عظيم ، يقال : كانا فى ستّمائة ألفٍ وأربعين ألفاً . وبعث ابن أخيه يعفر إلى الروم ، وهو الذى يقول :

أيا صاح عَجَبُكَ للداهيةَ لخميرِ إذ نزلوا الجابيةَ !
ممانون ألفاً رَوّاهو لكل ثمانية راويةَ

فسار يعفر حتى أتى القسطنطينيّة ، فأعطوه الطاعة والإتاوة ، ثم مضى إلى رومية^(٣) وبينهما مسيرة أربعة أشهر ، فحاصرها وأصاب منّ معه جوعٌ ، ووقع فيهم طاعونٌ فرّقوا ، فأبصرهم الرومُ وما لقوا ، فوثبوا عليهم فقتلهم ، فلم يُغَلِّتْ منهم أحدٌ . وسار شَميرٌ ذو الجناح حتى أتى سَمَرْقَنْدَ ، فحاصرها

(١) طاسيج : جمع طوج ؛ وهو الناحية .

(٢) تكلمة من ت .

(٣) ت ه الروية .

فلم يظفر بشيء منها . فلما رأى ذلك أطاف بالحرس ، حتى أخذ رجلا من أهلها ، فسأله عن المدينة ومليكها ، فقال له : أما ملكها فأحمق الناس ، ليس له هم إلا الشراب والأكل ، وله ابنة وهي التي تقضي أمر الناس . فبعث معه بهدية إليها ، فقال له : أخبرها أنني إنما جئت من أرض العرب للذي بلغني من عقلها لتسكيحني نفسها ، فأصيب منها غلاماً يملك العجم والعرب ، وأنى لم أجد ألتبس المال ، وأن معي أربعة آلاف تابوت من ذهب وفضة هاهنا ، فأنا أدفعها إليها ، وأمضي إلى الصين ، فإن كانت الأرض لي كانت امرأتى ، وإن هلكت كان ذلك المال لها . فلما أنهت ^(١) إليها رسالته قالت : قد أجبتك فليبعث بما ذكر ، فأرسل إليها أربعة آلاف تابوت ، في كل تابوت رجلان ، فكان لسمرقند أربعة أبواب على كل باب منها أربعة آلاف رجل ، وجعل العلامة بينه وبينهم أن يضرب لهم بالجلجل . وتقدم في ذلك إلى رؤسائه الذين وجّه معهم ، فلما صاروا في المدينة ضرب لهم بالجلجل فخرجوا ، فأخذوا بالأبواب ، وهبدهم في الناس ، فدخل المدينة فقتل أهلها وحوى ما فيها . ثم سار إلى الصين ، فلقى زحوف الترك فهزمهم ، ومضى إلى الصين فوجد حسان بن تبع قد كان سبقه إليها بثلاث سنين ، فأقاما بها - فيما ذكر بعض الناس - حتى ماتا . وكان مقامهما إحدى وعشرين سنة .

قال : وقال من زعم أنهما أقاما بالصين حتى هلكا : إن تبعاً جعل النار فيما بينه وبينهم ، فكان إذا حدث حدث أوقدوا النار بالليل ، فأقى الخبر في ليلة ، وجعل آية ما بينه وبينهم أن إذا أوقدت نارين من عندي فهو هلاك يعفر ، وإن أوقدت ثلاثاً فهو هلاك تبع ، وإن كانت من عندي نار فهو هلاك حسان ، وإن كانت نارين فهو هلاكهما . فكنوا بذلك .

ثم إنه أوقد نارين فكان هلاك يعفر ، ثم أوقد ثلاثاً فكان هلاك تبع . قال : وأما الحديث المجمع عليه فإن شميراً وحسان انصرفا في الطريق الذي كانا أخذا فيه حيث بدأ ، حتى قدما على تبع بما حازا من الأموال بالصين ، وضئف

البحر^(١) والطَّيْب والسَّيِّ ، ثم انصرفوا جميعاً إلى بلادهم ، وسار^(٢) تُبَّعَ حتى قدِمَ مَكَّةَ ، فَنَزَلَ بِالشَّعْبِ مِنَ الْمَطَايِخِ^(٣) ، وكانت وفاةُ تُبَّعَ بِالْيَمَنِ ، فلم يخرج أحدٌ من ملوكِ اليمنِ بعدهُ عنها غازیاً إلى شيءٍ من البلاد ، وكان مُلْكُهُ مائَةً وإحدى وعشرين سنة .

قال : ويُقال إنه كان دخل في دين اليهود للأخبار الذين كانوا يخرجوا من يثرب مع تُبَّعَ إلى مَكَّةَ عِدَّةٌ كثيرة .

قال : ويقولون : إن عِلْمَ كعب الأخبار كان من بقية ما أُوْرثَتْ تلك الأخبارُ ، وكان كعبُ الأخبار رجلاً من حمير .

وأما ابنُ إسحاق فإنه ذكر أنَّ الذي سار إلى المشرق من التابعةِ تُبَّعَ الآخرُ ، وأنه تبعُ ثُبَّان أسعد أبو كرب بنِ مَلِكِيكَرِب بنِ زيد بن عمرو ذي الأذعار ، وهو أبو حسان ، حدثنا بذلك ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عنه .

• • •

[ذكر ملك كسرى أنوشيروان]

ثم ملك كِسْرَى أَنْوْشِيرَوَان بن قُبَادَ بن فيروزَ بن يَزْدَجِرْدَ بن بهرام جور . فلما ملك كتب إلى أربعة فافوسبانيين - كان كل واحد منهم على ناحية من نواحي بلاد فارس ومن قبلهم - كُتُباً نُسخةُ كتابه منها إلى فافوسبان أذربيجان : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : من الملك كسرى بن قُبَادَ إلى وارى ابن النخبرجان فافوسبان أذربيجان وأرمينية وحيزها ، ودُبَاوَنَد وطبرستان وحيزها ، ومن قبله : سلام ، فإن أخرى ما استوحشَ له الناسُ فَقَدُ مَنْ تَخَوَّفُوا في فَقْدِهِمْ لِيَأْتَهُ زَوَالُ النَّعِيمِ وَوُقُوعُ الْفِتَنِ ، وحُلُولُ الْكَارِهِ بِالْأَفْضَلِ فَالْأَفْضَلُ مِنْهُمْ ، في نَفْسِهِ أَوْحَشِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ كَرِيمِهِ ، وَإِنَّا لَا نَعْلَمُ

٨٩٣/١

(١) س : « البحر » .

(٢) ت : « ثم سار » .

(٣) المطايخ : موضع بمكة ، ذكره ياقوت ؛ وقال : « مذكور في قصة تبع » .

وَحَشَّةٌ وَلَا قَدْرَ شَيْءٍ أَجَلَ رَزِيَّةٍ عِنْدَ الْعَامَةِ ، وَلَا أُحْرَى أَنْ تَعُمَّ بِهِ الْبَلِيَّةُ مِنْ
فَقْدِ مَلِكٍ صَالِحٍ .

وإن كَسِرَى لما استحكم له المُلْكُ أَبْطَلَ مَلَّةَ رَجُلٍ مُنَافِقٍ مِنْ أَهْلِ
فَسَا يُقَالُ لَهُ : « زَادُ شَتِّ » ^(١) بِنِ خُرَّكَانٍ « ابْتَدَعَهَا فِي الْمَجُوسِيَّةِ ، فَتَابَعَهُ النَّاسُ »
عَلَى بَدْعَتِهِ تِلْكَ ، وَفَاقَ أَمْرُهُ فِيهَا ، وَكَانَ مَمَّنْ دَعَا الْعَامَةَ إِلَيْهَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ
مَذْرِيَّةٍ ^(٢) يُقَالُ لَهُ : « مَزْدَقُ بْنُ بَامَدَاذٍ » ^(٣) ، وَكَانَ مِمَّا أَمَرَ بِهِ النَّاسُ وَرِثَتَهُ لَمْ
وَحْشَتُهُمْ عَلَيْهِ ، التَّاسِي فِي أُمُومِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ ، وَذَكَرَ أَنْ ذَلِكَ مِنَ الْبِرِّ الَّذِي يَرْضَاهُ
اللَّهُ وَيُثِيبُ عَلَيْهِ أَحْسَنَ الثَّوَابِ ، وَأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ الَّذِي أَمَرَهُمْ بِهِ ، وَحْشَتُهُمْ
عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ كَانَ مَكْرُمَةً فِي الْفِعَالِ ، وَرِضًا فِي التَّفَاوُضِ . فَحَضَرَ
بِذَلِكَ السَّفَلَةَ عَلَى الْعِلْيَةِ ، وَاخْتَلَطَ لَهُ أَجْنَاسُ الْوُجَاهِ بِعُنَاصِرِ الْكُرْمَاءِ ،
وَسَهَّلَ السَّبِيلَ ^(٤) لِلْغَضَبَةِ إِلَى الْغَضَبِ ، وَلِلظُّلْمَةِ إِلَى الظُّلْمِ ، وَلِلْعَهَارِ إِلَى
قَضَاءِ نَهْمَتِهِمْ ، وَالْوُصُولِ إِلَى الْكَرَاهِمِ الَّتِي لَمْ يَكُونُوا يَطْمَعُونَ فِيهَا ، وَشَمِلَ
النَّاسَ بَلَاءٌ عَظِيمٌ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَهْدٌ بِمِثْلِهِ . فَنَهَى النَّاسُ كَسِرَى عَنِ السَّيْرِ
بِشَيْءٍ مِمَّا ابْتَدَعَ زَرَادُشْتُ ^(٥) خُرَّكَانَ ، وَمَزْدَقُ بْنُ بَامَدَاذٍ ^(٦) ، وَأَبْطَلَ
بَدْعَتَهُمَا ، وَقَتَلَ بَشَرًا كَثِيرًا ثَبَتُوا عَلَيْهِمَا ، وَلَمْ يَنْتَهَوْا عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ مِنْهَا ،
وَقَفُوا مِنَ الْمَانِيَةِ ، ^(٧) وَثَبَّتَ لِلْمَجُوسِ مِلَّتَهُمُ الَّتِي لَمْ يَزَالُوا عَلَيْهَا .

وَكَانَ يَلِي الإِصْبَهَنَةَ وَهِيَ الرِّيَاسَةُ عَلَى الْجُنُودِ - قَبْلَ مُلْكِهِ رَجُلٌ ،
وَكَانَ إِلَيْهِ إِصْبَهَنَةُ الْبِلَادِ ، فَفَرَّقَ كَسِرَى هَذِهِ الْوَلَايَةَ وَالْمَرْتَبَةَ بَيْنَ أَرْبَعَةِ
إِصْبَهَنِيِّينَ ، مِنْهُمْ أَصْبَهَنُ الْمَشْرِقِ وَهُوَ خِرَاسَانُ وَمَا وَالَاهَا ، وَأَصْبَهَنُ الْمَغْرِبِ ،
وَأَصْبَهَنُ نِيْمِرُوزَ ، وَهِيَ بِلَادُ الْيَمَنِ ، وَأَصْبَهَنُ أَذْرَبِيْجَانَ وَمَا وَالَاهَا ، وَهِيَ

(١) س : « زَرْدَشْت » .

(٢) ت : « مَذْرِيَّة » .

(٣) ت : « بَامَاد » .

(٤) س : « السَّبِيل » .

(٥) س : « زَرْدَشْت » .

(٦) ت : « بَامَاد » .

(٧) تَجَارِبُ الْأُمَمِ ١ : ١٧٧ : « الْمَانِيَّة » .

بلادُ الخزر ، [وما والاها] ^(١) ؛ لما رأى في ذلك من النظامِ المُلكي ، وقوى
المقاتلةِ بالأسلحةِ والكراع ، وارتجع بلاداً كانت من مملكةِ فارس ، خرج
بعضها من يد الملكِ قَبَاذَ إلى ملوكِ الأممِ لعل شتّى وأسباب ، منها السند ،
وبُسْت ، والرُخْج ، وزابلستان ، وطخارستان ، ودرّستان ، وكابلستان ،
وأعظمَ القتلِ في أمةٍ يقالُ لها البارز ، ^(٢) وأجلى بقيتهم عن بلادهم ،
وأسكنهم مواضعَ من بلادِ مملكته ، وأذعنوا له بالعبودية ، واستعان بهم في
حروبه ، وأمر فأسيرت أمةٌ أخرى ، يقال لها صول ، وقُدِمَ بهم عليه ،
وأمر بهم فقتلوا ، ما خلا ثمانين رجلاً من كُمانهم استحيام ، وأمر بإنزالهم
شهرام فيروز ، يستعين بهم في حروبه .

٨٩٥/١

وإن أمةً يقال لها أبخير ، وأمةٌ يقال لها بنجر ، وأمةٌ يقال لها بلنجر ،
وأمةٌ يقال لها الآن ، تماثلوا على غزو بلادهم ، وأقبلوا إلى أرمينية ليغيروا على
أهلها ، وكان مَسْلُكُهُمْ إليها يومئذ سهلاً مُمَكِّناً ، فأغضى كسرى على
ما كان منهم ، حتى إذا تمكّنوا في بلادهم وجّه إليهم جنوداً ، فقاتلهم واصطلموهم
ما خلا عشرة آلاف رجلٍ منهم أسروا ، فأُسْكِنُوا أَذْرَبِيْجَانَ وما والاها ،
وكان الملكُ فيروزُ بنى في ناحيةِ صول والأَن بناءً بصخرٍ أرادَه ^(٣) أن
يحصنَ بلادَه عن تناولِ تلكِ الأممِ إيّاها ، وأحدثَ الملكُ قَبَاذُ بن فيروز
من بُعدٍ أبيه في تلكِ المواطنِ بناءً كثيراً ، حتى إذا ملكَ كسرى أمرَ فُنُسَيْتَ
في ناحيةِ صول بصخرٍ منحوتٍ في ناحيةِ جرجانَ مدنٍ وحصونٍ وآكامٍ
وبنيانٍ كثيرٍ ، ليكونَ حِزْزاً لأهلِ بلادِهِ يلجئون إليها من عدوٍ إن دهمهم .

وإن سِنْجِيْوُ خاقانَ كانَ أَمْنَعَ التُّركِ وأشجعهم ، وأعزهم وأكثرهم
جنوداً ، وهو الذي قاتلَ وزر ^(٤) مَلِكَ الهياطلةِ غيرَ خائفٍ كثرةِ الهياطلةِ
ومتعتهم ، فقتلَ وزرَ مَلِكُها وعامةَ جنوده ، وغنمَ أموالهم ، واحتوى على

(١) تكلة من ت .

(٢) الأصول : « البارز » .

(٣) ت : « أراد » .

(٤) ت : « دوز » .

ببلادهم إلا ما كان كسرى غلب عليه منها ، وإنه استمال أبخر ، وبنجر ، وبلنجر ؛ فتحوه طاعتهم وأعلموه أن ملوك فارس لم يزالوا يتقونهم بفداء يكفونهم^(١) به عن غزو بلادهم ، وإنه أقبل في مائة ألف وعشرة آلاف مقاتل حتى شارف ما وإلى بلاد صول ؛ وأرسل إلى كسرى في توعده منه إياه واستطالة عليه ، أن يبعث إليه بأموال ، وإلى أبخر وبنجر وبلنجر بالفداء الذي كانوا يعطونه إياه قبل ملك كسرى ، وأنه إن لم يعجل بالبعثة إليه بما سأل وطيب بلاد وناجزه . فلم يخجل كسرى بوعيده ، ولم يجبه إلى شيء مما سأله لتحسينه كان ناحية باب^(٢) صول ، ومناعة السبل والفيجاج التي كان سنجبوا خاقان سالكتها إياه ، ولمعرفته كانت بمقدرته على ضبط ثغر أرمينية بخمسة آلاف مقاتل من الفرسان والرجالة .

فبلغ سنجبوا خاقان تحصيل كسرى ثغر صول ، فانصرف بمن كان معه إلى بلاده خائبا ، ولم يقدر من كان بإزاء جرجان من العدو — للحصون التي كان أمر كسرى فبنيت حوليتها — أن يشنوها بغارة ، ويفليوا عليها ، وكان كسرى أنوشيروان قد عرف الناس منه فضلا في رأيه وعلمه وعقله ، وبأسه وحزمه ، مع رأفته ورحمته بهم ، فلما عقيد التاج على رأسه دخل إليه العظماء والأشراف فاجتهدوا في الدعاء له ، فلما قضوا مقالتهم ، قام خطيبا ، فبدأ بذكر نعيم الله على خلقه عند خلقه إياهم ، وتوكله بتدبير أمورهم ، وتقدير الأقوات والمعاش لهم ، ولم يدع شيئا إلا ذكره في خطبته ، ثم أعلم الناس ما ابتلوا به من ضياع أمورهم ، وانحطاد دينهم ، وفساد حالهم في أولادهم ومعاشهم ، وأعلمهم أنه ناظر فيما يصلح ذلك ويحسبهم ، وحث الناس على معاونته .

٨٩٧/١

ثم أمر بروس المزدكية فضربت أعناقهم ، وقسمت أموالهم في أهل الحاجة ، وقتل جماعة كثيرة ممن كان دخل على الناس في أموالهم ، ورد الأموال إلى أهلها ، وأمر بكل مولود اختلِف فيه عنده أن يُلحق بمن هو منهم ؛ إذا لم

(١) س : « ويكفونهم » .

(٢) س : « بلاد » .

يُعرف أبوه ، وأنَّ يُعطى نصيباً من مال الرجل الذي يُسندُ إليه إذا قبله الرجلُ ، وبكلِّ امرأة غُلبت على نفسها أن يُؤخذَ الغالبُ لها حتى يفرمَ لها مهرهاً ، ويرضى أهلها . ثم تُخَيَّرُ المرأة بين الإقامة عنده ، وبين تزويج من غيره ؛ إلاَّ أن يكونَ كان لها زوج أوَّل ، فتردَّ إليه . وأمر بكلِّ من كان أضربَ برجل في ماله أو ركب أحداً بمظلمة أن يُؤخذ منه الحقُّ ثم يعاقب الظالم بعد ذلك بقدر جرَّمه . وأمر بعيال ذوى الأحساب الذين مات قَتيلهم فكتَّبوا له ، فأنكح بناتهم الأكفاء ، وجعل جهازهم من بيت المال ، وأنكح شبانهم من بيوتات الأشراف وساق عنهم ، وأغظهم ، وأمرهم بملازمة بابليستان بهم في أعماله ، وخيَّر نساء والده بين أن يقيمْنَ مع نساته فيواسين ويصرنَ في الأجر إلى أمثالهنَّ ، أو يبتغي لهنَّ أكفاءهنَّ من البعولة . وأمر بكَرَى الأتجار ، وحفر القنَّي وإسلاف^(١) أصحاب العمارات وتقويتهم ؛ وأمر بإعادة كلِّ جسر قطع أو قنطرة كسرت ، أو قرية خربت أن يردَّ ذلك إلى أحسن ما كان عليه من الصلاح ، وتقنَد الأساورة ، فن لم يكن له منهم يسار قوَاه بالدواب والعدَّة ، وأجرى لهم ما يُقوِّهم ووكلَ ببيوت النيران ، وسهَّل سبل الناس ، وبني في الطرق القصور والحصون ، وتخيَّر الحكام والعَمال والولاة ، وتقَدَّم إلى مَنْ ولى منهم أبلغ التقدُّم ، وعمد إلى سِجَر أردشير وكتبه وقضاياه ، فاقتدى بها وحَمَّل الناس عليها ، فلما استوثق له المُلْك ، ودانت له البلاد سار نحو أنطاكيةَ بعلنين من مُلكه ، وكان فيها عظماء جنود قيَّصر ، فاقتحمها . ثم أمر أن تُصوَّر له مدينة أنطاكيةَ على ذرعها وعدد منازلها وطرقها ، وجميع ما فيها ، وأن يبتنى له على صورتها مدينة إلى جنب المدائن ، فبنيت المدينة المعروفة بالرومية على صورة أنطاكية ، ثم حمل أهل أنطاكيةَ حتى أسكنهم إياها .

٨٩٨/١

فلما دخلوا باب المدينة مضى أهلُ كل بيت منهم إلى ما يشبه منازلهم التي كانوا فيها بأنطاكيةَ ؛ كأنهم لم يخرجوا عنها . ثم قصد لمدينة هرقل فاقتحمها ، ثم الإسكندرية وادونها ، وخلف طائفة من

جنوده بأرض الروم ، بعد أن أذعن له ^(١) قتيصر وحمل إليه القدية ، ثم انصرف من الروم ، فأخذ نحو الخزر فأدرك فيهم تبّله ، وما كانوا وتروه به في رعيته. ثم انصرف نحو عدّان ، فسكّر ناحية من البحر هناك بين جبلين مما يلي أرض الحبشة بالسفن العظام والصخور وعمد الحديد والسلاسل . وقتل عظماء تلك البلاد .

ثم انصرف إلى المدائن ؛ وقد استقام له مادون هرقله من بلاد الروم وأرمينية ، وما بينه وبين البحرين من ناحية عدّان .

٨٩٩/١

وملك المنذر بن النعمان على العرب وأكرمه ، ثم أقام في ملكه بالمدائن ، وتعاهد ما كان يحتاج إلى تعاehده . ثم سار بعد ذلك إلى الهياطلة مطالباً بوثر فيروز جدّه - وقد كان أنوشروان صاهر خاقان قبل ذلك - فكتب إليه قبل شخوصه يُعلمه ما عزم عليه ، ويأمره بالمسير إلى الهياطلة . فأتاهم ، فقتل ملكهم ، واستأصل أهل بيته وتجاوزَ بلسخ وما وراءها ، وأزل جنوده فرغانة . ثم انصرف من خراسان ، فلما صار بالمدائن وافاه قوم يستنصرونه على الحبشة ، فبعث معهم قائداً من قواده في جند من أهل الديلم وما يليها ، فقتلوا مسروقاً الحبشيّ باليمن ، وأقاموا بها .

ولم يزل مظفراً منصوراً تهابه جميع الأمم ، ويحضر بابه من وفودهم عدد كثير من الترك والصين والخزر ونظرائهم ، وكان مكرماً للعلماء .

. . .

وملك ثمانيا وأربعين سنة ، وكان مولد النبي صلى الله عليه وسلم في آخر ملك أنوشروان .

قال هشام : وكان ملك أنوشروان سبعا وأربعين سنة . قال : وفي زمانه ولد عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في سنة اثنتين وأربعين من سلطانه ..

قال هشام : لما قوى شأن أنوشيروان بعث إلى المنذر بن النعمان الأكبر - وأمه ماء السماء امرأة من النَمِير^(١) - فملكه الحيرة وما كان إلى آل الحارث بن عمرو ، آكل المَرَار . فلم يزل على ذلك حتى هلك .
قال : وأنوشيروان غزا بَرْجَان ، ثم رجع فبنى الباب والأبواب .

وقال هشام : ملك العرب من قبيل ملوك القرس بعد الأسود بن المنذر أخوه المنذر بن المنذر بن النعمان - وأمه هير ابنة النعمان - سبع سنين .
ثم ملك بعده النعمان بن الأسود بن المنذر - وأمه أم الملك ابنة عمرو بن حَجْر أخت الحارث بن عمرو الكِنْدِي - أربع سنين .
ثم استخلف أبو يعفر بن علقمة بن مالك بن عدى بن النميل بن ثور ابن أسس بن ربي^(٢) بن ثَمارة بن لَحْم ، ثلاث سنين .

ثم ملك المنذر بن امرئ القيس البدء - وهو ذو القرنين ، قال : وإنما سمي بذلك لضفيريته^(٣) كانتا له من شعره ، وأمه ماء السماء ، وهي مارية ابنة عَوْف ابن جُشَم بن هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضبيحان ابن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النَمِير بن قاسط ؛ فكان جميع مملكه تسعاً وأربعين سنة .
ثم ملك ابنه عمرو بن المنذر - وأمه هند ابنة الحارث بن عمرو بن حَجْر آكل المَرَار - ست عشرة سنة .

قال : ولثاني سنين وثمانية أشهر^(٤) من مَلِك عمرو بن هند ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وذلك في زمن أنوشيروان وعام القيل الذي غزا فيه الأشرم أبو يكسوم البيت .

(١) س : ر : « النَمِير » .

(٢) س : « أربي » .

(٣) ط : « لضفيريته كانتا » ؛ وما أثبت من س ، ل .

(٤) س : « ستة أشهر » .

ذكر بقية خبر تبع أيام قباذ وزمن أنوشروان وتوجيه الفرس الجيش إلى اليمن لقتال الحبشة وسبب توجيهه إليهما

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: كان تبع الآخر وهو تبان أسعد أبو كَرَب حين أقبل من المشرق، جعل طريقه على المدينة، وقد كان حين مر بها في بدوته لم يهيج أهلها، وظلّف بين أظهرهم ابناً له، فقتل غيلة، فقدمها وهو مجتمع لإخربائها، واستصال أهلها وقطع نخلها، فجمع له هذا الحى من الأنصار حين سمعوا بذلك من أمره ليمتنعوا منه، ورئيسهم يومئذ عمرو بن الطلة، أحد بني النجار، ثم أحد بني عمرو بن مبنول، فخرجوا لقتاله. وكان تبع حين نزل بهم، قد قتل رجل منهم من بني عدى بن النجار يقال له أحمر - رجلاً من أصحاب تبع، وجده في عدق^(١) له يحدّه، فضربه بمنجله فقتله، وقال: إنما الثمر لمن أبتره، ثم ألفاه حين قتله في بئر من آبارهم معروفة يقال لها: ذات تومار. فزاد ذلك تبعاً عليهم حنقاً.

فبينما تبع على ذلك من حربه وحربهم يقاتلهم ويقاتلون - قال: فترعم الأنصار أنهم كانوا يقاتلون بالنهار، ويقرؤون بالليل فيمجيهم ذلك منهم؛ ويقول: والله إن قومنا هؤلاء لكرام - إذ جاءه حبران من أجبار يهود من بنى قريظة، عالمان راسخان حين سمعا منه ما يريد من إهلاك المدينة وأهلها، فقالا له: أيها الملك لا تفعل، فإنك إن أبيت إلا ما تريد حيل بينك وبينها، ولم تأمن عليك عاجل العقوبة، فقال لهما: ولم ذاك؟ فقالا: هي مهاجرة نبي يخرج من هذا الحى من قريش في آخر الزمان، تكون داره وقراره فتهاوى عند ذلك من قولهما عما كان يريد بالمدينة، ورأى أن لهما علماً، وأعجبه ما سمع منهما. فانصرف عن المدينة، وخرج بهما معه إلى اليمن واتبعهما على دينهما. وكان اسم الحبرين كعباً وأسداً، وكانا من بنى قريظة، وكانا

(١) الذق بالفتح: النخلة بما عليها من الثمر، والجد هنا: القطع. (٢) أبتره: أصلحه.

ابن عم ، وكانا أعلم أهل زمانهما كما ذكر لي ابن حميد ، عن سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن عمرو ؛ عن أبان بن أبي عياش ، عن أنس بن مالك ، عن أشياخ من قومه ممن أدرك الجاهلية ؛ فقال شاعر من الأنصار وهو خال ابن عبد العزى بن غزية بن عمرو بن عبدة بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار ، في حربهم وحرب تبّع ، يفتخر بعمر بن طلحة ويذكر فضله وامتناعه :

أَصْحَا أُمِ انْتَهَى ذُكْرُهُ أُمُ قَفَى مِنْ لَذَّةٍ وَطَرُهُ ^(١)
 أُمُ تَذَكَّرْتَ الشَّبَابَ وَمَا ذِكْرُكَ الشَّبَابَ أَوْ عَصَرُهُ ^(٢)
 إِنَّمَا حَرْبٌ رِبَاعِيَّةٌ مِثْلَهَا آتَى النَّقَى عِبْرَهُ ^(٣)
 فَسَلَا عِزَّانَ أَوْ فَسَلَا أَشْدَأْ ذَيْدُومَعَ الزُّهْرَهُ ^(٤)
 فَيَلَقَى فِيهَا أَبُو كَرِبٍ سَائِفًا أَبْدَانَهَا ذَفِرَهُ ^(٥)
 ثُمَّ قَالُوا مَنْ يَوْمٌ بِهَا أَبْنَى عَوْفٍ أُمِ النَّجْرَةِ ^(٦)
 يَأْتِي النَّجَّارَ إِنْ لَنَا فِيهِمْ قَبْلَ الْأَوَانِ تِرَهُ ^(٧)
 فَتَلَقَّيْنَاهُمْ عَشْفَةً مَدَّهَا كَالْقَبِيَةِ النَّيْرَهُ ^(٨)

٩٠٣١٠

- (١) الخبر والشعر في ابن هشام ١ : ٢٥ - على هامش الروض الأنف . والذكر : جمع ذكره بمعنى الذكرى ؛ كما تقول : بكرة وبكرة .
 (٢) قال السهيل : « حرب رباعية مثل ؛ أي ليست بصغيرة ولا جذعة ؛ بل هي فوق ذلك » .
 (٣) قوله : « يلقو مع الزهرة » يريد مصيبتهم يغلس قبل مغيب الزهرة .
 (٤) أبدانها ذفرة ، بمعنى الدروع ؛ والذفرة ، من الذفر ؛ وهو سطوع الرائحة طيبة كانت أو كريهة وأما الذفر ، بالذال المهملة ؛ فإنما هو فيها كره من الروائح . (السهيل) .
 (٥) النجرة : جمع فاجر ؛ والتاجر والتجار بمعنى واحد .
 (٦) رواية ابن هشام :
 (٧) في ابن هشام :

• فِيهِمْ قَتْلٌ وَإِنْ تِرَهُ •

- قال السهيل : « أظهر إن بعد الواو ؛ أراد أن لنا قتل وترة ؛ . والوتره ؛ الوتر » .
 (٧) في ابن هشام :

• فَتَلَقَّيْنَاهُمْ مَسَافَةً •

وقال السهيل في شرحه : « أي كتيبة مسافئة » . والغبية : النخعة من المطر . والنثرة : المنتثرة ؛ وهي التي لا تملك ماء ولا مشقة ؛ العلوية من الإبل .

سَيِّدُ سَاتَى الْمُلُوكَ وَمَنْ يَفْزُ عَمْرًا لَا يَجِدُ قَدْرَهُ^(١)

وقال رجل من الأنصار ، يذكر امتناعهم من تبّع :

تَكْلُفْنِي مِنْ تَكَالِيفِهَا نَخِيلَ الْأَسَاوِفِ وَالْمَنْصَةِ
نَخِيلًا حَمَمَهَا بَنُو مَالِكٍ خُبُولَ أَبِي كَرَبٍ الْمُفْظَلَةِ

قال : وكان تبّع وقومه أصحاب أوّان يعبدونها ، فوجه إلى مكة - وهي طريقه إلى اليمن - حتى إذا كان بالدّف من جُسمَدان بين عُسْفان وأُمّج ، في طريقه بين مكة والمدينة ، أتاه نفر من هُذَيل ، فقالوا له : أيُّها الملك ، ألا ندلك على بيت مال دائر ، قد أغفلته الملوك قبلك ، فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة ؟ قال : بلى . قالوا : بيت بمكة يعبده أهله ، ويصلّون عنده . وإنما يُريد الهذليّون بذلك هلاكه لما قد عرفوا من هلاك مَنْ أراد من الملوك وبقي عنده .

فلما أجمع لما قالوا ، أرسل إلى الخبرين ، فسألهما عن ذلك ، فقالا له : ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جُندك ، ولئن فعلت مادعوك إليه لتهلكن وليهلكن مَنْ معك جميعاً ، قال : فإذا تأمراني أن أصنع إذا قدمت عليه ؟ قالوا : تصنع عنده ما يصنع أهله ، تطوف به وتعظمه وتكرمه ، وتبذل عنده رأسك وتذلّ له حتى تخرج من عنده . قال : فما يمنعكما أنفا من ذلك ؟ قالوا : أمّا والله إنه لبيت أبينا إبراهيم ، وإنه لكما أخبرناك ؛ ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوّان التي نصبوا حوله ، وبالدّماء التي يُهريقون عنده ، وهم نجس أهل شرك . أو كما قالوا له .

فصرف نصحبهما وصدّق حديثهما ، فقرب التّفَر من هُذَيل ، فقطع أيديهم وأرجلهم . ثم مضى حتى قدم مكة ، وأرى في المنام أن يكسّر البيت ،

(١) رواية ابن هشام :

سَيِّدُ سَاتَمِ الْمُلُوكَ وَمَنْ رَامَ عَمْرًا لَا يَكُنْ قَدْرَهُ

قال النّهيل : قوله : « لا يكن قدره » دعاء عليه ؛ والهاء عائدة على عمرو ، أراد لا يكن قدر عليه .

فكساه الخَصَفُ^(١) ثم أَرَى أَن يَكْسُوهُ أَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ ، فَكسَاهُ الْمُتَعَاْفِرُ^(٢) ،
 ثُمَّ أَرَى أَن يَكْسُوهُ أَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ ، فَكسَاهُ الْمَلَأُ وَالْوَصَائِلُ^(٣) ؛ فَكَانَ تَبَسُّعٌ
 - فِيمَا يَزْعُمُونَ - أَوَّلَ مَنْ كَسَاهُ وَأَوْصَى بِهِ وَلَاتُهُ مِنْ جُرِّهِمْ ، وَأَمْرُهُمْ بِتَطْهِيرِهِ ،
 وَأَلَّا يَقْرَبُوهُ دِمَاءً وَلَا مَيْتَةً وَلَا مِثْلًا^(٤) ، وَهِيَ الْمُحَافِظُ^(٥) ، وَجَعَلَ لَهُ بَابًا وَمِفْتَاحًا ،
 ثُمَّ خَرَجَ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْيَمَنِ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ جُنُودِهِ ، وَبِالْحَبَشِيِّينَ ، حَتَّى إِذَا
 دَخَلَ الْيَمَنَ دَعَا قَوْمَهُ إِلَى الدَّخُولِ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ ، فَأَبَوْا عَلَيْهِ حَتَّى يَحَاكُمُوهُ إِلَى
 النَّارِ الَّتِي كَانَتْ بِالْيَمَنِ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ أَبِي
 مَالِكٍ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ أَبِي مَالِكٍ الْقُرَظِيِّ ، قَالَ : سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنِ طَلْحَةَ
 ابْنَ عُبَيْدٍ اللَّهُ يَحْدِثُ أَنَّ تَبَسَّعًا لَمَّا دَنَا مِنَ الْيَمَنِ لِيَدْخُلَهَا ، حَالَتْ حِمِيمٌ
 بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ ، وَقَالُوا : لَا تَدْخُلُهَا عَلَيْنَا وَقَدْ فَارَقَتْ دِينَنَا ، فَدَعَاهُمْ إِلَى دِينِهِ ،
 وَقَالَ : إِنَّهُ دِينَ خَيْرٍ مِنْ دِينِكُمْ ، قَالُوا : فَحَاكُمْنَا إِلَى النَّارِ ، قَالَ : نَعَمْ - قَالَ :
 وَكَانَتْ بِالْيَمَنِ فِيمَا يَزْعُمُ أَهْلُ الْيَمَنِ نَارٌ تَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ،
 تَأْكُلُ الظَّالِمَ وَلَا تَضُرُّ الْمَظْلُومَ - فَلَمَّا قَالُوا ذَلِكَ لَتَبَسَّعٍ قَالَ : أَنْصَفْتُمْ ، فَخَرَجَ
 قَوْمُهُ بِأَوْثَانِهِمْ وَمَا يَتَقَرَّبُونَ بِهِ فِي دِينِهِمْ ، وَخَرَجَ الْحَبَرَانِ بِمَصَاحِفِهِمَا فِي أَغْنَاقِهِمَا
 مُتَقَلِّبِيهَا حَتَّى قَعَدُوا لِلنَّارِ عِنْدَ مَخْرَجِهَا الَّذِي تَخْرُجُ النَّارُ مِنْهُ ، فَخَرَجَتِ النَّارُ
 إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا أَقْبَلَتْ نَحْوَهُمْ حَادُوا عَنْهَا وَهَابُوهَا ، فَذَمَّرَهُمْ مَنْ حَضَرَهُمْ مِنَ
 النَّاسِ ، وَأَمْرُهُمْ بِالصَّبْرِ فَصَبَرُوا ، حَتَّى غَشِيَتْهُمْ وَأَكَلَتِ الْأَوْثَانُ وَمَا قَرَّبُوا
 مَعَهَا ، وَمَنْ حَمَلَ ذَلِكَ مِنْ رِجَالِ حِمِيمٍ ، وَخَرَجَ الْحَبَرَانِ بِمَصَاحِفِهِمَا فِي

٩٠٥/١

(١) الخَصَفُ : جَمْعُ خَصْفَةٍ ؛ وَهِيَ شَيْءٌ يَنْسُجُ مِنَ الْخُوصِ وَاللَّيْفِ .

(٢) الْمُتَعَاْفِرُ : بِرُودٍ يَمَاقِيَةِ مَنْسُوبَةٍ إِلَى مُعَاْفِرٍ ؛ قَبِيلَةٌ بِالْيَمَنِ ؛ قَالَ فِي السَّنَنِ عَنْ الْأَزْهَرِيِّ :

« بِرُودٍ مُعَاْفَرِيٌّ : مَنْسُوبٌ إِلَى مُعَاْفِرِ الْيَمَنِ ؛ ثُمَّ صَارَ اسْمًا لَهَا مِنْ غَيْرِ نَسَبٍ » .

(٣) الْوَصَائِلُ : ثِيَابٌ مُوَصَّلَةٌ مِنْ ثِيَابِ الْيَمَنِ ؛ وَاحِدَتُهَا وَصِيلَةٌ .

(٤) فِي ط : « الْحَافِظُ » ، بِصَوَابِهِ مِنْ ابْنِ حَشَامٍ . قَالَ السَّهْلِيُّ : وَقَوْلُهُ : « وَلَا يَقْرَبُوهُ »

مُتَلَاتٌ ؛ وَهِيَ الْمُحَافِظُ ؛ وَلَمْ يَرِدِ الْحَيِضُ ؛ لِأَنَّهُ حَائِضًا لَا يَجْمَعُ عَلَى مُحَائِظٍ ؛ وَإِنَّمَا هِيَ جَمْعُ مُحِظَةٍ .

وَهِيَ خُرْقَةُ الْمُحِظِ . قَالَ : « وَيُقَالُ لِلْخُرْقَةِ مُتَلَاتٌ » . « وَيُرْوَى : « مُتَلَاتٌ » .

أعناقهما تعرّق جباههما، لم تضرّهما، فأصفت حُمير عند ذلك على دينه ؛
فن هناك وعن ذلك كان أصلُ اليهوديّة باليمن ^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض
أصحابه أن الخبّرين ومنّ خرج معهما من حُمير؛ إنّما اتّبعوا النار ليردّوها ،
وقالوا : منّ ردّها فهو أولى بالحقّ ، فدنا منها رجال من حُمير بأوثانهم ليردّوها ،
فدنت منهم لتأكلّهم ، فحادوا عنها فلم يستطيعوا ردّها ، ودنا منها الخبّيران
بعد ذلك ، وجعلوا يتلوّان التوراة وتكّصّ ، حتى ردّاها إلى مخرجها الذي خرجت
منه ؛ فأصفت عند ذلك حُمير على دينهما ، وكان رثام بيتاً لم يعظّمونه وينحرون
عنده ويكلّمون منه إذ كانوا على شِرْكهم ، فقال الخبّيران لتبع : إنّما هو
شيطان يفتّنههم ويلعب بهم ، فخلّ بيننا وبينه ، قال : فشأنكما به ؛
فاستخرجا منه - فيما يزعم أهل اليمن - كلباً أسود ، فذبحاه وهما ذلك
البيت ؛ فبقاياها اليوم باليمن - كما ذكر لي - وهو رثام به آثار الدماء التي كانت
تُهرق عليه ^(٢) .

فقال تبع في مسيره ذلك وما كان همّ به من أمر المدينة وشأن البيت وما صنع
برجال هذيل الذين قالوا له ما قالوا ، وما صنع بالبيت حين قدم مكة من كسوته
وطهيره ، وما ذكر له الخبّيران من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم :

مَا بَالَ نَوْمِكَ مِثْلَ نَوْمِ الْأَرَمَةِ أَرَقًا كَأَنَّكَ لَا تَزَالُ تُسَهَّدُ
حَقًّا عَلَى سَيْطَانٍ حَلًّا يَتْرِبًا أَوَّلَى لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمٍ مُنْصَدِّ !
وَلَقَدْ نَزَلْتُ مِنَ الْبَدِينَةِ مَنَزِلًا طَابَ الْمَيْتُ بِهِ وَطَابَ الْمَرْقَدُ
وَجَعَلْتُ عَرَصَةً مَنَزِلِ بَرَبَاوَةِ بَيْنَ الْعَمِيقِ إِلَى بَقِيعِ الْقَرْقَدِ
وَلَقَدْ تَرَكْنَا لَابِهَا وَقَرَارَهَا وَسِبَاخَهَا فُرُشَتْ بِقَاعِ أَجْرَدِ
وَلَقَدْ هَبَطْنَا يَتْرِبًا وَصُدُورُنَا تَغْلَى بَلَابِلُهَا بِقَتْلِ مُخَصِّدِ

(١) الخبر في ابن هشام ٢٧: ١ ، والتيجان ٢٩٦ . (٢) الخبر في ابن هشام ٢٨: ١ .

(٣) بيت رثام ، زعموا أن شيطاناً كان فيه ، وكانوا يعلّون له حياضاً من دماء القرّبان ،

فيخرج فيصيب منها .

وَلَقَدْ حَلَفْتُ بِمَيْنَ صَبَرٍ مُؤَلِّيَا
 إِنْ جِئْتُ يَتْرَبَ لَا أَغَادِرُ وَسْطَهَا
 حَتَّى أَتَانِي مِنْ قُرَيْطَةَ عَالِمٍ
 قَالَ أَرَدَجِرَ عَنْ قَرْيَةٍ مَحْفُوظَةٍ
 فَعَقَوْتُ عَنْهُمْ عَفْوٌ غَيْرُ مُتَرَبِّ
 وَتَرَكْتُهُمْ لِلَّهِ أَرْجُو عَفْوَهُ
 وَلَقَدْ تَرَكْتُ بِهَا لَهُ مِنْ قَوْمِنَا
 نَفَرًا يَكُونُ النَّصْرُ فِي أَغْفَابِهِمْ
 مَا كُنْتُ أَحْسِبُ أَنْ يَبْتَئَا طَاهِرًا
 حَتَّى أَتَانِي مِنْ هَذِلِي أَعْبُدُ
 قَالُوا بِمَكَّةَ بَيْتُ مَالٍ دَائِرٍ
 فَأَرَدْتُ أَمْرًا حَالِ رَبِّي دَوْنَهُ
 فَرَدَدْتُ مَا أُمَلْتُ فِيهِ وَفِيهِمْ
 قَدْ كَانَ ذُو الْقَرْيَيْنِ قَبْلِي مُسْلِمًا
 مَلِكُ الشَّارِقِ وَالْمَغَارِبِ يَبْتَغِي
 فَرَأَى مَغِيبَ الشَّمْسِ عِنْدَ غُرُوبِهَا
 مِنْ قَبْلِهِ بَلْقَيْسُ كَانَتْ عَمِّي

٩٠٨/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ،
 قال : هذا الحى من الأنصار يزعمون أنه إنما كان حنقاً تبع على هذا الحى
 من يهود الذين كانوا بين أظهرهم ، وأنه أراد هلاكهم حين قدم عليهم المدينة ،

(١) الخلب : الطين ، والشاطط الحمرد : الحمأ الأسود .

(٢) الشعر أوردته ابن هشام في التيجان ١١٢ - ١١٤ ، ولم يورده في السيرة ؛ وذكر أنه مصنوع .

فنعوه منهم ، حتى انصرف عنهم ولذلك قال في شعره :

حَقًّا عَلَى سِبْطَيْنِ حَلًّا يَثْرِبَا أَوْلَى لَمْ يَمُقَابِ يَوْمَ مُقْسِدِ

٩٠٩/١ حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وقد كان قديم على تَبِع قبل ذلك شافع بن كُلَيْب الصَّدَقِ ، وكان كاهنًا ، فأقام عنده ، فلما أراد توديعه قال تَبِع : ما بَقِيَ مِن عِلْمِكَ ؟ قال : بَقِيَ خَيْر نَاطِقٍ ، وعلم صادق ، قال : فهل تجد لقوم مُلْكًا يوازي ملكي ؟ قال : لا إلا لملك غسان نَجَل ، قال : فهل تجد ملكًا يزيد عليه ؟ قال : نعم ، قال : ولين ؟ قال أجده لبار مبرور ، أيد بالقهور ، ووُصِف في الزُّبُور ، وَفُضِّلَتْ أُمَتُهُ فِي السُّغُور ، يَفْرَجُ الظُّلُمَ بالنور ، أحمد النبي ، طوبى لأُمَتِهِ حِينَ يَحْيَى ، أحد بنى لُؤَيٍّ ، ثم أحد بنى قُصَيٍّ . فبِعْتَ تَبِعَ إِلَى الزُّبُور فنظر فيها ، فإذا هو يجد صفة النبي صَلَّى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن حدثه ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس وغيره من علماء أهل اليمن ، ممن يروى الأحاديث ، فحدث بعضهم بعض الحديث ، وكل ذلك قد اجتمع في هذا الحديث : أن مَلِكًا من لَحْمٍ ، كان باليمن فيما بين التَّبَايعة من حِمْيَر ، يقال له : ربيعة بن نَصْر ، وقد كان قَبْلَ ملكه باليمن مَلِكٌ تَبِعَ الْأَوَّلَ ، وهو زيد بن عمرو ذى الأذعار بن أبرهة ذى المنار بن الراض بن قيس بن صَيْقٍ ابن سبأ الأصغر بن كهف الظلم بن زيد بن سَهْل بن عمرو بن قيس بن معاوية ابن جُثَم بن وائل بن العوث بن قُطَن بن عَرِيب بن زُهَيْر بن أَيْمَن بن هَمَيْسَع ابن الْعِرْتَجَج حِمْيَر بن سبأ الأكبر بن يَعْرُب بن يَشْجُب بن قَطَطَان . وكان اسم سبأ عَيْد شمس ؛ وإنما سُمِّيَ سبأ - فيما يزعمون - لأنه كان أول من سَمِيَ في العرب .

٩١٠/١

فهذا بيت مملكة حمير الذى فيه كانت التَّبَايعة ، ثم كان بعد تَبِع الْأَوَّل زيد بن عمرو ، وَشَمِير يُرْعَش بن ياسر يُنْعَم بن عمرو ذى الأذعار ، ابن عمه . وَشَمِير يُرْعَش الذى غزا الصين وبنى سَمَرَقَنْدَلُو حَيْر الحيرة ، وهو الذى يقول :

أَنَّا شَرُّ أَبُو كَرْبَ الْيَمَانِي جَلَبْتُ الْخَيْلَ مِنْ يَمَنٍ وَشَامٍ
لَأَتَى أَعْبَدًا مَرَدُّوا عَلَيْنَا وَرَأَى الصَّيْنِ فِي عَشْمٍ وَبَامٍ
فَنَحْكُمُ فِي بِلَادِهِمْ بِحُكْمٍ سَوَاهٍ لَا يُجَاوِزُهُ غَلَامٍ

القصيدة كلها .

قال : ثم كان بعد شمير بن عريش بن ياسر بن نعيم بن ثعلبة الأصغر ، وهو ثعلبة بن أسعد أبو كرب بن ملى كير بن زيد بن ثعلبة الأول بن عمرو ذى الأذعار ، وهو الذى قدم المدينة ، وساق الخبرين من يهود إلى اليمن ، وعمر البيت الحرام وكساه ، وقال ما قال من الشعر فكل هؤلاء ملوكه قبل ملك ربيعة بن نصر اللخمى ؛ فلما هلك ربيعة بن نصر ، رجع ملك اليمن كله إلى حسان بن ثعلبة بن أسعد أبى كرب بن ملى كير بن زيد بن عمرو ذى الأذعار .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق عن بعض أهل العلم أن ربيعة بن نصر رأى رؤيا حالته ، وفطيت بها ، فلما رآها بعث في أهل مملكته ، فلم يدع كاهنا ولا ساحرا ولا عاتقا ولا منجما إلا جمعه إليه ، ثم قال لهم : إني قد رأيت رؤيا هالتي وفطيت بها ، فأخبروني بتأويلها ، قالوا له : اقصصها علينا لنخبرك بتأويلها ، قال : إني إن أخبركم بها لم أطمئن إلى خيركم عن تأويلها ، إنه لا يعرف تأويلها إلا من يعرفها قبل أن أخبره بها . فلما قال لهم ذلك قال رجل من القوم الذين جمعوا لذلك : فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سطيط وشي ، فإنه ليس أحد أعلم منهما ، فهما يخبرانك بما سألت - واسم سطيط ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدى بن مازن بن غسان ، وكان يقال لسطيط : الذئبي ، لنسبته إلى ذئب بن عدى . وشي بن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرق بن نذير بن قيس بن عبق بن أمار . فلما قالوا له ذلك بعث إليهما ، فقدم عليه قبل شي سطيط ، ولم يكن في زمانهما مثلهما من الكهنة ، فلما قدم عليه سطيط دعا

فقال له : يا سطيط ، إني قد رأيت رؤيا هالتي وفضّعت بها ، فأخبرني بها فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها ، قال - أفل ، رأيت جُمُجُمَةً - قال أبو جعفر : وقد وجدته في مواضع آخر ، رأيت حُمَمَةً^(١) - خرجت من ظُلُمَةٍ ، فوقعت بأرض تهَمَّة ، فأكلت منها كل ذات جُمُجُمَةٍ . فقال له الملك : ما أخطأت منها شيئاً يا سَطِيط ، فما عندك في تأويلها ؟ فقال : أحلف بما بين الحرتين من حَشَش ، ليهيطنَ أرضكم الحبش ، فليملِكُنَّ ما بين أبين إلى جُرش . قال له الملك : وأبيك يا سطيط ؛ إن هذا لغافظ مَوْجِع ، فبي هو كائن يا سطيط ؟ أفي زمانى أم بعده ؟ قال : لا بل بعده بخين ، أكثر من ستين أو سبعين ، يمضين من السنين . قال : فهل يدوم ذلك من ملُكهم أو ينقطع ؟ قال : بل ينقطع لبضع وسبعين ، يمضين من السنين ، ثم يقتلون بها أجمعون ، ويخرجون منها هاربين . قال الملك : ومن ذا الذي يلى ذلك من قتلهم وإخراجهم ؟ قال : يليه إرم ذى بَرَن ، يخرج عليهم من عَدَن ، فلا يترك منهم أحداً باليمن . قال أفيدوم ذلك من سلطانه أو ينقطع ؟ قال : بل ينقطع . قال : ومن يقطعه ؟ قال : نبي زكى ، يأتيه الوحي من العلى . قال : ومن هذا النبي ؟ قال : رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر ، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر ، قال : وهل للدهر ياسطيط من آخر ؟ قال : نعم ، يوم يجمع فيه الأولون والآخرون ، ويسعد فيه المحسنون ، ويشقى فيه المسيئون . قال : أحق ما تخبرنا ياسطيط ؟ قال : نعم ، والشفق والفسق ، والقلق^(٢) ، إذا اتسق ، إن ما أنباتك به لحق . فلما فرغ قدّم عليه شقّ ، فدعاه ، فقال له : يا شقّ ، إني قد رأيت رؤيا هالتي وفضّعت بها ، فأخبرني عنها ، فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها - كما قال لسطيط ؛ وقد كتبه ما قال سطيط لينظر أبتفان أم يختلفان - قال : نعم ، رأيت جُمُجُمَةً ، خرجت من ظُلُمَةٍ ، فوقعت بين روضة وأكمة ، فأكلت منها كل ذات نَسَمَةٍ . فلما رأى ذلك الملك من قولها شيئاً واحداً ، قال له : ما أخطأت يا شقّ منها شيئاً ، فما عندك في تأويلها ؟ قال : أحلف بما بين الحرتين من إنسان ، ليتزلن أرضكم السودان ، فليغلبن على كل طَفَلَةٍ

٩١٢/١

٩١٣/١

(١) هي رواية ابن هشام في السيرة . (٢) ط : « والقلق » .

البنان ، وَلَيْسَ لِكُنْ مَابِينَ أَبِينِ إِلَى نَجْرَانِ . فقال له الملك : وأبيك يا شَيْقَ إن هذا لنا لِعَاقِظٍ مُّوجِع ، فَمَنْ هُوَ كَاتِبُ ؟ أَفَى زَمَانِي أَمْ بَعْدَهُ ؟ قال : بل بعْدَكَ بَزْمَان ، ثُمَّ يَسْتَنْقِذُكُمْ مِنْهُ عَظِيمٌ ذُو شَانٍ ، وَيَذِيْقُهُمْ أَشَدَّ الْهَوَانِ . قال : وَمَنْ هَذَا الْعَظِيمُ الشَّانِ ؟ قال : غَلامٌ لَيْسَ بَدَنِي وَلَا مُدَنٌ^(١) ، يُخْرِجُ مِنْ بَيْتِ ذِي يَزَنَ ، قال : فَهَلْ يَدُومُ سُلْطَانُهُ أَوْ يَنْقَطِعُ ؟ قال : بل يَنْقَطِعُ بِرَسُولٍ مُّرْسَلٍ ، يَأْتِي بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ ، بَيْنَ أَهْلِ الدِّينِ وَالْفَضْلِ ؛ يَكُونُ لِلْمَلِكِ فِي قَوْمِهِ إِلَى يَوْمِ الْفَصْلِ ، قال : وَمَا يَوْمُ الْفَصْلِ ؟ قال : يَوْمٌ يَجْزِي فِيهِ الْوَلَاةَ ، يُدْعَى مِنْ السَّمَاءِ بِدَعَوَاتٍ ، يَسْمَعُ مِنْهَا الْأَحْيَاءُ وَالْأَمْوَاتُ ، وَيُجْمَعُ فِيهِ النَّاسُ لِلْمِيقَاتِ ، يَكُونُ فِيهِ لِمَنْ اتَّقَى الْفُوزَ وَالْخَيْرَاتِ . قال : أَحَقُّ مَا تَقُولُ يَا شَيْقَ ؟ قال : إِي وَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ رَفَعٍ وَخَفَضٍ ؛ إِنَّ مَا نَبَأْتُكَ لِحَقٌّ مَا فِيهِ أَمَضٌ^(٢) . فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ مَسْأَلَتِهِمَا ، وَقَعَ فِي نَفْسِهِ أَنَّ الَّذِي قَالَا لَهُ كَاتِبُ مِنْ أَمْرِ الْحَبْشَةِ ، فَجَهَزَ بَنِيهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ إِلَى الْعِرَاقِ بِمَا يُصْلِحُهُمْ ، وَكَتَبَ لَهُمْ إِلَى مَلِكِهِمْ مِنْ مُلُوكِ فَارَسٍ يَقَالُ لَهُ سَابُورُ بْنُ خَرَزَادٍ ، فَأَسْكَنَهُمُ الْحَيْرَةَ ، فَمِنْ بَقِيَّةِ رِبِيعَةِ بْنِ نَصْرٍ كَانَ النُّعْمَانُ بْنُ الْمُنْتَرِ مَلِكُ الْحَيْرَةِ ، وَهُوَ النُّعْمَانُ بْنُ الْمُنْتَرِ بْنِ النُّعْمَانِ ابْنِ الْمُنْتَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَدِيِّ بْنِ رِبِيعَةَ بْنِ نَصْرٍ . ذَلِكَ الْمَلِكُ فِي نَسَبِ أَهْلِ الْيَمَنِ وَعِلْمِهِمْ^(٣) .

٩١٤/١

- ٥ -

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُلَيْمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : وَلَمَّا قَالَ سَطِيعُ وَشَيْقَ لِرِبِيعَةَ بْنِ نَصْرٍ ذَلِكَ ، وَصَنَعَ رِبِيعَةُ بَوْلْدَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ مَا صَنَعَ ، ذَهَبَ ذِكْرُ ذَلِكَ فِي الْعَرَبِ ، وَتَحَدَّثُوا حَتَّى فَشَا ذِكْرُهُ وَعِلْمُهُ فِيهِمْ ، فَلَمَّا نَزَلَتْ الْحَبْشَةُ الْيَمَنَ ، وَوَقَعَ الْأَمْرُ الَّذِي كَانُوا يَتَحَدَّثُونَ بِهِ مِنْ أَمْرِ الْكَاهِنَيْنِ ، قَالَ الْأَعَشِيُّ ، أَعَشَى بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ الْبَكْرِيِّ ، فِي بَعْضِ مَا يَقُولُ ، وَهُوَ يَذْكُرُ مَا وَقَعَ مِنْ أَمْرِ ذَيْنِكَ الْكَاهِنَيْنِ : سَطِيعُ وَشَيْقَ :

مَا نَظَرْتُ ذَاتُ أَشْفَارٍ كَنَظَرَتِهَا حَقًّا كَمَا نَطَقَ الذُّبْيُ إِذْ سَجَمًا^(٤)

(١) الْمَدَنِي : الْمَقْصَرُ فِي الْأَمْرِ .

(٢) قَالَ ابْنُ هِشَامٍ أَمَضٌ ، يَعْنِي شَكَا ، هَذَا بِلَفْظِ حَمِيرٍ . وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو : « أَمَضٌ ، أَيْ بَاطِلٌ » .

(٣) الْخَبَرُ فِي ابْنِ هِشَامٍ ١ : ٢٢ .

(٤) دِيوَانُهُ ١٠٣ .

وكان سَطِيحٍ إنما بدعوه العرب الذئبي، لأنّه من ولد ذئب بن عدى. فلما هلك ربيعة بن نصر، واجتمع مُلْكُ اليمن إلى حَسَّان بن ثُبَّان أسعد أبي كرب ابن مَلِكَيْكَ كَرَب بن زيد بن عمرو ذى الأذعار، كان ممّا هاج أمر الحبشة وتحول الملك عن حِمير وانقطاع مدّة سلطانهم - ولكلّ أمر سبب - أن حَسَّان ابن ثُبَّان أسعد أبي كرب، سار بأهل اليمن يريد أن يطأ بهم أرض العرب وأرض العجم، كما كانت التبابعة قبله تفعل؛ حتى إذا كان ببعض أرض العراق، كرهت حِمير وقيائل اليمن السير معه، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم وأهلهم؛ فكلّموا أخاً له كان معه في جيشه، يقال له عمرو، فقالوا له: اقتل أخاك حَسَّان نملكك علينا مكانه، وترجع بنا إلى بلادنا. فتابعهم على ذلك، فأجمع أخوه ومن معه من حِمير وقيائل اليمن على قَتْل حَسَّان، إلّا ما كان من ذى رُعَيْن الحميرى، فإنّه نهاه عن ذلك، وقال له: إنكم أهل بيت مملكتنا، لا تقتل أخاك ولا تشتت أمر أهل بيتك - أو كما قال له - فلما لم يقبل منه قوله - وكان ذو رُعَيْن شريفاً من حِمير - تمسّد إلى صحيفة فكتب فيها:

«الْأَمِنْ بَشَرَى سَهْرًا يَنْوِمُ سَعِيدٌ مِّنْ بَيْتِ قَرَرٍ عَيْنِ
فَلَمَّا حَمِيرٌ غَدَرَتْ وَخَانَتْ فَمَعْدِرَةُ الْإِلَهِ لِذِي رُعَيْنِ

ثم ختم عليها. ثم أتى بها عمرًا، فقال له: ضع لى عندك هذا الكتاب؛ فإنّ لى فيه بغيةٌ وحاجة، ففعل. فلما بلغ حَسَّان ما أجمع عليه أخوه عمرو وحِمير وقيائل اليمن من قتله، قال لعمرو:
يا عمرو لا تمجّل على مَنِيّى فالملك تأخذه بغير حُشود
فأبى إلا قتله، فقتله ثم رجع بمن معه من جنده إلى اليمن. فقال قائل من حِمير:

إِنَّ اللَّهَ مَن رَأَى مِثْلَ حَسَّانَ قَتِيلًا فِي سَالِفِ الْأَحْقَابِ^(١)

(١) رواية ابن هشام في السيرة: «لأعينا» قال السهيلي في شرحه: «أراد» الله «محذوف لام الجر واللام الأخرى مع ألف الوصل؛ وهذا الحذف كثير، ولكنه جاز في هذا الرسم خاصة لكثرة دوراته على الألسنة».

قَتَلْتَهُ الْأَقْيَالُ مِنْ خَشْيَةِ الْحَيِّ شَرُّ وَقَالُوا لَهُ لَبَّابٍ لَبَّابٍ^(١)
 مَيْتَكُمْ حَيَّرْنَا وَحَيَّكُمْ رَبُّ عَلَيْنَا وَكُلُّكُمْ أَرْبَابِي
 فلما نزل عمرو بن ثُبَّان أسعد أبي كرب اليمن مُنْعٍ مِنْهُ النَّوْمُ ، وسلط
 عليه السهر - فيما يزعمون - فجعل لا ينام ، فلما جهده ذلك جعل يسأل
 الأطباء والحُزاة من الكهَّان والعُرافين عما به ، ويقول : منيع مني النوم فلا
 أقدر عليه ، وقد جهلني السهر ، فقال له قاتل منهم : والله ما قتل رجل أخاه ٩١٦/١
 قطُّ أَوْ ذَا رَحِمٍ بَغِيًّا عَلَى مِثْلِ مَا قَتَلْتَ عَلَيْهِ أَخَاكَ إِلَّا ذَهَبَ نَوْمُهُ ، وسلط عليه
 السَّهْرُ ، فلما قيل له ذلك ، جعل يقتل كلَّ مَنْ كَانَ أَمْرُهُ بِقَتْلِ أَخِيهِ حَسَنًا
 مِنْ أَشْرَافِ حَمِيرٍ وَقِبَالِ الْيَمَنِ ، حَتَّى خَلَّصَ إِلَى ذِي رُعَيْنَ ، فلما أراد قتله
 قال : إِنَّ لِي عِنْدَكَ بَرَاءَةً مِمَّا تَرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ بِي ، قال له : وما براءتك عندي ؟
 قال : أَخْرَجَ الْكِتَابَ الَّذِي كُنْتُ اسْتَوْدَعْتُكَ وَوَضَعْتُهُ عِنْدَكَ ، فَأَخْرَجَ لَهُ
 الْكِتَابَ ، فَإِذَا فِيهِ ذَانِكَ الْبَيْتَانِ مِنَ الشَّعْرِ :

أَلَا مَنْ يَشْتَرِي سَهْرًا بَنُوْمٍ سَعِيدٌ مَنْ يَبِيْتُ قَرِيرَ عَيْنٍ
 فَأَمَّا حَمِيرٌ غَدَرْتُ وَخَانَتْ فَمُطْرَةٌ الْإِلَهِ لَذِي رُعَيْنِ
 فلما قرأهما عمرو قال له ذورُعَيْنَ : قد كنت نَهَيْتُكَ عَنْ قَتْلِ أَخِيكَ
 فمُعْصِيَتِي ، فلما أَبَيْتَ عَلَيَّ وَضَعْتُ هَذَا الْكِتَابَ عِنْدَكَ حِجَّةً لِي عَلَيْكَ ، وَعَلِمْتُ
 لِي عِنْدَكَ ، وَتَخَوَّفْتُ أَنْ يَصِيبَكَ إِنْ أَنْتَ قَتَلْتَهُ الَّذِي أَصَابَكَ ، فَإِنْ أَرَدْتَ بِي
 مَا أَرَاكَ تَصْنَعُ بِنِ كَانِ أَمْرُكَ بِقَتْلِ أَخِيكَ ، كَانَ هَذَا الْكِتَابُ نَجَاةً لِي عِنْدَكَ ،
 فَتَرَكَهُ عَمْرُو بْنُ ثُبَّانٍ أَسْعَدَ فَلَمْ يَقْتُلْهُ مِنْ بَيْنِ أَشْرَافِ حَمِيرٍ ، وَرَأَى أَنْ قَدْ
 نَصَحَهُ لَوْ قَبْلَ مِنْهُ نَصِيحَتُهُ . وَقَالَ عَمْرُو بْنُ ثُبَّانٍ أَسْعَدَ حِينَ قَتَلَ مِنْ قَتْلِ مَنْ
 حَمِيرٍ وَأَهْلَ الْيَمَنِ مِمَّنْ كَانَ أَمْرُهُ بِقَتْلِ أَخِيهِ حَسَنًا ، فَقَالَ :

شَرِينَا النَّوْمُ إِذْ عُصِبَتْ عَلَابٍ بَتَسْهِيدٍ وَعَقْدٍ غَيْرِ مَيْنٍ^(٢)
 تَنَادَوْا عِنْدَ غَدْرِهِمْ : لَبَّابٍ وَقَدْ بَرَزْتَ مَعَاذِرُ ذِي رُعَيْنِ
 قَتَلْنَا مَنْ تَوَلَّى الْمَكْرَ مِنْهُمْ بَوَاءَ بَابِنِ رُحْمٍ غَيْرَ دَيْنِ .

(١) قال ابن اسحاق: قوله: «لَبَّابٍ، لَبَّابٍ»، لا بأس، لا بأس بلغة حمير. (٢) ط: «وبين».

قَتَلْنَاهُمْ بِحَسَنَ بْنِ رُوْمٍ وَحَسَنَ قَتِيلَ الثَّائِرِينَ
 قَتَلْنَاهُمْ فَلَا جُنَا عَلَيْهِمْ وَقَوَّتْ عِنْدَ ذَاكُمْ كُلُّ عَيْنٍ
 عُيُونُ نَوَادِبِ يَبْكِينَ شَجْوًا حَرَائِرَ مِنْ نَسَاءِ الْفَيْلَقِينَ
 أَوَانِسَ بِالْعِشَاءِ وَهْنٌ حُورٌ إِذَا طَلَعَتْ فُرُوعُ الشَّعْرَيْنِ
 فَتُعْرِفُ بِالْوَفَاءِ إِذَا انْتَمَيْنَا وَمَنْ يَفْدُرُ بُيَايَنَهُ بَيْنَ
 فَضَلْنَا النَّاسَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا كَفَضَلِ الْإِبْرَازِي عَلَى اللَّجِينِ
 مَلَكْنَا النَّاسَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا لَنَا الْأَسْبَابُ بَعْدَ التَّبَعِينَ
 مَلَكْنَا بَعْدَ دَاوُدَ زَمَانًا وَعَبَدْنَا مُلُوكَ الْمَشْرِقَيْنِ
 زَبْرْنَا فِي ظَفَارِ زَبُورَ بَحْدٍ لِيَقْرَأَهُ قُرُومُ الْقَرَبَتَيْنِ
 فَنَحْنُ الطَّالِبُونَ لِكُلِّ وَتَرٍ إِذَا قَالَ الْقَاوِلُ أَيْنَ أَيْنَ !
 سَأَشْفِي مِنْ وَلَاةِ الْمَكْرِ نَفْسِي وَكَانَ الْمَكْرُ حَيْثُهمْ وَحَيْثِي
 أَطَعْتَهُمْ فَلَمْ أَرْشُدْ وَكَانُوا غَوَاةً أَهْلَكُوا حَسِيَّ وَزَيْنِي

قال : ثم لم يلبث عمرو بن تَبَّانَ أسعد أن هلك .

قال هشام بن محمد : عمرو بن تَبَّانَ هذا يدعى مَوْثَبَانِ ؛ لأنه وثب على أخيه حَسَنَانَ بِفَرَضَةٍ نَعَمْ فقتله — قال : وفَرَضَةُ نَعَمْ رَحْبَةٌ طَوْقُ بْنُ مَالِكٍ ، وكانت نَعَمْ سَرِيَّةٌ تَبَّعَ حَسَنَانَ بْنِ أَسْعَدَ .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحق . قال : فِيرَجُ أَمْرُ حَمِيرٍ عِنْدَ ذَلِكَ ، وَتَفَرَّقُوا ، فَوَثِبَ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْ حَمِيرٍ لَمْ يَكُنْ مِنْ بِيوتِ الْمَمْلَكَةِ مِنْهُمْ ، يُقَالُ لَهُ : لَحْنِيْعَةُ بَنُوْفُ ذَوْشَتَانِرُ ^(١) ، فَلَمَّكَهُمْ فَقَتَلَ خِيَارَهُمْ ، وَعِثَ بِيُوتِ أَهْلِ الْمَمْلَكَةِ مِنْهُمْ ، فَقَالَ قَاتِلُ مِنْ حَمِيرٍ ، يَذْكُرُ مَا ضَبِعَتْ ^(٢) حَمِيرٌ مِنْ أَمْرُهَا ، وَفَرَّقَتْ جَمَاعَتَهَا ، وَفَتَتْ مِنْ خِيَارِهَا :

(١) الثناثر : الأصابع بلغة حمير . (٢) ح : « فرطت » .

تَقْتُلُ أَبْنَاهَا وَتَنْفِي سَرَائِمَهَا وَتَبْنِي بِأَيْدِيهِمْ لَهَا الْذُلَّ حَمِيرُ
تُدْمِرُ دُنْيَاهَا بَطْيِشِ حُلُومِهَا وَمَا ضَيَّعَتْ مِنْ دِينِهَا فَهِيَ أَكْثَرُ
كَذَلِكَ الْقُرُونُ قَبْلَ ذَلِكَ بَطْلَمِهَا وَإِسْرَافِهَا تَأْتِي الشُّرُورُ فَتَخْشَرُ

وكان تخشيعة بنوف دوشناتر يصنع ذلك بهم - وكان امرأ فاسقاً يزعمون أنه كان يعمل عمل قوم لوط ، ثم كان - مع الذي بلغ منهم من القتل والبغى - إذا سمع بالغلام من أبناء الملوك قد بلغ أرسل إليه فوقع عليه في مشربة له قد صنعها لذلك ، لثلاث يملك بعد ذلك أبداً ، ثم يطلع من مشربته تلك إلى حرسه ومن حضر من جنده ، وهم أسفل منه ، قد أخذ سواكاً ، فجعله في فيه - أى ليعلمهم أنه قد فرغ منه ثم يخلّي سبيله ، فيخرج على حرسه وعلى الناس وقد فضحه ؛ حتى إذا كان آخر أبناء تلك الملوك زُرْعَة ذو نواس بن ثَبَّان أسعد أبي كرب بن مليكسيكرب بن زيد بن عمرو ذى الأذعار أخو حسان - وزُرْعَة كان صبيّاً صغيراً حين أصيب أخوه ، فشبّ غلاماً جميلاً وسيماً ذا هيئة وعقل - فبعث إليه تخشيعة بنوف دوشناتر ؛ ليفعله به كما كان يفعل بأبناء الملوك قبله ، فلما أتاه رسوله عرف الذى يريد به ، فأخذ سيكينا حديداً لطيفاً ، فجعله بين نعله وقدمه ، ثم انطلق إليه مع رسوله ، فلما خلا به في مشربته تلك أغلقها عليه وعليه ، ثم وثب عليه وواثبه ذو نواس بالسكين فطعنه به حتى قتله ، ثم احتز رأسه ، فجعله في كؤة مشربته تلك التى يطلع منها إلى حرسه وجنده ، ثم أخذ سواكه ذلك ، فجعله في فيه ثم خرج على الناس ، فقالوا له : ذو نواس ، أرطب أم يباس (١) ؟ فقال : سل نخماس (٢) استرطبان (٣) ذو نواس ، استرطبان ذو نواس ؛ لا يباس . فذهبوا ينظرون حين قال لهم ما قال ، فإذا رأس تخشيعة بنوف دوشناتر في الكؤة مقطوع في فيه سواكه ، قد وضعه ذو نواس فيها . فخرجت حمير والأحراس في أثر ذى نواس حتى أدركوه ،

١١٩/١

(١) اليباس واليبس : مثل الكبار والكبير . (٢) النخماس في لغة اليمن : الرأس .

(٣) قال السهيلي : قوله : « استرطبان » إل آخر الكلام مشكل ؛ وفي الأغاني : « ستمل الأحراس ،

است ذى نواس ، رطب أم يباس » .

فقالوا له : ما نبغى لنا أن يملكنا إلا أنت ؛ إذ أرحمتنا من هذا الخبيث . فملكوه واستجمعت عليه حمير وقبائل اليمن ، فكان آخر ملوك حمير . وتهودت معه حمير ، وتسمى «يوسف» ، فأقام في ملكه زماناً . وبنجران بقايا من أهل دين عيسى على الإنجيل ؛ أهل فضل واستقامة ، لهم من أهل دينهم رأس يقال له عبد الله بن الثامر ؛ وكان موقع أصل ذلك الدين بنجران ، وهى بأوسط أرض العرب في ذلك الزمان ، وأهلها وسائر العرب كلهم أهل أوثان يعبدونها . ثم إن رجلاً من بقايا أهل ذلك الدين وقع بين أظهرهم يقال له فيميون ، فحملهم عليه فدانوا به ^(١) .

قال هشام : زرعة ذو نواس ؛ فلما تهود سعى يوسف ، وهو الذى خد الأخدود بنجران وقتل النصارى .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن المغيرة بن أبي ليبيد مولى الأنخس ، عن وهب بن منبه اليماني ^(١) ، أنه حدثهم أن موقع ذلك الدين بنجران كان أن رجلاً من بقايا أهل دين عيسى بن مريم يقال له فيميون ، وكان رجلاً صالحاً مجتهداً زاهداً في الدنيا ، مجاب الدعوة ، وكان سائحاً ينزل القرى ، لا يعرف بقرية إلا خرج منها إلى قرية لا يعرف فيها وكان لا يأكل إلا من كسب يده ، وكان بناء يعمل الطين ، وكان يعظم الأحد ؛ فإذا كان الأحد لم يعمل فيه شيئاً ، وخرج إلى فلاة من الأرض فصلّى بها حتى يمسى ، وكان في قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفياً ؛ إذ فطن ل شأنه رجل من أهلها ، يقال له صالح ، فأحبه صالح حباً لم يحبه شيئاً كان قبله ، فكان يتبعه حيث ذهب ، ولا يفتن له فيميون حتى خرج مرة في يوم الأحد إلى فلاة من الأرض كما كان يصنع ، وقد اتبعه صالح ، وفيميون لا يدري ، فجلس صالح منه منظر العين ، مستخفياً منه لا يحب أن يعلم مكانه ، وقام فيميون يصلّى ، فبينما هو يصلّى إذ أقبل نحوه الثنتين - الحية ذات الرؤوس السبعة - فلما رآها فيميون دعا عليها فماتت ، ورآها صالح ،

(١) الخبر في السيرة لابن هشام ١ : ٣٠ - ٢٨ - ٢٩ ، والأغاني ٢٠ : ٧ - ٩ (سأسى) .

ولم يدر ما أصابها ، فخافها عليه فعيل عَوْلُهُ ^(١) ، فصرخ : يا فيميون ، التنين قد أقبل نحوك ! فلم يلتفت إليه ، وأقبل على صلته حتى فرغ وأمسى ، وانصرف وعرف أنه قد عرف ، وعرف صالح أنه قد رأى مكانه ، فكلّمه ، فقال : يا فيميون ، يعلم الله ما أحببت شيئاً حبك قط ، وقد أردت صُحبتك ٩٢١/١ والكينونة معك حيثما كنت . قال : ما شئت ، أمرى كما ترى ؛ فإن ظننت أنك تقوى عليه فنعم . فلزمه صالح ، وقد كاد أهل القرية أن يقطعوا لشانه ، وكان إذا فاجأه العبدُ به ضرّاً ، دعا له فشفي ، وإذا دُعِيَ إلى أحد به الضر لم يأت . وكان لرجل من أهل القرية ابنٌ ضرير ، فسأل عن شأن فيميون ، فقيل له : إنّه لا يأتي أحداً إذا دعاه ، ولكنّه رجل يعمل للناس البنيان بالأجر ، فعمد الرجل إلى ابنه ذلك فوضعه في حجرته ، وألقى عليه ثوبا ، ثم جاءه فقال له : يا فيميون ؛ إنّي قد أردت أن أعمل في بيتي عملاً ، فانطلق معي حتى تنظر إليه فأشارطك عليه ، فانطلق معه حتى دخل حجرته ، ثم قال : ما تريد أن تعمل في بيتك ؟ قال : كذا وكذا . ثم انتشط ^(٢) الرجل الثوب عن الصبي ، ثم قال : يا فيميون ، عبد من عباد الله أصابه ما ترى ، فادع الله له ، فقال فيميون حين رأى الصبي : اللهم عبد من عبادك دخل عليه عدوك في نعمتك ليفسدها عليه فاشفيه وعافه ، وامنعه منه ، فقام الصبي ليس به بأس .

وعرف فيميون أنه قد عرف ، فخرج من القرية ، واتبعه صالح ، فبينما هو يمشي في بعض الشام مرّ بشجرة عظيمة ، فناداه منها رجل ، فقال : أفيميون ! قال : نعم ، قال : ما زلت أنتظرُك وأقول : متى هوجاء ؟ حتى سمعت صوتك ، فعرفت أنك هو ، لا تبرح حتى تقوم على ، فإني ميت الآن . ٩٢٢/١ قال : فأت ، وقام عليه حتى وراه ثم انصرف ومعه صالح ، حتى وطئا بعض أرض العرب ، فعدي عليهما فاختطفتها سيّارة من بعض العرب ، فخرجوا بهما حتى باعوهما بنجران — وأهل نجران يومئذ على دين العرب ، تعبد نخلة طويلة بين أظهرهم ، لم يمد كل سنة ؛ إذا كان ذلك العيد علقوا عليها

(١) عيل عوله ، أي غلب على صبره ، وقى ط : « فعيل عليه عولة » ، وما أثبت عن ابن هشام . وانظر اللسان . (٢) انتشط الثوب : جذبه ورفعه إليه .

كلّ ثوب حسن وجدوه، وحلّى النساء . ثم خرجوا، فمكفوا عليها يوماً — فابتاع رجل من أشرافهم فيميون ، وابتاع رجل آخر صالحاً ، فكان فيميون إذا قام من الليل — في بيت له أسكنه إياه سيّده الذي ابتاعه — يصلّي، استسرج له البيت نوراً ، حتى يصبح من غير مصباح؛ فرأى ذلك سيّده فأعجبه ما رأى ، فسأله عن دينه فأخبره به ، فقال له فيميون : إنّما أنتم في باطل ؛ وإنّ هذه النخلة لا تضرّ ولا تنفع ؛ لو دعوت عليها الذي أعبد أهلّكها، وهو الله وحده لا شريك له . قال : فقال له سيّده : فافعل ؛ فإنك إن فعلت دخلنا في دينك، وتركنا ما كنّا عليه ، قال : فقام فيميون ، فتطهّر ثم صلّى ركعتين ، ثم دعا الله عليهما ، فأرسل الله ريحاً فجعلتهما^(١) من أصلها فألقتهما، فاتبعه عند ذلك أهل نجران على دينه ، فحملهم على الشريعة من دين عيسى بن مريم . ثم دخل عليهم بعد ذلك الأحداث التي دخلت على أهل دينهم بكلّ أرض . فن هنالك كانت النصرانيّة بنجران في أرض العرب^(٢) .

فهذا حديث وهب بن منبه في خبر أهل نجران .

حدثنا ابن حُميد، قال : حدثنا سَلَمَة، قال : حدثني محمد بن إسحاق عن يزيد بن زياد، مولى لبني هاشم، عن محمد بن كعب القرظي. قال : وحدثني محمد بن إسحاق أيضاً عن بعض أهل نَجْرَان أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان ، وكان في قرية من قرأها قريباً من نَجْرَان — ونَجْرَان القرية العظمى التي إليها جماع أهل تلك البلاد — ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر ، فلما أن نزلها فيميون — قال : ولم يسمّوه باسمه الذي سمّاه به وهب بن منبه، قالوا : رجل نزلها — ابنتي خيمة بين نَجْرَان وبين تلك القرية التي بها الساحر ، فجعل أهل نَجْرَان يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلمهم السحر ، فبعث الثامر ابنه عبد الله بن الثامر، مع غلمان أهل نَجْرَان، فكان إذا مرّ بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من صلاته وعبادته ، فجعل يجلس إليه ويسمع منه حتى

(١) جففتها ، أي قلّمتها وأسقطتها .

(٢) الخبر في السيرة لابن هشام ١ : ٢٩ : ٣٠ .

أسلم، فوحد الله وعبدته وجعل يسأله عن الاسم الأعظم - وكان يعلمه - فكتمه
 لبناؤه وقال : يا بن أخى ، إنك لن تحتلمه ؛ أخشى ضعفك عنه . فلما أتى
 عليه - والثامر أبو عبد الله لا يظن إلا أن ابنه عبد الله يختلف إلى الساحر كما
 يختلف الغلمان - فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضن به عنه ، وتخوف ضعفه
 فيه عمد إلى قِدَاح فجمعها ، ثم لم يبق لله اسمًا يعلمه إلا كتبه في قِدَاح^(١) ؛ لكل
 اسم قِدَاح^(٢) ؛ حتى إذا أحصاها أوقد لها ناراً ، ثم جعل يقرأ فيها قِدَاحاً قِدَاحاً ؛
 حتى إذا مرّ بالاسم الأعظم قذف فيها بقِدَاحه ، فوثب القِدَاح حتى خرج
 منها ، لم يضره شيء ؛ فقام إليه فأخذه ، ثم أتى صاحبه ، فأخبره أنه^(٣) قد علم
 الاسم الذى كتمه ، فقال له : ما هو ؟ قال ؛ كذا وكذا ، قال ؛ وكيف
 علمته ؟ فأخبره كيف صنع ، قال ؛ فقال : يا بن أخى ، قد أصبت فأمسك
 على نفسك ، وما أظن أن تفعل . فجعل عبد الله بن الثامر إذا أتى نجران
 لم يلق أحداً به ضرراً إلا قال له : يا عبد الله ، أتوحد الله وتدخل في ديني فأدعو
 الله فيعافيك بما أنت فيه من البلاء ؟ فيقول : نعم ، فيوحد الله ويسلم ، ويدعو
 له فيشفي ، حتى لم يبق أحدٌ بنجران به ضرراً إلا أنه فاتبعه على أمره ، ودعا
 له فمروى ، حتى رُفِع شأنه إلى ملك نجران ، فدعاه فقال له : أفسدت على
 أهل قريتي ، وخالفت ديني ودين آبائي ، لأمثلن بك ! قال ؛ لا تقدر على
 ذلك ، فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل فيطرح عن رأسه فيقع على الأرض ،
 ليس به بأس ، وجعل يبعث به إلى مياه بنجران ، بحور لا يقع فيها شيء إلا
 هلك ، فبيلقى فيها فيخرج ليس به بأس ، فلما غلبه ، قال عبد الله بن الثامر :
 إنك والله لا تقدر على قتلي حتى توحّد الله فتؤمن بما آمنت به ؛ فلأنك إن
 فعلت ذلك سلّطت على قتلتي ، فوحد الله ذلك الملك ، وشهد بشهادة عبد الله
 ابن الثامر ، ثم ضربه بعضاً في يده فشجّه شجّة غير كبيرة فقتله ، فهلك الملك
 مكانه ، واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر ، وكان على ما جاء
 به عيسى بن مريم من الإنجيل وحكمه ، ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم
 من الأحداث ، فمن هنالك كان أصل النصرانية بنجران^(٤) .

(١) القِدَاح : السهم . (٢) ح ، د « بأنه » .

(٣) الخبر في سيرة ابن هشام ١ : ٣١ ، ٣٢ .

فهذا حديث محمد بن كعب القرظي وبعض أهل نجران عن ذلك. والله أعلم.
قال : فسار إليهم ذو نواس بجنوده من حِمير وقيائل اليمن ،
فجمعهم ثم دعاهم إلى دين اليهودية ، فخيرهم بين القتل والدخول فيها ، فاخترأوا
القتل ، فخذ لهم الأخدود ، فحرق بالنار ، وقتل بالسيف ، ومثل بهم كل مثله ،
حتى قتل منهم قريباً من عشرين ألفاً ، وأفلت منهم رجل يقال له دؤس
ذو ثعلبان ، على فرس له ، فسلط الرَّمْلَ فأعجزهم .

قال : وقد سمعت بعض أهل اليمن يقول : إنّ الذي أفلت منهم رجل
من أهل نَجْرَان يقال له جَبَّار^(١) بن فيض^(٢) .

قال : وأثبت الحديثين عندى الذى حدثنى أنه دؤس ذو ثعلبان .
ثم رجع ذو نواس بمن معه من جنوده إلى صنعاء من أرض اليمن .

ففى ذى نواس وجنوده تلك حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن
الفضل ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، قال : أنزل الله على رسوله : ﴿ قَتِلْ
أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴾ إلى قوله : ﴿ بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾^(٣) .
يقال : كان فيمن قتل ذو نواس عبد الله بن الثامر رئيسهم وإمامهم .
ويقال : عبد الله بن الثامر قُتِلَ قبل ذلك ، قتله ملك كان قبّله ، هو
كان أصل ذلك الدين ؛ وإنما قُتِلَ ذونواس من كان بعده من أهل دينه^(٤) .

° ° °

وأما هشام بن محمد فإنه قال : لم يزل ملك اليمن متصلاً لا يطمع فيه
طامع ، حتى ظهرت الحبشة على بلادهم فى زمن أنوشروان . قال : وكان
سبب ظهورهم أن ذا نواس الحميرى ملك اليمن فى ذلك الزمان ، وكان
يهودياً ، فقدم عليه يهودى ، يقال له دؤس من أهل نَجْرَان ، فأخبره
أنّ أهل نجران قتلوا ابنتين له ظلماً ، واستنصره عليهم — وأهل نَجْرَان نصارى —
فحسبى ذو نواس لليهودية ، فغزا أهل نجران ، فأكرههم القتل ، فخرج رجل

(١) ر ، ل : « حيار » ، ح : « حيان » . (٢) ر ، ل : « فيض » .

(٣) سورة البروج ٤ - ٨ . قال ابن هشام : « الأخدود : الحفر المستطيل فى الأرض كالخندق

والجداول ونحوه » .

(٤) الخبى فى سيرة ابن هشام ١ : ٣١ - ٣٥

من أهل نَجْرَان ، حتى قدم على ملك الحبشة ، فأعلمه ما ركبوا به ، وأتاه بالإنجيل قد أحرقت النارُ بعضه ، فقال له : الرجال عندى كثير ، وليست عندى سفن ، وأنا كاتب إلى قيصر فى البعثة إلى بسفن أحمل فيها الرجال . فكتب إلى قيصر فى ذلك ، وبعث إليه بالإنجيل المحرق ، فبعث إليه قيصر بسفن كثيرة .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، أنه حدث أن رجلاً من أهل نَجْرَان فى زمن عمر بن الخطاب حفر خربة من خرب نَجْرَان لبعض حاجاته ، فوجد عبد الله بن التامر تحت دفن^(١) منها قاعداً واضعاً يده على ضربة فى رأسه ممسكاً عليها بيده ، فإذا أخرجت يده عنها انثعبت^(٢) دماً ، وإذا أرسلت يده ردها عليها ، فأمسك دمه ، وفى يده خاتم مكتوب فيه : « ربى الله » . فكتب فيه إلى عمر يخبره بأمره ، فكتب إليهم عمر : أن أقرؤه على حاله ، وردوا عليه الدفن الذى كان عليه . ففعلوا . ٩٢٧/١

وخرج دؤس ذو ثعلبان^(٣) ، حين^(٤) أعجز القوم على وجهه ذلك ، حتى قدم^(٥) على قيصر صاحب الروم ، فاستنصره على ذى نواس وجنوده ، وأخبره بما بلغ منهم ، فقال له قيصر : بعدت بلادك من بلادنا ، ونأت عنا ، فلا تقلد على أن تناوينا بالجنود ، ولكننى سأكتب لك إلى ملك الحبشة ، فإنه على هذا الدّين ، وهو أقرب إلى بلادك منا فينصرك ويمنعك ويطلب لك بثأرك ممن ظلمك ، واستحل منك ومن أهل دينك ما استحل . فكتب معه قيصر إلى ملك الحبشة يذكر له حقه وما بلغ منه ومن أهل دينه ، ويأمره بنصره ، وطلب

(١) الدفن : بئر أو حوض أو منبل سقت الريح فيه لثراب حتى دفن .

(٢) انثعبت : تفجرت ؛ وفى ر ، ت : « انثعبت » ، ح ، ل : « انثعب » .

(٣) فى ابن هشام : « هو رجل من سبأ » .

(٤) ت ، ح : « حتى » .

(٥) كذا فى ت ، وفى ط : « تقدم » ؛ وفى ابن هشام : « أتى » .

ثأره ممن بغى عليه وعلى أهل دينه. فلما قدم دؤس ذو ثعلبان بكتاب قيصر على النجاشي صاحب الحبشة بعث معه سبعين ألفاً من الحبشة وأمر عليهم رجلاً منهم من أهل الحبشة، يقال له أرياط، وعهد إليه: إن أنت ظهرت عليهم فاقتل ثلث رجالهم، وأخرب ثلث بلادهم، واسب ثلث نسايم وأبنائهم. فخرج أرياط ومعه جنوده، وفي جنوده أبرهة الأشرم، فركب البحر ومعه دؤس ذو ثعلبان، حتى نزلوا بساحل اليمن، وجمع بهم دؤس نواص فجاءهم إليه حيمير ومن أطاعه من قبائل اليمن، فاجتمعوا إليه على اختلاف وتفرق، لا تقطاع المدّة وحلول البلاء والنقمة، فلم يكن له حرب غير أنّه ناول دؤس نواص شيئاً من قتال، ثم انهزموا، ودخلها أرياط بجموعه، فلما رأى دؤس ما رأى مما نزل به وبقومه وجه فرسه إلى البحر، ثم ضربه فدخل فيه فحاض به ضحاًصاً^(١) البحر، حتى أفضى به إلى غمرة، فأقحمه فيه، فكان آخر العهد به. ووطئ أرياط اليمن بالحبشة، فقتل ثلث رجالها، وأخرب ثلث بلادها، وبعث إلى النجاشي بثلث سبائها ثم أقام بها، قد ضبطها وأذلّها، فقال قاتل من أهل اليمن، وهو يذكر ما ساق إليهم دؤس ذو ثعلبان من أمر الحبشة، فقال: « لا كدؤس ولا كأعلاق رحله ». يعني ما ساق إليهم من الحبشة، فهي مثّل باليمن إلى اليوم.

وقال ذو جند الحميري وهو يذكر حيمير، وما دخل عليها من الذلّ بعد العز الذي كانوا فيه، وما هُدم من حصون اليمن، وكان أرياط قد أخرب مع ما أخرب من أرض اليمن سلحين وبيشون وغمندان، حصوناً لم يكن في الناس مثلها، فقال:

هَوْنَكَ لَيْسَ يَرُدُّ الدَّمْعُ مَا فَاتَا لَا تَهْلِكِي أَسْفَى فِي ذِكْرٍ مِّنْ مَّاتَا
أَبَدٌ يَّمِينُونَ لَا عَيْنٌ وَلَا أَمْرٌ وَبَعْدَ سِلْحِينَ يَبْنِي النَّاسُ أَيْبَاتَا!

وقال ذو جند الحميري في ذلك:

دَعَيْتِي لَا أَبَالِكِ لَنْ تُطِيقِي كَلَّاكَ اللَّهُ قَدْ أَزَفَتْ رِيقِي^(٢)

(١) الضحاضح من الماء: الذي يظهر منه القمر.

(٢) أزفت ريق، أي أكثرت عل من الطل؛ حتى أبيضت ريق في فمي، وقلة الريق من

الحصر. قاله السبيل.

لَدَى عَزَفِ الْقِيَانِ إِذِ انْتَشَيْنَا وَإِذْ نُسْقَى مِنَ الْخَمْرِ الرَّحِيقِ
وَشَرَبُ الْخَمْرِ لَيْسَ عَلَى عَارَا إِذَا لَمْ يَشْكُ فِيهَا رَفِيقِ
فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا يَنْهَاهُ نَاهٍ وَلَوْ شَرِبَ الشَّفَاءَ مَعَ النَّشْوِقِ^(١)
وَلَا مَتْرَهَبٌ فِي أُسْطُوَانٍ يُنَاطِحُ جُذْرَهُ بَيْضُ الْأُنُوقِ^(٢)
وَعُمْدَانِ الَّذِي حَدَّثَتْ عَنْهُ بَنُوهُ مُمْنِيكًا فِي رَأْسِ نِيقِ^(٣)
يَمْنَمَةً وَأَسْفَلَهُ جُرُوبٌ وَحُرُّ الْمَوْحِلِ اللَّثِقِ الرَّزِيقِ^(٤)
مَصَابِيحُ السَّيْلِ تَلُوحُ فِيهِ إِذَا يُنْمِي كَتَوَاضِعُ الْبُرُوقِ
وَنَخْلَتُهُ إِلَى غُرْسَتْ إِلَيْهِ يَكَادُ الْبَشْرُ يَهْصِرُ بِالْعُدُوقِ^(٥)
فَأَصْبَحَ بَعْدَ جِدَّتِهِ رَمَادًا وَغَيْرَ حُسْنِهِ لَهَبُ الْحَرِيقِ
وَأَسْلَمَ ذُو نَوَاسٍ مُسْتَيْتًا وَحَذَرَ قَوْمَهُ ضَنْكُ التَّمْضِيقِ^(٦)

٩٢٩/١

وقال ابن الذئبة^(٧) الشقي، وهو يذكر حمير حين نزل بها السودان وما أصابها

منهم :

لَعَمْرُكَ مَا لِلْقَيِّ مِنْ مَقَرٍّ مَعَ الْمَوْتِ يَلْحَقُهُ وَالْكِبَرِ
لَعَمْرُكَ مَا لِلْقَيِّ صُحْرَةٌ لَعَمْرُكَ مَا إِنَّ لَهُ مِنْ وَرَرِ^(٨)

(١) الشفاء هنا : ما يتناول به ، تسمية لسبب باسم المسبب ، والنشوق : كل دواء يطفئ من الأنف لينشق .

(٢) الأنوق : الرخم ، ويقال في المثل إذا أريد ما لا يوجد : « أعز من بيض الأنوق » .

(٣) رواية ابن هشام : « مسكا » ، وهو المرتفع . ولثيق : أصل الجبل .

(٤) المنهة : موضع الرعيان . والجروب : الحجارة السوداء ؛ ورواية ابن هشام « جرون » ؛ جمع جرن ، وهو النقيير . وحر الموحل : خالص كل شيء . واللثيق ، من اللثق ، وهو اختلاط الماء بالتراب فيكثر منه الزلق . (من شرح السجيل) .

(٥) ط : « هجر » ، وما أثبت من ابن هشام ، قال السجيل : أي يميل بها ، والمعلق : جمع خلق ، بالكسر ، وهي الكياسة . (٦) في ابن هشام : « مستكيناً » . (٧) في ابن هشام « عبد الله بن الذئبة » ، والذئبة أمه ، واسمه ربيعة بن عبد ياليل بن سالم . (٨) الصحرة : المتسع ، أخذ من لفظ الصحراء ، والورر : الملجأ .

أَبَدَ قَبَائِلَ مِنْ حِمَيْرٍ أَتَوْا ذَا صَبَاحٍ يَذَاتِ الصَّبْرِ^(١)
 بِأَلْبِ الْوُبِ وَحَرَابَةِ^(٢) كَيْثِلِ السَّمَاءِ قُبَيْلَ الْمَطَرِ
 يُصِمُّ صِيَاهُمُ الْمُقَرَّبَاتِ وَيَنْفُونَ مَنْ قَاتَلُوا بِالزُّمَرِ^(٣)
 سَعَالَى كَيْثِلِ عَدِيدِ الثَّرَا بِبَيْبَسٍ مِنْهُمْ رَطَابُ الشَّجَرِ^(٤)

• • •

وأما هشام بن محمد ، فإنه زعم أن السفن لما قدمت على النجاشي من عند قيصر حمل جيشه فيها ، فخرجوا في ساحل المنتدب . قال : فلما سمع بهم ذو نواس كتب إلى المقاتل يدعوهم إلى مظهرته ، وأن يكون أمرهم في محاربة الحبشة ودفعهم عن بلادهم واحداً ، فأبوا وقالوا : يقاتل كل رجل عن مَقُولته وناحيته . فلما رأى ذلك صنع مفاتيح كثيرة ، ثم حملها على عِدَّة من الإبل ، وخرج حتى لقي جمعهم ، فقال : هذه مفاتيح خزائن اليمن قد جئتمكم بها ، فلکم المال والأرض ، واستبقوا الرجال والنزيرة . فقال عظيمهم : اكتب بذلك إلى الملك ، فكتب إلى النجاشي ، فكتب إليه يأمره بقبول ذلك منهم ، فسار بهم ذو نواس حتى إذا دخل بهم صنعاء ، قال لعظيمهم : وجَّه ثقات أصحابك في قبض هذه الخزائن . ففرق أصحابه في قبضها ودفع إليهم المفاتيح ، وسبقت كتب ذى نواس إلى كل ناحية : أن اذبحوا كل نور أسود في بلدكم ، فقتلت الحبشة ، فلم يبق منهم إلا الشريد . وبلغ النجاشي ما كان من ذى نواس ، فجهز إليه سبعين ألفاً ، عليهم قائدان : أحدهما أبرهة الأشرم ، فلما صاروا إلى صنعاء ورأى ذو نواس ألا طاقة له بهم ركب فرسه ، واعترض البحر فاقتحمه ، فكان آخر العهد به . وأقام أبرهة ملكاً على صنعاء ومخاليقها ، ولم يبعث إلى النجاشي بشيء ،

(١) ذات الصبر : ذات الحزن ؛ يقال : صبر الرجل ؛ إذا حزن .

(٢) ط : « ألف الوُب » ، وألب الوُب ، أى مجتمع كثير . الحراية : أصحاب الحراب ، وانظر السان .

(٣) المقربات من الخيل : التناق التي لا تروح ؛ ولكن تحبس قرب البيوت قلعو . وفى ابن هشام : « اللفر » ، وهو شدة الريح .

(٤) شبههم بالسعالى من الجن ؛ جمع سعاله .

فقبل للنجاشي : إنه قد خلع طاعتك ، ورأى أنه قد استغنى بنفسه ، فوجه إليه جيشاً عليه رجل من أصحابه ، يقال له أرياط ، فلما حلّ بساحته ، بعث إليه أبرهة أنه يجمعني وإياك البلاد والدّين ، والواجبُ عليّ وعليك أن ننظر لأهل بلادنا وديننا ممّن معي ومعك ، فإن شئت فبارزني ، فأبينا ظفر بصاحبه كان المُلْكُ له ، ولم يقتل الحبشة فيما بيننا . فرضى بذلك أرياط ، وأجمع أبرهة على المكرّ به ، فأتعدها موضعاً يلتقيان فيه ، وأكن أبرهة لإرياط عبداً له ٩٣١/١ يقال له أرنجده ، في وَهْدَةٍ قريب من الموضع الذي التقيا فيه ، فلما التقيا سبق أرياط فرقاً^(١) أبرهة بحربته ، فزالَت الحربة عن رأسه وشرمت أنفه فسُمي الأشرم ، ونهض أرنجده من الحُفْرة ، فزرق أرياط فألقفه ، فقتله ، فقال أبرهة لأرنجده : احتكم فقال : لا تدخل امرأة اليمن على زوجها حتى يُبدَأَ بي ، قال : لك ذلك ، فغبر بذلك زماناً . ثم إن أهل اليمن عدّوا عليه فقتلوه ، فقال أبرهة : قد أننى لكم أن تكونوا أحراراً ، وبلغ النجاشي قتل أرياط ، فأبى ألا يكون له ناهية دون أن يهريق دم أبرهة ، ويطأ بلادَه ، وبلغ أبرهة أليته ، فكتب إليه : أيّها الملك ، إنما كان أرياط عبدك ، وأنا عبدك ، قدِمَ عليّ يريد توهينَ ملكك ، وقتل جنّدك ، فسألته أن يكفّ عن قتالي إلى أن أوجه إليك رسولاً ، فإن أمرته بالكفّ عني ، وإلاّ سلمت إليه جميع ما أنا فيه ، فأبى إلا محاربتى ، فحاربته فظهرت عليه ، وإنما سلطاني لك ، وقد بلغني أنك حلفت ألاّ تنتهي حتى تهريق دمي ، وتطأ بلادى . وقد بعثت إليك بقارورة من دى ، وجراب من تراب أرضى ؛ وفي ذلك خروجك من يمينك ، فاستمّ أيّها الملك يدك عندي ؛ فإنما أنا عبدك وعزّى عزك . فرضى عنه النجاشي وأقرّه على عمله .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : فأقام أرياط باليمن سنين^(٢) في سلطانه ذلك ، ثم نازعه في أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشي ،

(١) زقه : طعنه بالمزراق ؛ وهي الحربة .

(٢) ح : « سنين » .

وكان في جنده حتى تفرقت الحبشة عليهما ، فانحاز إلى كل واحد منهما طائفة منهم ؛ ثم سار أحدهما إلى الآخر ، فلما تقارب الناس ، ودنا بعضهم من بعض أرسل أبرهة إلى أرياط : إنك لن تصنع بأن تلقى الحبشة بعضها ببعض حتى تفتنيتها شيئاً ؛ فابرز لي وأبرز لك ، فأبينا ما أصاب صاحبه انصرف إليه جنده .

فأرسل إليه أرياط : أن قد أنصفتني فاخرج . فخرج إليه أبرهة ، وكان رجلاً قصيراً لحيماً حادراً^(١) ، وكان ذا دين في النصرانية ، وخرج إليه أرياط وكان رجلاً عظيماً طويلاً وسيماً وفي يده حربة وخلف أبرهة ربة تمنع ظهره وفيها غلام له يقال له عتودة ، فلما دنا أحدهما من صاحبه رفع أرياط الحربة ف ضرب بها على رأس أبرهة يريد يافوخه^(٢) . فوقعت الحربة على جبهة أبرهة ، فشرمت حاجبه وعينه وأنفه وشفته ؛ فبذلك سمى أبرهة الأشرم ، وحمل غلام أبرهة عتودة على أرياط من خلف أبرهة فقتله ، وانصرف جند أرياط إلى أبرهة ، فاجتمعت عليه الحبشة باليمن ، فقال عتودة في قتله أرياط : « أنا عتودة » ، من فرقة أردّه ، لا أب ولا أم نجده ، ، أى يقول : قتلك عبده ، قال : فقال الأشرم عند ذلك^(٣) لعنودة : حكمك يا عتودة .^(٤) وإن كنت قتلتني ، ولا ينبغي لنا ذلك إلا دينه ، فقال عتودة : حكمي ألا تدخل عروس من أهل اليمن ٩٣٣/١ على زوجها منهم حتى أصيبها قبله . فقال : ذلك لك ، ثم أخرج دية أرياط ، وكان كل ما صنع أبرهة بغير علم النجاشي ملك الحبشة ، فلما بلغه ذلك غضب غضباً شديداً ، وقال : عدا على أميري ، فقتله بغير أمرى . ثم حلف ألا يدع أبرهة حتى يطأ بلاده . ويحز ناصيته ؛ فلما بلغ ذلك أبرهة حلق رأسه ، ثم ملأ جراباً من تراب اليمن ، ثم بعث به إلى النجاشي ، وكتب إليه : أيها الملك ؛ إنما كان أرياط عبدك ، وأنا عبدك ، فاختلفنا في أمرك ، وكل طاعته لك ، إلا أنى كنت أقوى منه على أمر الحبشة ، وأضبط لها

(١) الحادر : التليظ المحتج ؛ كما فسره صاحب اللسان ؛ وأورد نص ابن إسحاق .

(٢) اليافوخ : وسط الرأس .

(٣) ح : « بعد ذلك » .

(٤) كلما في ط ، وفي الكلام نقص .

وأسوسُ لها ، وقد حلفت رأسي كله حين بلغني قسم الملك ، وبعتت إليه
بجرباب من تُراب أرض اليمن ، ليضعه تحت قدميه فيبر قسمه .

فلما انتهى ذلك إلى النجاشي رضى عنه ، وكتب إليه : أن اثبت على عملك
بأرض اليمن ، حتى يأتيتك أمري . فلما رأى أبرهة أن النجاشي قد رضى عنه ،
وملكه على الحبشة وأرض اليمن بعث إلى أبي مرة بن ذى يزن ، فترع منه امرأته
ريحانة ابنة علقمة بن مالك بن زيد بن كهلان - وأبو ريحانة^(١) ذو جَدَن ،
وقد كانت ولدت لأبي مرة معد يكرب بن أبي مرة ، وولدت لأبرهة بعد
أبي مرة مسروق بن أبرهة ، وبسياسة ابنة أبرهة ، وهرب منه أبو مرة فأقام أبرهة
باليمن وغلامه عتودة يصنع باليمن ما كان أعطاه من حكمه حيناً ، ثم عدا
على عتودة رجل من حِمير - أو من خثعم - فقتله ، فلما بلغ أبرهة قتله -

وكان رجلاً حليماً سيداً شريفاً ورعاً في دينه من النصرانية - قال : قد أنتى لكم
يا أهل اليمن أن يكون فيكم رجل حازم ، يأنف مما يأنف منه الرجال ؛ إننى
والله لو علمت حين حكمته أنه يسأل الذى سأل ما حكمته ، ولا أنعمته
عيناً ، وإيم الله لا يؤخذ منكم فيه عقل ، ولا يتبعكم متى في قتله شيء تكرهونه .
قال : ثم إن أبرهة بنى القليس^(٢) بصنعاء ، فبنى كنيسة لم ير مثلها في زمانها
بشيء من الأرض ، ثم كتب إلى النجاشي ملك الحبشة : إني قد بنيت لك أيها
الملك كنيسة لم يبن مثلها الملك كان قبلك ، ولست بمنته حتى أصرف إليها
حاج العرب .

فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشي غضب رجل من
النساء^(٣) أحد بنى فقيم ، ثم أحد بنى مالك ، فخرج حتى أتى القليس فقع^(٤)
فيها ، ثم خرج فلاحق بأرضه ؛ فأخبر بذلك أبرهة ، فقال : من صنع هذا ؟
فقيل : صنعه رجل من أهل هذا البيت الذى تحج العرب إليه بمكة ، لما سمع

(١) ط : « مرة » ؛ والصواب ما أثبت ، وانظر ص ١٤٣ ، والتصويبات .

(٢) القليس : الكنيسة التى أراد أبرهة أن يصرف إليها حاج العرب ؛ قال السهيلي : « وسميت
هذه الكنيسة القليس ؛ لارتفاع بنائها وعلوها » .

(٣) ط : « النساء » ؛ وما أثبت عن ابن هشام ، والنساء : هم الذين كانوا يؤخرون شهر
الحج إلى صفر ، لحاجتهم إلى شن الفارات ، وطلب الثارات .

(٤) قعد فيها ، قال ابن هشام : « يعنى أحدث فيها » .

من قولك : أصرف إليه حاج العرب ، فغضب فجاء فقعده فيها ؛ أى أنها ليست لذلك بأهل . فغضب عند ذلك أبرهة ، وحلف ليسيرن إلى البيت فيهدمه ، وعند أبرهة رجال من العرب ، قد قد موا عليه يلتمسون فضله ، منهم محمد بن خُزاعي بن حزاية الذكواني ، ثم الساسي ، في نفر من قومه ، معه أخ له ، يقال له قيس بن خُزاعي ؛ فبينما هم عنده غشيهم عيد لأبرهة ، فبعث إليهم ٩٣٥/١ فيه بغدائه ، وكان يأكل الخصى ، فلما أتى القوم بغدائه قالوا : والله لئن أكلنا هذا لا تزال تعيننا به العرب ما بقينا ، فقام محمد بن خُزاعي ، فجاء أبرهة فقال : أيها الملك ، هذا يوم عيد لنا ، لا نأكل فيه إلا الجَنُوب والأبدى ، فقال له أبرهة : فسنبعث إليكم ما أحببتم ؛ فلما أكرمتمكم بعد آتى لمتزلتكم منى . ثم إن أبرهة توج محمد بن خُزاعي ، وأمره على مضّر ، وأمره أن يسير في الناس يدعوهم إلى حجّ القُلَيْس ؛ كنيسته التي بناها . فسار محمد بن خُزاعي ، حتى إذا نزل ببعض أرض بني كنانة - وقد بلغ أهل تهامة أمره ، وما جاء له - بعثوا إليه رجلاً من هذيل ، يقال له عروة بن حياض الملاصي ، فرماه بسهم فقتله . وكان مع محمد بن خُزاعي أخوه قيس ، فهرب حين قُتل أخوه ، فلحق بأبرهة ، فأخبره بقتله ، فزاد ذلك أبرهة غضباً وحقاً ، وحلف ليغزون بني كنانة وليهدمن البيت .

وأما هشام بن محمد ، فإنه قال : بنى أبرهة بعد أن رضى عنه النجاشي وأقره على عمله كنيسة صنعاء ، فبناها بناءً معجيباً لم ير مثله ، بالذهب والأصباغ المعجبة ، وكتب إلى قيصر يعلمه أنه يريد بناء كنيسة بصنعاء ، يبق أثرها وذكرها ، وسأله المعونة له على ذلك فأعانه بالصنّاع والفسيفساء والزخام ، وكتب أبرهة إلى النجاشي حين استتم بناؤها : إني أريد أن أصرف إليها حاج العرب . فلما سمعت بذلك العرب أعظمته ، وكبر عليها ، فخرج رجل من ٩٣٦/١ بني مالك بن كنانة حتى قدّم اليمن ، فدخل الهيكل ، فأحدث فيه ، فغضب أبرهة ، وأجمع على غزو مكة وهدم البيت ، فخرج سائراً بالحجبة ومعه القليل ، فلقية ذو نَقر الحميري ، فقاتله فأمره ، فقال : أيها الملك ؛ إنما أنا عبدك فاستبقني ، فإن حياتي خير لك من قتلي ، فاستبقاه ، ثم سار فلقية نفيل

ابن حبيب الخثعمي ، فقاتله فهزم أصحابه ، وأمره ، فسأله أن يستقيته ،
فقبل وجعله دليلاً في أرض العرب .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : ثم إن أبرهة حين أجمع
السَّير إلى البيت أمر الحبشان فتهيَّأت وتجهَّزت ، وخرج معه بالفيْل - قال :
وسمعت العرب بذلك فأعظموه ، وفظِّعوا به ، ورأوا جهاده حقاً عليهم حين
سمعوا أنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام - فخرج له رجل كان من أشرف
أهل اليمن وملوكهم ، يقال له : ذو نَفَر ، فدعا قومه ومن أجابه منهم من
سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله ، وما يريد من هدمه وإخراجه ،
فأجابه مَنْ أجابه إلى ذلك ، وعرض له فقاتله ، فهزِم ذو نَفَر وأصحابه ،
وأخذ له ذو نَفَر أسيراً ، فأَتى به ، فلما أراد قتله قال له ذو نَفَر : أيُّها الملك ،
لا تقتلني ؛ فإنه عسى أن يكون كوفي معك خيراً لك من قتلي . فتركه من
القتل وجسه عنده في وثاق - وكان أبرهة رجلاً حليماً - ثم مضى أبرهة على
وجهه ذلك ، يريد ما خرج له ، حتى إذا كان بأرض خثعم ، عرض له نَفِيل
ابن حبيب الخثعمي في قبيلتي خثعم : شهران وناهس ومن تبعه من قبائل العرب ، ٩٣٧/١
فقاتله فهزمه أبرهة ، وأخذ له نَفِيل أسيراً ، فأتى به ؛ فلما هم بقتله قال له
نَفِيل : أيُّها الملك ، لا تقتلني فإني دليلك بأرض العرب ، وهاتان يداي لك
على قبيلتي خثعم ، شهران وناهس بالسمع والطاعة ، فأعفاه وخطى سبيله ، وخرج
به معه يداً على الطريق ، حتى إذا مرَّ بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب في
رجال ثقيف ، فقال له : أيُّها الملك ؛ إنَّما نحن عبيدك ، سامعون لك مطيعون
ليس لك عندنا خلاف ، وليس بيتنا هنا بالبيت الذي تريد - يعنون اللات -
إنما تريد البيت الذي بمكة - يعنون الكعبة - ونحن نبعث معك مَنْ يدلُّك .
فتجاوز عنهم ، وبعثوا معه أبا رِغال ، فخرج أبرهة ومعه أبو رِغال ، حتى
أنزله المغمس ، فلما أنزله به مات أبو رِغال هنالك ، فرجمت العرب قَبْرَه ،
فهو القبر الذي يرجم الناس بالمغمس .
ولما نزل أبرهة المغمس بعث رجلاً من الحبشة ، يقال له الأسود بن مقصود

على خيل له حتى انتهى إلى مكة ، فساق إليه أموال أهل مكة من قریش وغيرهم ، وأصاب منها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم ؛ وهو يومئذ كبير قریش وسيدّها ، فهتت قریش وكنانة وهذيل ومن كان بالحرم من سائر الناس بقتاله ، ثم عرفوا أنّه لا طاقة لهم به ؛ فتركوا ذلك ، وبعث أبرهة حنّاطة الحميرى إلى مكة ، وقال له : سل عن سيد هذا البلد وشريفهم ؛ ثم قل له : ٩٣٨/١ إن الملك يقول لكم : إني لم آت لحربكم ؛ إنما جئت لهدم البيت ؛ فإن لم تعرضوا دونه بحرب ، فلا حاجة لى بدمائكم ؛ فإن لم يرّد حربى فأنتى به .

فلما دخل حنّاطة مكّة سأل عن سيد قریش وشريفها ، فقيل له : عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي ، فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة . فقال له عبد المطلب : والله ما نريد حربته ، وما لنا بذلك من طاقة ؛ هذا بيت الله الحرام . وبيت خليله إبراهيم — أو كما قال — فإنّ يمنعه فهو بيته وحرّمه ، وإن يخلّ بينه وبينه ، فوالله ما عندنا من دفع عنه — أو كما قال له — فقال له حنّاطة : فانطلق إلى الملك ، فإنه قد أمرنى أن آتيه بك — فانطلق معه عبد المطلب ، ومعه بعض بنيّه ، حتى أتى العسكر فسأل عن ذى نفر — وكان له صديقاً — حتى دلّ عليه ، وهو فى محبسه ، فقال له : ياذا نفر ، هل عندك غنّاء فيما نزل بنا ؟ فقال له ذو نفر : وما غنّاء رجل أسير بيدي ملك ينتظر أن يقتله غدواً أو عشيّاً ! ما عندى غنّاء فى شىء مما نزل بك إلا أن أنيساً سائس القيل لى صديق ، فسأرسل إليه فأوصيه بك ، وأعظم عليه حقك ، وأسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلّمه بما تريد ، ويشفع لك عنده بخير ، إن قدر على ذلك . قال : حسبي .

فبعث ذو نفر إلى أنيس ، فجاء به ، فقال : يا أنيس ؛ إن عبد المطلب سيد قریش وصاحب غير مكة يطعم الناس بالسّهل ، والوحوش فى رؤوس الجبال ، ٩٣٩/١ وقد أصاب له الملك مائتي بعير فاستأذن له عليه ، وانفعه عنده بما استطعت . قال : أفعل ، فكلّم أنيس أبرهة فقال : أيها الملك ؛ هذا سيد قریش ببابك يستأذن عليك ، وهو صاحب غير مكّة يطعم الناس بالسّهل ، والوحوش فى رؤوس الجبال ، فأذن له عليك ، فيكلّمك بحاجته وأحسن إليه . قال : فأذن له

أبرهة - وكان عبد المطلب رجلاً عظيماً وسيماً جسيماً - فلما رآه أبرهة أجله وأكرمه أن يجلس تحته ، وكره أن تراه الحبشة يُجلسه معه على سرير ملكه ، فنزل أبرهة عن سرير ، فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جنبه ، ثم قال لترجمانه : قل له حاجتك إلى الملك ، فقال له ذلك الترجمان ، فقال عبد المطلب : حاجتي إلى الملك أن يردّ عليّ مائتي بعير أصابها لي . فلما قال له ذلك ، قال أبرهة لترجمانه : قل له قد كنت أعجبتني حين رأيتك ، ثم زهدت فيك حين كلمتني ؛ أتكلمني في مائتي بعير قد أصبتها لك وترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئتُ لخدمه لا تكلمني فيه ! قال له عبد المطلب : إني أنا ربّ الإبل ، وإن البيت ربّاً سيمنعه ، قال : ما كان ليمنع مني ، قال : أنت وذلك ، اردد إليّ إبل .

وكان - فيما زعم بعض أهل العلم - قد ذهب عبد المطلب إلى أبرهة حين بعث إليه حنّاة بعمر بن نفثة بن عدي بن الدثيل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة - وهو يومئذ سيد بني كنانة - ونحو يلد بن وائلة الهذلي - وهو يومئذ سيد هذيل - ١٠/١ فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهمامة على أن يرجع عنهم ، ولا يهدم البيت ، فأبى عليهم . والله أعلم .

وكان أبرهة قد ردّ على عبد المطلب الإبل التي أصاب له ، فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر ، وأمرهم بالخروج من مكة والتحرّز في شتّى الجبال والشتّاب تخوفاً عليهم معرة الجيش ، ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة الباب باب الكعبة ، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده ، فقال عبد المطلب ، وهو أخذ بحلقة باب الكعبة :

يَا رَبِّ لَا أَرْجُو لَهُمْ سِوَاكَ يَا رَبِّ فَاثْنَعْ مِنْهُمْ حَيَاكَ
إِنَّ عَدُوَّ النَّبِيِّ مَنْ عَادَاكَ ائْتَمَّهُمْ أَنْ يُخْرِبُوا قُرَاكَ

ثم قال أيضاً :

لَا هُمْ إِنْ الْقَيْدَ يَنْدُ نَحْ رَحْلَهُ فَاغْنِ جَلَالَكَ^(١)
 لَا يَطْلُبْنَ صَالِيَهُمْ وَمَحَالُهُمْ غَدَوْا مُحَالَكَ^(٢)
 فَلَنْ فَعَلْتَ قَرْبَمَا أَوْلَى فَأَمْرٌ مَا بَدَا لَكَ^(٣)
 وَلَنْ فَعَلْتَ فَإِنَّهُ أَمْرٌ تُتِمُّ بِهِ فَحَالَكَ
 جَرُّوا جُمُوعَ بِلَادِهِمْ وَالْقَيْلَ كَيْ يَسْبُوا عِيَالَكَ
 عَمَدُوا حِمَاكَ بِكَيْدِهِمْ جَهْلًا وَمَا رَقَبُوا جَلَالَكَ

[وقال أيضاً^(٤) :

وَكُنْتَ إِذَا أَتَى بَاغٍ بِسِلْمٍ نُرَجِي أَنْ تُكُونَ لَنَا كَذَلِكَ
 فَوَلَوْ لَمْ يَنَالُوا غَيْرَ خَزْمِي وَكَانَ الْحَيْنُ يُهْلِكُهُمْ هُنَا لَكَ
 وَلَمْ أَسْمَعْ بَارِئًا جَسَ مِنْ رِجَالِي أَرَادُوا الْعِزَّ فَانْتَهُوا حَرَامَكَ

٩١١/١

ثم أرسل عبد المطلب حَلَقَةَ الباب ، باب الكعبة ، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شَعَفَ الجبال ، فتحَرَّزُوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها . فلما أصبح أبرهة تهيأ للدخول مكة ، وهياً فيلته ، وعبى جيشه — وكان اسم الفيل محموداً — وأبرهة يجمع لهدم البيت ثم الانصراف إلى اليمن ؛ فلما وجهوا الفيل أقبل نُفَيْل بن حَبِيب الحِشْعَمِيّ حتى قام إلى جنبه ، ثم أخذ بأذنه ، فقال : ابْرُكْ محمود ، وارجع راشداً من حيث جئت ؛ فإنك في بلد الله الحرام . ثم أرسل أذنه ، فبرك الفيل وخرج نُفَيْل بن حَبِيب يشتدّ حتى صعد

(١) الحلال في البيت : القوم الخليل في المكان .

(٢) غداً ، أي غدا ولم يستعمل تاماً إلا في الشعر ، وانظر الفائق ١ : ٢٦٠ .

(٣) ولم يذكر ابن هشام سوى هذه الأبيات الثلاثة ؛ وقال : هذا ما صح له منها .

(٤) زيادة يقتضيها اختلاف بحر الأبيات التالية عما قبلها .

في الجبل ، ضربوا القيل ليقوم فأبى ، وضربوا في رأسه بالطبرزين^(١) ليقوم فأبى ، فأدخلوا عاجن^(٢) لهم في مراقته فبرغوه^(٣) ليقوم فأبى ، فوجهوه راجعاً إلى اليمن ، فقام يهرول ، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى مكة ففرك ، وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف ، مع كل طير منها ثلاثة أحجار يحملها ، حجري منقاره ، وجران في رجله مثل الحمص والعدس لا تصيب منهم أحداً إلا هلك ، وليس كلهم أصابت ، وخرجوا هاربين يتلون الطريق الذي منه جاءوا ، ويسألون عن نقييل بن حبيب ليدلّهم على الطريق إلى اليمن ، فقال نقييل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من نعمته :

أَيْنَ الْمَقَرِّ وَالْإِلَهِ الطَّالِبِ وَالْأَشْرَمُ الْمَغْلُوبُ غَيْرُ النَّالِبِ !
وقال نقييل أيضاً :

أَلَا حَيِّتِ عَنَّا يَا رُدَيْنَا نَمِنَّا كَمْ مَعَ الْإِضْبَاحِ عَيْنَا
أَتَانَا قَاسٍ مِنْكُمْ عِشَاءَ فَلَمْ يُقَدِّرْ لِقَائِكُمْ لَدَيْنَا
رُدَيْنَةُ لَوْ رَأَيْتِ وَلَمْ تَرَيْهِ لَدَى جَنْبِ الْمُحْصَبِ مَا رَأَيْنَا
إِذَا لَمَذَرْتِنِي وَحَدَّثِ رَأْيِي وَلَمْ تَأْتِي عَلَى مَا فَاتَ بَيْنَا^(٤)
حَدَّثْتُ اللَّهَ إِذْ عَايَنْتُ طَيْرًا وَخِفْتُ حِجَارَةً تُلْقَى عَلَيْنَا
فَكُلُّ الْقَوْمِ يَسْأَلُ عَنْ نُقِيلٍ كَأَنَّ عَلَى الْجُبْشَانَ دَيْنَا !

فخرجوا يتساقطون بكل طريق ، ويهلكون على كل منهل ، وأصيب أبرهة في جسده ، وخرجوا به معهم تسقط أنامله أنملة أنملة ، كلما سقطت منه

(١) الطبرزين : فأس السرج ؛ فارسي مرعب ؛ قال الجواليقي : « لأن فرسان الصمم كانت تحمله معها يقاتلون به » . العرب ٢٢٨ .
(٢) يزغوه : أدموه .

(٣) قال السهيلي : نصب « بينا » نصب المصدر المؤكّد لما قبله ؛ إذ كان في مناه ولم يكن على لفظه ؛ لأن « فات » مناه « فارق » ، و « بان » .

أتملة اتبعتها منه مدة تَمَثَّ (١) قبحاً ودماً حتى قَدِمُوا به صنعاء ؛ وهو مثل فرخ الطير ، فامات حتى انصدع صدره عن قلبه — فيما يزعمون (٢) .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان ، عن أبيه . قال : حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن السلمي ، عن أبيه . قال : حدثنا عبد الله بن عمرو بن زهير البكعي ، عن أبي مالك الحِميري عن عطاء بن يسار . ٩٤٣/١
قال : حدثنا محمد بن أبي سعيد الثَّقَفِي عن يعلَى بن عطاء ، عن وكيع بن عَدُس ، عن عمه أبي رَزِين المُقَلِّبِي . قال : حدثنا سعيد بن مُسْلَم ، عن عبد الله ابن كثير ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ؛ دخل حديث بعضهم في حديث بعض ، قالوا : كان التجاشي قد وجه أرباط أبا صحم (٣) في أربعة آلاف إلى اليمن ، فأداخها (٤) ، وغلب عليها ، فأعطى الملوك ، واستذل الفقراء ، فقام رجل من الحبشة يقال له أبرهة الأشرم أبو يكسوم ، فدعا إلى طاعته ، فأجابوه ، فقتل أرباط ، وغلب على اليمن ، ورأى الناس يتجهزون أيام الموسم للحج إلى البيت الحرام ، فسأل : أين يذهب الناس ؟ فقالوا : يحجّون إلى بيت الله بمكة ، قال : ممّ هو ؟ قالوا : من حجارة ، قال : فما كسوته ؟ قالوا : ما يأتيها هنا من الوصائل ، قال : والمسيح لأبنيين لكم خيراً منه ! فبني لهم بيتاً ، عمله بالرخام الأبيض والأحمر والأصفر والأسود ، وحلاه بالذهب والفضة ، وحفّه بالجواهر ، وجعل له أبواباً عليها صفائح الذهب ومسامير الذهب ، وفصل بينها بالجواهر ، وجعل فيها ياقوتة حمراء عظيمة ، وجعل لها حجاباً ، وكان يوقد بالمنديل ، ويلطّخ جذره بالمسك ، فيسوده حتى يغيب الجواهر . وأمر الناس فحجّوه ، فحجّه كثير من قبائل العرب سنين ، ومكث فيه رجال يتعبدون ويتألّهون ، ونسكوا له ، وكان نُفيل الحِمْيَري يورّض (٥) له ما يكره ، فلما كان ليلة من

(١) قال السهيلي : تمث ، بالضم والكسر ؛ فعل رواية الضم يكون الفعل متعدياً ، ونصب « قبحاً » على المفعول ، وعلى رواية الكسر يكون غير متعد ، ونصب « قبحاً » على التمييز .

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام ١ : ٤٢ - ٤٦ . (٣) د : « صحم » .

(٤) أداخها : أذلها . (٥) أرض الشيء : سواه وزينه .

٩٤٤/١ الليالى لم ير أحداً يتحرك، فقام فجاء بعذرة فطبخ بها قبلته، وجمع جيئاً فأتاها فيه . فأخبر أبرهة بذلك، فغضب غضباً شديداً، وقال: إنما فعلت هذا العرب غضباً لبيتهم، لأنقضته حجراً حجراً . وكتب إلى النجاشي يخبره بذلك، ويسأله أن يبعث إليه بقبيله ومحموده— وكان فيلاً لم ير مثله في الأرض عظيمًا وجسمًا وقوة— فبعث به إليه، فلما قدم عليه القليل سار أبرهة بالناس ومعه مئلك حيمير، ونُقيل بن حبيب الخثعمي، فلما دنا من الحرم أمر أصحابه بالغارة على نعم الناس فأصابوا إيلا لعبد المطلب، وكان نُقيل صديقًا لعبد المطلب، فكلّمه في إيله، فكلّم نُقيل أبرهة، فقال: أيّها الملك، قد أتاك سيد العرب وأفضلهم قدراً، وأقدمهم شرفاً، يحمل على الجياد، ويُعطي الأموال، ويُطعم ما هبت الريح. فأدخله على أبرهة، فقال: حاجتك! قال: تردّ على إيلي، فقال: ما أرى ما بلغتني عنك إلا الغرور، وقد ظننت أنك تكلمني في بيتكم الذي هو شرفكم، فقال عبد المطلب: ارددّ على إيلي، ودونك البيت؛ فإن له رباً سيمنه . فأمر بردّ إيله عليه، فلما قبضها قلدها النعال، وأشعرها، وجعلها هدياً، وبثها في الحرم لكي يصاب منها شيء فيغضب ربّ الحرم، وأوفى عبد المطلب على حيراء ومعه عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ومُطِيع بن عديّ وأبو مسعود الثقفي، فقال عبد المطلب:

لَا هُمْ إِنْ الرّءْ يَمَ نَعُ رَحْلَهُ فَاثْنَعُ حِلَالَكَ
لَا يَفْلِينَ صَلِيَهُمْ وَمِعَالَهُمْ غَدَوْا مِحَالَكَ
إِنْ كُنْتَ تَارَكَهُمْ وَقِيْدَ لَمْنَا فَأَمْرٌ مَا بَدَا لَكَ

٩٤٥/١ قال: فأقبلت الطير من البحر أبابيل، مع كل طير [منها] (١)، ثلاثة أحجار: حجران في رجله وحجر في ميقاره، فقلدت الحجارة عليهم، لا تصيب شيئاً إلا هشمته، ولا فقط ذلك الموضع، فكان ذلك أول ما كان الجندري والحصبية والأشجار المرة، فأهملتهم الحجارة، وبعث الله سيلاً أنيئاً، فذهب بهم فأتاهم في البحر .

قال : وولّى أبرهة ومنّ بقىّ معه هُرَابًا ، فجعل أبرهة يسقط عضواً عضواً . وأما «محمود» فيل النجاشي قَرَبَضَ ولم يشجع على الحرم فنجأ ، وأما الفيل الآخر فشجع فحُصِب . ويقال : كانت ثلاثة عشر فيلاً ، ونزل عبد المطلب من حراء ، فأقبل رجلان من الحبشة قَبِيلًا رأسه وقالا : أنت كنت أعلم .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يعقوب ابن عتبة بن المغيرة بن الأحنس ، أنه حدث أن أول ما رُئيت الحصبة والجدري بأرض العرب ذلك العام ، وأنه أول ما رُئى بها مُرَار الشجر : الحُرْمَل والحَنْظَل والعُشْر ، ذلك العام .

• • •

قال ابن إسحاق : ولما هلك أبرهة ملك اليمن ابنه في الحبشة يكسوم بن أبرهة — وبه كان يكنى — فذلت حمير وقبائل اليمن ووطنتهم الحبشة ؛ فنكحوا نساءهم ، وقتلوا رجالهم ، واتخذوا أبناءهم تراجمة بينهم وبين العرب . قال : ولما ردّ الله الحبشة عن مكة ، فأصابهم ما أصابهم من النقمة ، عظمت العرب قريشاً ، وقالوا : أهل الله ، قاتل الله عنهم ، فكفّاهم مؤونة عدوهم . قال : ولما هلك يكسوم بن أبرهة ملك اليمن في الحبشة أخوه مسروق ابن أبرهة ، فلما طال البلاء على أهل اليمن — وكان ملك الحبشة باليمن فيما بين أن دخلها أرباط إلى أن قتلت الفرس مسروقاً ، وأخرجوا الحبشة من اليمن ٩٤٦/١ ثنتين وسبعين سنة ، توارث ذلك منهم أربعة ملوك : أرباط ، ثم أبرهة ، ثم يكسوم بن أبرهة ، ثم مسروق بن أبرهة — خرج سيف بن ذى يزن الحميري ، وكان يكنى بأبي مِرّة ، حتى قدم على قيصر ملك الروم ، فشكا ما هم فيه ، وطلب إليه أن يخرجهم عنه ، ويليهم هو ، ويبعث إليهم مَنْ شاء من الروم ، فيكون له ملك اليمن ، فلم يُشْكِهِ ولم يجد عنده شيئاً مما يريد ، فخرج حتى قدم الحيرة على النعمان بن المنذر — وهو عامل كسرى على الحيرة وما يليها من أرض العرب من العراق — فشكا إليه ما هم فيه من البلاء والذلّ ، فقال له النعمان : إنّ لى على كسرى وفادة في كل عام ، فأقيم عندى حتى يكون ذلك ، فأخرج بك معى . قال : فأقام عنده حتى خرج النعمان إلى كسرى ، فخرج معه إلى

كسرى ، فلما قدم النعمان على كسرى وفرغ من حاجته ، ذكر له سيف بن ذى يزن وما قدم له ، وسأل أن يأذن له عليه ، ففعل . وكان كسرى إنما يجلس فى إيوان مجلسه الذى فيه تاجه ، وكان تاجه مثل القنصل^(١) العظيم ، مضروباً فيه الياقوت والزبرجد واللؤلؤ والذهب والفضة ، معلقاً بسلسلة من ذهب فى رأس طاق مجلسه ذلك ، كانت عنقه لا تحمل تاجه ، إنما يُستر بالثياب حتى يجلس فى مجلسه ذلك ، ثم يدخل رأسه فى تاجه ، فإذا استوى فى مجلسه كشف الثياب عنه فلا يراه رجل لم يره قبل ذلك إلا برك هيبة له . فلما دخل عليه سيف بن ذى يزن برك ، ثم قال : أيها الملك غلبتنا على بلادنا الأخرية ، فقال كسرى : أى الأخرية ؟ الحبشة أم السند ؟ قال : بل الحبشة ، فجتك لتنصرنى عليهم ، وتخرجهم عنى ، ويكون ملك بلادى لك ، فأنت أحب إلينا منهم . قال : بعدت أرضك من أرضنا ، وهى أرض قليلة الخير ، إنما بها الشاء والبعر ، وذلك مما لا حاجة لنا به ، فلم أكن لأورط جيشاً من فارس بأرض العرب . لا حاجة لى بذلك ! ثم أمر فأجيز بعشرة آلاف درهم واف ، وكساه كسوة حسنة .

فلما قبض ذلك سيف بن ذى يزن ، خرج فجعل ينثر الورق للناس ينهبها الصبيان والعبيد والإماء ، فلم يلبث ذلك أن دخل على كسرى ، فقيل له : العربى الذى أعطيته ما أعطيته ينثر دراهمه للناس ينهبها العبيد والصبيان والإماء . فقال كسرى : إن لهذا الرجل لشأناً ، اتقوا به ، فلما دخل عليه قال : عمدت إلى حياء الملك الذى حباك به تنثره للناس ! قال : وما أصنع بالذى أعطانى الملك ! ما جبال أرضى التى جثت منها إلا ذهب وفضة — يرغب فيها لما رأى من زهادته فيها — إنما جثت الملك ليمتنعنى من الظلم ، ويدفع عنى الذل ، فقال له كسرى : أقم عندى حتى أنظر فى أمرك . فأقام عنده .

وجمع كسرى مرازبته وأهل الرأى ممن كان يستشير فى أمره ، فقال : ما ترون فى أمر هذا الرجل ، وما جاء له ؟ فقال قائل منهم : أيها الملك ، إن فى سجونك رجالاً قد حبستهم للقتل ، فلو أنك بعثتهم معه ، فإن هلكوا كان الذى أردت بهم ، وإن ظهروا على بلاده كان ملكاً ازددته إلى ملكك . فقال : إن هذا الرأى ! أحصوا لى كم فى سجونى من الرجال ؟ فحسبوا له ،

(١) القنصل : مكياح يسع ثلاثين متراً ، والمتر : وزن رطلين .

فوجدوا في سجنه ثمانمائة رجل ، فقال : انظروا إلى أفضل رجل منهم حسباً وبيتاً ، اجعلوه عليهم . فوجدوا أفضلهم حسباً وبيتاً وهَرِزَ . وكان ذا سنّ - فبعثه مع سيف ، وأمّره على أصحابه ، ثم حملهم في ثمانين سفائن ، في كل سفينة مائة رجل ، وما يصلحهم في البحر .

فخرجوا حتى إذا لجّجوا في البحر ، غرقت من السفن سفيتان بما فيها ، فخلّص إلى ساحل اليمن من أرض عدن ست سفائن ، فيهنّ ستائة رجل ، فيهم وهَرِزَ ، وسيف بن ذى يزن ، فلما اطمانا بأرض اليمن ، قال وهَرِزَ لسيف : ما عندك ؟ قال : ما شئت من رجل عربي ، وفسر عربي ؛ ثم اجعل رجلي مع رجلك ؛ حتى نموت جميعاً أو نظهر جميعاً . قال وهَرِزَ : أنصفت وأحسنّت ! فجمع إليه سيف من استطاع من قومه ، وسمع بهم مسروق بن أبرهة فجمع إليه جنده من الحيشة ، ثم سار إليهم حتى إذا تقارب العسكران ، ونزل الناس بعضهم إلى بعض بعث وهَرِزَ ابناً له كان معه - يقال له تَوْزَاذَ - على جريدة خَيْبَلٍ ، فقال له : ناوشهم القتال ، حتى ننظر كيف قتالهم . فخرج إليهم فناوشهم شيئاً من قتال ، ثم تورّط في مكان لم يستطع الخروج منه فقتلوه ، فزاد ذلك وهَرِزَ حقناً عليهم ، وجيّدأ على قتالهم .

فلما تواقف الناس على مصافقتهم قال وهَرِزَ : أروني ملكهم ، فقالوا : ١٤٩/١ ترى رجلاً على القيل عاقداً تاجه على رأسه ، بين عينيه ياقوتة حمراء ، قال : نعم ، قالوا : ذاك ^(١) ملكهم ، قال : اتركوه . فوقفوا طويلاً ، ثم قال : علام هو ؟ قالوا : قد تحوّل على القرس ، فقال : اتركوه ، فوقفوا طويلاً ، ثم قال : علام هو ؟ قالوا : قد تحوّل على البغلة ، قال : ابنة الحمار ! ذلّ وذلّ ملكه ، هل تسمعون أننى سأرميه ، فإن رأيتم أصحابه وقفوا لم يتحركوا فائبنوا حتى أؤذنكم ، فلمنى قد أخطأت الرجل ، وإن رأيتم القوم قد استداروا ولا ثوابه ، فقد أصبت الرجل ، فاحملوا عليهم .

ثم أوثر قومه - وكانت فيما زعموا لا يوتريها غيره من شدتها - ثم أمر بحاجبيه

فمُصِّباً له ، ثم وضع في قوسه نُشَابَةً فغَطَّ (١) فيها حتى إذا ملأها أرسلها ففصك بها الياقوتة التي بين عينيه ، فتغلغلَّت النشابة في رأسه ، حتى خرجت من قفاه ، وتنكَّس عن دابته ، واستدارت الحيشة ، ولأثت به ، وحملت عليهم القُرس ، وانهمزت الحيشة ، فقتلوا وهرب شريدهم في كل وجه ، فأقبل وهرز يريد صنعاء يدخلها ، حتى إذا أتى بابها قال : لا تدخل رايقي منكسة أبداً : اهدموا الباب . فهدم باب صنعاء ، ثم دخلها ناصباً رايته يسارها بين يديه .

فلما ملك اليمن ونفى عنها الحيشة كتب إلى كسرى : إنني قد ضبطت لك اليمن ، وأخرجت من كان بها من الحيشة ، وبعث إليه بالأموال . فكتب إليه كسرى يأمره أن يملك سيف بن ذى يزن على اليمن وأرضها ، وفرض كسرى على سيف بن ذى يزن جزية وخرجاً يؤديه إليه في كل عام معلوم ، يُبْعَث إليه في كل عام . وكتب إلى وهرز أن ينصرف إليه . فانصرف إليه وهرز ، وملك سيف بن ذى يزن على اليمن ، وكان أبوه ذو يزن من ملوك اليمن .

فهذا ما حدثنا به ابن حميد ، عن سلمة عن ابن إسحاق ، من أمر حمير والحيشة ، وملكهم وتوجيه كسرى من وجهه لحرب الحيشة باليمن (٢) .

* * *

وأما هشام بن محمد ، فإنه قال : ملك بعد أبرهة يكسوم ، ثم مسروق . قال : وهو الذي قتله وهرز في ملك كسرى بن قباذ ، ونفى الحيشة عن اليمن . قال : وكان من حديثه أن أبا مرة الفياض ذا يزن ، كان من أشرف اليمن ، وكانت تحته ريمانة ابنة ذى جلدن ، فولدت له غلاماً سماه معدي يكرِب ، وكانت ذات جمال ، فانتزعها الأشرم من أبي مرة ، فاستنكحها ، فخرج أبو مرة من اليمن ، فلحق ببعض ملوك بني المنذر — أظنه عمرو بن هند — فسأله أن يكتب له إلى كسرى كتاباً ، يعلمه فيه قدره وشرفه ونزوهه إليه فيما نزع إليه فيه . فقال : لا تعجل ، فإن لي عليه في كل سنة وفادة ، وهذا وقتها ، فأقام قبله حتى وفد عليه معه ، فدخل عمرو بن هند على كسرى ،

(١) منط الرجل القوس منطاً : إذا مدحها بالقر . (٢) سيرة ابن هشام : ١ - ٥٠ - ٥٢ .

فذكر له شرف ذى يزن وحاله ، واستأذن له ، فدخل فأوسع له عمرو ، فلما رأى ذلك كسرى علم أن عمراً لم يصنع به ذلك بين يديه إلا لشرفه ، فأقبل عليه ، فألفظه وأحسن مسأله ، وقال له : ما الأمر الذى نزع بك ؟ قال : أيها الملك ، إن السُودان قد غلبونا^(١) على بلادنا ، وركبوا منا أموراً شنيعة^(٢) ، أجل الملك ٩٠١/١ عن ذكرها ، فلو أن الملك تناولنا بنصره من غير أن نستنصره ، لكان حقيقاً بذلك لفضله وكرمه وتقدمه لسائر الملوك . فكيف وقد نزعنا إليه ، مؤملين له ، راجين أن يقصم الله عدونا وينصرنا عليهم ، وينتقم لنا به منهم ! فإن رأى الملك أن يصدق ظننا ، ويحقق رجاءنا ، ويوجه معى جيشاً يفتون هذا العدو عن بلادنا فيزدادها إلى ملكه — فأتها من أخصب البلدان وأكثرها خيراً ، وليست كما يلى الملك من بلاد العرب — فعل .

قال : قد علمت أن بلادكم كما وصفت ، فأى السودان غلبوا عليها ؟ الحبشة أم السند ؟ قال : بل الحبشة ، قال أنوشير وان : إئتى لأحب أن أصدق ظنك ، وأن تنصرف بحاجتك ، ولكن المسلك للجيش إلى بلادك صعب ، وأكره أن أغرره بمجندى ، ولى فيما سألت نظرت ، وأنت على ما تحب . وأمر بإزالة وإكرامه ، فلم يزل مقيماً عنده حتى هلك . وقد كان أبو مرة قال قصيدة بالحُمَيْرِيَّة يمتدح فيها كسرى ، فلما ترجمت له ، أعجب بها .

وولدت ريمانة ابنة ذى جَدَن لأبرهة الأشرم غلاماً ، فسماه مسروقاً ، ونشأ معديكرب بن ذى يزن مع أمه ريمانة في حِجْر أبرهة فبسه ابن لأبرهة ، فقال له : لعنك الله ، ولعن أباك ! وكان معد يكرب لا يحسب إلا أن الأشرم أبوه ، فأقى أمه فقال لها : من أبى ؟ قالت : الأشرم ، قال : لا والله ، ما هو أبى ، ولو كان أبى ما سببى فلان ، فأخبرته أن أباه أبو مرة القياض ، واقتصت عليه خبره ، فوقع ذلك في نفس الغلام ، وليث بعد ذلك لبثاً . ٩٠٢/١

ثم إن الأشرم مات ، ومات ابنه يكسوم ، فخرج ابن ذى يزن قاصداً إلى ملك الروم ، وتجنب كسرى لإبطائه عن نصر أبيه ، فلم يجد عند ملك الروم ما يحب ، ووجهه يحامى عن الحبشة لمواقفتهم إياه على الدين ، فانكفاً راجعاً إلى كسرى ، فاعترضه يوماً وقد ركب ، فصاح به : أيها الملك ، إن لي عندك ميراثاً . فدعا به كسرى لما نزل ، وقال : من أنت ؟ وما ميراثك ؟ قال : أنا ابن الشيخ اليماني ذى يزن ، الذى وعدته أن تنصره ، فأتى بيابك وحضرتك ، فتلك العدة حتى لي وميراث يجب عليك الخروج لي منه . فرق له كسرى ، وأمر له بمال . فخرج الغلام ، فجعل ينثر الدراهم ، فانتبهها الناس . فأرسل إليه كسرى : ما الذى حملك على ما صنعت ؟ قال : إننى لم آت لك للمال ، إنما جئتكم للرجال ، ولتمنعنى من الذل . فأعجب ذلك كسرى ، فبعث إليه : أن أقم حتى أنظر فى أمرك . ثم إن كسرى استشار وزراءه فى توجيه الجند معه ، فقال له المؤيدان : إن لهذا الغلام حقاً بتزوجه وموت أبيه بباب الملك وحضرته ، وما تقدم من عِدته إياه ، وفى سجون الملك رجال ذوو نجدة وبأس ، فلو أن الملك وجههم معه ، فإن أصابوا ظفراً كان له ، وإن هلكوا كان قد استراح وأراح أهل مملكته منهم ، ولم يكن ذلك ببعيد من الصواب .

قال كسرى : هذا الرأى ، وأمر بمن كان فى السجون من هذا الضرب ، فأحصوا فبلغوا ثمانمائة نفر ، فقود عليهم قائداً من أساورته ، يقال له وهريز ، كان كسرى يعد له بألف أسوار^(١) ، وقوامهم وجهتهم وأمر بحملهم فى ثمانى سفائن ، فى كل سفينة مائة رجل ، فركبوا البحر ، ففرقت من الثمانى السفن سفينتان ، وسلمت ست ، فخرجوا بساحل حضرموت ، وصار إليهم مسروق فى مائة ألف من الحبشة وحُمير والأعراب ، ولحق بابن ذى يزن بشر كثير ، ونزل وهريز على سيف البحر ، وجعل البحر وراء ظهره ، فلمّا نظر مسروق إلى قتلهم طمع فيهم ، فأرسل إلى وهريز : ما جاء بك ، وليس معك إلا من

(١) ح : « وكان » .

(٢) الأسوار بالقسم والكسر : القائد فى الفرس .

أرى ، ومعى مَنْ تَرى ! لقد غرّرت بنفسك وأصحابك ، فإن أحببت أذنت لك ؛ فرجعت إلى بلادك ولم أهجك ؛ ولم ينلك ولا أحدٌ من أصحابك منى ولا من أحد من أصحابي مكروه ، وإن أحببت ناجرَتك الساعة ، وإن أحببت أجَلتكَ حتى تنظرَ في أمرِكَ ، وتشاور أصحابك .

فأعظم وهَرَزَ أمرهم . ورأى أَنه لا طاقة له بهم ، فأرسل إلى مسروق : بل تضرب بينى وبينك أجلاً ، وتعطينى موثقاً وعهداً ، وتأخذ مثله منى ؛ ألاّ يقال بعضنا بعضاً حتى ينقضى الأجلُ ، ونرى رأينا .

ففعل ذلك مسروق ، ثم أقام كل واحد منهما فى عسكره ، حتى إذا مضى من الأجل عشرة أيام ، خرج ^(١) ابن وهَرَز يسير على فرس له ، حتى دنا من عسكرهم ، وحمله فرسه ، فتوسط به عسكرهم ، وقتلوه - وهَرَز لا يشعر به - فلما بلغه قتلُ ابنه أرسل إلى مسروق : قد كان بينى وبينكم ما قد علمتم ، فليَم قتلهم ابنى ؟ فأرسل إليه مسروق : إن ابنك حمَل علينا ، وتوسط عسكرنا ، فثار إليه سفهاء من سفهائنا ، وقتلوه ، وقد كنت لقتله كارهاً . قال وهَرَز للرسول : قل له : إنه لم يكن ابنى ، إنما كان ابن زانية ، ولو كان ابنى لصبر ولم يفلر حتى ينقضى الأجل الذى بيننا . ثم أمر فرمى به فى الصعيد حيث ينظر إلى جثمانه ، وحلف ألا يشرب خمرأ ، ولا يدهن رأسه حتى ينقضى الأجل بينه وبينهم .

فلما انقضى الأجل إلا يوماً واحداً ، أمر بالسفن التى كانوا فيها فأحرق بالنار ، وأمر بما كان معهم من قَصَص كسوة فأحرق ، ولم يدع منه إلا ما كان على أجسادهم ، ثم دعا بكل زاد معهم . فقال لأصحابه : كلوا هذا الزاد ، فأكلوه ، فلما انتهوا أمر بفضله فألقى فى البحر ، ثم قام فيهم خطيباً ، فقال : أما ما حرقت من سفنكم ، فإنى أردت أن تعلموا أنه لا سبيل إلى بلادكم أبداً ، وأما ما حرقت من ثيابكم ، فإنه كان يغيظنى إن ظفرت بكم الحبش أن يصير

ذلك إليهم ، وأما ما ألقيت من زادكم في البحر ، فإنني كرهت أن يطعم أحد منكم أن يكون معه زاد يعيش به يوماً واحداً ، فإن كنتم قوماً تقاتلون معي وتصبرون أعلمتوني ذلك . وإن كنتم لا تفعلون اعتمدت على سببي هذا حتى يخرج من ظهري ؛ فإنني لم أكن لأمكنهم من نفسي أبداً . فانظروا ما تكون حالكم ، إذا كنت رئيسكم وفعلت هذا بنفسى ! فقالوا : لا بل نقاتل معك حتى نموت عن آخرنا ، أو نظفر .

فلما كان صبح اليوم الذى انقضى فيه الأجل عسى أصحابه ، وجعل البحر خلفه ، وأقبل عليهم يحضهم على الصبر ، ويعلمهم أنهم منه بين خلتين ، ٩٥٥/١
إمّا ظفروا بعدوهم ، وإمّا ماتوا كراماً ، وأمرهم أن تكون قسيهم موتره ، وقال : إذا أمرتكم أن ترموا فارمواهم رشقاً بالبشنجكان - ولم يكن أهل اليمن رأوا النشاب قبل ذلك - وأقبل^(١) مسروق فى جمع لا يرى طرفاه على فيل على رأسه تاج ، بين عينيه ياقوتة حمراء مثل البيضة ، لا يرى أن دون الظفر شيئاً . وكان وهزّز قد كلّ بصره فقال : أروى عظيمهم ، فقالوا : هو صاحب الفيل ؛ ثم لم يلبث مسروق أن نزل فركب فرساً ، فقالوا : قد ركب فرساً ، فقال : ارفعوا لى حاجبى ، وقد كانا سقطا على عينيه من الكبير ، فرفعوهما بعصاة ، ثم أخرج نشابة ، فوضعها فى كبد قوسه ، وقال : أشيروا لى إلى مسروق ، فاشاروا له إليه حتى أثبتته^(٢) ، ثم قال لهم : ارموا ، فرموا ، ونزع فى قوسه حتى إذا ملأها^(٣) سرح النشابة ، فأقبلت كأنها رشاء ، حتى صكت جهة مسروق ، فسقط عن دابته ، وقتل فى ذلك الرشق منهم جماعة كثيرة ، وانقضت صفتهم لما رأوا صاحبهم صريعاً ، فلم يكن دون الهزيمة شىء ، وأمر وهزّز بجثة ابنه من ساعته فووديت ، وأمر بجثة مسروق ، فألقيت مكاتها ، وغتم من عسكرهم ما لا يحصى ولا يُعدّ كثرة ، وجعل الأسوار يأخذ من الحبشة ومن حِمير والأعراب الخمسين والستين فيسوقهم مكتفين ، لا يمتنعون منه .

(٢) أثبتته : عرفه حق المعرفة .

(١) ح : « فأقبل » .

(٢) ح : « ملأها » .

فقال وهزّز : أمّا حمير والأعراب فكفّوا عنهم ، واقصدوا قصد السودان فلا تُبقوا منهم أحداً . فقتلت الحيشة يومئذ حتى لم يبق منهم كثير أحد ، وهرب رجل من الأعراب على جمل له ، فركضه يوماً وليلة ، ثم التفت ، فإذا في الحقيبة نشابة ، فقال : لأملك الويل ! أبعد أم طول مسير - حسب أن ٩٥٦/١ النشابة لحقته . وأقبل وهزّز حتى دخل صنعاء ، وغلب على بلاد اليمن ، وفرّق عمّاله في المخاليف .

وفي ابن ذى يزن وما كان منه ومن وهزّز والفرس ، يقول أبو الصلت أبو أمية بن أبي الصلت التقي :
 لِيَطْلُبِ الْوَيْلُ أَمْثَالَ ابْنِ ذِي يَزْنَ
 أُنَى هِرَقْلٍ وَقَدْ شَالَتْ نَعْمَانُهُمْ

رَيْمٌ فِي الْبَحْرِ لِلْأَعْدَاءِ أَحْوَالُ^(١)
 فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ بَعْضَ الَّذِي قَالَ^(٢)
 مِنْ السَّنِينَ لَقَدْ أَبْغَدْتَ إِيفَالَا
 إِنَّكَ لَمَعْرِى لَقَدْ أَطَوَّلْتَ قَفَالَا^(٣)
 أَوْ مِثْلُ وَهْرَزَ يَوْمَ الْجَيْشِ إِذْ صَالَا
 مَا إِنْ تَرَى لَهُمْ فِي النَّاسِ أَمْثَالَا
 أَشَدُّ تَرْبُّبٍ فِي النِّيَصَاتِ أَشْبَالَا
 فِي رَمَحٍ يُعْجِلُ الْمَرِيءَ إِعْجَالَا^(٤) ٩٥٧/١
 أَضْحَى شَرِيدُهُمْ فِي الْأَرْضِ فُلَالَا
 فِي رَأْسِ عُمْدَانٍ دَاراً مِنْكَ مَحَالَا
 نَمِثْلُ كِسْرَى شَهْنَشَاهِ الْمُلُوكِ لَهُ
 اللَّهُ دَرُّهُمْ مِنْ غَضَبِهِ خَرَجُوا
 غُرّاً جَعَّاجَةً ، يَبِضُّ مَرَّازِبَةً ،
 يَرْمُونَ عَنْ شُدْفٍ كَانَتْهَا غُبُطٌ
 أَرْسَلَتْ أَشْدَأَ عَلَى سُودِ الْكِلَابِ فَقَدْ
 فَأَشْرَبَ هَيْئًا عَلَيْكَ النَّاجُ مَتَكِكًا

(١) القصيدة في ابن هشام ١ : ٥٢ ، وقال : « وتروى لأمية بن أبي الصلت » . دج في البحر :

أقام فيه .

(٢) شالت نعمانهم ، أي هلكوا ، والتمامة في الأصل : باطن القدم .

(٣) بنو الأحرار : الفرس ، والقفال : شدة الحركة .

(٤) يراد بالشدف هنا القسي . والغبط : الهوارج . والزمرخ : القصب الفارسي .

وَأُظِّلَ بِالْمِسْكِ إِذْ شَالَتْ نَعَامَتُهُمْ وَأَسْبِلَ الْيَوْمَ فِي بُرْدِكَ إِسْتَبَالًا
تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانٍ مِنْ لَبَنٍ شَيْبًا بِمَاءِ قَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالًا^(١)

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق. قال: فلما انصرف وهريز إلى كسرى،
وملك سيفاً على اليمن، عدا على الحبشة فجعل يقتلها ويقر النساء عما في بطونها،
حتى إذا أفناها إلا بقايا ذليلة قليلة، فاتخذهم حوْلاً، واتخذ منهم جمّازين
يسعون بين يديه بحراهم، فكث بذلك حينئذٍ غير كثير. ثم إنه خرج يوماً والحبشة
تسعى بين يديه بحراهم، حتى إذا كان في وسط منهم وجنوه بالحرا حتى قتلوه،
ووثب بهم رجل من الحبشة، فقتل باليمن وأوعث، فأفسد، فلما بلغ ذلك كسرى
بعث إليهم وهريز في أربعة آلاف من الفُرس، وأمره ألا يترك باليمن أسود ولا
ولدَ عريضة من أسود إلا قتلَه؛ صغيراً أو كبيراً، ولا يدع رجلاً جتعداً
قططاً^(٢) قد شرك فيه السودان إلا قتلَه.

٩٥٨/١ فأقبل وهريز، حتى دخل اليمن، ففعل ذلك؛ ولم يترك بها حبشياً إلا
قتله، ثم كسب إلى كسرى بذلك، فأمره كسرى عليها. فكان عليها، وكان
يَجْسِيها إلى كسرى حتى هلك، وأمر كسرى بعده ابنه المرزبان بن وهريز،
فكان عليها حتى هلك، فأمر كسرى بعده البينجان بن المرزبان بن وهريز حتى
هلك، ثم أمر كسرى بعده خُسرَ بن البينجان بن المرزبان بن وهريز،
فكان عليها.

ثم إن كسرى غضب عليه، فحلف ليأتيته به أهل اليمن يحملونه على
أعناقهم ففعلوا، فلما قديم على كسرى تلقاه رجل من عظماء فارس، فألقى
عليه سيفاً لأبي كسرى، فأجاره كسرى بذلك من القتل ونزعه، وبعث بأذان
إلى اليمن، فلم يزل عليها حتى بعث الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم.
وكان - فيما ذكر - بين كسرى أنو شر وان وبين يخطيانوس ملك

(١) قال ابن هشام بعد أن أورد الأبيات: هنا ما صح له ما روى ابن إسحاق منها، إلا
آخرها، قوله: «تلك المكارم لا قعبان من لبن». (٢) الجعد: القصير الشعر، وكذلك القطط.

الروم ، موادعة ومدينة ، فوقع بين رجل من العرب كان ملكه يخطيانوس على عرب الشام ، يقال له خالد بن جبلة ، وبين رجل من لَحْم ، كان ملكه كسرى على ما بين عُمان والبَحْرَيْن واليَمَامَة إلى الطائف وسائر الحجاز ومن فيها من العرب ؛ يقال له المنذر بن النعمان - نائراً^(١) ، فأغار خالد بن جبلة على حيز المنذر ، فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة ، وغنم أموالاً من أمواله . فشكا ذلك المنذر إلى كسرى ، وسأله الكتاب إلى ملك الروم في إنصافه من خالد . فكتب كسرى إلى يخطيانوس ، يذكر ما بينهما من العهد على الهدنة ٩٥٩/١ والصلح ، ويعلمه ما لقي المنذر عامله على العرب من خالد بن جبلة الذي ملكه على مَنْ في بلاده من العرب ، ويسأله أن يأمر خالداً أن يرد على المنذر ما غنم من حيزه وبلاده ، ويدفع إليه دية مَنْ قتل من عربها . وينصف المنذر من خالد ، وألاً يستخف بما كتب به من ذلك ، فيكون انتقاض ما بينهما من العهد والهدنة بسببه .

وواتر الكتاب إلى يخطيانوس في إنصاف المنذر ، فلم يحفل بها ، فاستعد كسرى ، فغزا بلاد يخطيانوس في بضعة وتسعين ألف مقاتل ، فأخذ مدينة دارا ، ومدينة الرها ، ومدينة منبج ، ومدينة قنسرين ، ومدينة حلب ، ومدينة أنطاكية - وكانت أفضل مدينة بالشام - ومدينة فامية ، ومدينة حيمص ، ومدناً كثيرة متاخمة لهذه المدائن ؛ عتوة ، واحتوى على ما كان فيها من الأموال والعروض ، وسبى أهل مدينة أنطاكية ، ونقلهم إلى أرض السواد ، وأمر فبنيت لهم مدينة إلى جنب مدينة طيسبون على بناء مدينة أنطاكية - على ما قد ذكرت قبل - وأسكنهم إياها ، وهي التي تسمى الرومية ، وكور^(٢) لها كورة ، وجعل لها خمسة طاسيج : طسوج نهروان الأعلى ، وطسوج نهروان الأوسط ، وطسوج نهروان الأسفل ، وطسوج بادرايا ، وطسوج باكسابا ، وأجرى على السبى الذين نقلهم من أنطاكية إلى الرومية الأرزاق . وولى القيام بأمورهم رجلاً من نصارى أهل الأهواز ، كان ولاه الرياسة على أصحاب

٩٦٠/١

صناعاته^(١) ، يقال له : بَرَّاز ، رِقَّة منه لذلك السَّيِّ ، إرادة أن يستأنسوا بهراز لحال ملته ، ويسكنوا إليه . وأمَّا سائر مدن الشام ومصر فإنَّ بَخطيانوس ابتاعها من كسرى بأموال عظيمة حملها إليه ، وضمن له فدية يحملها إليه في كل سنة على ألاَّ يغزو بلاده ، وكتب لكسرى بذلك كتاباً ، وختم هو وعظماء الروم عليه ، فكانوا يحملونها إليه في كل عام .

وكان ملوك فارس يأخذون من كُور من كُورهم قبل ملك كسرى أنوشيروان في خراجها الثلث ، ومن كُور الربع ، ومن كُور الخمس ، ومن كُور السدس ؛ على قدر شربها وعمارتها ، ومن جزية الجماع شيئاً معلوماً ، فأمر الملك قُبَّاذ بن فيثروزي آخر ملكه بمسح الأرض ؛ سهلها وجبلها ليصح الخراج عليها ، فُسيحت ؛ غير أن قُبَّاذ هلك قبل أن يستحكم له أمر تلك المساحة ؛ حتى إذا ملك ابنه كسرى أمر باستئماها وإحصاء النخل والزيتون والجماع ، ثم أمر كتابه فاستخرجوا جُمْل ذلك ، وأذن للناس إذناً عاماً ، وأمر كاتب خواجه أن يقرأ عليهم الحمل التي استخرجت من أصناف غلات الأرض ، وعدد النخل والزيتون والجماع ، فقرأ ذلك عليهم ، ثم قال لهم كسرى : إنا قد رأينا أن نضع على ما أحصى من جيران^(٢) هذه المساحة من النخل والزيتون والجماع وضائع^(٣) ، ونأمر بإنجامها في السنة في ثلاثة أُنْجُم ، ونجمع في بيوت أموالنا من الأموال ما لو أتانا عن ثَغَر من ثغورنا ، أو طَرَف من أطرافنا فثَقَّ أوشىء نكرهه . واحتجنا إلى تداركه أو حسنمه ببذلنا فيه مالا ، كانت الأموال عندنا معدة موجودة ، ولم نرد استئناف اجتباها على تلك الحال . فما ترون فيما رأينا من ذلك وأجمعنا عليه ؟

فلم يُشير عليه أحد منهم فيه بمشورة ، ولم ينيس بكلمة ، فكَرَّر كسرى هذا القول عليهم ثلاث مرات . فقام رجل من عُرْضهم وقال لكسرى : أنضع أيها الملك — عمرك الله — الخالد من هذا الخراج على القاني من كَرَم يموت ، وزرع يتهيج^(٤) ، ونهر يغور ، وعين أوقاة ينقطع ماؤها ! فقال له كسرى : ياذا الكلفة

(١) ح : « مبيعاته » . (٢) الجريان : جمع جريب ؛ وهو مقدار معلوم من الأرض ؛ فقل عن قدامة الكاتب أنه ثلاثة آلاف وسِتائة ذراع .

(٣) الضحية : ما يأخذه السلطان من الخراج والعشور . (٤) يهيج : يبس .

المشوم ، من " أى طبقات الناس أنت ؟ قال : أنا رجل من الكتاب ، فقال كسرى : اضربوه بالدوى ^(١) حتى يموت ، فضربه بها الكتاب خاصة تبرؤاً منهم إلى كسرى من رأيه وما جاء منه ، حتى قتلوه . وقال الناس : نحن راضون أيها الملك بما أنت ملزمنا من خراج .

وإن كسرى اختار رجالاً من أهل الرأي والنصيحة ، فأمرهم بالنظر في أصناف ما ارتفع إليه من المساحة وعدة النخل والزيتون ورؤوس أهل الجزية . ووضع الوضائع على ذلك بقدر ما يرون أن فيه صلاح رعيته ، ورفاعة ^(٢) معاشهم ، ورفعها إليه . فتكلم كل امرئ منهم ببلغ رأيه في ذلك من تلك الوضائع ، وأداروا الأمر بينهم ، فاجتمعت كلمتهم على وضع الخراج على ما يعصم الناس والبهائم ، وهو الحنطة والشعير والأرز والكرشم والرطاب والنخل والزيتون ؛ وكان الذى وضعوا على كل جريب أرض من مزارع الحنطة والشعير درهماً ، وعلى كل جريب أرض كرم ثمانية دراهم ؛ وعلى كل جريب أرض رطاب سبعة دراهم ، وعلى كل أربع نخلات فارسية درهماً ، وعلى كل ستة نخلات ^(٣) دقل مثل ذلك ؛ وعلى كل ستة أصول زيتون مثل ذلك ؛ ولم يضعوا إلا على كل نخل [في] ^(٤) الحديقة ، أو مجتمع غير شاذ ، وتركوا ما سوى ذلك من الغلات السبع . فقيوى الناس في معاشهم ، وألزموا الناس الجزية ما خلا أهل البيوتات والعظماء والمقاتلة والمرايضة والكتّاب ، ومن كان في خدمة الملك ، وصبروها على طبقات : اثني عشر درهماً وثمانية وستة وأربعة ، كقدر إكثار الرجل وإقلاله ، ولم يباذروا الجزية من كان أقر له من السن دون العشرين أو فوق الخمسين ، ورفعوا وضائعهم إلى كسرى فرضيها وأمر بإمضائها والاجتباء عليها في السنة في ثلاثة أنجم ، كل نجم أربعة أشهر وسماها أبرامبار ، وتأويله « الأمر المتراضى » ، وهى الوضائع التى اقتدى بها عمر بن الخطاب حين افتتح بلاد الفرس ، وأمر باجتباء أهل النمة عليها ، إلا أنه وضع على كل جريب أرض غامر على قدر احتماله ؛ مثل الذى وضع على الأرض المزروعة ، وزاد على كل

(١) الدوى : جمع دواة ؛ وهى أداة يوضع فيها الحجر .

(٢) ح : « رفاهية » وهى بمعنى .

(٣) النخل : أردأ النمر . (٤) من سن

٩٦٣/١ جريب أرض مزارع حنطة أو شعير فقيراً من حنطة إلى القفيزين ، ورزق منه الجند . ولم يخالف عمر بالعراق وضائع كسرى على جيران الأرض وعلى النخل والزيتون والجماجم ، وألغى ما كان كسرى ألغاه من معاش الناس . وأمر كسرى فدوتت وضائعه نسخاً ، فاتخذت نسخة منها في ديوانه قبيله ، ودفعت نسخة إلى عمال الخراج ، ليجتباوا خراجهم عليها ، ونسخة إلى قضاة الكور ، وأمر القضاة أن يحولوا بين عمال الكور والزيادة على أهل الخراج فوق ما في الديوان الذي دفعت إليه نسخته ، وأن يدفعوا الخراج عن كل من أصاب زرعه أو شيئاً من غلاته آفة بقدر مبلغ تلك الآفة ، وعن هلك من أهل الجزية أو جاوز خمسين سنة ، ويكتبوا إليه بما يدفعون من ذلك ؛ ليأمر بحسبه للعمال ، وألا يخلطوا بين العمال وبين اجتناء من أتى له دون عشرين سنة .

• • •

وكان كسرى ولّى رجلاً من الكتاب — ناهياً بالنبل والمرومة والفتاء والكفاية ، يقال له بابك بن البيروان — ديوان المقاتلة ، فقال لكسرى : إن أمرى لا يتم إلا بإزاحة عنتى فى كل ما بى إليه الحاجة من صلاح أمر الملك فى جنده . فأعطاه ذلك ، فأمر بابك فبنيت له فى الموضع الذى كان يعرض فيه الجند مصطبة وفرش له عليها بساط سوسنجرد وتمط صوف فوقه ، ووضعت له وسائل لتكأته ، ثم جلس على ما فرش له ، ثم نادى مناديه فى شاهد عسكر كسرى من الجند أن يحضره الفرسان على كراعمهم وأسلحتهم والرجالة على ما يلزمهم من السلاح ، فاجتمع إليه الجند على ما أمرهم أن يحضره عليه ، ولم يعابن كسرى فيهم ؛ فأمرهم بالانصراف ، ونادى مناديه فى اليوم الثانى بمثل ذلك ، فاجتمع إليه ^(١) الجند . فلما لم ير كسرى فيهم أمرهم أن ينصرفوا ، ويغدوا ^(٢) إليه ، وأمر مناديه أن ينادى فى اليوم الثالث : ألا يتخلف عنه من شاهد العسكر أحد ، ولا من أكرام بتاج وسرير ؛ فإنه عزّم لا رخصة فيه ولا محاباة . فبلغ ذلك كسرى ، فوضع تاجه على رأسه وتسليح بسلاح المقاتلة ، ثم أتى بابك

(١) ر : « عليه » .

(٢) ر : « ويمدوا » .

ليعرض عليه ، وكان الذى يؤخذ به الفارس من الجند تجافيف^(١) ودرعا ، وجوشنا^(٢) ، وساقين ، وسيفاً ، ورعاً ، وترساً ، وجُرْزاً تلزمه منطقة ، وطبرزينا أو عموداً ، وجعبة فيها قوسان يوترهما ، وثلاثين نشابة ووترين مضمورين يعلقهما الفارس فى مِغْفَر له ظهرياً .

فاعترض كسرى على بابك بسلام تام ما خلا الوترين اللذين كان يستظهرهما . فلم يجز بابك عن اسمه ، وقال له : إنك أيها الملك واقف فى موضع المعدلة التى لا محابة تكون منى معها ولا هواة ، فهلم كل ما يلزمك من صنوف الأسلحة . فذكر كسرى قصة الوترين فتعلقهما ، ثم غرد داعى بابك بصوته ، وقال : للكمى سيد الكماة أربعة آلاف درهم ، وأجاز بابك عن اسمه ، ثم الصرف . وكان يفضل الملك فى العطاء على أكثر المقاتلة عطاء بلهم .

١١٥/١

فلما قام بابك من مجلسه ذلك أتى كسرى ، فقال : إن غلظتى فى الأمر الذى أغلظت فيه عليك اليوم أيها الملك ؛ إنما هى لأن ينقذ لى عليه الأمر الذى وضعتنى بسبيله ، وسبب من أوقع الأسباب لما يريد الملك إحكامه لمكانى^(٣) . فقال كسرى : ما غلظ علينا أمرٌ أريد به صلاح رعيتنا ، وأقيم عليه أود ذى الأود منهم .

ثم إن كسرى وجه مع رجل من أهل اليمن يقال له سَيْفَان بن مَعْدٍ يكرب — ومن الناس من يقول إنه كان يسمى سيف بن ذى يزن — جيشاً إلى اليمن ؛ فقتلوا من بها من السودان ، واستولوا عليها . فلما دانت لكسرى بلاد اليمن وجه إلى حِمْيَرَ تذيب من بلاد الهند — وهى أرض الجوهر — قائداً من قواده فى جند كثيف ، فقاتل ملكها فقتله ، واستولى عليها ، وحمل إلى كسرى منها أموالاً عظيمة ، وجوهرًا كثيرًا .

ولم يكن ببلاد الفرس بنات آوى ، فتساقطت إليها من بلاد الترك فى مُلْك كسرى أنوشيروان ؛ فبلغ ذلك كسرى ؛ فبلغ ذلك منه مشقة ، فدعا

(١) التجافيف : جمع تجفاف ، بالكسر ؛ وهو من آلات الحرب .

(٢) الجوشن : نوع من اللدروع .

(٣) ر ، ل ، : « بمكانى » .

موبدّان موبّد ، فقال : إنه بلغنا تساقط هذه السباع إلى بلادنا ، وقد تعاضل الناس ذلك ، فتعجبنا من استعظامهم أمرها لهاونها ، فأخبرنا برأيك في ذلك .

فقال له موبدّان موبّد : فإنّي سمعت أبا الملك - عمرك الله - فقهاءنا

يقولون : متى لا يغمر في بلدة العدل الجور ، ويمحق ، بليّ أهلها بغزو أعدائهم لهم ، وتساقط إليهم ما يكرهون ، وقد تخوّفت أن يكون تساقط

هذه السباع إلى بلادك لما أعلمتك من هذا الخطب . فلم يلبث كسرى أن^{١١٦/١}

تناهى إليه أن فتياناً من الترك قد غزوا أقصى بلاده ، فأمر وزراءه وأصحاب

أعماله ألاّ يتعدّوا فيما هم بسبيله العدل ، ولا يعملوا في شيء منه إلا به ،

فصرّف الله لما جرى من العدل ذلك العدو عن بلاده من غير أن يكون حارّ بهم ، أو كلف مؤونة في أمرهم .

وكان لكسرى أولاد متآبّيون ، فجعل الملك من بعده هُرمز ابنه الذي

كانت أمّه ابنة خاتون وخاقان لمعرفة كسرى إياه بالاعتقاد والأخذ بالوثيقة

وما رجا بذلك من ضبط هُرمز الملك وقدرته على تدبير الملك^(١) ورعيته^(٢)

ومعاملتهم .

ل . د . ع

وكان مولد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في عهد كسرى أنوشروان ، عام

قدّم أبرهة الأشرم أبو يكسوم مع الحبشة إلى مكّة ، وساق فيه إليها الفيل ،

يريد هدم بيت الله الحرام ، وذلك لمضى اثنتين وأربعين سنة من ملك كسرى

أنوشروان . وفي هذا العام كان يوم جيلة ، وهو يوم من أيّام العرب المذكور .

(١) ح ، ن : « ملكه » .

(٢) ح ، ن : « ورعيته » .

ذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثنا ابن المنثى ، قال : حدثنا وهب بن جرير ، قال : حدثنا أبي ، قال : سمعت محمد بن إسحاق يحدث عن المطلب بن عبد الله بن قيس بن حجرمة ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : ولدت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل .

قال : وسأل عثمان بن عفان قنات بن أشيم ، أخا بني عمرو بن لبيث : أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر مني ، وأنا أقدم منه في الميلاد ، ورأيت خذق^(١) الفيل أخضر محيلاً بعده بعام ، ورأيت أمية بن عبد شمس شيخاً كبيراً يقوده عبده . فقال ابنه : يا قنات ، أنت أعلم وما تقول .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : عن المطلب بن عبد الله بن قيس بن حجرمة ، عن أبيه ، عن جدّه قيس بن حجرمة ، قال : ولدب أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ، فنحن لِدَان^(٢) .

وحدثت عن هشام بن محمد ، قال : وُلِدَ عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربع وعشرين مَضَتْ من سلطان كسرى أنوشروان ، وولد رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة اثنتين وأربعين من سلطانه .

وحدثت عن يحيى بن معين ، قال : حدثنا حجاج بن محمد ، قال : حدثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : وُلِدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل .

حدثت عن إبراهيم بن المنذر ، قال : حدثنا عبد العزيز بن أبي ثابت ،

(١) خنق الفيل : روثه .

(٢) الخبر في ابن هشام ١ : ١٠٧ ؛ لدان : مثي لدة ؛ وهو الترب .

قال : حدثنا الزبير بن موسى ، عن أبي الحويرث ، قال : سمعت عبد الملك ابن مروان يقول لقبأب بن أشيم الكِنَانِيّ التَّيْمِيّ : يا قباث ، أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر مني وأنا أسن منه ، ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ، ووقفت بي أمي على روث الفيل محيلاً أعقله .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين عام الفيل ، لاثنتي عشرة ٩٦٨/١ مضت من شهر ربيع الأول ؛ وقيل إنه ولد صلى الله عليه وسلم في الدار التي تعرف بدار ابن يوسف ؛ وقيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وهبها لعقيل بن أبي طالب ، فلم تنزل في يد عقيل حتى توفي ، فبأعها ولده من محمد بن يوسف ، أخى الحجاج بن يوسف ، فبنى داره التي يقال لها دار ابن يوسف ، وأدخل ذلك البيت في الدار ، حتى أخرجته الخيزران فجعلته مسجداً يصلّى فيه .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : يزعمون فيما يتحدث الناس - والله أعلم - أن آمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانت تحدث أنها أتيت لما حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل لها : إنك قد حملت بسيّد هذه الأمة ، فإذا وقع بالأرض فقلّي : أعيدّه بالواحد ، من شر كلّ حاسد ، ثم سمّيه محمداً . ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت منه قصور بصري من أرض الشام ، فلما وضعته أرسلت إلى جدّه عبد المطلب ، أنه قد ولد لك غلام فأته فانظري إليه . فأتاه فنظر إليه ، وحدّثه بما رأت حين حملت به ، وما قيل لها فيه . وما أمرت أن تسميته .

حدثني محمد بن سنان القرّاز ، قال : حدثنا يعقوب بن محمد الزهرّي ، قال : حدثنا عبد العزيز بن عمران ، قال : حدثني عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم ، عن أبيه ، عن ابن أبي سويد الثقفي ، عن

عثمان بن أبي العاص ، قال : حدثني أمي أنها شهدت ولادة أمّنة بنت وهب ١٦٩/١
 أم رسول الله صلى الله عليه وسلم — وكان ذلك ليل ولّدته — قالت : فاشئ
 أنظر إليه من البيت إلاّ نور ، وإني لأنظر إلى النجوم تدنو ، حتى إني لأقول :
 لتقعن عليّ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال :
 فيزعمون أنّ عبد المطلب أخذه فدخل به على هُبَل في جوف الكعبة ،
 فقام عنده يدعو الله ويشكر ما أعطاه ، ثم خرج به إلى أمّه فدفعه إليها ،
 والتمس له الرضعاء ، فاسترضع له امرأة من بني سعد بن بكر ، يقال لها
 حليلة ابنة أبي ذؤيب ، وأبو ذؤيب عبد الله ، بن الحارث ، بن شجّنة ، بن
 جابر ، بن رزام ، بن ناصرة ، بن فُصيّة ، بن سعد ، بن بكر ، بن هوازن ، بن
 منصور ، بن عكرمة ، بن خَصَفّة ، بن قيس ، بن عيلان ، بن مضر .
 واسم الذي أرضعه : الحارث بن عبد العزى ، بن رفاع ، بن مِلّان ، بن
 ناصرة ، بن فُصيّة ، بن سعد ، بن بكر ، بن هوازن ، بن منصور ، بن
 عكرمة ، بن خَصَفّة ، بن قيس ، بن عيلان ، بن مضر . واسم إخوانته من
 الرضاعة : عبد الله بن الحارث ، وأنيسة ابنة الحارث ، وخديّمة^(١) ابنة الحارث
 وهي الشّيماء ، غلب ذلك على اسمها فلا تعرف في قومها إلاّ به .

وهي حليلة ابنة عبد الله بن الحارث ، أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛
 ويزعمون أنّ الشّيماء كانت تحضنه مع أمّها إذ كان عندهم صلى الله عليه
 وسلم^(٢) .

وأما غير ابن إسحاق ، فإنه قال في ذلك ما حدثني به الحارث ، قال :
 حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر ، قال : حدثني موسى بن
 شبيب ، عن عميرة ابنة عبيد الله بن كعب بن مالك ، عن برة ابنة

(١) قال السبيل : « خديّمة ، بكر الحاء المنقوطة » ، وقيل أيضاً أنه يقال : خدافة ،
 بالحاء المضمومة ، وبالفاء مكان الميم .

(٢) الخبر في ابن هشام ١ : ١٠٨ .

٩٧٠/١ أبي تُجْرَزَاءَ، قالت : أَوَّلُ مَنْ أَرْضَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُؤَيْبَةَ ، بلبن ابن لها — يُقَالُ لَهُ مَسْرُوحٌ — أَيَّامًا قَبْلَ أَنْ تَقْدَمَ حَلِيمَةُ ؛ وَكَانَتْ قَدْ أَرْضَعَتْ قَبْلَهُ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَأَرْضَعَتْ بَعْدَهُ أَبَا سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ الْخَزَوِيِّ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ إِسْحَاقَ — وَحَدَّثَنَا هَنَادُ بْنُ السَّرِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ إِسْحَاقَ . وَحَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ إِدْرِيسَ الْأَصَمِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْمُحْكَارِبِيُّ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ . وَحَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى الْأُمَوِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عُمَى مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ — عَنْ الْجَهْمِ بْنِ أَبِي الْجَهْمِ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ : كَانَتْ حَلِيمَةُ ابْنَةُ أَبِي ذُوَيْبِ السَّعْدِيَّةِ أُمَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي أَرْضَعَتْهُ . تَحَدَّثَتْ أَنَّهَا خَرَجَتْ مِنْ بِلَدِهَا مَعَهَا زَوْجُهَا وَإِنْ لَهَا تَرْضَعُهُ فِي نِسْوَةٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ ، تَلْتَمِسُ الرُّضْعَاءَ ^(١) ، قَالَتْ : وَذَلِكَ فِي سَنَةِ شَهْبَاءَ لَمْ تَبْقَ شَيْئًا ، فَخَرَجْتُ عَلَى أَتَانٍ لِي قَمَرَاءَ ، مَعَنَا شَارَفٌ ^(٢) لَنَا ، وَاللَّهُ مَا تَبِضُّ بِقَطْرَةٍ ، وَمَا نَنَامُ لَيْلَنَا أَجْمَعَ مِنْ صَبِيئِنَا الَّذِي مَعِيَ مِنْ بَكَائِهِ مِنْ الْجُوعِ ، وَمَا فِي ثَدْيِي مَا يُغْنِيهِ ، وَمَا فِي شَارِفِنَا مَا يَغْذُوهُ ^(٣) ، وَلَكِنَّا نَرْجُو الْغَيْثَ وَالْفَرَجَ ؛ فَخَرَجْتُ عَلَى أَتَانِي تِلْكَ ، فَلَقَدْ أَذْمَتُ ^(٤) بِالرَّكْبِ حَتَّى شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ضَعْفًا وَعَجَافًا ، حَتَّى قَدَمْنَا مَكَّةَ نَلْتَمِسُ الرُّضْعَاءَ ، فَمَا مَنَّا امْرَأَةً إِلَّا وَقَدْ عُرِضَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَابَاهُ إِذَا قَبِلَ لَهَا إِنَّهُ يَتِيمٌ ، وَذَلِكَ أَنَّا إِنَّمَا نَرْجُو الْمَعْرُوفَ مِنْ أَبِي الصَّبِيِّ ، فَكُنَّا نَقُولُ : يَتِيمٌ

٩٧١/١

(١) الرضعا ، يريد بها المراضع ؛ وأما الرضعا فهو جمع رضيع ؛ وأول السبيل رواية ابن إسحاق من وجهين : أحدهما حذف المضاف ؛ كأنه قال : ذوات الرضعا ، والثاني أن يكون أراد بالرضعا الأطفال على حقيقة اللفظ ؛ لأنهم إذا وجدوا له مرضعة ترضعه ، فقد وجدوا له رضيعاً يرضع منه . (٢) الشارف من الإبل : المستهجرة .

(٣) في ابن هشام : « ما يغديه » .

(٤) قال السبيل : أذمت ، أى جاءت بما ينم عليه .

ما عسى أن تصنع أمه و جدّه ! فكنا نكرهه لذلك ، فابقيت امرأة قد مَتَّ
مَعِيَ إِلَّا أَخَذَتْ رَضِيعًا ، غَيْرِي . فَلَمَّا أَجْمَعْنَا الانطلاق قلت لصاحبي :
إني لأكرهه أن أرجع من بين صواحيبائي ولم آخذ رَضِيعًا ، والله لأذهبنَّ
إلى ذلك اليتيم فلا خَدَّتْهُ ، قال : لا عليك أن تفعل ، فعسى الله أن يجعل
لنا فيه بركة ! قالت : فذهبتُ إليه فأخذتُها وما حملني على ذلك إلا أني لم
أجد غيره . قالت : فلما أخذتُها رجعت به إلى رحلي ، فلما وضعت في
حِجْرِي أَقْبَلَ عليه ثدييَ بما شاء من لبن ، فشرب حتى روي ، وشرب
معه أخوه حتى روي ، ثم ناما - وما كان ينامُ قبلَ ذلك - وقام زوجي إلى
شارفنا تلك ، فنظر إليها فإذا إنها لحافل ، فحلبَ منها حتى شربَ وشربتُ ،
حتى انتهينَا رِيًّا وَشَبَعًا ، فبشنا بخير ليلة . قالت : يقول لي صاحبي حينَ
أصبحتُ : أتعلمين والله يا حليلة ، لقد أخذت نسمَةً مباركة ، قلت : والله
إني لأرجو ذلك . قالت : ثمَّ خرجنا وركبتُ أتاني تلك ، وحملتُ عليها
معي ، فوالله لَقَطَعْتَ بنا الركبَ ما بقدمُ عليهما شيءٌ من حِمْرِهِمْ ،
حتى إن صواحي ليَقْلُنَّ لي : يا بنة أبي ذؤيب ، اربعي^(١) علينا .
أليس هذه أنا تلك التي كنت خرجت عليها ؟ فأقولُ لمن : بلى والله ، إنها لي
هي ، فيقلن : والله إن لها لسانًا . قالت : ثمَّ قدما منازلتنا من بلاد بني سعد ،
وما أعلم أرضًا من أرضِ الله أجذبَ منها ، فكانت غنمي تروح على حين
قدِمتنا به معنا شباعًا لُبْنًا ، فحلبَ ونشرب ، وما يحلبُ إنسانُ قطرةً ولا
يبدّها في ضَرْع ، حتى إن كان الحاضر من قومنا يقولون لرعيانهم : ويئسكم ،
اسرحوا حيث يسرح راعي ابنة أبي ذؤيب ! فترُوحُ أغنامهم جِيعًا ماتِيض^(٢)
بقطرة لبن ، وتروح غنمي شِباعًا لُبْنًا . فلم نزل نعرف من الله زيادة الخبر
به ، حتى مضت سنتان وفصلته . وكان يشبُّ شابًا لا يشبه الغلمان ، فلم
يبلغ سنَّتَيْهِ حتى كان غلامًا جَفْرًا^(٣) ، فقدِمتنا به على أمه ونحن أحرص
شيء على مكثه فيها ، لما كنّا نرى من بركته . فكلّمنا أمه وقلنا لها : يا ظيئر ،
لو تركتِ بَنِيَّ عِنْدِي حتى يغلُظ ، فأني أخشى عليه وباء مكّة ! قالت :

(١) اربعي : أقمي وانظري ؟ ربع فلان على فلان ؟ إذا أقام عليه وانظره .

(٢) ماتِيض : الشديد .

(٣) جَفْر : ما ترشح .

فلم نزل بها حتى ردّناه معنا . قالت : فرجعنا به ، فوالله إنّه بعد مقدمنا به بأشهر مع أخيه في بهم^(١) لنا خلف بيوتنا ، إذ أتانا أخوه يشتدّ ، فقال لي ولأبيه : ذاك أخى القرشيّ قد جاءه رجلان عليهما ثياب بياض ، فأضجعاه وشقّا بطنه وهما بسوطانه^(٢) . قالت : فخرجتُ أنا وأبوه نشتدّ ، فوجدناه قائماً منتصباً وجهه . قالت : فالتزمته والتزمه أبوه ، وقتلنا له : مالك يا بنى ؟ قال : جاءني رجلان عليهما ثياب بياض ، فأضجعاني فشقّا بطني فالتصا فيه شيئاً لا أدري ما هو ! قالت : فرجعنا إلى خيانتنا . قالت : وقال لي أبوه : والله يا حليلة لقد خشيتُ أن يكون هذا الغلام قد أصيب ، فالتحقه بأهله قبل أن يظهر به ذلك ، قالت : فاحتسبناه ، فقدمنا به على أمه ، فقالت : ما أقدمك به يا ظيئر ، وقد كنت حريصةً عليه وعلى مكثه عندك ؟ قالت : قلت : قد بلغ الله بابني وقضيتُ الذي عليّ وتخوفتُ الأحداث عليه ، فأدّيته إليك كما تحبين . قالت : ما هذا بشأنك . ، فاصدقني خبرك ، قالت : فلم تدعني حتى أخبرتها الخبر ، قالت : فتخوفت عليه الشيطان ؟ قالت : قلت : نعم ، قالت : كلاً والله ما للشيطان عليه سبيل ، وإنّ لبنيّ لشأناً ، أفلا أخبرك خبره ؟ قالت : قلت : بلى ، قالت : رأيت حين حملتُ به أنّه خرج مني نورٌ أضاء لي قصور بصرى من أرض الشام ، ثم حملتُ به ، فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخفّ منه ولا أيسرّ منه ، ثم وقع حين ولدته وإنّه لو اضع يديه بالأرض ، رافع رأسه إلى السماء ؛ دعيه عنك وانطلق راشدة^(٣) .

حدثنا نصر بن عبد الرحمن الأزديّ ، قال : حدثنا محمد بن يعقوب ، عن عمر بن صبيح ، عن ثور بن يزيد الشاميّ ، عن مكحول الشاميّ ، عن شدّاد بن أوس ، قال : بينا نحن جلوسٌ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أقبل شيخ من بني عامر ، وهو ميّدة قومه وميّدتهم ؛ من شيخ كبير يتوكأ على عصا ، فتمثل بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم قائماً ، ونسبه

(١) إليهم : الصغار من النعم .

(٢) قال السبيل : « يقال : سلت اللبن أو الدم أسوطه إذا ضربت بعضه ببعض ، والسوط :

عود يضرب به » . (٣) الخبر في ابن هشام : ١ - ١٠٨ - ١١٢ .

إلى جده، فقال: يا بن عبد المطلب، إني أنبئت أنك تزعم أنك رسول الله إلى الناس، أرسلك بما أرسل به إبراهيم، وموسى، وعيسى، وغيرهم من الأنبياء، ألا وإنك فوئت بعظيم، وإنما كانت الأنبياء والخلفاء في بيتين من بني إسرائيل، وأنت ممن يعبد هذه الحجارة والأوثان، فإلك وللنبوة! ولكن لكل قول حقيقة، فأنبئني بحقيقة قولك، وبدء شأنك؛ قال: فأعجب النبي صلى الله عليه وسلم بمسألتيه، ثم قال: يا أخا بني عامر، إن لهذا الحديث الذي تسألني عنه نبأً ومجلساً، فاجلس، فثنى رجله ثم برك كما يبرك البعير، فاستقبله النبي صلى الله عليه وسلم بالحديث فقال: يا أخا بني عامر، إن حقيقة قول وبدء شأني، أني دعوة أبي إبراهيم، وبشري أخى عيسى بن مريم. وإني كنت بكر أمي، وإنها حملت بي كأنفل ماتحمل، وجعلت تشكي إلى صواحيها نعل ما تجدد. ثم إن أمي رأت في المنام أن الذي في بطنها نور، قالت: فجعلت أتبع بصري النور، والنور يسبق بصري، حتى أضاءت لي مشارق الأرض ومغاربها. ثم إنني ولدتني فنشأت، فلما أن نشأت بغضت إلى أوثان قريش، وبغضت إلى الشعر، وكنت مسترضعاً في بني ليث بن بكر، فبينما أنا ذات يوم متبذ من أهلي في بطن واد مع أتراب لي من الصبيان نقاذف بيننا بالجلّة، إذ أنانا رهط ثلاثة معهم طست من ذهب ملىء ثلجاً، فأخذوني من بين أصحابي، فخرج أصحابي هرباً حتى انتهوا إلى شفير الوادي، ثم أقبلوا على الرهط فقالوا: ما أرىكم إلى هذا الغلام، فإنه ليس منا، هذا ابن سيد قريش، وهو مسترضع فينا، من غلام يتيم ليس له أب، فإذا برت عليكم قتله، وماذا تصيبون من ذلك! ولكن إن كنتم لا بد^(١) قاتليه، فاختاروا منا أبنا شتم، فليأتكم مكانه فاقتلوه، ودعوا هذا الغلام فإنه يتيم. فلما رأى الصبيان القوم لا يجيرون^(٢) إليهم جواباً، انطلقوا هرباً مسرعين إلى الحى، يؤذونهم ويستصرخونهم^(٣) على القوم، فعمد أحدهم فأضجني على الأرض

(٢) ط: «لا يخبرون»

(١) ح: «ولا»

(٣) ح: «يستصرخون»

إِضْجَاعًا لَطِيفًا ، ثُمَّ شَقَّ مَا بَيْنَ مَفْرَقِ صَدْرِي إِلَى مَتْنِي عَانِي ، وَأَنَا أَنْظُرُ
إِلَيْهِ ، فَلَمْ ^(١) أَجِدْ لِنَاكَ مَسًّا . ثُمَّ أَخْرَجَ أَحْشَاءَ بَطْنِي ثُمَّ غَسَلَهَا بِذَلِكَ التَّلَجِ
فَأَنْتَمَ غَسَلَهَا ، ثُمَّ أَعَادَهَا مَكَانَهَا ، ثُمَّ قَامَ الثَّانِي مِنْهُمْ فَقَالَ لَصَاحِبِهِ : تَنَحَّ ،
فَنَحَاهُ عَنِّي ، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَوْفِي فَأَخْرَجَ قَلْبِي وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ فَصَدَّعَهُ ،
ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْهُ مُضْغَةً سَوْدَاءَ ، فَرَمَى بِهَا ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ يَمْنَةً مِنْهُ ؛ كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ
شَيْئًا ، فَإِذَا أَنَا بِخَاتَمٍ فِي يَدِهِ مِنْ نَوْرِ يَحَارُ النَّاظِرُونَ دُونَهُ ، فَخَمَّ بِهِ قَلْبِي فَأَمْتَلَأُ
نُورًا ، وَذَلِكَ نُورُ التَّوْبَةِ وَالْحِكْمَةِ ، ثُمَّ أَعَادَهُ مَكَانَهُ فَوَجَدْتُ بَرْدَ ذَلِكَ الْخَاتَمِ
فِي قَلْبِي دَهْرًا ، ثُمَّ قَالَ الثَّلَاثُ لَصَاحِبِهِ : تَنَحَّ عَنِّي ، فَأَمَرَ يَدَهُ مَا بَيْنَ
مَفْرَقِ صَدْرِي إِلَى مَتْنِي عَانِي ، فَالْتَأَمَ ذَلِكَ الشَّقُّ بِإِذْنِ اللَّهِ . ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي
فَأَتَيْتَنِي مِنْ مَكَانِي إِنْهَاضًا لَطِيفًا ، ثُمَّ قَالَ لِلأَوَّلِ الَّذِي شَقَّ بَطْنِي : زِنَهُ بِعَشْرَةِ
مِنْ أُمَّتِهِ ، فَوَزَنُونِي بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : زِنَهُ بِمِائَةِ مِنْ أُمَّتِهِ ، فَوَزَنُونِي
بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : زِنَهُ بِأَلْفٍ مِنْ أُمَّتِهِ ، فَوَزَنُونِي بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ .
فَقَالَ : دَعُوهُ ، فَلَوْ وَزَنْتُمُوهُ بِأُمَّتِهِ كُلِّهَا لَرَجَحَهُمْ . قَالَ : ثُمَّ ضَمَمُونِي إِلَى
صُدُورِهِمْ وَقَبَّلُوا رَأْسِي وَمَا بَيْنَ عَيْنَيْ ، ثُمَّ ^(٢) قَالُوا : يَا حَبِيبَ ، لَمْ تُرْعَ ؛ إِنَّكَ
لَوْ تَدْرِي مَا يَرَادُ بِكَ مِنَ الْخَيْرِ لَقَرَرْتَ عَيْنَاكَ . قَالَ : فَبَيْنَمَا نَحْنُ كَذَلِكَ ، إِذَا أَنَا
بِالْحَيِّ قَدْ جَاءُوا بِحِذَائِهِمْ ، وَإِذَا أُمِّي — وَهِيَ ظَنَرِي — أَمَامَ الْحَيِّ تَهْتِفُ بِأَعْلَى
صَوْتِهَا وَتَقُولُ : يَا ضَعِيفَاهُ ! قَالَ : فَاذْكَبُوا عَلَيَّ فَقَبَّلُوا رَأْسِي وَمَا بَيْنَ عَيْنَيْ ،
فَقَالُوا : حَبِّدَا أَنْتَ مِنْ ضَعِيفٍ ! ثُمَّ قَالَتْ ظَنَرِي : يَا وَحِيدَاهُ ! فَاذْكَبُوا
عَلَيَّ فَضَمَمُونِي إِلَى صُدُورِهِمْ وَقَبَّلُوا رَأْسِي وَمَا بَيْنَ عَيْنَيْ ، ثُمَّ قَالُوا : حَبِّدَا
أَنْتَ مِنْ وَحِيدٍ وَمَا أَنْتَ بِوَحِيدٍ ! إِنَّ اللَّهَ مَعَكَ وَمَلَائِكَتُهُ وَالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ
الْأَرْضِ . ثُمَّ قَالَتْ ظَنَرِي : يَا يَتِيمَاهُ ، اسْتَضْعِفْتَ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِكَ
فَقَسَّيْتَ لَضَعْفِكَ ، فَاذْكَبُوا عَلَيَّ فَضَمَمُونِي ^(٣) إِلَى صُدُورِهِمْ وَقَبَّلُوا رَأْسِي
وَمَا بَيْنَ عَيْنَيْ ، وَقَالُوا : حَبِّدَا أَنْتَ مِنْ يَتِيمٍ ، مَا أَكْرَمَكَ عَلَى اللَّهِ ! لَوْ تَعْلَمُ
مَاذَا يَرَادُ بِكَ مِنَ الْخَيْرِ ! قَالَ : فَوَصَلُوا بِي إِلَى شَفِيرِ الْوَادِي ، فَلَمَّا بَصُرْتُ بِي

(١) كَذَا فِي ت ، ح ، وَفِي ط : « لَمْ » . (٢) ح : « وَقَالُوا » .

(٣) ت ، ر : « وَضَمَمُونِي » .

أنتى - وهى ظئرى - قالت : يا بُنى ألا أراك حياً بعد ! فجاءت حتى
انكبَّت على وضعتى إلى صدرها ؛ فوالذى نفسى بيده ، إننى لنى حجبرها
وقد ضمتنى إليها ، وإن يدى فى يد بعضهم ، فجعلت ألفت إليهم وظننت
أن القوم يبصرونهم ، فإذا هم لا يبصرونهم ، يقول بعض^(١) القوم : إن هذا
الغلام قد أصابه لسم أوطائف من الجن ، فانطلقوا به إلى كاهننا حتى ينظر إليه
ويُدْأويه . فقلت : يا هذا ، ما بى شئ مما تذكر ، إن أراى سليمة وفؤادى
صحيح ، ليس بى قلبة^(٢) . فقال أبى - وهو زوج ظئرى - ألا ترون كلامه
كلام صحيح ! إنى لأرجو ألا يكون بابى بأس^(٣) ، فاتفقوا على أن يذهبوا
بى إلى الكاهن ، فاحتملوني حتى ذهبوا بى إليه ، فلما قصوا عليه قصتى قال :
اسكنوا حتى أسمع من الغلام ، فإنه أعلم بأمره منكم ، فألبنى ، فاقصصت^(٤)
عليه أمرى ما بين أوله وآخره ، فلما سمع قولى وتبَّ إلى فضعتى^(٥) إلى صدره
ثم نادى بأعلى صوته : يا للعرَب ، يا للعرَب ! اقتلوا هذا الغلام واقتلوني معه ،
فواللات والعزى لئن تركتموه وأدرك ، ليبذلن دينكم وليسفهن عقولكم
وعقول آبائكم ، وليخالفن أمركم ، وليأتينكم بدين لم تسمعوا بمثله قط !
فعمدت ظئرى فانتزعتنى من حجبره وقالت : لانت أعته وأجن من
ابنى هذا ! فلو علمت أن هذا يكون من قولك ما أتيتك به ، فاطلب
لنفسك من يقتلك ، فإننا غير قتلى هذا الغلام . ثم احتملوني فأدوني
إلى أهلى فاصبحت مفزعاً مما فعل بى ، وأصبح أثر الشق ما بين صدرى إلى
مشتتهى عانى كأنه الشراك ؛ فذلك حقيقة قولى وبدء شائى يا أبا بنى عامر .
فقال العامرى : أشهد بالله الذى لا إله غيره^(٦) أن أمرك حتى^(٧) ، فأنبشى

(١) د ، ح : « بعضهم » .

(٢) ليس بى قلبة ؛ أى ليس به شئ . وأصله من القلاب ؛ وهو داء يأخذ الإبل فى رموسها ،

فيقلبها إلى فوق ؛ قال فى اللسان : « ولا يستعمل إلا فى النى » .

(٣) ت ، ح : « شئ من البأس » .

(٤) ل : « قصصت » .

(٥) ت ، ح : « وضعتى » .

(٦) ت ، ح : « إلا هو » .

(٧) ت ، ح : « الحق » .

بأشياء أسألك عنها ! قال : سل عنك - وكان النبي صلى الله عليه وسلم قبل ذلك يقول للسائل : سل عما شئت ، وعما بدا لك ، فقال للعامري يومئذ : «سل عنك» ، لأنها لغة بني عامر ، فكلّمه بما عليم - فقال له العامري : أخبرني يا ابن عبد المطلب ما يزيد في العلم ؟ قال : التعلم ، قال : فأخبرني ما يدل على العلم ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم : السؤال ، قال : فأخبرني ماذا يزيد في الشر ؟ قال : التّأدي ، قال : فأخبرني هل ينفع البر بعد الفجور ؟ قال : نعم ، التّوبة تغسل الحوبة ، والحسنات يذهب بها السيئات ، وإذا ذكر العبد ربّه عند الرّخاء ، أغاثه ^(١) عند البلاء ، قال العامري : وكيف ^(٢) ذلك يا ابن عبد المطلب ؟ قال : ذلك بأن الله يقول : لا عزّتي وجلالي ، لا أجمع لعبدي أمّنين ، ولا أجمع له أبداً خوفين ، إن هو خافني في الدنيا أمّنيني يوم أجمع فيه عبادي عندي في حظيرة الفردوس ^(٣) ، فيدوم له أمنه ، ولا أمّحقه ^(٤) فيمن أحق ، وإن هو أمّنيني في الدّنيا خافني يوم أجمع فيه عبادي لميقات يوم معلوم ، فيدوم له خوفه ، قال : يا ابن عبد المطلب ، أخبرني لإلام تدعو ؟ قال : أدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وأن تخلع الأنداد ، وتكفّر باللات والعزى ، وتقرّ بما جاء من الله من كتاب أو رسول ، وتصلّي الصلوات الخمس بحفاظهن ، وتصوم شهراً من السنّة ، وتؤدى زكاة ممالك ، يطهرك الله بها ، ويطبّب لك مالك ، وتحج البيت إذا وجدت إليه سبيلاً ، وتغتسل من الجنابة ، وتؤمن بالموت ، وبالبعث بعد الموت ، وبالحسنة ، والنار . قال : يا ابن عبد المطلب ، فإذا فعلت ذلك فإلي ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم : «جنّات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكّى» ^(٥) . قال : يا ابن عبد المطلب ، هل مع هذا من الدّنيا شيء ؟ فإنّه يُعجّبنني الوطاءة من العيش ! قال النبي

(١) ت ، ل : «أغاثه» .

(٢) ت ، ح : «كيف» .

(٣) ط : «القدس» ، وما أثبتته من ر .

(٤) ل : «أحق» .

(٥) سورة طه ٧٦

صلى الله عليه وسلم : نعم ، النَّصْبُ وَالْتِمَكُّنُ فِي الْبِلَادِ . قال : فأجاب وأنا ب .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان الكلاعي ، أن نفراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : يا رسول الله ، أخبرنا عن نفسك ، قال : نعم ، أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصور بصرى من أرض الشام ، واسترضعت في بني سعد بن بكر ، فبينما أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهماً لنا ، أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطشت من ذهب مملوءة ثلجاً ، فأخذاني ، فشققا بطني ، ثم استخرجا منه قلبي ، فشققاه فاستخرجا منه علقة سوداء ، فطرحاها ، ثم غسلا بطني وقلبي بذلك الثلج حتى أنقيياه ، ثم قال أحدهما لصاحبه : زنه بعشرة من أمته ، فوزنتي بهم فوزنتهم ، ثم قال : زنه بمائة من أمته ، فوزنتي بهم فوزنتهم ، ثم قال : زنه بألف من أمته ، فوزنتي بهم فوزنتهم ، ثم قال : دعه عنك ، فلو وزنته بأمة لوزنتها^(١) .

قال ابن إسحاق : هلك عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأم رسول الله آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة حامل به .

وأما هشام فإنه قال : توفي عبد الله أبو رسول الله ، بعد ما أتى على رسول ٩٨٠/١
الله صلى الله عليه وسلم ثمانية وعشرون شهراً .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : قال محمد بن عمر الواقدي : الثَّبَتُ عندنا مما ليس بين أصحابنا فيه اختلاف ، أن عبد الله بن عبد المطلب أقبل من الشام في غير لقريش ، فترز بالمدينة — وهو مريض — فأقام بها حتى توفي ، ودفن في دار النابغة ، في الدَّار الصَّغرى إذا دخلت الدَّار على يسارك في البيت .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري ، أن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنة ، توفيت — ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ست سنين — بالأبواء بين مكة والمدينة ، كانت قدمت به المدينة على أخواله من

بنى عدي بن النجار نزيله إياهم ، فأتت وهي راجعة به إلى مكة ^(١) .

وقد حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد ابن عمر ، قال : حدثني ابن جريج ، عن عثمان بن صفوان ، أن قبر أمنة بنت وهب في شعيب أبي ذر بمكة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن العباس ابن عبد الله بن معبد بن العباس ، عن بعض أهله ، أن عبد المطلب توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ثمان سنين ، وكان بعضهم يقول : توفي عبد المطلب ورسول الله ابن عشرين سنين ^(٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا طلحة بن عمرو الحضرمي ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم في حجر أبي طالب بعد جدّه عبد المطلب ، فيصبح ٩٨١/١ ولد عبد المطلب غمصاً رمصاً ، ويصبح صلى الله عليه وسلم صليلاً دهنياً ^(٣) .

• • •

رجع الحديث إلى تمام أمر كسرى بن قباد أنوشروان

حدثنا علي بن حرب الموصلي ، قال : حدثنا أبو أيوب يعلى بن عمران البجلي ، قال : حدثني مخزوم بن هاني الخزوي عن أبيه — وأت له خمسون ومائة سنة — قال : لما كانت ليلة ولید فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ارتجس إبان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شقة ، وخمدت نار فارس ، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام ^(٤) ، وغاضت بحيرة ساوة ، ورأى الموبد أن إبلاً صعباً ، تقود خيلاً عربياً ، وقد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها . فلما أصبح كسرى أفرغه ما رأى ، فصبر تشجعاً ، ثم رأى ألا يكتم ذلك عن وزرائه ومرازبته ، فليس تاجه وقعد على سريره وجمعهم إليه .

(١) الخبر في ابن هشام : ١١٣ .

(٢) النهاية لابن الأثير ٢ : ١٠٣ . والنسب والرمس : البيان الذي يجمع في زوايا الأجفان .

(٣) الحقائق : « ألف علم » .

فلما اجتمعوا إليه أخبرهم بالذي بعث إليهم فيه ودعاهم . فبيناهم كذلك إذ ورد عليه كتابٌ بخمود النارِ فازداد غمًّا إلى غمه ، فقال الموبدان : وأنا أصلح الله الملك ! قد رأيت في هذه الليلة ... وقصر عليه الرؤيا في الإبل . فقال : أى شيء يكون هذا يا موبدان ؟ - وكان أعلمهم عند نفسه بذلك - فقال : حادث يكون من عند العرب ، فكتب عند ذلك :

من كسرى ملك الملوك إلى النعمان بن المنذر ، أما بعد ؛ فوجه إلى رجلاً عالمًا بما أريد أن أسأله عنه .

فوجه إليه عبد المسيح بن عمرو بن حيّان بن بُقَيْلَةَ الفسافي ، فلما قدم عليه ، قال له : أعندك علم بما أريد أن أسألك عنه ؟ قال : ليخبرني الملك ، فإن كان عندي منه علم ، وإلا أخبرته بمن يعلمه له ، فأخبره ٩٨٢/١ بما رأى ؛ فقال : علم ذلك عند خال لي يسكن مشارف الشام ، يقال له سطيح ، قال : فاتيه فأسأله عما سألتك ، وأتني بجوابه . فركب عبد المسيح راحلته حتى قدم على سطيح - وقد أشق على الموت - فسلم عليه وحيّاه ، فلم يحير سطيح جوابًا ، فأنشأ عبد المسيح يقول :

أصمٌّ أم يسمعُ غطريفُ اليمَن ! يا فاضِلَ الخطّةِ أعتتَ من ومن
أم فازَ فازَ لم به شأو العن^(١) أذاك شيخُ الحَيِّ من آل سنن
وأُمهُ من آل ذنُبِ بند حجنْ أُرزقُ ممحى النَّابِ صرَّارُ الأذن^(٢)
أبيضُ فضفاضُ الرِّداءِ والبدنْ رَسولُ قَبيلِ المُجمِ يَسرى لِلوَسْنِ
يُحِبُّ بي الأرضَ علنداءُ شزن^(٣) ترفَعُني وجنْ وتَهْوِي بي وجنْ^(٤)
لَا يَرَقِبُ الرِّعْدَ وَلَا رَيْبَ الزَّمَنِ حَتَّى آتَى عَارِي الْجَاحِي وَالْقَطَنِ

(١) الفائق : « فاد » ، وهما بمعنى مات ، وازلم : ولى . (٢) ممحى : محدد .

(٣) الطندي : الشديد ، والفاء للمبالغة . والشزن : الشيط .

(٤) الوجين : الغليظ من الأرض ، جمعه وجن .

تَلَقَّهٗ فِي الرِّيحِ بَوَّغَاهُ الدَّمَنُ كَأَنَّمَا حُشِحَتْ مِنْ حِصْنِي نَكَنُ^(١)

فلما سمع سطيج شعرته ، رفع رأسه وقال : عبدُ المسيح ، على جمل يسيع^(٢) ، إلى سطيج ، وقد أوقى على الضَّرِيحِ ، بَعَثْتُكَ مَلِكُ بَنِي سَاسَانَ ، لَارْتِجَاسِ الْإِيوَانِ ، وَخُمُودِ النَّيْرَانِ ، وَرُؤْيَا الْمَوْبَدَانِ . رَأَى إِبْلًا صِعَابًا ، تَقُودُ خَيْلًا عَرَابًا ، قَدْ قَطَعَتْ دَجْلَةً وَانْتَشَرَتْ فِي بِلَادِهَا ؛ يَا عَبْدَ الْمَسِيحِ : إِذَا كَثُرَتْ التَّلَاوَةُ ، وَبُعِثَ صَاحِبُ الْهَرَاوَةِ ، وَفَاضَ وَادِي السَّمَاءِ ، وَغَاضَتْ بِحِيرَةُ سَاوَةِ ، وَخَمَدَتْ نَارُ فَارَسَ ، فَلْيَسْتَ الشَّامُ لِسَطِيجِ شَامَا ؛ بِمَلِكِ مِنْهُمْ مَلُوكُ وَمَلِكَاةَ ، عَلَى عَدَدِ الشَّرْفَاتِ ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ . ثُمَّ قَضَى سَطِيجُ مَكَانَهُ ، فَقَامَ عَبْدُ الْمَسِيحِ إِلَى رَحْلِهِ وَهُوَ يَقُولُ :

شَمَّرْ فَإِنَّكَ مَاضِي الْهَمِّ شَمِيرُ لَا يُفِرُّ عَنْكَ تَغْرِيقُ وَتَغْيِيرُ
إِنْ يَكُ مَلِكُ بَنِي سَاسَانَ أَفْرَطُهُمْ فَإِنَّ ذَا الدَّهْرِ أَطْوَارُ دَهَارِيرُ
فَرِيئًا رُبَّمَا أَضْحَوْا بِمَنْزِلَةٍ تَهَابُ صَوْلُهُمُ الْأَسَدُ الْمَهَاصِيرُ
مِنْهُمْ أَخْوَالُ الصَّرِيحِ مِهْرَانٍ وَإِخْوَتُهُ وَالْهَرْمُزَانِ وَسَابُورُ وَسَابُورُ
وَالنَّاسُ أَوْلَادُ عِلَّاتٍ فَمَنْ عَلِمُوا أَنْ قَدْ أَقْلَ ، فَمَهْجُورُ وَمَحْقُورُ
وَهُمْ بَنُو الْأُمِّ لَمَّا أَنْ رَأَوْا نَشَبًا فَذَاكَ بِالْقَيْبِ مُحْفُوظُ وَمَنْصُورُ
وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ فَالْخَيْرُ مُتَّبِعُ وَالشَّرُّ مُحْدُورُ

٩٨٤/١

فلما قدِمَ عبدُ المسيح على كِسْرَى ، أَخْبَرَهُ بِقَوْلِ سَطِيجِ ، فَقَالَ : إِلَى أَنْ يَمْلِكَ مِنَّا أَرْبَعَةُ عَشَرَ مَلِكًا قَدْ كَانَتْ أُمُورُ .
فَمَلِكُ مِنْهُمْ عَشْرَةُ أَرْبَعِ سِنِينَ ، وَمَلِكُ الْبَاقُونَ إِلَى مَلِكِ عُثْمَانَ بْنِ عِزَانَ^(٣) .

. . .

(١) الْبَوَّاهُ : دَقَاقَةُ الرَّابِ ، وَحِشَتْ : حَتَّ وَأَسْرَعَ . وَنَكَنُ : اسْمُ جَبَلٍ .

(٢) ر : وَشَجِجَ .

(٣) الْخَبَرُ فِي الْفَاتِقِ ١ : ٤٦٠ ، ٤٦١

وَحَدَّثْتُ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : بَعَثَ وَهْرَيزُ بِأَمْوَالٍ وَطُرِفَ مِنْ طُرْفِ الْيَمَنِ إِلَى كَسْرَى ، فَلَمَّا صَارَتْ بِلَادُ بَنِي تَمِيمٍ ، دَعَا صَعَصَعَةَ ابْنَ نَاجِيَةَ بْنِ عِقَالِ الْمَجَاشِعِيِّ بَنِي تَمِيمٍ إِلَى الْوُثُوبِ عَلَيْهِ ، فَأَبَوْا ذَلِكَ ، فَلَمَّا صَارَتْ فِي بِلَادِ بَنِي يَرْبُوعَ دَعَاهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، فَهَابُوهُ ، فَقَالَ : يَا بَنِي يَرْبُوعَ ، كَأَنِّي بِهَذِهِ الْعِيرِ قَدْ مَرَّتْ بِلَادُ بَكْرَ بْنِ وَاثِلٍ ، فَوَثَبُوا عَلَيْهَا فَاسْتَعَانُوا بِهَا عَلَى حَرِّ بَيْكُمُ ! فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ انْتَهَبُوا ، وَأَخَذَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَيْطٍ يَقَالُ لَهُ التَّنْطِيفُ خُرْجاً فِيهِ جَوْهَرٌ ، فَكَانَ يَقَالُ : « أَصَابَ كَنْزُ التَّنْطِيفِ » ، فَصَارَ مَثَلًا ، وَأَخَذَ صَعَصَعَةَ خَصْفَةً ^(١) فِيهَا سَائِلكُ فَيْضَةً ، وَصَارَ أَصْحَابُ الْعِيرِ إِلَى هَوْدَةَ بْنِ عَلِيٍّ الْحَنْظَلِيِّ بِالْيَمَامَةِ ، فَكَسَاهُمْ ، وَزَوَّدَهُمْ وَحَمَلَهُمْ ، وَسَارَ مَعَهُمْ حَتَّى دَخَلَ عَلَى كَسْرَى . وَكَانَ لِهَوْدَةَ جَمَالٌ وَبَيَّانٌ ، فَأَعْجَبَ بِهِ كَسْرَى وَحَفِظَ لَهُ مَا كَانَ مِنْهُ ، وَدَعَا بِعَقْدٍ مِنْ دُرٍّ فَعَقَدَ عَلَى رَأْسِهِ ، وَكَسَاهُ قَبَاءَ دِيبَاجٍ ، مَعَ كِسْفَةٍ كَثِيرَةٍ ، فَنُتِمَّ سُمِّيَ هَوْدَةُ ذَا النَّجَاجِ ؛ وَقَالَ ٩٨٥/١
 كَسْرَى لِهَوْدَةَ : أَرَأَيْتَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ صَنَعُوا مَا صَنَعُوا مِنْ قَوْمِكَ هَمْ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : أَصْلَحَ هَمْ لَكَ ؟ قَالَ : بَيْنَمَا الْمَوْتُ ، قَالَ : قَدْ أَدْرَكْتُ بَعْضَ حَاجَتِكَ [وَنَلْتَ ثَارَكَ] ^(٢) . وَعَزِمَ عَلَى تَوْجِيهِ الْحَيْلِ إِلَى بَنِي تَمِيمٍ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ بِلَادَهُمْ بِلَادُ سُوءٍ ، إِنَّمَا هِيَ مَفَاوِزُ وَصَحَارَى لَا يَهْتَدَى لِمَسَالِكِهَا ، وَمَاؤُهُمْ مِنَ الْآبَارِ ، وَلَا يُؤْمَنُ أَنْ يُعَوَّرُوا فِيهِلِكَ جَنْدِكَ . وَأَشِيرَ إِلَيْهِ أَنْ يَكْتَبَ إِلَى عَامِلِهِ بِالْبَحْرَيْنِ وَهُوَ آزَادُ فَرْوَزِ بْنِ جُشْنَسَاسٍ الَّذِي سَمَّيْتَهُ الْعَرَبِ الْمَكْعَبِيرِ - وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْمَكْعَبِيرِ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَقْطَعُ الْأَيْدِيَ وَالْأَرْجُلَ وَآلَى الْأَيِّدِ يَدَعُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ عَيْنًا تَطْرَفُ - فَتَقَعَلُ ؛ وَوَجَّهَ لَهُ رَسُولًا . وَدَعَا بِهَوْدَةَ فَجَدَّدَ لَهُ كِرَامَةً وَصِلَةً وَقَالَ : سِيرْ مَعَ رَسُولِي هَذَا فَاشْفِنِي وَاشْتَفِ ، فَأَقْبَلَ هَوْدَةَ وَالرَّسُولَ مَعَهُ حَتَّى صَارَ إِلَى الْمَكْعَبِيرِ ، وَذَلِكَ قَرِيبٌ مِنْ أَيَّامِ الْقُلَاقِ ^(٣) ، وَكَانَ بَنُو تَمِيمٍ يَصِيرُونَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ إِلَى هَجْرٍ ، لِلْمِيرَةِ وَالْقُلَاقِ ، فَنَادَى مَنَادَى الْمَكْعَبِيرِ : مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَلْيَسْخُضْ

(١) الخَصْفَةُ : عِوَاءٌ مِنْ خَوْصٍ . (٢) مِنْ ح .

(٣) الْقُلَاقُ : بِالضَّمِّ : جَمْعُ الْمُقَاتِلَةِ ؛ وَهُوَ مَا تَقَطُّعُ مِنْ كَرْبِ النَّخْلِ بَعْدَ الصَّرَامِ .

فإن الملك قد أمر لهم بميرة وطعام يُقسَم فيهم ؛ فحضروا ، فأدخلهم المشقَر - وهو حصنٌ حَيَّاهُ حصنٌ يقال له الصفا ، وبينهما نهرٌ يقال له محلم - وكان الذي بنى المشقَر رجلا من أساورة كسرى يقال له : «بسك بن ماهبوزه» ، كان كسرى وجهه لبناؤه ، فلما ابتدأه قيل له : إن هؤلاء القسعة لا يقيمون بهذا الموضع إلا أن تكون معهم نساء ، فإن فعلت ذلك بيهم - ثم بناؤك ، وأقاموا عليه حتى يفرغوا منه ؛ فنقل إليهم الفواجير من ناحية السواد والأهواز ، وحملت إليهم روابيا الخمر من أرض فارس في البحر ، فتناكحوا وتوالدوا ، فكانوا^(١) جلُّ أهل مدينة هجر ، وتكلم القوم بالعربية ، وكانت دعوتهم إلى عبد القيس ، فلما جاء الإسلام قالوا لعبد القيس : قد علمت عِدَدَنَا وعِدَّتَنَا وعِظِيمَ غَنَاتِنَا ، فأدخلونا فيكم وزوجونا ، قالوا : لا ، ولكن أقيموا على حالكم ، فأنتم إخواننا وموالينا ، فقال رجلٌ من عبد القيس : يا معاشر عبد القيس ، أطيعوني وألحقوهم ، فإنه ليس عن مثل هؤلاء مرغَب ، فقال رجل من القوم : أما تستحي ! أتأمرنا أن ندخل فينا من قد عرفت أوله وأصله ! قال : إنكم إن لم تفعلوا ألحقهم غيركم من العرب ، قال : إذا لا نستوحش لهم ؛ ففرق القوم في العرب ، وبقيت في عبد القيس منهم بقيةٌ فانتسبوا إليهم ، فلم يردوهم عن ذلك . فلما أدخل المكعبير بتي تميم المشقَر قتل رجالهم واستبق الغلمان ، وقتل يومئذ قعنب الرياحي - وكان فارس بن يربوع - قتله رجلان من شهن^(٢) كانا ينوبان الملوك ؛ وجعل الغلمان في السفن ، فعب بهم إلى فارس ، فتحصوا منهم بشرا . قال هيرة بن حدير العدوي : رجع إلينا بعد ما فتحت لإصطخر عدة منهم ، أحدهم خصي والآخر خياط . وشد رجلٌ من بني تميم ، يقال له عبيد بن وهب على سلسلة الباب فقطعتها وخرج ، فقال : تذكّرتُ هندا لات حين تذكّر تذكّرتها ودونها سيرٌ أشهر حجازية علوية نسل أهلها مصاب الحريف بين زور ومنور^(٣)

(١) ح : « وكانوا » .

(٢) بنوشن ، من عبد القيس ، وانظر الاشتقاق ٣٢٥

(٣) ر ، ل : « هضاب الحريف » .

أَلَا هَلْ أَتَى قَوْمِي عَلَى النَّاسِ أَنِّي حَصَيْتُ ذِمَارِي يَوْمَ بَابِ الْمُشَقَّرِ
ضَرَبْتُ رِجَاحَ الْبَابِ بِالسَّيْفِ ضَرْبَةً تَفْرَجُ مِنْهَا كُلُّ بَابٍ مُضْبَرٍ
وَكَلَّمَ هُوْدَةَ بْنَ عَلِيٍّ الْمَكْتُفِيرَ يَوْمَئِذٍ فِي مَائَةِ مَنْ أُسْرِيَ بَنِي تَمِيمٍ ،
فَوَهَبَهُمْ لَهُ يَوْمَ الْفَيْصَحِ ، فَأَعْتَقَهُمْ ، فَبَيَّنَّا ذَلِكَ يَقُولُ الْأَعَشَى :

سَاتِلُ تَمِيمًا بِهِ أَيَّامَ صَفَقَتِهِمْ لَمَّا أَتَوْهُ أُسَارَى كُلَّهُمْ ضَرَعًا^(١)
وَسَطَ الْمُشَقَّرِ فِي غَبْرَاءِ مُظْلِمَةٍ لَا يَسْتَطِيعُونَ بَعْدَ الضَّرِّ مُنْتَفِعًا
قَالَ لِلْمَلِكِ أَطْلِقْ مِنْهُمْ مِائَةً^(٢) رِسْلًا مِنَ الْقَوْلِ مَحْفُوضًا وَمَارَفًا
فَكَفَّ عَنْ مِائَةٍ مِنْهُمْ إِسَارَهُمْ^(٣) وَأَصْبَحُوا كُلُّهُمْ مِنْ غُلَّةِ خِلْمَا
بِهِمْ تَقَرَّبَ يَوْمَ الْفَيْصَحِ ضَاحِيَةً^(٤) يَرْجُو الْإِلَهَ بِمَا أَسْدَى وَمَا صَنَعَا^(٥)
فَلَا يَرَوْنَ بِذَاكَ نِعْمَةً سَبَقَتْ إِنْ قَالَ قَاتِلُهَا حَقًّا بِهَا وَسِيًا ٩٨٨/١
يَصِفُ بَنِي تَمِيمٍ بِالْكَفْرِ لِنِعْمَتِهِ .

قال : فلما حضرت وهربز الوفاة - وذلك في آخر ملك أنوشيروان -
دعا بقومه ونشأته ، ثم قال : أجلسوني ، فأجلسوه ، فبني وقال : انظروا حيث
وقعت نشأتي فأجعلوا ناؤوسي هناك ، ف وقعت نشأته من وراء الدَّيْر ،
وهي الكنيسة التي عند نَعْم ، وهي تسمى اليوم مقبرة وهربز ؛ فلما بلغ
كيسرى موت وهربز ، بعثت إلى اليمن أسواراً يقال له وِيش^(١) ، وكان جبَّاراً
مُسْرِفاً ، فَعَزَّزَ لَهُ هَرْمُزُ بْنُ كَيْسَرِي ، واستعمل مكانه المَرُوزَان ، فأقام

(١) من قصيدة في ديوانه ٧٢ - ٨٧ ، والفرع ، يفتحان : الدليل الضعيف .

(٢) الديوان : « سرح منهم مائة » .

(٣) الديوان : « وثاقهم » .

(٤) الديوان : « يوم الفتح » .

(٥) الديوان : « سدى » .

(٦) ط : « زين » ، وأثبت ما في التصريعات .

باليمن حتى وُلِدَ له بها ، وبلَغَ وَلَدُهُ . ثم هلك كِسْرَى أنوشروان ،
وكان مُلْكُهُ ثمانِيًا وأربعين سنة .

[ذكر ملك هرمز بن كِسْرَى أنوشروان]

ثم ملك هُرْمُزُ بن كِسْرَى أنوشروان ، وكانت أمُّه ابنة خاقان
الأكبر ، فحدثت عن هشام بن محمد ، قال : كان هُرْمُزُ بن كِسْرَى
هذا كثير الأدب ، ذا نيَّة في الإحسان إلى الضُّعفاء والمساكين ، والحمل على
الأشراف ، فعادَوْه وأبغضوه ، وكان في نفسه عليهم مثلُ ذلك ، ولمَّا عُنِدَ
التَّاجُ على رأسه ، اجتمع إليه أشرافُ أهلِ مَمْلَكَتِهِ ، واجتهدوا في الدِّعاء
له والشكر لوالده ، فوعدهم خيرًا . وكان مُتَحَرِّبًا للسيرة في رعيَّته بالعدل ،
شديدًا على العظماء لاستطاعتهم كانت على الوُضْعاء ، وبلغ من عدله أنَّه
كان يسير إلى ماه ليصيف ، فأمر فنودي في مسيره ذلك في جُنْدِهِ وسائر من
كان في عسكره أن يتحاموا مواضع الخروث ولا يضرّوا بأحد من الدَّهَّاقين
فيها ، ويضبطوا دوابَّهُمْ عن الفساد فيها ، ووكل بتعاهد ما يَكُونُ في عسكره
من ذلك ومعاينة من تعدَّى أمره . ٩٨٩/١

وكان ابنه كِسْرَى في عسكره ، فعار مركب^(١) من مراكيبه ووقع
في محاربتة من المحارث التي كانت على طريقه فرتع فيها وأفسد منها ،
فأخذ ذلك المركب ، ودفع إلى الرَّجُل الذي وكل هُرْمُزُ بمعاينة من أفسد
أو دابَّته شيئًا من المحارث وتغريمه . فلم يقتل الرَّجُل على إنفاذ أمر هُرْمُز
في كِسْرَى ، ولا في أحد ميسر كان معه في حشمه ، فرفع ما رأى من إفساد
ذلك المركب إلى هُرْمُز ، فأمر أن يحدَّع أذنيه ، ويشرَّ ذنبه ، ويغرم
كِسْرَى ؛ فخرج الرَّجُل من عند هُرْمُز لينفَّذ أمره في كِسْرَى ومركبه
ذلك ، ففسد له كِسْرَى رهطًا من العظماء ليسألوه التَّغْيِيبَ في أمره ،
فلقوه وكلَّموه في ذلك فلم يجب إليه ، فسألوه أن يؤخِّر ما أمر به هُرْمُز في
المركب حتى يكلموه فيأمر بالكف عنه ، ففعل . فلقى أولئك الرهط هُرْمُزُ

(١) عار : ضلّ ، والمركب هنا : الدَّابَّة .

وأعلموه أن المركب الذي أفسد ما أفسد زعارة^(١)، وأنه عار فوقع في محزنة؛ فأخذ من ساعة وقع فيها، وسأله أن يأمر بالكف عن جدعه وتبتيه لما فيها من سوء الطيرة على كسرى. فلم يجيبهم إلى ما سألوا من ذلك، وأمر بالمركب فجذع أذناه، وبثرت ذنبه، وغرم كسرى مثل ما كان يغرم غيره ١٩٠/١ في هذا الحد، ثم ارتحل من معسكره. وكان هرمز ركب ذات يوم في أوان لبناع الكرم إلى ساباط المدائن، وكان ممره على بساتين وكروم، وإن رجلاً ممن ركب معه من أساورته اطلع في كرم فرأى فيمحصراً، فأصاب منه عنقيداً ودفعها إلى غلام كان معه، وقال له: اذهب بها إلى المنزل وأطبئها بلحم، واتخذ منها مرققة فلها نافعة في هذا الإبان^(٢). فأتاه حافظ ذلك الكرم فلترمه وصرخ، فبلغ [من]^(٣) إشفاق الرجل من عقوبة هرمز على تناوله من ذلك الكرم أن دفع إلى حافظ الكرم منطقة عملاء يذهب كانت عليه، عوضاً له من الحصرم الذي رزأ من كرمه، وافتدى نفسه بها، ورأى أن قبض الحافظ إياها منه وتخليته عنه، منة من بها عليه، ومعرف أسداه إليه. وقيل إن هرمز كان مظفراً منصوراً لا يمسد يده إلى شيء إلا ناله، وكان مع ذلك أديباً أريباً داهياً ردى النية، قد نزع أخواله الأتراك، وكان مقصياً^(٤) للأشراف، وإنه قتل من العلماء وأهل البيوتات والشرف ثلاثة عشر ألف رجل وسائة رجل، وإنه لم يكن له رأى إلا في تألف السفلة واستصلاحهم، وإنه حبس ناساً كثيراً من العظماء وأسقطهم وخط مراتبهم ودرجاتهم، وجهز الجنود وقصر بالأساورة ففسد عليه كثير ممن كان حوله ليمّا أراد الله من تغيير أمرهم وتحويل ملكهم؛ ولكل شيء سبب. وإن المراهبة رفعوا إليه قصة ييغون فيها على النصارى، ١٩١/١ فوقع فيها: إنه كما لا قيام لسرير ملكتنا بقائمته المقدمتين دون قائمته

(١) الزعارة، بتخفيف الزاء أو تشديدها: شراسة الطبع.

(٢) ل: «الأوان».

(٣) من ح.

(٤) ل: «مضبياً».

المؤخرين ، فكنذك لاقوام للثكنة ولا ثبات له ، مع استفسادنا من في بلادنا من النصارى وأهل سائر الملل المخالفة لنا ؛ فأقصرُوا عن البغى على النصارى ، واطلبوا على أعمال البر ليرى ذلك النصارى وغيرهم من أهل الملل [والأديان] ،^(١) فيحمدوكم عليه ، وتتوفى أنفسهم إلى ملتكم .

وحدثت عن هشام بن محمد ، قال : خرج على هرمز الترك - وقال غيره : أقبل عليه^(٢) شابة ملك الترك الأعظم - في ثلثائة ألف مقاتل ، في سنة إحدى عشرة من ملكه ، حتى صار إلى بادغيس وهراة . وإن ملك الروم صار إلى الضواحي في ثمانين ألف مقاتل قاصداً له ، وإن ملك الخزر صار في جمع عظيم إلى الباب والأبواب ، فعاث وأخرب ، وإن رجلين من العرب يقال لأحدهما : عباس الأحول ، والآخر : عمرو الأزرق ، نزلا في جمع عظيم من العرب بشاطئ الفرات ، وشنوا الغارة على أهل السواد ، واجتروا أعداؤه عليه وغزوا بلاده ، وبلغ من اكتسافهم إياها أنها سُميت منخلا كثير السام . وقيل : قد اكتنف بلاد الفرس الأعداء من كل وجه كاكنتاف الوترسيته القوس . وأرسل شابة ملك الترك إلى هرمز وعظماء الفرس يؤذنه بإقباله في جنوده ، ويقول : رُموا قناطر أنهار وأودية اجتاز عليها إلى بلادكم ، واعتقدوا القناطر على كل نهر من تلك الأنهار لاقنطرة له ، وافعلوا ذلك في الأنهار والأودية التي عليها مسلكتي من بلادكم إلى بلاد الروم ، لإجماعي بالمسير إليها من بلادكم . فاستغظع هرمز ما ورد عليه من ذلك ، وشاور فيه ، فأجمع له على قصد ملك الترك ، فوجه إليه رجلاً من أهل الرأي يقال له بهرام بن بهرام جشنس - ويعرف بجوبين - في اثني عشر ألف رجل ، اختاره بهرام على عينيه من الكهول دون الشباب . ويقال : إن هرمز عرض ذلك الوقت من كان بحضرته من الديوانية ، فكانت عدتهم سبعين ألف مقاتل ، فضى بهرام بمن ضم إليه مغيذاً حتى جاز هراة وبادغيس ، ولم يشعر شابة بهرام حتى نزل بالقرب منه معسكراً ، فجرت

(١) من ح .

(٢) د : إليه .

بَيَّنَهُمَا رَسَائِلُ وَحُرُوبٌ ، وَقَتَلَ بِهَرَامُ شَابَةَ بِرَمِيَّةٍ رَمَاهُ لِإِنَّاهَا . وَقِيلَ : إِنْ الرَّحَى فِي مَلِكِ الْعَجَمِ كَانَ لثَلَاثَةِ نَفَرٍ ، مِنْهَا رَمِيَّةُ أَرَشِيَاطِينَ بَيْنَ مِيْنُوشَهْرٍ ، وَأَفْرَاسِيَابَ ^(١) ، وَمِنْهَا رَمِيَّةُ سُوخْرَا فِي التَّرْكِ ، وَمِنْهَا رَمِيَّةُ بِهَرَامٍ هَذِهِ . وَاسْتَبَاحَ ٩٩٣/١ عَسْكَرَهُ وَأَقَامَ بِمَوْضِعِهِ ، فَوَافَاهُ بِرَمُودَةَ بْنِ شَابَةَ ، وَكَانَ يَعْدِلُ بِأَبِيهِ ، فَحَارَبَهُ فَهَزَمَهُ ، وَحَصَرَهُ فِي بَعْضِ الْحِصُونِ ، ثُمَّ أَلَحَّ عَلَيْهِ حَتَّى اسْتَسْلَمَ لَهُ ، فَوَجَّهَهُ إِلَى هَرَمَزٍ أَسِيرًا ، وَغَنِمَ مِمَّا ^(٢) كَانَ فِي الْحِصْنِ [وَكَانَتْ] ^(٣) كَنْزًا عَظِيمَةً ^(٤) .

وَيَقَالُ إِنَّهُ حَمَلَ إِلَى هَرَمَزٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْخَوَهِرِ وَالْآيَةِ وَالسَّلَاحِ وَصَائِرِ الْأُمْتَعَةِ مِمَّا غَنِمَهُ وَقَرَّ مَائَتَى أَلْفٍ وَخَمْسِينَ أَلْفَ بَعِيرٍ ، فَشَكَرَ هَرَمَزُ لِبِهَرَامٍ مَا كَانَ مِنْهُ بِسَبَبِ الْغَنَائِمِ الَّتِي صَارَتْ إِلَيْهِ ، وَخَافَ بِهَرَامٍ سَطْوَةَ هَرَمَزٍ ، وَخَافَ مِثْلَ ذَلِكَ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْجُنُودِ ، فَخَلَعُوا هَرَمَزًا وَأَقْبَلُوا نَحْوَ الْمَدَائِنِ ، وَأَظْهَرُوا الْاِمْتِخَاضَ مِمَّا كَانَ مِنْ هَرَمَزٍ ، وَأَنَّ ابْنَهُ أَبَرْوِيزَ أَصْلَحَ لِلْمُلْكِ مِنْهُ . وَسَاعَدَتْهُمْ عَلَى ذَلِكَ بَعْضُ مَنْ كَانَ بِمَحْضَرِهِ هَرَمَزٍ ، فَهَرَبَ أَبَرْوِيزُ بِهَذَا السَّبَبِ إِلَى آذَرْبِيْجَانِ خَوْفًا ^(٥) مِنْ هَرَمَزٍ ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ هُنَاكَ عِدَّةٌ مِنَ الْمَرَازِبَةِ وَالْإِسْبَهْلِينَ ، فَأَعْظَمُوهُ بِسَيْعَتِهِمْ ، وَوَسَّوْا الْعِظَمَاءَ وَالْأَشْرَافَ بِالْمَدَائِنِ ، وَفِيهِمْ بِيْنْدَى وَبِسْطَامُ خَالَا أَبَرْوِيزَ ، فَخَلَعُوا هَرَمَزَ وَحَمَلُوا ^(٦) عَيْنِيهِ وَتَرَكَوْهُ تَحَرُّجًا مِنْ قَتْلِهِ .

وَبَلَغَ الْخَبْرُ أَبَرْوِيزَ ، فَأَقْبَلَ بِمَنْ شَابَعَهُ ^(٧) مِنْ آذَرْبِيْجَانٍ إِلَى دَارِ الْمَلِكِ مُسَابِقًا لِبِهَرَامٍ ، فَلَمَّا صَارَ إِلَيْهَا اسْتَوَلَى عَلَى الْمُلْكِ وَتَحَرَّزَ مِنْ بِهَرَامٍ ، وَالتَقَى هُوَ وَهُوَ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ وَانْ ، فَجَعَلَ بَيْنَهُمَا مَنَاظَرَةٌ وَمُوَاقِفَةٌ ، وَدَعَا أَبَرْوِيزُ بِهَرَامَ إِلَى أَنْ يُؤْمِنَهُ وَيَرْفَعَ رَتَبَتَهُ وَيُسْنِيَ وِلَايَتَهُ ، فَلَمْ يَقْبَلْ ذَلِكَ ، وَجَرَتْ ٩٩٤/١ بَيْنَهُمَا حُرُوبٌ اضْطَرَّتْ أَبَرْوِيزَ إِلَى الْمَرْبِ إِلَى الرُّومِ مُسْتَعِثًا بِمُلْكِهَا بَعْدَ حَرْبٍ

(١) ط : فراسيات ، وأثبتت ماق الشاهنامه .

(٢) ح : « ما كان » .

(٣) من ح .

(٤) ح : « عظاما » .

(٥) ح : « تنفوا » .

(٦) سمل عينيه : فقأها بمحيدة محمدا . (٧) ر : « بايحه » .

شديدة وبيات كان من بعضهم بعض . وقيل إنه كان مع بهرام جماعة من الأشداء ، وكان فيهم ثلاثة نفر من وجوه الأتراك لا يعدل بهم في فروسياتهم^(١) وشدتهم من الأتراك أحد ، قد جعلوا لبهرام قتل أبرويز . فلما كان الغد من ليلة البيات وقف أبرويز ودعا الناس إلى حرب بهرام فتقاتلوا عليه ، قصده نفر الثلاثة من الأتراك ، فخرج إليهم أبرويز فقتلهم بيده واحداً واحداً ، ثم انصرف من المعركة وقد أحس من أصحابه بالفتور والتغير ، فصار إلى أبيه بطيئسبون حتى دخل عليه ، وأعلمه ما قد تبينه من أصحابه وشاوره ، فأشار عليه بالمصير إلى موريق ملك الروم ليستنجد ، فأحرز حرمة في موضع أمين عليهم بهرام ، ومضى في عدة يسيرة ؛ منهم يندى ويسطام وكردى أخو بهرام جوين حتى صار إلى أنطاكية ، وكاتب موريق فقبله ، وزوجه ابنة له كانت عزيزة عليه^(٢) ، يقال لها : مريم . وكان جميع مدة ملكك هرمز بن كسرى في قول بعضهم ، إحدى عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرة أيام . وأما هشام بن محمد فإنه قال : كان ملكه اثني عشرة سنة .

• • •

[ذكر ملك كسرى أبرويز بن هرمز]

٩٩٥/١ ثم ملك كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى أنوشروان ؛ وكان من أشد ملوكهم بطشاً ، وأنفذهم رأياً ، وأبعدهم غوراً ، وبلغ - فيما ذكر - من البأس والتجدة والتصر والظفر وجمع الأموال والكنوز ومساعدة القدر ومساقعة^(٣) الدهر إياه ما لم يتهيأ الملك أكثر منه ، ولذلك سمي أبرويز ، وتفسيره بالعربية : « المظفر » . وذكر أنه لما استوحش من أبيه هرمز - ليمّا كان من احتيال بهرام جوين في ذلك ، حتى أوهم هرمز أنه على أن يقوم بالملك لنفسه دونه - سار إلى آذربيجان مكتتماً ، ثم أظهر أمره بعد ذلك ، فلما صار في الناحية اجتمعت إليه جماعة ممن كان هناك من الإصبهانيين وغيرهم ، فأعطوه بيعتهم على نصرتهم ؛ فلم يحدث في الأمر شيئاً . وقيل إنه لما قتل آذينجشنس الموجه لمحاربة بهرام جوين ، انقض

(١) ط : « فروسياتهم » واثني من ت ، ل . (٢) ح : « عنته » . (٣) كذا في ل ، ح .

الجمع الذى كان معه حتى وافوا المدائن ، واتَّبِعَهُمْ جَوِينٌ ، فاضطرب أمر هرمز ، وكتبَتْ أختُ آذِينَجُشْنَسْ إلى أبرويز - وكانت تربيّه - نخبره بضعف هرمز للحادث فى آذِينَجُشْنَسْ ، وأنَّ العظماءَ قد أَجْمَعُوا على خلعهِ ، وأعلّمتهُ أنَّ جوينَ إن سبّقه إلى المدائن قبل موافاته احتوى عليّنها .

فلما ورد الكتاب على أبرويز ، جمع من أمكنه من أرمينية وآذربيجان ، وصار^(١) بهم إلى المدائن ، واجتمع إليه الوجوه والأشراف مسرورين بموافاته ، فتتوّج بتاج الملك ، وجلس على سريره ، وقال : إنَّ من ملئتنا لئثار البرِّ ، ومن رأينا العمل بالخير ، وإنَّ جدنا كسرى بن قباد كان لكم بمنزلة الوالد ، وإنَّ هرمز أبانا كان لكم قاضياً عادلاً ، فعليكم بلزوم السَّمع والطاعة . ١٩٦/١
فلما كان فى اليوم الثالث ، أتى أباه فسجد له ، وقال : عمرك الله أيها الملك ! إنَّك تعلم أننى برىء مما أتى إليك المنافقون ، وأننى إنمّا توأيت ولحقت بأذربيجان خوفاً من إقدامك على القتل . فصدّقه هرمز وقال له : إنَّ لى إليك يا بئى حاجتين ، فأستغنى بهما ؛ إحداهما : أن تستقم لى ممّن عاون على خلعي والسَّمَل لعينى ، ولا تأخذك فيهم^(٢) رافة ؛ والأخرى : أن تؤنسينى كلَّ يوم بثلاثة نفر لهم أصالة رأى ، وتأذن لهم فى الدخول علىّ . فتواضع له أبرويز وقال : عمرك الله أيها الملك ، إنَّ المارق بهرام قد أظلمنا ومعه الشجاعة والنَّجدة ، ولسنا نقدر أن نمدّ يداً إلى من أتى إليك ما أتى ، فإن أدالينى الله على المنافق ، فأنا خليفةُك وطوْعُ يدك .

وبلغ بهرام قدوم كسرى وتعليك الناس إياه ، فأقبل بجنده حثيثاً نحو المدائن ، وأذكى أبرويزُ العيون عليه ، فلما قُرب منه رأى أبرويز أنَّ الترفق به أصلح ، فسلّح وأمر ببنْدويه وبِسْطام وناساً كان يثقُ بهم من العظماء وألف رجل من جنده ، فتربّثوا وتسَلَّحوا ، وخرج بهم أبرويز من قصره نحو بهرام ، والناس يدعون له ، وقد احتوشه ببنْدويه وبِسْطام

(١) ت ، ح : « صار » .

(٢) ت ، ح : « بهم » .

٩٩٧/١ وغيرُهما من الوجوه حتَّى وقف على شاطئ النهرِوان ، فلمَّا عرف بهرام مكانه ، ركب بَرْدُونًا له أبلقَ كان معجبًا به ، وأقبلَ حاسِرًا ومعه لِيَزْدَجُشْنَسْ وثلاثةُ نفرٍ من قرابة ملكِ الترك كانوا جعلوا لبهرام على أنفسهم أن يأتوه بأبرويز أسيرًا ، وأعطاهم بهرامُ على ذلك أموالًا عظيمة . ولمَّا رأى بهرامُ بَرْدُونًا كسرى وزينته والتاج ، يسَّارِه معه «درفش كايان» علمُهم الأعظم منشورًا ، وأبصرَ بِنْدُونِيَّةَ وبِسْطامَ وسائرَ العظماء وحسنَ تسلُّحهم وفراحةَ دوابهم ، اكتبَ لذلك ، وقال لمن معه : ألا ترونَ ابنَ الفاعلة قد ألحِمَ وأشحمَ ، وتحولَ من الحدادة إلى الحُنْكة ، واستوتَ لِحِيَّتُهُ وكَمَلَّ شبابهُ ، وعظمَ بَدَنُهُ ! فبينا هويتكلمُ بهذا وقد وقف على شاطئ النهرِوان . إذ قال كِسْرى لبعض من كان واقفًا : أى هؤلاء بهرام ؟ فقال أخُ لبهرام يسمَّى كُرْدِي لم يزل مُطيعًا لأبرويز مؤثرًا له : عمرُك الله ! صاحبُ البرِّذون الأبلق . فبدأ كِسرى فقال : إنَّك يا بهرام رُكنٌ لمملكتنا وسنادٌ لرعيَّتنا ، وقد حسنَ بلاؤُك عندنا ، وقد رأينا أن نختارك يومًا صالحًا لنولِّيكَ فيه إصْبهبَنْدَةَ بلادِ الفرس جميعًا ، فقال له بهرام - وازداد من كِسرى قربًا - : لكنِّي أختارك يومًا أصْلُبك فيه . فامتلاك كِسرى حُرْنًا من غير أن يبدو في وجهه من ذلك شيء ، وامتدَّ بينهما الكلام ، فقال بهرام لأبرويز : يا ابن الزَّانية المُربِّي في خيام الأكراد ! هذا ومثله ، ولم يقبل شيئًا ممَّا عرضه عليه ، وجرى ذِكْرُ لِيرش جدِّ بهرام ، فقرَّعه أبرويز بطاعة لِيرش كانت لِنَوْشِهَرُ جدِّه . وتفرَّقا وكلُّ واحدٍ منهما على غاية الوحشة لصاحبه .

٩٩٨/١ وكانت لبهرامَ أختٌ يقال لها كُرْدِيَّة ، من أُمِّ النساء وأكملهنَّ ، وكان تزوُّجها ، فعابت بهرام على سوء مِلاَظفتها كانت لكِسرى ، وأرادته على الدُّخول في طاعته ، فلم يقبل ذلك ، وكانت بين كِسرى وبهرام مُباينة ، فيُقَال إنَّه لما كان من غدِ الليلة التي كان البيات فيها ، أبرز كسرى نفسه ، فلما رآه الأتراك الثلاثة قصلوه ، فقتلهم بيده أبرويز ، وحرَّض الناس

على القتال فتيين فشلاً ، فأجمع ^(١) أبرويز على إتيان بعض الملوك للاستجاشة به ، فصار إلى أبيه وشاورة ، فرأى له المصير إلى ملك الروم ، فأجرت نساءه وشخص في عدة يسيرة ، فيهم يندويه ويسطام وكردى أخو بهرام ، فلما خرجوا من المدائن خاف القوم من بهرام أن يرد هرمز إلى الملك ويكتب إلى ملك الروم عنه في ردهم فبئلتوا ، فأعلموا أبرويز ذلك ، واستأذنه في إتلاف هرمز فلم يجز جواباً ، فانصرف يندويه ويسطام وبعض من كان معهم إلى هرمز حتى أنلفوه خنقاً ، ثم رجعوا إلى كيسرى وقالوا : سير على خير طائر ، فحثوا دوابهم وصاروا إلى الفرات فقطعوه ، وأخذوا طريق المغازة بدلالة رجل يقال له خرشيدان ، وصاروا إلى بعض الديارات التي في أطراف العمارة ، فلما أوطنوا إلى الراحة غشيتهم خيل بهرام ، يرأسها رجل يقال له بهرام بن سياوش ، فلما نذروا بهم أنه يندويه أبرويز من نومه وقال له : احتل لنفسك ، فإن القوم قد أطلقوك ، قال كيسرى : ما عندى حيلة ، فأعلمه يندويه أنه يبذل نفسه دونه ، وسأله أن يدفع إليه بيزته ويخرج ومن معه من الدبر ، ففعلوا ذلك ، وبادروا القوم حتى تواروا بالجل ، فلما وافى بهرام بن سياوش ، اطلع عليه من فوق الدبر يندويه وعليه بزة أبرويز ، فوهمه بذلك أنه أبرويز ، وسأله أن ينظره إلى غده ليصير في يده مسلماً ، فأمسك عنه ، ثم ظهر بعد ذلك على حيلته ، فانصرف به إلى جوبين ، فحبسه في يدى بهرام بن سياوش .

٩٩٩/١

ويقال إن بهرام دخل دور الملك بالمدائن ، وقعد على سريره ، واجتمع إليه الوجوه والعظماء فخطبهم ووقع في أبرويز ، وذمه ، ودار بينه وبين الوجوه مناظرات [وكلام] ^(٢) كان كلهم منصرفاً عنه ، إلا أن بهرام جلس على سرير الملك وتوَّج وأنشأ له الناس خوفاً — ويقال إن بهرام بن سياوش واطماً يندويه على الفتك بجوبين ، وإن جوبين ظهر على ذلك فقتله ، وأقلت يندويه فلهن بأذربيجان ، وسار أبرويز حتى أتى أنطاكية ، وكاتب موريق ملك الروم

(١) ت ، ح . : « فأجمع رأيه »

(٢) مزح .

منها ، وأُرسل إليه بجماعة ممن كان معه وسأله نُصْرَتَه ، فأجابته إلى ذلك ، وقادته الأمور إلى أن زوّجه مريم ابنته وحملها إليه ، وبعث إليه بياذوس أخيه ومعه ستون ألف مقاتل ، عليهم رجل يقال له سَرْجِس ، يتولى تدبير أمرهم ، ورجل آخر كانت قوّته تعدل بقوّه ألف رجل ، واشترط عليه حياته ، وألاّ يسأله الإتاوة التي كان آباؤه يسألونها ملوك الروم . فلمّا ورد القوم على أبرّويز اغتبط ، وأراحهم بعد موافاتهم خمسة أيام ، ثمّ عرضهم وعرّف عليهم العراء ، وفي القوم ثيادوس وسَرْجِس والكمي الذي يعدل بألف رجل ، وصار بهم حتى صار إلى آذربيجان ، ونزل صحراء تدعى الدنق ، فوافاه هناك بِنْدُويِه ورجل من أَصْهَدَي الناحية يقال له مُوسِيل في أربعين ألف مقاتل ، وانقضّ الناس من فارس وأصْبَهان وخُرَّاسان إلى أبرّويز ، وانتهى إلى بهرام مكانه بصحراء الدنق ، فشخص نحوه من المدائن ، فجبرت بينهما حرب شديدة قُتِلَ فيها الكميّ الرّوي . ويقال إن أبرّويز حارب بهرام منفرداً من العسكر بأربعة عشر رجلاً — منهم كُرْدِي أخو بهرام ، وبِنْدُويِه وبِسْطام ، وسابور^(١) بن أفرغان بن فرخزاد^(٢) ، وفرخهزمرز — حرباً شديداً وصل فيها بعضهم إلى بعض . والجحوس تزعم أن أبرّويز صار إلى مضيق واتبعه بهرام ، فلمّا ظن أنه قد تمكّن منه ، رفعه إلى الجبل شيء لا يوقف عليه .

وذكر أن المنجّمين أجمعت أن أبرّويز يملك ثمانين سنة . وقد كان أبرّويز بارزاً بهرام فاختلف رُمُحه من يده وضرب به رأسه حتى نقص ، فاضطرب على بهرام أمره ووجيل ، وعلم أنّه لا حيلة له في أبرّويز فانهاز نحو خراسان ، ثم صار إلى التّرك ، وصار أبرّويز إلى المدائن بعد أن فرّق في جنود الرّوم عشرين ألفاً وصرفهم إلى موريق . ويقال إن أبرّويز كتب للنصارى كتاباً أطلق لهم فيه عمارة بيوتهم وأن يدخل في ملتهم من أحبّ الدخول فيها من غير الجحوس ، واحتجّ في ذلك أن أنوشيروان كان

(١-١) ط : « سابور أنديان وأبادر وفرخزاد » ، وما أثبت من النصوص .

هَادَنَ قَيْصَرَ فِي الْإِثَاوَةِ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْهُ عَلَى اسْتِصْلَاحٍ مِنْ فِي بِلَدِهِ مِنْ أَهْلِ بِلَدِهِ ، وَاتَّخَذَ بَيْوتَ الْبَرَّانِ هُنَاكَ . وَإِنَّ قَيْصَرَ اشْتَرَطَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي النَّصَارَى ؛ وَلَبِثَ بِهَرَامٍ فِي التَّرْكِ مَكْرَمًا عِنْدَ الْمَلِكِ ، حَتَّى احْتَالَ لَهُ أَبَرْوِيزُ بِتَوْجِيهِ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ هَرْمَزُ ، وَجَّهَهُ إِلَى التَّرْكِ بِجَوْهَرِ نَفِيسٍ وَغَيْرِهِ حَتَّى احْتَالَ لِلخَاتُونِ أُمْرَأَةِ الْمَلِكِ وَلَا طَقَفَهَا بِذَلِكَ الْجَوْهَرِ وَغَيْرِهِ ، حَتَّى دَسَّتْ لِبَهْرَامٍ مَنَ قَتْلِهِ . فَيُقَالُ إِنَّ خَاقَانَ اغْتَمَّ لِقَتْلِهِ وَأَرْسَلَ إِلَى كَرْدِيَةِ أَخْتِهِ وَأُمْرَأَتِهِ ^(١) يُعْلِمُهَا بِلُغْ الْحَادِثِ بِبَهْرَامٍ مِنْهُ ، وَيَسْأَلُهَا أَنْ تُزَوِّجَ نَفْسَهَا نَظْرًا أَخَاهُ ، وَطَلَّقَ خَاتُونَ بِهَذَا السَّبَبِ ، فَيُقَالُ إِنَّ كَرْدِيَةَ أَجَابَتْ خَاقَانَ جَوَابًا لَيْسَ وَصَرَفَتْ نَظْرًا ، وَإِنَّهَا ضَمَّتْ إِلَيْهَا مَنْ كَانَ مَعَ أَخِيهَا مِنَ الْمُقَاتِلَةِ وَخَرَجَتْ بِهِمْ مِنْ بِلَادِ التَّرْكِ إِلَى حُدُودِ مَمْلَكَةِ فَارَسَ ، وَإِنَّ نَظْرًا تَرْكِيًّا اتَّبَعَهَا فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ مِقَاتِلٍ ، وَإِنَّ كَرْدِيَةَ قَتَلَتْ نَظْرًا بِسَيْدِهَا وَمَضَتْ لَوَجْهِهَا ، وَكَتَبَتْ إِلَى أَخِيهَا كَرْدِيٍّ فَأَخَذَ لَهَا أَمَانًا مِنْ أَبَرْوِيزَ . فَلَمَّا قَدِمَتْ عَلَيْهِ تَزَوَّجَهَا أَبَرْوِيزُ وَاعْتَبَطَ بِهَا وَشَكَرَهَا مَا كَانَ مِنْ عَيْنَابِهَا لِبَهْرَامَ ، وَأَقْبَلَ أَبَرْوِيزُ عَلَى بِيْرْمُورِيٍّ وَالطَّافَةِ . وَإِنَّ الرُّومَ خَلَعُوا — بَعْدَ أَنْ مَلَكَ كَسْرَى أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً — مُورِيْقَ قَتَلُوهُ وَأَبَادُوا وَرَثَتَهُ — خِلَا بِنِ لَهُ هَرَبَ إِلَى كَسْرَى — وَمَلَكَوْا عَلَيْهِمْ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ قُوفَا .

فَلَمَّا بَلَغَ كَيْسَرِي نَكَتُ الرُّومَ عَهْدَ مُورِيْقَ وَقَتْلُهُمْ إِيَّاهُ ، اِمْتَنَعَ : ١٠٠٢/١

مِنْ ذَلِكَ وَأَنْفَ مِنْهُ ، وَأَخَذَتْهُ الْحَفِيزَةُ ، فَأَوَى ابْنُ مُورِيْقَ اللَّاجِئُ إِلَيْهِ ، وَتَوَجَّهَ وَمَلَكَهُ عَلَى الرُّومِ ، وَوَجَّهَ مَعَهُ ثَلَاثَةَ أَلْفٍ مِنْ قُوَّادِهِ فِي جُنُودٍ كَثِيفَةٍ . أَمَّا أَحَدُهُمْ فَكَانَ يُقَالُ لَهُ رُمِيوزَانُ ^(٢) ، وَجَّهَهُ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ فَدَوَّخَهَا حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَرْضِ فَلَسْطِينَ ، وَوَرَدَ مَدِينَةَ بَيْتِ الْمَقْدَسِ فَأَخَذَ أَسْقُفَهَا وَمَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْقِسْطِيِّينَ وَسَائِرِ النَّصَارَى بِخَشْيَةِ الصَّلِيبِ ، وَكَانَتْ وَضَعَتْ فِي تَابُوتٍ مِنْ ذَهَبٍ ، وَطُمِّرَ فِي بُسْتَانٍ وَزُرِعَ قُوَّاهُ بِمِقْلَةٍ ، وَالْحُجَّ عَلَيْهِمْ حَتَّى دَلُّوهُ عَلَى مَوْضِعِهَا ، فَاحْتَفَرُوا عَنْهَا بَيْدَهُ وَاسْتَخْرَجُوهَا ، وَبَعَثَ بِهَا إِلَى كَيْسَرِيٍّ فِي أَرْبَعِ وَعِشْرِينَ مِنْ مَلِكِهِ .

(١) ط : « مرته » ، وما أتت من ت ، ح .

(٢) ت ، ح : « دميوان » .

وأما القائدُ الآخر— وكان يقال له شاهين ، وكان فاذوسبان المغرب— فإنه سار حتى احتوى على مصر والإسكندرية وبلادِ نُوبة ، وبعث إلى كِسرى بمفاتيح مدينة إسكندرية في سنة ثمان وعشرين من ملكه . وأما القائد الثالث فكان يقال له فَرَّهَان ، وتدعى مرتبته شَهْرِبَرَز . وإنَّه قصد القُسطنطينية حتى أُنَاخَ على صَفَةِ الخليج القريب منها ، وخيَّم هنالك ، فأمره كِسرى فخرَّب بلاد الروم غضباً ممَّا انتهكوا من موريق ، وانتقاماً له منهم ، ولم يخضع لابن موريق من الروم أحد ولم يمنحه الطاعة ، غير أنَّهم قتلوا قوماً الملك الذي كانوا ملكوه عليهم لِمَا ظهَرَ لهم من فجوره وجرأته على الله وسوء تدبيره ، وملكوا عليهم رجلاً يقال له هِرَقْل . ١٠٠٣/١

فلَمَّا رأى هرقل عظيم ما فيه بلادُ الروم من تخريب جنود فارس لِبَاطِنِهَا وقتْلِهَا مَقَاتِلَتِهِمْ وَصِيْبِهِمْ ذَرَارِيَّتِهِمْ وَاسْتِبَاحَتِهِمْ أَمْوَالِهِمْ وَانْتِهَابَتِهِمْ مَا بِمَحْضَرَّتِهِمْ ، بكى إلى الله وتضرَّع إليه وسأله أن يُنْقِذَهُ وَأَهْلَ مَمْلَكَتِهِ مِنْ جُنُودِ فَارِسَ ، فرأى في منامه رجلاً ضلخَمَ الجثَّة رَفِيعَ المجلس ، عليه بِيْزَةٌ ، قائماً في ناحية عنه ، فدخل عليهما داخل ، فألقى ذلك الرَّجُلُ عن مجلسه ، وقال لهرقل (١) : إني قد أسلمته (٢) في يدك . فلم يقصص رؤياه تلكَ في بَقْظَتِهِ عَلَى أَحَدٍ ، ورأى الليلة الثانية في منامه أَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي رَأَاهُ فِي حُلْمِهِ جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ رَفِيعٍ ، وَأَنَّ الرَّجُلَ الدَّاخِلَ عَلَيْهِمَا أَتَاهُ وَبَيَّدَهُ سُلْسِلَةً طَوِيلَةً ، فَأَلْقَاهَا فِي عُنُقِ صَاحِبِ الْمَجْلِسِ وَأَمَكَنَهُ مِنْهُ ، وقال له : هَذَا قَدْ دَفَعْتُ إِلَيْكَ كِسْرَى بِرُمَّتِهِ ، فَاغْزِهِ فَإِنَّ الظُّفْرَ لَكَ ، وَإِنَّكَ مَدَالٌ عَلَيْهِ وَنَائِلٌ أَمْنِيَّتِكَ فِي غَزَاكَ . فَلَمَّا تَابَعَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْأَحْلَامَ ، قَصَّهَا عَلَى عِظَمَاءِ الرُّومِ وَذَوَى الرَّأْيِ مِنْهُمْ .

فأخبروه أَنَّهُ مَدَالٌ عَلَيْهِ ، وَأَشَارُوا عَلَيْهِ أَنْ يَغْزَوْهُ ، فاستعدَّ هِرَقْلُ وَاسْتَخْلَفَ ابْنَهُ لَهُ عَلَى مَدِينَةِ قُسْطَنْطِينِيَّةٍ ، وَأَخَذَ غَيْرَ الطَّرِيقِ الَّذِي فِيهِ شَهْرَبَرَز ، وَسَارَ حَتَّى أَوْغَلَ فِي بِلَادِ أَرْمِينِيَّةٍ ، وَنَزَلَ نَصِيبِينَ بَعْدَ سَنَةٍ ، وَكَانَ

(١) ح : « لم » .

(٢) ت ، ح : « سلمته » .

شاهين - فافوسبانُ المغرب - بباب كِسرى حين ورد هِرقلُ نَصيبين لموجدة كانت من كسرى عليه ، وعزله إِيَّاهُ عن ذلك الشَّعْر ، وكان شهر براز ١٠٠٤/١ مُربطاً للموضع الذى كان فيه لتقدّم كسرى كان إليه فى الجثوم فيه ، وترك البراح منه ، فبلغ كِسرى خبرُ تساقط هِرقلُ فى جنوده إلى نَصيبين ، فوجّه لمحاربة هِرقلُ رجلاً من قُوَّاده يقال له : راهزار ، فى اثنى عشر ألف مقاتل ، وأمره أن يقيم بنيَتوى من مدينة الموصيل على شاطئ دجلة ، ويمنع الروم أن يجوزوها - وكان كِسرى حين يَلْقاه خبرُ هِرقلُ مقيماً بدسكرة الملك - فنفلَ راهزار لأمر كسرى ، وعسكر حيث أمره ، فقطع هِرقلُ دجلة فى موضع آخر إلى الناحية التى كان فيها جندُ فارس ، فأذكى راهزار العيون عليه ، فانصرفتوا إليه وأخبروه ^(١) أنه فى سبعين ألف مقاتل ، وأبغض راهزار أنه ومن معه من الجنود عاجزون عن مناهضة سبعين ألف مقاتل ، فكتب إلى كِسرى غير مرة دهنُ هِرقلُ إِيَّاهُ بمن لا طاقة له ولمن معه بهم ، لكنهم وحسن عدتهم ، كل ذلك يحميه كسرى فى كتابه ؛ أنه إن عجز عن أولئك الروم فلن يعجز عن استئقتالهم وبذل دماهم فى طاعته . فلما تابعت على راهزار جوابات كتبه إلى كِسرى بذلك ، عبى جنده وناهض الروم ، فقتلت الروم راهزار وستة آلاف رجل ، وانهمز بقيتهم وهربوا على وجوههم ، وبلغ كِسرى قتلُ الروم راهزار وما نال هِرقلُ من الظفر ، فهذه ذلك وانحاز من دسكرة الملك إلى المدائن ، وتحصن فيها لعجزه كان عن محاربة هِرقل .

١٠٠٥/١ وسار هِرقلُ حتى كان قريباً من المدائن ، فلما تساقط إلى كِسرى خبره واستعدَّ لقتاله ، انصرف إلى أرض الروم وكتب كِسرى إلى قُوَّاد الجند الذين انهزموا يأمرهم أن يدكوه على كل رجل منهم ومن أصحابهم ، بمن فشل فى تلك الحرب ولم يربط مركزه فيها ، فيأمر أن يعاقب بقدر ما استوجب ، فأحرقهم بهذا الكتاب إلى الخلاف عليه ، وطلب الحيل لنجاة أنفسهم منه ، وكتب إلى شهر براز يأمره بالقدوم عليه ويستعجله فى ذلك ، ويصف ما كان من أمر الروم فى عمله .

فإن ظهرت الروم على فارس غرِمتُ ، وإن ظهرت فارس غرِمتَ إلى ثلاث سنين ، ثم جاء أبو بكر إلى النبي صَلَّى الله عليه وسلم ، فأخبره ، فقال : ما هكذا ذكرتُ ، إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع ، فزأيدَه في الخطر^(١) ومادَه في الأجل . فخرج أبو بكر فلقى أبايًّا فقال : لعلك ندمتَ ، قال : لا ، تعال أزايدُك في الخطر وأمادُك في الأجل ، فاجعلنها مائة قلوصل إلى تسع سنين ، قال : قد فعلتُ^(٢) .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ، عن أبي بكر ، عن عكرمة ، قال : كانت في فارس امرأة لا تلدُ إلاً الملوك الأبطال ، فدعاها كِسرى ، فقال : إنني أريدُ أنْ أبعثَ إلى الروم جيشاً واستعملَ عليهم رجلاً من بنيك ، فأشيري على أيهم أستعمل ، قالت : ١٠٠٧/١ هذا فلان وهو أروغ من ثعلبه ، وأحذر من صقر ، وهذا فَرَّخَان وهو أنفذُ من سنان ، وهذا شهَرَبراز وهو أحلم من كذا ، فاستعملَ أيهم شئت ، قال : فإني قد استعملت الحليم ، فاستعمل شهَرَبراز ، فصار إلى الروم بأهل فارس وظهر عليهم ، فقتلهم وخرَّب مدائنهم ، وقطع زيتونهم . قال أبو بكر : فحدَّثتُ هذا الحديثَ عطاء الخراساني فقال : أما رأيت بلاد الشام ؟ قلت : لا ، قال : أما إنك لو أتيتها لرأيت المدائن التي خرَّبت والزيتون الذي قطع ، فأتيتُ الشام بعد ذلك فرأيتَه^(٣) .

قال عطاء الخراساني : حدثني يحيى بن يعنبر ، أن قيسَصر بعث رجلاً يدعى قطعة بجيش من الروم ، وبعث كِسرى بشَهَرَبراز ، فالتقيا بأذريعات وبُصرى - وهي أذننى الشام إليكم - فلقيت فارس الروم فغلبتهم فارس ، ففرح بذلك كُفَّار قریش وكرهه المسلمون ، فأنزل الله : ﴿ أَلَمْ غَلَبْتَ الرُّومَ ... ﴾ الآيات . ثم ذكر مثل حديث عكرمة ، وزاد : فلم يرح شهَرَبراز يبطوهم ويخرَّب مدائنهم حتَّى بلغ الخليج ، ثم مات كسرى فبلغهم موته ، فانهزم

(١) الخطر ، بالتحريك : ما يتخاطر عليه ويتراهن به .

(٢) الخبر في التصحيح ٢٠ : ١٣ (بولاق) .

شَهْرَبَرَزَ وَأَصْحَابُهُ ، وَأَدِيلَتِ بِهِمُ الرُّومُ عِنْدَ ذَلِكَ فَاتَّبَعُوهُمْ يُقَتِّلُونَهُمْ .

قال : وَقَالَ عِكْرَمَةُ فِي حَدِيثِهِ : لَمَّا ظَهَرَتْ فَارِسُ عَلَى الرُّومِ ، جَلَسَ
فَرُّخَانَ يَشْرِبُ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : لَقَدْ رَأَيْتُ كَأَنِّي جَالِسٌ عَلَى سُرِيرِ كِسْرَى ؛
فَبَلَغْتُ كِسْرَى ، فَكَتَبَ إِلَى شَهْرَبَرَزَ : إِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَأَبِعْهُ إِلَى بَرَأْسِ
فَرُّخَانَ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ مِثْلَ فَرُّخَانَ ؛ إِنَّ لَهُ
نِكَابَةً وَصَوْتًا فِي الْعَدُوِّ فَلَا تَفْعَلْ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ : إِنَّ فِي رِجَالِ فَارِسِ خَلْفًا ١٠٠٨/١

مِنْهُ ، فَعَجَّلَ عَلَى بَرَأْسِهِ . فَرَاغَهُ ، فَغَضِبَ كِسْرَى فَلَمْ يَجِبْهُ ، وَبَعَثَ هَرِيدًا
إِلَى أَهْلِ فَارِسَ : إِنِّي قَدْ نَزَعْتُ عَنْكُمْ شَهْرَبَرَزَ ، وَاسْتَمَلْتُ عَلَيْكُمْ فَرُّخَانَ .
ثُمَّ دَفَعَ إِلَى الْبَرِيدِ صَحِيفَةً صَغِيرَةً ، وَقَالَ : إِذَا وَلىَ فَرُّخَانَ الْمَلِكُ وَاقْتَادَ لَهُ
أَخُوهُ ، فَأَعْطِهِ هَذِهِ الصَّحِيفَةَ . فَلَمَّا قَرَأَ شَهْرَبَرَزُ الْكِتَابَ ، قَالَ : سَمِعًا
وَطَاعَةً ، وَنَزَلَ عَنْ سُرِيرِهِ وَجَلَسَ فَرُّخَانَ ، وَدَفَعَ إِلَى الصَّحِيفَةِ إِلَيْهِ فَقَالَ : ائْتِنِي
بِشَهْرَبَرَزَ ، فَقَدْ مَهَ لِيضْرِبَ عُنُقَهُ ، فَقَالَ : لَا تَعَجَلْ حَتَّى أَكْتُبَ وَصِيَّتِي ،
قَالَ : نَعَمْ ، فَدَعَا بِالسَّفَطِ فَأَعْطَاهُ ثَلَاثَ صَحَائِفَ ، وَقَالَ : كُلُّ هَذَا رَاجِعٌ

فِيكَ كِسْرَى ، وَأَنْتِ أَرَدْتَ أَنْ تَقْتُلِي بِكِتَابٍ وَاحِدٍ ! فَرَدَّ الْمَلِكُ إِلَى أَخِيهِ ،
وَكَتَبَ شَهْرَبَرَزَ إِلَى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ : إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً لَا تَحْمِلُهَا
الْبُرْدُ وَلَا تَبْلُغُهَا الصُّحُفُ ، فَالْقِنِي ، وَلَا تَلْقِنِي إِلَّا فِي خَمْسِينَ رُومِيًّا ، فَإِنِّي
أَلْفَاكَ فِي خَمْسِينَ فَارِسِيًّا ، فَأَقْبِلْ قَيْصَرَ فِي خَمْسِمِائَةِ أَلْفِ رُومِيٍّ ، وَجَعَلَ
يَضَعُ الْعِيُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي الطَّرِيقِ ، وَخَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ مَكَرَ بِهِ ، حَتَّى أَتَاهُ
عِيُونُهُ ؛ أَنَّهُ لَيْسَ مَعَهُ إِلَّا خَمْسُونَ رَجُلًا ، ثُمَّ بَسَطَ لَهَا وَالتَّقِيَا فِي قُبَّةٍ دِيْبَاجَ
ضَرِبَتْ لَهَا ، مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا سَكِّينَ ، فَدَعَا تَرْجَمَانًا بَيْنَهُمَا ، فَقَالَ
شَهْرَبَرَزَ : إِنَّ الَّذِينَ خَرَّبُوا مَدَائِنَكَ أَنَا وَأَخِي بِكَيْدِنَا وَشِجَاعَتِنَا ، وَإِنَّ كِسْرَى
حَسَدَنَا فَأَرَادَ أَنْ أَقْتَلَ أَخِي ، فَأَبَيْتُ ، ثُمَّ أَمَرَ أَخِي أَنْ يَقْتُلَنِي ، فَقَدْ
خَلَعْتَنَاهُ جَمِيعًا فَتَحَنُّ قَاتِلُهُ مَعَكَ . قَالَ : قَدْ أَصَبْتُمَا ، ثُمَّ أَشَارَ أَحَدُهُمَا ١٠٠٩/١

إِلَى صَاحِبِهِ أَنَّ السَّرَّ بَيْنَ اثْنَيْنِ ، فَإِذَا جَاوَزَ اثْنَيْنِ فَشًا ، قَالَ : أَجَلٌ ،
فَقَتَلَا التَّرْجَمَانِ جَمِيعًا بِسِكِّينِهِمَا ؛ فَأَهْلَكَ اللَّهُ كِسْرَى ، وَجَاءَ الْخَبِيرُ

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ الْخُدَيْيَةِ ، ففرح ومن معه ^(١) .
 وَحَدَّثَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عَمْدٍ ، أَنَّهُ قَالَ : فِي سَنَةِ عَشْرِينَ مِنْ مُلْكِ
 كَيْسَرِي أَبَرْوِيزَ ، بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ
 عَشْرَةَ سَنَةً ، وَهَاجَرَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ مِنْ مُلْكِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ .

(١) الخبير في التفسير ٢٠ : ١٣ - ١٤ (بولاق) .

ذكر الخبر عن الأسباب التي حدثت عند إرادة الله إزالة ملك فارس عن أهل فارس

ووطأتها العرب بما أكرمهم به نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
من النبوة والخلافة والملك والسلطان في أيام كِسْرَى أبرويز .

فمن ذلك ما روى عن وهب بن منبه ، وهو ما حدثنا به ابن حميد ،
قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : كان من حديث كِسْرَى
كما حدثني بعض أصحابي ، عن وهب بن منبه ، أنه كان سَكْرَ دجلة
العوراء^(١) ، وأنفق عليها من الأموال ما لا يُدرى ما هو ، وكان طاقُ مجلسه
قد بُنى بِنَانًا لم ير مثله ، وكان يعلّق تاجه ؛ فيجلس فيه إذا جلس للناس ،
وكان عنده ستون وثلاثمائة رجل من الخِزاة — والخِزاة العلماء — من بين كاهين
وساحرٍ ومنجمٍ ؛ قال : وكان فيهم رجل من العرب يقال له السائب ، يعتاف
اعتِيفَ العرب قَلَمًا يخطئ — بعث به إليه بإذْن من اليمن — فكان
كِسْرَى إذا حزّبه أمر جمع كهّانه وسحّاره ومنجميه ، فقال : انظروا في
هذا الأمر ما هو !

فلما أن بعث الله نبيّه محمداً صلى الله عليه وسلم ، أصبح كِسْرَى ذات
غدَاةٍ وقد انقصمت طاقُ ملكه من وسطها من غير ثقل ، وانخرقت عليه
دجلة العوراء ، فلما رأى ذلك حزنه ، وقال : انقصمت طاقُ ملكي من
وسطها من غير ثقل ، وانخرقت على دجلة العوراء ، « شاه بِشْكَسْت » :
يقول : الملك انكسر . ثم دعا كهّانه وسحّاره ومنجميه ، ودعا السائب معهم ،
فقال لهم : انقصمت طاقُ ملكي من غير ثقل ، وانخرقت على دجلة العوراء ،
« شاه بِشْكَسْت » انظروا في هذا الأمر ما هو ؟ فخرجوا من عنده فنظروا في أمره ،
فأخذ عليهم بأقطار السماء ، وأظلمت عليهم الأرض ، وتسكعوا في علمهم ، فلا

(١) دجلة العوراء : اسم لدجلة البصرة ؛ ويقال : سكر النهر ، إذا سد فاه .

يمضي لساحر سحره ، ولا لكاهن كهانته ، ولا يستقيم لمنجم علم نجومه .
وبات السائب في ليلة ظلماء على ربوة من الأرض يرمي برقاً نشأ من قبل
الحجاز ، ثم استطار حتى بلغ المشرق ، فلما أصبح ذهب ينظر إلى ما تحت
قدميه ؛ فإذا روضة خضراء ، فقال فيما يعتاف : لئن صدق ما أرى ، ليخرجن
من الحجاز سلطان يبلغ المشرق ؛ تُخصب عنه الأرض كأفضل ما أخصبت
عن ملك^(١) كان قبله .

فلما خلتص الكهّان والمنجمون بعضهم إلى بعض ، ورأوا ما قد أصابهم ،
ورأى السائب ما رأى ، قال بعضهم لبعض : تعلمون والله ما حيل بينكم وبين
علمكم إلا لأمر^(٢) جاء من السماء ، وإنه لنبى قد بعث - أوهو مبعوث - يسلب
هذا الملك ويكسره . ولئن نعيتم لكسرى ملّكه ليقتلنكم ، فأقيموا بينكم
أمرأ تقولونه له تؤخرونه عنكم إلى أمر ما ساعة .

فجاءوا كسرى ، فقالوا له : إننا قد نظرنا في هذا الأمر فوجدنا حسباك
الذين وضعت على حسابهم طاق ملكك ، وسكرت دجلة العواء وضعوه
على النحوس ، فلما اختلف عليهما الليل والنهار وقعت النحوس على مواقعها ،
فزال كل ما وضع عليهما ؛ وإننا سنحسب لك حساباً تضع عليه بنيانك
فلا يزول . قال : فاحسبوا ، فحسبوا له ، ثم قالوا له : ابنه ، فبى . فعمل في دجلة
ثمانية أشهر وأنفق فيها من الأموال مالا يدرى ما هو ، حتى إذا فرغ [منها]^(٣)
قال لهم : أجلس على سورها ؟ قالوا : نعم ، فأمر بالبسط والقرش والرياحين
فوضعت عليهما ، وأمر بالمرازبة فجمعوا^(٤) له ، واجتمع إليه اللعابون ، ثم خرج حتى
جلس عليها ، فبينما هو هنالك^(٥) انتسفت دجلة البنيان من تحته ، فلم يستخرج^(٦)
إلا بآخر رمقى .

(١) ابن الأثير ١ : ٢٨٣ : « على ملك » .

(٢) ابن الأثير : « أمر » .

(٣) تكله من ر .

(٤) ت ، ح : « فاجتمعوا » .

(٥) ل : « كذلك » ، ح : « هناك » .

(٦) ح : « يخرج » .

فلما أخرجوه ، جَمَعَ كَهَنَانَهُ وَسُحَّارَهُ وَمُنْجِمِيهِ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ قَرِيبًا مِائَةَ ، وَقَالَ سَمِعْتُمْ^(١) وَأَدْنَيْتُمْكَمُ دُونَ النَّاسِ ، وَأَجْرَيْتَ عَلَيْكُمْ أَرْزَاقِي ، ثُمَّ تَلْعَبُونَ بِي ! فَقَالُوا^(٢) : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، أَخْطَانَا كَمَا أَخْطَأَ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا ، وَلَكِنَّا سَنَحْسِبُ لَكَ حِسَابًا فَتَبَيَّنَ حَتَّى تَضَعَهَا عَلَى الْوِثَاقِ مِنَ السَّعُودِ . قَالَ : انظُرُوا مَا تَقُولُونَ ! قَالُوا : فَإِنَّا نَفْعَلُ ؛ قَالَ : فَاحْسِبُوا ، فَحَسِبُوا لَهُ ، ثُمَّ قَالُوا لَهُ : ابْنِيهِ ، فَبَنَى وَأَنْفَقَ مِنَ الْأَمْوَالِ مَا لَا يُحْصَى مَا هُوَ ، ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ مِنْ ذِي قَبِيلٍ . ثُمَّ قَالُوا : قَدْ فَرَعْنَا ، قَالَ : أَفَأُخْرِجُ فَأَقْعُدَ عَلَيْهَا ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، فَهَابَ الْجُلُوسَ عَلَيْهَا ، وَرَكِبَ بِرُفُوفِنَا لَهُ ، وَخَرَجَ يَسِيرُ عَلَيْهَا ؛ فَبَيْنَا هُوَ يَسِيرُ غَوْفَهَا إِذْ انْتَفَسَتْ دِجْلَةٌ بِالْبَنِيَانِ ، فَلَمْ يَدْرِكْ إِلَّا بِأَخْرِ رَمَقٍ ، فَدَعَاهُمْ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَأَمْرُنَ عَلَى آخِرِكُمْ وَلَا نَزْعُنَ أَكْثَافِكُمْ ، وَلَأُطْرَحَنَّكُمْ تَحْتَ أَيْدِي الْفِيلَةِ أَوْ لِنَصْدُقُنِّي مَا هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي تَلْفَقُونَ عَلَيَّ ! قَالُوا : لَا نَكْذِبُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ ، أَمَرْتَنَا حِينَ انْخَرَقَتْ عَلَيْكَ دِجْلَةٌ ، وَانْقَصَمَتْ^(٣) عَلَيْكَ طَائِقُ مَجْلِسِكَ^(٤) مِنْ غَيْرِ ثَقُلَ أَنْ نَنْظُرَ فِي عِلْمِنَا لِمَ ذَلِكَ ! فَنَظَرْنَا ، فَأَظْلَمَتْ عَلَيْنَا الْأَرْضُ وَأُخِذَ عَلَيْنَا بِأَقْطَارِ السَّمَاءِ ، فَتَرَدَّدَ عَلَيْنَا عِلْمُنَا فِي أَيْدِينَا ، فَلَا يَسْتَقِيمُ لِسَاحِرٍ سَحَرُهُ ، وَلَا لِكَاهِنٍ كِهَانَتُهُ ، وَلَا لِمُنْجِمٍ عِلْمُ^(٥) نَجْمِهِ ؛ فَعَرَفْنَا أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَدَّثَ مِنْ السَّمَاءِ ، وَأَنَّهُ قَدْ بُعِثَ نَبِيٌّ أَوْ هُوَ مَبْعُوثٌ ؛ فَلَنَلِكُ حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عِلْمِنَا ، فَخَشِينَا إِنْ تَعَيَّنَا لَكَ مَلِكُكَ أَنْ تَقْتُلَنَا ، وَكَرِهْنَا مِنَ الْمَوْتِ مَا يَكْرَهُ النَّاسُ ، فَعَلَلْنَاكَ عَنْ أَنْفُسِنَا بِمَا رَأَيْتَ . قَالَ : وَيَحْكُمُ ! فَهَلَّا تَكُونُونَ بَيْنَكُمْ لِي هَذَا غَاوِي فِيهِ رَأْيِي ! قَالُوا : مَتَّعْنَا مِنْ ذَلِكَ مَا تَخَوَّفْنَا مِنْكَ . فَتَرَكْنَاهُمْ وَلَهَا عَنْ دِجْلَةٍ حِينَ غَلَبَتْهُ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ الْفَضْلِ ابْنِ عَيْسَى الرَّقَاشِيِّ ، عَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ ؛ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى كَيْسَرِي فَيْكُ ! قَالَ : بَعَثَ

(١) ت : « لَكُمْ » ، ح : « قَرِيبَكُمْ » ، ر ، ل : « سَمِعْتُمْ » .

(٢) كَذَا فِي ح وَابْنِ الْأَثِيرِ ؛ وَقَط : « قَالُوا » .

(٣) ل : « وَانْقَصَمَ » .

(٤) ت ، ح : « نَجْمِ » .

(٥) ت ، ح : « مَلِكُكَ » .

إليه مَلَكًا فَأَخْرَجَ يَدَهُ مِنْ سُورِ جِدَارِ بَيْتِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ يَتَلَأَلُ نَوْرًا ، فَلَمَّا رَأَاهُ فَرَعَ ، فَقَالَ : لَمْ تُرْعَ يَا كَسْرَى ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ رَسُولًا وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا فَاتَّبِعْهُ تَسْلِمٌ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ ، قَالَ : سَأَنْظُرُ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله ابن أبي بكر ، عن الزهري ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، قال : بَعَثَ اللَّهُ إِلَى كَسْرَى مَلَكًا هُوَ فِي بَيْتِ إِيْوَانِهِ الَّذِي لَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ فِيهِ ، فَلَمْ يَرَهُ إِلَّا بِهِ قَائِمًا عَلَى رَأْسِهِ فِي يَدِهِ عَصَا ، بِالْمَاجِرَةِ فِي سَاعَتِهِ الَّتِي كَانَ يَتَقِيلُ فِيهَا ، فَقَالَ : يَا كَسْرَى أَتُسَلِّمُ أَوْ أَكْسِرُ هَذِهِ الْعَصَا ! فَقَالَ : يَهِيلُ يَهِيلُ ، فَانْصَرَفَ عَنْهُ ثُمَّ دَعَا ^(١) أَحْرَاسَهُ وَحُجَّابَهُ فَتَغَيَّظَ عَلَيْهِمْ ، وَقَالَ : مَنْ أَدْخَلَ هَذَا الرَّجُلَ عَلَيَّ ؟ فَقَالُوا : مَا دَخَلَ عَلَيْكَ ^(٢) أَحَدٌ وَلَا رَأَيْنَاهُ ، حَتَّى إِذَا كَانَ الْعَامُ الْقَابِلَ ^(٣) أَتَاهُ فِي السَّاعَةِ الَّتِي أَتَاهُ فِيهَا ، فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ لَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَتُسَلِّمُ أَوْ أَكْسِرُ هَذِهِ الْعَصَا ؟ فَقَالَ : يَهِيلُ يَهِيلُ يَهِيلُ ؛ ثَلَاثًا ، فَخَرَجَ عَنْهُ ^{١٠١٤/١} فِدَعَا كَسْرَى حُجَّابَهُ وَحَرَّاسَهُ وَبَوَائِيَهُ فَتَغَيَّظَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ لَمْ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، فَقَالُوا : مَا رَأَيْنَا أَحَدًا دَخَلَ عَلَيْكَ . حَتَّى إِذَا كَانَ فِي الْعَامِ الثَّالِثِ أَتَاهُ فِي السَّاعَةِ الَّتِي جَاءَهُ فِيهَا ، فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ : أَتُسَلِّمُ أَوْ أَكْسِرُ هَذِهِ الْعَصَا ؟ فَقَالَ : يَهِيلُ يَهِيلُ ، قَالَ : فَكَسَرَ الْعَصَا ، ثُمَّ خَرَجَ فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا تَهْوَرُ مَلَكُهُ ، وَانْبَعَثَ ابْنُهُ وَالْفَرَسُ حَتَّى قَتَلُوهُ .

قال عبد الله بن أبي بكر : فقال الزهري : حدثت عمر بن عبد العزيز هذا الحديث عن أبي سلمة بن عبد الرحمن فقال : ذُكِرَ لِي أَنَّ الْمَلَكَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ ^(٤) بِقَارُورَتَيْنِ فِي يَدَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَسْلِمَ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَضَرَبَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَرَضَّضَهُمَا ، ثُمَّ خَرَجَ فَكَانَ مِنْ [أَمْرٍ] ^(٥) هَلَاكِهِ مَا كَانَ .

(٢) ت ، ح : « علينا » .

(٤) ت ، ح : « إليه » .

(١) ت ، ح : « فدعا » .

(٣) ت ، ح : « المقبل » .

(٥) تكله من ت ، ح .

حدثني يحيى بن جعفر ، قال : أخبرنا علي بن عاصم ، قال : أخبرنا خالد الحذاء ، قال : سمعت عبد الرحمن بن أبي بكر ، يقول : بينا كسرى ابن هرمز نائم ليلة في هذا الإيوان ، إيوان المدائن ، والأساورة محذون بقصره ؛ إذ أقبل رجل يمشي معه عصا ؛ حتى قام^(١) على رأسه ، فقال : يا كسرى ابن هرمز ؛ إني رسول الله إليك أن تسلم ، قالها ثلاث مرات - وكسرى مستلق ينظر إليه لا يجيبه ؛ ثم انصرف عنه - قال : فأرسل كسرى إلى صاحب حرّسه ، فقال : أنت أدخلت عليّ هذا الرجل ؟ قال : لم أفعل ولم يدخل من قبلنا أحد . قال : فلما كان العام المقبل خاف كسرى تلك الليلة ، فأرسل إليه أن أحيدق^(٢) بقصرى ، ولا يدخل^(٣) عليّ أحد ، قال : ففعل ، فلما كان تلك الساعة إذا هو قائم على رأسه ، ومعه عصا ، وهو يقول له : يا كسرى بن هرمز ، إني رسول الله إليك أن تسلم ، فأسلم خير لك - قال : وكسرى ينظر إليه لا يجيبه - فانصرف عنه ، قال : فأرسل كسرى إلى صاحب الحرس : ألم أمرك ألا يدخل عليّ أحد ! قال : أيتها الملك ، إنه والله ما دخل عليك من قبلنا أحد ، فانظر من أين دخل عليك ؟ قال : فلما كان العام المقبل ؛ فكأنه خاف تلك الليلة ، فأرسل إلى صاحب الحرس والحرس : أن أحدقوا بي الليلة ، ولا تدخل^(٤) امرأة ولا رجل ؛ ففعلوا . فلما كان تلك الساعة ، إذا هو قائم على رأسه ، وهو يقول : يا كسرى بن هرمز ، إني رسول الله إليك أن تسلم ، فأسلم خير لك ، قالها ثلاث مرات وكسرى ينظر إليه لا يجيبه . قال : يا كسرى إنك قد أبيت عليّ ، والله ليكسرتك الله كما أكنسرت عصى هذه ، ثم كسرها وخرج ؛ فأرسل كسرى إلى الحرس ، فقال : ألم أمركم ألا يدخل عليّ الليلة أحد ، أهل ولا ولد ! قالوا : ما دخل عليك من قبلنا أحد !

(١) ت ، ح : « وقف » .

(٢) ت ، ح : « لا يدخلن » .

(٣) ت ، ح : « تكتلن » .

قال : فلم يلبث أن وُكب عليه ابنه فقتله .

• • •

[ذكر خبر يوم ذى قار]

ومن ذلك ما كان من أمر ربيعة والحِيش الذى كان أنفذه إليهم كسرى أبرويز الحريمى ، فالتقوا بذى قار .

وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما بلغه ما كان من هزيمة ربيعة ١٠١٦/١ جيش كسرى ، قال : « هذا أول يوم انتصف العرب من العجم ، وبني نصرُوا » . وهو يوم قُراقرير ويوم الحنُو حِنُوذى قار ، ويوم حِنُو قُراقرير ، ويوم الجُبَابَات ، ويوم ذى العَجْرُم ، ويوم الغَدَوَانِ ، ويوم البطحاء ، بَطْنَحَاء ذى قار ، وكلّهن حول ذى قار .

فحدثت عن أبى عبيدة مَعْمَر بن المثنى ، قال : حدثنى أبو المختار فِراس بن خَنْثَلٍ - أو خَنْدَقَة - وعدة من علماء العرب قد سمعوا ، أن الذى جرى يوم ذى قار ، قتل النعمان بن المنذر اللخميّ عدى بن زيد العبادى ؛ وكان عدى من تراجمة أبرويز كسرى بن هرمز .

وكان سبب قتل النعمان بن المنذر عدى بن زيد ، ما ذكر لى عن هشام ابن محمد ، قال : سمعت إسحاق بن الحصّاص - وأخذه من كتاب حمّاد - وقد ذكر أبى بعضه - قال : ولد زيد بن حمّاد بن زيد بن أيوب بن محروق بن عامر بن عَصِيّة بن امرئ القيس بن زيد مَنَاء بن تميم ثلاثة : عدياً الشاعر ، وكان جميلاً شاعراً خطيباً ، وقد قرأ كتب العرب والفِرس ، وعَمَاراً - وهو أبى - وعَمراً - وهو سمى - ولم أسمع من أمّهم ، يقال له عدى بن حنظلة من طيىء . وكان عَمَار يكون عند كسرى ، فكان أحدهما يشتهي هلاك عدى بن زيد ، وكان الآخر يتدبّر فى نصرانيته ، وكانوا أهل بيت يكونون مع الأكاسرة لهم معهم أكل^(١) وناحية^(٢) ، يُقَطِّعونهم القِطَاطِعَ ، [ويجزّلون صلاتهم]^(٣)

(١) الأكل هنا : الرزق ؛ يقال : فلان ذو أكل ؛ إذا كان ذا رزق وحظ واسع فى الدنيا

(٢) تكلّة من الأغاني فيها رواه عن هشام الكلبي .

وكان المنذر بن المنذر لما ملك جعل ابنه النعمان في حجر عدى ، فهم الذين أرضعوه [وربوه ، وكان للمنذر ابن آخر يقال له « الأسود » ، أمه مارية بنت الحارث بن جُلهم من تيم الرّباب ، فأرضعه]^(١) ، ورباه قوم من أهل الحيرة يقال لهم : بنو مَرِينَا ، ينسّون إلى لَحَم ، وكانوا أشرافاً . وكان للمنذر بن المنذر سوى هذين من الولد عشرة ؛ وكان يقال لولده كلّهم الأشاهب^(٢) ، من جمالمهم ؛ فذلك قول الأعشى :

وَبَنُو الْمُنْذِرِ الْأَشَاهِبُ بِالْحُسْبَى يَمْشُونَ غَدَوَةً بِالسُّيُوفِ^(٣)

وكان النعمان أحمر أبرش^(٤) قصيراً ، وكانت أمه يقال لها سَلَمَى بنت وائل بن عطية الصائغ من أهل قَدَك ، وكانت أمةً للحارث ابن حصن بن ضَمَضَم بن عدى بن جَنَاب من كَلْب ، وكان قابوس بن المنذر الأكبر عم النعمان وإخوته ، بعث إلى كسرى بن هرمز بعدى بن زيد وإخوته ، فكانوا في كتابه يترجمون له ، فلما مات المنذر بن المنذر وترك ولده هؤلاء الثلاثة عشر ، جعل على أمره كلّه إياس بن قبيصة الطائي [وملّكه على الحيرة إلى أن يرى كسرى رأيَه]^(٥) فكان عليه أشهراً^(٦) ، وكسرى في طلب رجل يملكه على العرب . ثم إن كسرى بن هرمز دعا عدى بن زيد ، فقال له : من بقي من بني المنذر^(٧) ؟ وما هم ؟ وهل فيهم خير ؟ فقال : بقيتهم في ولد هذا الميت

(١) تكلمة من الأغاني فيما رواه عن هشام الكلبي .

(٢) قال في القاموس : « والأشاهب بنو المنذر لجمالهم » ، وقال شارحه : « سمو بذلك لبياض وجوههم » . (٣) ديوانه ٢١٢ .

(٤) الأبرش : الأرقط ؟ وهو الذي يكون فيه بقعة بيضاء وأخرى أى لون كان .

(٥) الأغاني : « فكث علكتا عليها أشهراً » .

(٦ - ٦) كذا في أصول الطبري وتجارب الأمم ١ : ح ٢٣٨ ، وفي الأغاني بعده : « فلم يجد أحداً يرضاه ، ففجر ؛ فقال : لأبعثن إلى الحيرة اثني عشر ألفاً من الأساورة ؛ ولأملكن عليهم رجلا من الفرس ، ولأمرتهم أن ينزلوا على العرب في دورهم ، ويملكوا عليهم أموالهم وفناهم ، وكان عدى بن زيد واقفاً بين يديه ؛ فأقبل عليه ، وقال : ويحك يا عدى ! من بقي من آل المنذر ! » .

المنذر بن المنذر ، وهم رجال ، فقال : ابعت إليهم ، فكتب فيهم فقد موأ عليه ، فأنزله على عدى بن زيد . فكان عدى يفضل إخوة النعمان عليه في النزول ، وهو يريهم أنه لا يرجوه . ويخلو بهم رجلاً رجلاً ، ويقول لهم : إن سألكم الملك : أنكفوني العرب ؟ فقولوا : نكفيكمهم إلا النعمان ، وقال للنعمان : ١٠١٨/١ إن سألك الملك : عن إخوانك قتل له : إن عجزت عنهم ، فأنا عن غيرهم أعجز . وكان من بني مرينا رجل يقال له عدى بن أوس بن مرينا ، وكان مارداً شاعراً ، وكان يقول للأسود [بن المنذر] ^(١) : إنك قد عرفت أني لك راج ، وأن طليحي ورغبتي إليك أن تخالف عدى بن زيد ، فإنه والله لا ينصح لك أبداً . فلم يلتفت إلى قوله .

فلما أمر كسرى عدى بن زيد أن يدخلهم عليه ، جعل يدخلهم عليه رجلاً رجلاً ، فيكلمه ، فكان يرى رجلاً قَلَمًا رأى مثله ؛ فإذا سأله : هل تكفوني ما كنتم تُلُون ؟ قالوا : نكفيك العرب إلا النعمان . فلما دخل عليه النعمان رأى رجلاً دميماً فكلمه ، وقال له : أنتطيع أن تكفني العرب ؟ قال : نعم : قال ، فكيف تصنع بإخوانك ؟ قال : إن عجزت عنهم فأنا عن غيرهم أعجز . فملكه وكساه ، وألبسه تاجاً قيمته ستون ألف درهم ، فيه اللؤلؤ والذهب . فلما خرج - وقد ملّك - قال عدى بن أوس بن مرينا للأسود : دونك فلذلك قد خالفت الرأي .

ثم إن عدى بن زيد صنع طعاماً في بيعة ، ثم أرسل إلى ابن مرينا أن اتني بمن ^(٢) أحببت ، فإن لي حاجة ، فأثاء في ناس ففتلوا في البيعة ، وشربوا ، فقال : عدى [بن زيد] ^(٣) لعدى بن مرينا : يا عدى ، إن أحق من عرف الحق ثم لم يَلْمُ عليه ، من كان مثلك ؛ إني قد عرفت أن صاحبك الأسود بن المنذر كان أحب إليك أن يملك من صاحبي النعمان ، فلا تلمني على شيء كنت على مثله ، وأنا أحب ألا تحقد على شيئاً لو قدرت

(١) تكله من ابن الأثير ١ : ٢٨٥ ، وتجارب الأم ١ : ٢٢٨ .

(٢) ب ، ح : « قمين » .

(٣) من الأغاني وتجارب الأم .

عليه ركبته ، وأنا أحب أن تعطيتي من نفسك ما أعطيتك من نفسي ؛ فإن نصيبى من هذا الأمر ليس بأوفر من نصيبك . فقام عدى بن زيد إلى البيعة فحلف ألا يهجوّه ولا يغيبه غائلة أبداً ، ولا يزوى عنه خبراً أبداً . فلما فرغ عدى بن زيد قام عدى بن مريّنا ، فحلف على مثل يمينه ألا يزال يهجوّه أبداً ، ويغيبه الغوائل ما بقى . وخرج النعمان حتى نزل منزله بالحيرة ، فقال عدى بن مريّنا لعدى بن زيد :

أَلَا أَبْلِغُ عَدِيًّا عَنْ عَدِيٍّ فَلَا تَجَزَّعْ وَإِنْ رَثْتَ قَوَاكَا^(١)
هَيَّاكِلَنَا تَبَزُّ لَنَسِيرٍ قَفَرٍ لَتُحَمَّدَ أَوْ يَتِمَّ بِهِ غِنَاكَ
فَإِنْ تَظْفَرُ فَلَمْ تَظْفَرُ حَمِيداً وَإِنْ تَعْطَبُ فَلَا يَبْعُدُ سِوَاكَ
نَدِمْتَ نَدَامَةَ الْكُصِيِّ لَمَّا رَأَتْ عَيْنَاكَ مَا صَنَعَتْ يَدَاكَ^(٢)

وقال عدى بن مريّنا للأسود : [أمّا]^(٣) إذ لم تظفر فلا تعجز أن تطلب بئارك من هذا المعدى ، الذى عمل بك ماعمل^(٤) فقد كنت أخبرك أن معداً لا ينাম مكرهاً^(٥) . أمرتك أن تعصيه فخالفتنى . قال : فأتريد ؟ قال : أريد ألا يأتيتك فائدة من مالك وأرضك إلا عرضتها على . ففعل .

وكان ابن مريّنا كثير المال والضيعة ، فلم يك فى الدهر يوم إلا على باب النعمان هدية من ابن مريّنا^(٦) ، فصار من أكرم الناس عليه ، وكان لا يقضى فى ملكه شيئاً إلا بأمر عدى بن مريّنا ، وكان إذا ذكّر عدى بن زيد عنده أحسن عليه التناء ، وذكر فضله ، وقال : إنه لا يصلح المعدى إلا أن

(١) رثت : ضمعت .

(٢) الكسوى : نسبة إلى كسح ، سعى من قيس عيلان ؛ وقيل ؛ هم سعى من اليمن رواية ؛ والكسوى رجل يضرب به المثل فى الندامة ، وهو رجل رام ربه ما أظلم الليل عيراً فأصابه ، وظن أنه أخطأه فكسر قرصه ، ثم قدم من الند حين نظر إلى المير مقتولا وبسبه فيه ، فصار مثلاً لكل زادم على فعل يفعله . (٣) من الأغاني .

(٤) الأغاني : « الذى فعل به ما فعل » . (٥) الأغاني « كيدها ومكرها » .

(٦) فى ط : « فلم يك فى الأرض يوم » ، وفى تجارب الأمم : « فلم يمر يوم إلا بعث فيه إلى النعمان هدية » ، وفى ابن الأثير : « وكان لا يحل للنعمان يوماً من هدية » . وما أثبتّه عن الأغاني .

يكون فيه مكر وخديعة. فلما رأى مَنْ يُطِيف بالنعمان منزلة ابن مَرِينَا عنده لزموه وتابعوه ، فجعل يقول لمن يثق به من أصحابه : إذا رأيتموني أذكر عدى ابن زيد عند الملك بخير فقولوا : إنه لكما تقول ؛ ولكنه لا يسلم عليه أحد ، وإنه ليقول : إن الملك - يعنى النعمان - عامله ، وإنه ولاه ما ولاه ، فلم يزالوا بذلك حتى أضغوه عليه ، وكتبوا كتاباً على لسان عدى إلى قَهْرْمَان^(١) لعدى ثم حسوا له ، حتى أخذوا الكتاب ، ثم أتى به النعمان فقرأه ، فأغضبه ، فأرسل إلى عدى بن زيد : عزمتُ عليك إلا زرتنى ، فإننى قد اشتقت إلى رؤيتك ! وهو عند كسرى^(٢) فاستأذن كسرى ، فأذن له ، فلما أتاه لم ينظر إليه حتى حيس في محبس لا يدخل عليه فيه أحد ، فجعل عدى بن زيد يقول الشعر وهو في السجن ، فكان أول ما قال في السجن من الشعر :

لَيْتَ شِغْرِى عَنِ الْهَمِّ وَيَأْتِيكَ بِخَبَرِ الْأَنْبَاءِ عَطْفُ السُّؤَالِ^(٣)
فقال أشعاراً ، وكان كلما قال عدى من الشعر ، بلغ النعمان وسمعه ندم على حبسه إياه ، فجعل يرسل إليهم ويَعِدُهُ وَيَنْبِيهِ وَيَفَرِّقُ أَنْ يَرْسَلَهُ فِيغِيهِ الْغَوَائِلُ ، فقال عدى :

أَرَقْتُ لِمَكْفَهَرٍ بَاتَ فِيهِ بَوَارِقُ يَرْتَقِينَ رُحُوسَ شَيْمِيبِ^(٤)

(١) القهرمان : أمين الملك وخاصته ؛ فارسي سمرق ، ويطلق في لغة الفرس على القائم بأمرور الرجل ، كالحازن والوكيل .

(٢) كلما في الطبرى وتجارب الأم ، وفي الأغاني : « وعدى يوشذ عند كسرى » .

(٣) في رواية الأغاني بعد هذا البيت :

أَيْنَ عَنَّا إِخْطَارُنَا الْمَالَ وَالْأَذْفُسُ إِذْ نَاهَدُوا لِيَوْمِ الْمَحَالِ
وَنِصَالِي فِي جَنَبِكَ النَّاسُ يَرْمُونِ وَأَرْمِي ، وَكُنَّا غَيْرُ آلِ
فَأَصِيبُ الَّذِي تَرِيدُ بِلَا غِشٍّ وَأَرِي عَلَيْهِمْ وَأَوَالِي
لَيْتَ أَنِّي أَخَذْتُ حَتَّى بِكَفَى وَلَمْ أَلْقِ مِيتَةَ الْأَقْتَالِ
مَحَلُّوًا تَحَلَّمُمْ لَصَرَعَتِنَا الْعَا م ، فَقَدْ أَوْقَعُوا الرِّحَا بِالْثَّقَالِ

(٤) انظر بقية القصيدة في الأغاني ٢ : ١٦١ ، ١١٢

وقال أيضاً :

• طَالَ ذَا اللَّيْلُ عَلَيْنَا وَاعْتَسَكِرَ^(١) .

وقال أيضاً :

• أَلَا طَالَ اللَّيْلُ وَالْتِهَامُ^(٢) .

١٠٢١/١

وقال حين أعياء ما يتضرع إلى النعمان أشعاراً ، يذكره فيها الموت ، ويخبره من هلك من الملوك قبله ، فقال :

• أَرَوَّاحُ نَوْدَعُ أَمْ بُكُورُ^(٣) .

وأشعاراً كثيرة .

قال : وخرج النعمان يريد البحرين ، فأقبل رجل من غسان ، فأصاب في الحيرة ما أحب . ويقال : الذي أغار على الحيرة فحرق فيها ، جفته بن النعمان الجفنى ، فقال على :

سَمَا صَقَرُ فَأَشْمَلُ جَانِبَيْهَا وَأَلْهَكَ الْمَرْوَحُ وَالْمَزِيبُ^(٤)

فلما طال سجن على كتب إلى أخيه أبى ، وهو مع كسرى بشعر قال :

أَبْلَغُ أَبْيَا عَلَى نَأْيِهِ وَهَلْ يَنْفَعُ الْمَرْءَ مَا قَدْ عَلِمَ !

بَأَنَّ أَخَاكَ شَقِيقَ الْقَوَا دِ ، كُنْتُ بِهِ وَإِلَيْهَا مَا سَلِمَ^(٥)

(١) بقيه :

• وَكَأَنِّي نَازِرُ الصَّبْعِ سَرَّ .

وانظر بقية القصيدة في الأغاني .

(٢) لم يذكره صاحب الأغاني .

(٣) بقيه :

• لَكَ قَاعُذُ لَأَى حَالٍ تَصِيرُ .

وهو مطلع قصيدة في شعراء النصرانية ٤٥٥ ، ولم تذكر في خبر الأغاني .

(٤) المروَّح : الإبل المروحة إلى أطلانها . والمزيب : ما ترك في مراعيه . وانظر بقية الأبيات في رواية الأغاني .

(٥) الأغاني : « وأثقا » .

لَدَى مَلِكٍ مُؤْتَقٍ بِالْحَدِيدِ دِرْ لِمَا يَحِقُّ وَلِمَا ظُلِمَ
فَلَا أَعْرِفَنَّكَ كَدَّابِ الْعَلَا مَ مَا لَمْ يَحْدِ عَارِمًا يَفْتَرِمُ^(١)
فَارْضَكَ أَرْضَكَ إِنْ تَأْتِنَا تَمَّ نَوْمَةٌ لَيْسَ فِيهَا حُلْمٌ

فكتب إليه أخوه :

إِنْ يَكُنْ خَانَكَ الزَّمَانُ فَلَا عَا جِزُ بَاعِرٍ وَلَا أَلْفُ ضَعِيفٍ^(٢)
وَيَمِينِ الْإِلَهِ لَوْ أَنَّ جَاوَا طَحُونًا تَضِي فِيهَا الشُّيُوفُ^(٣)
ذَاتِ رِزٍّ مُجْتَابَةٍ غَمْرَةَ النُّوْ تِ صَحِيحٍ سِرِّهَا مَكْنُوفُ^(٤)
كُنْتُ فِي حَمِيهَا ، لِحِفْظِكَ أَسْعَى فَاعْلَمْ لَوْ سَمِعْتَ إِذْ تَسْتَضِيفُ^(٥)
أَوْ بِمَالِي سُلِّتَ دُونَكَ لَمْ يَمُ نَعِ تِلَادٌ لِحَاجَةٍ أَوْ طَرِيفُ^(٦)
أَوْ بَارِضٍ اسْتَطِيعَ آتِيكَ فِيهَا لَمْ يَهْدِنِي بَعِيدَهَا أَوْ خَوْفُ^(٧)
فِي الْأَعَادِي وَأَنْتَ مَتَّى بَعِيدُ عَزَّ هَذَا الزَّمَانُ وَالتَّعْرِيفُ
إِنْ تَفَنَّنِي وَأَقْبَهُ الْفَنَّا فَجُوعًا لَا يُعْقِبُكَ مَا يَصُوبُ الْخَرِيفُ
فَلَمَعَمَرِي لَنْ جَزَعْتُ عَلَيْهِ لَجَزُوعٌ عَلَى الصَّدِيقِ أَسُوفُ
وَلَمَعَمَرِي لَنْ مَلَكَتُ عِزَانِي لَقَلِيلٌ شَرَوَاكَ فِيمَا أَطُوفُ^(٨)

فزعوا أن أبيًا لما قرأ كتاب عدى قام إلى كسرى فكلّمه ، فكتب وبعث

(١) كذا في الطبري والأغانى . وفي اللسان ١٥ : ٢٨٩ : « ولا تلقين كأم الغلام » ،
وروى عن الأزهري : « كذات الغلام ما لم تجد » ، وقال في شرحه : أراد بذات الغلام الأم المرضع .
(٢) الألف : الثقيل البطيء .

(٣) الجأواء ، من وصف الكيبة ؛ يقال : كيبة جأواء ، أى بينة الجأى ، وهى التى يعلو
لوئها السوداء لكثرة الدروع .

(٤) الرز : الصوت يسمع من بعيد ، والسر بال : التميمى . والمكفوف ، من كفت التوب
إذا خطت حاشيته .

(٥) تستضيف : تستجير .

(٦) الأغانى : « سألت » ، بالبناء للمعلوم . (٧) الأغانى : « والتعنيف » .

(٨) شرواك : مثلك .

١٠٢٣/١ معمر جلا، وكتب خليفة النعمان إليه: إنه قد كتب إليك [في أمره]^(١). فأتاه أعداء عدى من بني بَقِيلَةَ^(٢) من غَسَّانَ، فقالوا: اقتله الساعة، فأبى عليهم وجاء الرجل^(٣)، وقد تقدّم أخو عدى إليه ورشاه، وأمره أن يبدأ بعدى، فدخل عليه وهو محبوس بالصنّين، فقال: ادخل عليه فانظر ما يأمر بك به، فدخل الرسول على عدى، فقال: لآتى قد جئت بإرسالك، فما عندك؟ قال: عندى الذى تحب، ووعده عِدَّةٌ، وقال: لا تخرجن من عندى، وأعطى الكتاب حتى أرسل به، فإنّك والله إن خرجت من عندى لأقتلن، فقال: لا أستطيع إلا أن آتى الملك بالكتاب، فأدخله عليه، فانطلق مخبر حتى أتى النعمان، فقال: إن رسول كسرى قد دخل على عدى وهو ذاهب به، وإن فعل والله لم يستبق منّا أحداً، أنت ولا غيرك. فبعث إليه النعمان أعداءه فغمّوه^(٤) حتى مات، ثم دفنوه.

ودخل الرسول على النعمان بالكتاب، فقال: نعم وكرامة! وبعث إليه بأربعة آلاف مثقال وجرارية، وقال له: إذا أصبحت فادخل عليه، فأخرجه أنت بنفسك. فلما أصبح ركب، فدخل السجن، فقال له الحرس: إنه قد مات منذ أيام، فلم نجري على أن نخبر الملك للفرق منه، وقد علمنا كرامته لموته. فرجع إلى النعمان فقال: إننى قد دخلت عليه وهو حى، [وجئت اليوم فسجحتنى السجن وبهتسى. وذكر له أنه قد مات منذ أيام]^(٥) فقال له النعمان: يبعثك الملك إلى فتدخل إليه قبل! كذبت، ولكنك أردت الرشوة والحبث. ففهدّه ثم زاده جائزة وأكرمه، واستوثق منه ألا يخبر كسرى؛ إلا إنه قد مات قبل أن يقدم عليه. ١٠٢٤/١

فرجع الرسول إلى كسرى، فقال: إنه قد مات قبل أن أدخل عليه،

(١) تكلّة من الأغاف.

(٢) بَقِيلَةُ: بطن من الحيرة.

(٣) الأغاف: «الرسول».

(٤) غمّوه: أى غلّوا وجهه بشيء حتى مات.

(٥) من رواية الأغاف.

وندم النعمان على موت عدى، واجترأ أعداء عدى على النعمان، وهابهم النعمان هبة شديدة، فخرج النعمان في بعض صبيته ذات يوم، فلقى أبنا لعدى، يقال له زيد، فلما رآه عرف شبّهه، فقال: من أنت؟ قال: أنا زيد بن عدى بن زيد، فكلّمه فإذا غلام ظريف، ففرح به فرحاً شديداً، وقرّبه وأعطاه، واعتلر إليه من أمر أبيه، وجهّزه^(١)، ثم كتب إلى كسرى^(٢) إنّ عدياً كان ممن أعين به الملك في نصحه ولّبه، فأصابه ما لا بدّ منه، وانقضت مدته، وانقطع أكّله، ولم يُصَبّ به أحد أشدّ من مصيبي، وأما الملك فلم يكن ليفقد رجلاً إلاّ جعل الله له منه خلفاً، لما عظم الله له من ملكه وشأنه، وقد أدرك له ابن ليس دونه، وقد سرّحتُه إلى الملك، فإن رأى الملك أن يجعله مكان أبيه، فليُفعل.

فلما قدم الغلام على كسرى جعله مكان أبيه، وصرف عمه إلى عمل آخر، فكان هو الذي يلى ما كتّبت به إلى أرض العرب، وخاصة الملك. وكانت له من العرب وظيفة موظفة في كل سنة: مُهران أشقران والكسمأة الرطبة في حينها واليابسة، والأقط والأدّم وسائر تجارات العرب، فكان زيد بن عدى بن زيد يلى ذلك، وكان هذا عمل عدى.

فلما وقع عند الملك بهذا الموقع، سأله كسرى عن النعمان، فأحسن عليه الثناء، فكث سنوات بمرتلة أبيه، وأعجب به كسرى، وكان يكثر الدخول عليه، وكانت للملك الأعاجم صفة من النساء مكتوبة عندهم، فكانوا يبعثون في تلك الأرضين بتلك الصفة، [فلذا وجدت حملت إلى الملك]^(٣) غير^(٤) أنهم لم يكونوا يتناولون أرض العرب بشيء من ذلك، ولا يرينونه. فبدأ الملك في طلب النساء فكتب بتلك الصفة^(٥). ثم دخل على كسرى فكلّمه فيما دخل فيه،

(١) جهّزه: أعد له معدات السفر.

(٢) ح: «وانقضى»، والأخاف: «وانقضت مدته وانقضى أجله».

(٣) تكلّة من رواية الأخاف.

(٤ - ٥) رواية الأخاف: «غير أنهم لم يكونوا يطلبونها في أرض العرب ولا يظنّونها عندهم».

ثم إنّه بدأ الملك في طلب تلك الصفة، وأمر فكتب بها إلى النواحي.

ثم قال : إني رأيت الملك كتب في نسوة يُطلَبْنَ له ، فقرأت الصفة ، وقد كنت بآل المنذر عالماً ، وعند عبدك النعمان من بناته وبنات عمه وأهله أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة . قال : فتكتب فيهن . قال : أيها الملك ، إن شئتُ شيء في العرب وفي النعمان [خاصة] ^(١) أنهم يتكرمون - زعموا في أنفسهم - عن العجم ، فأنا أكره أن يغيَّبهن [عمن تبعث إليهم ، أو يعرض عليه غيرهن] ^(٢) ؛ وإن قدمتُ أنا عليه لم يقدر أن يغيَّبهن ، فابعثني وأبعث معي رجلاً من حرمك ^(٣) يفقه العربية ، [حتى أبلغ ما تحبه] ^(٤) . فبعث معي رجلاً جليداً ^(٥) ، فخرج به زيد ، فجعل يكرم ذلك الرجل ويلطِّفه حتى بلغ الحيرة . فلما دخل عليه أعظم الملك ، وقال : إنه قد احتاج إلى نساء لأهله ولولده ، وأراد كرامتك [بصهره] ^(٦) ، فبعث إليك . فقال : وما هؤلاء النسوة ؟ فقال : هذه صفتهن قد جئنا بها .

وكانت الصفة أن المنذر الأكبر أهدى إلى أنوشروان جارية ، كان أصابها إذ أغار على الحارث الأكبر الغساني بن أبي شمير ، فكتب إلى أنوشروان يصفها ^(٧) له ، [وقال : إني قلوَّجَّهتُ إلى الملك جارية] ^(٨) معتدلة الخلق ، نقيّة اللون والثغر ، بيضاء ، قمرًا ، وطفاء ^(٩) ، [كحلاء] ^(١٠) دعجاء ^(١١) ، حوراء ^(١٢) ، عيناء ^(١٣) ، قنواء ^(١٤) ، شماء ^(١٥) ، زجاء ^(١٦) ، برجاء ^(١٧) ، أسيلة الخلد ^(١٨) ، شهية القلد ^(١٩) ،

(١) تكملة من رواية الأغاني . (٢) الأغاني : « من ثقاتك » .

(٣) الأغاني : « جلداً فهما » .

(٤) الأغاني : « بصفها » .

(٥) الطفلاء : غزيرة الإهاب وشمس الحاجبين .

(٦) الدعجاء : شديدة سواد العين مع شدة بياض البياض .

(٧) الحور : أسود العين كلها مثل الطيباء ، ولا يكون في بني آدم إلا على الاستمارة .

(٨) العين : سمة العين .

(٩) القنواء ، من القنأ ، وهو ارتفاع في أعلى الأنف واحديداب في وسطه وسبوغ في طرفه .

(١٠) الشم في الأنف : ارتفاع القصبة وحسبها .

(١١) الزجاء : حقيقة الحاجبين في طول .

(١٢) البرجاء : الجميلة الحسنه .

(١٣) الخلد الأسيل : الطويل المسترسل الأملس .

(١٤) الأغاني : « شهية القبل » .

جَشَلَّةُ الشَّعْرِ^(١) ، عَظِيمَةُ الهَامَةِ ، بَعِيدَةُ مَهْوَى القَرَطِ ، عِطَاءُ^(٢) ،
عَرِيضَةُ الصَّدْرِ ، كَاعِبَةُ التَّدْيِ ، ضَخْمَةُ مُشَاشَةِ المُنَكِبِ^(٣) والعَضْدُ ،
حَسَنَةُ المِعْصَمِ ، لَطِيفَةُ الكَفِّ ، سَبْطَةُ البِنَانِ ، لَطِيفَةُ طَلَى البَطْنِ ،^(٤)
خَمِيصَةُ الخَصْرِ ، غَرَّتِي الوِشَاحِ^(٥) ، رَدَاحُ^(٦) القَبِيلِ ، رَابِيَةُ الكَفْصِلِ ، لَفَاءُ
الفَخْزَيْنِ^(٧) ، رِيَا الرَوَادِفِ ، ضَخْمَةُ المَأْكَمَتَيْنِ^(٨) ، عَظِيمَةُ الرُّكْبَةِ
مُقْعَمَةُ السَّاقِ^(٩) ، مَشْبَعَةُ الخُلُخَالِ^(١٠) ، لَطِيفَةُ الكَعْبِ والقَدَمِ ،
قَطُوفُ المَشْيِ^(١١) ، مِكْسَالُ الضُّحَى^(١٢) ، بَضَّةُ المَتَجَرَّدِ^(١٣) ، سَمُوعًا
لِلسَّيْدِ ، لَيْسَتْ بِخُنْشَاءِ^(١٤) ، وَلَا سَفَاءَ^(١٥) ، ذَلِيلَةُ الأنْفِ^(١٦) ، عَزِيزَةُ النَّفَرِ ،
لَمْ تُغْزَدْ فِي بُوْسٍ ، حَيِيَّةُ رَزِينَةٍ ، حَلِيمَةُ رَكِيئَةٍ ، كَرِيمَةُ الخَالِ ، تَقْتَصِرُ
بِنَسَبِ أَبِيهَا دُونَ فَصِيلَتِهَا ، وَبِفَصِيلَتِهَا دُونَ جِمَاعِ قَبِيلَتِهَا ، قَدْ أَحْكَمْتَهَا
الْأُمُورُ فِي الْأَدَبِ ، فَرَأَيْهَا رَأَى أَهْلُ الشَّرَفِ ، وَعَمَلُهَا عَمَلُ أَهْلِ الْحَاجَةِ ،

(١) الجَلَّةُ : كَثِيفَةُ الشَّعْرِ سَدَاوُهُ .

(٢) المِطَاءُ : الطَوِيلَةُ المَتَى .

(٣) المِشَاشَةُ : رَأْسُ العِظَمِ .

(٤) الْأَغَانِي : « عِصَامَةُ البَطْنِ » .

(٥) غَرَّتِي الوِشَاحِ : دَقِيقَةُ الخَصْرِ .

(٦) الرَدَاحُ : الصِّجْرَاءُ الثَّقِيلَةُ الْأَوْرَاقُ التَّامَةُ الخَلْقِ . وَالْقَبِيلُ : مَا اسْتَفْلَكَ مِنْ مَشْرِفٍ .

(٧) اللَّفَاءُ : الضَّخْمَةُ الفَخْزَيْنِ المَكْتَنَزَتُهُمَا .

(٨) الْمَأْكَمَتَانِ : اللَّحْمَتَانِ التَّائِيَانِ عَلَى رِجْلَيْ رُجُلٍ .

(٩) مُقْعَمَةُ السَّاقِ : مِمْلَحَتُهَا .

(١٠) مَشْبَعَةُ الخُلُخَالِ : كُنَايَةُ عَنْ سَمَنِ السَّاقَيْنِ .

(١١) الْقَطُوفُ ، مِنَ الْغَطَافِ ؛ وَهُوَ تَقَارُبُ الْخَطْوِ .

(١٢) الْمِكْسَالُ : الْمِرَاةُ لَا تَكَادُ تَبْرَحُ مَجْلِسَهَا ؛ وَهُوَ مِلْحٌ لَهَا عِنْدَهُمْ ؛ كَقَوْلِهِمْ : « نَتُومُ

الضُّحَى » .

(١٣) الْبَضَّةُ : النَّاعِمَةُ .

(١٤) الْخُنْشَاءُ ، مِنَ الْخُنْشِ وَهُوَ تَأْخُرُ الأنْفِ إِلَى الرَّأْسِ وَارْتِفَاعُهُ عَنِ الشَّقَةِ ، لَيْسَ بِطَوِيلٍ

وَلَا مَشْرِفٍ .

(١٥) السَّفَاءُ ، مِنَ السَّغْعِ وَهُوَ السَّوَادُ .

(١٦) الْأَغَانِي : « رَقِيقَةُ الأنْفِ » .

صناع الكفّين ، قطيعة اللسان^(١) ، رهوة الصوت^(٢) ، ترين البيت^(٣) ،
وتشين العدو ، إن أردتها اشتهت ، وإن تركتها انتهت ، تحمليق
عينها ، وتحمر وجنتها ، وتذبذب شفتها ، وتبادرك الوثبة ، [ولا تجلس إلا
بأمرك إذا جلست]^(٤) .

فقبلها كسرى ، وأمر بإثبات هذه الصفة في دواوينه ، فلم يزالوا يتوارثونها
حتى أفضى ذلك إلى كسرى بن هرمز ، فقرأ عليه زيد هذه الصفة ، فشق^(٥)
عليه ، فقال لزيد - والرسول يسمع : أما^(٦) في عين السواد وفارس ما تبلغون
حاجتكم ! فقال الرسول لزيد : ما العين ؟ قال : البقر ، فقال زيد للنعمان : إنما أراد
كرامتك ، ولو علم أن هذا يشق عليك لم يكتب إليك به^(٧) .

فأنزلها يومين ، ثم كتب إلى كسرى : إن الذي طلب الملك ليس عندي ،
وقال لزيد : اعذرني عنده ، فلما رجع إلى كسرى ، قال زيد للرسول الذي جاء
معه : اصدق الملك الذي سمعت^(٨) منه ، فلما سأحدثه بحديثك ولا أخالفك
فيه . فلما دخلا على كسرى ، قال زيد : هذا كتابه ، فقرأه عليه ، فقال له
كسرى : فأين الذي كنت أخبرني [به]^(٩) ؟ قال : قد كنت أخبرتك بضئهم
بنسائهم على غيرهم ، وأن ذلك من شقايمهم واختيارهم الجوع والعري على الشبع
والرياش ، واختيارهم السموم والرياح على طيب أرضك هذه ، حتى إنهم
ليستونها السجن ، فسل هذا الرسول [الذي كان]^(١٠) معي عن الذي قال ، فلأني أكرم
الملك عن الذي قال ورد عليه أن أقوله^(١١) ، فقال للرسول : وما قال ؟ قال :
أيها الملك ، أما في بقر السواد [وفارس]^(١٢) ما يكفيك حتى يطلب ما عندنا !

(١) قطيعة اللسان ، أي ليست سليقة .

(٢) رهوة الصوت : رقيقته سهله .

(٣) الأغاني : (٢) الأغاني : المطب

(٤) من رواية الأغاني .

(٥) الأغاني : « فشقت عليه » .

(٦ - ٥) رواية الأغاني : « أما في مها السواد وعين فارس ما يبلغ به كسرى حاجته ! فقال :
الرسول لزيد بالفارسية : ما المها والعين ؟ فقال له بالفارسية : كاوان ، أي البقر ، فأفسك الرسول
وقال زيد للنعمان : إنما أراد الملك كرامتك ، ولو علم أن هذا يشق عليك لم يكتب إليك به » .

(٦) الأغاني : « مما سمعت » .

(٧) من الأغاني

(٨ - ٨) الأغاني : « فلأني أكرم الملك عن شقايمهم بما قال وأجاب به » .

فعرِف الغضب في وجهه ، ووقع في قلبه منه ما وقع ، ولكنه قد قال ^(١) : رَبُّ عَبْدٍ قَدْ أَرَادَ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ هَذَا ، فَيَصِيرُ أَمْرُهُ إِلَى التَّيَّابِ .

وشاع هذا الكلام ، فبلغ النعمان ^(٢) ، وسكت كسرى على ذلك أشهراً ، وجعل النعمان يستعد ويتوقع ، حتى أتاه كتابه : أَنْ أَقْبِلَ فَإِنَّ لِلْمَلِكِ إِلَيْكَ حَاجَةً ، فَانْطَلَقَ حِينَ أَتَاهُ كِتَابُهُ فَحَمَلَ سِلَاحَهُ ، وَمَا قِيَوَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ لَحِقَ بِجَبَلٍ طَبِئِي . وَكَانَتْ فِرْعَةُ ابْنَةِ سَعْدِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ لَأَمٍ عِنْدَهُ ، وَقَدْ وَلَدَتْ لَهُ رَجُلًا ١٠٢٨/١ وامرأة ، وَكَانَتْ أَيْضًا عِنْدَهُ زَيْنَبُ ابْنَةُ أَوْسِ بْنِ حَارِثَةَ ، فَأَرَادَ النُّعْمَانُ طَبِئًا عَلَى أَنْ يُدْخِلُوهُ [بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ] ^(٣) وَيَمْنَعُوهُ . فَأَبَوْا ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَقَالُوا : لَوْلَا صَهْرُكَ لَقَاتَلْنَاكَ ، فَإِنَّهُ لَحَاجَةٌ لَنَا فِي مُعَادَاةِ كَسْرَى ، [وَلَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ] ^(٤) . فَأَقْبَلَ [يَطُوفُ عَلَى قِبَائِلِ الْعَرَبِ] ^(٥) لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يَقْبَلُهُ ، غَيْرَ أَنَّ بَنِي رَوَاحَةَ بْنِ سَعْدٍ ^(٦) مِنْ بَنِي عَبَسَ قَالُوا : إِنْ شِئْتَ قَاتَلْنَا مَعَكَ . لِمَنْتَ كَانَتْ لَهُ عِنْدَهُمْ فِي أَمْرِ مَرْوَانَ الْقَرْظَ ^(٧) . فَقَالَ : لَا أَحَبُّ أَنْ أَهْلِكَكُمْ ، فَإِنَّهُ لَا طَاقَةَ لَكُمْ بِكَسْرَى .

فَأَقْبَلَ حَتَّى نَزَلَ بِذِي قَارٍ فِي بَنِي شَيْبَانَ سَرًّا ، فَلَقِيَ هَانِيَّ بْنَ مَسْعُودِ ابْنِ عَامِرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ بْنِ ذُهْلٍ بْنِ شَيْبَانَ ، وَكَانَ سَيِّدًا مَنِيعًا ، وَابْنُ يَوْمَنْدٍ مِنْ رَبِيعَةَ فِي آلِ ذِي الْجَدَّةِ ، لَقِيسِ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدِ بْنِ ذِي الْجَدَّةِ . وَكَانَ كَسْرَى قَدْ أَطْعَمَ قَيْسَ بْنَ مَسْعُودِ الْأَبْلَةَ ، فَكَرِهَ النُّعْمَانُ أَنْ يَدْفَعَ إِلَيْهِ أَهْلَهُ لِلنَّكَاحِ ، وَعَلِمَ أَنَّ هَانِيًّا مَانِعُهُ مِمَّا يَمْنَعُ مِنْهُ نَفْسُهُ .

وَتَوَجَّهَ النُّعْمَانُ إِلَى كَسْرَى ، فَلَقِيَ زَيْدَ بْنَ عَدِيٍّ عَلَى قَنْظَرَةَ سَابَاطَ ، فَقَالَ : ائْتِجْ نَعِيمٌ ، [إِنْ اسْتَطَعْتَ النَّجَاءَ] ^(٨) ، فَقَالَ : أَنْتَ يَا زَيْدَ فَعَلْتَ هَذَا ^(٩) ! أَمَّا

(١) رواية الأغاني : « ولكنه لم يزد على أن قال » .

(٢) الأغاني : « حتى بلغ النعمان » . (٣) تكله من رواية الأغاني .

(٤) الأغاني : « راحة بن قطيعة بن عبس » .

(٥) هو مروان بن زبيح العبسي ، أضيف إلى القَرْظِ ؛ لأنه كان يفتزو الجبن ، وبها منته .

(٦) رواية الأغاني : « أضلتها يا زيد ! »

والله لن أنفلت لأفعلن بك ما فعلت بأبيك ! فقال له زيد : امض نُعِيم ، فقد والله وضعت لك عنده أخية^(١) لا يقطعها المهر الأرن^(٢) . فلما بلغ كسرى أنه بالباب بعث إليه ، فقيده وبعث به إلى خانقين ، فلم يزل في السجن حتى وقع الطاعون فأت فيه ، والناس يظنون أنه مات بساباط لبيت قاله الأعشى :

فذاك وما أنجى من الموت ربّه بساباط حتى مات ، وهو محرزق^(٣)

وإنما هلك بخانقين ، وهذا قبيل الإسلام ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، وكان سبب وقعة ذي قار بسبب النعمان^(٤) .

وحدثت عن أبي عبيدة معمر بن المثنى ، قال : حدثنا أبو المختار فراس بن خنْدَق ، وعدة من علماء العرب قد سمّاهم ، أن النعمان لما قتل عدياً كاد أخو عدي وابنه النعمان عند كسرى ، وحرّقا كتاب اعتذاره إليه بشيء غَضِبَ منه كسرى ، فأمر بقتله ، وكان النعمان لما خاف كسرى استودع هاني بن مسعود بن عامر الحصيب بن عمرو المزدلف بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة ، حلّقته ونعّمه سلاحاً غير ذلك ، وذلك أن النعمان كان بنّاه ابتين له .

— قال أبو عبيدة : وقال بعضهم : لم يدرك هاني بن مسعود هذا الأمر ، إنما هو هاني بن قبيصة بن هاني بن مسعود . وهو الثّبت عندى —

فلما قتل كسرى النعمان ، استعمل إياس بن قبيصة الطائي على الحيرة وما كان عليه النعمان . قال أبو عبيدة : كان كسرى لما هرب من بهرام مرّ بإياس بن قبيصة فأهدى له فرساً وجزوراً ، فشكر ذلك له كسرى ،

(١) الأخية في الأصل : أن يذبح طرفا الجبل في الأرض وفيهما عصية أو حجير ، ويظهر منه مثل عروة تشد بها الدابة . (٢) الأرن : الشيط .

(٣) ديوانه ١٤٧ . وحرزق الرجل ، أى حبسه ؛ وهذه رواية الطبري والديوان ، وفي الأغاني : « محرزق » ، وما معنى . قال التوزي : قلت لأبي زيد الأنصاري : أنتم تشنون قول الأعشى : « حتى مات وهو محرزق » ، وأبو عمر الشيباني ينشد « محرزق » ، بتقديم الراء على الزاي ؟ فقال : إنها نبطية ، وأم أبي عمرو نبطية ، فهو أعلم بما منا . (٤) الخبر في الأغاني ٢ : ١٠٥ — ١٢٨

فبعث كسرى إلى إياس : أين تركة النعمان ؟ قال : قد أحرزها في بكر بن وائل ، فأمر كسرى إياساً أن يَضُمَّ ما كان للنعمان ويبعث [به] ^(١) إليه ، فبعث إياس إلى هاني : أن أُرسلَ إليَّ ما استودعك النعمان من الدروع ١٠٣٠/١ وغيرها — والمقلل يقول : كانت أربعمائة درع ، والمكثّر يقول : كانت ثمانمائة درع — فأبى هاني أن يُسلِّم خفارته . قال : فلما منمها هاني ، غضب كسرى وأظهر أنه يستأصل بكر بن وائل — وعنده يومئذ النعمان بن زُرعة التغلبيّ ، وهو يحبّ هلاك بكر بن وائل — فقال لكسرى : يا خير الملوكة ، أدلك على غيرة بكر ؟ قال نعم ، قال أمهلها حتى تَقِيظ ، فإنهم لو قد قاذبوا تساقطوا على ماء لم يقال له ذو قار ، تساقط القراش في النار ، فأخذتهم كيف شئت ، وأنا أكفيكمهم . فترجموا له قوله : « تساقطوا تساقط القراش في النار » ، فأقرهم حتى إذا قاذبوا ، جاءت بكر بن وائل فنزلت الخنو ، حنّوذي قار ، وهي من ذى قار [على مسيرة] ^(١) ليلة ، فأرسل إليهم كسرى النعمان بن زُرعة : أن اختاروا واحدة من ثلاث خصال ، فترل النعمان على هاني ثم قال له : أنا رسولُ الملك إليكم أختيركم ثلاث خصال : إما أن تُعطوا بأيديكم فيحكم فيكم الملك بما شاء ، وإما أن تُعرّوا الديار ، وإما أن تأذنوا بحرب .

فتوامروا قولوا أمرهم حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجليّ ، وكانوا يتيمينون به فقال لهم : لا أرى إلا القتال ، لأنكم إن أعطيتم بأيديكم قُتِلْتُمْ وسُبِيتْ ذرايبتكم ، وإن هربتم قُتِلْتُمْ العطش ، وتلقاكم عجم فتهلككم . فأذنوا الملك بحرب . فبعث الملك إلى إياس والي الهامر زُ التستريّ — وكان مسلحاً بالقُطْعَةُ طائفة — وإلى جلابزين ^(٢) — وكان مسلحاً ببارق — وكتب كسرى إلى قيس بن مسعود ابن قيس بن خالد بن ذى الجدين — وكان كسرى استعمله على طف ١٠٣١/١ سفوان — أن يوافوا إياساً ، فإذا اجتمعوا فإياس على الناس . وجاءت الفرس معها الخنود والقبول عليها الأساورة ، وقد بُعِثَ النبي صلى الله عليه وسلم ورقّ أُمّ فارس ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اليوم انتصفت العرب من المعجم » ،

(١) تكلّة من ح .

(٢) في التغانص : « خنابزين » .

فحفظ ذلك اليوم؛ فإذا هو يوم الواقعة . فلما دنت جيوش الفرس بمن معهم انسل قيسُ بن مسعود ليلاً فأتى هائناً ، فقال له : أعطِ قومك سلاح النعمان فيقووا ، فإن هلكوا كان تبعاً لأنفسهم ، وكنت قد أخذت بالحزم ، وإن ظفروا ردوه عليك . ففعل وقسم الدروع والسلاح في ذوى^(١) القوى وأجلد من قومه . فلما دنا الجمع من بكر ، قال لم هاني : يا معشر بكر ، إنَّه لا طاقةَ لكم بجنود كسرى ومن معهم من العرب ، فاركبوا الفلاة . فتسارع الناس إلى ذلك ، فوثب حنظلة بن ثعلبة بن سيار فقال له : إنما أردت نجاتنا فلم تنزد على أن ألقيتنا في الملكة ، فردّ الناس وقطع وضمن الموادج لئلا تستطيع بكر أن تسوق نساءهم إن هربوا - فسمي «مقطع الوضن» ، وهي حزم الرجال . ويقال : مقطع البطن ، والبطن حزم الأقتاب - وضرب حنظلة على نفسه قبةً يبطحاء ذى قار ، وآلى ألا يغير حتى تغير القبة . فضى من مضي من الناس ، ورجع أكثرهم ، واستقوا ماء لنصف شهر ، فأنتهم العجم ، فقاتلتهم بالخنو ، فعجزت العجم من العطش ، فهرت ولم تقم لحاصرهم ، فهرت إلى الجبابات ، فتبعتهم بكر ، وعجل أوائل بكر ، فتقدمت عجل ، وأبلت يومئذ بلاء حسناً ، واضطمت عليهم جنود العجم ، فقال الناس : هلك عجل ، ثم حملت بكر فوجدوا عجلًا ثابتة تقاتل ، وامرأة منهم تقول :

إِنْ يَظْفَرُوا يَحْرُزُوا فِينَا الْفَرْلُ لَيْسَ فِدَاءُ لَكُمْ بِنِي عِجْلٍ ١

وتقول أيضاً تحضض الناس :

إِنْ تَهَزَّيْمُوا نَمَاتِقُ وَنَفَرِشِ النَّمَارِقُ
أَوْ تَهْرُبُوا تُهَارِقُ فَرَاقَ غَيْرِ وَاقٍ

فقاتلهم بالجبابات يوماً . ثم عطش الأعاجم فآلوا إلى بطحاء ذى قار ، فأرسلت إباد إلى بكر سرّاً - وكانوا أعواناً على بكر مع إياس بن قبيصة : أي الأمرين أعجب إليكم ؟ أن نظير تحت ليلتنا فنذهب ، أو نقيم ونفر حين تلاقوا

(١) ط : ذى ، وما أثبتته عن ح .

القوم ؟ قالوا : بل تقيمون ، فإذا التقى القوم انهزمتم بهم . قال : فصبحتهم بكر بن وائل ، والظعن واقفة يلحسون الرجال على القتال . وقال يزيد بن حمار السكوني - وكان حليفاً لبني شيان - : يا بني شيان ، أطيعني وأكفوني لم كيتاً . ففعلوا ، وجعلوا يزيد بن حمار رأسهم فكمنوا في مكان من ذى قار ، يسمي إلى اليوم الحب ، فاجتلدوا ، وعلى ميمنة لإياس بن قبيصة الهامريز ، وعلى ميسرته الجلابزين ، وعلى ميمنة هاني بن قبيصة رئيس بكر يزيد بن مسهر الشيباني ، وعلى ميسرته حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي ، وجعل الناس يتحاضون ويرجزون ، فقال حنظلة بن ثعلبة :

١٠٣٣/١

قَدْ شَاعَ أَشْيَاكُمْ فِحْدُوا مَا عَلَتِي وَأَنَا مُؤَدِّ جَلْدٍ^(١)
وَالْقَوْمُ فِيهَا وَتَرٌّ عُرْدٌ مِثْلُ ذِرَاعِ الْبَكْرِ أَوْ أَشَدُّ
قَدْ جَمَلَتْ أَخْبَارُ قَوْمِي تَبْدُو إِنَّ الْمَنَايَا لَيْسَ مِنْهَا بَدُّ
هَذَا عَمِيرٌ تَحْتَهُ أَلَدٌ يَقْدُمُهُ كَيْسٌ لَهُ مَرْدٌ
حَتَّى يَمُودَ كَالْكَيْتِ الْوَرْدُ خَلَوْا بَنِي شَيْبَانَ وَاسْتَبِيدُوا
نَفْسِي فِدَاكُمْ وَأَبِي وَالْجَدَّ^(٢) .

وقال حنظلة أيضاً :

يَا قَوْمَ طَيِّبُوا بِالْقِتَالِ نَفْسًا أَجْدَرُ يَوْمَ أَنْ تَقْلُوا الْقُرْسَا

وقال يزيد بن المكسر بن حنظلة بن ثعلبة بن سيار :

مَنْ قَرَّ مِنْكُمْ قَرَّ عَنْ حَرِيمِي وَجَارِي ، وَقَرَّ عَنْ نَدْعِي
أَنَا ابْنُ سَيَّارٍ عَلَى شَكِيمِي إِنَّ الشَّرَّكَ قَدْ مِنْ أَدْعِي^(٣)
وَكُلُّهُمْ يَجْرِي عَلَى قَدْعِي مِنْ قَارِحِ الْهَجْنَةِ أَوْ صَمِيمِي

(١) الميضي : ذو الأداة الثامة من السلاح .

(٢) ح : « فدتكم » .

(٣) الشراك : سير النمل ، وقد : قطع ، والأديم : الجلد المدبوغ .

قال فراس : ثم صبروا الأمر بعد هاني إلى حنظلة ، فقال إلى مارية ابنته - وهي أم عشرة نفر - أحدهم جابر بن أبيجر - فقطع وضيها فوقعت إلى الأرض وقطع وُضْن النساء ، فوقعن إلى الأرض ، ونادت ابنة القرين الشيبانية حين وقعت النساء إلى الأرض :

وَيَهَا بَنِي شَيْبَانَ صَفًا بَعْدَ صَفٍ إِنْ تَهَزَّمُوا يُصَبِّحُوا فِينَا الْقُلْفُ
 ١٠٣٤/١ فقطع سبعائة من بني شيبان أيدي أقبيتهم مِنْ قِبَلِ مَنَّا كَيْفَ ؛ لَأَنْ
 تَخِفَ أَيْلَهُمْ بِضَرْبِ السُّيُوفِ ، فَجَالِدُومٌ .

قال : ونادى الهامرز : مَرْدٌ وَمَرْدٌ ، فقال بُرْدُ بْنُ حَارِثَةَ الْيَشْكِرِيُّ :
 ما يقول ؟ قالوا : يدعو إلى البراز رجل ورجل ، قال : وأبيكم لقد أنصف .
 فبرز له فقتله برد ، فقال سويد بن أبي كاهل :

وَمِنَّا بُرَيْدٌ إِذْ تَحَدَّى جُمُوعَكُمْ فَلَمْ تُقَرِّبُوهُ الْمَرْزَبَانَ الْمُسُورَا
 أى لم تجعلوه . ونادى حنظلة بن ثعلبة بن سيار : يا قوم لا تقفوا لهم فيستغفركم
 النشأ ، فحملت ميسرة بكراً وعليها حنظلة على ميمنة الجيش ، وقد قتل
 بُرْدُ مِنْهُمْ رَئِيسَهُمُ الْهَامِرْزُ ، وحملت ميمنة بكراً وعليها يزيد بن مُسْهَرٍ على
 ميسرة الجيش ، وعليهم جلابزين ، وخرج الكمين من جُبِّ ذِي قَارٍ مِنْ
 وَرَائِهِمْ ، وعليهم يزيد بن حمار ، فشدوا على قَلْبِ الْجَيْشِ ، وفيهم إِيَّاسُ
 ابْنُ قَبِيصَةَ ، وولت إِيَادُ مِنْهَزِمَةٌ كَمَا وَعَلَتْهُمْ ، وانهمزت الْفَرَسُ .

قال سَلِيطٌ : فحدثنا أسراؤنا الذين كانوا فيهم يومئذ ، قالوا : فلما التقى
 الناس ، ولت بكراً منهزمة ، قتلنا : يربلون الماء ، فلما قطعوا الوادي فصاروا
 من ورائه ، وجاوزوا الماء ، قلنا : هي الهزيمة ، وذلك في حَرِّ الظَّهْرِ وَفِي يَوْمٍ
 قَانِظٍ ، فَأَقْبَلَتْ كَتِيبَةٌ عِجْلٌ كَانَتْهُمْ طُنَّ قَصَبٌ ، لَا يَفُوتُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ،
 ١٠٣٥/١ لَا يُسْمَعُونَ هَرَبًا ، وَلَا يَخَالُطُونَ الْقَوْمَ . ثم تَدَامَرُوا فَرَحُوا فَرُومَهُمْ بِجَبَاهِهِمْ ،
 فلم تكن إلا إِيَّاهَا ، فَأَمَالُوا بِأَيْلِهِمْ ، فَوَلَّوْا ، فَتَلَّوْا الْفَرَسَ وَمَنْ مَعَهُمْ ؛ مَا بَيْنَ
 بَطْلَحَاءِ ذِي قَارٍ ، حَتَّى بَلَغُوا الرَّاحِضَةَ .

قال فراس : فخبرت أنه تبعه تسعون فارساً^(١) ، لم ينظروا إلى سلب ولا

(١) كلنا في النفاض ، والعبارة في ط مصحفة .

إلى شيء حتى تعارفوا بأدم (موضع قريب من ذي قار) ، فوجد ثلاثون فارساً من بني عجل ، ومن سائر بكر ستم فارساً ، وقتلوا جلابزين ، قتله حنظلة بن ثعلبة . وقال ميمون بن قيس يمدح بني شيان خاصة في قوله :

فِدَى لِبْنِي ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَ نَاقِي وَرَاكِهَهَا يَوْمَ الْقَاءِ ، وَقُلْتُ ^(١)
هُمُ ضَرَبُوا بِالْحِنُو ، حِنُو قُرَاقِرٍ مُقَدِّمَةِ الْهَامِرِزِ حَتَّى تَوَلَّتْ
وَأَفْلَتْنَا قَيْسُ وَقُلْتُ لَمَلَهُ هُنَالِكَ لَوْ كَانَتْ بِهِ النَّمْلُ زَلَّتْ ^(٢)

فهذا يدل على أن قيساً قد شهد ذا قار .

وقال بكير ، أصم بن الحارث بن عبادة ، يمدح بني شيان :

إِنْ كُنْتُ سَاقِيَةَ الْمُدَامَةِ أَهْلَهَا فَأَسْقِي عَلَى كَرَمِ بَنِي هَمَامٍ
وَأَبَا رَيْبَعَةَ كُحْلَهَا وَحُمْلَهَا سَبَقًا بِنَافِيَةِ أُمَجْدِ الْأَيَّامِ ١٠٣٦/١
ضَرَبُوا بَنِي الْأَحْرَارِ يَوْمَ لَقَوْهُمْ بِالْمَشْرِقِيِّ عَلَى مَقِيلِ الْمَامِ
عَرَبًا ثَلَاثَةَ أَلْفٍ وَكِتَبَةً أَلْقَيْنِ أُعْجِمَ مِنْ بَنِي الْقَدَامِ
شَدَّابْنُ قَيْسٍ شَدَّةً ذَهَبَتْ لَهَا ذِكْرَى لَهُ فِي مُعَرِّقٍ وَشَامِ
عَمَرُوا وَمَا عَمَرُوا بِفَحْمٍ ذَالِهِ فِيهَا ، وَلَا غَمَرٍ وَلَا بَغْلَامٍ ^(٣)

فلما مدح الأعشى والأصم بني شيان خاصة غضبت الهازيم ، فقال أبو كلبة ، أحد بني قيس يؤنسها بذلك :

جُدُّعُنَا شَاعِرِي قَوْمِ أُولِي حَسَبٍ حَزَّتْ أَنْوْفُهُمَا حَزًّا بِمِشَارِ
أَعْنَى الْأَصَمِ وَأَعْشَانَا إِذَا اجْتَمَعَا فَلَا اسْتِمَانَا عَلَى سَمْعٍ بِإِبْصَارِ

(١) ديوانه ١٧٩ ، وفي ط : « وقُلْتُ » ، والصواب ما أثبتته من الديوان .

(٢) رواية الديوان :

وَأَفْلَتَهُمُ قَيْسُ فَضَلْتُ لَمَلَهُ يَبِيلُ لَشْنُ كَانَتْ بِهِ النَّمْلُ زَلَّتْ

(٣) القم في الأصل : المهزول من الإبل ، والبداله : الضعيف . وفي القافض : « دالف » .

لَوْلَا فَوَارِسُ لَامِيلٍ وَلَا عَزْلٌ^(١) مِنْ اللَّهَازِمِ مَا قَاطَعُوا بَذِي قَارٍ
نَحْنُ أَتَيْنَاهُمْ مِنْ عِنْدِ أَشْمَلِهِمْ كَمَا تَلَبَّسُ وَرَادٌ يَصْدَارُ؟

١٠٣٧/١ قال أبو عمرو بن العلاء : فلما بلغ الأعشى قول أبي كلبه ، قال : صدق .
وقال معتذراً مما قال :

مَتَى يُقَرَّنَ أَعْمٌ بِجَمَلٍ أَعْشَى يَتِيهَا فِي الضَّلَالِ وَفِي الْخَسَارِ
فَلَسْتُ بِمُبْصِرٍ مَا قَدْ بَرَأهُ وَلَيْسَ بِسَامِعٍ أَبَدًا حَوَارِي

وقال الأعشى في ذلك اليوم :

أَنَا عَنِ بَنِي الْأَخْرَا أَرَادُوا نَحْتَ أَنْتِنَا
رَقَوْلٌ لَمْ يَكُنْ أَمَّا^(٢) وَكُنَّا نَمْنَعُ الْعُطَا^(٣)

وقال أيضاً لقيس بن مسعود :

أَقْبِسْ بِنَ سَعُودِ بْنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ وَأَنْتَ أَمْرُو تَرْجُو شَبَابَكَ وَائِلُ
أَتَجَمُّعُ فِي عَامٍ غَزَاةً وَرَحْلَةً أَلَا لَيْتَ قَيْسًا غَرَفَتْهُ الْقَوَائِلُ !

وقال أعشى بنى ربيعة :

وَنَحْنُ غَدَاةٌ ذِي قَارٍ أَقْنَا وَقَدْ جَاءُوا بِهَا جَاءُوا فِلَقًا
مَلَمْلَمَةٌ كَتَاتِبُهَا طَحُونَا لِيَوْمٍ كَرِيهَةٍ حَتَّى تَجَلَّتْ
ظِلَالُ دُجَاهٍ عَنَّا مُصْلِتَيْنَا فَوَلُونَا الدَّوَابِرَ وَانْقَوْنَا
كَمَا وَرَدَ الْقَطَا الثَّمَدَ الْمَعِينَا وَدَدْنَا عَارِضَ الْأَحْرَارِ وَرَدًا

(١) ميل : جمع أميل ؛ وهو الذي لا سيف ولا سلاح معه كالأعزل .

(٢) ديوانه ٢٠٤ .

(٣) ديوانه ١٢٨ .

(٤) ديوان الأعشى ٢٨١ .

ذكر من كان على ثغر العرب من قبل ملوك الفرس

بالحيرة بعد عمرو بن هند

قد مضى ذكرنا مَنْ كان يلي ذلك من قبل ملوك الفرس من آل نصر ١٠٣٨/١ ابن ربيعة إلى حين هلاك عمرو بن هند ، وقدر مدة ولاية كل مَنْ ولى منهم ذلك ، ونذكر الآن مَنْ ولى ذلك لم بعد عمرو بن هند ، إلى أن ولى ذلك لم النعمان بن المنذر ، والذي ولى لم ذلك بعد عمرو بن هند أخوه قابوس بن المنذر ، وأمه هند ابنة الحارث بن عمرو ، فولى ذلك أربع سنين ؛ من ذلك في زمن أنوشروان ثمانية أشهر ، وفي زمن هرمز بن أنوشروان ثلاث سنين وأربعة أشهر .

ثم ولى بعد قابوس بن المنذر السُّهْرَب .

ثم ولى بعده المنذر أبو النعمان أربع سنين .

ثم ولى بعده النعمان بن المنذر أبو قابوس اثنتين وعشرين سنة ، من ذلك زمن هرمز بن أنوشروان سبع سنين وثمانية أشهر ، وفي زمن كسرى أبرويز ابن هرمز أربع عشرة سنة وأربعة أشهر .

ثم ولى إياس بن قبيصة الطائي ومعه النخعي جُحَان ، تسع سنين في زمن كسرى ابن هرمز . ولسته وثمانية أشهر من ولاية إياس بن قبيصة بعث النبي صلى الله عليه وسلم فيما زعم هشام بن محمد .

ثم استخلف آذذيه بن ماهان^(١) بن مِهْرَبَنْدَاذ المضافي سبع عشرة سنة ، من ذلك في زمن كسرى بن هرمز أربع عشرة سنة وثمانية أشهر ، وفي زمن شيرويه بن كسرى ثمانية أشهر ، وفي زمن أردشير بن شيرويه سنة وسبعة أشهر ، وفي زمن بوران دُخْتُ بنت كسرى شهراً .

ثم ولى المنذر بن النعمان بن المنذر - وهو الذي تسميه العرب الغرور ، الذي قتل بالبحرين يوم جُوَاثِي ، إلى أن قدم خالد بن الوليد الحيرة - ثمانية أشهر .

فكان آخر مَنْ بَقِيَ من آل نصر بن ربيعة ، فانقرض أمرهم مع زوال ملك فارس .

فجميع ملوك آل نصر — فيما زعم هشام — ومن استخلف من العبياد والفرس عشرون ملكاً . قال : وعدة ما ملكوا خمسمائة سنة واثنان وعشرون سنة وثمانية أشهر

• • •

رجع الحديث إلى ذكر المروان وولايته اليمن ، من قبيل هرمز وابنه أبرويز ، ومن وليها بعده :

حدثت عن هشام بن محمد ، قال : عزل هرمز بن كسرى وبن^(١) عن اليمن ، واستعمل مكانه المروان ، فأقام باليمن ، حتى ولد له بها ، وبلغ ولده . ثم إن أهل جبل من جبال اليمن يقال له المصانع^(٢) خالفوه ، وامتنعوا من حمل الخراج إليه — والمصانع جبل طويل ممتنع ، إلى جانبه جبل آخر قريب منه ، بينهما فضاء ليس بالبعيد ، إلا أنه لا يرام ولا يطمع فيه — فسار المروان إلى المصانع ، فلما انتهى إليه نظر إلى جبل لا يطمع في دخوله إلا من باب واحد ، يمتنع ذلك الباب رجل واحد ، فلما رأى أن لا سبيل له إليه ، صعد الجبل الذي يخاذى حصنهم ، فنظر إلى أضييق مكان منه وتحتته هواء ذاهب ، فلم ير شيئاً أقرب إلى افتتاح الحصن من ذلك الموضع ، فأمر أصحابه^(٣) أن يصطفوا له صفين ، ثم يصيحوا به صيحة واحدة ، وضرب^(٤) فرسه فاستجمع حُضْرًا^(٥) ، ثم رمى به فوثب المضيق ، فإذا هو على رأس الحصن . فلما نظرت إليه حمير وإلى صنيعه قالوا : هذا أيم — والأيم بالحميرية شيطان — فأنهروهم وزبرهم بالفارسية ، وأمرهم أن يكتف بعضهم بعضاً ، فاستترلهم من حصنهم ، وقتل طائفة منهم وسبى بعضهم^(٦) ، وكتب بالذي كان من أمره إلى كسرى

(١) ط : « زين » وأثبت ما في التصويبات . (٢) وقال ياقوت : « حصن يقال له المصانع » .

(٣) ت ، ح : « فأق أصحابه فأمرهم » .

(٤) ط : « فغضب » ، وما أثبت من ت ، ح .

(٥) الحضر : ارتقاء الفرس في عدوه .

(٦) ت ، ح : « وسبى طائفة منهم » .

ابن هرمز . فتعجب من صنيعه ، وكتب إليه : أن استخلف من شئت ، وأقبل إلى .

قال : وكان للمروزان ابنان : أحدهما تعجبه العربية ، ويروى الشعر ؛ يقال له خُرْ خُسْرَة ، والآخر أسوار يتكلم بالفارسية ، ويتدهنقن ، فاستخلف المروزان ابنه خُرْ خُسْرَة - وكان أحبّ ولده إليه - على اليمن ، وصار حتى إذا كان في بعض بلاد العرب هلك ، فوضع في تابوت ، وحمل حتى قدم به على كسرى ، فأمر بذلك التابوت فوضع في خزانته ، وكتب عليه في هذا التابوت : فلان الذي صنع كذا وكذا ، قصته في الجبلين . ثم بلغ كسرى تعرب خُرْ خُسْرَة وروايته الشعر ، وتأدبه بأدب العرب ، فعزله ، وولى باذان ، وهو آخر من قدم اليمن من ولادة العجم .

وكان كسرى قد طفئ لكثرة ما قد جمع من الأموال وأنواع الجوهر والأمتعة ١٠٤١/١ والكراع وافتنح من بلاد العدوّ ، وساعده من الأمور ، ورزق من مواتاته ، وبطير^(١) ، وشره شرها فاسداً ، وحسد الناس على ما في أيديهم من الأموال ، فولّى جباية البقايا عليّجاً من أهل قرية تدعى خندق من طسوج بهر سير ؛ يقال له : فرخزاد بن سُمَيّ ، فسام الناس سوء العذاب ، وظلمهم واعتدى عليهم ، وغصّبهم أموالهم في غير حله ، بسبب بقايا الخراج ، واستفْسدهم بذلك ، وضيق عليهم المعاش ، وبخّض آلهم كسرى ومملكه .

وحدثت عن هشام بن محمد ، أنه قال : كان أبرويز كسرى هذا قد جمع من الأموال ما لم يجمع أحد من الملوك ، وبلغت خيله القسطنطينية وإفريقية ، وكان يشرب بالمدائن ، ويتصيف ما بينها وبين همدان ، وكان يقال : إنه كانت له اثنتا عشرة ألف امرأة وجارية ، وألف فيل إلا واحداً ، وخمسون ألف دابة بين فرس وبردّون وبغل ، وكان أرغب الناس في الجوهر والأواني وغير ذلك .

وأما غير هشام فإنه قال : كان [له]^(٢) في قصره ثلاثة آلاف امرأة بطوهرن ،

(١) ت ، ح : « ويطر وأشر » .

(٢) من ر ، ل .

وَأُلُوفٌ جَوَارٍ اتَّخَذَهُنَّ لِلْخِدْمَةِ وَالْفَنَاءِ وَغَيْرَ ذَلِكَ ، وَثَلَاثَةُ آلَافٍ رَجُلٌ يَقُومُونَ بِخِدْمَتِهِ ، وَكَانَتْ لَهُ ثَمَانِيَةُ آلَافٍ وَخَمْسِمِائَةِ دَابَّةٍ لِمَرْكَبِهِ ، وَصِبْعَمِائَةِ وَسْتُونَ ^{١٠٤٢/١} فَيْلًا ، وَاثْنَا عَشَرَ أَلْفَ بَعْلٍ لَشَقَلِيهِ ، وَأَمْرٌ فَبُنِيَتْ بِيُوتُ النِّيرانِ ، وَأَقَامَ فِيهَا اثْنِي عَشَرَ أَلْفَ هِيرَبْدَ لِلزَّمَرَةِ . وَإِنَّهُ أَمَرَ أَنْ يَحْصَى مَا اجْتَبَى مِنَ خِرَاجِ بِلَادِهِ وَتَوَابِعِهِ وَصَائِرِ أَبْوَابِ الْمَالِ ، سَنَةَ ثَمَانِيَةِ عَشْرَةٍ مِنْ مَلِكِهِ ، فَرَفَعَ إِلَيْهِ أَنَّ الَّذِي اجْتَبَى فِي تِلْكَ السَّنَةِ مِنَ الْخِرَاجِ وَصَائِرِ أَبْوَابِهِ مِنَ الْوَرِقِ أَرْبَعَمِائَةِ أَلْفِ أَلْفٍ مِثْقَالٍ وَعِشْرُونَ أَلْفَ أَلْفٍ مِثْقَالٍ ، يَكُونُ ذَلِكَ وَزَنُ سَبْعَةٍ ، سِتِّمِائَةِ أَلْفِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ ، وَأَمْرٌ فَحُوِّلَ إِلَى بَيْتِ مَالِ بَنِي بَمْدِينَةِ طَبْسَبُونِ ^(١) ، وَنَمَّاهُ بِهَارِ حَفْرَدٍ خَسِرُوا ، وَأَمْوَالُ لَهُ أُخْرَى مِنْ ضَرْبِ فَيْرُوزِ بْنِ يَزْدَجَرْدِ وَقِيَاذِ بْنِ فَيْرُوزِ ، اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ بَدْرَةٍ ، فِي كُلِّ بَدْرَةٍ مِنْهَا مِنَ الْوَرِقِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ مِثْقَالٍ ، يَكُونُ جَمِيعُ ذَلِكَ ثَمَانِيَةً وَأَرْبَعِينَ أَلْفَ أَلْفٍ مِثْقَالٍ ، وَهُوَ وَزَنُ سَبْعَةٍ ، ثَمَانِيَةِ وَسْتُونَ أَلْفَ أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةِ أَلْفٍ وَأَحَدٍ وَسَبْعُونَ أَلْفًا وَأَرْبَعَمِائَةِ وَعِشْرُونَ دِرْهَمًا وَنِصْفَ وَثَلْثِ ثَمَنِ دِرْهَمٍ ، فِي أَنْوَاعٍ لَا يَحْصِي مِبلغَهَا إِلَّا اللَّهُ ، مِنَ الْجَوَاهِرِ وَالْكُتْسَى وَغَيْرِ ذَلِكَ .

^{١٠٤٣/١} وَإِنْ كَسَرَى احْتَقَرَتِ النَّاسُ ، وَاسْتَخَفَّ بِمَا لَا يَسْتَحْفَ بِهِ الْمَلِكُ الرَّشِيدُ الْحَازِمُ ، وَبَلَغَ مِنْ عَتْوِهِ وَجُرْأَتِهِ عَلَى اللَّهِ ^(٢) أَنَّهُ أَمَرَ رَجُلًا كَانَ عَلَى حَرَسِ بَابِهِ الْخَاصِّ - يُقَالُ لَهُ : زَاذَانُ فَرُوخَ - أَنْ يَقْتُلَ كُلَّ مَقْبَدٍ فِي سَجْنٍ مِنْ سَجُونِهِ ، فَأَحْصَوْا ، فَبَلَغُوا سِتَّةً وَثَلَاثِينَ أَلْفًا ، فَلَمْ يَقْدَمْ زَاذَانُ فَرُوخَ عَلَى قَتْلِهِمْ ، وَتَقَدَّمَ لَتَأْخِيرِ مَا أَمَرَ بِهِ كَسَرَى فِيهِمْ ، لَعَلَّ أَعْدَاءَهَا لَهُ ، فَكَسَبَ كَسَرَى عِدَاوَةَ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ ؛ أَحَدُ ذَلِكَ احْتِقَارُهُ إِيَّاهُمْ ، وَتَصَغِيرُهُ عِظَمَاءَهُمْ . وَالثَّانِي تَسْلِيْطُ الْعِلْجِ فَرْتَخَانَ زَادَ بْنَ سَمَى عَلَيْهِمْ ، وَالثَّلَاثُ أَمْرُهُ بِقَتْلِ مَنْ كَانَ فِي السَّجْنِ ، وَالرَّابِعُ إِجْمَاعُهُ عَلَى قَتْلِ الْفُلِّ الَّذِينَ انْفَصَرَفُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلِ هِرَقْلٍ وَالرُّومِ ؛ فَضَى نَاسٌ مِنَ الْعِظَمَاءِ إِلَى عَقْرِ بَابِلَ ، وَفِيهِ شِيرِي بْنُ أَبِرُويزَمِجَ إِخْوَتُهُ بِهَا ، قَدْ وَكَّلَ بِهِمْ مُؤَدِّبُونَ يُؤَدُّ بِهِمْ ، وَأَسَاوِرَةٌ يَحُولُونَ

(١) ل ، ح : « طيسون » ر : « طيسور » .

(٢) ت ، ح : « عتو على الله عز وجل وجراته عليه » .

بينهم وبين براح ذلك الموضع ، فأقبلوا به ، ودخل مدينة بهرُسمير ليلا ، فخلّى عمن كان في سجنها ، وخرج من كان فيها ، واجتمع إليه القتل الذين كان كسرى أجمع على قتلهم ، فتادوا قباذ شاهنشاه ، وصاروا حين أصبحوا إلى رجة كسرى ، فهرب من كان في قصره من حرسه ، وانحاز كسرى بنفسه إلى باغ له قريب من قصره ، ويدعى باغ الهينلوان فاراً مرعوباً ، وطلب فأخذ ماة آذر وروز آذر^(١) ، وحبس في دار المملكة ، ودخل شيرويه دار ١٠٤٤/١ الملك ، واجتمع إليه الوجوه ، فلكوه وأرسل إلى أبيه بقرّعه بما كان منه .

حدثت عن هشام بن محمد ، قال : ولد لكسرى أبرويز ثمانية عشر ولداً ذكراً ، أكبرهم شهريار ، وكانت شيرين تبنّته ، فقال المنجمون لكسرى : إنّه سيولد لبعض ولدك غلام ، ويكون خراب هذا المجلس وذهاب هذا الملك على يديه ، وعلامته نقص في بعض بدنه ، فحصر ولده لذلك عن النساء ، فكثوا حينئذ لا يصلون إلى امرأة ، حتى شكا ذلك شهريار إلى شيرين ، وبعث إليها يشكو الشئ ، ويسألها أن تدخّل عليه امرأة وإلا قتل نفسه ، فأرسلت إليه : إنّي لا أصل إلى إدخال النساء عليك إلا أن تكون امرأة لا يؤبه لها ، ولا يحمل بك أن تمسّها ، فقال لها : لست^(٢) أبالي ما كانت ، بعد أن تكون امرأة . فأرسلت إليه بجمارية كانت تحجمها ، وكانت — فيما يزعمون — من بنات أشرافهم ؛ إلا أن شيرين كانت غضبت عليها في بعض الأمور ، فأسلمتها في الحجّامين ؛ فلما أدخلتها على شهريار وثب عليها ، فحملت بيزدجيرد ، فأمرت بها شيرين فقصّرت^(٣) حتى ولدت ، وكتمت أمر الولد خمس سنين . ثم إنّها رأت من كسرى رقة للصبيان حين كبير ، فقالت له : هل يسرك أبئها الملك أن ترى ولداً لبعض بنيك على ما كان في ذلك من المكروه ؟ فقال : لا أبالي . فأمرت بيزدجيرد فطُيّب وحلّي ، وأدخلته عليه ، وقالت : هذا بيزدجيرد بن شهريار ، فدعا به فأجلسه في

(١) التي نفا يظهر أنّه أخذ في شهر الربيع ويوم الربيع .

(٢) ت ، ح : « إني لست » . (٣) قصرت : حبست .

حِجْرِهِ ، وَقَبْلَهُ وَعَطَفَ عَلَيْهِ ، وَأَحْبَهُ ^(١) حَبًّا شَدِيدًا ، وَجَعَلَ بَيْتَهُ مَعَهُ ؛ فَبَيْنَمَا هُوَ يَلْعَبُ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ إِذْ ذَكَرَ مَا قَبِلَ [فِيهِ] ^(٢) ، فَعَدَا بِهِ فَعَرَاهُ مِنْ ثِيَابِهِ ، وَاسْتَقْبَلَهُ وَاسْتَدْبَرَهُ ، فَاسْتَبَانَ النِّقْصَ فِي أَحَدِ وَرِكَيْهِ ، فَاسْتَشَاظَ غَضَبًا وَأَسْفَا ، وَاحْتَمَلَهُ ^(٣) لِيَجْلِدَ بِهِ الْأَرْضَ ، فَتَعَلَّقَتْ بِهِ شِيرِينَ ، وَنَاشَدَتْهُ اللَّهُ أَلَّا يَقْتُلَهُ ، وَقَالَتْ لَهُ : إِنَّهُ إِنْ يَكُنْ أَمْرٌ قَدْ حَضَرَ فِي هَذَا الْمَلِكِ فُلَيْسَ لَهُ مَرْدٌ . قَالَ : إِنْ هَذَا الْمَشْتُومُ ؛ الَّذِي ^(٤) أَخْبِرْتُ عَنْهُ ، فَأَخْرِجِيهِ فَلَا أَنْظُرَ إِلَيْهِ . فَأَمَرَتْ بِهِ فَحَمَلَتْهُ إِلَى سِجِسْتَانَ .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ كَانَ بِالْأَسْوَادِ عِنْدَ ظُؤُورَتِهِ فِي قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا خُصْمَانِيَّةٌ . وَوُثِّبَ فَارِسٌ عَلَى كَيْسَرَى فَقَتَلَتْهُ ، وَسَاعَدَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ابْنُهُ شِيْرِيَهْ بْنِ مَرْيَمَ الرُّومِيَّةَ .

وَكَانَ مَلِكُهُ ثَمَانِيًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً . وَلَمَضَى اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا مِنْ مَلِكِهِ هَاجِرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ .

• • •

[ذَكَرَ مَلِكُ شِيْرِيَهْ بْنِ أُبْرُوزِ]

ثُمَّ مَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ شِيْرِيَهْ ، وَاسْمُهُ قَبَاذُ بْنُ أُبْرُوزِ بْنِ هُرْمَزِ بْنِ كَسْرَى أَنْوَشِيرْوَانَ . فَذَكَرَ أَنَّ شِيْرِيَهْ لَمَّا مَلَكَ دَخَلَ عِظَمَاءُ الْفَرَسِ عَلَيْهِ بَعْدَ حَبْسِهِ ^(١) أَبَاهُ ، فَقَالُوا لَهُ : إِنَّهُ لَا يَسْتَقِيمُ أَنْ يَكُونَ لَنَا مَلِكًا اِثْنَانِ ، فَلَمَّا أَنْ تَقْتُلُ كَسْرَى وَنَحْنُ خَوَلُوكَ الْبَاقُونَ لَكَ بِالطَّاعَةِ ، وَإِمَّا أَنْ نَخْلَعَكَ وَنُعْطِيَهُ الطَّاعَةَ عَلَى مَا لَمْ نَزَلْ نُعْطِيهِ قَبْلَ أَنْ تَمْلِكَ . فَهَدَّتْ هَذِهِ الْمَقَالَةَ شِيْرِيَهْ وَكَسْرَتَهُ ، وَأَمَرَ بِتَحْوِيلِ كَسْرَى مِنْ دَارِ الْمُلْكَةِ إِلَى دَارِ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ مَارَسَفَنْدُ . فَحُمِّلَ كَسْرَى عَلَى

(١) ت ، ح : « فَأَحْبَهُ » . (٢) تَكْلَةً مِنْ ر ، وَفَتْ ح : « لَهُ » .

(٣) ت ، ح : « فَاحْتَمَلَهُ » . (٤) ت ، ح : « وَهُوَ الَّذِي أَخْبِرْتُ عَنْهُ » .

(٥) ت ، ح : « غَلَمَهُ » .

برذون ، وقَنَّعَ رأسه ، وسير به إلى تلك الدار ، ومعه ناس من الجند ، فروا به في مسيرهم^(١) على إسكاف جالس في حانوت شارع على الطريق ، فلما بصَّر بفرسان من الجند معهم فارس مقنَّع ، عرف أن المقنَّع كسرى ، فحذَّقه بقالٍ ، فغطف إليه^(٢) رجلٌ ممَّن كان مع كسرى من الجند ، فاخترط سيفه فضرب عتقَ الإسكاف ، ثم لحق بأصحابه .

فلما صار كسرى في دار مَارَسَفَنَد جمع شيوخه مَن كان بالبَاب من العظماء وأهل البيوتات ، فقال : إِنَّا قد رأينا أن نبدأ بالإرسال إلى الملك أبينا بما كان من إساءته في تدبيره ونوقفه على أشياء منها ، ثم دعا برجل من أهل أردشير خُرَّة يقال له أسفاذ جُشَنَس ، ولمرتبه رئيس الكتبية ، كان يلي تدبير المملكة ، فقال له : انطلقْ إلى الملك أبينا ، فقل له عن رسالتنا : إِنَّا لم نكن للبلية التي أصبحت فيها ولا أحدٌ من رعيَّتينا سبباً ، ولكنَّ الله قضاها عليك جزاء منه لك بسببِ أعمالك ، منها اجترامك إلى هرمز أبيك وقتكك به ، وإزالتك الملك عنه ، ومهلك عينه ، وقتلك إياه شرَّ قِتلة ، وما قارفت في أمره من الإثم العظيم . ومنها سوء صنيعك إلينا معشر أبنائك في حطرك علينا مثافتة^(٣) الأخبار ومجالستهم ، وكلٌّ أمر يكون لنا فيه دعة وسرور وغبطة .

ومنها إساءتك كانت بمَن خلدت السجون منذ دهر ، حتى شقوا بشدة ١٠٤٧/١ الفقر وضيق المعاش والغربة عن بلادهم وأهاليهم وأولادهم . ومنها سوء نظرك في استخلاصك كان لنفسك من النساء وتركك العطف عليهن بمودة منك والصرف لمن إلى معاشرته مَن كُنَّ يردنَّ منه الولد والنسل ، وجسك إياهن قبلتك مكرهات . ومنها ما أتيت إلى رعيَّتكَ عامة في اجتبايك لإياهم الخراج ، وما انتهكت منهم في غلظتك وفظاظتك عليهم . ومنها جمعك الأموال التي اجتبيتها من النَّاس في عنف شديد ، واستفساد منك إياهم ، وإدخالك البلاء والمضارَّ عليهم فيه . ومنها تجميرك من جمَّرت^(٤) في غور الروم وغيرهم

(١) ل : هـ في مسيره .

(٢) ت ، ح : هـ عليه .

(٣) قال في اللسان : « ثافتت الرجل مثافتة » ، أي صاحبه لا يخفى على شيء من أمره .

(٤) التجمير : حبس الأمير جنوده في أرض العدو ؛ ولا يأذن لهم في العودة والقفل .

من الجنود ، وتفرقك بينهم وبين أهاليهم . ومنها غدرك بموريق ، ملك الروم ، وكفرك إنعامه عليك فيما كان من إروائه إياك ، وحسن بلائه عندك ، ودفعه عنك شرّ عدوك ، وتنويه باسمك في تزويجه إيتاك أكرم النساء من بناته عليه ، وآثرهنّ عنده ، واستخفافك بحقه ، وتركك إطلابه^(١) ما طلب إليك من ردّ خشية الصليب ، التي لم يكن بك ولا بأهل بلادك إليها حاجة ، علمته^(٢) . فإن كانت لك حجج تدلّى بها عندنا وعند الرعية فأدلّ بها ، وإن لم تكن لك حجة ، فنب إلى الله من قريب ، وأنب إليه حتى نأمر فيك بأمرنا .

فوعى أسفاذ جشنس رسالة كسرى شيرويه هذه ، وتوجه من عنده إلى كسرى ليبلغه إياها ، فلما توجه إلى الموضع الذي كان حبس فيه كسرى ألغى رجلاً يقال له جلينوس كان قائد الجند قد وكل بحراسة كسرى جالساً ، فتحاورا ساعة ، ثم سأل أسفاذ جشنس جلينوس أن يستأذن له على كسرى ليلقاه ١٠٤٨/١ برسالة من شيرويه ، فرجع جلينوس فرفع السر الذي كان دون كسرى ، فدخل عليه ، وقال له : عمرك الله ! إن أسفاذ جشنس بالباب ، وذكر أن الملك شيرويه أرسله إليك في رسالة^(٣) ، وهو يستأذن عليك ، فأريك في الأمر فيه برأيك ! فتبسّم كسرى وقال مازحاً : يا جلينوس أسفاذان ، كلامك مخالف كلام أهل العقل ، وذلك أنه إن كانت الرسالة التي ذكرت من شيرويه الملك ، فليس لنا مع ملكه إذن ، وإن كان لنا إذن وحجيب فليس شيرويه بملك ؛ ولكن المثل في ذلك كما قيل : يشاء الله الشيء فيكون ، ويأمر الملك بأمر فينفذ . فتأذن لأسفاذ جشنس يبلغ الرسالة التي حملها . فلما سمع جلينوس هذه المقالة خرج من عند كسرى ، وأخذ بيد أسفاذ جشنس ، وقال له : قم فادخل إلى كسرى راشداً .

فنهض أسفاذ جشنس ، ودعا بعض من كان معه من خدمه ، ودفع إليه

(١) يقال : أطلبه ؛ إذا أعطاه ما طلب .

(٢) علمته ، أي علمت ذلك الأمر من طلب ردّ خشية الصليب .

(٣) ت ، ح : « برسالة » .

كساء كان لابس ، وأخرج من كه ششقة بيضاء نقيّة ، فمسح بها وجهه ، ثم دخل على كسرى ، فلما عاين كسرى ، خرّ له ساجداً ، فأمره كسرى بالانبات ، فانبعث وكثر بين يديه - وكان كسرى جالساً على ثلاثة أعماط [من] ^(١) ديباج خُسرَوانيّ منسوج بذهب ، قد فرشت على بساط من إبريسم ، متكئاً على ثلاث وسائد منسوجة بذهب ، وكان بيده سَفَرَجلة صفراء شديدة الاستدارة . فلما عاين أسفاذ جشنس ، تربّع جالساً ووضع السَفَرَجلة التي كانت بيده على ثُكَّائته ، فتدحرجت من أعلى الوسائد الثلاث لشدة استدارتها واملئاس الوسادة التي كانت عليها ، بامتلاء حشوها إلى أعلى تلك الأعماط الثلاثة ، ومن التمتط إلى البساط ، ولم تَلْبَثْ على البساط أن تدحرجت إلى الأرض ، ووقعت بعيداً متلطححة بتراب ، فتناولها أسفاذ جشنس فمسحها بكمه ، وذهب ليضعها بين يدي كسرى ، فأشار إليه أن ينحنيها عنه ، وقال له : أعزبها عني ، فوضعها أسفاذ جشنس عند طرف البساط إلى الأرض ، ثم عاد فقام مقامه ، وكثر بيده ، فنكس كسرى ، ثم قال متثلاً : الأمر إذا أدبر فانت الحيلة في الإقبال به ، وإذا أقبل أعيت الحيلة في الإدبار به ، وهذان الأمران متداولان على ذهاب الحيل فيهما ، ثم قال لأسفاذ جشنس : إنّه قد كان من تدحرج هذه السفرجلة وسقوطها حيث سقطت ، وتلطّحها بالتراب وهو عندنا كالإخبار لنا بما حملت من الرسالة ، وما أنتم عاملون به وعاقبته ، فإن السَفَرَجلة التي تأويلها الخير ، سقطت من علّو إلى سفل ، ثم لم تلبث على مفرشنا أن سقطت إلى الأرض ، ووقعت بعيداً متلطححة بتراب ، وذلك منها دليل في حال الطيرة : أن مجد الملوك قد صار عند السُّوق ^(٢) ، وأنا قد سلّينا الملك ، وأنه لا يلبث في أيدي عقبتنا أن يصير إلى من ليس من أهل المملكة ، فدونك فتكلّم بما حملت من رسالة ، وزوّدت من الكلام .

فاندفع أسفاذ جشنس في تبليغ الرسالة التي حملها إليها شيرويه ، ولم يغادر ١٠٥٠/١ منها كلمة ، ولم يزها عن نسقها . فقال كسرى في مرجوع تلك الرسالة : بلّغ

(١) من ت ، ح . (٢) السوق : جمع السوق ، وهي من الناس من لم يكن ذا سلطان ، الذكر والأنثى في ذلك سواء .

عَنِّي شَيْرُوهُ الْقَصِيرِ الْعَمْرُ ، أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِذِي عَقْلٍ أَنْ يَبْتَ مِنْ أَحَدٍ الصَّغِيرِ
 مِنَ الذَّنْبِ ، وَلَا الْيَسِيرِ مِنَ السَّيِّئَةِ إِلَّا بَعْدَ تَحَقُّقِ ذَلِكَ عِنْدَهُ ، وَتَبَيُّنِهِ إِيَّاهُ
 مِنْهُ ، فَضْلًا عَنْ عَظِيمٍ مَا بَشَتْ وَنَشَرَتْ ^(١) وَادَّعَيْتْ مِنْهُ ، وَنَسَبَتْهُ إِلَيْهِ مِنَ الذَّنْبِ
 وَالْجُرْأَمِ ؛ مَعَ أَنَّ أَوَّلَ النَّاسِ بِالرَّدِّ عَنْ ذِي ذَنْبٍ ، وَتَوْبِيْعِ ذِي جُرْمَةٍ ^(٢) ، مَنْ
 قَدْ ضَبَطَ نَفْسَهُ عَنِ الذَّنْبِ وَالْجُرْأَمِ ، وَلَوْ كُنَّا عَلَى مَا أَضَفْنَا إِلَيْهِ لَمْ يَكُنْ يَنْبَغِي
 أَنْ تَنْشُرَهُ وَتُؤَيِّنَا [بِهِ] ^(٣) أَيُّهَا الْقَصِيرُ الْعَمْرُ الْقَلِيلُ الْعِلْمُ ؛ فَإِنْ كُنْتَ جَاهِلًا بِمَا يَلْزَمُكَ
 مِنَ الْعُيُوبِ بِبَشْتِكَ مِنْهَا مَا بَشَتْ ، وَنَسَبْتَكَ إِيَّانَا إِلَى مَا نَسَبْتَ ؛ فَاسْتَبْتِ عِيُوبَكَ
 وَاقْتَصِرِي فِي الرَّيِّ عَلَيْنَا ، وَالْعَيْبَ لَنَا عَلَى مَا لَا يَزِيدُكَ بِسُوءِ مَقَالَاتِكَ فِيهِ إِلَّا
 اشْتِهَارًا بِالْجَهْلِ ، وَنَقْصَ الرَّأْيِ . أَيُّهَا الْعَاذِبُ الْعَقْلُ ، الْعَدِيمُ الْعِلْمُ ؛ فَإِنَّهُ إِنْ
 كَانَ لِإِجْهَادِكَ نَفْسَكَ فِي شَهْرِكَ إِيَّانَا مِنَ الذَّنْبِ بِمَا يُوجِبُ عَلَيْنَا الْقَتْلَ حَقِيقَةً ،
 وَكَانَ لَكَ عَلَى ذَلِكَ بُرْهَانٌ ؛ فَقَضَاةُ أَهْلِ مِلَّتِكَ يَنْفُونَ وَلَدَ الْمُسْتَوْجِبِ لِلْقَتْلِ مِنْ
 أَبِيهِ ، وَيَنْحُونَهُ عَنْ مَضَامَةِ الْأَخْيَارِ وَمَجَالِسَتِهِمْ ، وَمَخَالِطَتِهِمْ إِلَّا فِي أَقْلِ الْمَوَاطِنِ
 ١٠٥١/١ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَمْلِكَ ؛ مَعَ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ بِحَمْدِ اللَّهِ وَنِعْمَتِهِ مِنْ إِصْلَاحِنَا أَنْفُسَنَا وَفِيئَتَنَا
 فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَنَا وَبَيْنَ أَهْلِ مِلَّتِنَا وَدِينِنَا ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ مَعْشَرِ أُنْبَاءِنَا
 مَا لَيْسَ لَنَا فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ تَقْصِيرٌ ، وَلَا عَلَيْنَا فِيهِ مِنْ أَحَدٍ حُجَّةٌ وَلَا تَوْبِيْعٌ ؛
 وَنَحْنُ نَشْرَحُ الْحَالَ فِيمَا أَلْزَمْتَنَا مِنَ الذَّنْبِ ، وَأَلْحَقْتَ بِنَا مِنَ الْجُرْأَمِ ؛ عَنْ
 غَيْرِ التَّمَاسِ مِنْ ذَلِكَ نَقْصًا فِيمَا أَدْلَيْنَا بِهِ مِنْ حُجَّةٍ ، أَوْ أَتَيْنَا عَلَيْهِ مِنْ بُرْهَانٍ ؛
 لَتَرَدَادٍ عِلْمًا بِمَجَالَتِكَ وَخُزُوبِ عَقْلِكَ ، وَسُوءِ صَنِيعِكَ . أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ
 أَبِينَا هُرْمُزٍ ؛ فَمِنْ جَوَابِنَا فِيهِ أَنَّ الْأَشْرَارَ وَالْبَغَاةَ كَانُوا أَغْرَوْا هُرْمُزِينَ حَتَّى اتَّهَمْنَا
 وَاحْتَمَلْ غَيْمَرًا ^(١) وَأَوْغَرَا وَرَأَيْنَا مِنْ أَزْوَارِهِ عَنَّا ، وَسُوءَ رَأْيِهِ فِينَا ، مَا نَخَوُّنَا
 نَاحِيَتَهُ ، فَاعْتَرَلْنَا بِأَبِهِ لِإِشْفَاقِنَا مِنْهُ ، وَلَحَقْنَا بِأَذْرَبِيْجَانَ ، وَقَدْ اسْتَفَاضَ ،
 فَاتَّهَمَكَ مِنَ الْمَلِكِ مَا اتَّهَمَكَ . فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْنَا خَبْرُ مَا بَلَغَ مِنْهُ شَخْصَتَنَا مِنْ
 أَذْرَبِيْجَانَ إِلَى بَابِهِ ، فَهَجَمَ عَلَيْنَا الْمُنَافِقُ بِهَرَامٍ فِي جُنُودٍ عَظِيمَةٍ مِنَ الْعَصَاةِ

(١) ت ، و : هـ فُتِرَتْ .

(٢) ت ، ح : هـ جُرْمَةٍ .

(٣) م ت ، ح .

(٤) الْقَتْلُ بِالْكَسْرِ : الْقَتْلُ وَالْحَقْدُ .

المستوحبة القتل ، مارقاً من الطاعة ، فأجلانا عن موضع المملكة فلهجتنا ببلاد الروم ، فأقبلنا منها بالجند والعُدّة ، وحاربناه فهرب منا ، وصار من أمره في بلاد الترك من المملكة والبور إلى ما قد اشتهر في الناس ؛ حتى إذا صفا لنا الملك ، واستحكم لنا أمره ، ودفعنا بعون الله عن رعيّتنا البلاء والآفات التي كانوا أشغوا عليها ، قلنا : إنّ من خير ما نحن بآدئون به في سياستنا ، ومفتتحون به مملكتنا الانتقام لأبيّنا ، والثأر به والقتل لكلّ من شرك في دمه ، فإذا أحكمنا ما نوبنا ١٠٥٢/١ من ذلك ، وبلغنا منه ما نريد تفرغنا لغيره من تدبير الملك ، فقتلنا كلّ من شرك في دمه ، وسعى فيه ومالاً عليه .

وأما ما ذكرت من أمر أبنائنا ، فمن جوابنا أنه ليس من ولد ولدناه — ما خلا من استأثر الله به منهم — إلّا صحيحة أعضاء جسده ؛ غير أنّا وكلّنا بالحراسة لكم ، وكفّكم عن الانتشار فيما لا يعينكم إرادة كفّ ما نتخوف من ضرركم على البلاد والرعيّة . ثمّ كنّا أقمنا من النفقات الواسعة في كسوتكم ومراكبكم وجميع ما تحتاجون إليه ما قد علمت ، وأما أنت خاصّة ، فن قصّتك أن المنجمين كانوا قضوا في كتاب مولدك أنك مَرَبّ علينا ، أو يكون ذلك بسببك ، فلم نأمر بقتلك ؛ ولكن ختمنا على كتاب قصّة مولدك ، ودفعناه إلى شيرين صاحبتنا . ومع ثقتنا بتلك القصيّة وجدنا فرميشاملك الهند كتب إلينا في سنة ست وثلاثين من مملكتنا ، وقد أوفدهم إلينا ، فكتب في أمور شتى ، وأهدى لنا ولكم — معشر^(١) أبنائنا — هدايا ، وكتب إلى كلّ واحد منكم كتاباً ، وكانت هديّته لك — فاذكراها — فيلا ، سيفاً ، وبازياً أبيض ، وديباجة منسوجة بذهب ؛ فلما نظرنا فيما أهدى لكم ، وكتب إليكم وجدته قد وقّع على كتابه إليك بالهندية : اكتم ما فيه ، فأمرنا أن يصرف إلى كلّ واحد منكم ما بعث إليه من هدية أو كتاب ، واحتسنا كتابه^(٢) إليك لحال التوقيع الذي ١٠٥٣/١ كان عليه ، ودعونا بكاتب هندي ، وأمرنا بفرض خاتم الكتاب وقراءته ، فكان فيه : أبشر وقرّ عيناً ، وانعم بالآ ، فإنك متوجّ ماه آذرروز ديبا ذرسنة

(١) ت : ل : « معشر » . (٢) ت : ح : « كتابك » .

ثُمَّانِ وَثَلَايِينَ^(١) مِنْ مُلْكِكَ كَسْرَى، وَهَلَكَ عَلَى مَلِكِهِ وَبِلَادِهِ، فَوَقَعْنَا أَنْكَ لَمْ تَكُنْ لِمَلِكِكَ إِلَّا بِهَلَكْتَا وَبِوَارِنَا، فَلَمْ نَسْتَفْصِلْ - بِمَا اسْتَقَرَّ عِنْدَنَا مِنْ ذَلِكَ - مِمَّا كُنَّا أَمْرُنَا بِإِجْرَائِهِ عَلَيْكَ مِنَ الْأَرْزَاقِ وَالْمَعَاوِنِ وَالصَّلَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ - شَيْئًا، فَفَضَّلَا عَنْ أَمْرِنَا بِقَتْلِكَ.

وَأَمَّا كِتَابُ فَرْمِيْشَا فَقَدْ خَتَمْنَا عَلَيْهِ بِخَاتَمِنَا، وَاسْتَوْدَعْنَاهُ شِيرِينَ صَاحِبَتَنَا، وَهِيَ فِي الْأَحْيَاءِ صَحِيحَةُ الْعَقْلِ وَالْبَدَنِ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَأْخُذَ مِنْهَا قَضِيَّةً مَوْلَدِكَ، وَكِتَابُ فَرْمِيْشَا إِلَيْكَ وَتَقْرَأُهَا لِنُكْسِبَكَ قِرَاءَتَكَ لِإِيَّاهُمَا نَدَامَةً وَثُبُورًا فَافْعَلْ.

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ حَالٍ مِنْ خُلْدِ السَّجْنِ فَمِنْ جَوَابِنَا فِيهِ أَنَّ الْمُلُوكَ الْمَاضِينَ مِنْ لَدُنْ جِيُومَرْتٍ إِلَى أَنْ مَلَكَ بِشْتَا سَبْ، كَانُوا يَدْبُرُونَ مَلِكُهُمْ بِالْمَعْدَةِ؛ وَلَمْ يَزَلُوا مِنَ لَدُنْ بِشْتَا سَبْ إِلَى أَنْ مَلَكَتَا يَدْبُرُونَهُ بِمَعْدَةٍ، مَعَهَا وَرَعُ الدِّينِ؛ فَسَلُّ إِنْ كُنْتُ عَدِيمَ عَقْلٍ وَعِلْمٍ وَأَدَبٍ حَمَلَكَةَ الدِّينِ - وَهِيَ^(٢) أَوْتَادُ هَذِهِ الْمَلَّةِ - عَنْ حَالٍ مِنْ عَصَى الْمُلُوكِ وَخَالَفَهُمْ، وَنَكَّثَ عَهْدَهُمْ، وَالْمُسْتَوْجِبِينَ بِذُنُوبِهِمُ الْقَتْلَ فَيُخْبِرُوكَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَحِقُّونَ أَنْ يُرْحَمُوا وَيُعْفَى عَنْهُمْ. وَاعْلَمْ مَعَ ذَلِكَ أَنَّا لَمْ نَأْمُرْ بِالْحَبْسِ فِي سَجُونِنَا، وَلَا مَنْ قَدْ وَجِبَ عَلَيْهِ فِي الْقَضَاءِ الْعَدْلُ أَنْ يُقْتَلَ أَوْ تُسَمَّلَ^(٣) عَيْنُهُ، وَتَقَطَّعَ يَدُهُ وَرِجْلُهُ وَصَائِرُ أَعْضَائِهِ. وَكَثِيرًا مَا كَانَ الْمَوْكُولُونَ بِهِمْ وَغَيْرُهُمْ مِنْ وَزَرَائِنَا يَذْكُرُونَ اسْتِجَابَ مَنْ اسْتَوْجَبَ مِنْهُمْ الْقَتْلَ، وَيَقُولُونَ: عَاجِلُهُمْ بِالْقَتْلِ قَبْلَ أَنْ يَحْتَالُوا لِأَنْفُسِهِمْ حَيْلًا يَقْتُلُونَكْ بِهَا، فَكُنَّا لِحَبْنَا اسْتِيقَاءَ النُّفُوسِ وَكَرَاهَتِنَا سَفَلَ الدَّمَاءِ نَتَأَنَّى بِهِمْ، وَنُكَلِّمُهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَلَا نَقْدِمُ عَلَى عِقَابِهِمْ بَعْدَ الْحَبْسِ الَّذِي اقْتَصَرْنَا عَلَيْهِ؛ إِلَّا عَلَى مَنْعِهِمْ أَكْلَ اللَّحْمِ وَشَرْبَ الشَّرَابِ، وَشَمَّ الرِّيَاحِينَ، وَلَمْ نَعُدْ فِي ذَلِكَ مَا فِي سَنَةِ الْمَلَّةِ مِنَ الْحَوْلِ بَيْنَ الْمُسْتَوْجِبِينَ لِلْقَتْلِ، وَبَيْنَ التَّلَذُّذِ وَالتَّنَعُّمِ بِشَيْءٍ مِمَّا مَنَعْنَاهُمْ إِيَّاهُ، وَكُنَّا أَمْرُنَا لَهُمْ مِنَ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ وَصَائِرِ مَا يَقِيمُهُمْ بِالَّذِي يُصْلِحُهُمْ فِي اقْتِنَادِ، وَلَمْ نَأْمُرْ بِالْحَوْلِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ نَسَائِهِمُ وَالتَّوَالِدِ وَالتَّنَاسُلِ فِي حَالِ حَبْسِهِمْ. وَقَدْ بَلَّغْنَا أَنْكَ أَجْمَعْتَ عَلَى التَّخْلِيَةِ

(١) نَصُّ فَارِسِيٍّ، وَبَعْنَاهُ أَنْكَ تَخْرُجُ فِي شَهْرِ آذَر، فِي يَوْمِ سَعِيدٍ، فِي سَنَةِ ثَمَانَ وَثَلَايِينَ مِنْ مَلِكِ كَسْرَى. (٢) ر: «نَهْم». (٣) ت، ح: «وَسَمَل».

عن أولئك الدّعار المتافقين المستوجبين للقتل^(١) ، والأمر يهدم محبسهم ، ومتى تُخلّ عنهم تأثم بالله ربك ، وتسيء إلى نفسك ، وتُخِلّ بدينك وما فيه من الوصايا والسنن التي فيها صرف الرحمة والعتو عن المستوجبين للقتل ، مع أن أعداء الملوك لا يحبّون الملك أبداً ، والعاصين لم لا يمنحهم الطاعة . وقد وعظ الحكماء وقالوا : لا تؤخّر عن معاقبة المستوجبي العقوبة ، فإنّ في تأخيرها مدفعة للعدل ، ومضرة على المملكة في حال التدبير ؛ ولئن نال ذلك بعض السّرور إن أنت خلّيت عن أولئك الدّعار المتافقين العصاة المستوجبين^(٢) للقتل لتتجلن غيب ذلك في تدبيرك ، ودخول أعظم المضرة والبلية على أهل الملة .

١٠٥٥/١

وأما قولك : إنّنا إنما كسبنا وجمعنا وادّخرنا الأموال والأمتعة والبزور^(٣) وغيرها من بلاد مملكتنا بأعنف اجتباء ، وأشدّ إلحاح على رعيّتنا ، وأشدّ ظلم ، لأمن بلاد العدو بالمجاهدة لم والقهر ، عن غلبة منّا إياهم على ما في أيديهم ؛ فمن جوانبنا فيه أن من إصابة الجواب في كل كلام يُتكلّم بهجهل وعنجهية ترك الجواب فيه ، ولكن لم تدع - إذ صار ترك الجواب كالإقرار ، وكانت حجّتنا فيما غشينا أن نحتج به ، قوّة ، وعذرنا واضحاً - شرح ما سألتنا عنه من ذلك .

اعلم أيّها الجاهل ؛ أنه إنّما يقيم ملّك الملوك بعد الله الأموال والجنود وبخاصّة ملك فارس ، الذي قد اكتنفت بلاده أعداء فاغرة أفواههم لانتقام ما في يديه ، وليس يُقدّر على كفّهم عنها ، وردعهم^(٤) عما يريدون من اختلاس ما يرومون اختلاسه منه ، إلا بالجنود الكثيفة ، والأسلحة والعدد الكثيرة ؛ ولا سبيل له إلى الكثيف من الجنود والكثير ممّا يحتاج إليه إلاّ بكثرة الأموال وفورها ، ولا يستكثر من الأموال ولا يقدر على جمعها لحاجة إن عرضت له إليها إلاّ بالجد والتّشمير في اجتباء هذا الخراج . وما نحن ابتدعنا جمع الأموال ؛ بل اقتدينا في ذلك بآبائنا والماضين من أسلافنا ؛ فإنهم جمعوها كجمعنا إياها ،

(١) د : « المستوجبي القتل » . ل : « المستوجبين للقتل » .

(٢) البزور : الحبوب الصغار ، أو البقول .

(٣) ح : « وقدهم » .

وَكثَرُوا وَفَقَرُوا لِتَكُونَ ظَهْرًا لِمَنْ عَلَى تَقْوِيَةِ جُنُودِهِمْ وَإِقَامَةِ أُمُورِهِمْ ؛ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ يَسْتَغْنَوْا عَنْ جَمْعِهَا لَهُ . فَأَغَارَ عَلَى تِلْكَ الْأَمْوَالِ وَعَلَى جَوْهَرِهَا كَانَ فِي خَزَائِنِنَا ، الْمَنَاقِفِ بِهَرَامٍ فِي عَصَابَةِ مِثْلِهِ وَفَتَاكَ مُسْتَوَجِبِينَ لِلْقَتْلِ ، فَشَذَّبُوها وَبَذَرُواها وَذَهَبُوا بِمَا ذَهَبُوا بِهِ مِنْهَا ، وَلَمْ يَتْرَكُوا فِي بُيُوتِ أَمْوَالِنَا وَخَزَائِنِنَا إِلَّا أَسْلِحَةً مِنْ أَسْلِحَتِنَا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى تَشْدِيدِهَا وَالذَّهَابِ بِهَا ، وَلَمْ يَرْغَبُوا فِيهَا . فَلَمَّا ارْتَجَعْنَا بِحَمْدِ اللَّهِ مُلْكِنَا ، وَاسْتَحْكَمْتَ أُمُورَنَا وَأَذَعْنَا لَنَا الرَّعِيَّةَ بِالطَّاعَةِ ، وَدَفَعْنَا عَنْهُمْ الْبَوَاقِيَ الَّتِي كَانَتْ حَلَّتْ بِهِمْ ، وَوَجَّهْنَا إِلَى نَوَاحِي بِلَادِنَا أَصْبَهَ بَنِينَ ، وَوَلَّيْنَا دُونَهم عَلَى تِلْكَ النَوَاحِي فَادُسَابَانِينَ ^(١) ، وَاسْتَعْمَلْنَا عَلَى ثُغُورِنَا مَرَازِبَةَ وَوَلَاةَ قَوِيٍّ صِرَامَةَ وَمِضَاءَ وَجَلَدٍ ، وَقَوَيْنَا مَنْ وَلَّيْنَا مِنْ هَؤُلَاءِ بِالْكَثِيفِ مِنَ الْجُنُودِ ، أَنْخَنَ هَؤُلَاءِ الْوَلَاةَ مِنْ ^(٢) كَانَ يِلَازُهُمْ مِنَ الْمُلُوكِ الْمُخَالِفِينَ لَنَا وَالْعَدُوِّ . وَبَلَغَ مِنْ غَارَاتِهِمْ عَلَيْهِمْ ، وَقَتْلِهِمْ مَنْ قَتَلُوا ، وَأَسْرَمَهُمْ مَنْ أَسْرَوْا مِنْهُمْ ، مِنْ سَنَةِ ثَلَاثِ عَشْرَةِ مِائَةِ مُلْكِنَا ، مَا لَمْ يَقْدِرِ الرَّجُلُ مِنْ أَوْلَئِكَ عَلَى إِطْلَاعِ رَأْسِهِ فِي حَرَمِ بِلَادِهِ إِلَّا بِخَفِيرٍ ، أَوْ خَائِفًا ، أَوْ بِأَمَانٍ مِنَّا ، فَضِلَّا عَنْ الْإِغَارَةِ عَلَى شَيْءٍ مِنْ بِلَادِنَا ، وَالتَّعَاطَى ^(٣) لَشَيْءٍ مِمَّا كَرِهْنَا ، وَوَضِلَّ فِي مَدَّةِ هَذِهِ السَّنِينَ إِلَى بُيُوتِ أَمْوَالِنَا وَخَزَائِنِنَا مِمَّا غَنِمْنَا مِنْ بِلَادِ الْعَدُوِّ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَأَنْوَاعِ الْجَوْهَرِ ، وَمِنْ التَّحَاسِ وَالْقَرْنِندِ وَالْحَرِيرِ وَالْإِسْتَبْرَقِ وَالْدِيْبَاجِ وَالْكَرَاعِ وَالْأَسْلِحَةِ وَالسَّبْيِ وَالْأَسْرَاءِ مَا لَمْ يَخْشَفْ عِظَمُ خَطَرِ ذَلِكَ وَقَدْرِهِ عَلَى الْعَامَةِ ، فَلَمَّا أَمَرْنَا فِي آخِرِ سَنَةِ ثَلَاثِ عَشْرَةِ مِائَةِ مُلْكِنَا بِنَقْشِ سِكِّكَ حَدِيثَهُ ، لِنَأْمُرَ فَيَسْتَأْنِفَ ضَرْبَ الْوَرِقِ بِهَا ، وَجُدَّ فِي بُيُوتِ أَمْوَالِنَا - عَلَى مَا رَفَعَ إِلَيْنَا الْخَصُوصُونَ لِمَا كَانَ فِيهَا مِنَ الْوَرِقِ سِوَى مَا أَمَرْنَا بِعَزْلِهِ مِنَ الْأَمْوَالِ لِأَرْزَاقِ جُنُودِنَا مِنَ الْوَرِقِ - مَائَتًا أَلْفَ بَدْرَةٍ ، فِيهَا ثَمَانِمِائَةُ أَلْفِ أَلْفِ مِثْقَالٍ . فَلَمَّا رَأَيْنَا أَنَا قَدْ حَصَصْنَا ثُغُورَنَا ، وَرَدَعْنَا الْعَدُوَّ عَنْهَا وَعَنْ رَعِيَّتِنَا ، [وَجَعْنَا مَشْتَتَ أَمْرِنَا] ^(٤) ، وَكَمَمْنَا أَفْوَاجَهُمُ الْفَاقِرَةَ كَانَتْ لِالْتِمَامِ مَا فِي أَيْدِيهِمْ ، وَبَسَطْنَا فِيهِمُ الْأَمْنَ ، وَأَمْنًا عَلَى نَوَاحِي

(١) ح : « قَارِوَسَانِينَ » ، د : « فَارِوَسَانِينَ » ، ل : « قَارِوَسَانِينَ » .

(٢) كَلَّا فِي ح ، وَقَط : « مَا » .

(٣) ل : « أَوْ التَّعَاطَى » .

(٤) تَكَلُّة مِنْ ح .

بلادنا الأربع ما كان أهلها فيه من البواقي والمغار ، أمرنا باجتياء بقايا السنين ، وما انتهب من بيوت أموالنا من ذهب وفضة ، ومن خزائننا من جوهر أو نحاس ، ورد ذلك كله إلى موضعه ؛ حتى إذا كان في آخر سنة ثلاثين من مُلْكنا أمرنا بنقش سكك حديثة ، يضرب عليها الورق ، فوجد في بيوت أموالنا سوى ما أمرنا بعزله من الأموال لأرزاق جنودنا ، والأموال التي أحصيت لنا قبل ذلك من الورق أربعمائة ألف بدرة ، يكون ما فيها ألف ألف مثقال وسبعمائة ألف ألف مثقال ؛ وذلك سوى ما زادنا الله إلى تلك الأموال ؛ مما آفاه الله بمنه وطوله علينا من أموال ملوك الروم ، في سفن أقبلت بها إلينا الريح ؛ فسميناها قىء الرياح ؛ ولم تزل أموالنا من سنة ثلاثين من ملكنا إلى سنة ثمان وثلاثين من مُلْكنا ، التي هي هذه السنة تردد أكثر وفوراً ، وبلادنا عمارة ، ورعيتنا أمنًا وطمانينة ، ونفورنا وأطرافنا مناعة وحصانة ؛ وقد بلغنا أنك هممت - لرذولة^(١) مروئك - أن تبذر هذه الأموال وتشتريها^(٢) ، عن رأى الأشرار العتاة المستوجبين للقتل . ونحن نعلمك أن هذه الكنوز والأموال لم تجمع إلا بعد المخاطرة بالنفوس ؛ وبعد كد وعناء شديد ، لدفع بها العدو المكتنفين لبلاد هذه المملكة ، ١٠٥٨/١ المتقلبين إلى غلبتهم على ما في أيديهم . وإنما يُقدَّر على كفى أولئك العدو في الأزمان والدهور كلها ، بعد عون الله بالأموال والجنود ، ولن تقوى الجنود إلا بالأموال ، ولا يستفيع بالأموال إلا على كثرتها وفورها ؛ فلا تهمن بتفرقة هذه الأموال ، ولا تجسرن عليها ؛ فإنها كهف للملك وبلادك ، وقوة لك على عدوك .

ثم انصرف إسفاذ جشنس إلى شيرويه فقص عليه ما قال له كسرى ، ولم يسقط منه حرفاً ؛ وإن عظماء الفرس عادوا فقالوا لشيرويه : إنه لا يستقيم أن يكون لنا ملك كان ، فإما أن تأمر بقتل كسرى ، ونحن خوأك ، المانحوك الطاعة ، وإما أن نخضعك ونعطيه الطاعة . فهدت شيرويه هذه المقالة وكسرت ، وأمر بقتل كسرى ، فانتدب لقتله رجال كان وترهم كسرى ، فكلما أتاه

(١) الرذلة : البون في المنظر والحال ؛ ويقال : رذل فلان رذلة ورذولة .

(٢) تشتريها : تلعبها .

الرجل منهم شتمه كسرى وزبّره . فلم يُقدِّم على قتله أحد ؛ حتى أتاه شاب يُقال له مِهْرَهْرْمَزُ بن مَرْدَانِشاه ليقتله ، وكان مردا نشاء فاذوسبانا لكسرى على ناحية نيمروز ، وكان من أطوع الناس لكسرى وأنصحهم له ، وإن كسرى سأل قبل أن يخلع بنحو من سنتين منجميه وعافته عن عاقبة أمره ، وأخبروه أن منيته آتية^(١) من قبيل نيمروز . فأتهم مردانشاه ، وتخوف ناحيته لعظم قدره ، وأنه لم يكن في تلك الناحية مَنْ يعدّ له في القوة والقدرة . ١٠٠٩/١

فكتب إليه أن يعجل القدوم عليه ؛ حتى إذا قدم عليه أجال الرأي في طلب عيلة يقتله بها ، فلم يجد عليه عثرة ، وتذم من قتله لما علم من طاعته إتياءه ، ونصيحته له ، وتحريه مرضاته . فرأى أن يستبقيه ، ويأمر بقطع يمينه ، ويعوّضه منها أموالاً عظيمة يحد له بها ، فبغى عليه من العلل ما قطع يمينه ؛ وإنما كانت تقطع الأيدي والأرجل وتقطع الأعناق في رحبة الملك .

وإن كسرى أرسل يوم أمر بقطع يده عيناً ليأتيه بخبر ما يسمع من مردانشاه ومَنْ بحضرته^(٢) من النظارة ، وإن مردانشاء لما قطعت يمينه قبض عليها بشماله ، فقبلها ووضعها في حجره ، وجعل يندبها بدمع له دار ويقول : واسمحتاه ! وارايميناه ! واكاتبتاه ! واضاربناه ! والاعتباه ! واكريميناه ! فانصرف إلى كسرى الرجل الذي كان وجهه عيناً عليه ، فأخبره بما رأى وسمع منه ، فرق له كسرى ؛ وندم على إتيائه في أمره ما أتى ، فأرسل إليه مع رجل من العظماء يُعلِّمه ندامته على ما كان منه ؛ وأنه لن يسأله شيئاً يجد السبيل إلى بذله له إلا أجابه إليه ، وأسغفه به .

فأرسل إلى كسرى مع ذلك الرسول يدعو له ، ويقول : إنني لم أزل أعرف تفضلك على أيها الملك ، وأشكرك لك ، وقد تيقنت أن الذي أتيت إلى مع كراهتك إتياءه ؛ إنما كان سببه القضاء ؛ ولكنني سألك أمراً فأعطيني من الأيمان على إسعافك إتياء به ما أطمئن إليه ، وليأتيني بيقين حليفك على ذلك رجل من النساك ، فأفرشك إتياء وأبشّه لك .

(١) ح ، ل : « ثانيه » .

(٢) ل : « بحضرة » .

فانصرف رسول كسرى إلى كسرى بهذه الرسالة ، فسارع إلى ما سأله مردانشاه، وحلف بالأيمان المغلظة ليحبيته إلى ما هو سائله؛ ما لم تكن مسألته ١٠٦٠/١ أمراً يؤهين ملكه . وأرسل إليه بهذه الرسالة مع رئيس الزمزميين ؛ فأرسل إليه مردانشاه يسأله أن يأمر بضرب عنقه ليحتج بذلك العار الذى لزمه ، فأمر كسرى فضربت عنقه كراهة منه للحنث ، زعم .

وإن كسرى سأل مِهْرَ هرمز بن مردانشاه، حين دخل عليه عن اسمه ، وعن اسم أبيه ومرتبته . فأخبره أنه مِهْرَ هرمز بن مردانشاه؛ فاخوسبان نيمروز، فقال كسرى : أنت ابن رجل شريف كثير الغناء ؛ قد كافأناه على طاعته إيانا ، ونصيحته لنا ، وغنائه غناً بغير ما كان يستحقه، فشأنك وما أمرت به . فضرب مهر هرمز على حَبْلٍ عاتقه بطبرزين كان يده ضربات فلم يُحَيِّك فيه ، ففتش كسرى فوجد قد شدق عضده خَرَزَةٌ لا يُحَيِّكُ السيف فى كل من تعلقها . فترعت من عضده ، ثم ضربه بعد ذلك مهر هرمز ضربة فهلك منها . وبلغ شبرويه فخرق جيبه وبكى منتحباً ، وأمر بحمل جثته إلى النابوس فحملت، وشيعها العظماء وأفتاء الناس .

وأمر فقتل قاتل كسرى ، وكان ملكه ثمانياً وثلاثين سنة ؛ وكان قتله ماه آذر وروزماه . وقتل شبرويه سبعة عشر أخاً له ذوى أدب وشجاعة ومروءة، بمشورة وزيره فيروز، وتحريض ابن ليزدين - والى عشور الآفاق كان لكسرى، يقال له شمطا - إياه على قتلهم ، فابتلى بالأسقام ولم يلدت بشيء من لذات الدنيا ، وكان هلاكه بدسكرة الملك ، وكان مشتوماً على آل ساسان؛ فلما قتل لإخوته جنزج جزءاً شديداً . ويقال : إنه لما كان اليوم الثانى من اليوم الذى قتلهم فيه، دخلت عليه بوران وآزر ميدخت أختاه فأسمعتاه وأغلظنا له، وقالتا : حَتَمَكَ الحِرسُ على مُلْكٍ لا يَمُتْ ، على قتل أبيك وجميع إخوانك، وارتكبت المحارم ! فلما سمع ذلك منهما بكى بكاء شديداً ، ورى بالتأج عن رأسه ، ولم يزل أيامه كلَّها مهموماً مُدْنِفاً . ويقال : إنه أباد من قُدر عليه من أهل بيته ؛ وإن الطاعون فشا فى أيامه حتى هلك الفرس إلا قليلاً منهم . وكان ملكه ثمانية أشهر .

[ذكر ملك أردشير بن شيرويه]

ثم ملك أردشير بن شيرويه بن أبرويز بن هرمز بن أنوشروان، وكان طفلاً صغيراً قيل: إنه كان ابن سبع سنين لأنه لم يكن في أهل بيت المملكة محتيكاً — فلكنه عظماء فارس، وحضنه رجل يقال له مهأذر جشنس؛ وكانت مرتبته رئاسة أصحاب المائدة، فأحسن سياسة الملك، فبلغ من إحكامه ذلك ما لم يحسن معه بخدانة سن أردشير. وكان شهر براز بثر الروم في جند ضمتهم إليه كسرى، وتمام السعداء، وكان كسرى وشيرويه لا يزالان يكتبان إليه في الأمر بهما، فيستشيرانه فيه؛ فلما لم يشاورة عظماء فارس في تملك أردشير، اتخذ ذلك ذريعة إلى التعب والتبغى عليهم، وبسط يده في القتل، وجعله سبباً للطمع في الملك، والاعتلاء عند ذلك من ضعة العبودية^(١) إلى رفعة الملك، واحتقر أردشير لخدائته سنة واستطال عليهم، وأجمع على دعاء الناس إلى التشاور في الملك. ثم أقبل بجنده وقد عمد مهأذر جشنس؛ فحصن سور مدينة طيسبون وأبوابها، وحول أردشير، ومن بقي من نسل الملك ونسائهم، وما كان في بيت مال أردشير من ماله وخزائنه وكراعاه إلى مدينة طيسبون. وكان الذين أقبل فيهم من الجند شهر براز ستة آلاف رجل من جند فارس بثر الروم، فأناخ إلى جانب مدينة طيسبون، وحاضر من فيها وقتلهم عنها، ونصب الخناييق عليها فلم يصل إليها. فلما رأى عجزه عن افتتاحها أتاها من قبيل المكيدة، فلم يزل يخدع رجلاً يقال له نيو خسروا، وكان رئيس حرس أردشير وقامدار جشنس بن آذر جشنس؛ أصهبه نيمروز؛ حتى فتحا له باب المدينة فدخلها، فأخذ جماعة من الرؤساء فقتلهم، واستصنى أموالهم، وفضح نسائهم. وقتل ناس بأمر شهر براز أردشير بن شيرويه؛ سنة اثنتين مائة بهمن، ليلة روزآبان في إيوان خسرو شاه قباذ. وكان ملكه سنة وستة أشهر.

* * *

(١) كذا في ح، ل، وفي ط: «العبودية».

[ذكر ملك شهر براز]

ثم ملك شهر براز ؛ وهو قرتخان ماه إسفنديار ، ولم يكن من أهل بيت المملكة ، ودعا نفسه ملكاً . وإنه حين جلس على سرير الملك ضرب عليه بطنه ، وبلغ من شدة ذلك عليه أنه لم يقدر على إتيان الخلاه ، فدعا بطست فوضع أمام ذلك السرير فتبرزه . وإن رجلاً من أهل إصطخر ، يقال له فسفروخ بن ما خرشيدان وأخوين له ، امتعضوا من قتل شهر براز أردشير وغلبته على الملك ، وأنفوا من ذلك ، وتحالفوا وتعاهدوا على قتله ، وكانوا جميعاً في حرس الملوك ، وكان من السنة إذا ركب الملك أن يقف له حرسه سباطين . عليهم الدروع والبيض والترس والسيوف ، وبأيلهم الرماح ؛ فإذا حاذى بهم الملك وضع كل رجل منهم نرسه على قربوس سرجه ، ثم وضع جبهته عليه كهية السجود . وإن شهر براز ركب بعد أن ملك بأيام فوقف فسفروخ وأخواه ؛ قريباً بعضهم من بعض ؛ فلما حاذى بهم شهر براز طعنه فسفروخ ، ثم طعنه أخواه ، وكان ذلك إسفندارد ماه ، وروزي بدین^(١) ، فسقط عن دابته ميتاً ، فشدوا في رجله حبلاً وجروه إقبالا وإدباراً ، وساعدهم على قتله رجل من العظام يقال له زاذان فروخ بن شهر داران ، ورجل يقال له ماهاي ، كان مؤدب الأساورة ، وكثير من العظام وأهل البيوتات ، وعاونوهم على قتل رجال فتكوا بأردشير بن شيرويه ، وقتلوا رجالاً من العظام . وإنهم ملكوا بوران بنت كسرى .

وكان جميع ما ملك شهر براز أربعين يوماً .

[ذكر ملك بوران بنت كسرى أبرويز]

ثم ملكت بوران بنت كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى أنوشروان ، فذكر أنها قالت يوم ملكت : البر أنوي وبالعدل آمر ؛ وصيرت مرتبة شهر براز فسفروخ ، وقلدته وزارتها ، وأحسن السيرة في رعيتها ، وبسطت العدل فيهم ، وأمرت بضرب الورق ورم القناطر والجسور ، ووضعت بقايا بقيت من الخراج على الناس عنهم ، وكتبت إلى الناس عامة كتاباً أعلمتهم ما هي عليه من الإحسان

(١) نص فارسي قديم ، ومعناه أن ذلك كان في شهر إسفنديار ، وكان في يوم شناه .

إليهم ، وذكرت حالَ مَنْ هلك من أهل بيت المملكة ؛ وأنها ترجو أن يريهم الله من الرفاهة والاستقامة بمكانها ما يعرفون به أنه ليس ببطش الرجال تُدَوِّخُ البلاد ، ولا ببأسهم تستباح العساكر ، ولا بمكايدهم ينال الظفر وتطفأ النواثر ؛ ولكن كل ذلك يكون بالله عز وجل ، وأمرتهم بالطاعة وحضنتهم على المناصحة ، وكانت كتبها جماعة لكل ما يحتاج إليه ؛ وإنها ردت خشبة الصليب على ملك الروم مع جاثليق يقال له إيشوعهَب .

وكان ملكها سنة وأربعة أشهر .

• • •

[ذكر ملك جُشنسَه]

ثم ملك بعدها رجل يقال له : جُشنسَه ، من بني عم أبرويز الأبعدين . وكان ملكه أقل من شهر .

• • •

[ذكر ملك آرميدخت بنت كسرى أبرويز]

ثم ملكت آرميدخت بنت كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى أنوشيروان ؛ ويقال إنها كانت من أجمل نسائهم ؛ وإنها قالت حين ملكت : ١٠٦٥/١
منهاجُنا مناج أبينا كسرى المنصور ، فإن خالفنا أحد هرقنا دمه . ويقال : إنه كان عظيم فارس يومئذ فرخهرمز لإصبيد خراسان ، فأرسل إليها يسألها أن تزوجه نفسها ، فأرسلت إليه : إن التزويج للملكة غير جائز ، وقد علمت أن دهر ك فيما ذهبت إليه قضاء حاجتك وشهوتك مني ، فصر إلى ليلة كذا وكذا . ففعل فرخهرمز وركب إليها في تلك الليلة ، وتقدمت آرميدخت إلى صاحب حرسها أن يترصده في الليلة التي تواعدا الالتقاء فيها حتى يقتله . فنفذ صاحب حرسها لأمرها ، وأمرت به فجر برجله ، وطُرح في رجة دار المملكة ، فلما أصبحوا وجدوا فرخهرمز قتيلاً ، فأمرت ببحثه فغيبت ، وعلم أنه لم يقتل إلا لعظيمة . وكان رستم بن فرخهرمز صاحب يزدجرد الذي وجه بعد لقتال العرب خليفة أبيه بخراسان ، فلما بلغه الخبر أقبل في جند عظيم حتى نزل المدائن ، وسمل

عينيّ آزرَمِيدخت ، وقتلها . وقال بعضهم : بل سُمّت .
وكان ملكها ستة أشهر .

• • •

[كسرى بن مَهرَاجشَنس]

ثم أتى برجل من عَقِبِ أردشير بن بابك كان ينزل الأهواز يقال له :
كسرى بن مَهرَاجشَنس ، فلنكه العظماء ، وليس التاج ، وجلس على سرير
الملك ، وقتل بعد أن ملك بأيام .

• • •

[ذكر ملك خرّزا خسروا]

وقيل إن الذي ملك بعد آزرَمِيدخت خرّزاذ خُسروا من ولد أبرويز .
وقيل : إنه وُجد بحصن يعرف بالحجارة بالقرب من نَصيبين ، فلما صار إلى ١٠٦٦/١
المدائن مكث أياماً يسيرة ، ثم استعصوا عليه ونالوه .

• • •

[ذكر ملك فيروز بن مَهرَاجشَنس]

وقال الذين قالوا : ملك بعد آزرَمِيدخت كسرى بن مَهرَاجشَنس : لما قُتِل
كسرى بن مَهرَاجشَنس ، طلب عظماء فارس من يملكونه من أهل بيت المملكة ،
فطلبوا من له عنصر من أهل ذلك البيت ولو من قبل النساء ، فأتوا برجل كان
يسكن مَيّسان ، يقال له فيروز بن مَهرَاجشَنس ، ويسمى أيضاً جُشَنسِيْدَه
قد ولدته صَهاربُخت بنت يزداندار بن كسرى أنوشروان ، فلنكه كرهماً .
وكان رجلاً ضَخَمَ الرأس ، فلما تَوَجَّع قال : ما أضيق هذا التاج !
فتطيّر العظماء من افتتاحه كلامه بالضيق ، وقتلوه بعد أن ملك أياماً .
ومن الناس من يقول : قتل ساعة تكلم بما تكلم به .

• • •

[ذكر ملك فرخزاد خسروا]

وقال قائل هذا القول: ثم شخص رجل من العظماء يقال له زاذى ولمرتبه رئيس الخوكل إلى موضع في ناحية المغرب قريب من نصيبين ، يقال له: حصن الحجارة ، فأقبل بابن لكسرى كان نجا إلى ذلك القصر حين قتل شيرويه بنى كسرى يقال له : فرخزاد خسروا إلى مدينة طيسبون ، فانقاد له الناس زمناً يسيراً ، ثم استعصوا عليه وخالفوه ، فقال بعضهم : قتلوه . وكان ملكه ستة أشهر .

. . .

[ذكر ملك يزدجرد بن شهريار]

١٠٦٧/١ وقال بعضهم كان أهل إصطخر ظفروا بيزدجرد بن شهريار بن كسرى بإصطخر ، قد هرب به إليها حيث قتل شيرويه إخوته ، فلما بلغ عظماء أهل إصطخر أن من المبدائن خالفوا فرخزاد خسروا ، أتوا بيزدجرد بيت نار يدعى بيت نار أردشير ، فتوجه هنالك ، وملكوه - وكان حدثاً - ثم أقبلوا به إلى المبدائن ، وقتلوا فرخزاد خسروا بحيل احتالوها لقتله بعد أن ملك ستة .

وساغ الملك ليزدجرد ؛ غير أن ملكه كان عند ملك آبائه كالخيال والخيال ، وكانت العظماء والوزراء يدبرون ملكه لحدائث سنه ، وكان أشدهم نباهة في وزرائه وأذكاهم رئيس الخوكل . وضعف أمر مملكة فارس ، واجترأ عليه أعداؤه من كل وجه ؛ وتطرقوا بلاده وأخربوا منها ، وغزت العرب بلاده بعد أن مضت ستان من ملكه . وقيل بعد أن مضى أربع سنين من ملكه .

وكان عمره كله إلى أن قتل ثمانياً وعشرين سنة .

. . .

وقد بقي من أخبار يزدجرد هذا ولده أخبار ساذكرها إن شاء الله بعد في مواضعها من فتوح المسلمين وما فتحوا من بلاد العجم ، وما آل إليه أمره وأمر ولده .

فجميع ما مضى من السنين من لدن أهبط آدم إلى الأرض ، إلى وقت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم - على ما يقوله أهل الكتاب من اليهود ، وتزعم أنه في التوراة الصورة^(١) مثبت من أعمار الأنبياء والملوك - أربعة آلاف سنة وستة

١/١٠٨٦

(١) الصورة ، بدل من التوراة ؛ يريد النسخة المشهورة من التوراة .

سنة واثنان وأربعون سنة وأشهر . وأما على ما تقوله النصارى مما تزعم أنه في تورات اليونانية ؛ فإن ذلك خمسة آلاف سنة وتسعمائة سنة واثنان وتسعون سنة وأشهر . وأما جميع ذلك على قول المجوس من القرس ؛ فإنه أربعة آلاف سنة ومائة سنة واثنان وثمانون سنة وعشرة أشهر وتسعة عشر يوماً ؛ على أنه داخل في ذلك مدة ما بين وقت الهجرة ومقتل يَزْدَجِيرِد ، وذلك ثلاثون سنة وشهران وخمسة عشر يوماً ؛ وعلى أن حسابهم ذلك وابتداء تأريخهم من عهد جَيُومَرْت ، وجَيُومَرْت هو آدم أبو البشر؛ الذي إليه نسبة كل منسوب من الإنس ، على ما قد بينت في كتابي هذا .

• • •

وأما علماء الإسلام فقد ذكرت قبل ما قال فيه بعضهم ، وأذكر بعض من لم يمحض ذكره منهم الآن ؛ فإنيهم قالوا : كان بين آدم ونوح عشرة قرون ؛ والقرن مائة سنة ، وبين نوح وإبراهيم عشرة قرون ؛ والقرن مائة سنة ، وبين إبراهيم وموسى بن عمران عشرة قرون ؛ والقرن مائة سنة .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا همام ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان بين آدم ونوح عشرة ١٠٦٩/١ قرون ، كلهم على شريعة من الحق .

حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر بن واقد الأسلمي ، عن غير واحد من أهل العلم ، قالوا : كان بين آدم ونوح عشرة قرون ، والقرن مائة سنة ، وبين نوح وإبراهيم عشرة قرون ، والقرن مائة سنة ، وبين إبراهيم وموسى بن عمران عشرة قرون ، والقرن مائة سنة . وروى عن عبد الرحمن بن مهدي ، عن أبي عوانة ، عن عاصم الأحول ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، قال : الفترة بين محمد وعيسى عليهما السلام ستماية سنة .

وروى عن فضيل بن عبد الوهاب ، عن جعفر بن سليمان ، عن عوف ،

قال : كان بين عيسى وموسى مائة سنة .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن عُلَيْيَّة ، عن سعيد بن أبي صدقة ، عن محمد بن سيرين ، قال : بُنِيَ أن كعباً قال : إن قوله : ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾ ^(١) ليس بهارون أخى موسى ، قال : فقالت له عائشة : كذبت ، قال : يا أمّ المؤمنين ؛ إن كان النبي صلى الله عليه وسلم قال فهو أعلم وأخبر ^(٢) ؛ وإلا فإني أجحد بينهما مائة سنة . قال : فسكتت ^(٣) .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا هشام ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : كان بين موسى بن عمران وعيسى ^(٤) بن مريم ألف سنة وتسعمائة سنة ، ولم يكن بينهما فترة ، وإنه أرسل بينهما ألف نبي من بنى إسرائيل ، سوى مَنْ أرسل من غيرهم ، وكان بين ميلاد عيسى والنبي خمسمائة وتسع وستون سنة ، بعث في أولها ثلاثة أنبياء ، وهو قوله : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾ ^(٥) ، والذي عَزَّزْهُ شمعون ، وكان من الحواريين ، وكانت الفترة التي لم يبعث الله فيها رسولاً أربعمائة وأربعاً وثلاثين سنة ، وإن عيسى حين ^(٦) رفع كان ابن اثنتين وثلاثين سنة وستة أشهر ، وكانت نبوته ثلاثين شهراً ، وإن الله رفعه بجسده ، وإنه حي الآن .

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ، أنه سمع وهباً يقول : قد خلا من الدنيا خمسة آلاف سنة ومائة سنة .

حدثني إبراهيم بن سعيد الجوهري ، قال : حدثنا يحيى بن صالح ، عن الحسن بن أيوب الحضرمي ، قال : حدثنا عبد الله بن بُسر ، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لتدركن قرناً » ، فعاش مائة سنة .

• • •

(١) سورة مريم ٢٨ . (٢) ط : « غير » ، وما أثبت من التفسير .
(٣) المبرق في التفسير ١٦ : ٥٨ ، ٥٩ (بولاق) . (٤) ح : « وبين عيسى » .
(٥) سورة يس ١٤ . (٦) ح : « حيث » .

فهذا ما روى عن علماء الإسلام في ذلك ، وفي ذلك من قولهم تفاوت شديد ، وذلك أن الواقدي ، حكى عن جماعة من أهل العلم أنهم قالوا ما ذكرت عنه أنه رواه عنهم . وعلى ذلك من قوله ، ينبغي أن يكون جميع سني الدنيا إلى مولد نبينا صلى الله عليه وسلم أربعة آلاف سنة وستائة سنة ، وعلى قول ابن عباس الذي رواه هشام بن محمد ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، عنه ؛ ينبغي أن يكون ١٠٧١/١ إلى مولد النبي صلى الله عليه وسلم خمسة آلاف سنة وخمسمائة سنة .

وأما وهب بن منبه فقد ذكر جملة من قوله من غير تفصيل ، وأن ذلك إلى زمنه خمسة آلاف سنة وستائة سنة ، وجميع مدة الدنيا عند وهب ستة آلاف سنة ، وقد كان مضى عنده من ذلك إلى زمانه خمسة آلاف سنة وستائة سنة . وكانت وفاة وهب بن منبه سنة أربع عشرة ومائة من الهجرة ، فكان الباقي من الدنيا على قول وهب من وقتنا الذي نحن فيه ، مائتا سنة وخمس عشرة سنة .

وهذا القول الذي قاله وهب بن منبه موافق لما رواه أبو صالح ، عن ابن عباس .

وقال بعضهم : من وقت هبوط آدم عليه السلام إلى أن بعث نبينا صلى الله عليه وسلم ستة آلاف سنة ومائة وثلاث عشرة سنة ؛ وذلك أن عنده من مهبط آدم إلى الأرض إلى الطوفان ، أثنى سنة ومائتي سنة وستاً وخمسين سنة ، ومن الطوفان إلى مولد إبراهيم خليل الرحمن ألف سنة وتسعاً وسبعين سنة ، ومن مولد إبراهيم إلى خروج موسى بنى إسرائيل من مصر خمسمائة سنة وخمساً وستين سنة ، ومن خروج موسى بنى إسرائيل من مصر إلى بناء بيت المقدس - وذلك لأربع سنين من ملك سليمان بن داود - ستمائة سنة وستاً وثلاثين سنة ، ومن بناء بيت المقدس إلى ملك الإسكندر سبعمائة سنة وسبع عشرة سنة ، ومن ملك الإسكندر إلى مولد عيسى بن مريم عليه السلام ثلاثمائة سنة وتسعاً وستين سنة ، ومن مولد عيسى إلى مبعث محمد صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وإحدى وخمسين سنة ، ومن مبعثه إلى هجرته من مكة

إلى المدينة ثلاث عشرة سنة .

وقد حدث بعضهم عن هشام بن محمد الكلبي عن أبيه، عن أبي صالح، عن ابن عباس، أنه قال : كان من آدم إلى نوح ألفا سنة ومائتا سنة ، ومن نوح إلى إبراهيم ألف سنة ومائة سنة وثلاث وأربعون سنة ، ومن إبراهيم إلى موسى خمسمائة سنة وخمس وسبعون سنة ، ومن موسى إلى داود مائة سنة وتسع وسبعون سنة ، ومن داود إلى عيسى ألف سنة وثلاث وخمسون سنة ، ومن عيسى إلى محمد ستمائة سنة .

وحدث الهيثم بن عدى عن بعض أهل الكتب أنه قال : من آدم إلى الطوفان ألفا سنة ومائتا سنة وست وخمسون سنة ، ومن الطوفان إلى وفاة إبراهيم ألف سنة وعشرون سنة ، ومن وفاة إبراهيم إلى دخول بنى إسرائيل مصر خمس وسبعون سنة ، ومن دخول يعقوب مصر إلى خروج موسى منها أربعمائة سنة وثلاثون سنة ، ومن خروج موسى من مصر إلى بناء بيت المقدس خمسمائة سنة وخمسون سنة ، ومن بناء بيت المقدس إلى ملك بختنصر وخراب بيت المقدس أربعمائة سنة وست وأربعون سنة ، ومن ملك بختنصر إلى ملك الإسكندر أربعمائة سنة وست وثلاثون سنة ، ومن ملك الإسكندر إلى سنة ست ومائتين من الهجرة ألف سنة ومائتان وخمس وأربعون سنة .

ذكر نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر بعض أخبار آبائه وأجداده

اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد، وهو ابن عبد الله بن عبد المطلب، وكان عبد الله أبو رسول الله أصغر ولد أبيه، وكان عبد الله والزبير وعبد مناف - وهو أبو طالب - بنو عبد المطلب لأم واحدة، وأمهم جميعاً فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم؛ حدثنا بذلك ابن حميد، قال: حدثنا سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق.

وحدثت عن هشام بن محمد، عن أبيه، أنه قال: عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله، وأبو طالب - واسمه عبد مناف - والزبير، وعبد الكعبة، وعاتكة، وبرّة، وأميمة، ولد عبد المطلب إخوة؛ أمّ جميعهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ ابن عمران بن مخزوم بن يقظة.

وكان عبد المطلب - فيما حدثني يونس بن عبد الأعلى - قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، عن قبيصة بن ذؤيب، أنه أخبره أن امرأة نذرت أن تنحر ابنها عند الكعبة في أمر إن فعلته، ففعلت ذلك الأمر، فقدمت المدينة لتستغفر عن نذرها، فجاءت عبد الله بن عمر، فقال لها عبد الله بن عمر: لا أعلم الله أمر في النحر إلا الوفاء به، فقالت المرأة: أفأنحرن ابني؟ قال ابن عمر: قد نهاكم الله أن تقتلوا أنفسكم؛ فلم يزدها عبد الله بن عمر على ذلك، فجاءت عبد الله بن عباس فاستفتته، فقال: أمر الله بوفاء النحر [والنذرين] ^(١)، ونهاكم أن تقتلوا أنفسكم - وقد كان عبد المطلب بن هاشم نكراً إن توفى له عشرة رهط، أن ^{١٠٧٤/١} ينحر أحدهم، فلما توفى له عشرة، أقرع بينهم. أيهم ينحر؟ فطارت القرعة على عبد الله بن عبد المطلب، وكان أحب الناس إلى عبد المطلب، فقال عبد المطلب: اللهم هو أو مائة من الإبل، ثم أقرع بينه وبين الإبل، فطارت

السرعة على المائة من الإبل - فقال ابن عباس للمرأة: فأرى أن تنحري مائة من الإبل مكان ابنك. فبلغ الحديث مروان، وهو أمير المدينة، فقال: ما أرى ابن عمرو ولا ابن عباس أصابا الفتيا؛ إنه لا نذر في معصية الله، استغفرى الله وتوكل على الله، وتصدق وأعلى ما استطعت من الخير؛ فأما أن تنحري ابنك فقد نهاك الله عن ذلك. فسر الناس بذلك، وأعجبهم قول مروان، ورأوا أنه قد أصاب الفتيا، فلم^(١) يزالوا يفتنون بالألّا نذّر في معصية الله.

• • •

وأما ابن إسحاق، فإنه قصّ من أمر نذر عبد المطلب هذا قصة؛ هي أشيع^(٢) مما في هذا الخبر الذي ذكرناه عن ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب؛ وذلك ما حدثنا به ابن حمّيد، قال: حدثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق، قال: كان عبد المطلب بن هاشم - فيما يذكرون^(٣) والله أعلم - قد نذّر حين لقى من قريش في حفر زمزم ما لقى: لئن وُلد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمتنعوا؛ لينحرن أحدّهم لله عند الكعبة، فلما توافى له^(٤) بنوه عشرة، وعرف أنهم سيمنعونه، جمعهم ثم أخبرهم بنذره الذي نذر، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك، فأطاعوه، وقالوا: كيف نصنع؟ قال: يأخذ كل رجل منكم قِدْحًا، ثم ليكتب فيه اسمه، ثم اثبتوني به. ففعلوا، ثم أتوه، فدخل على هُبَل في جوف الكعبة، وكانت هُبَل أعظم أصنام قريش بمكة، وكانت على بئر في جوف الكعبة، وكانت تلك البئر هي التي يجمع فيها ما يُهدى للكعبة، وكان عند هُبَل سبعة أقنح^(٥)، كل قِدْح منها فيه كتاب: قِدْح فيه العقل^(٦)، إذا اختلفوا في العقل من يحملهم منهم ضربوا بالقِدْح السبعة، [فإن خرج العقل فعلى من خرج حملة]^(٧)، وقِدْح فيه: ونعم للامر إذا أرادوه

(١) م: «فا زالوا». (٢) كذا في م، وفي ح: «أبلغ».

(٣) ابن هشام: «يزعون». (٤) ساقطة من ابن هشام.

(٥) ابن هشام: «قِدْح سبعة»، والقنح، بالكسر: السهم قبل أن يراش وينصل، وجمعه قِدَاح وأقنح.

(٦) العقل هنا: البية.

(٧) تكلمة من سيرة ابن هشام.

يضرب به ؛ فإن خرج قِدْح : «نعم» عملوا به ، وقدح فيه «لا» ، فإذا أرادوا أمراً ضربوا به في القِداح ، فإذا خرج ذلك القِدْح لم يفعلوا ذلك الأمر ، وقدح فيه «منكم» ، وقِدْح فيه «مُلصَق» ، وقِدْح فيه «من غيركم» ، وقِدْح فيه «المياه» إذا أرادوا أن يحضروا للماء ضربوا بالقِداح ، وفيها ذلك القِدْح ، فحينما خرج عملوا به . وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاماً ، أو يُنكحوا مَنكحاً ، أو يدفنوا ميتاً ، أو شكّوا في نسب أحد منهم ذهبوا به إلى هُبَل وبمائة درهم وجزور ، فأعطوها صاحب القِداح الذي يضربها^(١) ، ثم قربوا صاحبهم الذي يريدون به ما يريدون ، ثم قالوا : يا إلهنا ، هذا ابن فلان ، قد أردنا به كذا وكذا ، فأخرج الحق فيه ؛ ثم يقولون لصاحب القِداح : اضرب ، فيضرب فإن خرج عليه «منكم» كان وسيطاً^(٢) وإن خرج عليه «من غيركم» كان حليفاً ، وإن خرج عليه «ملصق» كان على منزله منهم ، لا نسب له ولا حليف ، وإن خرج في شيء سوى هذا مما يعملون به «نعم» عملوا به ، وإن ١٠٧٦/١ خرج «لا» أخرّوه عامتهم ذلك حتى يأتوا به مرة أخرى ، ينتهون في أمورهم إلى ذلك مما خرجت به القِداح . فقال عبد المطلب لصاحب القِداح : اضرب على بَنِي هُؤَلَاء بقِداحهم هذه ، وأخبره بنذره الذي نذّر ، فأعطى كل رجل منهم قِدْحَه الذي فيه اسمه — وكان عبد الله بن عبد المطلب أصغر بني أبيه ، وكان فيما يزعمون أحب ولد عبد المطلب إليه ، وكان عبد المطلب يرى أن السهم إذا أخطأه فقد أشوّى^(٣) ، وهو أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم — فلما أخذ صاحب القِداح القِداح ليضرب بها ، قام عبد المطلب عند هُبَل في جوف الكعبة يدعو الله ، ثم ضرب صاحب القِداح ، فخرج القِدْح على عبد الله ، فأخذ^(٤) عبد المطلب بيده ، وأخذ الشقيرة ، ثم أقبل إلى إيساف ونائلة — وهما وثنا قريش اللذان تنحرا عندهما ذبائحهما — ليذبحهما ، فقامت إليه قريش من أُنديتها ، فقالوا : ماذا تريد يا عبد المطلب ؟ قال : أذبحه

(١) سيرة ابن هشام : «يضرب بها» .

(٢) الرسيط : خالص النسب .

(٣) يقال : رمى فأشوى ، إذا رمى ولم يصب المقتل .

(٤) سيرة ابن هشام : «فأخذه» .

فَقَالَتْ لَهُ قَرِيشُ وَبَنُوهُ : وَاللَّهِ لَا تَذْبِجْهُ أَبَدًا حَتَّى تُعَذِّرَ فِيهِ ؛ لِئِنْ فَعَلْتَ هَذَا ، لَا يَزَالُ الرَّجُلُ ^(١) يَأْتِي بِابْنِهِ حَتَّى يَذْبِجَهُ ، فَا بَقَاءُ النَّاسِ عَلَى هَذَا ! فَقَالَ لَهُ الْغُبَيْرَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَزْزُومٍ - وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنَ أُخْتِ الْقَوْمِ - : وَاللَّهِ لَا تَذْبِجْهُ أَبَدًا حَتَّى تُعَذِّرَ فِيهِ ؛ فَإِنْ كَانَ فِدَاؤُهُ بِأَمْوَالِنَا فَدَيْنَاهُ . وَقَالَتْ لَهُ قَرِيشُ وَبَنُوهُ : لَا تَفْعَلْ وَأَنْطَلِقْ بِهِ إِلَى الْحِجَازِ ، فَإِنْ بِهِ عَرَّافَةٌ لَهَا تَابِعْ ، فَسَلِّهَا ، ثُمَّ أَنْتَ عَلَى رَأْسِ أَمْرِكَ ؛ إِنْ أَمَرْتَكَ أَنْ تَذْبِجَهُ ذَبَحْتَهُ ، وَإِنْ أَمَرْتَكَ بِأَمْرِ لَكَ وَلَهُ فِيهِ فَرَجٌ قَبِيلَتِهِ .

فَانْطَلَقُوا حَتَّى قَدِمُوا الْمَدِينَةَ ، فَوَجَدُوهَا - فِيمَا يَزْعُمُونَ - بِخَيْرٍ ، فَرَكِبُوا إِلَيْهَا حَتَّى جَاءُوهَا ، فَسَأَلُوهَا ، وَقَصَّ عَلَيْهَا عَبْدُ الْمَطْلَبِ خَبْرَهُ وَخَبَرَ ابْنِهِ ، وَمَا أَرَادَ بِهِ ، وَنَذَرَهُ فِيهِ . فَقَالَتْ لَهُمْ : ارْجِعُوا عَنِّي الْيَوْمَ حَتَّى يَأْتِيَنِي تَابِعِي فَأَسْأَلُهُ . فَارْجِعُوا عَنْهَا ، فَلَمَّا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهَا ، قَامَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ يَدْعُو اللَّهَ . ثُمَّ غَدَوْا عَلَيْهَا ، فَقَالَتْ : نَعَمْ ، قَدْ جَاءَ فِي الْخَبَرِ ، كَمْ الدِّينَةُ فِيكُمْ ؟ قَالُوا : عَشْرٌ مِنَ الْإِبِلِ - وَكَانَتْ كَذَلِكَ - قَالَتْ : فَارْجِعُوا إِلَى بِلَادِكُمْ ، ثُمَّ قَرَّبُوا صَاحِبَكُمْ ، وَقَرَّبُوا عَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ ، ثُمَّ أَضْرَبُوا عَلَيْهَا وَعَلَيْهِ بِالْقِدَاحِ ، فَإِنْ خَرَجَتْ عَلَى صَاحِبِكُمْ فَرِيدُوا فِي الْإِبِلِ ^(٢) حَتَّى يَرْضَى رَبُّكُمْ ، وَإِنْ خَرَجَتْ عَلَى الْإِبِلِ فَانْحَرُوهَا ، فَقَدْ رَضِيَ رَبُّكُمْ ، وَنَجَا صَاحِبُكُمْ .

فَخَرَجُوا حَتَّى قَدِمُوا مَكَّةَ ، فَلَمَّا أَجْمَعُوا لَذَلِكَ مِنَ الْأَمْرِ قَامَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ يَدْعُو اللَّهَ ، ثُمَّ قَرَّبُوا عَبْدَ اللَّهِ وَعَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ - وَعَبْدُ الْمَطْلَبِ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ عِنْدَ هَيْبَلٍ يَدْعُو اللَّهَ - فَخَرَجَ الْقِدَاحُ ^(٣) عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ، فَزَادُوا عَشْرًا ، فَكَانَتْ الْإِبِلُ عَشْرِينَ ، وَقَامَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ فِي مَكَانِهِ ذَلِكَ يَدْعُو اللَّهَ ، ثُمَّ أَضْرَبُوا فَخَرَجَ أَلْسَهُمْ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ، فَزَادُوا عَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ ، فَكَانَتْ ثَلَاثِينَ ، ثُمَّ لَمْ يَزَالُوا يَضْرِبُونَ بِالْقِدَاحِ وَيَخْرُجُ الْقِدَاحُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ، فَكَلَّمَا خَرَجَ عَلَيْهِ زَادُوا مِنَ الْإِبِلِ عَشْرًا ؛ حَتَّى أَضْرَبُوا عَشْرَ مَرَّاتٍ ، وَبَلَغَتْ الْإِبِلُ مِائَةً ، وَعَبْدُ الْمَطْلَبِ

(١) ح : « لَا يَزَالُ رَجُلٌ مَنَّا » .

(٢) ر ، وسيرة ابن هشام : « مِنْ الْإِبِلِ » .

(٣) ح ، ر ، م ، وابن الأثير « فَخَرَجَتْ الْقِدَاحُ » .

قائم يدعو ، ثم ضربوا فخرج القيدُح على الإبل ، فقالت قريش ومن حضر :
قد انتهى رضا ربك يا عبد المطلب . فزعموا أن عبد المطلب قال : لا والله حتى
أضرب عليها ثلاث مرات ، فضربوا على الإبل وعلى عبد الله . وقام عبد المطلب
يدعو فخرج القيدُح على الإبل ، ثم عادوا الثانية وعبد المطلب قائم يدعو ، ثم ١٠٧٨/١
عادوا الثالثة فضربوا^(١) ، فخرج القيدُح على الإبل فنُحِرَتْ ، ثم تركت
لا يُصَدُّ عنها إنسان ولا سبيح^(٢) .

ثم انصرف عبدُ المطلب آخذاً بيد ابنه عبد الله ، فرّ - فيما يزعمون - على
امرأة من بني أسد [بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب
بن لؤي بن غالب بن فهر]^(٣) ؛ يقال لها : أم قتال^(٤) بنت نوفل بن أسد بن
عبد العزى ، وهي أخت ورقة بن نوفل بن أسد ، وهي عند الكعبة ، فقالت
له حين نظرت إلى وجهه : أين تذهب يا عبد الله ؟ قال : مع أبي ، قالت :
لك عندى مثل الإبل التي نُحِرْتَ عنك ، وقم على الآن ، قال : إن معى أبي
ولا أستطيع خلافة ولا فراقه . فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن
عبد مناف بن زهرة - وهب يومئذ سيد بني زهرة سنّاً وشرقاً - فزوجه أمنة
بنت وهب ، وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً ، وهي لبرة
بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي ، وبرة لأم حبيب بنت أسد
ابن عبد العزى بن قصي ، وأم حبيب بنت أسد لبرة بنت عوف بن عبيد بن
عويج بن عدى بن كعب بن لؤي . فزعموا أنه دخل عليها حين ملكها مكانه
فوقع عليها ، فحملت بمحمد صلى الله عليه وسلم . ثم خرج من عندها ، حتى
أتى المرأة التي عرضت عليه ما عَرَضَتْ ، فقال لها : مالك لا تعرضين على
اليوم ما كنتِ عرضتِ على بالأمس ؟ فقالت له : فارقك النور الذي كان
معلك بالأمس ، فليس لى بك اليوم حاجة . وقد كانت تسمع من أخيها ورقة

١٠٧٩/١

(١) م ، وسيرة ابن هشام : « ثم ضربوا » .

(٢) سيرة ابن هشام : « لا يصد عنها إنسان ولا يمتنع » .

(٣) من سيرة ابن هشام .

(٤) ح : « قتال » بتشديد التاء .

ابن نوفل ، وكان قد تنصّر واتبع الكتب ، حتى أدرك ، فكان فيما طلب من ذلك أنه كائن لهذه الأمة نبي من بني إسماعيل ^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن أبيه إسحاق بن يسار ؛ أنه حدث أن عبد الله لما دخل على امرأة كانت له مع آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، وقد عمل في طين له ، وبه آثار من الطين ، فدعاها إلى نفسه ، فأبطأت عليه لما رأت به من آثار الطين ، فخرج من عندها ^(٢) ، فتوضأ وغسل عنه ما كان به من ذلك ، وعمد إلى آمنة فدخل عليها فأصابها ، فحملت بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ثم مرّ بامرأته تلك ، فقال : هل لك ؟ فقالت : لا ، مررت بي وبين عينيك غرّة ، فدعوتني فأبيت ، ودخلت على آمنة فذهبت بها . فزعموا أن امرأته تلك كانت تحدث أنه مرّ بها وبين عينيه مثل غرّة الفرس ، قالت : فدعوته رجاء أن يكون بي ، فأبى عليّ ، ودخل على آمنة بنت وهب فأصابها ، فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٣) .

حدثني علي بن حرب الموصلي ، قال : حدثنا محمد بن ثُمارة القرشي ، قال : حدثنا الزنجي بن خالد ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : لما خرج عبد المطلب بعبد الله ليزوجه ، مرّ به على كاهنة من خثعم ، يقال لها فاطمة بنت مرّ ، متهودة ^(٤) من أهل تبالة ، قد قرأت الكتب ، فرأت في وجهه نوراً ، فقالت له : يا فتى ، هل لك أن تقع على الآن وأعطيك مائة من الإبل ؟ فقال :

أما الحرامُ فالمات دُونَهُ . والحِلُّ لا حِلَّ فاستبينته . فكيف بالأمر الذي تبينه ^(٥) .

١٠٨٠/١

(١) الخبر في سيرة ابن هشام ١ : ١٠٣-١٠٥ .

(٢) كلما في ح وسيرة ابن هشام ، وفي ط : « عنها » .

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ١٠٥ .

(٤) م : « متهودة » . . .

(٥) الرجز في السهيل ١ : ١٠٤ ، وزاد فيه :

يَحْمِي الْكَرِيمُ عِرْضَهُ وَدِينَهُ .

ثم قال : أنا مع أبي ولا أقدر أن أفارقه ، فضى به ، فزوجه أمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، فأقام عندها ثلاثاً ثم انصرف . فمر بالخيمية فدعته نفسه إلى ما دعتة إليه ، فقال لها : هل لك فيما كنت أردت ؟ فقالت : يا فتى ، إني والله ما أنا بصاحبة ربية ، ولكنني رأيتُ في وجهك نوراً فأردتُ أن يكون في ، وأبى الله إلا أن يجعله حيث أراد ، فما صنعتَ بعدى ؟ قال : زوجني أبي أمنة بنت وهب ، فأقمت عندها ثلاثاً ، فأنشأت فاطمة بنت مَرُ تقول ^(١) :

إِنِّي رَأَيْتُ خَيْلَةَ لَمَعَتْ فَنَلَأَتْ بِحَنَائِمِ الْقَطْرِ ^(٢)
فَلَمَّا نَهَا نَوْرًا يُضِيءُ لَهُ مَا حَوْلَهُ كِبَاضَةً الْبَدْرِ ^(٣)
فَرَجَوْتُهَا فَخَرَّ أَبْوُهُ بِهِ مَا كُلُّ قَادِحٍ زَنْدِهِ يُورِي ^(٤)
فَلَهُ مَا زُهرِيَّةٌ سَلَبَتْ ثَوْبِيكَ مَا اسْتَلَبْتَ وَمَا تَدْرِي ^(٥)

وقالت أيضاً :

بَنِي هَاشِمٍ قَدْ غَادَرْتِ مِنْ أَخِيكُمُ أَمِينَةٌ إِذْ لِلْبَنَاءِ تَعْتَرِكَانِ ^(١)
كَمَا غَادَرَ الْمَصْبَاحُ عِنْدَ خُمُودِهِ ^(٢) فَتَائِلٌ قَدْ مِثَّتْ لَهُ بِدِهَانٍ ^(٣)
وَمَا كُلُّ مَا يَحْوِي الْفَتَى مِنْ تِلَادِهِ لِعَزْمٍ وَلَا مَا فَاتَهُ لِسَوَانٍ
فَأَجِيلٌ إِذَا طَالَبْتَ أُمْرًا فَإِنَّهُ سَيَكْفِيكَهُ جَدَانِ يَعْتَلِجَانِ

(١) الروض الأنف : ١ : ١٠٥ .

(٢) الخناتم : جميع حتم ؛ وهو السحاب .

(٣) لماها : أبصرتها ؛ والبيت في اللسان أيضاً ١ : ١٤٩ ، وفي السهيل : « يضيء به » .

(٤) السهيل :

• ورأيتُهُ شرفاً أبوء به •

(٥) رواية السهيل :

فَلَهُ مَا زُهرِيَّةٌ سَلَبَتْ مِنْكَ الَّذِي اسْتَلَبْتَ وَمَا تَدْرِي !

(٦) أنساب الأشراف : « يمد غيوه » .

(٧) كذا في أنساب الأشراف ، وفي ط : « ميث » .

سَيَكْفِيكَهُ إِمَّا يَدْ مُقْعَلَةً وَإِمَّا يَدْ مَبْسُوطَةً بَيْنَانِ
وَلَمَّا حَوَتْ مِنْهُ أَمِينَهُ مَا حَوَتْ حَوَتْ مِنْهُ فَخَرًّا مَا لِذَلِكَ ثَانٌ^(١)

حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر قال : حدثنا معمر وغيره ، عن الزهري ، أن عبد الله بن عبد المطلب كان أجملَ رجال قريش ، فذكر لآمنة بنت وهب جمالُه وهيئته ، وقيل لها : هل لك أن تزوجيه ! فتزوجته آمنة بنت وهب ، فدخل بها ، وعلقت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثه أبوه إلى المدينة في ميرة يحمل لم تمرأ ، فأت بالمدينة ، فبعث عبد المطلب ابنه الحارث في طلبه حين أبطأ ، فوجده قد مات .

قال الواقدي : هذا غلط ، واجتمع عليه عندنا في نكاح عبد الله بن عبد المطلب ما حدثنا به عبد الله بن جعفر الزهري ، عن أم بكر بنت المسور ، أن عبد المطلب جاء بابنه عبد الله ، فخطب على نفسه وعلى ابنه ، فتزوجا في مجلس واحد ، فتزوج عبد المطلب هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وتزوج عبد الله ابن عبد المطلب آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة .

قال الحارث : قال ابن سعد : قال الواقدي : والتبَّت عندنا ، ليس بين أصحابنا فيه اختلاف ، أن عبد الله بن عبد المطلب أقبل من الشام في غير لقريش ، فنزل بالمدينة وهو مريض ، فأقام بها حتى توفى ، ودفن في دار التابعة — وقيل التابعة — في الدار الصغرى إذا دخلت الدار عن يسارك ، ليس بين أصحابنا في هذا اختلاف .

ابن عبد المطلب

وعبد المطلب اسمه شيبه ، سُمي بذلك ؛ لأنه فيما حدثت عن هشام بن محمد ، عن أبيه : كان في رأسه شيبه .

وقيل له عبد المطلب ؛ وذلك أن أباه هاشماً كان شَخَص في تجارة له

(١) انظر أنساب الأشراف ١ : ٨٠ .

إلى الشام ، فسلك طريقَ المدينة إليها ، فلما قدم المدينة نزل - فيما حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابنِ إسحاق . وفيما حدثت عن هشام ابنِ محمد عن أبيه . وفيما حدثني الحارث ، عن محمد بن سعد ، عن محمد بن عمرو ، ودخل حديث بعضهم في بعض ، وبعضهم يزيد على بعض - على عمرو بن زيد بن لبيد الخزرجي ، فرأى ابنته سلمى بنت عمرو - وأما ابنُ حميد فقال في حديثه عن سلمة ، عن ابنِ إسحاق : سلمى بنت زيد بن عمرو - ابن لبيد بن حرام بن خدّاش بن جندب بن عدى بن النجار فأعجبه ، فخطبها إلى أبيها عمرو ، فأنكحه إياها ، وشرط عليه ألاّ تلد ولداً إلاّ في أهلها ، ثم مضى هاشم لوجهه قبل أن يبنى بها ، ثم انصرف راجعاً من الشام ، فبنى بها في أهلها بيثرب ، فحملت منه . ثم ارتحل إلى مكة وحملها معه ، فلما أثقلت ردها إلى أهلها ، ومضى إلى الشام فات بها بغزة ، فولدت له سلمى عبدَ المطلب ، فكث بيثرب سبع سنين أو ثمانى سنين . ثم إن رجلاً من بنى الحارث بن عبد مناة مرّ بيثرب ، فإذا غلمان يتنزلون ، فجعل شيبة إذا خست^(١) قال : أنا ابن هاشم ، أنا ابن سيد البطحاء ، فقال له الحارثي : من أنت ؟ قال : أنا شيبة بن هاشم بن عبد مناف . فلما أتى الحارثي مكة ، قال للمطلب وهو جالس في الحجر : يا أبا الحارث ، تعلم أنتى وجدت غلماناً يتنفلون بيثرب ، وفيهم غلام إذا خست قال : أنا ابن هاشم ، أنا ابن سيد البطحاء . فقال المطلب : والله لا أرجع إلى أهلى حتى آتى به ، فقال له الحارثي : هذه ناقتى بالفناء فاركبها ، فجلس المطلب عليها ، فورد يثرب عشاء ، حتى أتى بنى عدى بن النجار ، فإذا غلمان يضربون كرة بين ظهري مجلس ، عرف ابن أخيه فقال للقوم : أهذا ابن هاشم ؟ قالوا : نعم ، هذا ابن أخيك ، فإن كنت تريد أخذه فالساعة قبل أن تعلم به أمه ، فإنها إن علمت لم تدعه ، وحلنا بينك وبينه . فدعاه ، فقال : يا بن أخى ، أنا عمك ، وقد أردت الذهاب بك إلى قومك - وأناخ

راحلته - فما كَذَّبَ أن جلس على عَجَزِ الناقة، فانطلق به ، ولم تعلم به أمه حتى كان الليلُ، فقامت تدعو بِحَبْرِها على ابنها ، فأخبرت أن عمه ذهب به ، وقدِمَ به المطلبُ ضحوةً، والناس في مجالسهم ، فجعلوا يقولون: من هذا وراعه؟ فيقول : عبد لي ، حتى أدخله منزله على امرأته خديجة بنت سعيد بن سهم ، فقالت : مَنْ هذا ؟ قال : عبد لي ، ثم خرج المطلبُ حتى أتى الخزوة ، فاشترى حُلَّةً فألبسها شيبه ، ثم خرج به حين كان العشي إلى مجلس بني عبد مناف ، فجعل بعد ذلك يطوف في سِكَكِ مَكَّةَ في تلك الحُلَّةِ ، فيقال : هذا عبد المطلب ، لقوله : « هذا عبدى » حين سأله قومه ، فقال المطلبُ : عَرَفْتُ شَيْبَةَ وَالتَّجَارُ قَدْ جَعَلَتْ أَبْنَاوُهَا حَوَلَهُ بِالنَّبْلِ تَنْتَضِلُ

وقد حدثني هذا الحديث علي بن حرب الموصلي ، قال : حدثني أبو معن عيسى - من ولد كعب بن مالك - عن محمد بن أبي بكر الأنصاري ، عن مشايخ الأنصار ، قالوا : تزوج هاشم بن عبد مناف امرأة من بني عدى بن النجار ، ذات شرف ، تشرط على من خطبها المقام بدار قومها ، فتزوجت بهاشم ، فولدت له شيبه الحمد ، فربى في أخواله مكرماً ، فبينما هو يناضل فتیان الأنصار إذ أصاب حصّله^(١) ، فقال : أنا ابن هاشم . وسمعه رجل مجتاز ، فلما قدم مكة ، قال لعمه المطلب بن عبد مناف : قد مرت بدار بني قبيلة ، فرأيت فتى من صفته ومن صفته . . . يناضل فتیانهم ، فاعتزى إلى أخيك ، وما ينبغي ترك مثله في الغربة . فرحل المطلب حتى ورد المدينة ، فأراه على الرحلة ، فقال : ذاك إلى والدة ، فلم يزل بها حتى أذنت له ، وأقبل به قد أردفه ، فإذا لقيته اللاقي وقال : مَنْ هذا يا مطلب ؟ قال : عبد لي ، فسمى عبد المطلب . فلما قدم مكة وقَّفه على ملك أبيه ، وسلمه إليه ، فعرض له نوفل بن عبد مناف في رُكُوح^(٢) له ، فاغتصبه إياه ، فشى عبد المطلب إلى رجال قومه ، فسألم النصرة على عمه ، فقالوا : لسا بداخلين بينك وبين عمك ، فلما رأى ذلك كتب إلى أخواله يصف لهم حال نوفل ، وكتب في كتابه : أَبْلَغُ بَنَى النَّجَّارِ إِنْ جِئْتَهُمْ أَنِّي مِنْهُمْ وَأَبْنُهُمُ وَالْخَيْسُ

(١) أصاب حصله ، أى غلب ، من قومه : أحرز حصله وأصاب حصله ؛ إذا غلب .

(٢) الركح : ناحية البيت .

رَأَيْتُهُمْ قَوْمًا إِذَا جِئْتَهُمْ هَوَّوا لِقَائِي وَأَحْبَبُوا حَاسِسَ
فَإِنَّ عَمِّي نَوْفَلًا قَدْ أَمَى إِلَّا الَّتِي يُفْضِي عَلَيْهَا الْخَلْسِيسَ

قال : فخرج أبو أسعد بن عدس^(١) التجارى فى ثمانين راكباً ، حتى
أتى الأبطح ، وبلغ عبد المطلب ، فخرج يلقاه ، فقال : المنزل يا خال !
فقال : أما حتى أتى نوفلاً فلا . قال : تركته جالساً فى الحجر فى مشايخ
قريش ، فأقبل حتى وقف على رأسه ، ثم استل سيفه ، ثم قال : ورب هذه
البنية ؛ لتردن على ابن أختنا رُكحه أو لأملأن منك السيف ، قال : فلأتى
ورب هذه البنية أرد رُكحه . فأشهد عليه من حضر ، ثم قال : المنزل يابن
أختى ، فأقام عنده ثلاثاً واعتمر ، وأنشأ عبد المطلب يقول :

تَأْتِي مَازِنٌ وَبَنُو عَدِيٍّ وَدِينَارٌ بَيْنَ تَيْمِ اللَّاتِ صَبِيٍّ
وَسَادَةُ مَالِكٍ حَتَّى تَنَاهَى وَنَكَبٌ بَعْدُ نَوْفَلٍ عَنْ حَرَبِيٍّ
يَهْمُ رَدَّ إِلَهِهُ عَلَى رُكْحِي وَكَانُوا فِي التَّنَسُّبِ دُونَ قَوْمِي^(٢)

وقال فى ذلك سُمرة بن عُمر ، أبو عمرو الكنانى^(٣) :

لَعَمْرِي لِأَخْوَالِ لَيْشِيَّةٍ قَصْرَةٌ مِنْ أَعْمَامِهِ دِنْيَا أَبْرٌ وَأَوْصَلُ
أَجَابُوا عَلَى بُدْعَاءِ ابْنِ أَخْتِهِمْ وَلَمْ يَنْتَهِمْ إِذْ جَاوَزَ الْحَقَّ نَوْفَلُ
جَزَى اللَّهُ خَيْرًا عُصْبَةً خَزْرَجِيَّةً تَوَاصَوْا عَلَى يَرٍّ ، وَذُو الْبِرِّ أَفْضَلُ^{١٠٨٦/١}

قال : فلما رأى ذلك نوفل ، حالف بنى عبد شمس كلها على بنى هاشم .
قال محمد بن أبى بكر : فحدثت بهذا الحديث موسى بن عيسى ، فقال :
يابن أبى بكر ، هذا شيء ترويه الأنصار تقرّباً إلينا ؛ إذ صير الله الدولة
فينا ! عبد المطلب كان أعزّ فى قومه من أن يحتاج إلى أن تركب بنو التجار من

(١) م : « على » . (٢) أنساب الأشراف ١ : ٧٠ : « كانوا فى التناصر » .

(٣) أنساب الأشراف ١ : ٧٠ ، ونسبها إلى شمر بن نمر الراسى ، مع اختلاف فى الرواية .

المدينة إليه . قلت : أصلح الله الأمير ! قد احتاج إلى نصرهم مَنْ كان خيراً من عبد المطلب . قال : وكان متكئاً فجلس مغضباً ، وقال : مَنْ خير من عبد المطلب ! قلت : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : صدقت ، وعاد إلى مكانه ، وقال لبنيه : اكتبوا هذا الحديث من ابن أبي بكر .

وقد حَدَّثَتْ هذا الحديث في أمر عبد المطلب وعمه نوفل بن عبد مناف ، عن هشام بن محمد ، عن أبيه ، قال : حَدَّثَنَا زياد بن عِلَاقَةَ التَّغْلَبِيُّ - وكان قد أدرك الجاهليَّة - قال : كان سبب بدء الحِلْف الذي كان بين بني هاشم وخزاعة الذي افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه مكة ، وقال : لَتَنْصَبَ (١) هذه السحابة بنصر بني كعب ، أن نوفل بن عبد مناف - وكان آخر من بقى من بني عبد مناف - ظلم عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف على أركاح له - وهي الساحات - وكانت أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو النجارية من الخزرج ، قال : فَتَنَصَّفَ عبد المطلب عمه ، فلم ينصفه ، فكتب إلى أخواله :

١٠٨٧/١ يا طُولَ تَيْلٍ لأخزاني وأشغالي هل من رسولٍ إلى النِّجَارِ أخوَالِي !
يُنْبِي عَدِيًّا وَدِينَارًا وَمَا زَنَاهَا ومَالِكًا عِصْمَةً الجِيرَانِ عن حَالِي
فَدَكُنْتُ فَيْكُمُ وَلَا أَخْشَى ظِلَامَةَ ذِي ظَلَمَ عَزِيزًا مَنِيحًا نَاعِمَ الْبَالِ
حَتَّى ارْتَحَلْتُ إِلَى قَوْمِي وَأَزْعَجَنِي عن ذَاكَ مُطَلِّبٌ عَمِي بِتَرْحَالِ
وَكُنْتُ مَا كَانَ حَيًّا نَاعِمًا جَدَلًا أُمِّئِي الْمَرْضُفَةَ سَحَابًا لِأَذْيَالِي
فَسَابَ مُطَلِّبٌ فِي قَمَرٍ مُظْلِمَةٍ وقَامَ تَوَقَّلُ كَيْ يَدْعُو عَلَى تَالِي
أَنَّ رَأَى رَجُلًا غَابَتْ عُمُومَتُهُ وَقَابَ أَخْوَالُهُ عَنْهُ يَلَا وَالِ
أَنْحَى عَلَيْهِ وَلَمْ يَحْفَظْ لَهُ رَحِمًا مَا أَمْنَعَ الْعَرَّةَ بَيْنَ الْعَمِّ وَأَنْحَالِ (٢)
فَاسْتَفْرُوا وَامْتَنِعُوا ضِيمَ ابْنِ أَخْتِكُمْ لَا تَخْذُلُوهُ وَمَا أَتَمُّ بِجُدَالِ
مَا يَمِثْلُكُمْ فِي بَنِي قَهْطَانَ قَاطِبَةً حَتَّى لِحَارٍ وَإِنَامٍ وَإِنْصَالِ

(١) ح : ولقد تنصت .

(٢) ح : وما أتم .

أَنْتُمْ لِيَا نَ لِمَنْ لَأَنْتَ عَرِيكَتُهُ سَلِمَ لَكُمْ وَسَامُ الْأَبْلَغِ الْغَالِي^(١)

قال : فقدِم عليه منهم ثمانون راكبًا ، فأناخوا بفناء الكعبة ، فلما رآهم ١٠٨٨/١
نوفل بن عبد مناف ، قال لهم : أنعموا صباحًا ! فقالوا له : لا نعيم صباحك
أيها الرجل ! أنصف ابنَ أختنا من ظلامته . قال : أفعلُ بالحَبِّ لكم والكرامة ؛
فردَّ عليه الأركاح وأنصفه .

قال : فانصرفوا عنه إلى بلادهم . قال : فدعا ذلك عبد المطلب إلى
الحلف ، فدعا عبد المطلب بسر^(٢) بن عمرو وورقاء بن فلان ورجالا من
رجال خزاعة ، فدخلوا الكعبة وكتبوا كتابًا .

وكان إلى عبد المطلب بعد مهلك عمه المطلب بن عبد مناف ما كان إلى
مَنْ قبله من بني عبد مناف من أمر السقاية والرِّقادة ، وشرف في قومه ، وعظم
فيهم خطره ، فلم يكن يعدل به منهم أحد ، وهو الذي كشف عن زمزم ،
بئر إسماعيل بن إبراهيم ، واستخرج ما كان فيها مدفونًا ؛ وذلك غزالان
من ذهب ، كانت جبرهم دفتتهما - فيما ذكر - حين أخرجت من مكة ،
وأسياف قلعية ، وأدراع ، فجعل الأسياف بابًا للكعبة ، وضرب في الباب
الغزالين صفائح من ذهب ، فكان أول ذهب حلَّيته - فيما قيل - الكعبة .
وكانت كُشْنِيَّة عبد المطلب أبا الحارث ، كُنِّيَ بذلك لأنَّ الأكبر من ولده
الذكور كان اسمه الحارث ، وهو شيبه .

ابن هاشم

واسم هاشم عمرو ؛ وإنما قيل له هاشم ، لأنه أولُ مَنْ هشم الثريد لقومه
بمكة وأطعمه ، وله يقول مطرود بن كعب الخزاعي - وقال ابن الكلبي : إنما
قاله ابن الزُّبَيْرِ^(٣) :

(١) الأبلغ : المتكبر .

(٢) ح : « بسر » .

(٣) أمالي المرتضى ٢ : ٢٦٩ ، وذكر يمه :

وَهُوَ الَّذِي سَنَّ الرَّحِيلَ لِقَوْمِهِ رَحَلَ الشَّتَاءَ وَرَحَلَةَ الْأَصْيَافِ

١٠٨٩/١ عَمَرُوا الَّذِي هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْتَبْتُونَ عِجَافٌ^(١)

ذَكَرَ أَنَّ قَوْمَهُ مِنْ قَرِيشٍ، كَانَتْ أَصَابَتُهُمْ لَزَبَةٌ وَقَحْطٌ، فَرَحَلَ إِلَى فِلَسْطِينَ، فَاشْتَرَى مِنْهَا الدَّقِيقَ، فَقَدِمَ بِهِ مَكَّةَ، فَأَمَرَ بِهِ فَحَبِزَ لَهُ وَنَحَرَ جَزْوَراً، ثُمَّ اتَّخَذَ لِقَوْمِهِ مَرَقَةً ثَرِيدَ بِلْدَاكِ الْحَبِزِ.

وَذَكَرَ أَنَّ هَاشِمًا هُوَ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الرِّحْلَتَيْنِ لِقَرِيشٍ: رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ.

وَحَدَّثَتْ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ هَاشِمٌ، وَعَبْدُ شَمْسٍ — وَهُوَ أَكْبَرُ وَلَدِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَالْمَطْلَبُ — وَكَانَ أَصْغَرُهُمْ — أُمَّتُهُمْ عَاتِكَةُ بِنْتُ مَرْثَةَ السُّلَيْمِيَّةِ؛ وَنُوفَلٌ — وَأُمُّهُ وَاقِدَةُ — بَنَى عَبْدِ مَنَافٍ، فَسَادُوا بَعْدَ أَبِيهِمْ جَمِيعًا، وَكَانَ يُقَالُ لَهُمُ الْخَبِيرُونَ، قَالَ: وَلَمْ يُقَالِ:

يَأْتِيهَا الرَّجُلُ الْمُحَوَّلُ رَحْلَهُ إِلَّا نَزَلَتْ بِأَلِ عَبْدِ مَنَافٍ^(٢)

فَكَانُوا أَوَّلَ مَنْ أَخَذَ لِقَرِيشٍ الْعِصَمَ^(٣)، فَانْتَشَرُوا مِنَ الْحَرَمِ، أَخَذَ لَهُمْ هَاشِمٌ حَبْلًا مِنْ مَلُوكِ الشَّامِ الرُّومِ وَغَسَّانَ، وَأَخَذَ لَهُمْ عَبْدُ شَمْسٍ حَبْلًا مِنَ النَّجَاشِيِّ الْأَكْبَرِ، فَاخْتَلَفُوا بِذَلِكَ السَّبَبِ إِلَى أَرْضِ الْحَبِشَةِ، وَأَخَذَ لَهُمْ نُوفَلٌ حَبْلًا مِنَ الْأَكَّاسَةِ، فَاخْتَلَفُوا بِذَلِكَ السَّبَبِ إِلَى الْعِرَاقِ وَأَرْضِ فَارَسَ، وَأَخَذَ لَهُمُ الْمَطْلَبُ حَبْلًا مِنْ مَلُوكِ حَمِيرَ، فَاخْتَلَفُوا بِذَلِكَ السَّبَبِ إِلَى الْيَمَنِ، فَجَبَّرَ اللَّهُ بِهِمْ قَرِيشًا، فَسَمُّوا الْخَبِيرِينَ.

وَقِيلَ: إِنَّ عَبْدِ شَمْسٍ وَهَاشِمًا تَوَآمَيَا، وَإِنَّ أَحَدَهُمَا وَلَدَ قَبْلَ صَاحِبِهِ، وَلِاصْبَحَ لَهُ مُلْتَصِقَةٌ بِجَبْهَةِ صَاحِبِهِ، فَنَحَّيَتْ عَنْهَا فَسَالَ مِنْ ذَلِكَ دَمٌ، فَتَطَيَّرَ مِنْ ذَلِكَ، فَقِيلَ: تَكُونُ بَيْنَهُمَا دِمَاءٌ. وَلَوْلَى هَاشِمٌ بَعْدَ أَبِيهِ عَبْدِ مَنَافٍ السَّقَايَةُ وَالرَّقَادَةُ.

١٠٩٠/١ حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ

(١) الْمُسْتَبْتُونَ: الَّذِينَ أَصَابَتْهُمُ السَّيِّئَةُ الْمُجْدِبَةُ الشَّدِيدَةُ.

(٢) مِنْ أَيْيَاتِ فِي أَمْكَالِ الْمُرتَفَعِ ٢: ٣٦٨.

(٣) الْعِصَمُ (بِكَسْرِ فَتْحٍ). الْحَبَالُ، وَيُرَادُ بِهَا الْهَيْدُ.

محمد، قال : حدثني معروف بن الحَرْبُوذ المَكِّي ، قال : حدثني رجل من آل عدى بن الحِيار بن عدى بن نوفل بن عبد مناف عن أبيه ، قال : وقال وهب بن عبد قُصَيٍّ في ذلك - يعني في إطعام هاشم قومه التَّريد :

تَحَمَّلَ هَاشِمٌ مَا صَاقَ عَنْهُ وَأَعْيَا أَنْ يَقُومَ بِهِ ابْنُ يَافِضٍ
أَتَاهُمُ بِالْفَرَاثِرِ مُتَأَفَاتٍ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ بِالْبُرِّ النَّفِيسِ
فَأَوْسَعَ أَهْلَ مَكَّةَ مِنْ هَشِيمٍ وَشَابَ الْخُبْزَ بِاللَّحْمِ الْغَرِيبِ
فَطَلَّ الْقَوْمُ بَيْنَ مُكَلَّلَاتٍ مِنَ الشَّيْزَى وَحَاثُرَهَا يَفِيزُ

قال : فحسده أُمَيَّة بن عبد شمس بن عبد مناف - وكان ذا مال - فتكلَّف أن يصنع صنيعَ هاشم ، فعجز عنه ، فشمت به ناس من قريش فغضب ، ونال من هاشم ، ودعاه إلى المناقرة ، فكره هاشم ذلك لِسَنِّه وَقَدْرِهِ ، ولم تدعه قريش وأحفظوه ، قال : فإني أنافرُك على خمسين ناقة سود الحدق ، تنحرها ببطن مكة ، وإحلاء عن مكة عشر سنين . فرضي بذلك أُمَيَّة ، وجعلا بينهما الكاهن الخُزَاعِي ، فنفرَ هاشمًا عليه ، فأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعمها مَنْ حضره ، وخرج أُمَيَّة إلى الشام ، فأقام بها عشر سنين ، فكانت هذه أولَ عداوة وقعت بين هاشم وأُمَيَّة .

حدثني الحارث قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا هشام ١٠٩١/١ ابن محمد ، قال : أخبرني رجل من بني كنانة ، يقال له ابن أبي صالح ، ورجل من أهل الرِّقَّة مولى لبني أسد ، وكان عالمًا ، قال : تنافر عبد المطلب ابن هاشم وحرب بن أُمَيَّة إلى النجاشي الحبشي ، فأبى أن ينفر^(١) بينهما ، فجعل بينهما نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قُرْطُ بن رزاح بن عدى ابن كعب ، فقال لحرب : يا أبا عمرو ، أتنافر رجلًا هو أطولُ منك قامة ، وأعظمُ منك هامة ، وأوسمُ منك وسامة ، وأقلُ منك لامة ، وأكثرُ منك ولدًا ، وأجزلُ منك صفدًا ، وأطولُ منك مذودًا^(٢) . فنفره عليه . فقال حرب : إن

(١) ينفر بينهما ؛ أى أبى أن يفضل أحدهما على الآخر .

(٢) ر : « مذوداً » .

من انتكاث الزمان أن جعلناك حكماً ! فكان أول من مات من ولد عبد مناف ابنه هاشم ، مات بغزة من أرض الشام ، ثم مات عبد شمس بمكة فقُيِّر بأبياد ، ثم مات نوفل بسَلْمان من طريق العراق ، ثم مات المطلب بردمان من أرض اليمن ، وكانت الرقادة والسقاية بعد هاشم إلى أخيه المطلب .

ابن عبد مناف

واسمه المغيرة ، وكان يقال له القمر من جماله وحسنه ، وكان قصي يقول - فيما زعموا - : ولد لي أربعة ، فسَمَّيت اثنين بصنمي ، وواحدًا بداري ، وواحدًا بنفسي ؛ وهم عبد مناف وعبد العزى ابنا قصي - وعبد العزى ولد أسد - وعبد الدار بن قصي ، وعبد قصي بن قصي - دَرَج ولده - وبرّة بنت قصي ؛ أمهم جميعاً حبّى بنت حُلَيْل بن حُبْشَةَ بن سلول بن كعب بن عمرو بن خُزاعة .

وحدّثت عن هشام بن محمد ، عن أبيه ، قال : وكان يقال لعبد مناف القمر ، واسمه المغيرة ، وكانت أمّه حبّى دفعته إلى مناف - وكان أعظم أصنام مكة - تدبّئاً بذلك ، فغلب عليه عبد مناف ، وهو كما قيل له :

كَانَتْ قُرَيْشٌ بِيضَةً فَتَفَلَّقَتْ فَالْمُحُّ خَالِصَةٌ لِعَبْدٍ مَنَافٍ^(١)

ابن قصي

وقصّي اسمه زيد ، وإنما قيل له قصي ، لأن أباه كلاب بن مرة كان تزوج أم قصي فاطمة بنت سعد بن سَيْل - واسم سَيْل خير - بن حمالة بن عوف بن غنم بن عامر الجادر ، بن عمرو بن جُعشمَة بن يشكر ، من أزد شنوءة حلفاء في بني الدليل ، فولدت لـ كلاب زهرة وزيداً ، فهلك كلاب وزيد صغير ، وقد شبّ زهرة وكبر ، فقدم ربيعة بن حرام بن ضنّة بن عبد بن كبير ابن عُدرة بن سعد بن زيد ، أحد قُضاعة ، فتزوّج - فيما حدثنا ابن حميد ،

(١) من أبيات مطروحة بن كعب الخزاعي ، أمالي المرتضى ٢ : ٢٦٨ ؛ وهو في اللسان (مع) والسهيل ١ : ٩٤ ، وابن أبي الحديد ٣ : ٤٥٣ ، والقيّ ٤ : ١٤٠٠ منسوب إلى ابن الزبري .
والملح: صفرة البيض .

قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق . وحدثت عن هشام بن محمد عن أبيه - فاطمة أم زهرة وقصى - وزهرة رجل قد بلغ ، وقصى فطيم أو قريب من ذلك - فاحتملها إلى بلاده من أرض بني عذرة ، من أشرف الشام ، فاحتملت معها قصياً لصغره ، وتختلف زهرة في قومه ، فولدت فاطمة بنت سعد بن سبيل لربيعة بن حرام رزاح بن ربيعة ، فكان أخاه لأمه ، وكان لربيعة بن حرام ثلاثة نفر من امرأة أخرى ، وهم حن بن ربيعة ، ومحمود بن ربيعة ، ١٠٩٣/١ وحلهم بن ربيعة . وشب زيد بن حجر ربيعة ، فسمي زيد قصياً لبعده دارة عن دار قومه ، ولم يرح زهرة مكة ، فبينا قصي بن كلاب بأرض قضاة لا ينتمي - فيما يزعمون - إلا إلى ربيعة بن حرام ، إذ كان بينه وبين رجل من قضاة شيء - وقد بلغ قصي ، وكان رجلاً شاباً - فأنبه القضاة بالغربة وقال له : ألا تلحق بقومك ونسبك فإنك لست منا ! فرجع قصي إلى أمه ، وقد وجد في نفسه مما قال له القضاة ، فسألها عما قال له ذلك الرجل ، فقالت له : أنت والله يا بني أكرم منه نفساً وولداً ، أنت ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي ، وقومك بمكة عند البيت الحرام ، وفيما حوله . فأجمع قصي الخروج إلى قومه والحق بهم ، وكره الغربة بأرض قضاة ، فقالت له أمه : يا بني لا تعجل بالخروج حتى يدخل عليك الشهر الحرام ، فتخرج في حاج العرب ، فإني أخشى عليك أن يصيبك بعض البأس ، فأقام قصي حتى إذا دخل الشهر الحرام ، خرج حاج قضاة ، فخرج فيهم حتى قدم مكة ، فلما فرغ من الحج أقام بها ، وكان رجلاً جليداً نسبياً ، فخطب إلى حليل بن حبشية الخزاعي ابنته حبشي بنت حليل ، فعرف حليل النسب ورغب فيه ، فزوجه - وحليل يومئذ فيما يزعمون - إلى الكعبة وأمر مكة .

فأما ابن إسحاق ، فإنه قال في خبره : فأقام قصي معه - يعني مع حليل - وولدت له ولده عبد الدار ، وعبد مناف ، وعبد العزى ، وعبد بن قصي . فلما انتشر ولده ، وكثر ماله ، وعظم شرفه هلك حليل بن حبشية ، ١٠٩٤/١ فرأى قصي أنه أوّلئ بالكعبة وأمر مكة من خزاعة وبني بكر ، وأن قريشاً

قرعة^(١) إسماعيل بن إبراهيم، وصريح ولده، فكلّم رجلاً من قريش وبنى كنانة، ودعاهم إلى إخراج خزاعة وبنى بكر من مكة، فلما قبلوا منه ما دعاهم إليه وبايعوه عليه، كتب إلى أخيه من أمّه رزاح بن ربيعة بن حرام - وهو ببلاد قومه - يدعوه إلى نصرته، والقيام معه، فقام رزاح بن ربيعة في قضاة، فدعاهم إلى نصر أخيه والخروج معه إليه، فأجابوه إلى ما دعاهم من ذلك^(٢).

وقال هشام في خبره: قدّم قصي على أخيه زهرة وقومه، فلم يلبث أن ساد، وكانت خزاعة بمكة أكثر من بني النضر، فاستنجد قصي أخاه رزاحاً، وله ثلاثة إخوة من أبيه، من امرأة أخرى، فأقبل بهم وعين أجابه من أحياء قضاة، ومع قصي قومه بنو النضر، فنفوا خزاعة، فترج قصي حبي بنت حليل بن حبشة من خزاعة، فولدت له أولاده الأربعة، وكان حليل آخر من ولي البيت، فلما ثقل جعل ولاية البيت إلى ابنته حبي، فقالت: قد علمت أنني لا أقدر على فتح الباب وإغلاقه، قال: فلأني أجعل الفتح والإغلاق إلى رجل يقوم لك به، فجعله إلى أبي غبشان - وهو سليم بن عمرو بن بوي بن ملكان بن أفضى - فاشترى قصي ولاية البيت منه بزق خمر وبعود^(٣). فلما رأت ذلك خزاعة كثروا على قصي، فاستنصر أخاه، فقاتل خزاعة، فبلغنا - والله أعلم - أن خزاعة أخذتها العدسة، حتى كادت تقتلهم، فلما رأت ذلك جلت عن مكة، فذهب من وهب مسكنه، ومنهم من باع، ومنهم من أسكن، فولّى قصي البيت وأمر مكة والحكم بها، وجمع قبائل قريش، فأنزلهم بأطح مكة. وكان بعضهم في الشعاب وروس جبال مكة، فقسّم منازلهم بينهم، فسمى مجمعا، وله يقول مطرود - وقيل: إن قائله حذافة ابن غانم:

أبوكم قصي كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فهر

(١) قرعة الجبل: أعلاه؛ يريد أن قريشاً في الذروة من ولد إسماعيل، وفي ابن هشام: «قرعة»، والقرعة: نخبة الشيء وبنياره. (٢) سيرة ابن هشام ١: ٨٤، مع اختلاف في الرواية. (٣) العود: المسن من الإبل، وفي اليعقوبي: «وقعود».

وملكه قومه عليهم .

وأما ابن إسحاق، فإنه ذكر أن رزاحاً أجاب قصياً إلى ما دعاه إليه من نصرته، وخرج إلى مكة مع إخوته الثلاثة، ومن تبعه لذلك من قضاة في حاج العرب، وهم مجمعون لنصر قصي، والقيام معه، قال : وخزاعة تزعم أن حليل بن حبشية أوصى بذلك قصياً، وأمره به حين انتشر له من ابنته من الأولاد ما انتشر، وقال : أنت أولى بالكعبة والقيام عليها، وبأمر مكة من خزاعة، فعند ذلك طلب قصي ما طلب^(١).

فلما اجتمع الناس بمكة وخرجوا إلى الموقف، وفرغوا من الحج ونزلوا منى، وقصى مجمع لما أجمع له، ومن تبعه من قومه من قريش وبنى كنانة ومن معه من قضاة، ولم يبق إلا أن ينفروا للصدر، وكانت صوفة تدفع بالناس من عرفة، وتجزئهم إذا تفرقوا من منى؛ إذا كان يوم النفر أتوا لرى الجمار - ورجل من صوفة يرى للناس؛ لا يرمون حتى يرى - فكان ذوو الحاجات المعجلون يأتونه، فيقولون له : قم فارم حتى نرى معلك، فيقول : لا والله حتى تمليل الشمس، فيظل ذوو الحاجات الذين يحبون التعجيل، يرمونه بالحجارة ويستعجلونه بذلك؛ ويقولون : وبلك قم فارم ! فيأبى عليهم، حتى إذا مالت الشمس قام فرمى ورمى الناس معه. حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، هذا الحديث، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد^(٢).

فلذا فرغوا من رمى الجمار، وأرادوا النفر من منى، أخذت صوفة بناحية العقبة، فحبسوا الناس، وقالوا : أجزى صوفة، فلم يجز أحدا من الناس حتى ينفذوا، فلذا تفرقت صوفة ومضت خللي سبيل الناس، فانطلقوا بعدهم، فلما كان ذلك العام، فعلت ذلك صوفة كما كانت تفعل، قد عرفت ذلك لها العرب، وهو دين في أنفسهم في عهد جرهم وخزاعة ولايتهم، أتاها قصي بن

(١) الخبر إلى هنا في سيرة ابن هشام ١ : ٨٤ .

(٢) الخبر إلى هنا في سيرة ابن هشام ١ : ٨٥ مع اختلاف في الرواية .

كلاب بمن معه من قومه من قريش وكنانة وقضاعة عند العقبّة، فقالوا: نحن أولى بهذا منكم، فناكروه فناكروهم، فقاتلوه فاقتتل الناس قتالا شديداً، ثم انهزمت صوفة، وغلبهم قصي على ما كان بأبيديهم من ذلك، وحال بينهم وبينه. قال: وانحازت عند ذلك خزاعة وبنو بكر عن قصي بن كلاب، وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صوفة، وأنه سيحول بينهم وبين الكعبة وأمر مكة، فلما انحازوا عنه باداهم^(١) وأجمع الحريم، وثبت معه أخوه رزاح بن ربيعة بمن معه من قومه من قضاعة، وخرجت لهم خزاعة وبنو بكر وبنو الحريم، والتقوا فاقتتلوا قتالا شديداً؛ حتى كثرت القتلى من الفريقين جميعاً، وفشت فيهم الجحراحة. ثم إنهم تداعوا إلى الصلح، إلى أن يحكموا بينهم رجلا من العرب فيما اختلفوا فيه، ليقضي بينهم، فحكموا يعمر بن عوف ابن كعب بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فقصى بينهم بأن قصياً أولي بالكعبة وأمر مكة من خزاعة، وأن كل دم أصابه قصي من خزاعة وبنو بكر موضوع يشده^(٢) تحت قدميه، وأن ما أصابت خزاعة وبنو بكر من قريش وبنو كنانة وقضاعة ففيه الدية مؤداة، وأن يخلّى بين قصي ابن كلاب وبين الكعبة ومكة؛ فسمي يعمر بن عوف يومئذ الشداخ؛ لما شدخ من الدماء ووضع منها. فولّى قصي البيت وأمر مكة وجمع قومه من منازل إلى مكة، وتملك على قومه وأهل مكة فلكوه، فكان قصي أول ولد كعب ابن لؤي أصاب ملكاً أطاع له به قومه، فكانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء، فحاز شرف مكة كله، وقطع مكة أرباعاً بين قومه، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التي أصبحوا عليها^(٣).

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ويزعم الناس أن قريشاً هابت قطع شجر الحرم في منازلهم، فقطعها قصي بيده، وأعانوه، فسمته العرب مجتمعة لما جمع من أمرها، وتيمنت بأمره، فما تنكح امرأة ولا رجل من قريش إلا في دار قصي بن كلاب، وما يتشاورون

(١) ر: «ناداهم». (٢) يريد أنه أبطل تلك الدماء.

(٣) سيرة ابن هشام ١: ٨٧.

في أمر ينزل بهم إلا في داره، ولا يعقدون لواء الحرب قوم من غيرهم إلا في داره، يعقدوها لم بعض ولده، وما تدرع^(١) جارية إذا بلغت أن تدرع من قريش إلا في داره، يشق عليها فيها درعها ثم تدرعه، ثم يُنطلق بها إلى أهلها؛ فكان أمره في قومه من قريش في حياته وبعد موته كالدَّيْنِ المتَّبِعِ، لا يعمل ١٠٩٨/١ بغيره تيمناً بأمره ومعرفةً بفضله وشرفه، واتخذ قصي لنفسه دار الندوة، وجعل بابها إلى مسجد الكعبة، ففيها كانت قريش تقضى أمورها^(٢).

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن عبد الملك بن راشد، عن أبيه، قال: سمعت السائب بن خباب صاحب المقصورة يحدث أنه سمع رجلاً يحدث عمر بن الخطاب - وهو خليفة - حديث قصي بن كلاب هذا وما جمع من أمر قومه، وإخراجه خزاعة وبنى بكر من مكة، وولايته البيت وأمر مكة؛ فلم يرد ذلك عليه ولم ينكره.

قال: فأقام قصي بمكة على شرفه ومنزله في قومه لا ينزع في شيء من أمر مكة؛ إلا أنه قد أقر للعرب في شأن حجّتهم ما كانوا عليه؛ وذلك لأنه كان يراه ديناً في نفسه، لا ينبغي له تغييره، وكانت صوفة على ما كانت عليه، حتى انقرضت صوفة، فصار ذلك من أمرهم إلى آل صفوان بن الحارث ابن شجنة ورائة، وكانت عدوان على ما كانت عليه، وكانت النساء من بني مالك بن كنانة على ما كانوا عليه، ومرة بن عوف على ما كانوا عليه، فلم يزالوا على ذلك حتى قام الإسلام، فهدم الله به ذلك كله. وابتنى قصي داراً بمكة، وهي دار الندوة، وفيها كانت قريش تقضى أمورها، فلما كسبر قصي ررق [عظمه]^(٣) - وكان عبد الدار يكرهه، كان أكبر ولده، وكان - فيما يزعمون - ضعيفاً، وكان عبد مناف قد شرف في زمان أبيه، وذهب كل مذهب وعبد العزى بن قصي وعبد بن قصي، فقال قصي لعبد الدار فيما يزعمون: أما والله لأحققنك بالقوم، وإن كانوا قد شرفوا عليك؛ لا يدخل ١٠٩٩/١ رجل منهم الكعبة حتى تكون أنت تفتحها، ولا يعقد لقريش لواء الحربهم إلا أنت بيدك، ولا يشرب رجل بمكة ماء إلا من سقايتك، ولا يأكل أحد من

(١) أدرعت الجارية: لبست الفرع، ودرج المرأة: قميصها.

(٢) سيرة ابن هشام ١: ٨٧، ٨٨. (٣) من سيرة ابن هشام.

أهل الموسم طعاماً إلا من طعامك ، ولا تقطع قريش أمورها إلا في دارك . فأعطاه داره ، دار الندوة التي لا تقضى قريش أمراً إلا فيها ، وأعطاه الحجابة واللواء والندوة والسقاية والرئاسة — وكانت الرئاسة خراجاً تخرجه قريش في كل موسم من أموالها إلى قصي بن كلاب ، فيصنع به طعاماً للحاج يأكله من لم تكن له سعة ولا زاد ممن يحضر الموسم ؛ وذلك أن قصياً فرضه على قريش ، فقال لهم حين أمرهم به : يا معشر قريش ، إنكم جيران الله وأهل بيته الحرام ، وإن الحاج ضيف الله وزوار بيته ، وهم أحق الضيف بالكرامة ، فاجعلوا لهم شرباً وطعاماً أيام هذا الحج ، حتى يصعدوا عنكم . ففعلوا فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم فيدفعونه إليه ، فيصنعه طعاماً للناس أيام منى ، فجرى ذلك من أمره على قومه في الجاهلية ، حتى قام الإسلام ، ثم جرى في الإسلام إلى يومك هذا ، فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كل عام بمنى حتى ينقضى الحج^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني من أمر قصي ابن كلاب وما قال لعبد الدار فيما دفع إليه ابن إسحاق بن يسار ، عن أبيه ، عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب ، قال : سمعته يقول ذلك لرجل من بني عبد الدار ، يقال له نبيته بن وهب بن عامر بن عكرمة بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار . قال الحسن بن محمد : فجعل إليه قصي ما كان بيده من أمر قومه كله ، وكان قصي لا يخالف ولا يرد عليه شيء صنعه . ١١٠٠/١
ثم إن قصياً هلك ، فأقام أمره في قومه من بعده بنوه .

ابن كلاب

وأمّ كلاب — فيما ذكر — هند بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة . وله أخوان من أبيه من غير أمه ، وهما تميم وبقظة ، أمهما — فيما قال هشام بن الكلبي — أسماء بنت عدي بن حارثة ابن عمرو بن عامر بن بارق .

وأما ابن إسحاق فإنه قال : أمهما هند بنت حارثة البارقية . قال ويقال : بل يقظة لهند بنت سرير ، أمّ كلاب .

ابن مرة

وأم مرة وحشية بنت شيبان بن عمار بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، وأخواه لأبيه وأمه عدى وهصيص . وقيل إن أم هؤلاء الثلاثة غشية . وقيل : إن أم مرة وهصيص غشية بنت شيبان بن عمار بن فهر ، وأم عدى رقاش بنت ربيعة بن نائلة بن كعب بن حرب بن تيم بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان .

ابن كعب

وأم كعب ماوية - فيما قال ابن إسحاق وابن الكلبي - وماوية بنت كعب ابن القيس بن جسر بن شيع الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وله أخوان من أبيه وأمه : أحدهما يقال له ١١٠١/١ عامر ، والآخر سامة ، وهم بنو ناجية ، ولم من أبيهم أخ قد انتهى ولده إلى غطفان ولحقوا بهم ، كان يقال له : عوف ، أمه الباردة بنت عوف بن غنم بن عبد الله بن غطفان .

ذكر أن الباردة لما مات لؤي بن غالب خرجت بابنها عوف إلى قومها ، فتزوجها سعد بن ذبيان بن بغيض ، فبنى عوفاً ، وفيه يقول - فيما ذكر - فزاره بن ذبيان :

عَرَجَ عَلَى ابْنِ لُؤْيٍ جَمَلُكَ يَبْرُكُكَ الْقَوْمُ وَلَا مَزَلْ لَكَ

ولكعب أخوان آخران أيضاً من أبيه من غير أمه ، أحدهما خزيمه ، وهو عائلة قريش ، وعائلة أمه ، وهي عائلة بنت الحنيس بن قحافة ، من خثعم ، والآخر سعد . ويقال لهم بئانة ، وبئانة أمهم ، فأهل البادية منهم اليوم - فيما ذكر - في بني أسعد^(١) بن همام ، في بني شيبان بن ثعلبة ، وأهل الحاضرة ينتمون إلى قريش .

(١) ر : «أسد» .

ابن لؤى

وأم لؤى - فيما قال هشام - عاتكة بنت يَحْلُد بن النضر بن كنانة ، وهى أولى^(١) العواتك اللاتى ولدن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش ، وله أخوان من أبيه وأمه ، يقال لأحدهما : تيسم ، وهو الذى كان يقال له تيسم الأدرم - والد رَم نَقصان فى الذَّقْن ؛ قيل إنه كان ناقص اللحى - وقيس ، قيل : لم يبق من قيس أخى لؤى أحد ، وإن آخر مَنْ كان بى منهم رجل هلك فى زمان خالد بن عبد الله القسرى ، فبى ميراثه ، لا يدري مَنْ يستحقه . وقد قيل : إن أم لؤى وإخوته سلمى بنت عمرو بن ربيعة ، وهولحى بن حارثة ١١٠٢/١ ابن عمرو مزنيقيهم بن عامر ماء السماء ، من خِزاعة .

ابن غالب

وأم غالب ليلى بنت الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة . وإخوته من أبيه وأمه : الحارث ، ومُحارب ، وأسد ، وعوف ، وجون ، وذئب ؛ وكانت محارب والحارث من قريش الظواهر ، فدخلت الحارث الأبطح .

ابن فهر

وفهر - فيما حدثت عن هشام بن محمد أنه قال : هو جماع قريش ، قال : وأمه جندلة بنت عامر بن الحارث بن مُضاض الجرهمي .

وقال ابن إسحاق - فيما حدثنا ابن حميد قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : أمه جندلة بنت الحارث بن مُضاض بن عمرو الجرهمي .

وكان أبو عبيدة معمر بن المثنى يقول - فيما ذكر عنه - أمه سلمى بنت أد بن طابخة بن إلياس بن مضر .

وقيل : إن أمه جميلة بنت عدوان من بارق ، من الأزد . وكان فهر فى زمانه رئيس الناس بمكة - فيما حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق - فى حربهم حسان بن عبد كلال بن مثوب

(١) كذا فى م ، وفى ط : « أول » .

ذِي حَرْثِ الْحَمِيرَى . وكان حَسَّان - فيما قيل - أقبل من اليمن مع حِمير
 وقبائل من اليمن عظيمة ، يريد أن ينقل أحجار الكعبة من مكة إلى اليمن ،
 ليجعل حجَّ الناس عنده ببلاده ، فأقبل حتى نَزَلَ بنخلة ، فأغار على سَرْحِ
 النَّاسِ ، ومنع الطريق ، وهاب أن يدخل مكة ، فلما رأت ذلك قريش وقبائل
 كنانة وخزيمة وأسد وجُلْدَامِ وَمَنْ كان معهم من أَفْنَاءِ مُضَرَ ، خرجوا إليه ،
 ورئيس النَّاسِ يومئذِ فِهْرُ بنِ مالك ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فهزمت حمير ، ١١٠٣/١
 وأسِرَ حَسَّانُ بن عبد كلال ملك حِمير ، أسره الحارث بن فِهْر ، وقُتِلَ
 في المعركة - فيمن قتل من النَّاسِ - ابن ابنه قيس بن غالب بن فِهْر ، وكان
 حَسَّانُ عندهم بمكة أسيراً ثلاث سنين ، حتى افتدى منهم نفسه ، فخرَّجَ
 به ، فأتى بين مكة واليمن .

ابن مالك

وأُمُّهُ عَيْكِرِشَةُ بنتُ عَدَّوَان ، وهو الحارث بن عمرو بن قيس بن عَيْلَانَ ،
 في قول هشام .

وأما ابن إسحاق فإنه قال : أُمُّهُ عاتكة بنتُ عَدَّوَان بن عمرو بن قيس
 ابن عيلان .

وقيل : إنَّ عَيْكِرِشَةَ لَقِبُ عاتكة بنتُ عَدَّوَان ، واسمها عاتكة .

وقيل إنَّ أُمَّهُ هند بنتُ فَهْمٍ بن عمرو بن قيس بن عَيْلَانَ . وكان لما لك
 أَخَوَان ، يقال لأحدهما : يَخْلُدُ ، فدخلت يَخْلُدُ في بني عمرو بن الحارث
 ابن مالك بن كنانة ، فخرجوا من جماع قريش . والآخر منهما يقال له :
 الصَّلْت ، لم يبق من ذريته أحد .

وقيل : سُمِّيَتْ قريش قريشاً بقريش بن بدر بن يَخْلُدِ بن الحارث بن
 يَخْلُدِ بن النَّضْرِ بن كنانة ؛ وبه سُمِّيَتْ قريش قريشاً ، لأنَّ عَيْرَ بنِي النَّضْرِ
 كانت إذا قدمت قالت العرب : قد جاءت عَيْرُ قريش ، قالوا : وكان قريش

هذا دليل بنى النضر فى أسفارهم ، وصاحب ميرتهم ، وكان له ابن يسمى بدرأ ،
احتضر بدرأ ، قالوا : فيه سميت البئر التى تدعى بدرأ ، بدرأ .
وقال ابن الكلبي : إنما قريش جماع نسب ، ليس بأب ولا أم ولا حاضن
ولا حاضنة .

وقال آخرون : إنما سمي بنو النضر بن كنانة قريشاً ؛ لأن النضر بن
كنانة خرج يوماً على نادية قومه ، فقال بعضهم لبعض : انظروا إلى النضر ،
كأنه جمل قريش^(١) .

وقيل : إنما سميت قريش قريشاً بدابة تكون فى البحر تأكل دواب البحر ،
تدعى القرش ، فشبه بنو النضر بن كنانة بها ؛ لأنها أعظم دواب
البحر قوة .

وقيل : إن النضر بن كنانة كان يقرش عن حاجة الناس فيسدّها بماله ،
والتقرّيش - فيما زعموا - التفتيش . وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن الحاجة
فيسدّها بما يبيعهم - واستشهدوا لقولهم : إن التقرّيش هو التفتيش ، بقول
الشاعر^(٢) :

أَيُّهَا النَّاطِقُ الْقُرْشُ عَنَّا عِنْدَ عَمْرٍو فَهَلْ لَهْنَ انْتِهَاهُ !

وقيل : إن النضر بن كنانة كان اسمه قريشاً . وقيل : بل لم تزل بنو النضر
ابن كنانة يدعون بنى النضر حتى جمعهم قصي بن كلاب ، فقبل لهم : قريش ؛
من أجل أن التجمع هو التقرّش ، فقالت العرب : تقرّش بنو النضر ، أى
قد تجمعتوا .

وقيل : إنما قيل قريش ، من أجل أنها تقرّشت عن الغارات .
حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا محمد بن
عمر ، قال : حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة ، عن سعيد بن محمد
ابن جبّير بن مطعّم ، أن عبد الملك بن مروان سأل محمد بن جبّير : متى

(١) الجمل قريش : الشديد .

(٢) هو الحارث بن حنظلة ، الملقبة ٢٦٤ - بشرح التبريزي ، وروايته :

أَيُّهَا الثَّامِتُ الْمُبْلَغُ عَنَّا .

سميت قريش قريشاً ؟ قال : حين اجتمعت إلى الحرم من تفرقها ، فذلك التجمع القريش . فقال عبد الملك : ما سمعت هذا ، ولكن سمعت أن قضيماً كان يقال له القريش ، ولم تسم قريش قبله .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن ١١٠٥/١ عمر ، قال : حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة ، عن عبد المجيد بن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، قال : لما نزل قصي الحرم وغلب عليه ، فعل أفعالاً جميلة^(١) ، ف قيل له : القريش ، فهو أول من سمي به .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني أبو بكر بن أبي سبرة ، عن أبي بكر بن عبيد الله بن أبي جهضم ، قال : النضر بن كنانة كان يسمى القريش .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : قال محمد بن عمر : وقصّي أحدث وقود النار بالمزدلفة ، حيث وقف بها حتى يراها من دفع من عرفة ، فلم تزل توقد تلك النار تلك الليلة في الجاهلية .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : فأخبرني كثير بن عبد الله المزني ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : كانت تلك النار توقد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان . قال : محمد بن عمر : وهي توقد إلى اليوم .

ابن النضر

واسم النضر قيس ، وأمه برة بنت مر بن أد بن طابخة . وإخوته لأبيه وأمه نضير ومالك ومليكان وعامر والحارث وعمرو وسعد وعوف وغنم ومخرمة وجروك وغزوان وحذال . وأخوهم من أبيهم عبد مناة ، وأمه فكيهة - وقيل ١١٠٦/١

فَكَتَمَتْ وَهِيَ الذِّفْرَاءُ بِنْتُ هَتَيْيَ بْنِ بَلَيْيَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ .
وَأَخُو عَبْدِ مَنَاةَ لَأَمَةُ عَلَى بْنِ مَسْعُودِ بْنِ مَازِنِ بْنِ ذُئْبِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ عَمْرِو بْنِ
مَازِنِ الْغَسَّاقِيَّ ، وَكَانَ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ تَزَوَّجَ هُنْدًا بِنْتَ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ ،
فَوُلِدَتْ لَهُ وَلَدُهُ ، ثُمَّ خَلَفَ عَلَيْهَا أَخُوهُ لَأَمَةُ عَلَى بْنِ مَسْعُودٍ ، فَوُلِدَتْ لَهُ ،
فَحَضَنَ عَلَى بْنُ أَخِيهِ ، فَتَنَسَّبُوا إِلَيْهِ ، فَقِيلَ لِبَنِي عَبْدِ مَنَاةَ : بَنُو عَلَى ، وَإِيَاهُمْ
عَنَى الشَّاعِرُ بِقَوْلِهِ :

لَهُ دَرٌّ بِنِي عَدٍ أَيْمٍ مِنْهُمْ وَنَاكِحٍ

وَكَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ بِقَوْلِهِ :

صَدَمُوا عَلِيًّا يَوْمَ بَدْرٍ صَدَمَةً دَانَتْ عَلَى* بَعْدَهَا لِنِزَارٍ^(١)
ثُمَّ وَثَبَ مَالِكُ بْنُ كِنَانَةَ عَلَى عَلَى بْنِ مَسْعُودٍ ، فَقَتَلَهُ ، فَوَدَّاهُ أَسَدُ بْنُ خُزَيْمَةَ .

ابن كِنَانَةَ

وَأُمُّ كِنَانَةَ عَوَانَةُ بِنْتُ سَعْدِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ أُمَّهُ هِنْدُ
بِنْتُ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ ، وَإِخْوَتُهُ مِنْ أَبِيهِ أَسَدٌ وَأَسَدَةٌ ، يُقَالُ إِنَّهُ أَبُو جَذَامٍ
وَالْهُوْنِ ، وَأُمُّهُمْ بَرَّةُ بِنْتُ مَرْثَانَ بْنِ أَذْنَانَ بْنِ طَابِخَةَ ، وَهِيَ أُمُّ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ ؛
خَلَفَ عَلَيْهَا بَعْدَ أَبِيهِ .

ابن خُزَيْمَةَ

وَأُمُّهُ سَلْمَى بِنْتُ سَلِيمِ بْنِ الْحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ ، وَأَخُوهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ هُنْدِيلُ ،
وَأَخُوهُمَا لِأُمِّهِمَا تَغْلِبُ بْنُ حُلْوَانَ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ الْحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ .
وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ أُمَّ خُزَيْمَةَ وَهْنِيلَ سَلْمَى بِنْتُ أَسَدِ بْنِ رَبِيعَةَ .

١١٠٧/١

ابن مدرَكَةَ

وَأَسَمُهُ عَمْرُو ، وَأُمُّهُ خُنْدِيفُ ، وَهِيَ لَيْلَى بِنْتُ حُلْوَانَ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ الْحَافِ
ابْنِ قُضَاعَةَ ، وَأُمُّهَا ضَرِيَّةُ بِنْتُ رَبِيعَةَ بْنِ نِزَارٍ . قِيلَ : بِهَا سَمِيَّ حِمِيَّ ضَرِيَّةُ ،

وإخوة مدركة لأبيه وأمه عامر - وهو طابخة - وعمير - وهو قمعة - ويقال : إنه أبو خزاعة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق أنه قال : أم بني إلياس حنيدف ، وهي امرأة من أهل اليمن ، فغلبت على نسب بنيتها ، فقليل : بنو حنيدف .

قال : وكان اسم مدركة عامراً ، واسم طابخة عمراً . قال : وزعموا أنهما كانا في إبل لهما برعيانها ، فاقتنصا صيداً ، فقعدا عليه يطبخانه ، وعدت عادية على إبلهما ، فقال عامر لعمرو : أتترك الإبل أو تطبخ هذا الصيد ؟ فقال عمرو : بل أطبخ الصيد ، فلحق عامر الإبل ، فجاء بها ، فلما راحا على أبيهما ، فحدثاه بشأنهما ، قال لعامر : أنت مدركة ، وقال لعمرو : أنت طابخة .

وحدثت عن هشام بن محمد ، قالوا : خرج إلياس في نجعة له ^(١) ، فنفرت إبله من أرب ، فخرج إليها عمرو فأدركها ، فسمي مدركة ، وأخذها عامر فطبخها فسمي طابخة ، واقنع عمير في الخياء فلم يخرج فسمي قمعة ، وخرجت أمهم تمشي فقال لها : إلياس أين تخندفين ؟ فسميت حنيدف - والحنندفة ضرب من المشي - قال : وقال قصي بن كلاب :

• أمهني حنيدف وإلياس أبي •

١١٠٨/١

قال : وقال إلياس لعمرو ابنه :

• إنك قد أدركت ما طلبت •

ولعامر :

• وأنت قد أنضجت ما طبخت •

ولعمير :

• وأنت قد أسأت واقمعت •

ابن إلياس

وأُمّه الرّباب بنت حنّدة بن معدّ ، وأخوه لأبيه وأُمّه النّاس^(١) ، وهو عيّلان ، وسمّى عيّلان — فيما ذكر — لأنّه كان يعاتب على جوده ، فيقال له : لتغلبنّ عليك العيّلة يا عيلان ، فازمه هذا الاسم .
 وقيل : بل سمّى عيّلان بفرس كانت له تدعى عيّلان .
 وقيل : سمّى بذلك ؛ لأنّه ولد في جبل يسمى عيّلان .
 وقيل : سمّى بذلك لأنّه حضنه عبدٌ لمضر يدعى عيّلان .

ابن مضر

وأُمّه سودة بنت عكّ ، وأخوه لأبيه وأُمّه إياد ، ولهما أخوان من أبيهما من غير أمّهما ، وهما ربيعة وأنصار ؛ أمّهما جدالة بنت وعيلان بن جوشم ابن جُلْهُمَة بن عمرو ، من جرّهم .

وذكر بعضهم أن نزار بن معدّ لما حضرته الوفاة أوصى بنيه ، وقسم ماله بينهم ، فقال : يا بنيّ ، هذه القبة — وهى قبة من آدم حمراء — وما أشبهها من مالى لمضر ، فسمّى مضر الحمراء . وهذا الحياء الأسود وما أشبهه من مالى لربيعة ، فخلّف خيلادُهما ، فسمّى الفُرس . وهذه الحادِم وما أشبهها من مالى لإياد — وكانت شمطاه — فأخذ البلق والنقَد من غنمه . وهذه البُدرة والمجلس لأنمار يجلس فيه^(٢) ، فأخذ أنمار ما أصابه . فإن أشكل عليكم فى ذلك شيء واختلفتم فى القسمة فعليكم بالأفْعَى الجُرْهُمَى . فاختلفوا فى القسمة ، فتوجّهوا إلى الأفْعَى ، فيها هم يسرون فى مسيرهم إذ رأى مُضَرّ كلاً قد رُعِيَ ، فقال : إنّ البعير الذى رعى هذا الكلاً لأعور ، وقال ربيعة : هو أزور ، قال إياد : هو أبتر ، وقال أنمار : هو شرود ، فلم يسروا إلّا قليلاً حتّى لقيهم رجل توضع به راحلته ، فسألهم عن البعير ، فقال مُضَرّ : هو أعور؟ قال : نعم ، قال ربيعة : هو أزور؟ قال : نعم ، قال إياد : هو أبتر ؟ قال : نعم ، قال أنمار : هو شرود ؟ قال : نعم ، قال : هذه صفة بَعِيرَى ،

(١) الأصول : « إلياس » . (٢) ح : « عليه » .

دَلَّتْنِي عَلَيْهِ ، فَحَلَفُوا لَهُ : مَا رَأَوْهُ . فَلَزِمَهُمْ وَقَالَ : كَيْفَ أَصَدَقْتُمْ وَأَنْتُمْ تَصِفُونَ
 بِعَيْرِي بِصَفْتِهِ ! فَسَارُوا جَمِيعًا حَتَّى قَدِمُوا نَجْرَانَ ، فَتَزَلُّوا بِالْأَهْمِيِّ الْجَرْهَمِيِّ ،
 فَتَادَى صَاحِبُ الْبَعِيرِ : هَؤُلَاءِ أَصْحَابُ بَعِيرِي ، وَصَفُّوا لِي صَفْتَهُ ثُمَّ قَالُوا :
 لَمْ نَرِهِ . فَقَالَ الْجَرْهَمِيُّ : كَيْفَ وَصَفْتُمُوهُ وَلَمْ تَرَوْهُ ؟ فَقَالَ مُضَرَّرٌ : رَأَيْتُهُ يَتَرَعَى
 جَانِبًا وَيَتَدَعُ جَانِبًا فَعَرَفْتُ أَنَّهُ أَعُورٌ . وَقَالَ رَبِيعَةُ : رَأَيْتُ إِحْدَى يَدَيْهِ
 ثَابِتَةً الْأَثَرُ وَالْأُخْرَى فَاسْدَدَ الْأَثَرُ ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ أَفْسَدَهَا بِشِدَّةِ وَطْئِهِ لِأَزْوَارِهِ .
 وَقَالَ إِيَادٌ : عَرَفْتُ أَنَّهُ أَثَرُ بِاجْتِمَاعِ بَعْرِهِ ، وَلَوْ كَانَ ذِيلاً لَمَصَعَ ^(١) . بِهِ . وَقَالَ :
 أُنَمَّارُ : عَرَفْتُ أَنَّهُ شُرُودٌ ، لِأَنَّهُ يَرعى الْمَكَانَ الْمَلْتَفَّ نَبْتِهِ ، ثُمَّ يَحْوَزُهُ إِلَى مَكَانٍ ١١١٠/١
 آخَرَ أَرْقَ مِنْهُ نَبْتًا وَأَخْبَثَ ^(٢) . فَقَالَ الْجَرْهَمِيُّ : لَيْسُوا بِأَصْحَابِ بَعِيرِكَ
 فَاطْلُبِهِ ، ثُمَّ سَأَلَهُمْ : مَنْ هُمْ ؟ فَأَخْبَرُوهُ ، فَحَرَّبَ بِهِمْ فَقَالَ : أُنْتَحَاجُونَ إِلَيَّ
 وَأَنْتُمْ كَمَا أَرَى ! فِدْعَا لَمْ يَطْعَامُ فَأَكَلُوا وَأَكَل ، وَشَرَبُوا وَشَرِبَ ، فَقَالَ مُضَرَّرٌ :
 لَمْ أَرْ كَالْيَوْمِ خَمْرًا أَجُودَ ، لَوْلَا أَنَّهُ نَبَتْ عَلَى قَبْرِ ، وَقَالَ رَبِيعَةُ : لَمْ أَرْ
 كَالْيَوْمِ لَحْمًا أَطْيَبَ لَوْلَا أَنَّهُ رُبِّي بِلَيْنِ كَلْبٍ ، وَقَالَ إِيَادٌ : لَمْ أَرْ كَالْيَوْمِ رَجُلًا
 أَسْرَى لَوْلَا أَنَّهُ لَغِيرَ أَبِيهِ الَّذِي يَدْعَى لَهُ . وَقَالَ أُنَمَّارُ : لَمْ أَرْ كَالْيَوْمِ قَطْعًا
 كَلَامًا أَنْفَعُ فِي حَاجَتِنَا] مِنْ كَلَامِنَا [^(٣) .

وَمَعَ الْجَرْهَمِيُّ الْكَلَامَ فَتَمَجَّبَ لِقَوْلِهِ ، وَأَتَى أُمَّهُ فَسَأَلَهَا فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا كَانَتْ
 تَحْتَ مَلِكٍ لَا يُولَدُ لَهُ ، فَكَرِهَتْ أَنْ يَذْهَبَ الْمَلِكُ فَأَمَكَنْتُ رَجُلًا مِنْ نَفْسِهَا
 كَانَ نَزَلَ بِهَا ، فَوَطَّنَهَا فَحَمَلَتْ بِهِ ، وَسَأَلَ الْقَهْرَمَانُ عَنِ الْخَمْرِ ، فَقَالَ : مِنْ
 حَبَلَةٍ ^(٤) غَرَسْتُهَا عَلَى قَبْرِ أَبِيكَ ، وَسَأَلَ الرَّاعِي عَنِ اللَّحْمِ ، فَقَالَ : شَاةُ
 أَرْضَعْتُهَا لِبَنِ كَلْبَةٍ ، وَلَمْ يَكُنْ وَكَدَّ فِي الْغَنَمِ شَاةُ غَيْرِهَا . فَقِيلَ لِمُضَرَّرٍ : مَنْ أَيْنَ
 عَرَفْتَ الْخَمْرَ وَنَبَاتَهَا عَلَى قَبْرِ ؟ قَالَ : لِأَنَّهُ أَصَابَنِي عَلَيْهَا عَطَشٌ شَدِيدٌ . وَقِيلَ
 لِرَبِيعَةَ : بِمَ عَرَفْتَ ؟ فَذَكَرَ كَلَامًا .

فَاتَّاهُمُ الْجَرْهَمِيُّ ، فَقَالَ : صَفُّوا لِي صَفْتَكُمْ ^(٥) ، فَقَصَّصُوا عَلَيْهِ مَا أَوْصَاهُمْ

(١) يُقَالُ : مَصَعْتُ الثَّانَةَ بِلَهْنِهَا ؛ أَيْ حَوَكْتُ وَضَرَيْتُ بِهِ .

(٢) م : « وَأَخْبَثَ » . (٣) تَكْلِمَةٌ مِنْ مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ ١ : ١٦ .

(٤) الْحَبَلَةُ : شَجَرَةُ الْكَرَمِ .

(٥) ر : « قَصَّصْتُكُمْ » .

به أبوه ، فقضى بالقبة الحمراء والدنانير والإبل - وهي حُمْر - لمضر ، وقضى بالحياء الأسود وبالخيل الدُّم لربيعه ، وقضى بالخدام - وكانت شمطاء - وبالخيل البُلْتُ^(١) لإياد ، وقضى بالأرض والدرهم لأعمار .

ابن نزار

١١١١/١ وقيل إن نزاراً كان يكنى أبا إياد . وقيل : بل كان يكنى أبا ربيعة ، أمه مَعَاة بنت جَوْشَم بن جُلْهَمَة بن عمرو ، وإخوته لأبيه وأمّه . قَنَص ، وقناصة ، وسنام^(٢) ، وحيدَان ، وحيدة ، وحيدة^(٣) ، وجنيد ، وجنادة ، والقعم ، وعبيد الرَّمَح ، والعُرف ، وعوف ، وشكّ ، وقضاة ؛ وبه كان معدّ يكنى ، وعدّة درَجوا^(٤) .

ابن معدّ

وأمّ معدّ - فيما زعم هشام - مَهْدَد بنت اللّهمّ - ويقال : اللّهمّ - ابن جَلْحَب بن جديس . وقيل : ابن طَسَم . وقيل : ابن الطوسم ، من ولد يقشان^(٥) بن إبراهيم خليل الرحمن .

حدثنا الحارث بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا هشام بن محمد ، قال : حدثني محمد بن عبد الرحمن العجلانيّ : وإخوته من أبيه وأمّه الدّيْث - وقيل : إن الدّيْث هو عكّ . وقيل : إن عكا هو ابن الدّيْث ابن عدنان - وعَدَن بن عدنان ، فزعم بعض أهل الأنساب أنه صاحب عَدَن ؛ وإليه تنسب ، وأن أهلها كانوا ولده فَدَرَجوا ، وأبيّن - وزعم بعضهم أنه صاحب أبيّين وأنها إليه تنسب ، وأن أهلها كانوا ولده فدرجوا - وأدّ بن عدنان درَج ، والضحك ، والعيّ ، وأمّ جميعهم أمّ معدّ .

(١) ح : ر : « والماشية البلق » ، م : « والخيل البلق » .

(٢) ر : « سام » .

(٣) ح : « جيادة » .

(٤) درجوا : انقروا .

(٥) ح : « يقشان » .

وقال بعض النسابة : كان عكّ انطلق إلى سمران من أرض اليمن ، وترك أخاه معدّا ، وذلك أنّ أهل حصّور لما قتلوا شعيب بن ذى مَهْدَمَ الحَضُورِي ، بعث الله عليهم بختنصر عذاباً ، فخرج أرميا وبرخيا ، فحملا معدّا ، فلمّا سكنت الحرب رداه إلى مكة ، فوجد معدّا إخوته وعمومته من بني عدنان قد لحقوا بطوائف اليمن ، وتزوّجوا فيهم ، وتعطّفت عليهم اليمن بولادة جرّهم لإيّاهم ، واستشهدوا في ذلك قول الشاعر :

تَرَ كُنَّا أَلَدَيْثَ إِخْوَنًا وَعَسْكًَا إِلَى سَمْرَانَ فَانْطَلَقُوا مِرَاعًا
وَكَانُوا مِنْ بَنِي عَدْنَانَ حَتَّى أَضَاعُوا الْأَمْرَ بَيْنَهُمْ ، فضاء

ابن عدنان

ولعدنان أخوان لأبيه ؛ يدعى أحدهما نَبِيتًا والآخر منهما عَمْرًا ، فنسبُ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لا يختلف النسابون فيه إلى معدّ بن عدنان ، وأنه على ما بيّنت من نسبة .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثني ابن لهيعة عن أبي الأسود وغيره ، عن نسبة رسول الله صلى الله عليه وسلم : محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيّ بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خُزَيْمَة بن مُدْرِكَة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد^(١) . ١١١٣/١ ثم يختلفون فيما بعد ذلك .

وقال الزبير بن بكتار : حدثني يحيى بن المقداد الزمعي ، عن عمه موسى ابن يعقوب بن عبد الله بن وهب بن زَمْعَة ، عن عمته أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «معدّ ابن عدنان بن أدد بن زَنْد بن يَرْى بن أعراق الثرى» . ، قالت أم سلمة : فزند هو الهَمْسَمَسَم ، ويرى وهو نبت ، وأعراق الثرى هو إسماعيل بن إبراهيم .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا هشام بن محمد ، قال : حدثني محمد بن عبد الرحمن العجلاني ، عن موسى بن يعقوب الزمعي ، عن عمته ، عن جدتها ابنة المقداد بن الأسود البهراني ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : معد بن عدنان بن أدد بن يري بن أعرار الثري .

وقال ابن إسحاق — فيما حدثنا ابن حميد عن سلمة بن الفضل عنه عدنان — فيما يزعم النسب — بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح^(١) ابن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم . ١١١٤/١

وبعض يقول : بل عدنان بن أدد بن أيتحب بن أيوب بن قينر بن إسماعيل بن إبراهيم .

قال : وقد انتهى قصي بن كلاب إلى قينر في شعر .

قال : ويقول بعض النسب : بل عدنان بن مبدع بن منيع بن أدد بن كعب بن يشجب بن يعرب بن الحميم بن قينر بن إسماعيل بن إبراهيم ، قال : وذلك أنه علم قديم أخذ من أهل الكتاب الأول .

وأما الكلبي محمد بن السائب فإنه — فيما حدثني الحارث ، عن محمد بن سعد ، عن هشام — قال : أخبرني بخبر عن أبي ولم أسمعه منه ؛ أنه كان ينسب معد بن عدنان بن أدد بن الحميم بن سلامان بن عوص بن بوز بن قموال ابن أبي بن العوام بن ناشد بن حزا بن بكنداس بن يدلاف بن طابخ بن جاحم ابن تاحش بن ماخي بن عبي بن عبق بن عبيد بن الدعا بن حمدان بن منبر ١١١٥/١ ابن يربي بن يحن بن يلحن بن أرعوى بن عني بن ديشان بن عيص بن أقتاد ابن إلهام بن مقصر بن ناحت بن زارح بن شمي بن مزى بن عوص بن عرام ابن قينر بن إسماعيل بن إبراهيم ؛ صلوات الله عليهما .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا هشام بن

محمد ، قال : وكان رجل من أهل تَدْمُر ، يكنى أبا يعقوب ، من مسلمة بني إسرائيل ، قد قرأ من كتبهم ، وعلم علماً ، فذكر أن يروخ بن ناريّا كاتب أرميا ، أثبت نسب معدّ بن عدنان عنده ، ووضعه في كتبه ، وأنه معروف عند أجداد أهل الكتاب ، مثبت في أسفارهم ، وهو مقارب لهذه الأسماء ، ولعلّ خلاف ما بينهم من قبل اللغة ، لأنّ هذه الأسماء ترجمت من العبرانية .

قال الحارث : قال محمد بن سعد : وأنشدني هشام ، عن أبيه شعر قصي :
فَلَسْتُ لِحَاضِنٍ إِنْ لَمْ تَأْتَلْ^(١) بِهَا أَوْلَادُ قَيْدَرٍ وَالنَّبِيْتُ
قال : أراد نبث بن إسماعيل .

وقال الزبير بن بكار : حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي ، عن زكرياء ابن عيسى ، عن ابن شهاب ، قال : معدّ بن عدنان بن أدّ بن المميسع بن أسحب^(٢) بن نبت بن قيدر بن إسماعيل .

وقال بعضهم : هو معدّ بن عدنان بن أدد بن أمين بن شاجب^(٣) بن ثعلبة بن عتر^(٤) بن بريح بن محلم^(٥) بن العوام بن المحتمل^(٦) بن راتمة^(٧) بن الميقان بن علة^(٨) بن الشحدود^(٩) بن الظريب^(١٠) بن عبقّر بن إبراهيم بن إسماعيل^(١١) ابن يزن بن أعوج بن المطعم بن الطمّح بن القصور بن عتود^(١٢) بن ددع بن محمود بن الزائد بن ندوان بن أنامة^(١٣) بن دوس بن حصن بن النزال بن القمير ابن المجثّر بن معدمر بن صيني بن نبت بن قيدر بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن .

(١) ح ، ر : الحاضر ، م : « حاضن » .

(٢) ح ، م : « شاجب » .

(٣) ح : « عير » ، ر : « عمر » .

(٤) م : « طلم » .

(٥) ح المجمل : م : « المحتمل » .

(٦) ح : « زائدة » ، م : « ذائعة » .

(٧) ح : « عكة » .

(٨) ح : « النحلور » .

(٩) ح : « الطريب » ، ر : « الضريب » .

(١٠) كذا في ر ، وفي ح : « عور » ، وفي م : « عيوث » .

(١١) كذا في م .

وقال آخرون : هو معدّ بن عدنان بن أدد بن زيد بن يقدر بن يقدم بن هميسع بن نبت بن قيلز بن إسماعيل بن إبراهيم .

وقال آخرون : هو معدّ بن عدنان بن أدد بن هميسع بن نبت بن سلمان — وهو سلمان — ابن حمل بن نبت بن قيلز بن إسماعيل بن إبراهيم .

وقال آخرون : هو معدّ بن عدنان بن أدد بن المقوم بن ناحور بن مِشراح ابن يشجب بن مالك بن أيمن بن النبيث بن قيلز بن إسماعيل بن إبراهيم . ١١١٨/١

وقال آخرون : هو معدّ بن عدنان بن أدد بن أدد بن هميسع بن أسحب^(١) ابن سعد بن بريح بن نصير بن حميل بن منح بن لافث بن الصابوح بن كنانة ابن العوام بن نبت^(٢) بن قيلز بن إسماعيل .

وأخبرني بعض النساب أنه وجد طائفة من علماء العرب قد حفظت لمعدّ أربعين أبا بالعربية إلى إسماعيل ، واحتجت لقولهم ذلك بأشعار العرب ، وأنه قابل بما قالوا من ذلك ما يقول أهل الكتاب ، فوجد العدد متفقاً ، واللفظ مختلفاً ، وأمل ذلك على فكيته عنه ، فقال : هو معدّ بن عدنان بن أدد بن ميسع — وهميسع هو سلمان وهو أمين — ابن هميتع — وهو هميدع وهو الشاجب ابن سلمان — وهو منجر ، وهو نبيت ، سمي بذلك — فيما زعم — لأنه كان منجر العرب ؛ لأن الناس عاشوا في زمانه ، واستشهد لقوله ذلك بقول قَعْنَسَب بن عَتَّاب الرياحي :

تَنَاشِدُنِي طَىٌّ وَطَىٌّ بِمَيْدَةٍ وَتُذَكِّرُنِي بِالْوَدِّ أَرْمَانَ يَنْبِتُ^(٣) ١١١٩/١

قال: نبيت بن عوص — وهو ثعلبة . قال : وإليه تنسب الثعلبية — ابن بورا — وهو بوز وهو عتر العتائر ، وأوّل من سنّ العتيرة للعرب — ابن شوحا وهو سعد رجب ، وهو أوّل من سنّ الرجبية للعرب — ابن يعمانا — وهو قموال ، وهو بريح الناصب ، وكان في عصر سليمان بن داود النبي صلى الله عليه وسلم — ابن كسدانا — وهو محمّد ذو العين — ابن حرانا — وهو العوام — ابن

(١) د : « أشحب » . (٢) ح : « نبيت » .

(٣) كذا في د ، و في ط : « بالودّ أَرْمَانَ يَنْبِتُ » .

بلداسا - وهو المحتمل - ابن بدلاتا - وهو يدلاف ، وهو راعة - ابن طهبا - وهو طالب ، وهو العيقان - ابن جهمي - وهو جاسم ، وهو علة - ابن عثي - وهو تاحش ، وهو الشحلود - ابن معجالي - وهو ماخي ، وهو الظريب خاتم النار - ١١٢٠/١ ابن عقارا - وهو عافي ، وهو عبقر أبو الجن ، قال : وإليه تنسب جنة عبقر - ابن عاقاري - وهو عاقر ، وهو إبراهيم جامع الشمل . قال : وإنما سمي جامع الشمل لأنه آمن في ملكه كل خائف ، ورد كل طريد ، واستصلح الناس - ابن سداعي - وهو الدعا ، وهو إسماعيل ذو المطايخ ، سمي بذلك لأنه حين ملك أقام بكل بلدة من بلدان العرب دار ضيافة - ابن انداعي - وهو عبيد وهو يزن الطعان ، وهو أول من قاتل بالرماح ، فنسبت إليه - ابن همداني وهو حمدان ، وهو إسماعيل ذو الأعوج وكان فرساً له ، وإليه تنسب الأعوجية من الخيل - ابن بشاماني - وهو بشين وهو المطعم في المثل - ابن بتراني - وهو بترم ، وهو الطمخ - ابن بجراني^(١) - وهو يحزن ، وهو القصور - ابن بلحاني ، وهو يلحى ، وهو العنود^(٢) - ابن رعواني - وهو رعوى ، وهو الدعدع - ابن ١١٢١/١ عاقاري - وهو عاقر - ابن داسان ، وهو الزائد - ابن عاضار - وهو عاصر ، وهو النيدوان ذو الأندية ، وفي ملكه تفرق بنو القادور وهو القادور . وخرج الملك من ولد النبي بن القادور إلى بني جاوان - ابن القادور ثم رجع إليهم ثانية - ابن قنادي - وهو قنار ، وهو إسماعيل^(٣) بن ثامار ، وهو بهاي ، وهو دوس العتيق ، وهو دوس أجمل الخلق ، زعم في زمانه ، فلذلك تقول العرب : أعتق من دوس لأمرين : أما أحدهما فلحسنه وعتقه ، والآخر لقدمه ، وفي ملكه أهليكت جرم بن فالج وقطورا ، وذلك أنهم بغوا في الحرم ، فقتلهم دوس ، وأتبع الدر آثار من بقي منهم ، فوليح في أسماهم فأفناهم - ابن مقصر - وهو مقاصري ، وهو حصن ، ويقال له : ناحث ، وهو التزل بن زارح ، وهو قمبر - ابن سمي - وهو سما ، وهو المنجر ، وكان - فيما زعم - أعدى ملك ولي وأحسنه سياسة ، وفيه يقول أمية بن أبي الصلت لم يقل ملك الروم :

(٢) كذا في ح .

(١) كذا في ح .

(٣) كذا في ح .

١١٢٢/١ كُنْ كَالْجَشْرِ إِذْ قَالَتْ رَعِيَّتُهُ كَانَ الْمَجَشَّرُ أَوْفَانًا بِمَا حَمَلَا

ابن مازا - ويقال مرهر - ابن صفنا^(١) ، وهو السمر ، وهو الصني ،
هو أجود ملك ربي على وجه الأرض ، وله يقول أمية بن أبي الصلت :
إِنَّ الصَّنِيَّ بْنَ النَّبِيِّ مُمَلَّكَ أَعْلَى وَأَجُودُ مِنْ هِرْقَلٍ وَقَيْصَرَا

ابن جعتم - وهو عرام ، وهو النبيت ، وهو قيذر ، قال : وتأويل وقينر
صاحب ملك ، كان أول من ملك من ولد إسماعيل - ابن إسماعيل صادق الوعد ،
ابن إبراهيم خليل الرحمن بن تارح - وهو آزر - ابن ناحور بن ساروع بن أرفخا
ابن بالغ - وتفسيره بالغ ، القاسم بالسريانية ، لأنه الذي قسم الأرضين بين ولد
آدم ، وبالح ، فهو فالج بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح
ابن ملك بن متوشلخ بن أخنوخ ، وهو إدريس النبي صلى الله عليه وسلم - ابن
يود - وهو يارد الذي عملت الأصنام في زمانه - ابن مهلائيل بن قينان بن أنوش
ابن شيث - وهو هبة الله ابن آدم عليه السلام . وكان وصي أبيه بعد مقتله
هابيل ، فقال : هبة الله من هابيل ، فاشتق اسمه من اسمه . ١١٢٢/١

وقد مضى من ذكرنا الأخبار عن إسماعيل بن إبراهيم وآبائه وأمهاته فيما
بينه وبين آدم ، وما^(٢) كان من الأخبار والأحداث في كل زمان من ذلك بعض
ما انتهى إلينا ، بوجيز من القول مختصر ، في كتابنا هذا ، فكرهنا إعادته .

وحُدثت عن هشام بن محمد قال : كانت العرب تقول : وإنما خدش
الخدوش منذ ولد أبونا أنوش ، وإنما حرم الحنث ، منذ ولد أبونا شث ؛
وهو بالسريانية « شيث » .

• • •

ونعود الآن إلى :

(١) كذا في ح . (٢) ح ، ر : « ما » .

ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسبابه

فتوفى عبد المطلب بعد القيل بثنائي سنين ؛ كذلك حدثنا ابن حميد ،

قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر : وكان عبد المطلب يومئذ برسول الله صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب ، وذلك أن أبا طالب ، وعبد الله أبا رسول الله صلى الله عليه وسلم كانا لأم ، فكان أبو طالب هو الذي يلي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جده ، وكان يكون معه . ثم إن أبا طالب خرج في ركب من قريش إلى الشام تاجراً ، فلما نهباً للرحيل وأجمع السير صب^(١) به رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما يزعمون -

فرق له أبو طالب ، فقال : والله لأخرجن به معي ، ولا يفارقي ولا أفرقه ١١٢٤/١
أبدأ ، أو كما قال . فخرج به معه ، فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام ، وبها راهب يقال له بحيرى في صومعة له ، وكان ذا علم من أهل التصانية ، ولم يزل في تلك الصومعة مذق^(٢) راهب^(٣) ، إليه يصير علمهم عن كتاب - فيما يزعمون - يتوارثونه كابراً عن كابر . فلما نزلوا ذلك العام ببخيري ، صنع لهم طعاماً كثيراً ، وذلك أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في صومعته ، عليه غمامة تظله من بين القوم ، ثم أقبلوا حتى نزلوا في ظل شجرة قريباً منه ، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة ، وتهصرت^(٤) أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى استظل تحتها ، فلما رأى ذلك بحيرى ، نزل من صومعته ، ثم أرسل إليهم فدعاهم جميعاً ، فلما رأى بحيرى رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يلحظه لحظاً شديداً ، وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدّها عنده من صفته .

فلما فرغ القوم من الطعام وتفرقوا ، سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء في حاله ؛ في يقظته وفي نومه : فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فيجدها بحيرى موافقة لما عنده من صفته . ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه ، ثم قال بحيرى لعمه أبي طالب : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابني ، فقال له بحيرى : ما هو بابنك ، وما ينبئني لهذا الغلام

(١) كلما في ح ، وضب به : تعلق ، وفي ط والسير : « صب به » ، أى مال إليه .

(٢) قط هنا : اسم بمعنى الدهر ، ومذ ظرف ، وانظر ما نقله صاحب اللسان عن

العميان في مادة (ق ط ط) .

(٣) كلما في السير ، وتهصرت : مالت وتدلّت . وفي ط : « وهصرت » .

أن يكون أبوه حيًّا . قال : فإنه ابنُ أُخِي ، قال : فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حبلى به ، قال : صدقت ، ارجع به إلى بلدك ، واحذر عليه يَهُودَ ، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفتُ ، ليغيثنَّ شرًّا ، فإنه كائن له شأن عظيم ، فأسرع به إلى بلده . فخرج به عمه سريعًا حتى أقدمه مكة^(١) . ١١٢٥/١

وقال هشام بن محمد : خرج أبو طالب برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بَصْرَى من أرضِ الشام ؛ وهو ابنُ تسع سنين .

حدثني العباس بن محمد ، قال : حدثنا أبو نوح ، قال : حدثنا يونس ابن أبي إسحاق ، عن أبي بكر بن أبي موسى ، عن أبي موسى ، قال : خرج أبو طالب إلى الشام ، وخرج معه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أشياخٍ من قُرَيْشٍ ، فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فحلوا رحالهم ، فخرج إليهم الراهب - وكانوا قبل ذلك يمرُّون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت . قال : فهم يحلُّون رحالهم ؛ فجعل^(٢) يتخلَّصهم حتى جاء فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هذا سيّدُ العالمين ، هذا رسولُ ربِّ العالمين ؛ هذا يبعثه الله رحمةً للعالمين . فقال له أشياخ قُرَيْشٍ : ما علمكم^(٣) ؟ قال : إنكم حين أشرفتم من العقبَةِ لم تبق شجرة ولا حجر إلا خرَّ ساجدًا ؛ ولا يسجدون إلا لنبى ، وإلى أعرفه بخاتم^(٤) النبوة ، أسفل من غُضروف كَيْفَه مثل التفاحة .

ثم رجع فصنَّع لهم طعامًا ، فلما أتاها به كان هو في رعيّة الإبل . قال : أرسلوا إليه ، فأقبل وعليه غمامة ، فقال : انظروا إليه ؛ عليه غمامة تُظِلُّه ! فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى قتيء الشجرة ، فلما جلس مال قتيء الشجرة عليه ، فقال : انظروا إلى قتيء الشجرة مال^(٥) عليه ؛ قال : فيينا هو قائم عليهم ؛ وهو يناشدُهم ألا يذهبوا به إلى الروم ؛ فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصِّفة فقتلوه ؛ فالتفت فإذا هو بسبعة نفرٍ قد أقبلوا من الروم ؛

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١١٨ ، ١١٩ . ح : « وهو » .

(٢) ط : « ما طمك ؟ » . ح : « خاتم النبوة » .

(٣) ح : « مالت » .

فاستقبلهم ، فقال : ما جاء بكم ؟ قالوا : جئنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر ، فلم يبقَ طريق إلا بُعِثَ إليها ناس ، ولما اخترنا خيرة ، بعثنا إلى طريقك هذا ، قال لهم : هل خَلَقْتُمْ خَلْقَكُمْ أحداً هو خَيْرٌ منكم ؟ قالوا : لا ؛ إنما اخترنا خيرة لطريقك هذا ، قال : أفرأيتُم أمراً أراد الله أن يقضيه ، هل يستطيع أحد من الناس ردّه ! قالوا : لا ؛ فتابعوه وأقاموا معه ، قال : فاتاهم ، فقال : أنشدكم الله ، أبتكم وليّه ؟ قالوا : أبو طالب ، فلم يزل ينأشده حتى ردّه ، وبعث معه أبو بكر رضي الله تعالى عنه بلالاً ، وزوده الراهب من الكعك والزيت .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن عبد الله بن قيس بن عثمة ، عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب ، عن أبيه محمد بن علي ، عن جده علي بن أبي طالب ، قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : ما هممتُ بشيءٍ مما كان أهلُ الجاهلية يعملون به غيرَ مرتين ، كلٌّ ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك . ثم ما هممتُ بسوءٍ حتى أكرمني الله عزّ وجلّ برسالته ؛ فإنّي قد قلت ليلةً لفلامٍ من قريش كان يرعى معي بأعلى مكة : لو أبصرتَ لي غنمِي حتى أدخلَ مكة ، فأسمُرَ بها كما يسمُرُ الشباب ! فقال : أفعل ؛ فخرجتُ أريد ذلك ؛ حتى إذا جئتُ أولَ دارٍ من دور مكة ، سمعتُ عزّاً بالدُفوف والمزامير ، فقلت : ما هذا ؟ قالوا : فلان ابن فلان تروّجُ بفلانة بنت فلان . ١١٢٧/١
فجلستُ أنظرَ إليهم ، فضرب الله على أذني فسمتُ فما أيقظني إلاّ مسّ الشمس ؛ قال : فجئتُ صاحبي ، فقال : ما فعلت ؟ قلتُ : ما صنعتُ شيئاً ، ثم أخبرته الخبر . قال : ثم قلتُ له ليلةً أخرى مثلاً ذلك ، فقال : أفعل ، فخرجتُ فسمعتُ حين جئتُ مكة مثلاً ما سمعتُ حين دخلتُ مكة تلك الليلة ؛ فجلستُ أنظر ، فضرب الله على أذني ؛ فوالله ما أيقظني إلاّ مسّ^(١) الشمس ؛ فرجعتُ إلى صاحبي فأخبرته الخبر . ثم ما هممتُ بعدها بسوءٍ حتى أكرمني الله عزّ وجلّ برسالته .

ذكر تزويج النبي

صلى الله عليه وسلم خديجة رضي الله عنها

قال هشام بن محمد: نكح رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة، وهو ابنُ خمس وعشرين سنة، وخديجة يومئذ ابنة أربعين سنة.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي امرأة تاجرة، ذات شرف ومال، تستتجر^(١) الرجال في مالها، وتضاربهم لئلا يشاء بشيء تجعله لم من، وكانت قريش قومًا تجارًا؛ فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغها من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج في مالها إلى الشام تاجرًا، وتعطيه أفضل ما كانت تعطيه غيره من التجار؛ مع غلام لها يقال له ميسرة. فقبله منها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج في مالها ذلك؛ وخرج معه غلامها ميسرة؛ حتى قدما الشام، فترسل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة قريبًا من صومعة راهب من الرهبان^(٢)، فأطلع الراهب رأسه إلى ميسرة فقال: ١١٢٨/١ من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ فقال له ميسرة: هذا رجل من قريش، من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي^(٣)، ثم باع رسول الله صلى الله عليه وسلم سلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد أن يشتري، ثم أقبل قافلًا إلى مكة؛ ومعه ميسرة. فكان ميسرة - فيها يزعمون - إذا كانت المهاجرة واشتد الحر يرى مكين يظللانه من الشمس، وهو يسير على بعيره. فلما قدم مكة على خديجة بمالها، باعت ما جاء به فأضعفت، أو قريبًا من ذلك. وحدها ميسرة عن

(١) رء و ابن هشام: «تسأجر».

(٢) هو نسطورا؛ وليس هو بجيري المتقدم ذكره؛ كما قاله السهيلي.

(٣) قال السهيلي: «يريد ما نزل تحتها هذه الساعة إلا نبي؛ لبعد العهد بالأنبياء

قول الرَّاهِب ، وَتَمَّا كَانَ يَتَرَى مِنْ إِظْلَالِ الْمُسَكِّينَ إِرَآهَ - وَكَانَتْ خَدِيجَةُ امْرَأَةً حَازِمَةً لِبَيْتَةِ شَرِيفَةٍ ، مَعَ مَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَا مِنْ كَرَامَتِهِ - فَلَمَّا أَخْبَرَهَا مِيسِرَةٌ بِمَا أَخْبَرَهَا ، بَعَثَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ لَهُ - فِيمَا يَزْعُمُونَ - : يَا بَنَ عَمٍّ ، إِنِّي قَدْ رَغِبْتُ فَيْكَ لِقَرَابَتِكَ وَسِطَتِكَ^(١) فِي قَوْلِكَ ، وَأَمَانَتِكَ وَحَسَنِ خُلُقِكَ وَصِدْقِ حَدِيثِكَ . ثُمَّ عَرَضَتْ عَلَيْهِ تَفْسِيرَهَا ، وَكَانَتْ خَدِيجَةُ يَوْمَئِذٍ أَوْسَطَ نِسَاءِ قُرَيْشٍ نِسَبًا ، وَأَعْظَمَهُنَّ^(٢) شَرَفًا ، وَأَكْثَرَهُنَّ مَالًا ؛ كُلُّ قَوْمٍهَا كَانَ حَرِيصًا عَلَى ذَلِكَ مِنْهَا لَوْ يَقْدَرُ عَلَيْهَا^(٣) .

فَلَمَّا قَالَتْ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ ذَلِكَ لِأَعْمَامِهِ ، فَخَرَجَ مَعَهُ حِمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلِبِ تَحْتَهُ ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدٍ^(٤) ، فَخَطَبَهَا إِلَيْهِ فَتَرَوَّجَهَا ، فَوَلَدَتْ لَهُ وَلَدَهُ كُلَّهُمْ إِلَّا لِإِبْرَاهِيمَ : زَيْنَبُ ، وَرُقَيْيَةُ ، وَأُمُّ كَلثُومَ ، وَفَاطِمَةُ ، وَالْقَاسِمُ - وَبِهِ كَانَ يَكْنَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَالطَّاهِرُ وَالطَّيِّبُ . فَأَمَّا الْقَاسِمُ وَالطَّاهِرُ وَالطَّيِّبُ ، فَهَلَكُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَأَمَّا بَنَاتُهُ فَكُلَّتِهِنَّ أَدْرَكَنَّ الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمْنَ ، وَهَاجَرْنَ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٥) .

١١٢٩/١

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابْنُ عَمْرِو ، قَالَ : حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ وَغَيْرُهُ ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ الزُّهْرِيِّ - وَقَدْ قَالَ ذَلِكَ غَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ : إِنَّ خَدِيجَةَ إِنَّمَا كَانَتْ اسْتَأْجَرَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

(١) الحقة : مثل الوسط ؛ وهو من أوصاف الملح والتفضيل .

(٢) في الأصول : « أعظمهم » ؛ وما أثبتته من ابن هشام .

(٣) ابن هشام : « ؛ يقدر عليه » ؛ وبعبارة هناك : « وهي خديجة بنت خويلد بن أسد

ابن عبد المطلب قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر . وأما فاطمة بنت زائدة بن الأصم بن رواحة بن سحر بن عبد بن مغيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر . وأم فاطمة حائلة بنت عبد مناف بن هاشم بن مضر بن عكرمة بن مضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . وأم فاطمة بنت عبد مناف بن هاشم بن مضر بن عكرمة بن مضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . وأم فاطمة بنت عبد مناف بن هاشم بن مضر بن عكرمة بن مضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

(٤) قال السهيلي : « وذكر غير ابن إسحاق أن خويلدًا كان إذ ذاك قد هلك ، وأن الذي أنكح خديجة رضي الله عنها هو عمها عمرو بن أسد ؛ قاله المبرد وطائفة معه . وقال أيضًا : إن أبا طالب هو الذي نهض مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وهو الذي خطب خطبة التكليف » .

(٥) الخبر في سيرة ابن هشام ١ : ١٢١ - ١٢٣ .

عليه وسلم ورجلاً آخر من قُريش إلى سوق حُباشة بتهامة ؛ وكان الذي زَوَّجها إياها خُوَيْلِدٌ، وكان الذي مُشِتَّ^(١) في ذلك مولاة من مولدات مكة . قال الحارث : قال محمد بن سعد : قال الواقدي : فكلَّ هذا غلطٌ .

قال الواقدي : ويقولون أيضاً إنَّ خديجة أرسلت إلى النبي صلى الله عليه وسلم تدجوه إلى نفسها — تَعْنِي التزويج — وكانت امرأة ذات شرف ، وكان كلُّ قريش حريصاً على نِكَاحها — قد بذلوا الأموال^(٢) لو طمعوا بذلك ، فدعت أباهاً فسقته خمرًا حتى ثَمِلَ ، ونحرت بقرة وخكقته بخلق ، وألبسته حُلَّةً حَبْرَةً ، ثم أرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في عروته ، فدخلوا عليه ، فزوجه^(٣) ، فلَمَّا صحا قال : ما هذا العَقِير ؟ وما هذا البعير ؟ وما هذا الحبير ؟ قالت : زوجتني محمد بن عبد الله ، قال : ما فعلتُ أننى أفعل هذا وقد خطبتك أكابرُ قريش ، فلم أفعل !

قال الواقدي : وهذا غلطٌ ، والثَّبَتَ عندنا المحفوظ^(٤) من حديث محمد ابن عبد الله بن مسلم ، عن أبيه ، عن محمد بن جُبَيْر بن مطعم . ومن حديث ابن أبي الزناد ، عن هشام بن عُرْوَةَ ، عن أبيه ، عن عائشة . ومن حديث ابن أبي حبيبة ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ أن عمهما عمرو بن أسد زَوَّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن أباهما مات قبل الفِجَارِ^(٥) .

• • •

قال أبو جعفر : وكان منزل خديجة يومئذ المنزل الذي يعرف بها اليوم ، فيقال : منزل خديجة ، فاشتراه معاوية — فيما ذكر — فجعله مسجدًا يصلى فيه الناس ، وبناه على الذي هو عليه اليوم لم يغير . وأمَّا الحجر الذي على باب البيت عَن يَسَارٍ من يَدْخُلُ البيت فإنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يجلس تحته يستتر به من الرَّمْيِ إذا جاءه من دار أبي لهب ، ودار عديّ ابن حمراء الثَّقَفِيِّ خَلَفَ دار ابن علقمة ، والحجر ذراعٌ وشبر في ذراع .

(١) م : « التي مشي » . (٢) ح : « لها المال » .

(٣) ر : « تزويجها » . (٤) ابن سعد : « المحفوظ عن أهل العلم » .

(٥) الخبر في طبقات ابن سعد ١ : ١٣٢ ، ١٣٣

ذكر باقى الأخبار عن الكائن من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينبأ ، وما كان بين مولده ووقت نبوته من الأحداث فى بلده

قال أبو جعفر : قد ذكرنا قبل سبب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة واختلاف المختلفين فى ذلك ، ووقت نكاحه صلى الله عليه وسلم إياها . وبعدَ السنة التى نكحها فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هَدَمَتْ قريش الكعبة بعشر سنين ثم بَنَتْها - وذلك فى قول ابن إسحاق - فى سنة خمسٍ وثلاثين من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان سبب هدمِهم إياها فيما حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، أن الكعبة كانت رَضْمَةً ^(١) فوق القامة ، فأرادوا رفعها وتسقيفها ؛ وذلك أن نفرًا من قريش وغيرهم سرقوا كتز الكعبة ، وإنما كان يكون فى بئر فى جوف الكعبة .

• • •

وكان أمرُ غزائى الكعبة - فيما حدثت عن هشام بن محمد ، عن أبيه - أن الكعبة كانت رفعت حين غرق قوم نوح ، فأمر الله إبراهيم خليله عليه السلام وابنه إسماعيل أن يعيدا بناء الكعبة على أسسها الأولى ، فأعادا بناءها ، كما أنزل فى القرآن : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ^(٢) ، فلم يكن له ولادة منذ زمن نوح عليه السلام ، وهو مرفوع . ثم أمر الله عز وجل إبراهيم أن يتزل ابنه إسماعيل البيت ، لما أراد الله من كرامة من أكرمه بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فكان إبراهيم خليل الرحمن وابنه إسماعيل يليان البيت بعد عهد نوح ، ومكة يومئذ بلاقع ، ومن حول مكة يومئذ جرهم والعماليق . فنكح إسماعيل عليه السلام امرأة من

(١) فى ابن هشام : « رصبا » ؛ والرزم : أن تنفذ الحجارة بعضها على بعض من غير ملاط .

(٢) سورة البقرة : ١٢٧ .

جُرْهُم ، فقال في ذلك عمرو بن الحارث بن مُضاض :
وصاهرنا من أكرم الناس والدًا فابناؤُهُ مِنَّا ونحنُ الأصايرُ

فولي البيت بعد إبراهيم إسماعيل ، وبعد إسماعيل نبت ، وأمه الجرهمية ؛
ثم مات نبت ، ولم يكثر ولد إسماعيل ، فغلبت جرُّهم على ولاية البيت ؛
فقال عمرو بن الحارث بن مُضاض :

وكنَّا وِلَاةَ الْبَيْتِ مِنْ بَعْدِ نَابِتٍ نَطُوفُ بِذَلِكَ الْبَيْتِ ، وَآخِرُ ظَاهِرُ

فكان أول من ولي من جرُّهم البيت مُضاض ، ثم وليته بعده بنوه
كبيراً بعد كبير^(١) ؛ حتى بغت جرُّهم بمكة ، واستحلوا حرمتها ، وأكلوا مال
الكعبة الذي يهدى لها ، وظلموا من دخل مكة ، ثم لم يتناهوا حتى جعل
الرجل منهم إذا لم يجد مكاناً يزنى فيه يدخل الكعبة فزنى . فرعوا أن
أسافا بغي بنائلة في جوف الكعبة ، فسحبا حَجَرَيْنِ ، وكانت مكة
في الجاهلية لا ظلم ولا بغي فيها ، ولا يستحل حرمتها ملك إلا هلك مكانه
فكانت تسمى الناسة ، وتسمى بمكة ، تبك أعناق البغايا إذا بغوا فيها ؛
والجباية .

قال : ولما لم تتناه جرُّهم عن بغيها ، وتفرق أولاد عمرو بن عامر من
اليمن ، فأنزع^(٢) بنو حارثة بن عمرو ، فأوطنوا^(٣) تهامة — فسميت^(٤) خِزَاعَة ،
وهم بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة — وأسلم ومالك وملكان بنو أفضى بن حارثة ،
فبعث الله على جرُّهم الرعاف والنمل ، فأفناهم . فاجتمعت خِزَاعَة ليجلوا من
بقي ، ورئيسهم عمرو بن ربيعة بن حارثة ، وأمه فهيرة بنت عامر بن الحارث
ابن مُضاض ، فاقتتلوا . فلما أحسَّ عامر بن الحارث بالهزيمة ، خرج بغزالي
الكعبة وحجر الركن يلتمس التوبة ، وهو يقول :

(١) د : « ومن كبير » .

(٢) أنزعوا ، أي تغلبوا .

(٣) أوطن بالمكان : أقام .

(٤) ط : « سميت » .

لَا هُمْ إِنْ جُرُّهُمْ عِبَادُكَ النَّاسُ طُرِفُوا وَهُمْ تِلَادُكَ

يَهْمُ قَدِيمًا عَمِرَتْ بِلَادُكَ .

فلم تُقْبَلْ توبته ، فألقى غزالي الكعبة وحجر الركن في زمزم ، ثم دفنها
وخرج مَنْ بَقِيَ مِنْ جُرِّهِمْ إِلَى أَرْضٍ مِنْ أَرْضِ جُهينة ، فجاءهم سيلٌ أَنَّى فذهب
بهم ، ففلك قول أمية بن أبي الصلت :

وَجُرِّهِمْ دَمَنُوا نَهَامَةً فِي السَّدْهِرِ فَسَالَتْ بِجَمْعِهِمْ إِثْمٌ^(١)

وَوَلَّى الْبَيْتَ عَمْرُو بْنُ ربيعة . وقال بنو قصي : بل وليه عمرو بن الحارث ١١٣٣/١
الغُبَشَانِيُّ^(٢) ، وهو يقول :

وَنَحْنُ وَلَيْنا الْبَيْتَ مِنْ بَعْدِ جُرِّهِمْ لِنَعْمُرَهُ مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَمُلْجِدٍ
وقال :

وَادٍ حَرَامٍ طَيْرُهُ وَوَحْشُهُ نَحْنُ وَلَانَهُ فَلَا نَنْفُسُهُ

وقال عامر بن الحارث :

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَبُونِ إِلَى الصَّفَا أُنَيْسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَائِرُ
بَلَى نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا فَأَبَادَنَا صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْجُدُودُ الْعَوَائِرُ

وقال :

يَأْيُهَا النَّاسُ سِيرُوا إِنْ قَصَرَ كُمْ أَنْ تُصْبِحُوا ذَاتَ يَوْمٍ لَا تَسِيرُونَا^(٣)
كُنَّا أَنَا سَا كَمَا كُنْتُمْ فَفَيَّرْنَا دَهْرٌ ، فَأَنْتُمْ كَمَا كُنَّا تَكُونُونَا
خُشُوا الْمَلِيَّ وَأَرْخُوا مِنْ أَرْمَتِهَا قَبْلَ الْمَلْتِ وَقَضُوا مَا تُقْضُونَا

يقول : اعملوا لآخرتكم ، وافرغوا من حوائجكم في الدنيا ؛ فوليت خُرَاعة
الْبَيْتِ ؛ غير أنه كان في قبائل مُضَر ثلاث خِلال : الإجازة بالحق للناس من

(١) ميم ما استعمل ١٦٦ .

(٢) في الأصول : « النساني » ؛ وانظر كتاب الاشتقاق ٤٧٩ .

(٣) قصر كم : نهايتكم وغايتكم .

عرقه ، وكان ذلك إلى الغوث بن مرّ - وهو صوفة - فكانت إذا كانت الإجازة قالت العرب : أجزى صوفة . والثانية الإفاضة من جمّع غداة النحر إلى منى ، فكان ذلك إلى بنى زيد بن عدوان ؛ فكان آخر من ولي ذلك منهم أبو سياره عميلة بن الأعزل بن خالد بن سعد بن الحارث بن واثل^(١) ابن زيد ، والثالثة النسيء للشهور الحرم ، فكان ذلك إلى القلمس ، وهو حذيفة بن فضيم بن عدي من بنى مالك بن كنانة ، ثم بنه حتى صار ذلك إلى آخرهم أبي ثمامة ، وهو جنادة بن عوف بن أمية بن قلع بن حذيفة . وقام عليه الإسلام ، وقد عادت الحرم إلى أصلها ، فأحكمها الله وأبطل النسيء ؛ فلما كثرت معدّ تفرقت ، فذلك قول مهلهل :

غَنَيْتُ دَاوُنَا يَهَامَةً فِي أَلْدُه ر وفيها بنو معدّ حلولا .
وأما قريش ، فلم يفارقوا مكة ، فلما حضر عيد المطلب زرم ، وجد الغزاليين ، غزالي الكعبة اللذين كانت جرهم دفنتهما فيه ، فاستخرجهما ؛ وكان من أمره وأمرها ما قد ذكرت في موضع ذلك فيما مضى من هذا الكتاب قبل .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : وكان الذي وجد عنده الكثر دُوَيْكًا مولى لبني مُلَيْح بن عمرو ، من خزاعة . فقطعت قريش يده من بينهم ، وكان من اتهم في ذلك الحارث بن عامر بن نوفل ، وأبو إهاب^(٢) ابن عزيّر بن قيس بن سويد التميمي - وكان أخا الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف لأمه - وأبو لهب بن عبد المطلب ؛ وهم الذين تزعم قريش أنهم وضعوا كثر الكعبة حين أخذوه عند دُوَيْك مولى لبني مُلَيْح ، فلما اتهمتهم قريش ، دلّوا على دُوَيْك ، فقطيع ، ويقال : هم وضعوه عنده .

(١) ح : « واثل » ، ر : « وأسر » ، والمثبت يوافق ما في الاشتقاق ٢٦٨

(٢) كذا ضبط صاحب التاموس بوزن كتاب .

وذكروا أن قريشاً حين استيقنوا بأن ذلك كان عند اسرارث بن عامر
ابن نوفل بن عبد مناف، خرجوا به إلى كاهنة من كهات العرب، فسجعت
عليه من كهاتنها بالآلة يدخل مكة عشر سنين، بما استحل من حرمة الكعبة،
فزعوا أنهم أخرجه من مكة، فكان في حوّلها عشر سنين؛ وكان البحر قد
رمى بسفينة إلى جدّة لرجل من تجار الروم، فتحطمت، فأخذوا خشبها
فأعدّوه لسفّفيها، وكان بمكة رجل قبليّ نجار، فتهمّأ لم في أنفسهم
بعض ما يصلحها، وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي يطرح فيها
ما يهدى لها كلّ يوم، فتشرف على جدار الكعبة، فكانوا يهابونها، وذلك
أنه كان لا يدنو منها أحدٌ إلا احزألت وكشت^(١) وفتحت فاهاً، فبينما هي
يوماً تشرف على جدار الكعبة كما كانت تصنع، بعث الله عليها طائراً،
فاختطفها فذهب بها، فقالت قريش: إنا لنرجو أن يكون الله عزّ وجلّ قد
رضي ما أردنا. عندنا عامل رقيق، وعندنا خشب، وقد كفانا الله [أمر]^(٢)
الحية. وذلك بعد الفجار بخمس عشرة سنة، ورسول الله صلى الله عليه
وسلم عاميئذٍ ابن خمس وثلاثين سنة.

فلما أجمعوا أمرهم في هدمها وبنائها، قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ
ابن عمران بن مخزوم، فتناول من الكعبة حجراً، فوثب من يده، حتى
رجع إلى موضعه، فقال: يا معشر قريش، لا تدخلوا في بنيانها من كسبكم
إلا طيباً، ولا تدخلوا فيها مهتر بغي، ولا بيع رباً، ولا مظلمة أحدٍ
من الناس.

قال: والناس يستحلون هذا الكلام الوليد بن المغيرة^(٣)؛ حدثنا ابن
حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، عن عبد الله
ابن أبي نجيح المكي، أنه حدث عن عبد الله بن صفوان بن أمية بن

(١) احزألت: انضمت خوفاً، وكشت: صوت لاحتكاك بعض جلدها ببعض.

(٢) تكله من ح.

(٣) هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم.

خلف^(١) ، أنه رأى ابناً لـجعدة بن هُبَيْرَة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ ابن عمران بن مخزوم يطوف بالبيت ، فسأل عنه فقيل له : هذا ابنُ لـجعدة ابن هُبَيْرَة ، فقال عند ذلك عبد الله بن صفوان جَدُّ هذا — يعني أبا وهب الذي أخذ من الكعبة حجراً حين اجتمعت قريش لهدمها ، فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه ، فقال عند ذلك : يا معشر قريش ، لا تُدْخِلُوا في بنيانها من كَسْبِكُمْ إِلَّا طَيِّبًا ، لا تُدْخِلُوا فيها مَهْرَ بَنِي ، ولا بيع ربنا ولا مظلمة أحد .

وأبو وهب خال أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان شريفاً^(٢) .

١١٢٧/١ حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سَلَمَة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثم إنَّ قُرَيْشًا تَجَزَّأت الكعبة ، فكان شِقُّ الباب لبني عيد مناف وزُهرة ، وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وتَيْمٍ وقِبَاطٍ من قريش ، ضَمُّوا إليهم ، وكان ظهر الكعبة لبني جُمَحٍ وبني سَهْمٍ^(٣) ، وكان شِقُّ الحِجَرِ — وهو الحطيم — لبني عبد الدار بن قصي ولبني أسد بن عبد العزى بن قصي ، وبني عدى بن كعب .

ثم إنَّ النَّاسَ هَابُوا هَدْمَهَا وَفَرَّقُوا مِنْهَا ، فقال الوليد بن المغيرة : أنا

(١) بعده في ابن هشام : « ابن وهب بن حنافة بن جمح بن عمرو بن هيصم بن كعب

بن لؤي » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ١٣٠ ، ١٣١ ، وفيها : وله يقول شاعر من العرب :

وَلَوْ بِأَبِي وَهْبٍ أَخَذْتُ مَطْلِي
بَأَيِّضٍ مِنْ فَرْعَى لَوْىِ بْنِ غَالِبٍ
إِذَا حُصِّلَتْ أُنْسَابُهَا فِي الذَّوَابِ
تَوَسَّطَ جَدَّاهُ فَرْوَعُ الْأَطْيَابِ
أَبِي لَأَخَذَ الضَّمِيمَ يَرْتاحَ لِلنَّدَى
مِنْ الْخُبْرِ يَمْلُوهُنَّ مِثْلُ السَّبَابِ
عَظِيمٍ رَمَادِ الْقَدْرِ يَمَلَأُ جِفَانَهُ

(٣) في ابن هشام : « لبني جمح وسهم ابني عمرو بن هيصم بن كعب بن لؤي » .

أبدؤكم في هدمها ، فأخذ المعنول ثم قام عليها ، وهو يقول : اللهم لم ترع^(١) ، اللهم لا نريد إلا الخير . ثم هدم من ناحية الركنين ، فتربص الناس به تلك الليلة ، وقالوا : ننظر ؛ فإن أصيب لم نهدم منها شيئاً ؛ ورددناها كما كانت ؛ وإن لم يصبه شيء فقد رضي الله ما صنعنا هدمنا^(٢) .

فأصبح الوليد من ليته غادياً على عمله ، فهدم والناس معه ؛ حتى انتهى الهدم إلى الأساس ، فأفصوا إلى حجارة خضر كأنها أسنة^(٣) آخذ بعضها ببعض^(٤) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن ١١٣٨/١ إسحاق ، عن بعض من يروي الحديث ، أن رجلاً من قريش ممن كان يهدمها ، أدخل عسلة بين حجرين منها ، ليقلع بها أحدها ، فلما تحرك الحجر انتفضت^(٥) مكة بأسرها ، فانتهوا عند ذلك إلى الأساس^(٦) .

قال : ثم إن القبائل جمعت الحجارة لبنائها ، جعلت كل قبيلة تجمع على حديتها ، ثم بنوا حتى إذا بلغ البنيان موضع الركن اختصموا فيه ؛ كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى ؛ حتى تجاوزوا^(٧) وتحالفوا وتواعدوا للقتال ؛ فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دماً ؛ ثم تعافدوا هم

(١) قال السهيلي : « قولهم : اللهم لم ترع ؛ هي كلمة تقال عند تسكين الروح والتأنيس وإظهار العين والبر في القول ؛ ولا روح في هذا الموضع فينبى ؛ ولكن الكلمة تقتضى إظهار قصد البر ؛ فذلك تكلموا بها ؛ وعلى هذا يجوز التكلم بها في الإسلام ؛ وإن كان فيها ذكر الروح الذي هو محال في حق الباري تعالى ؛ ولكن لما كان المقصود ما ذكرنا جاز النطق بها ، ويرى أيضاً : اللهم لم ترع ، وهو جل لا يشكل » .

(٢) في ابن هشام : « فقد رضي الله ما صنعنا هدمنا » .

(٣) ابن هشام : « أسنة » . قال السهيلي : « وتشبهها بالأسنة لا تشبه بها إلا في الزرقة ، وتشبهها بأسنة الإبل أولى لمطها » .

(٤) سيرة ابن هشام ١ : ١٣١ .

(٥) في ابن هشام : « تنفضت » ، أي اهتزت .

(٦) تجاوزوا ؛ أي انحازت كل قبيلة إلى جهة ، وفي إحدى نسخ ابن هشام : « تجاوزوا » ، أي تجادلوا وكثر الكلام والحوار بينهم .

وبنو عدى بن كعب على الموت ، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في الجفنة ؛ فسُموا لَحَقَّةَ الدم بذلك ؛ فكثت قريش أربع ليالٍ — أو خمس ليالٍ — على ذلك . ثم إنهم اجتمعوا في المسجد ، فتشاوروا وتناصفوا ؛ فزعم بعضُ الرواة أن أبا أمية ابن المغيرة كان عامئذ أسن^(١) قريش كلها ، قال : يا معشر قريش ؛ اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أولَ مَنْ يدخلُ من باب هذا المسجد ، يقضي بينكم فيه ؛ فكان أولَ مَنْ دخل عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، قد رَضِينَا به ؛ هذا محمد . فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر ، قال : هَلُمَّ لِي ثوبًا^(٢) ، فَأَتَيْتْ به . فَأَخَذَ الرُّكْنَ ، فَوَضَعَهُ فِيهِ يَدَهُ ثُمَّ قَالَ : لَتَأْخُذَ كُلُّ قَبِيلَةٍ بِنَاحِيَةٍ مِنَ التَّوْبِ ، ثُمَّ أَرْفَعُوهُ جَمِيعًا ، ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه ، وضعه يده ، ثم بُنِيَ عليه ؛ وكانت قريش تسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يتزل عليه الوحي الأمين^(٣) .

قال أبو جعفر : وكان بناءُ قريش الكعبة بعد الفِجَارِ بخمس عشرة سنة ، وكان بين عام الفيل وعام الفِجَارِ عشرون سنة .

• • •

واختلف السَّلَفُ في سنِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نُبِّيَ كَمْ كانت ؟ فقال بعضهم : نُبِّيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما بنت قريش الكعبة بخمس سنين ؛ وبعد ما تمت له من مولده أربعون سنة .

• ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن خلف السقلاني ، قال : حدثنا آدم ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، قال : حدثنا أبو جَمْرَةَ الضَّبْعِيُّ ، عن ابن عباس ، قال : بُعِثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة .

(١) ر : « أشرف » .

(٢) ح : « هلموا إلي ثوب » .

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ١٣١ ، ١٣٢

حدثنا عمرو بن علي وابن المنثي ، قالا : حدثنا يحيى بن محمد بن قيس
قال : سمعت ربيعة بن أبي عبد الرحمن يذكر عن أنس بن مالك ، أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم بُعث على رأس أربعين .

حدثنا العباس بن الوليد ، قال : أخبرني أبي ، قال : حدثنا الأوزاعي ،
قال : حدثني ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، قال : حدثني أنس بن مالك
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بُعث على رأس أربعين .

حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ، قال : حدثنا عمرو بن أبي سلمة ،
عن الأوزاعي ، قال : حدثني ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، قال : حدثني ١١٢٠/١
أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بُعث على رأس أربعين .

حدثني أبو شَرَحْبِيل الحمصي ، قال : حدثني أبو اليان ، قال :
حدثنا إسماعيل بن عيَّاش ، عن يحيى بن سعيد ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ،
عن أنس بن مالك ، قال : أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن
أربعين .

حدثنا ابن المنثي ، قال : حدثنا الحجاج بن المنهال ، قال : حدثنا
حمَّاد ، قال : حدثنا عمرو بن دينار ، عن عروة بن الزبير ، قال : بُعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين .

حدثنا ابن المنثي ، قال : حدثنا الحجاج ، عن حمَّاد ، قال : أخبرنا
عمرو ، عن يحيى بن جَعْلَةَ ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لفاطمة : إنه كان يُعرض على القرآن كلَّ عام مرَّةً ، وإنه قد عُرض على
العام مرتين ، وإنه قد خُيِّلَ لي أن أجلي قد حضر ، وأن أولَّ أهل
لحاقاً^(١) بي أنت ، وإنه لم يُبعث نبي إلا بُعث الذي بعده بنصف من عمره ،
وبعث عيسى لأربعين ، وبُعث لعشرين^(٢) .

(١) ح : « لحاق » . (٢) في ط ، وفي المقاصد الحسة ٣٦٢ :
« وما بعث الله نبياً إلا عاش نصف ما عاش النبي قبله » ، وقوله برواية أخرى في ص ٣٧٢ ،
وقال : إنه موضح .

حدثني عبيد بن محمد الوراق ، قال : حدثنا روح بن عبادة ، قال :
حدثنا هشام ، قال : حدثنا عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : بُعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة ، فكثرت بمكة ثلاث عشرة سنة .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو أسامة ومحمد بن ميمون الزعفراني ،
عن هشام بن حسان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : بُعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه وهو ابن أربعين سنة ، فكثرت بمكة ثلاث
عشرة سنة . ١١٤١/١

• • •

وقال آخرون : بل نُبئ حين نُبئ وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا أحمد بن ثابت الرازي ، قال : حدثنا أحمد ، قال : حدثنا
يحيى بن سعيد ، عن هشام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : أنزل
على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن يحيى بن سعيد ، عن
سعيد بن المسيب ، قال : أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي وهو
ابن ثلاث وأربعين سنة .

حدثنا ابن المنني ، قال : حدثنا عبد الوهاب ، قال : حدثنا يحيى
ابن سعيد ، قال : سمعت سعيداً - يعني ابن المسيب - يقول : أنزل على رسول
الله صلى الله عليه وسلم الوحي ، وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

ذكر اليوم الذى نُبئ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم

من الشهر الذى نُبئ فيه وما جاء فى ذلك

قال أبو جعفر : صحَّ الخبرُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حَدَّثَنَا به ابنُ المنثى ، قال : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، قال : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عن غَيْثَانَ بْنِ جَرِيرٍ ، أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَعْبُدِ الرَّمَّانِيَّ ، عن أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل عن صَوْمِ الْاِثْنَيْنِ ، فقال : ذَلِكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ ، وَيَوْمَ بَعِثْتُ — أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورٍ ، قال : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى الْأَشْجَبِيِّ ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو هِلَالٍ ، قال : حَدَّثَنَا غَيْثَانُ بْنُ جَرِيرٍ الْمُعَوَّلِيُّ قال : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعْبُدِ الرَّمَّانِيَّ ، عن أَبِي قَتَادَةَ ، عن عمرِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، صَوْمُ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ ؟ قال : ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ ، وَيَوْمَ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ فِيهِ النَّبُوءَةُ .

حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ ، قال : حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ دَاوُدَ ، عن ابنِ لَهَيْجَةَ ، عن خَالِدِ بْنِ أَبِي عِمْرَانَ ، عن حَنْشِ الصَّنْعَانِيِّ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ ، قال : وَلَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ، وَاسْتَنْبَيْ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ^(١) .

قال أبو جعفر : وهذا مما لا خلاف فيه بين أهل العلم .

• • •

واختلفوا فى أىِّ الْاِثْنَيْنِ كَانَ ذَلِكَ ؟ فقال بعضهم : نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِثَمَانِي عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ رَمَضَانَ .

• ذكر من قال ذلك :

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قال : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قال : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، عن الْحَسَنِ بْنِ دِينَارٍ ، عن أَيُّوبَ ، عن أَبِي قُلَابَةَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ

البحرئى ، أنه كان يقول - فيما بلغه وانتهى إليه من العلم : أنزل الفرقان على رسول الله صلى الله عليه وسلم لثمانى عشرة ليلة خلت من رمضان .

• • •

وقال آخرون : بل أنزل لأربع وعشرين ليلة خلت منه .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني من لا يتهم ^(١) ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ابن دعامه السدوسي ، عن أبي الجلود ، قال : نزل الفرقان لأربع وعشرين ليلة خلت من رمضان .

• • •

وقال آخرون : بل نزل لسبع عشرة خلت من شهر رمضان ؛ واستشهدوا ^(٢) ١١٤٣/١ لتحقيق ذلك بقول الله عز وجل : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّفَافُتِ الْجَمْعَانِ ﴾ ^(٣) ؛ وذلك ملتقى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركون بيداً ، وأن التقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركون بيداً كان صبيحة سبع عشرة من رمضان .

• • •

قال أبو جعفر : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل أن يظهر له ^(٤) جبريل عليه السلام برسالة الله عز وجل إليه - فيما ذكر عنه - يرى ويعاين آثاراً وأسباباً من آثار من يريد الله إكرامه واختصاصه بفضله ؛ فكان من ذلك ما قد ذكرت فيما مضى من خبره عن الملكيين اللذين أتياه فشققا بطنه ، واستخرجا ما فيه من الغل والدنس ؛ وهو عند أمه من

(١) ح : « آثم » .

(٢) ر ، م : « واستشهد لتحقيق قوله » .

(٣) سورة الأنفال ٤١ .

(٤) ح : « عليه » .

الرضا حكيمة ، ومن ذلك أنه كان إذا مرّ في طريق لا يمرّ - فيما ذكر - عنه بشجرٍ ولا حَجَرٍ فيه إلّا سلّم عليه .

حدّثني الحارث بن محمّد ، قال : حدّثنا محمّد بن سعد ، قال : أخبرنا محمّد بن عمر ، قال : حدّثنا عليّ بن محمّد بن عبيد الله بن عمر بن الخطّاب ، عن منصور بن عبد الرحمن ، عن أمّه ، عن برّة بنت أبي تجرة ، قالت : إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم حين أراد الله كرامته وابتدأه^(١) بالنبوة ، كان إذا خرج لحاجته أبعدَ حتى لا يرى بيتاً ، ويفضّي إلى الشُعاب ويطون الأودية ، فلا يمرّ بحجرٍ ولا شجرةٍ إلّا قالت : السّلام عليك يا رسول الله ، فكان يلتفتُ عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحداً^(٢) .

قال أبو جعفر : وكانت الأمّ تتحدّث بمبعثه وتخبر علماء كلّ أمة منها قومها بذلك ؛ وقد حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثني عليّ بن عيسى الحكمي ، عن أبيه ، عن عامر بن ربيعة ، قال : سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يقول : أنا أنظر نبياً من ولد إسماعيل ، ثم من بني عبد المطلب ولا أراي أدركه ؛ وأنا أؤمن به وأصدقه ، وأشهد أنه نبيّ ، فإن طال بك مدّة فرايته ، فأقرته مني السّلام ، وسأخبرك ما نعتُهُ حتى لا يخفى عليك ! قلت : هلّم ، قال : هو رجل ليس بالقصير ولا بالطويل ، ولا بكثير الشعر ولا بقليله ، وليست تفارق عينه حمرة ، وخاتم النبوة بين كتفيه ، واسمه أحمد ، وهذا البلد مولدُهُ ومبعثه ، ثم يخرجهُ قومه منها ، ويكرهون ما جاء به ، حتى يهاجرَ إلى يثرب فيظهر أمرُهُ ؛ فلربّما أن تُحدّث عنه ، فإنّي طُفئت البلادَ كلّها أطلب^(٣) دين إبراهيم ، فكلّ من أسأل من اليهود والنصارى والمجوس يقولون : هذا الدّين وراعه ، وينعتونه مثل ما نعتُهُ لك ؛ ويقولون : لم يبق نبيٌّ غيره^(٤) .

(١) م : « فابتدأ » .

(٢) طبقات ابن سعد ١ : ١٥٧ .

(٣) كذا في ح ، ر وطبقات ابن سعد ، وفي ط : « لطلب » .

(٤) طبقات ابن سعد ١ : ١٦٢ ، ١٦١ .

قال عامر: فلما أسلمتُ أخبرْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قول زيد ابن عمرو وأقرأته منه السلام، فردَّ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم؛ وترحم^(١) عليه، وقال: قد رأيته في الجنة يسحبُ ذيولاً.

حدثنا ابن حميد، قال: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عن ابن إسحاق عَمَّنْ لَا يُتَّبَعُ، عن عبد الله بن كعب مولى عثمان، أَنَّهُ حَدَّثَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ بَيْنَا هُوَ جَالِسٌ فِي النَّاسِ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ دَاخِلٌ^(٢) الْمَسْجِدَ، يُرِيدُ عُمَرَ - يَعْنِي ابْنَ الْخَطَّابِ - فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ عُمَرُ قَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ لَعَلِّي شَرِّكَهُ بَعْدَ، مَا فَارَقَهُ - أَوْ لَقَدْ كَانَ كَاهِنًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ - فَسَلَّمَ عَلَيْهِ الرَّجُلُ، ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: هَلْ أَسْلَمْتَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: هَلْ كُنْتَ كَاهِنًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ^(٣): سَبَّحَانَ اللَّهِ! لَقَدْ اسْتَقْبَلْتَنِي^(٤) بِأَمْرِ مَا أَرَاكَ قُلْتَهُ لِأَحَدٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ مِنْذُ وَلِيتَ! فَقَالَ عُمَرُ: اللَّهُمَّ غَشِّرْهُ، قَدْ كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَلَى شَرٍّ مِنْ ذَلِكَ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَعْتَقُ الْأَوْثَانَ حَتَّى أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ. فَقَالَ: نَعَمْ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ لَقَدْ كُنْتُ كَاهِنًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ. قَالَ: فَأَخْبِرْنَا مَا أَعْجَبَ مَا جَاءَكَ بِهِ صَاحِبُكَ. قَالَ: جَاءَنِي قَبْلَ الْإِسْلَامِ بِشَهْرٍ - أَوْ سَنَةٍ - فَقَالَ لِي: «أَلَمْ تَرِ إِلَى الْجَنِّ وَالْإِبِلِ سَهَاءً، وَإِبِلِهَا مِنْ دِينِهَا، وَلِخَوَافِهَا بِالْقِلَاصِ وَأَحْلَاسِهَا^(٥)!». قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ عِنْدَ ذَلِكَ يَحْدِثُ النَّاسَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَعِنْدَ وَثْنٍ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي نَفَرٍ مِنْ قَرِيشٍ؛ قَدْ ذَبَحَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ عَجَلًا فَنَحْنُ نَنْظُرُ قَسَمَهُ لِيَقْسِمَ لَنَا مِنْهُ، إِذْ سَمِعْتُ مِنْ جَوْفِ الْعَجَلِ صَوْتًا مَا سَمِعْتُ صَوْتًا قَطُّ أَنْفَذَ مِنْهُ؛ وَذَلِكَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ بِشَهْرٍ أَوْ شَبَعِهِ^(٥)، يَقُولُ: يَا آلَ ذَرِيحٍ؛

(١) كُتِبَ فِي رِوَايَةِ هَذَا: «رَحِمَ عَلَيْهِ». (٢) ابْنُ هِشَامٍ: «دَاخِلًا».

(٣-٢) ابْنُ هِشَامٍ: «سَبَّحَانَ اللَّهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ»، لَقَدْ خَلَّتْ فِيَّ، وَاسْتَقْبَلْتَنِي بِأَمْرِ مَا أَرَاكَ قُلْتَهُ لِأَحَدٍ».

(٤) قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: هَذَا الْكَلَامُ سَجْعٌ وَلَيْسَ بِشِعْرِ. وَالْإِبِلَاسُ: الْفَلَّةُ. وَالْإِبِلَاسُ: الْيَأْسُ. وَالْقِلَاصُ مِنَ الْإِبِلِ: الْفَتِيَّةُ. وَالْأَحْلَاسُ: جَمْعُ حَلَسَ، وَهُوَ الْكِسَاءُ يُضَعُّ عَلَى ظَهْرِ الْبَيْرِ.

(٥) كَذَا فِي ابْنِ هِشَامٍ، قَالَ السَّيْلِيُّ: «أَوْ شِعْمِهِ»، أَيْ دَوَّاهُ بَقِيلٍ، وَشِعْ كَثْرَةُ شَيْءٍ. مَا هُوَ تَبِعَ لَهُ. «رَفِطٌ»: «أَوْ سَنَةٌ»، وَالْأَجْوَدُ مَا أَتَيْتَهُ عَنْ ابْنِ هِشَامٍ.

أَمَرٌ نَجِيعٌ ، وَرَجُلٌ بِصِيحٌ ، يَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ^(١) .

حدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُجَاهِدٍ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ،
عَنِ الزَّهْرِيِّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ ، مَوْلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، مِثْلَهُ .

حدَّثَنَا الْحَارِثُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو
قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنِ الزَّهْرِيِّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ،
عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ صَمِّ بَيَّوَانَةَ قَبْلَ أَنْ يَبْعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بَشِيرًا ، نَحْنُ جَزُورًا ، فَلَمَّا صَاحَّ بِصِيحٍ مِنْ جَنُوفٍ وَاحِدَةٍ :
اسْمَعُوا إِلَى الْعَجَبِ ! ذَهَبَ اسْتِرَاقَ الرُّوحِ ، وَنَزَى بِالشَّهْبِ لَنَبِيٍّ بِمَكَّةَ اسْمُهُ أَحْمَدُ ،
مُهَاجِرُهُ إِلَى يَثْرِبَ . قَالَ : فَأَمْسَكْنَا ، وَعَجَبْنَا ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) .

حدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ سَنَانَ الْقَطَّانُ الْوَاسِطِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ قَالَ :
حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ ، عَنْ أَبِي ظَبْيَانَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَامِرٍ
أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : أَرْنِي الْخَاتَمَ الَّذِي بَيْنَ كَتِفَيْكَ ، فَلَمَّا يَكُ
بِكَ ^(٣) طِبُّ دَاوِيَتُكَ ، فَلَمَّا أَطَبَّ الْعَرَبُ ، قَالَ : أَتُحِبُّ أَنْ أُرِيكَ آيَةً ؟
قَالَ : نَعَمْ ، أَدْعُ ذَاكَ الْعِذْقَ ، قَالَ : فَظَنَرُ إِلَى عِذْقٍ فِي نَخْلَةٍ ، فَدَعَاهُ
فَجَعَلَ يَنْقُرُ ^(٤) ، حَتَّى قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، قَالَ : قُلْ لَهُ فَلْيَرْجِعْ ، فَجَرَعَ ،
فَقَالَ الْعَامِرِيُّ : يَا بَنِي عَامِرٍ ، مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ أُسْحَرُ !

• • •

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَالْأَخْبَارُ عَنِ الدَّلَالَةِ عَلَى نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرُ
مِنْ أَنْ تُحْصَى ، وَلِذَلِكَ كُتِبَ بِفَرْدٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَنَرْجِعُ الْآنَ إِلَى :

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٣٩ — ١٤٠ .

(٢) طبقات ابن سعد ١ : ١٦١ .

(٣) الطبَّ هَا هُنَا : السَّحَرُ .

(٤) النَّقْرُ : الْوُثْبُ .

ذكر الخبر عما كان من أمر نبي الله صلى الله عليه وسلم

عند ابتداء الله تعالى ذكره إياه بإكرامه بإرسال

جبريل عليه السلام إليه بوحيه

قال أبو جعفر : قد ذكرنا قبل بعض الأخبار الواردة عن أول وقت

عجىء جبريل نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم بالوحي من الله ، وكما كان من

النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ ؛ ونذكر الآن صفة ابتداء جبريل إياه بالمصير ١١٤٧/١

إليه ، وظهوره له بتزليل ربه .

فحدثني أحمد بن عثمان المعروف بأبي الجوزاء ، قال : حدثنا وهب

ابن جبر ، قال : حدثنا أبي ، قال : سمعت النعمان بن راشد ، يحدث عن

الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة أنها قالت : كان أول ما ابتدئ به رسول

الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة ، كانت تجيء مثل فلتق

الصبيح ، ثم حُشِبَ إليه الخلاء ، فكان بغار بجرا يتحنث فيه الليالي ذوات

العدد قبل أن يرجع إلى أهله ، ثم يرجع إلى أهله ، فيتروّد لملها ، حتى فجأه

الحق ، فاتاه ، فقال : يا محمد ، أنت رسول الله ! قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : فجئت لركبتي وأنا قائم ، ثم زحفت^(١) ترجف بوادري^(٢) ، ثم

دخلت على خديجة ، فقلت : زملوني ، زملوني ! حتى ذهب عني الروع ،

ثم أتاني فقال : يا محمد ، أنت رسول الله . قال : فلقد هممت أن أطرح

نفسى من حالي من جبل ، فتبدى لى حين هممت بذلك ، فقال : يا محمد ،

أنا جبريل ، وأنت رسول الله . ثم قال : اقرأ ، قلت : ما أقرأ ؟ قال : فأخذنى

ففتنى ثلاث مرات ، حتى بلغ منى الجهد ، ثم قال : ﴿ اقرأ باسم ربك الذى

الذى خلق ﴾^(٣) ، فقرأت . فأتيت خديجة . فقلت : لقد أشفقت على نفسى ، فأخبرتها

خبرى ، فقالت : أبشِرْ ، فوالله لا يخزيك الله أبداً ؛ والله إنك لتسعى

(١) ر والتفسير : « رجعت » .

(٢) ر والتفسير : « فؤادى » .

(٣) سورة الفلق ١ .

الرَّحِيم ، وَتَصَدَّقُ الْحَدِيثَ ، وَتُؤَدِّي الْأَمَانَةَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّاءَ وَتَقْرِئُ الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ . ثُمَّ انْطَلَقْتُ بِي إِلَى وَرَقَةَ بْنِ نُوْفَلٍ بْنِ أَسَدٍ ، قَالَتْ : اسْمِعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ ، فَسَأَلَنِي فَأَخْبَرْتُهُ خَبْرِي ، فَقَالَ : هَذَا التَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ ، لَيْتَنِي فِيهَا جَدَّعٌ ! لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يَخْرُجُكَ قَوْمُكَ ! قُلْتُ : أَمْخُرجيَّ هُم ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ إِنَّهُ لَمْ يَحْيَ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جَنَّتْ بِهِ إِلَّا عَوْدِي ، وَلَنْ أَدْرِكَنِي يَوْمَكَ أَنْصَرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا^(١) .

ثُمَّ كَانَ أَوَّلُ مَا نَزَلَ عَلَى مِنَ الْقُرْآنِ بَعْدَ « اقْرَأْ » : ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ . مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ . وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ . وَإِنَّكَ لَمَلَكٌ خَلَقْتَ عَظِيمٌ . فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴾ ، وَ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ وَ﴿ وَالضُّحَى . وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴾^(٢) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي يُونُسُ ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عُرْوَةُ ، أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرْتُهُ . ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَهُ ؛ غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ : « ثُمَّ كَانَ أَوَّلُ مَا أَنْزَلَ عَلَى مِنَ الْقُرْآنِ » . إِلَى آخِرِهِ .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي الشَّوَّارِبِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ الشَّيْبَانِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَّادٍ ، قَالَ : أَتَى جَبْرِيلُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، اقْرَأْ ؟ فَقَالَ : مَا أَقْرَأُ ؟ قَالَ : فَضَمَّتْهُ^(١) ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، اقْرَأْ ، قَالَ : مَا أَقْرَأُ ؟ قَالَ : فَضَمَّتْهُ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، اقْرَأْ ، قَالَ : وَمَا أَقْرَأُ ؟ قَالَ : ﴿ اقْرَأْ بِأَمْرِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ، قَالَ : فَجَاءَ إِلَى خَدِيجَةَ ، فَقَالَ : يَا خَدِيجَةُ ، مَا أَرَأَيْتَ إِلَّا قَدْ عُرِضَ^(٢) لِي ، قَالَتْ : كَلَّا وَاللَّهِ مَا كَانَ رَبُّكَ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِكَ ؛ مَا أَتَيْتَ فَاحِشَةً قَطُّ . قَالَ : فَأَتَتْ

(١) الخبر في التفسير ٣٠ : ١٦١ ، ١٦٢ (بولاقي) .

(٢) ط : « فغمه » ، وما أتيت من التفسير .

(٣) عرض لي ، أي أصابني من الجن . وانظر النهاية لابن الأثير ٣ : ٨٣ .

١١٤٩/١ خديجةُ ورقةُ بن نوفل فأخبرته الخبر ، فقال : لئن كنت صادقة ، إن زوجك لنبي ، وليلقين من أمته شدة ، ولئن أدركته لأومنين به .

قال : ثم أبطا عليه جبريل ، فقالت له خديجة : ما أرى ربك إلا قد قلاك ، قال : فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَالضُّحَى ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ۝ ﴾ (١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني وهب بن كيسان مولى آل الزبير ، قال : سمعتُ عبد الله بن الزبير ، وهو يقول لعبيد بن عمير بن قَتَادَةَ اللَّيْثِ : حدثنا يا عبيد كيف كان بدء ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين جاء جبريل عليه السلام ؟ فقال عبيد - وأنا حاضر يحدث عبد الله بن الزبير ومن عنده من الناس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور في حراء من كل سنة شهراً ، وكان ذلك مما تحنث^(٢) به قريش في الجاهلية - والتحنث : التبرر - وقال أبو طالب :

• وَرَأَى لِرَبِّهِ فِي حِرَاءٍ وَنَازِلٍ • (٣)

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور ذلك الشهر من كل سنة ، يطعم من جاءه من المساكين ، فإذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره من شهره ذلك ، كان أول ما يبدأ به - إذا انصرف من جواره - الكعبة قبل أن يدخل بيته ، فيطوف بها سبعاً ، أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته ، حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله عز وجل فيه ما أراد من كرامته ، من السنة التي بعثه فيها ؛ وذلك في شهر رمضان ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حراء - كما كان يخرج لجواره - معه أهله ؛ حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالة ورحم العباد بها ، جاءه جبريل بأمر الله فقال رسول الله صلى الله

(١) الخبر في التفسير ٣٠ : ١٦٢ (بولاق) .

(٢) ح : « تحنث » .

(٣) صدره في ابن هشام :

• وَثَوَّرَ وَمَنْ أَرَسَى ثَبِيرًا مَكَاتَهُ •

عليه وسلم ، فجاءني وأنا نائم بنمط من ديباج ، فيه كتاب ، فقال :
اقرأ ، فقلت : ما أقرأ ؟ فغتنى ^(١) ، حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال :
اقرأ ، فقلت : ماذا أقرأ ؟ وما أقول ذلك إلا اقتداءً منه أن يعود إلى بمثل
ما صنع بي ، قال : ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ إلى قوله : ﴿ عَلَّمَ
الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ، قال : فقرأته ، قال : ثم انتهى ، ثم انصرف عني
وهيبت من نومي ، وكأنما كتب في قلبي كتاباً .

قال : ولم يكن من خلقت الله أحدٌ أبغضَ إليّ من شاعر أو مجنون ؛
كنت لا أطيق أن أنظر إليهما ، قال : قلت إنَّ الأبعدَ - يعني نفسه -
لشاعر أو مجنون ، لاتحدث بها عني قريش أبداً ! لأعمدنَّ إلى حالتي من
الجليل فلا أطرحنَّ نفسي منه فلاقتلنها فلاستريحنَّ .

قال : فخرجت أريد ذلك ؛ حتى إذا كنت في وسطٍ من الجبل ؛ سمعت
صوتاً من السماء يقول : يا محمد ، أنت رسول الله ، وأنا جبريل ، قال :
فوفعت رأسي إلى السماء ؛ فإذا جبرئيلُ في صورة رجل صافٍ قدميه في أفق
السماء ، يقول : يا محمد ، أنت رسول الله وأنا جبرئيل . قال : فوفقت أنظرُ
إليه ، وشغلني ذلك عما أردت ؛ فما أتقدّم وما تأخر ، وجعلت أصرف وجهي
عنه في آفاق السماء فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك ؛ فما زلتُ واقفاً
ما أتقدّم أمامي ، ولا أرجع ورأى ؛ حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي ؛ حتى
بلغوا مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني . ثم انصرف عني وانصرف راجعاً
إلى أهلي ؛ حتى أتيت خديجة ، فجلست إلى فخذها مضيقاً ^(٢) ، فقالت :
يا أبا القاسم ؛ أين كنت ؟ فوالله لقد بعثت رسل في طلبك ، حتى بلغوا
مكة ورجعوا إليّ . قال : قلت لها : إنَّ الأبعدَ لشاعر أو مجنون ، فقالت :

١١٥١/١

(١) قال ابن الأثير : « الت والفظ سواء ؛ كأنه أراد : عصفري عصفراً شديداً حتى وجدت

منه المشقة ، كما يجده من يغمس في الماء قهراً » .

(٢) مضيقاً ، أى ملتصقاً بها مائلاً إليها ؛ أضفت إلى الرجل ؛ إذا ملت نحوه ولصقت به .

أعنيك بالله من ذلك يا أبا القاسم ! ما كان الله ليصنع ذلك بك مع ما أعلم منك من صدق حديثك ، وعظم أمانتك ، وحسن خلقك ، وصلة رحمك ! وما ذاك يا بن عم ! لعلك رأيت شيئاً ؟ قال : فقلت لها : نعم . ثم حدثتها بالذي رأيت ، فقالت : أبشّر يا بن عمّ واثبت ، فالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة ، ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد - وهو ابن عمها ، وكان ورقة قد تنصّر وقرأ الكتب ، وسمع من أهل التوراة والإنجيل - فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى وسمع ، فقال ورقة : قدّوس ، قدّوس ! والذي نفس ورقة بيده ، لئن كنت صدقتني يا خديجة ، لقد جاءه الناموس الأكبر - يعنى بالناموس جبرئيل عليه السلام الذي كان يأتي موسى - وإنه لنبي هذه الأمة ، فقول له فليثبت . فرجعت خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته بقول ورقة ، فسهّل ذلك عليه بعض ما هو فيه من الهم ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره ، وانصرف صنع كما كان يصنع ، وبدأ بالكعبة فطاف بها . فلقيه ورقة بن نوفل ، وهو يطوف بالبيت ، فقال : يا بن أخي ، أخبرني بما رأيت أو سمعت ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له ورقة : والذي نفسى بيده ، إنك لنبي هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء إلى موسى ، ولتكذبه وتؤذيه ، ولتخرجه ، ولتقاتله ، ولئن أنا أدركت ذلك لأنصرك الله نصراً يعلمه . ثم أدنى رأسه فقبل يافوخه ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى منزله^(١) .

وقد زاده ذلك من قول ورقة ثباتاً ، وخفف عنه بعض ما كان فيه من الهم . فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن إسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير ، أنه حدث عن

(١) أصل الناموس ، هو صاحب سر الرجل في خيره وشره ؛ فمهر عن الملك الذي جاء بالوحى

بذلك .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ١٥٢ - ١٥٦ .

خديجة أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يشته فيما أكرمه الله به من نبوته : يابن عمّ ، أستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك ؟ قال : نعم ، قالت : فإذا جاءك فأخبرني به ، فجاءه جبرئيل عليه السلام كما كان يأتيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سبيجة : يا خديجة هذا جبرئيل قد جاءني ، فقالت : نعم ، فقم يابن عمّ ، فاجلس على فخذي اليسرى ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عليها ، قالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، قالت : فتحوّل فاقعد على فخذي اليمنى ، فتحوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عليها ، فقالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، قالت : فتحوّل فاجلس في حجرى ، فتحوّل فجلس في حجرها ، قالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، فتحسّرت ، فألقت خيماها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في حجرها ، ثم قالت : هل تراه ؟ قال : لا ، فقالت : يابن عمّ ، أثبت وأبشر ، فوالله إنه لملك وما هو بشيطان ^(١) .

فحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : وحدثت بهذا الحديث عبد الله بن الحسن ، فقال : قد سمعت أمي فاطمة بنت الحسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة ، إلا أني قد سمعتها تقول : أدخلت رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها وبين درعها ، فذهب عند ذلك جبرئيل ، فقالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذا لملك ، وما هو بشيطان ^(١) .

حدثنا ابنُ المثنى ، قال : حدثنا عثمان بن عمر بن فارس ، قال : حدثنا علي بن المبارك ، عن يحيى - يعنى ابن أبي كثير - قال : سألت أبا سلمة : أى القرآن أنزل أول ؟ فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ، فقلت : يقولون : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ ! فقال أبو سلمة : سألت جابر بن عبد الله : أى القرآن أنزل أول ؟ فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ، فقلت : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ ، فقال : لا أخبرك إلا ما حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : جاورت في حرّاء ، فلما قضيت جوارى ، هبطت فاستبطنت الوادى ،

فَنُودِيْتُ ، فَنظَرْتُ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْ شِمَالِي ، وَخَلَقْتُ وَقُدَّامِي ، فَلَمْ أَرْ شَيْئًا ،
فَنظَرْتُ فَوْقَ رَأْسِي ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى عَرْشٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ،
فَخَشِيتُ مِنْهُ قَالَ ابْنُ الْمُنْتَنَى : هَكَذَا قَالَ عُمَانُ بْنُ عَمْرِو ، وَإِنَّمَا هُوَ «فَجُشْتُ مِنْهُ» (١)
— فَلَقِيتُ خَدِيجَةَ ، فَقُلْتُ : دَثِّرُونِي ، فَدَثَّرُونِي ، وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً ، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ :
﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْمُبَارَكِ ، عَنْ
يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ ، قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا سَلَمَةَ عَنْ أَوَّلِ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ ،
قَالَ : نَزَلَتْ : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ أَوَّلًا ، قَالَ : قُلْتُ : إِنَّهُمْ يَقُولُونَ : ﴿ أَقْرَأُ بِأَسْمِ
رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ ، فَقَالَ : سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، فَقَالَ : لَا أَحَدَثُكَ
إِلَّا مَا حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : جَاوَرْتُ بِحِوَاءِ ،
فَلَمَّا قَضَيْتُ جَوَارِي ، هَبَطْتُ فَسَمِعْتُ صَوْتًا ، فَنظَرْتُ عَنْ يَمِينِي فَلَمْ أَرْ شَيْئًا ١١٥٤/١
وَعَنْ شِمَالِي فَلَمْ أَرْ شَيْئًا ، وَنَظَرْتُ أَمَامِي فَلَمْ أَرْ شَيْئًا ، وَنَظَرْتُ خَلْفِي فَلَمْ أَرْ
شَيْئًا ، فَفَرَعْتُ رَأْسِي ، فَارْتَيْتُ شَيْئًا ، فَاتَيْتُ خَدِيجَةَ ، فَقُلْتُ : دَثِّرُونِي ،
وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً ، قَالَ : فَدَثَّرُونِي وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا ، فَتَزَلْتُ :
﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ (٢) .

وَحَدَّثْتُ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : أَتَى جَبْرِيلُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلَ مَا أَتَاهُ لَيْلَةَ السَّبْتِ ، وَلَيْلَةَ الْأَحَدِ ، ثُمَّ ظَهَرَ لَهُ بِرِسَالَةِ اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ، فَعَلَّمَهُ الْوُضُوءَ ، وَعَلَّمَهُ الصَّلَاةَ ، وَعَلَّمَهُ : ﴿ أَقْرَأُ بِأَسْمِ
رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ ، وَكَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ، يَوْمَ
أَوْحِيَ إِلَيْهِ ، أَرْبَعُونَ سَنَةً .

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ حَبِيبِ الطُّوسِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ ،
قَالَ : أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ الْقُرَشِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ

(١) جُشْتُ مِنْهُ ، أَيَّ خَفْتُ وَفَزَعْتُ ، وَأَنْظَرُ اللِّسَانَ .

(٢) الْخَبَرُ فِي التَّفْسِيرِ ٢٩ : ٩٠ (بِوَلَاةٍ) .

عروة بن الزبير ، قال : سمعتُ عروة بن الزبير يحدث عن أبي ذر الغفاري قال : قلتُ : يا رسولَ الله ، كيف علمتَ أنك نبيٌّ أوَّل ما علمت ، حتى علمت ذلك واستيقنت ؟ قال : يا أبا ذر ، أتاني ملكان وأنا ببعض بطحاء مكة ، فوقع أحدهما في الأرض والآخر بين السماء والأرض ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : هو هو ، قال : فزنه برجل ، فوزنت برجل فرجحته ، ثم قال : زنه بعشرة ، فوزني بعشرة فرجحتهم ، ثم قال : زنه بمائة ، فوزني بمائة فرجحتهم ^(١) ، ثم قال : زنه بألف ، فوزني بألف فرجحتهم ، فجعلا يمشون ^(٢) على من كفة الميزان ، قال : فقال أحدهما للآخر : لو وزنته بأمتة رجحها . ثم قال أحدهما لصاحبه : شقَّ بطنه ، فشقَّ بطني ، ثم قال أحدهما : أخرج قلبه - أو قال : شقَّ قلبه - فشقَّ قلبي ، فأخرج منه مغمز الشيطان وعلقَ الدَّم ، فطرحها ، ثم قال أحدهما للآخر : اغسل بطنه غسَلُ الإناء ، واغسل قلبه غسَلُ الإناء - أو اغسل قلبه غسَلُ الملاء - ثم دعا بالسَّكينة ، كأنها وجه هرة بيضاء فأدخلت قلبي ، ثم قال أحدهما لصاحبه : خيط بطنه ، فخاطا بطني ، وجعلا الخاتم بين كَتِفَيَّ ، فما هو إلا أن ولّينا عنى فكأنما أعان الأمر معانية .

١١٥٥/١

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، قال : فترَّ الرُّحى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فترة ، فحزن حزناً شديداً ، جعل يغلو إلى رموس شواقي الجبال ليردَّ منها ، فكلما أوقى بنروة جبَل تبدَّى له جبرئيل ، فيقول : إنك نبيٌّ الله ، فيسكن لذلك جأشه ، وترجع إليه نفسه ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحدث عن ذلك ، قال : فيينا أنا أمشي يوماً ، إذ رأيتُ الملك الذي كان يأتيني بحراء ، على كرمي بين السماء والأرض ، فجئشتُ منه رعباً ، فرجعت إلى خديجة ، فقلت : زملوني ، فزملنا - أي دثرناه - فأَنزل الله عزَّ وجلَّ :

(١) د ، م : « فوزنتهم » .

(٢) ح ، ر : « يمشون » .

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ . وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ ، قال الزهري : فكان أول شيء أنزل عليه : ﴿أَفْرَأَ بِأَنْفِهِمْ رَبَّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ حتى بلغ ﴿بَلَا لَمْ يَعْلَمُ﴾^(١) .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، أن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحي : بينا أنا أمشي سمعتُ صوتاً من السماء ، فرفعت رأسي ، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فحُشيت منه فرقتان ، وحشيت فقلت : زملوني ، زملوني ! فذكرني ، فأنزل الله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ إلى قوله : ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ ، قال : ثم تتابع الوحي^(١) .

• • •

قال أبو جعفر : فلما أمر الله عز وجل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقوم بإنذار قومه عقاب الله على ما كانوا عليه مقيمين من كفرهم بربهم وعبادتهم الآلهة والأصنام دون الذي خلقهم ورزقهم ؛ وأن يحدث بنعمة ربه عليه بقوله : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ ، وذلك - فيما زعم ابن إسحاق - النبوة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ ، أي ما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوة فحدث ؛ اذكرها وادع إليها . قال : فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ما أنعم الله عليه وعلى العباد به من النبوة سرّاً إلى من يطمئن إليه من

(١) الخبر في التفسير ٢٩ : ٩٠ (بولاق) .

أهله ؛ فكان أول مَنْ صدّقه وآمن به واتّبعه من خلق الله - فيما ذكر -
زوجته خديجة رحمها الله ^(١) .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : قال الواقدي : أصحابنا
مجمعون على أن أولَ أهل القبلة استجاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
خديجة بنت خويلد رحمها الله .

• • •

قال أبو جعفر : ثم كان أولُ شيء فرّضَ الله عزَّ وجلَّ من شرائع
الإسلام عليه بعد الإقرار بالتوحيد والبراءة من الأوثان والأصنام وخلع الأنداد
الصلاة - فيما ذكر .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن
إسحاق ، قال : وحدثني بعضُ أهل العلم أن الصلوة حين افترضت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتاه جبرئيل وهو بأعلى ^(٢) مكة ، فهمز له بعقبه
في ناحية الوادي ، فانفجرت منه عين ، فتوضأ جبرئيل عليه السلام ، ورسولُ
الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه ليريه كيف الطهور للصلوة ، ثم توضأ
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كما رأى جبرئيل عليه السلام توضأ ، ثم قام جبرئيل
عليه السلام ، فصلّى به وصلى النبي صلى الله عليه وسلم بصلاته . ثم انصرف
جبرئيل عليه السلام ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة ، فتوضأ لها
يُريها كيف الطهور للصلوة ؛ كما أراه جبرئيل عليه السلام ، فتوضأت كما
توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم صلى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما صلى به جبرئيل عليه السلام ، فصلّت بصلاته .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا هارون بن المغيرة وحكّام بن سلم ،

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٦٢ ، ١٦٣

(٢) ح : « بمكة » .

عن عنبسة . عن أبي هاشم الواسطي ، عن ميمون بن سيابة ، عن أنس بن مالك ، قال : لما كان حينُ نبيِّ النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان ينام حول الكعبة ، وكانت قريش تنام حولها ، فأثاء ملكان : جبرئيل وميكائيل ، فقالا : بأيّهم أمرنا ؟ فقالا : أمرنا بسيدهم ، ثم ذهبوا ثم جاءوا من القبيلة ، وهم ثلاثة ، فألقوه وهو نائم ، فقلبوه لظهره ، وشقوا بطنه ، ثم جاءوا بماء من ماء زمزم ، فغسلوا ما كان في بطنه من شك أو شرك أو جاهلية أو ضلالة ، ثم جاءوا بطست من ذهب ، ملى إيماناً وحكمة ، فلى بطنه وجوفه إيماناً وحكمة ، ثم عرج به إلى السماء الدنيا ، فاستفتح جبرئيل ، فقالوا : مَنْ هذا ؟ فقال : جبرئيل ، فقالوا : مَنْ معك ؟ فقال : محمد ، قالوا : وقد بعث ؟ قال : نعم ، قالوا : مرجباً ، فدعوا له في دعائهم ، فلما دخل ، فإذا هو برجل جسيم وسيم ، فقال : مَنْ هذا يا جبرئيل ؟ فقال : هذا أبوك آدم ، ثم أتوا به إلى السماء الثانية ، فاستفتح جبرئيل ، فقيل له مثل ذلك ، وقالوا في السموات كلها كما قال وقيل له في السماء الدنيا ، فلما دخل ، إذا برجلين ، فقال : مَنْ هؤلاء يا جبرئيل ؟ فقال : يحيى وعيسى ابنا الخالة ، ثم أتى به السماء الثالثة ، فلما دخل إذا هو برجل ، فقال : من هذا يا جبرئيل ؟ قال : هذا أخوك يوسف ، ففضل بالحسن على الناس ، كما فضل القمر ليلة البدر على الكواكب ، ثم أتى به السماء الرابعة ، فإذا هو برجل ، فقال : من هذا يا جبرئيل ؟ فقال : هذا إدريس ، ثم قرأ : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ ^(١) ، ثم أتى به السماء الخامسة ، فإذا هو برجل ، فقال : من هذا يا جبرئيل ؟ قال : هذا هارون ، ثم أتى به السماء السادسة ، فإذا هو برجل ، فقال : من هذا يا جبرئيل ؟ فقال : هذا موسى ، ثم أتى به السماء السابعة ، فإذا هو برجل ، فقال : مَنْ هذا يا جبرئيل ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم ، ثم انطلق إلى الجنة ، فإذا هو بنهر أشدّ بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، يجنبته قباب الدر ، فقال : ما هذا يا جبرئيل ؟ فقال : هذا الكوثر الذي

١١٥٨/١

أعطاك ربك، وهذه مساكنك ، قال : وأخذ جبرئيل بيده من تربته ، فإذا هو مسك أذفر ، ثم خرج إلى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وهي سِدْرَةُ نَبْتِ أَعْظَمُهَا أمثال الجرار ، وأصغرها أمثال البَيْض ، فدَنَا ربك عز وجل : ﴿ فَكَانَ

قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ ^(١) ، فجعل يتغشى السدرة من دُونِ ^(٢) ربه تبارك ١١٥٩/١

وتعالى ، أمثال الدرّ والياقوت والزبرجد واللؤلؤ ألوان . فأوحى إلى عبده ، وفهّمه وعلّمه وفرض عليه خمسين صلاة ، فرّ على موسى ، فقال : ما فَرَضَ على أمتك ؟ فقال : خمسين صلاة ، قال : ارجع إلى ربك فسأله التخفيف لأمتك ، فإنّ أمتك أضعف الأمم قوة ، وأقلّها عمراً ؛ وذكر ما لقي من بني إسرائيل ، فرجع فوضع عنه عشراً ، ثم مرّ على موسى ، فقال : ارجع إلى ربك فسأله التخفيف ؛ كذلك حتى جعلها خمساً ، قال : ارجع إلى ربك فسأله التخفيف ، فقال : لستُ براجع ؛ غيرَ عاصيك ؛ وقذف في قلبه ألا يرجع ، فقال الله عز وجل : « لا يبدلُ كلامي ، ولا يردّ قضائي وفرضي » ، وخفّف عن أمتي الصلاة لمشر . قال أنس : وما جدت ريحاً قطّ ولا ريحَ عَرُوس قطّ ، أطيب ريحاً من جلدِ رسول الله صلى الله عليه وسلّم ؛ ألزقت جلدي بجلده وشمّيته .

• • •

قال أبو جعفر : ثم اختلف السلف فيمن اتّبع رسول الله صلى الله عليه وسلّم وآمن به وصدّقه على ما جاء به ^(٣) من عند الله من الحقّ بعد زوجته خديجة بنت خويلد ، وصلى معه .

فقال بعضهم : كان أوّل ذكرٍ آمن برسول الله صلى الله عليه وسلّم وصلى معه وصدّقه بما جاءه من عند الله على بن أبي طالب عليه السّلام .

(١) سورة النجم ٩

(٢) ح : « نور » .

(٣) ح : « جاءه » .

• ذكر بعض من قال ذلك ممن حضرنا ذكره :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا إبراهيم بن المختار ، عن شعبة^(١) ،
عن أبي بلج ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن عباس ، قال : أول من
صلّى على^٢ . ١١٦٠/١

حدثنا زكرياء بن يحيى الضرير ، قال : حدثنا عبد الحميد بن بحر ،
قال : أخبرنا شريك ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر ، قال :
بعث النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، وصلى على يوم الثلاثاء .

حدثنا ابن المنني ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ،
عن عمرو بن مرة ، عن أبي حمزة ، عن زيد بن أرقم ، قال : أول من
أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على^٣ بن أبي طالب . قال : فذكرته
للنخعي ، فأنكره ، وقال : أبو بكر أول من أسلم .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، عن شعبة ، عن عمرو بن
مرة ، عن أبي حمزة مولى الأنصار ، عن زيد بن أرقم ، قال : أول من
أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على^٤ بن أبي طالب عليه السلام .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عبيد بن سعيد ، عن شعبة ، عن
عمرو بن مرة ، قال : سمعت أبا حمزة (رجلا من الأنصار) ، يقول : سمعت
زيد بن أرقم ، يقول : أول رجل صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على^٥
عليه السلام .

حدثنا أحمد بن الحسن الترمذي ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى ،
قال : أخبرنا العلاء^(٦) ، عن المنهال بن عمرو ، عن عباد بن عبد الله ، قال :
سمعتُ علياً يقول : أنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا الصديق الأكبر ، لا يقولها
بعدي إلا كاذب^(٧) . صليت مع رسول الله قبل الناس سبع سنين .

(٢) هو العلاء بن صالح التيمي (الميزان) .

(١) ر : « سعيد » .

(٣) ر : « كذاب » .

حدثني محمد بن عبيد المحاربي^(١) ، قال : حدثنا سعيد بن خُثَيْم ، عن أسد بن عبيدة البجليّ ، عن يحيى بن عفيف ، عن عفيف ، قال : جئتُ في الجاهلية إلى مكة ، فزلت على العباس بن عبد المطلب . قال : فلما طلعت الشمس وحلّقت في السماء وأنا أنظر إلى الكعبة ، أقبل شاب ، فرى يبصره إلى السماء ، ثم استقبل الكعبة ، فقام مستقبلها ، فلم يلبث حتى جاء غلام ، فقام عن يمينه . قال : فلم يلبث حتى جاءت امرأة ، فقامت خلفهما ، فرقع الشاب ، فرقع الغلام والمرأة ، فرقع الشاب فرقع الغلام والمرأة ، فخر الشاب ساجداً فسجداً معه ، فقلت : يا عباس ، أمر عظيم ! فقال : أمر عظيم ! أتدري من هذا ؟ فقلت : لا ، قال : هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، ابن أخي . أتدري من هذا معه ؟ قلت : لا ، قال : هذا علي بن أبي طالب ابن عبد المطلب ، ابن أخي . أتدري من هذه المرأة التي خلفهما ؟ قلت : لا ، قال : هذه خديجة بنت خويلد ، زوجة ابن أخي ، وهذا حدثني أن ربك رب السماء ، أمرهم بهذا الذي تراهم عليه ، وإيهم الله ما أعلم على ظهر الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا يونس بن بكير ، قال : حدثنا محمد ابن إسحاق ، قال : حدثني يحيى بن أبي الأشعث الكنديّ ، من أهل الكوفة ، قال : حدثني إسماعيل بن إياس بن عفيف ، عن أبيه ، عن جده ، قال : كنت امرأة تاجراً ، فقدمت أيام الحج ، فأتيت العباس ، فبينما نحن عنده إذ خرج رجل يصلي ، فقام توجّه الكعبة ، ثم خرجت امرأة فقامت معه تصلي ، وخرج غلام فقام يصلي معه ، فقلت : يا عباس ، ما هذا الدين ؟ إن هذا الدين ما أدري ما هو ؟ قال : هذا محمد بن عبد الله ، يزعم أن الله أرسله به ، وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه ، وهذه امرأته خديجة بنت خويلد آمنت به ، وهذا الغلام ابن عمه علي بن أبي طالب ، آمن به . قال عفيف : فليتني كنت آمنت يومئذ فكنت أكون رابعاً !

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل وعلي بن مجاهد ، قال سلمة : حدثني محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن أبي الأشعث — قال أبو جعفر : وهو في موضع آخر من كتابي عن يحيى بن الأشعث — عن إسماعيل بن إياس بن عفيف الكندي — وكان عفيف أخا الأشعث بن قيس الكندي لأمه ، وكان ابن عمه — عن أبيه عن جده عفيف ، قال : كان العباس ابن عبد المطلب لي صديقاً ، وكان يختلف إلى اليمن ، يشتري العطر فيبيعه أيام الموسم ، فبينما أنا عند العباس بن عبد المطلب بمنى ، فأثاء رجل مجتمع ، فتوضأ فأسبغ الوضوء ، ثم قام يصلى ، فخرجت امرأة فتوضأت وقامت تصلى ثم خرج غلام قد واهق ، فتوضأ ، ثم قام إلى جنبه يصلى ، فقلت : ويحك يا عباس ! ما هذا ؟ قال : هذا ابن أخى محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، يزعم أن الله بعثه رسولا ، وهذا ابن أخى على بن أبي طالب قد تابعه على دينه ، وهذه امرأته خديجة ابنة خويلد ، قد تابعته على دينه . قال عفيف بعد ما أسلم ١١٦٣/١ ورسخ الإسلام في قلبه : يا ليتنى كنتُ رابعاً !

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا عيسى بن سودة بن الجعد ، قال : حدثنا محمد بن المنكدر^(١) وربيعة بن أبي عبد الرحمن ، وأبو حازم المدني^(٢) ، والكلبي ، قالوا : على أول من أسلم . قال الكلبي : أسلم وهو ابن تسع سنين .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان أول ذكر آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصلى معه وصدق به بما جاءه من عند الله ، على بن أبي طالب ، وهو يومئذ ابن عشر سنين ، وكان مما أنعم الله به على على بن أبي طالب عليه السلام ، أنه كان في حِجْر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام .

(١) ر وابن الأثير : « المختار » .

(٢) ر : « المزي » .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : فحدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد بن جبر أبي الحجاج ، قال : كان من نعمة الله على علي بن أبي طالب ، وما صنع الله له وأراد به من الخير ، أن قریشاً أصابهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثير ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس عمه - وكان من أيسر بني هاشم : يا عباس ! إن أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة ، فانطلق بنا فلنخفف عنه من عياله ؛ أخذ من بني رجلا ، وتأخذ من بني رجلا ، فنكفهما عنه . قال العباس : نعم ، فانطلقا حتى أتيا أبا طالب ، فقالا : إننا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه ، فقال لهما أبو طالب : إذا تركتما لي عبيلاً فاصنعا ما شئتما ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً فضمته إليه ، وأخذ العباس جعفرأ فضمته إليه ، فلم يزل علي بن أبي طالب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله نبياً ، فاتبعه علي فأمن به وصدقته ، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه ^(١) .

١١٦٤/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حضرت الصلاة ، خرج إلى شعاب مكة ، وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفياً من عمه أبي طالب وجميع أعمامه وسائر قومه ، فيصليان الصلوات فيها ، فإذا أمسيا رجعا ، فكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا . ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصليان ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بن أخي ، ما هذا الدين الذي أراك تدين به ؟ قال : أي عم ، هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ، ودين آيينا إبراهيم - أو كما قال - بعثني الله به رسولا إلى العباد ، وأنت يا عم أحق من بذلت له النصيحة ، ودعوته إلى الهدى ، وأحق من أجابني إليه ، وأعانني عليه - أو كما قال . فقال أبو طالب : يا بن أخي ، إني لا أستطيع أن أفارق ديني ودين آبائي وما كانوا عليه ، ولكن والله لا يخلص إليك ^(٢) بشيء تكرهه ما حييت ^(٣) .

(١) د : لا يخلص إليك شيء .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ١٦٣ .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : وزعموا أنه قال لعلّ بن أبي طالب : أي بُني ، ما هذا الدين الذي أنت عليه ؟ قال : يا أبنه ، آمَنْتُ بالله وبرسوله وصدّقته بما جاء به ، وصليت معه لله . فزعموا أنه قال له : أما إنّه لا يدعوك^(١) إلّا إلى خيبر ، فالزمه^(٢) .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : أخبرنا إبراهيم بن نافع ، عن ابن أبي نَجِيج ، عن مجاهد ، قال : أسلم على وهو ابن عشر سنين .

قال الحارث : قال ابنُ سعد : قال الواقدي : واجتمع أصحابنا على أنّ عليّاً أسلم بعد ما تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنة ، فأقام بمكة اثنتي عشرة سنة .

• • •

وقال آخرون : أوّلُ مَنْ أسلم من الرجال أبو بكر رضى الله عنه .

• ذكر من قال ذلك :

• حدثنا سهل بن موسى الرازي ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مَعْرُوف ، عن مُجَالِد ، عن الشعبي ، قال : قلت لابن عباس : مَنْ أوّل الناس إسلاماً ؟ فقال : أما سمعت قول حسان بن ثابت :

إِذَا تَدَكَّرْتَ شَجَوًا مِنْ أَخِي ثِقَةٍ فَادْكُرْ أَخَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلَا^(٢)
خَيْرُ الْبَرِيَّةِ أَتَقَاهَا وَأَعَدَلَهَا بَعْدَ النَّبِيِّ وَأَوْفَاهَا بِمَا حَمَلَا
الثَّانِيَ النَّالِي الْمَحْمُودَ مَشْهُدُهُ وَأَوَّلَ النَّاسِ مِنْهُمْ صَدَقَ الرُّسُلَا

(١) ح ، د ، هـ ، يلعو .

(٢) ابن هشام ١ : ١٦٣ .

(٢) ديوانه ٢٩٩ ، ٣٠٠ مع اختلاف في الرواية .

وحدثني سعيد بن حنبله الرازي ، قال : حدثنا الهيثم بن عدي ، عن
 مجالد ، عن الشعبي ، عن ابن عباس نحوه^(١) . ١١٦٦/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا الهيثم
 ابن عدي ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن ابن عباس نحوه .

حدثنا بحر^(٢) بن نصر الحولاني ، قال : حدثنا عبد الله بن وهب ،
 قال : أخبرني معاوية بن صالح ، قال : حدثني أبو يحيى وضمره بن حبيب
 وأبو طلحة ، عن أبي أمامة الباهلي ، قال : حدثني عمرو بن عبسة^(٣) قال :
 أنبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بمكناظ ، قلت : يا رسول الله ،
 من تبعك على هذا الأمر ؟ قال : اتبعني عليه رجلان ، حرٌّ وعبد :
 أبو بكر وبلال ، قال : فأسلمت عند ذلك ، قال : فلقد رأيته إذ ذاك
 ربّع الإسلام .

حدثني ابن عبد الرحمن البرقي ، قال : حدثنا عمرو بن أبي سكرة ،
 قال : حدثنا صدقة ، عن نصر بن علقمة ، عن أنس ، عن ابن عائذ ، عن
 جبير بن نفير ، قال : كان أبو ذر وابن عبسة كلاهما يقول : لقد رأيته
 ربّع الإسلام ، ولم يسلم قبلي^(٤) إلا النبي وأبو بكر وبلال ، كلاهما
 لا يدري^(٥) متى أسلم الآخر .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ،
 قال : أول من أسلم أبو بكر .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، قال : حدثنا شعبة ، عن
 عمرو بن مرة ، قال : قال إبراهيم النخعي : أبو بكر أول من أسلم .

• • •

(١) ح : نحوه .

(٢) م : يحيى .

(٣) في الأصول : عبسة .

(٤) م : قبل .

(٥) م : لا يدري .

وقال آخرون : أسلم قبل أبي بكر جماعة .

• ذكر من قال ذلك :

١١٦٧/١

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا كنانة بن جبلة ، عن إبراهيم بن طهمان ، عن الحججاج بن الحجاج ، عن قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن محمد بن سعد ، قال : قلت لأبي : أكان أبو بكر أولكم إسلامًا ؟ فقال : لا ، ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين ؛ ولكن كان أفضلنا إسلامًا .

• • •

وقال آخرون : كان أولُ مَنْ آمَنَ واتبَعَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم من الرجال زيد بن حارثة موله .
• ذكر من قال ذلك :

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : قال الواقدي : حدثني ابن أبي ذؤب ، قال : سألت الزُّهري : مَنْ أولُ مَنْ أسلم ؟ قال : من النساء خديجة ، ومن الرجال زيد بن حارثة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد ابن عمر ، قال : حدثنا مُصعب بن ثابت ، عن أبي الأسود ، عن سليمان ابن يسار ، قال : أولُ مَنْ أسلم زيد بن حارثة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد — يعني ابن عمر — قال : حدثنا ربيعة بن عثمان ، عن عمران بن أبي أنس مثله .

وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدثنا عبد الملك ابن مسلمة ، قال : حدثنا ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، قال : أولُ مَنْ أسلم زيد بن حارثة .

وأما ابن إسحاق ، فإنه قال في ذلك ما حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة عنه : ثم أسلم زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان

أَوَّلَ ذِكْرٍ^(١) أسلم، وصلى بعد علي بن أبي طالب، ثم أسلم أبو بكر بن أبي قحافة الصديق، فلما أسلم أظهر إسلامه^(٢)، ودعا إلى الله عز وجل وإلى رسوله. قال: وكان أبو بكر رجلاً مألُفًا لقومه، عجباً سهلاً، وكان أنسب قریش لقریش، وأعلم قریش بها، وبما كان فيها من خير أو شر، وكان رجلاً تاجراً ذا خلق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر، لعلمه وتجاربه وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الإسلام مَنْ وثق به من قومه ممن يشاء ويجلس إليه، فأسلم على يديه - فيما بلغني - عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، فجاء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استجابوا له، فأسلموا وصلّوا، فكان هؤلاء الثمانية، النفر^(٣) الذين سبقوا إلى الإسلام، فصلّوا وصدّقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وآمنوا بما جاء به من عند الله، ثم تابع الناس في الدخول في الإسلام؛ الرجال منهم والنساء؛ حتى فشا ذكر الإسلام بمكة وتحدث به الناس^(٤).

وقال الواقدي في ذلك ما حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، عنه: اجتمع أصحابنا على أن أول أهل القبلة استجاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد، ثم اختلف عندنا في ثلاثة نفر: في أبي بكر وعلي، وزيد بن حارثة، أيهم أسلم أول.

قال: وقال الواقدي: أسلم معهم خالد بن سعيد بن العاص خامساً، وأسلم أبو ذر، قالوا: رابعاً أو خامساً، وأسلم عمرو بن عبسة السلمي، فيقال: رابعاً أو خامساً. قال: فلما اختلف عندنا في هؤلاء النفر أيهم أسلم أول، وفي ذلك روايات كثيرة. قال: فيختلف في الثلاثة المتقدمين، وفي هؤلاء الذين كتبنا بعدهم.

(١) ر: «من»

(٢) ح، م: «الإسلام».

(٣) كلها في ح وفي ط: «نفر»، وفي ابن هشام: «النفر الثمانية».

(٤) الخبر في سيرة ابن هشام ١: ١٦٤، ١٦٥.

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني مُصعب بن ثابت ، قال : حدثنا أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن بن الأسود بن نَوَفل ، قال : كان إسلام الزُّبير بعد أبي بكر ، كان رابعاً أو خامساً .

وأما ابن إسحاق ، فإنه ذكر أن خالد بن سعيد بن العاص وامرأته أمينة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن يياضة ، من خزاعة ، أسلما بعد جماعة كثيرة غير الذين ذكرتهم بأسمائهم ؛ أنهم كانوا من السابقين إلى الإسلام^(١) .

* * *

ثم إن الله عز وجل أمر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بعد مبعثه بثلاث سنين أن يصدع بما جاءه منه ، وأن يادي الناس بأمره ، ويدعو إليه ، فقال له : ﴿ فَأُصَدِّعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَأُعْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(٢) ، وكان قبل ذلك - في السنين الثلاث من مبعثه ؛ إلى أن أمر بإظهار الدعاء إلى الله - مستسراً خفياً أمره صلى الله عليه وسلم ، وأنزل عليه : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ - وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾^(٣) ، قال : وكان أصحابُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إذا صلُّوا ذهبوا إلى الشعاب ، فاستخفوا من قومهم ؛ فبينما سعد بن أبي وقاص في نَقَر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في شِعْب من شعاب مكة إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلُّون ، فتأكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون ؛ حتى قاتلوه ، فاقتلوا ، فغضب سعد بن أبي وقاص يومئذ رجلاً من المشركين بلحخي جمل فشجّه ، فكان أول دم أمريق^(٤) في الإسلام^(٥) .

حدثنا أبو كُريب وأبو السائب ، قالا : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال :

(١) ابن هشام ١ : ١٦٨ .

(٢) سورة الحجر ٩٤ .

(٣) سورة الشعراء ٢١٤ - ٢١٦ .

(٤) ح : « هراق » .

(٥) الخبير في سيرة ابن هشام ١ : ١٦٨ ، ١٦٩ .

صعِدَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم الصَّفَا ، فقال : يا صَبَاحاه ! فاجتمعَ إليه قريش ، فقالوا : مالك ؟ قال : أرأيت إن أخبرتكم أن العدو^(١) مصبِّحكم أو ممسيِّكم ، أما كنتم تصدقونني ! قالوا : بلى ؛ قال : فلاني نذير لكم بين يدي عذابٍ شديد . فقال أبو لهب : تباً لك ! ألهذا دعوتنا - أو جمعتنا ! فأنزل الله عز وجل : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾^(٢) إلى آخر السورة .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : حدثنا أبو أسامة ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾^(٣) ، خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا ، فهتف : يا صباحاه ! فقالوا : من هذا الذي يهتف ؟ قالوا : محمد ، فقال : يا بني فلان ، يا بني عبد المطلب ، يا بني عبد مناف ! فاجتمعوا إليه ، فقال : أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج يسفح هذا الجبل ، أكنتم مصدِّقٌ ؟ قالوا : ما جرَّبنا عليك كذباً ، قال : فلاني نذير لكم بين يدي عذابٍ شديد . فقال أبو لهب : تباً لك ! ما جمعتنا إلا لهذا ! ثم قام ، فنزلت هذه السورة : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ إلى آخر السورة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن ١١٧١/١ إسحاق ، عن عبد الغفار بن القاسم ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله ابن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، عن عبد الله بن عباس ، عن علي بن أبي طالب ، قال : لما نزلت هذه الآية على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ، دعاني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال لي : يا علي ، إن الله أمرني أن أنذِرَ عشيرتي الأقربين ،

(١) ح : « العذاب » .

(٢) سورة المسد (٣) سورة الشراء ٢١٤

فضقتُ بذلك ذرعاً ، وعرفتُ أنتى متى أبادهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره ، فصمتُ عليه حتى جاءني جبرئيل فقال : يا محمد ، إنك إلا تَصْغُلُ ما تؤمر به يُعَذِّبُكَ رَبُّكَ ، فاصنعْ لنا صاعاً من طعام ، واجعلْ عليه رَحْلاً شاةً ، وإملاً لنا عَساً من لبن ؛ ثم اجمعْ لى بنى عبد المطلب حتى أَكَلْتَهُمْ ^(١) ، وأبلغهم ما أمرت به ، ففعلت ما أمرنى به . ثم دعوتهم له ؛ وهم يومئذ أربعون رجلاً ، يزيدون رجلاً أو ينقصونه ؛ فيهم أعمامه : أبو طالب وحزرة والعباس وأبو لهب ؛ فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذى صنعت لهم ، فجئت به ، فلما وضعته تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم حِذْيَةً ^(٢) مِنَ اللحم ، فشققها بأسنانه ، ثم ألقاها فى نواحي الصَّحْفَةِ . ثم قال : خذُوا بِسْمِ اللَّهِ ، فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة وما أرى إلا موضع ^(٣) أَيْلِيم ، وإيمُ الله الذى نَفَسْتُ عَلَى يَدَيْهِ ؛ وإن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم . ثم قال : اسقى القوم ، فجئتهم بذلك العُس ، فشربوا منه حتى رَوُّوا منه جميعاً ، وإيمُ الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله ، فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بذكره أبو لهب إلى الكلام ، فقال : لَهْدَماً ^(٤) سحرکم صاحبکم ! ففترق القوم ولم يكلمتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : الغد يا على ؛ إن هذا الرجل سبقنى إلى ما قد سمعت من القول ، ففترق القوم قبل أن أَكَلْتَهُمْ ، فعُدْ لنا من الطعام بمثل ما صنعت ، ثم اجمعهم إلى .

قال : ففعلتُ ، ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربته لهم ، ففعل كما فعل بالأمس ، فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة . ثم قال : اسقهم ، فجئتهم بذلك العُس ، فشربوا حتى رَوُّوا منه جميعاً ، ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا بنى عبد المطلب ؛ إني والله ما أعلم شاباً فى العرب جاء قومته

(١) م : « أكلهم » .

(٢) الحذية من اللحم : ما قطع منه طويلاً .

(٣) أين الأثير : « مواضع » .

(٤) لهْدَ : كلمة يتعجب بها ، وفى ط : « لقد ما » ، والصواب ما أثبتته من التفسير والنهاية

لابن الأثير ٤ : ٢٤٢ .

بأفضل مما قد جئتم به ؛ إني قد جئكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه ، فأبكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى ووصى وخليفى فيكم ؟ قال : فأحجم القوم عنها جميعاً ، وقلت : وإني لأحدثهم سناً ، وأرمضهم^(١) عينا ، وأعظمهم بطناً ، وأحشهم ساقاً^(٢) ؛ أنا يا نبي الله ، أكون وزيرك عليه . فأخذ برقبتي ، ثم قال : إن هذا أخى ووصى وخليفى فيكم ، فاسمعوا له وأطيعوا . قال : فقام القوم يضحكون ، ويقولون لأبي طالب : قد أملك أن تسمع لابنك وتطيع^(٣) .

حدثني زكرياء بن يحيى الضرير ، قال : حدثنا عفان بن مسلم ، قال : حدثنا أبو عوانة ، عن عثمان بن المغيرة ، عن أبي صادق ، عن ربيعة بن ناجد ، أن رجلاً قال لعلي عليه السلام : يا أمير المؤمنين ، بم ورث ابن عمك دون عمك ؟ فقال علي : هاؤم ! ثلاث مرات ؛ حتى اشرب الناس ، ونشروا آذانهم . ثم قال : جمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - أو دعا رسول الله - بنى عبد المطلب منهم رهطه ، كلهم يأكل الخدعة ويشرب الفرق^(٤) ، قال : فصنع لهم مداً من طعام ، فأكلوا حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو ؛ كأنه لم يمس . قال : ثم دعا بغمر^(٥) فشربوا حتى رَوْوا وبقي الشراب كأنه لم يمس ولم يشربوا . قال : ثم قال : يا بنى عبد المطلب ، إني بعثت إليكم بخاصة وإلى الناس بعامة ، وقد رأيتم من هذا الأمر ما قد رأيتم ، فأبكم يبايعني علي أن يكون أخى وصاحبي ووارثي ؟ فلم يقم إليه أحد ، فقمتم إليه - وكنت أصغر القوم - قال : فقال : اجلس ، قال : ثم قال ثلاث مرات ، كل ذلك أقوم إليه ، فيقول لي : اجلس ، حتى كان

(١) الرمص في العين كالنمص ، وهو قذى تُلَفُظُ به ، وهو كناية عن صفر سم .

(٢) حش الساقين : دقيقتها .

(٣) الخبر في التفسير ١٩ : ٧٤ ، ٧٥ (بولاق)

(٤) الفرق ، بكر الغاء ، وبعضهم يقول بالفتح : مكياك كبير لأهل المدينة يكال به اللبن .

(٥) الغمر : القمح الصغير ، وفي ر : « يمس » .

في الثالثة، فضرب بيده على يدي، قال: فبذلك ورثتُ ابنَ عمِّي دون عمِّي.

فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، حدثنا محمد بن إسحاق، عن عمرو بن عبيد، عن الحسن بن أبي الحسن، قال: لما نزلت هذه الآية ١١٧٤/١ على رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأبطح، ثم قال: يا بني عبد المطلب، يا بني عبد مناف، يا بني قصي— قال: ثم فخذ^(١) قريشا قبيلة قبيلة، حتى مر^(٢) على آخرهم— إني أدعوكم إلى الله وأنذرکم عذابه^(٣).

حدثنا الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا جارية بن أبي عمران، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، قال: أمير رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصدع بما جاءه من عند الله، وأن يبادي الناس بأمره، وأن يدعوهم إلى^(٤) الله، فكان يدعو من أول ما نزلت عليه النبوة ثلاث سنين، مستخفياً، إلى أن أمر بالظهور للدعاء^(٥).

قال ابن إسحاق— فيما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عنه: فصدع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر الله، وبأدبى قومه بالإسلام، فلما فعل ذلك لم يبعد منه قومه، ولم يردوا عليه بعض الرد— فيما بلغنى— حتى^(٦) ذكر آلهتهم وعابها، فلما فعل ذلك ناكروه وأجمعوا على خلافه وعداوته إلا من عصم الله منهم^(٧) بالإسلام، وهم قليل مستخفون، وحديث عليه أبو طالب تحمته ومنته، وقام دونه، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) فخذهم: دعاهم فخذاً فخذاً، والفخذ أقل من البطن، وأولها: الشب ثم القبيلة، ثم القبيلة، ثم العساة، ثم البطن. وانظر اللسان. وفي ر: «عد».

(٢) ح: «أق».

(٣) انظر في التفسير ١٩: ٧٥ (بولاق).

(٤) م: «فأمره أن يدعوهم».

(٥) طبقات ابن سعد ١: ١٩٩ وهناك: «إلى أن أمر بظهور الدعاء».

(٦) م: «عن».

(٧) زاد في ح: «عن ذلك».

على أمر الله مظهرًا لأمره ، لا يردّه عنه شيء . فلما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يثبتهم ^(١) من شيء [يكرهونه ما] ^(٢) أنكروه عليه من فراقهم وعيّن آلهتهم ، ورأوا أن أبا طالب قد حدّب عليه ، وقام دونه فلم يسلمه لهم ، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب : عتبة ١١٧٥/١ ابن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو البختري بن هشام ، والأسود بن المطلب ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام ، والعاص بن وائل ، ونيبه ومنبه ابنا الحجاج - أو من مشى إليه منهم - فقالوا : يا أبا طالب ، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفّه أعلامنا ، وضللّ آبائنا ؛ فلمّا أن تكفّه عنا ، وإما أن تُخلّي بيننا وبينه ؛ فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه ، فنكفيكه . فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقاً ، وردّهم ردّاً جميلاً ، فانصرفوا عنه ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه ؛ يظهر دين الله ، ويدعو إليه . قال : ثم شري ^(٣) الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال ، فغضّوا ، وأكثر قريش ذكّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها ، وتذا مروا فيه ، وحقن بعضهم بعضاً عليه . ثم إنهم مشّوا إلى أبي طالب مرّة أخرى ، فقالوا : يا أبا طالب ، إن لك سيّئاً وشرفاً ومترلة فينا ، وإنّا قد استهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وإنّا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا ، وتسفيه أعلامنا ، وعيب آلهتنا حتى تكفّه عنا أو تنازله وإياك في ذلك ؛ حتى يهلك أحد الفريقين - أو كما قالوا . ثم انصرفوا عنه ، فعظم على أبي طالب فراق قومه وعدوتهم له ؛ ولم يطب نفساً بإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ولا خذلانه ^(٤) .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي : أن ناساً من قريش اجتمعوا ^(٥) ، فيهم أبو جهل ١١٧٦/١

(١) م : « يثبتهم » ، ولا يثبتهم ، أي لا يرضيهم .

(٢) من ح .

(٣) شري الأمر : اشتد واستطار . (٤) حيرة ابن هشام : ١ ، ١٦٩ ، ١٧٠ .

(٥) م : « اجتمعوا » .

ابن هشام ، والمعاص بن وائل ، والأسود بن المُطَلِّب ، والأسود بن عبد يغوث ؛
في نفرٍ من مَشَيْخَةِ قريش ، فقال بعضهم لبعض : انطلقوا بنا إلى
أبي طالب فنكلمه ^(١) فيه ؛ فليُنصِفنا منه ، فيأمره فليُكف عن شتم آلهتنا ،
ونُدِّعَه وإله الذي يعبد ؛ فإننا نخافُ أن يموتَ هذا الشيخ فيكون منا شيء
فتعيرنا العرب ؛ يقولون : تركوه ؛ حتى إذا مات عمه تناولوه .

قال : فبعثوا رجلاً منهم يُدعى المُطَلِّب ، فاستأذن لهم على أبي طالب ،
فقال : هؤلاء مشيخة قومك ^(٢) وسرّواتهم ، يستأذنون عليك ، قال : أدخلهم ؛
فلما دخلوا عليه ، قالوا : يا أبا طالب ، أنت كبيرُنا وسيدُنا ، فأنصفنا من
ابن أخيك ، ففرّه فليُكف عن شتم آلهتنا ، ونُدِّعَه وإلهه .

قال : فبعث إليه أبو طالب ، فلما دخلَ عليه رسولُ الله صلى الله عليه
وسلم قال : يا بنِ أختي ؛ هؤلاء مشيخة قومك وسرّواتهم ، وقد سألوكم ^(٣)
النَّصْفَ ، أن تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك وإلهك . قال : أي عم ،
أولاً أدعوكم إلى ما هو خير لهم منها ؟ قال : وإلام تدعوكم ؟ قال : أدعوكم
إلى أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب ، ويمليكون بها العجم . قال : فقال
أبو جهل من بين القوم : ما هي وأبيك ؟ لنعطينكها ^(٤) ، وعشرًا ^(٥)
أمثالها . قال : تقول : لا إله إلا الله ، قال : فسَقَرُوا [ونفَرُوا] ^(٦) وقالوا : سلنا
غير هذه ، فقال : لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم
غيرها ! قال : فغضبوا وقاموا من عنده غَضَبًا ، وقالوا : والله لنشتمتك وإلهك
الذي يأمرك بهذا ، ﴿ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَاصِرُوا عَلَى آلِهِتِكُمْ إِنَّ
هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ إِلَّا اخْتَلَفَ ﴾ ^(٧) .

(١) ر والتفسير : « فنكلمه » .

(٢) ر : « قريش » ، وسرّوات القوم : ساداتهم .

(٣) م : « سألو » .

(٤) ر : « لنعطيكها » ، م : « نعطيكها » .

(٥) ح : « وعشرًا معها » .

(٦) من ح وابن الأثير .

(٧) سورة ص : ٦ ، ٧ .

وأقبل على عمِّه فقال له عمِّه : يا بن أخى ، ما شططت عليهم ، فأقبل على عمِّه فدعاه ، فقال : قل كلمةً أشهدُ لك بها يوم القيامة ، تقول : لا إله إلا الله ، فقال : لولا أن تعيكم بها العرب ، يقولون^(١) : جئنا من الموت لأعطينكمها ؛ ولكن على ملَّةِ الأشياء ، قال : فنزلت هذه الآية : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ ﴾^(٢).

حدثنا أبو كُرَيْب وابن وَكِيع ، قالا : حَدَّثَنَا أَبُو أُسامة ، قال : حَدَّثَنَا الأعمش ، قال : حَدَّثَنَا عُبَاد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما مَرَضَ أبو طالب ، دخل عليه رَهْطٌ من قريش ، فيهم أبو جهل ، فقال : إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ يَشْتُمُ آلَهُنَا ، ويفعل ويفعل ؛ ويقول ويقول ، فلوبعثتُ إليه فتهيته ! فبعث إليه ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ، فدخل البيت وبين أبي طالب قَدَرٌ مجلس رجل ، قال : فخشى أبو جهل أن يجلس إلى جنب أبي طالب أن يكون أرق^(٣) له عليه ، فوثب فجلس في ذلك المجلس ولم يجد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مجلساً قُرْبَ عمِّه ، فجلس عند الباب ، فقال له أبو طالب : أى ابن أخى ! ما بال قومك يشكُونك ؟ يزعمون أنك تشتمُ آلَهُنَّهم وتقول وتقول ! قال : وأكثروا عليه من القول ، وتكلَّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا عمِّ ، إني أريدكم على كلمة واحدة يقولونها ، تدين لهم بها العرب ، وتؤدى إليهم بها العجم الجزية . ففرزوا لكلمته ولقوله ؛ فقال القوم كلمةً واحدةً : نعم وأبليك عشراً . فما هى ؟ فقال أبو طالب : وأى كلمة هى يا بن أخى ؟ قال : لا إله إلا الله ، قال : فقاموا فرعين ينفضون ثيابهم ، وهم يقولون : ﴿ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۚ ﴾ . قال : ونزلت من هذا الموضع

(١) ح : « تقول » ، ابن الأثير : « وتقول » .

(٢) سورة القصص ٥٦ ، والخبر في التفسير ٢٣ : ٨١ (بلاق) .

(٣) ح : « أرق » .

إلى قوله : ﴿لَا يَذُوقُوا عَذَابَ﴾ ^(١) . لفظ الحديث لأبي كريب ^(٢) .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . فحدثنا ابن حميد ، قال :
حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : فحدثني يعقوب
ابن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، أنه حدث أن قريشاً حين قالت
لأبي طالب هذه المقالة ، بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : يا ابن
أخى ، إن قومك قد جاءوا فقالوا لي كذا وكذا ، فأبى عليّ وعلى نفسك
ولا تحملي من الأمر ما لا أطيق ! فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه
قد بدأ لعمه فيه بداء ^(٣) ، وأنه خاذله ومسلمه ، وأنه قد ضعف عن
نصرتهم والقيام معه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عمّاه ، لو وضعوا
الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله
أو أهلك فيه ما تركته ^(٤) . ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبكى
ثم قام ، فلما ولي ناداه أبو طالب ، فقال : أقبل يا ابن أخى ، فأقبل عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اذهب يا ابن أخى ، فقل ما أحببت
فوالله لا أسلمك لشيء أبداً .

١١٧٩/١

قال : ثم إن قريشاً لما عرفت أن أبا طالب أبا خذلان رسول الله صلى
الله عليه وسلم وإسلامه وإجماعه لفراقهم في ذلك ، وعداوتهم ، مشوا إليه
بعصارة بن الوليد بن المغيرة ، فقالوا له — فيما بلغني : يا أبا طالب ، هذا عصارة

(١) سورة ص ٥ - ٨ .

(٢) الأخير في التفسير ٢٣ : ٧٩ (بلاق) .

(٣) للبداء : الاسم من « بدا » يريد : ظهر له رأى ؛ سمى الرأى بداء لأنه شيء يبدو
بعد ما غفى .

(٤) قال السهيلي : « غص الشمس باليمين ؛ لأنها الآية المصورة ، ونص القمر بالشمال لأنها
الآية المحصورة ؛ وقد قال عمر رحمه الله لرجل قال له : إني رأيت في المنام كأن الشمس والقمر يقتتلان ؛
ومع كل واحد منهما نجوم ! فقال عمر : مع أيهما كنت ؟ فقال : مع القمر ، قال : كنت مع
الآية المحصورة ؛ اذهب فلا تميل إلى عملا . وكان عاملاً له فضله ؛ فقتل الرجل في صفين مع معاوية » .

ابن الوليد أنهد^(١) فقي في قريش وأشعره وأجمله ، فحذه فلك عقله ونصرتنه ، واتخذته ولداً ؛ فهو لك ، وأسلم لنا ابن أخيك — هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك ، وسفه أحلامهم — فنقتله ؛ فلأنما رجلٌ كرجل ؛ فقال : والله لبئس ما تسوئوني ! أتعطوني ابنكم أغدوكم لكم ، وأعطيكُم ابني تقتلونه ! هذا والله مالا يكون أبداً^(٢) . فقال المطعيم ابن عدى بن نوفل بن عبد مناف : والله يا أبا طالب ، لقد أنصفك قومك ، وجهدوا على التخلص^(٣) مما تكرهه ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً ، فقال أبو طالب للمطعيم : والله ما أنصفوني ؛ ولكنك قد أجمعت خيلاً في ومظاهرة القوم على ، فاصنع ما بدا لك ! أو كما قال أبو طالب .

قال : فحقب^(٤) الأمر عند ذلك ، وحميت الحرب ، وتناذب القوم ، وبادى بعضهم بعضاً .

قال : ثم إن قريشاً تذامروا على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا معه . فوئيت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعدونهم ويفتنونهم عن دينهم ، ومنع الله رسوله^{١١٨٠/١} منهم بعمته أبي طالب ، وقد قام أبو طالب حين رأى قريشاً تصنع ما تصنع في بني هاشم وبني المطلب ، فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقيام بدونه . فاجتمعوا إليه ، وقاموا^(٥) معه ، وأجابوا إلى ما دعاهم إليه من الدفء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا ما كان من

(١) أنهد ، أي أقوى وأجلد ؛ ويقال : فرس نهدي الذي يتقدم الخيل . قال السهيلي : « عمارة بن الوليد هذا هو الذي أرسلته قريش مع عمرو بن العاص إلى أرض الحبشة » .

(٢) وفي رواية أخرى عن السهيلي أن أبا طالب قال لم حين سألوه أن يأخذ عمارة بدلاً من محمد عليه السلام : « أرايتم ناقة تحن إلى غير فضيلها وترأه ! لا أعطيكُم ابني تقتلونه أبداً وأخذ ابنكم أكفله وأغفوه ! » ، وهو معنى ما ذكر ابن إسحاق .
(٣) ح : « أن يتخلصوا » .

(٤) فحقب الأمر عند ذلك ، قال السهيلي : « يريد اشد ، وهو من قولك : حقب البعير ؛ إذا راغ عنه الحظب من شدة الجهد والنصب . . . ثم يستعمل في الأمر إذا عسر » .

(٥) ح : « وأقاموا » .

أَبَى هَتَبٌ ؛ فَلَمَّا رَأَى أَبُو طَالِبٍ مِنْ قَوْمِهِ مَا سَرَّهُ مِنْ جِدَّتِهِمْ مَعَهُ ؛ وَحَدَّثَهُمْ عَلَيْهِ ، جَعَلَ يَمْدَحُهُمْ ، وَيَذْكُرُ فَضْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمْ ؛ وَمَكَانَهُ مِنْهُمْ لِيَشُدَّ لَهُمْ رَأْيَهُمْ ^(١) .

* * *

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ نَصْرِ بْنِ عَلِيٍّ الْجَهْضِيُّ ، وَعَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ ابْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ — قَالَ عَلِيُّ بْنُ نَصْرِ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ ، وَقَالَ عَبْدُ الْوَارِثِ : حَدَّثَنِي أَبِي — قَالَ : حَدَّثَنَا أَبَانُ الْعَطَّارُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ ، عَنْ عُرْوَةَ ، أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ : أَمَا بَعْدَ ، فَإِنَّهُ — يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — لَمَّا دَعَا قَوْمَهُ لَمَّا بَعَثَهُ ^(٢) اللَّهُ مِنَ الْهَدْيِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ ، لَمْ يَبْعُلُوا مِنْهُ أَوَّلَ مَا دَعَاهُمْ ، وَكَادُوا يَسْمَعُونَ لَهُ ؛ حَتَّى ذَكَرَ طَوَاغِيَتَهُمْ . وَقَدِمَ نَاسٌ مِنَ الطَّائِفِ مِنْ قُرَيْشٍ لَهُمْ أَمْوَالٌ ، أَنْكَرُوا ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَاشْتَدُّوا عَلَيْهِ ، وَكَرَهُوا مَا قَالَ [لَهُمْ] ^(٣) ، وَأَغْرَوْا بِهِ مَنْ أَطَاعَهُمْ ، فَانْصَقَفَ ^(٤) عَنْهُ عَامَّةُ النَّاسِ ، فَتَرَكُوهُ إِلَّا مِنْ حَفَظَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ ؛ وَهُمْ قَلِيلٌ ؛ فَكَثَّ بِذَلِكَ مَا قَدَّرَ اللَّهُ أَنْ يَمْكُثَ . ثُمَّ اتَّخَذَتْ رَمُوسُهُمْ بِأَنْ يَفْتَنُوا مَنْ تَبِعَهُ عَنْ دِينِ اللَّهِ مِنْ أَبْنَائِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَقِبَائِلِهِمْ ، فَكَانَتْ فِتْنَةً شَدِيدَةً الزَّلْزَالِ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ؛ فَافْتَنَ مَنْ افْتَنَ ، وَعَصَمَ اللَّهُ مِنْهُمْ مَنْ شَاءَ ؛ فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ بِالْمُسْلِمِينَ ، أَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَخْرُجُوا إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ — وَكَانَ بِالْحَبَشَةِ مَلِكٌ صَالِحٌ يُقَالُ لَهُ النَجَاشِيُّ ، لَا يُظْلَمُ أَحَدٌ بِأَرْضِهِ ، وَكَانَ يَنْبِئُ ^(٥) عَلَيْهِ مَعَ ذَلِكَ صِلَاحٌ ، وَكَانَتْ أَرْضُ الْحَبَشَةِ مَتَجَرًّا لِقُرَيْشٍ يَتَجَرَّوْنَ فِيهَا ، يَحْمِلُونَ فِيهَا رَقَاعًا ^(٦) مِنَ الرِّزْقِ ، وَأَمْنًا وَمَتَجَرًّا حَسَنًا —

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٧٠ ، ١٧١ .

(٢) م : « بما بعثه الله » .

(٣) من ح .

(٤) انصققوا عنه : انصرفوا .

(٥) ينبئ عليه ، أي يشيع عنه .

(٦) كذا في الطبري ، وفي اللسان : « ترغ الرجيل : توجع ، وإنه لنى رفاغة ورفاغية من

فأمرهم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذهب إليها عامتهم لما قهروا بمكة ،
وخاف عليهم الفتن ، ومكث هو فلم يخرج ، فكث بذلك سنوات ، يشتدون
على من أسلم منهم .
ثم إنه فشا الإسلام فيها ، ودخل فيه رجال من أشرافهم .

• • •

قال أبو جعفر : فاختلف في عدد من خرج إلى أرض الحبشة ،
وهاجر إليها هذه الهجرة ، وهي الهجرة الأولى .
فقال بعضهم : كانوا أحد عشر رجلاً وأربع نسوة .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ،
قال : حدثنا يونس بن محمد الظفري ، عن أبيه ، عن رجل من قومه .
قال : وأخبرنا عبيد الله بن العباس الهذلي ، عن الحارث بن الفضيل ،
قالا : خرج الذين هاجروا الهجرة الأولى متسللين سرّاً ، وكانوا أحد عشر رجلاً
وأربع نسوة ، حتى انتهوا إلى الشعبية ، منهم الراكب والماشى ، ووفق الله
للمسلمين ساعة جاءوا سفيتين للتجار حملهم فيهما إلى أرض الحبشة
بنصف دينار ، وكان مخرجهم في رجب^(١) في السنة الخامسة ، من
حين نبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرجت قريش في آثارهم حتى
جاءوا البحر ، حيث ركبوا فلم يدركوا منهم أحداً .
قالوا : وقدمنا أرض الحبشة ، فجاورنا بها خير جار ، أميناً على ديننا ،
وعبدنا الله ، لا نؤذي ولا نسمع شيئاً نكرهه^(٢) .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد
ابن عمر ، قال : حدثني يونس بن محمد ، عن أبيه . قال : وحدثني

(١) ابن سعد : « من رجب » .

(٢) طبقات ابن سعد ١ : ٢٠٤ .

عبد الحميد^(١) ، عن محمد بن يحيى بن حَبَّان ؛ قالاً : تسمية القوم الرجال والنساء : عثمان بن عفان معه امرأته رُقَيْيَّة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو حذيفة بن عُبَيْدَةَ بن ربيعة معه امرأته سَهْلَة بنت سُهَيْل ابن عمرو ، والزبير بن العوام بن خُوَيْلِد بن أسد ، ومُصْعَب بن عُمر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدَّار ، وعبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف ابن الحارث بن زُهرة ، وأبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم ؛ معه امرأته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم ، وعثمان بن مظعون الجُمَحِيّ ، وعامر بن ربيعة العُزَيْرِيّ ؛ من عَنَز بن وائل - ليس من عَنَزَة - حليف بني عدى بن كعب ، معه امرأته ليلى بنت أبي حَثْمَة ، وأبو سَبْرَة بن أبي رُهْم بن عبد العُزَيْرِي العامريّ ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس ، وسُهَيْل بن بيضاء ، من بني الحارث بن فِهْر ، وعبد الله بن مسعود حليف بني زهرة^(٢).

• • •

قال أبو جعفر : وقال آخرون : كان الذين لحقوا بأرض الحبشة ، وهاجروا إليها من المسلمين - سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم صغاراً وولدوا بها - اثنين وعثمانين رجلاً ؛ إن كان عثمان بن ياسر فيهم ؛ وهويشك فيه !

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : لما رأى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ما يصيبُ أصحابه من البلاء ، وما هو^(٣) فيه من العافية بمكانه من الله وعمه^(٤) أبي طالب ، وأنه لا يقدرُ على أن يمنعهم ممَّا هم فيه من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة ! فإنَّ بها ملكاً

(١) ابن سعد : « عبد الحميد بن جعفر » .

(٢) طبقات ابن سعد ١ : ٢٠٤ .

(٣) م : « وما هم » .

(٤) ابن هشام : « ومن عمه » .

لا يظلم أحدٌ عنده ، وهى أرضٌ صدق ؛ حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه ! فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة ؛ وفراراً إلى الله عز وجل بدينهم ؛ فكانت أول هجرة كانت فى الإسلام ؛ فكان أول من خرج من المسلمين من ١١٨٤/١ بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف عثمان بن عفان بن أبى العاص ابن أمية ؛ ومعه امرأته رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ومن بنى عبد شمس أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، ومعه امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو ؛ أحد بنى عامر بن لؤى ؛ ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصي الزبير بن العوام .

فعدّ النفر الذين ذكرهم الواقدي ؛ غير أنه قال : من بنى عامر بن لؤى ابن غالب بن فهر أبو سبرة بن أبى رهم بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبد ودّ بن نضر بن مالك بن حنسل بن عامر بن لؤى ؛ ويقال : بل أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نضر بن مالك بن حنسل ابن عامر بن لؤى . قال : ويقال : هو أول من قدمها ؛ فجعلهم ابن إسحاق عشرة ؛ وقال : كان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة - فيما بلغنى .

قال : ثم خرج جعفر بن أبى طالب ، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة ؛ فكانوا بها ، منهم من خرج بأهله معه ، ومنهم من خرج بنفسه لا أهل معه ؛ ثم عدّ بعد ذلك تمام اثنين وثمانين رجلاً ؛ بالعشرة الذين ذكرت بأسمائهم ؛ ومن كان منهم معه أهله وولده ؛ ومن ولد له بأرض الحبشة ، ومن كان منهم لا أهل معه ^(١) .

• • •

قال أبو جعفر : ولما خرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ١١٨٥/١ عليه وسلم إلى أرض الحبشة مهاجراً إليها ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم

مقيم بمكة ، يدعوا إلى الله سرّاً وجهراً ، قد منّ الله بعمه أبي طالب وبمن استجاب لنصرتهم من عشيرته ، ورأت قريش أنهم لا سبيل لهم إليه ، رموه بالسحر والكنهانة والجنون ؛ وأنه شاعر ، وجعلوا يصدّون عنه من خافوا منه أن يسمع قوله فيتبعه ؛ فكان أشدّ ما بلغوا منه حينئذٍ - فيما ذكر - ما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عروة بن الزبير ، عن أبيه عروة ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قلت له : ما أكثر ^(١) ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تُظهر من عداوته ! قال : قد حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحجر ، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ما رأينا مثلاً ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط ! سقّه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرّق جماعتنا ، وسبّ آلهتنا ! لقد صبرنا منه على أمر عظيم - أو كما قالوا .

فينا هم كذلك إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يمشى حتى استلم الركن ، ثم مرّ بهم طائفاً بالبيت ، فلما مرّ بهم غمزوه ^(٢) ببعض القول . قال : فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مضى ، فلما مرّ بهم الثانية غمزوه مثلها ؛ فعرفت ذلك في وجهه ، ثم مضى ، ثم مرّ بهم الثالثة ، فغمزوه بمثلها ، فوقف فقال : أسمعون يا معشر قريش ! أما والذي نفس محمد بيده ، لقد جئتكم بالذبح ^(٣) ! قال : فأخذت القوم كلمته ؛ حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع ؛ وحتى إن أشدّهم فيه وصاة ^(٤) قبل ذلك ليرفّوه ^(٥) بأحسن ما يجد من القول ؛ حتى إنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم راشداً ، فوالله ما كنت جهولاً ^(٦) !

١١٨٦/١

(١) م : « ما أكبر » .

(٢) غمزوه : طعنوا فيه .

(٣) بالذبح ، أراد تهديدهم بالهلاك .

(٤) الوصاة : التوسية .

(٥) يرفّوه : يهدّونه ويرفق به ، وفي ر : « ليلقاه » .

(٦) ر : « ما كنت جهولاً قط » .

قال : فانصرف رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ حتى إذا كان الغد ، اجتمعوا في الجحر ، وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما يبلغ منكم ، وما يبلغكم عنه ؛ حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه ! فيناهم كذلك إذ طلع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد ؛ وأحاطوا به يقولون له : أنت الذى تقول كذا وكذا ! لما يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم أنا الذى أقول ذلك ؛ قال : فلقد رأيت رجلاً منهم أخذاً يجتمع رداؤه . قال : وقام أبو بكر الصديق دونه . يقول وهو يبكي : ويلكم ! أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ! ثم انصرفوا عنه . فإن ذلك أشد ما رأيت قريشاً بلغت منه قط^(١) .

حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا بشر بن بكر ، قال : حدثنا الأوزاعي ، قال : حدثنا يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، قال : قلت لعبد الله بن عمرو : حدثني بأشد شيء رأيت المشركين صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : أقبل عقبة بن أبي معيط ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم عند الكعبة ، فلوى ثوبه في عنقه ، وخنقه خنقاً شديداً ، فقام أبو بكر من خلفه ، فوضع يده على منكبيه ، فدفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال أبو بكر : يا قوم : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾^(٢)

١١٨٧/١

قال ابن إسحاق : وحدثني رجل من أسلم كان واعيةً ، أن أبا جهل ابن هشام مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو جالس عند الصفا ، فأذاه وشتمه ، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف له ، فلم يكلمه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ ومولاه لعبد الله بن جده عان التيمي في مسكن لها فوق الصفا تسمع ذلك . ثم انصرف عنه ، فعمد إلى نادى^(٣)

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٢) سورة غافر ٢٨ .

(٣) ابن هشام : « إلى ناد من قريش » ، والثاني : مجلس القوم .

قُرَيْشٍ عِنْدَ الْكَعْبَةِ ، فَجَلَسَ مَعَهُمْ فَلَمْ يَلْبَثْ حِمَزَةً بَيْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ أَنْ أَقْبَلَ
مَتَوَشِّحًا قَوْسَهُ ، رَاجِعًا مِنْ قَنْصٍ ^(١) لَهُ - وَكَانَ صَاحِبَ قَنْصٍ يَوْمِيهِ
وَيُخْرِجُ لَهُ ، وَكَانَ إِذَا رَجَعَ مِنْ قَنْصِهِ لَمْ يَصِلْ إِلَى أَهْلِهِ حَتَّى يَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ ،
وَكَانَ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يَمُرَّ عَلَى نَادٍ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا وَقَفَ وَسَلَّمَ وَتَحَدَّثَ مَعَهُمْ ،
وَكَانَ أَعَزَّ قُرَيْشٍ وَأَشَدَّهَا شَكِيمَةً - فَلَمَّا مَرَّ بِالْمَوْلَاةِ وَقَدْ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ ، قَالَتْ : يَا أَبَا عُمَارَةَ ، لَوْ رَأَيْتَ مَا لَقِيَ ابْنُ أَخِيكَ
مُحَمَّدٌ آتِفًا قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَ مِنْ أَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ ! وَجَدَهُ هَاهُنَا جَالِسًا
فَسَبَّهُ وَأَذَاهُ ، وَبَلَغَ مِنْهُ مَا يَكْرَهُ ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ وَلَمْ يَكَلِّمْهُ مُحَمَّدٌ .

قال : فاحتمل حمزة الغضب لِمَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ ، فَخَرَجَ سَرِيعًا -
لَا يَقِفُ عَلَى أَحَدٍ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ - يَرِيدُ الطَّوْفَ بِالْكَعْبَةِ ، مُعِيدًا لِأَبِي جَهْلٍ
إِذَا لَقِيَهُ أَنْ يَقَعَ بِهِ ، فَلَمَّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ نَظَرَ إِلَيْهِ جَالِسًا فِي الْقَوْمِ ، فَأَقْبَلَ
نَحْوَهُ ، حَتَّى إِذَا قَامَ عَلَى رَأْسِهِ ، رَفَعَ الْقَوْسَ فَضْرَبَهُ بِهَا ضَرْبَةً فَشَجَّتْهَا بِهَا شَجَّةٌ
مَنْكَرَةٌ ، وَقَالَ : أَتَشْتَمُهُ وَأَنَا عَلَى دِينِهِ أَقُولُ مَا يَقُولُ ! فَرُدَّ ذَلِكَ عَلَى إِنْ
اسْتَطَعْتُ ! وَقَامَتِ رِجَالُ بَنِي مُخْزُومٍ إِلَى حِمَزَةٍ لِيَنْصُرُوا أَبَا جَهْلٍ مِنْهُ ، فَقَالَ
أَبُو جَهْلٍ : دَعُوا أَبَا عُمَارَةَ ، فَلَنِي وَاللَّهِ لَقَدْ سَبَبْتُ ابْنَ أَخِيهِ سَبًّا قَبِيحًا . وَتَمَّ
حِمَزَةٌ عَلَى إِسْلَامِهِ ، فَلَمَّا أَسْلَمَ حِمَزَةٌ عَرَفَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ عَزَّ ، وَأَنَّ حِمَزَةَ سَمِعَتْهُ ، فَكَفَرُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ بَعْضُ مَا كَانُوا يَنَالُونَ مِنْهُ ^(٢) .

حدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ :
حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : كَانَ أَوَّلُ مَنْ جَهَرَ
بِالْقُرْآنِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، قَالَ :
اجْتَمَعَ يَوْمًا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا : وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ
قُرَيْشًا بِهَذَا الْقُرْآنِ يَجْهَرُ لَهَا بِهِ قَطُّ ، فَسَنَ رَجُلٌ يُسَمِعُهُمْ ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ

(١) القَنْصُ : الصَيْدُ .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ١٨٥

ابن مسعود : أنا ، قالوا : إنا نخشاهم عليك ، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمتنعونه من القوم إن أرادوه ، فقال : دعوني ، فإن الله سيمنعني ، قال : فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى ، وقريش في أنديتها ، حتى قام عند المقام ثم قال : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ — رافعاً بها صوته — ﴿ الرَّحْمَنُ • عَلَّمَ الْقُرْآنَ • خَلَقَ الْإِنْسَانَ • عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ ، قال : ثم استقبلها يقرأ فيها ، قال : وتأمّلوا وجعلوا يقولون : ما يقول ابن أمّ عبد ! ثم قالوا : إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد . فقاموا إليه ، فجعلوا يضربون في وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ . ثم انصرف إلى أصحابه ، وقد أثروا بوجهه ، فقالوا : هذا الذي خشيناه عليك ! قال : ما كان أعداء الله أهون عليّ منهم الآن^(١) ! لئن شئت لأغادينهم غداً بمثلها ، قالوا : لا ، حسبك ، فقد أسمعتمهم ما يكرهون^(٢) .

١١٨٩/١

. . .

قال أبو جعفر : ولما استقرّ بالذين هاجروا إلى أرض الحبشة القرار بأرض النجاشي وأطمأنوا ، تأمرت قريش^(٣) فيما بينها في الكيّد بمن ضوّى إليها من المسلمين ، فوجهوا عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي إلى النجاشي ، مع هدايا كثيرة أهدوها إليه وإلى بطارقه ، وأمروهما أن يسألا النجاشي تسليم من قبّله وبأرضه من المسلمين إليهم . فشخص عمرو وعبد الله إليه في ذلك ، فنقذا لما أرسلهما إليه قومهما ، فلم يصلأ إلى ما أمل قومهما من النجاشي ، فرجعا مقبوحين ، وأسلم عمر بن الخطاب رحمه الله ، فلما أسلم — وكان رجلاً جليداً منيعاً ، وكان قد أسلم قبل ذلك حمزة ابن عبد المطلب ، ووجد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في أنفسهم قوة^(٤) ، وجعل الإسلام يفشو^(٥) في القبائل ، وحمى النجاشي من ضوّى إلى بلده منهم — اجتمعت قريش ، فاثمرت بينها : أن يكتبوا بينهم كتاباً

(١) ح : « اليوم » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٠١ .

(٣) ح : « يقوى ويفشو » .

(٤) ضوى إلى بلده : لجأ إليه .

يتعاقدون فيه ؛ على ألا يُنكحوا إلى بني هاشم وبني المطلب ، ولا يُنكحهم ولا يبيعهم شيئاً ، ولا يبتاعوا منهم ، فكتبوا بذلك صحيفة ، وتعاقدوا وتوافقوا على ذلك ، ثم علّقوا الصحيفة في جوف الكعبة ، تؤكد بذلك الأمر على أنفسهم ، فلمّا فعلت ذلك قريش ، انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب ، فدخلوا معه في شيعته^(١) ، واجتمعوا إليه ، وخرج من بني هاشم أبو لب عبد العزّي بن عبد المطلب إلى قريش ، وظاهرهم عليه^(٢) ، فأقاموا على ذلك من أمرهم سنتين أو ثلاثاً ؛ حتى جهدوا ألا يصل إلى أحد منهم شيء إلا سرّاً ، مستخفياً به من^(٣) أراد صلّتهم من قريش . وذكر أن أبا جهل لقي حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد ، معه غلام يحمل قمحاً يريد به نعمته خديجة بنت خويلد ، وهي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعه في الشعب ، فتعلّقت به ، وقال : أتذهب بالطعام إلى بني هاشم ! والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك^(٤) بمكة ! فجاء أبو البختريّ بن هشام بن الحارث ابن أسد ، فقال : مالك وله ! قال : يحمل الطعام إلى بني هاشم ، فقال له أبو البختريّ : طعامٌ لعمّته عنده بعثت إليه فيه ، أفتمنعه أن يأتيها بطعامها ! خلّ سبيل الرجل . فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه ، فأخذ أبو البختريّ لحنى بعير^(٥) ، فضربه فشجّه ، ووطئه وطئاً شديداً ، وحمزة ابن عبد المطلب قريب يرى ذلك ، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فيشتمّوا بهم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في كلّ ذلك ، يدعو قومه سرّاً وجهراً ، آناء الليل وآناء النهار ، والوحي عليه من الله متابعٌ بأمره ونهيه ، ووعيد^(٦) من فاصبه العداوة ، والحقج لرسول الله صلى الله عليه وسلم على من خالفه^(٧) .

١١٩١/١

(١) الشعب : الطريق في الجبل .

(٢) ح : « عليهم » .

(٣) ط : « من » ، وما أثبت من ابن هشام .

(٤) ح ، ر : « ففضحك » .

(٥) ر : « فقام أبو البختريّ إلى لحنى جمل » .

(٦) ح : « ووعيده » .

(٧) سيرة ابن هشام ١ : ٢١٩ ، ٢٢٠ .

فذكر أن أشراف قومه اجتمعوا له يوماً - فيما حدثني محمد بن موسى الحرشي ، قال : حدثنا أبو خلف عبد الله بن عيسى ، قال : حدثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن قريشاً وعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطوه مالا فيكون أغنى رجل بمكة ، ويزوجوه ما أراد من النساء ، ويطئوا عقبه ، فقالوا : هذا لك عندنا يا محمد ، وكف عن شتم آلها فلا تذكرها بسوء ؛ فإن لم تفعل فلإنا نعرض عليك خصلة واحدة فهي لك ولنا فيها صلاح . قال : ما هي ؟ قالوا : تعبد آلها سنة ؛ اللات والعزى ، وتعبد إلهك سنة ، قال : حتى أنظر ما يأتي من عند ربى ! فجاء الوحي من اللوح المحفوظ : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ . لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ [السورة ، وأنزل الله عز وجل : ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَمُرُّونَ أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ ^(١) .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن علية ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني سعيد بن ميناء ، مولى أبي البخرى ، قال : لقى الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن المطلب وأمية بن خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد ، هلم فلنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ، ونشركك في أمرنا كله ؛ فإن كان الذى جئت به خيراً مما فى أيدينا ، كنّا قد شررناك فيه ، وأخذنا بحظنا منه ؛ وإن كان الذى بأيدينا خيراً مما فى يدك ، كنت قد شررناك فى أمرنا ، وأخذت بحظك منه . فأنزل الله عز وجل : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ ؛ حتى انقضت السورة ^(٢) . ١١٩٢/١

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصاً على صلاح قومه ، محباً لمقاربتهم بما وجد إليه السبيل ، قد ذكر أنه تمت إلى مقاربتهم ، فكان من أمره فى ذلك ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال :

(١) سورة الزمر ٦٤ - ٦٦ ، والخبر فى التفسير ٣٠ : ٢١٤ (بولاق) .

(٢) الخبر فى التفسير ٣٠ : ٢١٤ (بولاق) .

حدثني محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن زياد المدني^(١) ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تَوَلَّى قَوْمَهُ عَنْهُ ، وَشَقَّ عَلَيْهِ مَا يَرَى مِنْ مِبَاعِلَتِهِمْ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ اللَّهِ ، تَمَنَّى فِي نَفْسِهِ أَنْ بَأْيَتَهُ مِنْ اللَّهِ مَا يَقَارِبُ^(٢) بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمِهِ ، وَكَانَ يَسْرُهُ مَعَ حَبَّةِ قَوْمِهِ ، وَحَرَصَهُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَلِينَ لَهُ بَعْضُ مَا قَدْ غَلِظَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِهِمْ ؛ حَتَّى حَدَّثَ بِذَلِكَ نَفْسَهُ ، وَتَمَنَّاهُ وَأَحْبَبَهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَالتَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ . وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ فَمَا اَنْتَهِى إِلَىٰ قَوْلِهِ : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ اللَّاتِ وَالْعُزَّىٰ . وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ۚ ﴾^(٣) ، أَلْقَى الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِهِ ، لَمَّا كَانَ يَحْدُثُ بِهِ نَفْسَهُ ، وَيَتَمَنَّى أَنْ يَأْلَ بِهِ قَوْمَهُ : « تِلْكَ الْغَرَائِيقُ الْعُلَا ، وَإِنْ شَفَاعَتُنْ لَتُرْتَبِّحِي » ؛ فَلَمَّا سَمِعَتْ ذَلِكَ قَرِيشَ فَرَحُوا ، وَسَرَّهْمُ وَأَعْجَبَهُمْ مَا ذَكَرَ بِهِ آلَهُتُهُمْ ، فَأَصَاخُوا لَهُ - وَالْمُؤْمِنُونَ مُصَدِّقُونَ نَبِيِّهِمْ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ عَنْ رَبِّهِمْ ، وَلَا يَتَّهِمُونَهُ عَلَى خَطَا وَلَاوِهِمْ وَلَا زَلَلٍ - فَلَمَّا اَنْتَهَى إِلَى السَّجْدَةِ مِنْهَا وَخَتَمَ السُّورَةَ سَجَدَ فِيهَا ، فَسَجَدَ الْمُسْلِمُونَ بِسُجُودِ نَبِيِّهِمْ ، تَصَدِيقًا لَمَّا جَاءَ بِهِ ، وَاتِّبَاعًا لِأَمْرِهِ ، وَسَجَدَ مَنْ فِي الْمَسْجِدِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَرِيشَ وَغَيْرِهِمْ ، لَمَّا سَمِعُوا مِنْ ذِكْرِ آلَهُتِهِمْ ، فَلَمْ يَبْقَ فِي الْمَسْجِدِ مُؤْمِنٌ وَلَا كَافِرٌ إِلَّا سَجَدَ ، إِلَّا الْوَلِيدَ بْنَ الْمَغْبِرَةِ ، فَإِنَّهُ كَانَ شَيْخًا كَبِيرًا ، فَلَمْ يَسْتَطِعِ السُّجُودَ ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ حَقَنَةً مِنَ الْبَطْلَحَاءِ فَسَجَدَ عَلَيْهَا ، ثُمَّ تَفَرَّقَ النَّاسُ مِنَ الْمَسْجِدِ ، وَخَرَجَتْ قَرِيشَ ، وَقَدْ سَرَّهْمُ مَا سَمِعُوا مِنْ ذِكْرِ آلَهُتِهِمْ ، يَقُولُونَ : قَدْ ذَكَرَ مُحَمَّدٌ آلَهُتَنَا بِأَحْسَنِ^(٤) الذِّكْرِ ، قَدْ زَعَمَ فِيمَا يَتْلُو : « أَنَّهَا الْغَرَائِيقُ الْعُلَا ، وَأَنَّ شَفَاعَتَهُنَّ تُرْتَضَى » وَبَلَغَتْ السَّجْدَةَ مَنْ بَارِضَ الْحَبْشَةِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَقِيلَ : أَسْلَمَتْ قَرِيشَ ، فَهَضَّ مِنْهُمْ رِجَالٌ ، وَتَخَلَّفَ آخَرُونَ ، وَأَتَى جَبْرِيلُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، مَاذَا

(١) ر : « الرى » .

(٢) ر : « يقرب » .

(٣) سورة التجم ١ - ٢٠

(٤) ر : « فأحسن » .

صنعت! لقد تلوت على الناس ما لم آتِكَ به عن الله عزّ وجلّ، وقلت ما لم يقل لك! فحزن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك حُزْنًا شديدًا، وخاف من الله خوفًا كثيرًا^(١)، فأنزل الله عزّ وجلّ - وكان به رحيمًا - يعزّيه ويخفّض عليه الأمر، ويخبره أنه لم يكُ قبله نبي ولا رسول تمنّى كما تمنّى، ولا أحبّ كما أحبّ إلاّ والشيطان قد ألقى في أمّنيته، كما ألقى على لسانه صلى الله عليه وسلم، فنسخ^(٢) الله ما ألقى الشيطان وأحكم آياته؛ أي فلما أنت كـبعض الأنبياء والرسل، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٣)، فأذهب الله عزّ وجلّ عن نية الحزن، وآمنه من الذي كان يحاف، ونسخ ما ألقى الشيطان على لسانه من ذكر آلهتهم: «أنها الغرائقُ العلاءُ وأنّ شفاعتَهن ترفض» ، بقول الله عزّ وجلّ حين ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى: ﴿الْكُفْرُ الَّذِي كَرِهَ الْأَنْبِيَاءُ . تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ أي عوجاء، ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ - إلى قوله - ﴿لَنْ يَشَاءَ وَيَرْضَى﴾^(٤)، أي فكيف تنفع شفاعة آلهتكم عنده!

فلما جاء من الله ما نسخ^(٥) ما كان الشيطان ألقى على لسان نبيّه^(٦)، قالت قريش: نديم محمد على ما ذكر من منزلة آلهتكم عند الله، فغيّر ذلك وجاء بغيره، وكان ذانك الحرفان اللذان ألقى الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقعا في فم كلّ مشرك، فازدادوا شرًّا إلى ما كانوا عليه^(٧)، وشدة على من أسلم واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم،

(١) ح والتفسير: «كثيراً».

(٢) م: «فينسخ».

(٣) سورة الحج ٥٢.

(٤) سورة النجم ٢١ - ٢٦.

(٥ - ٥) ح: «وما كان الشيطان ألقى على نبيه».

(٦) الخبر إلى هنا في التفسير ١٧: ١٣١، ١٣٢ (بولاق).

وأقبل أولئك التفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين خرجوا^(١) من أرض الحبشة لِمَا بلغهم من إسلام أهل مكة حين سجدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا دنوا من مكة ، بلغهم أن الذي كانوا يتحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلا ، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار ، أو مستخفيا ، فكان ممن قدم مكة منهم فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة ، فشهد معه بدرًا من بني عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، عثمان بن عفان ابن أبي العاص بن أمية ، معه امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس معه امرأته سهلة بنت سهيل ، وجماعة أخر معهم ، عددهم ثلاثة وثلاثون رجلا . ١١٩٥/١

حدثني القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثني حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس ، قالوا : جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناد من أندية قریش ، كثير أهله ، فتمنى يومئذ ألا يأتيه من الله شيء فينفر وأعنه ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ ، فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا بلغ : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ . وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴾ ألقى الشيطان عليه كلمتين : « تلك الغرائق^(٢) العلاء وإن شفاعتين لترجي^(٣) » ، فتكلم بهما ، ثم مضى فقرأ السورة كلها ، فسجد في آخر السورة ، وسجد القوم معه جميعا ، ورفع الوليد بن المغيرة ترابا إلى جبهته ، فسجد عليه - وكان شيخا كبيرا لا يقدر على السجود - فرضوا بما تكلم به ، وقالوا : قد عرفنا أن الله يحيي ويميت ، وهو الذي يخلق ويرزق ، ولكن آلمتنا هذه تشفع لنا عنده ، فإذا جعلت لها نصيبا فنحن معك . قالوا : فلما أمسنى

(١) م : « خرجوا إليه » .

(٢) ح : « الغرائقة » .

(٣) ر : « ترقى » .

أنه جبرئيل عليه السلام ، فعرض عليه السورة ، فلما بلغ الكلمتين اللتين ألقى
 الشيطان عليه ، قال : ما جئتُك بهاتين ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 افتريتُ على الله ، وقلتُ على الله ما لم يقل ، فأوحى الله إليه : ﴿ وَإِنْ كَادُوا
 لَيَفْتِنُونَكَ عَنْ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ﴾ إلى قوله :
 ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾^(١) ؛ فما زال مغموماً مهموماً ، حتى
 نزلت : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ - إلى قوله : ١١٩٦/١
 ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾^(٢).

قال : فسمع من كان بأرض الحبشة من المهاجرين أن أهل مكة قد
 أسلموا كلهم ، فرجعوا إلى عشائهم ، وقالوا : هم أحبُّ إلينا ، فوجدوا القوم
 قد ارتكسوا حين نسخ الله ما ألقى الشيطان ، ثم قام - فيما حدثنا ابن حميد ،
 قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، في نقص الصحيفة التي كانت
 قريش كتبت بينها على بني هاشم وبني المطلب - نفرٌ من قريش . وكان
 أحسنهم بلاءً فيه هشام بن عمرو بن الحارث العامري ، من عامر بن لؤي -
 وكان ابن أخي فضلة بن هاشم بن عبد مناف لأمه - وإنه مشى إلى زهير
 ابن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكانت أمه عاتكة بنت
 عبد المطلب - فقال : يا زهير ، أرضيت أن تأكل الطعام ، وتلبس الثياب ،
 وتتكبح النساء ، وأحوالك حيث قد علمت ، لا يبايعون ولا يتنازع منهم ،
 ولا ينكحون ولا ينكح إليهم ! أما إنني أحلف بالله لو كانوا أحوال أبي الحكم
 ابن هشام ثم دعوته إلى مثل مادعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبداً . قال :
 ويحك يا هشام ! فإذا أصنع ! إننا أنا رجل واحد ، والله لو كان معي رجل
 آخر لقمتم في نقضها حتى أنقضها . قال : قد وجدت رجلاً ، قال : من
 هو ؟ قال : أنا ، قال له زهير : ابغينا ثالثاً ، فذهب إلى السطيم بن عدى
 ابن نوفل بن عبد مناف ، فقال له : يا سطيم ، أقصد رَضيت أن يهلك بطنان

(١) سورة الإسراء ٧٣ - ٧٥ .

(٢) سورة الحج ٥٢ ، والخبر في التفسير ١٧ : ١٣١ (بوقاق) .

من نبي عبد مناف ، وأنت شاهد على ذلك ، موافق لقريش فيه ! أما والله لئن أمكنتهم من هذه لتجدتهم إليها منكم سراعاً^(١) . قال : ويحك ! فإذا أصنع !
 إنما أنا رجل واحد ، قال : قد وجدت ثانياً ، قال : من هو ؟ قال : أنا ،
 قال : ابغنا ثالثاً^(٢) ، قال : قد فعلت ، قال من هو ؟ قال : زهير بن
 أبي أمية ، قال : ابغنا رابعاً ، فذهب إلى أبي البختري بن هشام ، فقال له نحواً
 مما قال للمطعم بن عدى ، فقال : وهل من أحد يُعين على هذا ؟ قال :
 نعم ، قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبي أمية والمطعم بن عدى وأنا معك .
 قال : ابغنا خامساً ، فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ،
 فكلّمه ، وذكر له قرابتهم وحقهم ، فقال له : وهل على هذا الأمر الذي
 تدعوني إليه من أحد ؟ قال : نعم ، ثم سمي له القوم . فاتّبعوا له خُطْمَ الجحون
 الذي^(٣) بأعلى مكة ، فاجتمعوا هنالك ، وأجمعوا أمرهم ، وتعاهدوا على القيام
 في الصحيفة حتى ينقضوها ، وقال زهير : أنا أبدؤكم فأكون أولكم يتكلم ،
 فلما أصبحوا غدوا إلى أئديتهم ، وغدا زهير بن أبي أمية ، عليه حلة له ؛
 فطاف بالبيت سبعاً ، ثم أقبل على الناس فقال : يا أهل مكة ؛ أنا كل
 الطعام ، ونشرب الشراب ، ونلبس الثياب ، وبنو هاشم هلكى لا يبايعون
 ولا يتناح منهم ! والله لا أقعد حتى تشقّ هذه الصحيفة القاطعة الظّالمة ،
 ١١٩٨/١ قال أبو جهل - وكان في ناحية المسجد : كذبت ، والله لا تشقّ ! قال زمعة
 ابن الأسود : أنت والله أكذب ، ما رضينا كتابها حين كتبت ؛ قال أبو البختري :
 صدق زمعة ، لا نرضى ما كتب فيها ولا نُقرُّ به ! قال المطعم بن عدى :
 صدقتما وكذب من قال غير ذلك ؛ نبرأ إلى الله منها ، ومما كُتب
 فيها ؛ وقال هشام بن عمرو نحواً من ذلك ، قال أبو جهل : هذا أمر قُضِيَ
 بليلٍ ، وتُشَوَّرَ فيه بغير هذا المكان - وأبو طالب جالس في ناحية المسجد -
 وقام المطعم بن عدى إلى الصحيفة ليشقّها ؛ فوجد الأرضة قد أكلتها ؛

(١) ط : « سريماً » ، وما أثبتته من ابن هشام .

(٢) قال في اللسان : « ابغنى كذا » بهزّة الواصل ، أى اطلب لى ، وأبغنى بهزّة القطع ،
 أى أحنى على الطلب .

(٣) كذا في ح وابن الأثير ، وفي ط : « التى » .

إلا ما كان من «باسمك اللهم» ، وهي فائحة ما كانت تكتب قريش ؛ فتفتح بها كتابها إذا كتبت .

قال : وكان كاتب صحيفة قريش - فيما بلغني - التي كتبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطه من بني هاشم وبني المطلب ، منصور بن عكرمة ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ، فشككت يده (١) .

وأقام بقيتهم بأرض الحبشة ؛ حتى بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي عمرو بن أمية الضمري ، فحملهم في سفينتين ، فقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بخير بعد الحديبية . وكان جميع من قدم في السفينتين ستة عشر رجلاً .

• • •

ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مقيماً مع قريش بمكة يدعوهم إلى الله سرّاً وجهراً ، صابراً على أذاهم وتكذيبهم إياه واستهزائهم به ؛ حتى إن كان بعضهم - فيما ذكر - يطرح عليه رجم الشاة وهو يصلي ، ١١٩٩/١ ويطرحها في برمته إذا نُصبت له (٢) ؛ حتى اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم - فيما بلغني - حجراً يستتر به منهم إذا صلى .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، قال : حدثني عمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج بذلك إذا رُمي به في داره على العود فيقف على بابه ، ثم يقول : يا بني عبد مناف ، أي جوار هذا ! ثم يُلقيهِ بالطريق .

ثم إن أبا طالب وخديجة هلكا في عام واحد - وذلك فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق - قبل هجرته إلى المدينة بثلاث سنين ، فعظمت المصيبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بهلاكهما ؛ وذلك أن قريشاً

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٢٣١ ، ٢٣٢ .

(٢) ر : « ٤ » .

وصلوا من أذاه بعد موت أبي طالب إلى ما لم يكونوا يصلون إليه في حياته منه ؛
حتى نَشَرَ بعضهم على رأسه التراب^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال :
حدثني هشام بن عروة ، عن أبيه قال : لما نثر ذلك السَّفِيهِ التُّرَابَ على
رأسِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته
والتراب على رأسه ، فقامت^(٢) إليه إحدى بناته تغسل عنه التراب ؛ وهي تبكي ،
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها : يَا بُنَيَّةُ لَا تَبْكِي ؛ فَإِنَّ اللَّهَ مَانِعٌ
أَبَاكَ ! قال : ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما نالتُ منِّي قریش
شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب^(٣)

• • •

ولما هلك أبو طالب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف
يلتمس من ثقيف النصر والمنعة^(٤) له من قومه ؛ وذُكِرَ أَنَّهُ خرج إليهم
وحده ؛ فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا ابنُ إسحاق ١٢٠٠/١
قال : حدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : لما انتهى
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف عمد إلى نفرٍ من ثقيف — هم يومئذ
سادة ثقيف وأشرافهم ؛ وهم إخوة ثلاثة : عبد باليل بن عمرو بن عمير ، وسعود
ابن عمرو بن عمير ، وحبيب بن عمرو بن عمير ؛ وعندهم امرأة من قریش
من بني جُمَح ، فجلس إليهم — فدعاهم إلى الله وكلَّمهم بما جاء لهم^(٥)
من نصرته على الإسلام ، والقيام معه على مَنْ خالفه من قومه ، فقال أحدهم :
هو يغرط^(٦) ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك ! وقال الآخر : ما وجد الله

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٨ .

(٢) في الأصول : « قامت » ، وما أثبت من ابن هشام .

(٣) ر : « انفصل والمنعة » .

(٤) ح : « جاء إليه » .

(٥) يرمطها : أي ينزعها ويرم بها .

أحدًا يرسله غيرك ! وقال الثالث : والله لا أكلّمك كلمة أبدًا ؛ لئن كنت رسولاً من الله كما تقول ؛ لأنت أعظمُ خطراً من أن أردّ عليك الكلام ؛ ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلّمك !

فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من عندهم ، وقد يش من خيرٍ ثقيف ؛ وقد قال لهم فيها ذكر لي - : إذ فعلتم ما فعلتم فاكموا على . وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومَه عنه ، فيُنذرهم ^(١) ذلك عليه ، فلم يفعلوا وأغروا به سفاههم وعبيدهم ، يسبّونه ويصيحون به ؛ حتى اجتمع عليه الناس وألجئوه إلى حائط ^(٢) لعُتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه ، فعمد إلى ظِلِّ حَبَلَةٍ ^(٣) من عنب ، فجلس فيه ، وابنا ربيعة ينظران إليه ، ويريان ما لقي من سفهاء ثقيف . وقد لقي ١٢٠١/١ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - فيها ذكر لي - تلك المرأة من بنى جُمح ، فقال لها : ماذا لقينا ^(٤) من أحماثك ! فلما اطمان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال - فيها ذكر لي : اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ؛ يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ؛ إلى من نكلتني ! إلى بعيد يتجهمني ، أو إلى علو ملّكته أمرى ؛ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ! ولكن عافيتك هي أوسع لي . أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن ينزل بي غضبك ، أو يحل عليّ سخطك ، لك العُتبي ^(٥) حتى ترضى ، لا حول ولا قوة إلا بك .

فلما رأى ابنا ربيعة : عُتْبَةَ وشَيْبَةَ ما لقي ، تحرّكت له رجليهما ،

(١) قال ابن هشام : قوله : « ينفرهم » ؛ يعني يحرق بينهم ، قال عبيد :

وَقَدْ أَتَانِي عَنْ نَجْمٍ أَنَّهُمْ ذَرُّوا لِقَتْلِي عَامِرٍ وَتَصَبُّوا

(٢) الحائط هنا : البستان .

(٣) الحيلة : الكرة من العنب .

(٤) ح : « لقيت » .

(٥) العُتبي : الرضا .

فدعوا له غلاماً لهما نصرانياً؛ يقال له عدّاس، فقالا له: خذ قطعاً^(١) من هذا العتب وضعه في ذلك الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له يأكل منه؛ ففعل عدّاس، ثم أقبل به حتّى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده، قال: «بسم الله»، ثم أكل، فنظّر عدّاس إلى وجهه، ثم قال: والله إنّ هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ومن أهل أيّ البلاد أنت يا عدّاس؟ وما دينك؟ قال: أنا نصراني، وأنا رجل من أهل نينوى^(٢)» فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟ قال له: وما يدريك ما يونس بن متى؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذاك أحمى، كان نبياً وأنا نبي»، فأكب^(٣) عدّاس على^(٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه ورجليه، قال: يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه^(٥): «أما غلامك فقد أفسده عليك. فلما جاءهما عدّاس قالا له: ويلك يا عدّاس! مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه! قال: يأسى على ما في هذه^(٦)» الأرض خير من هذا الرجل! لقد خبرني بأمر لا يعلمه^(٧) إلا نبي، فقالا: ويحك يا عدّاس! لا يصرفتك عن دينك، فإنّ دينك خير من دينه.

ثم إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة حين ينس من خبر ثقيف، حتّى إذا كان بنخلة، قام من جوف الليل يصلي، فقرأ به نفر من الجن الذين ذكر الله عز وجل.

قال محمد بن إسحاق: وهم - فيما ذكر لي - سبعة نفر من جن أهل

(١) التطف: اسم المتعبد، وأصله اسم لكل ما يقطب.

(٢) نينوى: قال أبو ذر الحنفي: «ورويت ها هنا بضم النون الثانية وفتحتها».

(٣) ر: «فأكب».

(٤) م: «على رأس».

(٥) ح: «للآخر».

(٦) من م.

(٧) م: «بما لا يعلم».

نَصِيْبِيْنَ الْيَمْنِ ، فَاسْتَمَعُوا لَهُ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ وَلَتُوا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْتَلِزِينَ ،
 قَدْ آمَنُوا وَاجَابُوا إِلَى مَا سَمِعُوا ، فَقَصَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَبَرَهُمْ عَلَيْهِ :
 ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنَّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ﴾ - إلى قوله :
 ﴿ وَيُحَرِّكُكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ^(١) . وقال : ﴿ قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ
 اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنَّ . . . ﴾ إلى آخر القصة من خبرهم في هذه السورة ^(٢) .

قال محمد : وتسمية النفر من الجن الذين استمعوا ^(٣) الوحي - فيها بلغنى -

حسًا ، ومسا ، وشاصر ، وفاصر ، واينا الأرد ، وأبين ، والأحم .

• • •

قال : ثم قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وقومه أشد ما كانوا
 عليه من خلافه وفراق دينه ، إلا قليلا مستضعفين ممن آمن به .
 وذكر بعضهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الطائف
 مريداً مكة مرّ به بعض أهل مكة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 هل أنت مبلغ عنى رسالة أرسلك بها ؟ قال : نعم ، قال : ائت الأخنس
 ابن شريق ، فقل له : يقول لك محمد : هل أنت مجيرى حتى أبلغ رسالة
 ربى ؟ قال : فأتاه ، فقال له ذلك ، فقال الأخنس : إن الحليف لا يجير
 على الصريح . قال : فأتى النبی صلى الله عليه وسلم ، فأخبره ، قال : تعود ؟ قال :
 نعم ، قال : ائت سهيل بن عمرو ، فقل له : إن محمداً يقول لك : هل
 أنت مجيرى حتى أبلغ رسالات ربى ؟ . فأتاه فقال له ذلك ، قال : فقال :
 إن بنى عامر بن لؤى لا تجير على بنى كعب . قال : فرجع إلى النبی صلى الله
 عليه وسلم ، فأخبره ، قال : تعود ؟ قال : نعم ، قال : ائت المطعم بن عدى ،
 فقل له : إن محمداً يقول لك : هل أنت مجيرى حتى أبلغ رسالات ربى ^(١) ؟
 قال : نعم ، فليدخل ، قال : فرجع الرجل إليه ، فأخبره ، وأصبح المطعم

(١) سورة الأحقاف ٢٩ - ٣٠ .

(٢) سورة الجن ، والتبر في ابن هشام ١ : ٢٦٠ - ٢٦٣ .

(٣) م : « سموا » .

(٤) ح : « على أن أبلغ » .

ابن عدى قد لبس سلاحه هو وبنوه وبنو أخيه ، فدخلوا المسجد ، فلما رآه أبو جهل ، قال : أمّجير أم متابع ؟ قال : بل مجير ، قال : فقال : قد أجزنا من أجرت ، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة ، وأقام بها ، فدخل يوماً المسجد الحرام والمشركون عند الكعبة ، فلما رآه أبو جهل ، قال : هذا نبيكم يا بني عبد مناف ، قال عتبة بن ربيعة : وما تنكر أن يكون منّا نبيّ أو ملك ! فأخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم — أو سمعه — فأتاهم ، فقال : أما أنت يا عتبة بن ربيعة فوالله ما حميت الله ولا لرسوله ، ولكن حميت لأنفك ، وأما أنت يا أبا جهل بن هشام ، فوالله لا يأتي عليك غير كبير^(١) من الدهر حتى تضحك قليلاً وتبكي كثيراً . وأما أنتم يا معشر الملا من قريش ؛ فوالله لا يأتي عليكم غير كبير^(٢) من الدهر حتى تدخلوا فيما تنكرون ، وأنتم كارهون .

• • •

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه في المواسم — إذا كانت على قبائل العرب ، يدعوهم إلى الله [وإلى نصرته]^(٣) ويخبرهم أنه نبي مرسل ، ويسألم أن يصدّقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به . حدثنا ابن حُمَيد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني حسين بن عبيد الله بن عبد الله بن عباس ، قال : سمعت ربيعة بن عباد يُحدّث أبي ، قال : إني لَغلامٌ شابٌّ مع أبي بمنى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب ، فيقول : يا بني فلان ، إني رسول الله إليكم ، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تخلعوا ما تعبدون^(٤) من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بي

(١) ر : « كبير » .

(٢) ح : « كبير » .

(٣) من ر .

(٤) م : « ما يعبد » .

وتصدّقوني وتمنعوني ، حتى أبين عن الله ما بعثني به .

قال : وخلّفه رجلٌ أحولٌ وضىءٌ له غدیرتان^(١) ، عليه حلّةٌ عَدَنِيّةٌ ، فإذا فرَغَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من قوله ، وما دعا إليه ، قال الرجل : يا بني فلان ، إنّ هذا إنما يدعوكم إلى أن تسلّحُوا اللات والعُزّى من أعناقكم ، وحلفاءكم من الجنّ من بني مالك بن أقيش ، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة ، فلا تطيعوه ولا تسمعوا له .

قال : فقلت لأبي : يا أبت من هذا الرجل الذي يتبعه ، يردّ عليه ما يقول ؟ قال : هذا عمّه عبد العُزّى أبو لب بن عبد المطلب^(٢) .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنا محمد بن مسلم بن شهاب الزهريّ أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أتى كِنْدَةَ في منازلهم ، وفيهم سيّد لهم ، يقال له مُلَيج ، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ ، وعرض عليهم نفسه ، فأبوا عليه^(٣) .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق ، قال : حدّثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حصيّن ، أنّه أتى كَلْبًا في منازلهم إلى بطن منهم يقال لهم بنو عبد الله ، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ ، وعرض عليهم نفسه ، حتى إنّهم ليقول لهم : يا بني عبد الله ، إنّ الله قد أحسن اسم أيّكم . فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم^(٤) .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق : حدّثني بعضُ أصحابنا ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أتى بني حَنِيْفَةَ في منازلهم ، فدعاهم إلى الله ، وعرض

(١) الديرة : الثوباء من الشعر .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٣

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٤

عليهم نفسة ؛ فلم يكن أحدٌ من العرب أقبح ردًّا عليه منهم^(١)

حدثنا ابنُ حَمِيد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، أنه أتى بني عامر بن صعصعة ، فدعاهم إلى الله ، وعرض عليهم نفسه ، فقال رجل منهم ، يقال له بَيْتَحَرَّةَ بن فراس^(٢) : والله لو أتى أخذت هذا الفتى من قريش لأكلتُ به العرب . ثم قال له : أرايتَ إن نحن تابعتك^(٣) على أمرك^(٤) ، ثم أظهركَ الله على مَنْ خالفك ؛ أ يكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال : الأمرُ إلى الله يضعه حيث يشاء . قال : فقال له : أفتُهدفُ^(٥) نحورنا للعرب دونك ، فإذا ظهرتْ كان الأمرُ لغيرنا ؟ لا حاجة لنا بأمرك . فابتؤا عليه ، فلما صدّر الناس ، رجعتْ بنو عامر إلى شيخ لهم ؛ قد كانت أدركته السن ؛ حتى لا يقدر على أن يوافقَ معهم الموسم ، فكانوا إذا رجعوا إليه ، حدثوه^(٦) بما يكون في ذلك الموسم ؛ فلما قدموا عليه ذلك العام ، سألمهم عما كان في موسمهم ، فقالوا : جاءنا فتى من قريش ، ثم أحد بني عبد المطلب ؛ يزعم أنه نبي ، يريدعو^(٧) إلى أن نمنعه^(٨) ونقوم معه ؛ ونخرج به معنا إلى بلادنا . قال : فوضع الشيخُ يده على رأسه ، ثم قال : يا بني عامر ، هل لها من تلافٍ ! هل لذلآبأها^(٩) من مطلب ! والذي نفسُ فلان بيده ما تقولها إسماعيلي^(١٠) قط ! وإنها لحق ، فأين كان رأيكم عنه !

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٤

(٢) في ابن هشام : « فراس بن عبد الله بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن

عامر بن صعصعة » .

(٣) ابن هشام : « يايعناك على أمرك » .

(٤) ح : « تابعتك وآمتك بك » .

(٥) كذا في ابن هشام ؛ أي تصير هدفًا يرمى ، وفي ط : « أفتُهدف » .

(٦) ح : « يحدثونه » .

(٧) د ، وابن هشام : « يدعونا » .

(٨) ح : « ويدعو الله ويريد أن نمنعه » .

(٩) مثل يضرب لما فات ؛ وأصله من ذناب الطائر ؛ إذ أفلت من الحباله .

(١٠) أي ما ادعى النبوة .

فكان رسول الله صلى عليه وسلم على ذلك من أمره ؛ كلما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله وإلى الإسلام ، ويعرض عليهم نفسه وما جاء به من الله من الهدى والرحمة ، لا يسمع بقادم يقدم من العرب ؛ ١٢٠٧/١ له اسمٌ وشرفٌ إلا تصدّى له فدعاه إلى الله ، وعرض عليه ما عنده ^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، قال : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة الظفري ، عن أشياخ من قومه ، قالوا : قدم سويد بن صامت - أخو ^(٢) بني عمرو بن عوف - مكة حاجاً أو معتمراً ، قال : وكان سويد إنما يسميه قومه فيهم الكامل ، بلخده وشعره ، ونسبه وشرفه ؛ وهو الذي يقول :

أَلَا رُبَّ مَنْ تَدْعُو صَدِيقًا وَلَوْ تَرَى مَقَالَتَهُ بِالْقَيْبِ سَاءَ مَا يَفْرَى ^(٣)
مَقَالَتَهُ كَالشَّحْمِ مَا كَانَ شَاهِدًا وَبِالْقَيْبِ مَا نُورٌ عَلَى ثُغْرَةِ النَّحْرِ ^(٤)
يَسْرُكُ بَادِيهِ وَتَحْتَ أَدِيمِهِ نَيْمَةٌ غَشِيَتْ تَبْرِي عَقَبَ الظَّهِيرِ ^(٥)
تُبَيِّنُ لَكَ الْعَيْنَانِ مَا هُوَ كَانِيْمٌ وَلَا جِنَّ بِالْبَعْضَاءِ وَالنَّظَرِ الشَّرِيرِ
فَرَبَّنِي بِخَيْرٍ طَالَمَا قَدْ بَرَيْتَنِي وَخَيْرَ الْمَوَالِي مَنْ يَرِيشُ وَلَا يَبْرِي ^(٦) ١٢٠٨/١

مع أشعار له كثيرة بقولها ^(٧) .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

(٢) ر : « أحد » .

(٣) يفرى : يخلق من القول .

(٤) المأثور هنا : السيف الموشى .

(٥) تبرى : تقطع ، وعقب الظهر : عصبه .

(٦) ريشه : قواه ، ويراه : أضغه .

(٧) ذكر منها ابن هشام :

لَا تَحْسَبْنِي بَابِنَ رُغْبٍ بِنِ مَالِكٍ كَمَنْ كُنْتُ تُرْدِي بِالصُّيُوبِ وَتُخْتَلِ
تَحَوَّلْتُ قَرْنًا إِذْ صُرِغَتْ بِمَزَّةٍ كَذَلِكَ إِنْ الْحَازِمَ الْمُتَحَوَّلُ

قال : فتصدى له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به ، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام . قال : فقال له سويدٌ : فلعلّ أذى معك مثلُ الذي معي ! فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وما الذي معك ؟ قال : مجلّة^(١) لقمان - يعنى حكمة لقمان - فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اعرضها علىّ ، فعرضها عليه ، فقال : إنّ هذا لكلام^(٢) حسنٌ ، معي أفضلُ من هذا ؛ قرآنُ أنزله الله علىّ ، هدى ونورٌ . قال : فتلا عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، ودعاه إلى الإسلام ، فلم يبعد منه ، وقال : إنّ هذا لقولٌ حسنٌ .

ثم انصرف عنه ، وقدم المدينة ، فلم يلبث أن قتلتَه الخزرج ؛ فإن كان قومه ليقولون : قد قُتِل وهو مُسلمٌ ، وكان قتله قبل بُعث^(٣) .

* * *

حدثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : حدثنا سلمةٌ ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني الأخصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعَاذ ؛ أخو بني عبد الأشهل ، عن محمود بن لبيد ؛ أخى بني الأشهل ، قال : لما قدم أبو الحيسر أنسُ بن رافع مكة ، ومعه فتيةٌ من بني عبد الأشهل ، فيهم إياس بن مُعَاذ ؛ يلتصقون الخلف من قريش على قومهم من الخزرج ، سمع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاهم فجلس إليهم ، فقال لهم : هل لكم إلى خير مما جئتم له ؟ قالوا : وما ذاك ؟ قال : أنا رسولُ الله ، بعثني إلى العباد ، أدعهم إلى الله أن يعبدوا الله ، ولا يشركوا به شيئاً ، وأنزل علىّ الكتاب . ثم ذكر لهم^(٤) الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . فقال إياس بن مُعَاذ - وكان ١٢٠٩/١

(١) المجلة : الصحيفة ؟ قال السهيلي : « ولقمان كان نبياً . من أهل أيلة ؛ وهو لقمان ابن عتقاء بن سرور - فيما ذكروا - وابنه الذي ذكر في القرآن هو ثارن - فيما ذكر الزجاج وغيره . ويقل في اسمه غير ذلك ؛ وليس بلقمان بن عاد الحميري . »

(٢) م : « كلام . »

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٥ ، ٢٦٦

(٤) م : « ذكرهم . »

غلاماً حَدَّثَنَا : أَيْ قَوْمٌ ؛ هَذَا وَاللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا جِئْتُمْ^(١) لَهُ . قَالَ : فَيَأْخُذُ أَبُو الْخَيْسَرِ أَنَسُ بْنُ رَافِعٍ حَقَنَةً مِنَ الْبَطْنَاءِ ، فَضَرَبَ بِهَا وَجْهَ إِيَّاسَ ابْنِ مُعَاذٍ ، وَقَالَ : دَعْنَا مَتَكَ ، فَلَمَعْمَرِي لَقَدْ جِئْنَا لِفَيْرِ هَذَا . قَالَ : فَصَمْتُ إِيَّاسَ ، وَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُمْ وَانصَرَفُوا إِلَى الْمَدِينَةِ . فَكَانَتْ وَقْعَةً بُعِثَتْ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ .

قَالَ : ثُمَّ لَمْ يَلْبِثْ إِيَّاسُ بْنُ مُعَاذٍ أَنْ هَلَكَ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ لَيْبِيدٍ : فَأَخْبَرَنِي مَنْ حَضَرَهُ مِنْ قَوْمِي عِنْدَ مَوْتِهِ أَنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا يَسْمَعُونَهُ يَهْلُلُ اللَّهَ وَيُكَبِّرُهُ ، وَيُحَمِّدُهُ وَيُسَبِّحُهُ ؛ حَتَّى مَاتَ ، فَمَا كَانُوا يَشْكُونُ أَنْ قَدْ مَاتَ مُسْلِماً ، لَقَدْ كَانَ اسْتَشْعَرَ الْإِسْلَامَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ حِينَ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا سَمِعَ^(٢) .

• • •

قَالَ : فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إظهارَ دِينِهِ وَإِعْزَازَ نَبِيِّهِ ، وَإِنْجَازَ مَوْعِدِهِ لَهُ ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَوْسَمِ الَّذِي لَقِيَ فِيهِ النَّفَرَ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَعَرَّضَ نَفْسَهُ عَلَى قِبَائِلِ الْعَرَبِ ؛ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ فِي كُلِّ مَوْسَمٍ ؛ فَبَيْنَا هُوَ عِنْدَ الْعَقَبَةِ إِذْ لَقِيَ رَهْطًا مِنَ الْخَزْرَجِ أَرَادَ اللَّهُ بِهِمْ خَيْرًا .

قَالَ ابْنُ حُمَيْدٍ : قَالَ سُلَمَةُ : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : فَحَدَّثَنِي عَاصِمُ ابْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ ، عَنْ أَشْيَاحَ مِنْ قَوْمِهِ ، قَالُوا : لَمَّا لَقِيَهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ لَهُمْ : مَنْ أَنْتُمْ ؟ قَالُوا : نَفَرٌ مِنَ الْخَزْرَجِ ، قَالَ : آمِينَ . مَوْلَى يَهُودٍ : قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : أَفَلَا تَجْلِسُونَ حَتَّى أَكَلِمَكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى ، قَالَ : فَجَلَسُوا مَعَهُ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَعَرَّضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ ، وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ .

قَالَ : وَكَانَ مِمَّا صَنَعَ اللَّهُ لَهُمْ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ ، أَنْ يَهُودَ كَانُوا مَعَهُمْ ١٢١٠/١

(١) ح : « جِئْنَا » .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٦ ، ٢٦٧

ببلادهم ، وكانوا أهلَ كتاب وعلم ، وكانوا أهلَ شرك ، أصحابِ أوثان ، وكانوا قد عزّوهم ببلادهم^(١) ، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم : إن نبياً الآن مبعوثٌ قد أظلم زمانه ، تتبعه ونقتلكم معه قتلَ عاد وإرم . فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ، ودعاهم إلى الله ، قال بعضهم لبعض : تعلمن والله إنه للنبى الذى توعِدكم^(٢) به يهود ، فلا يسبقنكم إليه . فأجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدقوه ، وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام ، وقالوا له : إنا قد تركنا قومنا ، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ؛ وعسى الله أن يجمعهم بك ، وسنقدم عليهم فندعهم إلى أمرك ، ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين ؛ فإن يجمعهم الله عليه ، فلا رجلَ أعزّ منك . ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى بلادهم ، وقد آمنوا وصدقوا .

وهم - فيما ذكر لي - ستة نفر من الخزرج : منهم من بنى النجار - وهم تيمم الله - ثم من بنى مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ابن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، أسعد بن زرارة بن عدس بن عبّيد ابن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ؛ وهو أبو أمامة ؛ وعوف بن الحارث ابن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار ؛ وهو ابن عفراء^(٤) ومن بنى زريق بن عامر بن عبد حارثة بن مالك بن عكف بن جشم ابن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، رافع بن مالك بن العجلان ابن عمرو بن عامر بن زريق^(٥) .

١٢١١/١

ومن بنى سلمة بن سعد بن على بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ؛ ثم من بنى سواد ،

(١) عزوم : غلبهم ، وف ابن هشام : « غزوم » .

(٢) ابن هشام : « توعّدكم » .

(٣) ابن هشام : « تسبقنكم » .

(٤) قال ابن هشام : « وعفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار » .

(٥) قال ابن هشام : « يقال : عامر بن الأزرق » .

قُتَيْبَةُ بْنُ عَامِرٍ بْنِ حَدِيدَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَوَادٍ بْنِ غَنْمٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ سَلِمْ .
 وَمِنْ بَنِي حَرَامٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ غَنْمٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ سَلِمْ ، عَقْبَةُ
 ابْنِ عَامِرٍ بْنِ نَابِي بْنِ زَيْدٍ بْنِ حَرَامٍ .
 وَمِنْ بَنِي عُبَيْدٍ بْنِ عَدِيِّ بْنِ غَنْمٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ سَلِمْ ، جَابِرُ بْنُ
 عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رِثَابٍ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ مَتَانٍ بْنِ عُيَيْدٍ^(١) .

• • •

قَالَ : فَلَمَّا قَدِمُوا الْمَدِينَةَ عَلَى قَوْمِهِمْ ، ذَكَرُوا لِمَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَدَعَوْهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ؛ حَتَّى فَشَا فِيهِمْ فَلَمْ تَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ
 الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا ذِكْرٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ حَتَّى إِذَا كَانَ
 الْعَامُ الْمُقْبِلُ ، وَافِيَ الْمَوْسِمَ مِنَ الْأَنْصَارِ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا ، فَلَقُوهُ بِالْعَقْبَةِ ،
 وَهِيَ الْعَقْبَةُ الْأُولَى ، فَيَاكُفُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَيْتِهِ النِّسَاءَ ؛
 وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِضَ عَلَيْهِمُ الْحَرْبُ ؛ مِنْهُمْ مَنْ بَنَى التَّجَارَ أُسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ
 ابْنِ عُدَسٍ بْنِ عُبَيْدٍ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ غَنْمٍ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ ؛ وَهُوَ أَبُو أَمَامَةَ ؛
 وَعَوْفٌ وَمُعَاذُ ابْنَا الْحَارِثِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ سَوَادٍ بْنِ مَالِكِ بْنِ غَنْمٍ بْنِ مَالِكِ
 ابْنِ النَّجَّارِ ؛ وَهُمَا ابْنَا عَقْرَاءَ .

وَمِنْ بَنِي زُرَّاقٍ بْنِ عَامِرٍ ، رَافِعُ بْنُ مَالِكِ بْنِ الْعَجَلَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِرِ
 ابْنِ زُرَّاقٍ ، وَذِكْوَانُ^(٢) ابْنِ عَبْدِ قَيْسٍ بْنِ خَلْدَةَ بْنِ غُلْدَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ زُرَّاقٍ .

وَمِنْ بَنِي عَوْفٍ بْنِ الْخَزْرَجِ ، ثَمَمُ بْنُ غَنْمٍ بْنِ عَوْفٍ - وَهُمْ الْقَوَاقِلُ -^(٣)
 عِبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ بْنِ قَيْسٍ بْنِ أَصْرَمَ بْنِ فِهْرٍ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ غَنْمٍ بْنِ عَوْفٍ
 ابْنِ الْخَزْرَجِ ، وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ؛ وَهُوَ يَزِيدُ بْنُ ثَعْلَبَةَ بْنِ خَزْمَةَ بْنِ أَصْرَمَ
 ابْنِ عَمْرِو بْنِ عَمَّارَةَ ، مِنْ بَنِي غُضَّيْنَةَ^(٤) مِنْ بَلَكِيٍّ ، حَلِيفٌ لَهُمْ .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٦ ، ٢٦٧

(٢) قال ابن هشام : « ذكر أنه مهاجر أنصاري » .

(٣) قال ابن هشام : « وإنما قيل لهم القواقل ؛ لأنهم كانوا إذا استجارهم الرجل دفعوا له

سهمًا ، وقالوا له : قَطْلٌ يَرْثُ حيث شئت » .

(٤) في ابن هشام : « غصينة » .

ومن بني سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج عباس بن عبادة
ابن نضلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف .
ومن بني سلمة ، ثم من بني حرام ، عتبة بن عامر بن نابی بن
زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة . ١٢١٣/١
ومن بني سواد ، قطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن سواد بن غنم بن
كعب بن سلمة .

وشهدا من الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، ثم من بني
الأشهل : أبو الهيثم بن التيهان^(١) ، اسمه مالك ، حليف لهم .
ومن بني عمرو بن عوف ، عويم بن ساعدة بن صلعة^(٢) ، حليف لهم^(٣)

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن
إسحاق ، قال : حدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن مرثد بن عبد الله اليزني ،
عن أبي عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي ، عن عبادة بن الصامت ، قال :
كنت فيمن حضر العقبة الأولى ؛ وكُنَّا اثني عشر رجلا ، فبايعنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم على بركة النساء ؛ وذلك قبل أن تُفترَض الحرب ؛
على ألا نشارك بالله شيئا ، ولا نسرق ولا نزنى ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي بيهتان
نفريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف ؛ فإن وفيتم فلكم الجنة ،
وإن غشيتم شيئا من ذلك فأخذتم بحده في الدنيا ؛ فهو كفارة^(٤) له ، وإن
سرتم عليه إلى يوم القيامة ؛ فأمركم إلى الله ؛ إن شاء عذبكم ، وإن شاء
غفر لكم^(٥) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ؛ أن ابن
شهاب ذكر عن عائذ الله بن عبد الله أبي إدريس الخولاني ، عن عبادة بن

(١) قال ابن هشام : « التيهان يخفف ويثقل » .

(٢) ح : « صلعة » .

(٣) ابن هشام : ١ : ٢٦٧

(٤) م : « الكفارة » .

(٥) ح : « عفا عنكم » . وأخبار في ابن هشام : ١ : ٢٦٨

الصامت ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال :
فلما انصرف عنه القوم بعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مُصْعَب بن
عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ، وأمره أن يقرهم القرآن ،
ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم في الدين ؛ فكان يسمى مُصْعَب بالمدينة : المقرئ ،
وكان منزهة^(١) على أسعد بن زرارَةَ بن عُدُس أبي أُمَامَةَ^(٢) .

• • •

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال :
وحدثني عبيد الله بن المغيرة بن معيقيب ، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد
ابن عمرو بن حزم ، أنَّ أسعدَ بن زرارَةَ خرج بمُصْعَب بن عمير ؛ يريد
به دارَ بني عبد الأشهل ، ودار بني ظَفَر ؛ وكان سعد بن معاذ بن النعمان
ابن امرئ القيس ، ابن خالة أسعد بن زرارَةَ ، فدخل به حائطاً من حوائط
بني ظَفَر^(٣) ، على بئر يقال لها بئر مَرَق ؛ فجلسا في الحائط ، واجتمع إليهما
رجال ممن أسلم ، وسعد بن معاذ وأسيّد بن حُضَيْر يومئذ سيّدا قومهما من
بني عبد الأشهل ؛ وكلاهما مُشْرِك على دين قومه ، فلما سمعا به ، قال سعد
ابن معاذ لأسيّد بن حُضَيْر : لا أبا لك ! انطلق إلى هذين الرجلين اللذين
قد أتيا دارنا^(٤) ، ليسفّتها ضفعا ، فازجرهما وإنهما أن يأتيا دارنا^(٤) ، فإنه
لولا أنَّ أسعد بن زرارَةَ منّي حيث قد علمت ، كفيّتك ذلك ؛ هو ابن خالتي ،
ولا أجِد عليه مقدّما . فأخذ أسيّد بن حُضَيْر حرّبتَه . ثم أقبل إليهما ؛

(١) قال السجّيل : « منزل ، بفتح الزاي ، وكذلك كل ما وقع في هذا الباب ، من منزل فلان
على فلان . فهو بالفتح ؛ لأنه أراد المصدر ؛ ولم يرد المكان ؛ وكذلك قيده الشيخ أبو بحر ، بفتح
الزاي » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٩

(٣) قال ابن هشام : « واسم ظفر كعب بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس »

(٤) ابن هشام : « دارنا » .

فلما رآه أسعد بن زُرارة قال لمُصعب : هذا سيّد قومه قد جاءك ، فاصدق الله فيه . قال مُصعب : إن يجلس أكلّمه ، قال : فوقف عليهما مُتَشَتِّمًا ، فقال : ١٢١٥/١ ما جاء بكما إلينا ، تسفهان ضغفانا ! اعتزلنا^(١) إن كانت لكما في أنفسكما حاجة . فقال له مُصعب : أو تجلس فتسمع ، فإن رضيت أمرًا قبلته ، وإن كرهته كُفّ عنك ما تكره ؟ قال : أنصفت ؛ ثم ركر حربته ، وجلس إليهما ، فكلّمه مُصعب بالإسلام ، وقرأ عليه القرآن ، فقالا فيا يذكر عنهما : والله لَعَرَفْنَا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلّم ، في إشراقه وتسهله . ثم قال : ما أحسنَ هذا وأجمله ! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدّين ؟ قالوا له : نفتسل ، فتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحقّ ، ثم تصلّي ركعتين .

قال : فقام فاغتسل ، وطهر ثوبيه ، وشهد شهادة الحقّ ، ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : إن ورائي رجلًا ؛ إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحدٌ من قومه ؛ وسأرسله إليكما الآن ؛ سعد بن معاذ . ثم أخذ حربته ، وانصرف إلى سعد وقومه ؛ وهم جلّوس في نادبهم ؛ فلمّا نظر إليه سعد بن معاذ مقبلا ، قال : أحلف بالله ، لقد جاءكم أسيدٌ بن حُضَيْرٍ بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم ؛ فلمّا وقف على النّادي ، قال له سعد : ما فعلت ؟ قال : كلّمت الرجلين ، فوالله ما رأيت بهما بأسًا ، وقد نهيتهما فقالا : ففعل ما أحببت ، وقد حدّثت أن بنى حارثة ، قد خرجوا إلى أسعد بن زُرارة ليقتلوه ؛ وذلك أنهم عرفوا أنه ابنُ خالتك ليُخْفِرُوك^(٢) ، قال : فقام سعد مُغَضِّبًا مبادرًا تخوفًا للذي ذكر له من بنى حارثة . فأخذ الحرّبة من يده ، ثم قال : والله ما أراك أغيت شيئا ؛ ثم خرج إليهما ؛ فلمّا رآهما سعد مطمئنين ، عرف أنّ أسيدًا إنما أراد أن يسمّع منهما ، فوقف عليهما متشتمًا ، ثم قال ١٢١٦/١ لأسعد بن زُرارة : يا أبا أمانة ، لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمست هذا

(١) ح : « اعتزلا » .

(٢) الإخفار : تقصص القصة .

مِنِّي . تغشانا^(١) في دارنا بما نكره ! وقد قال أسعد لمُصعب : أى مُصعب !
جامكُ والله سيّد من وراءه من قومه ، إن يتبعك لم يخالف عليك منهم اثنان ،
فقال له مصعب : أو تقعد فتسمع ، فإن رضيتُ أمراً ورغبت فيه قبلته ،
وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره ؟ قال سعد : أنصفت ؛ ثم ركر الحربة ،
فجلس فعرّض عليه الإسلام ، وقرأ عليه القرآن . قالوا : فرغنا والله في وجهه
الإسلام قبل أن يتكلّم به ؛ في إشرافه وتسهله .

ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتمُ أسلمتم ودخلتم في هذا الدين ؟
قالا : تغتسل فطهّر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلّي ركعتين .
قال : فقام فاغتسل وطهّر ثوبيه ، وشهد شهادة الحق ، وركع ركعتين ،
ثم أخذ حربته فأقبل عامداً إلى نادى قومه ، ومعه أسيد بن حضير ؛ فلما
رأه قومه مقبلاً ، قالوا : نحلف بالله لقد رجع سعد إليكم بغير الوجه الذي ذهب
به من عندكم ؛ فلما وقف عليهم ، قال : يا بنى عبد الأشهل ؛ كيف تعلمون
أمرى فيكم ؟ قالوا : سيدنا وأفضلنا رأياً ، وأيمتنا نقيّة ، قال : فإن كلام
رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله . قال : فوالله ما أسمى
في دار عبّدي الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة .

ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة ، فأقام عنده يدعوا الناس
إلى الإسلام حتى لم يبقَ دار من دُور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون ١٢١٧/١
إلا ما كان من دار بنى أميّة بن زيد وخطمة ووائل وواقف ؛ وتلك أوس
الله ؛ وهم من أوس بن حارثة ؛ وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت ؛
وهو صيّق ، وكان شاعراً لهم ، وقائداً يسمعون منه ، ويطيعونه ، فوقف بهم
عن الإسلام ؛ فلم يزل على ذلك^(٢) حتى هاجر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
إلى المدينة ؛ ومضى بدّو وأحدوا والحدق .

(١) ح : « تغشانا » .

(٢) ح : « كذلك » .

قال : ثم إنَّ مُصْعَب بن عُمر ، رجع إلى مكة وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموسم مع حُجَّاج قومهم من أهل الشرك ، حتى قدموا مكة ؛ فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق حين أراد الله بهم ما أراد من كرامته ، والتصرلنييه صلى الله عليه وسلم وإعزاز الإسلام وأهله^(١) ، وإذلال الشرك وأهله^(٢) .

فحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن عمِّد بن إسحاق ، قال : حدثني معبد بن كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين ، أخو بني سلمة ، أنَّ أخاه عبد الله بن كعب — وكان من أعلم الأنصار — حدثه أنَّ أباه كعب ابن مالك حدثه — وكان كعب ممن شهد العقبة ، وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، قال : خرجنا في حُجَّاج قومنا ، وقد صلينا وفقهنا ، ومعنا البراء ابن معرور ، سيدنا وكبيرنا . فلما وجَّهنا^(٣) لسفرا ، وخرجنا من المدينة ، قال البراء لنا : والله يا هؤلاء ، إني قد رأيتُ رأياً ، والله ما أدري أتوافقونني عليه أم لا ! قال : فقلنا : وما ذلك ؟ قال : قد رأيتُ إلاَّ أدعَ هذه البنية مني بظهر — يعني الكعبة — وأنَّ أصلي^(٤) إليها . قال : فقلنا : والله ما بلغنا عن نبيِّنا أنه يصلي إلاَّ إلى الشام ، وما نريدُ أن نخالفه . قال : فقال : إنني لمُصلٌ إليها ، قال : فقلنا له : لكنَّا لا نفعل ، قال : فكنتا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام ، وصلى إلى الكعبة ، حتى قدمنا مكة .

قال : وقد عيَّنا عليه ما صنع ، وأبى إلاَّ الإقامة على ذلك ؛ فلما قدَّمنا مكة قال لي : يا بنَ أخي ، انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى أسأله عما صنعتُ في سفرى هذا ، فإننى والله لقد وقَّع في نفسى منه شيء ؛ لما رأيت من خِلافكم لرأى فيه .

قال : فخرجنا نسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم — وكنا لانعرفه ،

(١) م : « وإعزازاً لأهله » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٠ — ٢٧٢

(٣) وجهنا : توجهنا .

(٤) ر : « فصل » .

ولم نره قبل ذلك - فلقينا رجلاً من أهل مكة، فسألناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : هل تعرفانه ؟ قلنا : لا ، قال : فهل تعرفان العباس ابن عبد المطلب عمه ؟ قلنا : نعم - قال : وقد كنا نعرف العباس ، كان لا يزال يقدّم علينا تاجراً - قال : فإذا دخلنا المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس ابن عبد المطلب ، قال : فدخلنا المسجد ؛ فإذا العباس جالس ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع العباس ؛ فسلمنا ؛ ثم جلسنا إليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس : هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل ؟ قال : نعم ؛ هذا البراء بن معرور سيّد قومه ؛ وهذا كعب بن مالك - قال : فوالله ما أنسى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشاعر ؟ قال : نعم - قال : فقال له البراء بن معرور : يا نبي الله ؛ إني خرجت في سفرى هذا ؛ وقد هدانى الله للإسلام ، فرأيت ألا أجعل هذه البنية منى يظهر ، فصليت إليها ؛ وقد خالفني أصحابي في ذلك ؛ حتى وقع في نفسي من ذلك شيء ؛ فإذا ترى يا رسول الله ؟ قال : قد كنت على قبيلة لو صبرت عليها ! فرجع البراء إلى قبيلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وصلى معنا إلى الشام . قال : وأهلّه يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات ؛ وليس ذلك كما قالوا ؛ نحن أعلم به منهم . قال : ثم خرجنا إلى الحج ، وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق .

قال : فلما فرغنا من الحج ؛ وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ؛ ومنا عبد الله بن عمرو بن حرام ، أبو جابر ، أخبرنا^(١) ، وكنا نكلم من معنا من المشركين من قومتنا أمرنا ؛ فكلّمناه ، وقلنا له : يا أبا جابر ؛ إنك سيّد من سادتنا ، وشریف من أشرافنا ، وإنّا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً . ثم دعوتناه إلى الإسلام ؛ وأخبرناه ببيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا العقبة .

قال : فأسلم ، وشهد معنا العقبة - وكان قتيباً - فبتنا تلك الليلة مع قومتنا في رحالتنا حتى إذا مضى ثلث الليل ، خرجنا من رحالتنا لبيعة رسول

(١) ابن هشام : أختلفنا .

الله صلى الله عليه وسلم ، فنسأل مستخفين تسأل القطا ، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ؛ ونحن سبعون رجلاً ، ومعهم ^(١) امرأتان من نسائهم : نسيبة بنت كعب أمّ ثعلبة إحدى نساء بني مازن بن النجار ، وأسما بنت عمرو بن عدى ، إحدى نساء بني سلمة ؛ وهى أمّ منيع ؛ فاجتمعنا بالشعب ١٢٢٠/١
نتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى جاءنا معه عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه ؛ إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ، ويتوثق له ؛ فلمّا جلس كان أوّل من تكلم العباس بن عبد المطلب ، فقال : يا معشر الخزرج - وكانت العرب إنما يسمون هذا الحى من الأنصار : الخزرج ، خزرجها وأوسها - إن محمداً منّا حيث قد علمتم ؛ وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا ؛ وهو فى عزّ من قومه ومنّعة فى بلده ؛ وإنه قد أبى إلا الانقطاع إليكم والحقّ بكم ؛ فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتوه إليه ؛ وما نوه بمنّ خالفه ؛ فأنتم وما تحمّلتم ^(٢) من ذلك ؛ وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم ؛ فن الآن فدعوه ، فإنه فى عزّ ومنّعة من قومه وبلده .

قال : فقلنا له : قد سمعنا ما قلت ؛ فتكلّم يا رسول الله ؛ وخذ لنفسك وربك ما أحببت .

قال : فتكلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتلا القرآن ، ودعا إلى الله ، ورغب فى الإسلام ، ثم قال : أبايكم على أن تمنعوني ممّا تمنعون منه نساءكم وأبناءكم .

قال : فأخذ البراء بن معرور بيده ، ثم قال : والذى بعثك بالحقّ ، لنمنعنك ممّا نمنع منه أزرتنا ^(٣) ، فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أهل الحرب وأهل الحلقة ^(٤) ؛ ورثناها كابراً عن كابر .

(١) ابن هشام : « ومنا امرأتان من نسائنا » .

(٢) ح : « حملتم » .

(٣) أزرتنا ؛ أى نساخا ؛ والمرأة قد يكنى عنها بالإزار .

(٤) الحلقة ، أى السلاح .

قال : فاعترض القول - والبراءة يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم -
 أبو الهيثم بن التيهان ، حليف بني عبد الأشهل ، فقال : يا رسول الله ؛
 إنَّ بيننا وبين النَّاسِ حِيالاً وإنَّا قاطعوها - يعنى اليهود - فهل عسيَتْ
 إن نحنُ فعلنا ذلك ، ثمَّ أظهرَكَ الله ، أن ترجعَ إلى قومك ، وتدعنا !
 قال : فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : بل الدّم الدّم ، الهدم الهدم ١٢٢١/١
 الهدم^(١) ! أنتم متى وأنا منكم ؛ أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخرجوا إلى منكم اثني عشر نقيباً ؛
 يكونون على قومهم بما فيهم . فأخرجوا اثني عشر نقيباً ؛ تسعة من الخزرج وثلاثة
 من الأوس^(٢) .

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق :
 فحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال للنقباء : أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ، ككفالة
 الحواريين لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومي ، قالوا : نعم .

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن
 إسحاق ، قال : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن القوم لما اجتمعوا
 لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال العباس بن عباد بن نَضْلَةَ الأنصاري ،
 ثم أخو بني سالم بن عوف : يا معشر الخزرج ، هل تدرون علام تباعون
 هذا الرجل ؟ قالوا : نعم ، قال : إنكم تباعونه على حرب الأحمر والأسود
 من الناس ؛ فإن كنتم ترون أنكم إذا نُهبكت أموالكم مصيبة ؛ وأشرافكم قتلًا
 أسلمتموه ؛ فمن الآن فهو والله خيزر^(٣) الدنيا والآخرة إن فعلتم ، وإن كنتم

(١) قال ابن قتيبة : « كانت العرب تقول عند عقد الحلف والحوار : دى دمك ، وعدك ،
 دمك ؛ أى ما همت من السماء همت أنا » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٣ ، ٢٧٥

(٣) ر : « خيزى فى الدنيا » .

تروُن أنكم وافون له بما دعوتوه إليه ، على نهكة^(١) الأموال ، وقتل الأشراف
فخلوه ، فهو والله خيرُ الدنْيَا والآخرة . قالوا : فإننا نأخذُه على مصيبة الأموال ،
وقتل الأشراف ؛ فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفقينا ؟ قال : الجنة ، قالوا :
١٢٢٢/١ أبسط يدك ، فبسط يده فبايعوه .

وأما عاصم بن عمر بن قتادة ، فقال : والله ما قال العباس ذلك إلا
ليشدَّ العقدَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أعناقهم . وأما عبدُ الله بن أبي
بكر ، فقال : والله ما قال العباس ذلك إلا ليؤخّر القوم تلك الليلة رجاء
أن يحضرها عبد الله بن أبي بن سلّول ، فيكون أقوى لأمر القوم . والله
أعلم أيّ ذلك كان ؛ فبنو النّجار يزعمون أن أبا أمامة أسعد بن زرارَةَ كان
أولَ مَنْ ضرب على يديه^(٢) ، وبنو عبد الأشهل يقولون : بل أبو الهيثم
ابن التّيهان^(٣) .

قال ابن حُميد ، قال : سلمة ، قال محمد : وأما معبد بن كعب بن
مالك فحدثني — قال أبو جعفر : وحدثني سعيد بن يحيى بن سعيد — قال :
حدثني أبي ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن معبد بن كعب ، قال :
فحدثني في حديثه عن أخيه عبد الله بن كعب عن أبيه كعب بن مالك ، قال : كان
أولَ مَنْ ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم البراء بن معرور ؛ ثم تتابع
القوم ؛ فلمّا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة
بأنفذ صوت سمعته قط : يا أهل الجباب^(٤) هل لكم في مُنعم والصباة^(٥)
٢٢٣/١ معه ، قد اجتمعوا على حربكم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يقول عدو
الله ؟ هذا أربّ العقبة ، هذا ابن أزيب^(٦) ؛ اسمع عدو الله ؛ أما والله لأقرعنَّ

(١) نهكة الأموال : نقصها ، وفدّم : « تهلكة الأموال » .

(٢) ح : « يده » .

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٧ .

(٤) قال ابن هشام : « الجباب : المنازل » .

(٥) المذم : المذموم غاية الذم . والصباة : جمع صابٍ ، بالهمزة ؛ وكان يقال للرجل إذا

أسلم زين النبي عليه السلام : « صابٍ » .

(٦) قال ابن هشام : « ويقال : ابن أزيب » ، وأربّ العقبة : اسم الشيطان .

لك. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ارفضوا^(١) إلى رجالكم. فقال له العباس ابن عباد بن فضالة: والذي بعثك بالحق! لئن شئت لنمِلنَ غداً على أهل مِثيَ بأسيا فانا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لم نُؤمَر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رجالكم، قال: فرَجَعنا إلى مضاجعنا، فَمِئْنَا عليها؛ حتى أصبحنا؛ فلمَّا أصبحنا غَدَتْ علينا جِلَّةٌ قريش حتى جاءونا في منازلنا، فقالوا: يا معشر الخزرج؛ إنا قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حربنا؛ وإنه والله ما من حيٍّ من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم؛ قال: فانبعث من هناك من مشركي قومتنا يحلفون لم بالله: ما كان من هذا شيء وما علمناه.

قال: وصدقوا لم يعلموا. قال: وبعضنا ينظر إلى بعض؛ وقام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي، وعليه نعلان جديدان^(٢).

قال: فقلت كلمة كأنني أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا: يا أبا جابر؛ أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيّد من ساداتنا مثل نعلٍ هذا القى من قريش؟ قال: فسمعها الحارث، فخلعهما من رجله؛ ثم رى بهما إلى، وقال: والله لنتعلمنهما. قال: يقول أبو جابر: مَهْ أَحفظت^(٣) والله القى! فاردّد^(٤) ١/ ١٢٢٤ عليه نعليه، قال: قلت: والله لا أردّهما؛ فأل والله صالح؛ والله لئن صدق الفأل لأسلبته.

فهذا حديث كعب بن مالك عن العقبّة وما حضر منها^(٥).

• • •

قال أبو جعفر: وقال غير ابن إسحاق: كان مقدّم من قدم على النبي صلى الله عليه وسلم للبيعة من الأنصار في ذى الحجة، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدهم بمكة بقية ذى الحجة من تلك السنة، والمحرم

(١) ارفضوا: تفرقوا.

(٢) قال السبيل: «التمل مؤنثة؛ ولكن لا يقال: جديدة في الفصح من الكلام؛ وإنما يقال: ملحفة جديد؛ لأنها في معنى جديدة، أي مقطوعة».

(٣) أحفظت: أغضبت.

(٤) سيرة ابن هشام ١: ٢٧٧، ٢٧٨.

وصفر ؛ وخرج مهاجراً إلى المدينة في شهر ربيع الأول ؛ وقدمها يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت منه .

وحدثني علي بن نصر بن علي ، وعبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث — قال علي بن نصر : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، وقال عبد الوارث : حدثني أبي — قال : حدثنا أبان العطار ، قال : حدثنا هشام بن عروة ، عن عروة ، أنه قال : لما رجع من أرض الحبشة من رجع منها ممن كان هاجراً^(١) إليها قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، جعل أهل الإسلام يزدادون ويكثرون ، وإنه أسلم من الأنصار بالمدينة ناسٌ كثير ، وفشا بالمدينة الإسلام ، فطفق أهل المدينة يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فلما رأته ذلك قريش تذامرت على أن يفتنهم ، ويشدوا عليهم^(٢) ، فأخلوهم وحرصوا على أن يفتنهم ، فأصابهم جهد شديد ، وكانت الفتنة الآخرة ، وكانت فتنتين : فتنة أخرجت من خرج منهم إلى أرض الحبشة ، حين أمرهم بها ، وأذن لهم في الخروج إليها ، وفتنة لما رجعوا ورأوا من يأتيهم من أهل المدينة .

ثم إنه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة سبعون نقيماً ، رموس^{١٢٢٥/١} الذين أسلموا ، فوافوهم بالحج فبايعوه بالعقبة ، وأعطوهم عهدهم^(٣) ؛ وعلى أننا منك وأنت منا ، وعلى أنه من جاء من أصحابك أوجبتنا^(٤) ، فإننا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا . فاشتدت عليهم قريش عند ذلك ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالخروج إلى المدينة ، وهي الفتنة الآخرة التي أخرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وخرج ، وهي التي أنزل الله عز وجل فيها : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۖ ﴾^(٥) .

(١) م : « مهاجراً » .

(٢) م : « عليه » .

(٣) م : « عهدهم » .

(٤) م : « وجبتنا » .

(٥) سورة الأنفال ٣٩ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، أنهم أتوا عبد الله بن أبي بن سكول - يعني قريشاً - فقالوا مثل ما ذكر كعب بن مالك من القول لهم ، فقال لهم : إن هذا لأمرٌ جسيم ، ما كان قومي ليتفوتوا^(١) على بمثل هذا وما علمته كان . فانصرفوا عنه ، وتفرق الناس من مينة ، فتنطس^(٢) القوم الخبر فوجدوه قد كان ، وخرجوا في طلب القوم ، فأدركوا سعد بن عبادَةَ بالحاجر^(٣) ، والمنذر بن عمرو أخا بني ساعدة ابن كعب بن الخزرج ، وكلاهما كان نقيباً ، فأما المنذر فأعجز القوم ، وأما سعد فأخذوه ، وربطوا يديه إلى عنقه ينسج^(٤) رَحْلَهُ ، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة ، يضربونه ويحيدونه بجُمُته^(٥) - وكان ذا شَمَرٍ كثير - فقال سعد : ١٢٢٦/١ فوالله إنني لفي أيديهم ، إذ طلع عليّ نفر من قريش ، فيهم رجلٌ أبيض وصبيٌّ شعثاع^(٦) حلوم الرجال . قال : قلت : إن يكن عند أحدٍ من القوم خيرٌ فعند هذا ، فلمّا دنا منّي رفع يديه فلطمني^(٧) لطمَةً شديدة . قال : قلت في نفسي : والله ما عندهم بعد هذا^(٨) خير . قال : فوالله إنني لفي أيديهم يسحبونني ؛ إذ أوى^(٩) إلى رجلٍ منهم مِمَّن معهم ، فقال : ويحك ! أما بينك وبين أحدٍ من قريش جوار ولا عهد^(١٠) ! قال : قلت : بلّيتي والله ، لقد كنت أجير^(١١) لخبير بن مطيم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف تجارته ،

(١) يقال : تفوت عليه بكذا ؛ أي فاتته به .

(٢) كذا في ابن هشام ، وتنطس القوم الخبر ؛ أي أكثروا البحث عنه ، وفي ط : « تبطن » .

(٣) ابن هشام : « بأذاخر » .

(٤) النسج : الشراك الذي يشد به الرجل .

(٥) في ابن هشام : « يجذبونه » . وألحمة : جمع الشعر .

(٦) قال ابن هشام : « الشمشاع : الطويل الحسن » .

(٧) ح ، د ، ابن هشام : « فلكنني لكمة » .

(٨) ح : « بعدها » .

(٩) د : « أمي إلى » .

(١٠) م : « عقد » .

(١١) م : « أجيّز » .

(١٢) التجار : جمع تاجر .

وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادى ؛ وللمحارث بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . قال : ويحك ! فاهتف باسم الرجلين ، واذكرما بينك وبينهما . قال : ففعلت ، وخرج ذلك الرجل إليهما ، فوجدهما فى المسجد عند الكعبة ، فقال لهما : إن رجلاً من الخزرج الآن يضرب بالأبطح ؛ وإنه ليتهتف بكما ، ويذكر أن بينه وبينكما جواراً ، قالوا : ومن هو ؟ قال : سعد بن عباد ، قالوا : صدقَ والله إن كان ليسير تجارنا^(١) ، ويمنعهم أن يظلموا ببلده . ١٢٢٧/ ١ قال : فجاءوا فخلصوا سعداً من أيديهم وانطلق . وكان الذى لكم سعداً سهيل ابن عمرو ، أخو بنى عامر بن لؤى^(٢) .

• • •

قال أبو جعفر : فلما قدموا المدينة ، أظهروا الإسلام بها ، وفى قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من أهل الشرك ؛ منهم عمرو بن الجحوم ابن زيد بن حرام بن كعب بن عتمة بن سلمة ، وكان ابنه معاذ بن عمرو قد شهد العقبة ، وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فتيان منهم ، وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بايع من الأوس والخزرج فى العقبة الآخرة ؛ وهى بيعة الحرب حين أذن الله عز وجل فى القتال بشروط غير الشروط فى العقبة الأولى ، وأما الأولى فإنما كانت على بيعة النساء ؛ على ما ذكرت الخبر به عن عباد بن الصامت قبل ؛ وكانت بيعة العقبة الثانية على حرب الأحمر والأسود على ما قد ذكرت قبل ، عن عروة بن الزبير . وقد حدثنا ابن حميد — قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني عباد بن الوليد بن عباد بن الصامت ، عن أبيه الوليد ، عن عباد بن الصامت — وكان أحد النقباء قال : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة الحرب ؛ وكان عبادة من الاثنى عشر الذين بايعوا فى العقبة الأولى .

• • •

قال أبو جعفر : فلما أذن الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم فى

(١) كذا فى ابن هشام وط ؛ وفى الأصول : « تجارته » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٨ ، ٢٧٩

القتال ، ونزل قوله : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ ^(١) ، وبايعه الأنصار على ما وصفت من بيعتهم ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ممن هو معه بمكة من المسلمين بالمهجرة والخروج إلى المدينة ، واللتحق بإخوانهم من الأنصار ، وقال : إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً آمناً فيها فخرجوا أرسالاً ، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٢٢٨/١ عليه وسلم بمكة ينتظر أن يأذن له ربه بالخروج من مكة ؛ فكان أول من هاجر من المدينة والمهجرة إلى المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش ، ثم من بني مخزوم ، أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، هاجر إلى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنة ، وكان قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة من أرض الحبشة ، فلما آذنه قريش ، وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار ، خرج إلى المدينة مهاجراً .

ثم كان أول من قدم المدينة من المهاجرين بعد أبي سلمة ، عامر بن ربيعة ، حليف بني عدى بن كعب ، معه امرأته ليلي بنت أبي حنيفة بن غانم بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب . ثم عبد الله ابن جحش بن رثاب ، وأبو أحمد بن جحش — وكان رجلاً ضريب البصر ، وكان يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد — ثم تتابع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أرسالاً .

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ؛ ينتظر أن يؤذن له في الهجرة . ولم يتخلف معه بمكة أحد المهاجرين إلا أخذ فحبس أو فتن إلا على بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة . وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة ، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تعجل ، لعل الله أن يجعل لك صاحباً ، فقطع أبو بكر أن يكونه ^(٢) ، فلما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٢٢٩/١

(١) سورة الأنفال ٣٩ .

(٢) ر : « أن يكون هو صاحبه » .

قد صارت له شيعة وأصحاب من غيرهم ، بغير ^(١) بلدهم ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم ، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً ، وأصابوا منهم منعة ، فحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، وعرفوا أنه قد أجمع أن يلحقَ بهم لحربهم ، فاجتمعوا له في دار الندوة ؛ وهي دار قُصَيِّ بْنِ كِلَابٍ ، التي كانت قريش لا تقضي أمراً ^(٢) إلا فيها ، يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خافوه ^(٣) !

فحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني عبد الله بن أبي نَجِيح ، عن مجاهد بن جَبْرِ أَبِي الْحِجَاج ، عن ابن عباس ، قال : وحدثني الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس والحسن بن عمار ، عن الحكم بن عتيبة ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس قال : لما اجتمعوا لذلك واتعدوا أن يدخلوا دار الندوة ، ويتشاوروا فيها في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم غدوا في اليوم الذي اتعدوا له ؛ وكان ذلك اليوم يسمى الزَّحْمَةَ ، فاعترضهم إبليس في هيئة شيخ جليل ، عليه بث ^(٤) له ، فوقف على باب الدار ، فلما رأوه واقفاً على بابها ، قالوا : مَنْ الشيخ ؟ قال : شيخٌ من أهل نجد ، سمع بالذي اتعدتم له ، فحضر معكم ليستمع ما تقولون ، وصلى ألاَّ يعدمكم منه رأى ونُصَح ، قالوا : أجل ، فادخل ، فدخل معهم ، وقد اجتمع فيها أشرف قريش كلهم ، من كل قبيلة ؛ من بني عبد شمس شَيْبَةَ وَعُتْبَةَ ابنا ربيعة وأبو سفيان بن حرب ، ومن بني نوفل ابن عبد مناف طُعَيْمَةَ بن عدى وجبير بن مطعم والحارث بن عامر ابن نوفل . ومن بني عبد الدار بن قُصَيِّ النَّفَرِ بن الحارث بن كلدة . ومن بني أسد بن عبد العزى أبو البخري بن هشام وزمعة بن الأسود بن المطلب ، وحكيم بن حزام . ومن بني مخزوم أبو جهل بن هشام ، ومن بني سهم نُبَيْه

(١) م : « من غير بلدهم » .

(٢) م : « الأمر » .

(٣) م : « غافوا » .

(٤) البت : الكساء الغليظ .

وَسُبَّهٖ ابْنَا الْحِجَابِ . وَمِنْ بَنِي جُمَحَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ ؛ وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ ^(١) وَغَيْرُهُمْ مَنْ لَا يُعَدُّ مِنْ قُرَيْشٍ .

فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ كَانَ أَمْرُهُ مَا قَدْ كَانَ وَمَا قَدْ رَأَيْتُمْ ؛ وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نَأْمَنُ عَلَى الْوُثُبِ عَلَيْنَا بِمَنْ قَدْ اتَّبَعَهُ مِنْ غَيْرِنَا ؛ فَاجْمَعُوا فِيهِ رَأْيًا ؛ قَالَ : فَتَشَارَوْا . ثُمَّ قَالَ قَاتِلٌ مِنْهُمْ : احْبِسُوهُ فِي الْحَدِيدِ ، وَأَغْلِقُوا عَلَيْهِ بَابًا ، ثُمَّ تَرَبَّصُوا بِهِ مَا أَصَابَ أَشْيَاهُ مِنَ الشَّعْرَاءِ الَّذِينَ قَبْلَهُ : زُهَيْرًا ، وَالتَّبَاغَةَ وَمَنْ مَضَى مِنْهُمْ ؛ مِنْ هَذَا الْمَوْتِ حَتَّى يَصِيَّهَ مِنْهُ مَا أَصَابَهُمْ .

قَالَ : فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ : لَا وَاللَّهِ ، مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ ؛ وَاللَّهِ لَوْ حَبَسْتُمُوهُ — كَمَا تَقُولُونَ — لَخَرَجَ أَمْرُهُ مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ الَّذِي أَغْلَقْتُمُوهُ دُونَهُ إِلَى أَصْحَابِهِ ؛ فَلَا وَشَكُّوْا أَنْ يَشْبُوْا عَلَيْكُمْ فَيَسْتَرْعَوْهُ مِنْ أَيْدِيكُمْ ، ثُمَّ يَكَاثُرُوكُمْ حَتَّى يَغْلِبِيَكُمْ عَلَى أَمْرِكُمْ هَذَا ؛ مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ فَانْظُرُوا فِي غَيْرِهِ .

ثُمَّ تَشَاوَرُوا ، فَقَالَ قَاتِلٌ مِنْهُمْ : نَخْرِجُهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِنَا فَتَسْفِيَهُ مِنْ بِلَدِنَا ؛ ^(٢) ١٢٣١/١ فَلِذَا خَرَجَ عَنَّا فَوَاللَّهِ مَا نَبَالِي أَيْنَ ذَهَبَ ، وَلَا حَيْثُ وَقَعَ ، إِذَا ^(٣) غَابَ عَنَّا وَفَرَّغْنَا مِنْهُ . فَأَصْلَحْنَا أَمْرَنَا ، وَأَلْفَتْنَا كَمَا كَانَتْ .

قَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ : وَاللَّهِ مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ ؛ أَلَمْ تَرَوْا حَسَنَ حَدِيثِهِ ، وَحِلَاوَةَ مَنْطِقِهِ ، وَغَلَبَتَهُ عَلَى قُلُوبِ الرِّجَالِ بِمَا يَأْتِي بِهِ ! وَاللَّهِ لَوْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ مَا أَمَنْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَى حَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ ، فَيَغْلِبَ عَلَيْهِمْ ^(٤) بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ وَحَدِيثِهِ حَتَّى يَتَابَعُوهُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ يَسِيرَ بِهِمْ إِلَيْكُمْ حَتَّى يَطَّاعِمَ بِهِمْ ، فَيَأْخُذَ أَمْرَكُمْ مِنْ أَيْدِيكُمْ ثُمَّ يَفْعَلَ بِكُمْ مَا أَرَادَ . أَدِيرُوا فِيهِ رَأْيًا غَيْرَ هَذَا !

قَالَ : فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ : وَاللَّهِ إِنَّ لِي فِيهِ لِرَأْيًا مَا أَرَاكُمْ وَقَعْتُمْ عَلَيْهِ بَعْدُ ! قَالُوا : وَمَا هُوَ يَا أَبَا الْحَكَمِ ؟ قَالَ : أَرَى أَنْ تَأْخُذُوا مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ

(١) كَذَا فِي ابْنِ هِشَامٍ ، وَفِي ط : « مِنْهُمْ »

(٢) كَذَا فِي ابْنِ هِشَامٍ ، وَفِي ط : « غَابَ عَنَّا أَذَاهُ » .

(٣) ح : « عَلَى قُلُوبِهِمْ » .

فَتَى شَابًا جَلَدًا ، نَسِيًّا وَسِيطًا فِينَا ، ثُمَّ نَعْطِي كُلَّ فَتَى مِنْهُمْ سِيفًا صَارِمًا
ثُمَّ يَعْمِدُونَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ يَضْرِبُونَهُ بِهَا ضَرْبَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ فَيَقْتُلُونَهُ فَتَسْتَرِيحُ ؛ فَإِنَّهُمْ
إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ تَفَرَّقَ دَمُهُ فِي الْقَبَائِلِ كُلِّهَا ؛ فَلَمْ يَقْدِرْ بَنُو عَبْدِ مَنَاةٍ عَلَى حَرْبِ
قَوْمِهِمْ جَمِيعًا ، وَرَضُوا مَنًّا بِالْعَقْلِ فَعَقَلْنَاهُ لَهُمْ .

قال : فقال ^(١) الشيخ النجدي : القول ما قال الرجل ، هذا الرأي لا رأي
لكم غيره .

فتفرق القوم على ذلك وهم جميعون له ، فأتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليه وسلم ، فقال : لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه !

قال : فلما كان العتمة من الليل ، اجتمعوا على بابه فترصدوه متى
ينام ، فيثبون عليه . فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم ، قال لعلي بن
أبي طالب : نم على فراشي ، واتشح ^(٢) ببردى الحضرمي الأخضر ، فم فإنه
لا يخلص إليك شيء تكرهه منهم . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام
في برده ذلك إذا نام ^(٣) .

قال أبو جعفر : زاد بعضهم في هذه القصة في هذا الموضع : وقال له :
إن أناك ابن أبي قحافة ، فأخبره أنني توجهت إلى ثور ، فممره فليلحق
ني ، وأرسل إلى بطعام ، واستأجر لي دليلًا يدلني على طريق المدينة ؛ واشتر
لي راحلة . ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعمى الله أبصار الذين
كانوا يرصدونه ^(٤) عنه ، وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن
إسحاق ، قال : حدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال :
اجتمعوا له . وفيهم أبو جهل بن هشام ، فقال وهم على بابه : إن محمدًا

(١) ط : « يقول » ؛ وما أثبتته من ابن هشام .

(٢) ابن هشام « وتشح » .

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ٢٩٠ ، ٢٩١

(٤) ح : « يرصدونه » .

يَزْعُمُ أَنْكُمْ إِنْ تَابَعْتُمُوهُ عَلَى أَمْرِهِ كُنْتُمْ مَلُوكَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، ثُمَّ بُعِثْتُمْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ فَجَعِلْتُ لَكُمْ جَنَانًا كَجَنَانِ الْأُرْدَنِ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ لَكُمْ مِنْهُ ذَبِيحٌ، ثُمَّ بُعِثْتُمْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ؛ فَجَعِلْتُ لَكُمْ نَارَ تَحْرَقُونَ فِيهَا.

قال : وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ حَقَنَةً مِنْ تَرَابٍ ، ثُمَّ قَالَ : نَعَمْ ، أَنَا أَقُولُ ذَلِكَ ، أَنْتَ أَحَدُهُمْ . وَأَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَبْصَارِهِمْ عَنْهُ فَلَا يَرُونَهُ^(١) ، فَجَعَلَ يَنْثُرُ ذَلِكَ التَّرَابَ عَلَى رُءُوسِهِمْ ؛ وَهُوَ يَتْلُو هَذِهِ الْآيَاتِ مِنْ ١٢٣٣/١ يس : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّهُ الْخَكِيمُ . إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ، حَتَّى فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ وَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تَرَابًا ؛ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى حَيْثُ أَرَادَ أَنْ يَذْهَبَ .

فَأَتَاهُمْ آتَمٌ مِمَّنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ ، فَقَالَ : مَا تَنْتَظِرُونَ هَا هُنَا ؟ قَالُوا : مُحَمَّدًا ، قَالَ : خَيِّبَكُمْ اللَّهُ ! قَدْ وَاللَّهِ خَرَجَ عَلَيْكُمْ مُحَمَّدٌ ، ثُمَّ مَا تَرَكُ^(٢) مِنْكُمْ رَجُلًا إِلَّا وَقَدْ وَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تَرَابًا ، وَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ ؛ أَفَمَا تَرَوْنَ مَا بَكُمْ ؟ قَالَ : فَوَضَعَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ ، فَلَإِذَا عَلَيْهِ تَرَابٌ ، ثُمَّ جَعَلُوا يَطْلَعُونَ^(٣) ، فَيَرَوْنَ عَلِيًّا عَلَى الْفَرَّاشِ^(٤) مُتَسَحِّجًا^(٥) ، يَبْرُدُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَقُولُونَ : وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا مُحَمَّدٌ نَأَمُ ، عَلَيْهِ بُرْدُهُ ؛ فَلَمْ يَبْرَحُوا كَذَلِكَ حَتَّى أَصْبَحُوا ، فَقَامَ عَلَى^(٦) عَنِ الْفَرَّاشِ ، فَقَالُوا : وَاللَّهِ لَقَدْ صَدَقْنَا الَّذِي كَانَ حَدَّثَنَا ، فَكَانَ مِمَّا نَزَلَ^(٧) مِنَ الْقُرْآنِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَمَا كَانُوا أَجْمَعُوا^(٨) لَهُ :

(١) ح : « يرون له أثرًا » .

(٢) ح : « لم يترك » .

(٣) ر : « يطلعون » .

(٤) ح : « في الفراش » .

(٥) ر : « متشحاً » .

(٦) و : « من الفراش » .

(٧) ج : « أنزل الله » .

(٨) ح : « اجتمعوا » .

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(١)، وقول الله عز وجل: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ تَتَّبِعُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ • قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَرِبِينَ﴾^(٢)

وقد زعم بعضهم أن أبا بكر أتى علياً فسأله عن نبى الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أنه لحق بالغار من نور، وقال: إن كان لك فيه حاجة فالحقته، فخرج أبو بكر مسرعاً^(٣)، فلحق نبى الله صلى الله عليه وسلم في الطريق، فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم جرس أبي بكر في ظلمة الليل، فحسبه من المشركين، فأسرع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشى، فانقطع قبالة نعله ففلق لإبهامه حَجَرَ فكُثر دمها، وأسرع السعى، فخاف أبو بكر أن يشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرفع صوته، وتكلم، فعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام حتى أتاه، فانطلقا ورجل رسول الله صلى الله عليه وسلم تسنّ دماً؛ حتى انتهى إلى الغار مع الصبح، فدخلاه. وأصبح الرَّهط الذين كانوا يرصدون رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخلوا الدار، وقام على عليه السلام عن فراشه، فلما دنوا منه عرفوه، فقالوا له: أين صاحبك؟ قال: لا أدري، أو رقيباً كنت عليه! أمرعوه بالخروج فخرج؛ فانتهروه وضربوه وأخرجوه إلى المسجد، فحبسوه ساعة ثم تركوه، ونجى الله رسوله من مكبرهم وأنزل عليه في ذلك: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾.

(١) سورة الأنفال ٣٠.

(٢) سورة الطور ٣٠، ٣١. قال ابن هشام المنون: الموت. وريب المنون: ما يريب ويعرض منها؛ قال أبو ذؤيب الهللي:

أَمِنَ الْمُنُونِ وَرَبَّيْهَا تَتَوَجَّعُ وَالْدَّهْرُ لَيْسَ بِمَحْتَبٍ مِنْ يَنْزِعُ

والخبر: في ابن هشام ١: ٢٩٢.

(٣) ح: «يمشى مسرعاً».

قال أبو جعفر : وأذن الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم عند ذلك بالمجرة ، فحدثنا علي بن نصر الجهمي ، قال : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، وحدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا أبان العطار ، قال : حدثنا هشام بن عروة ، عن عروة ، قال : لما خرج أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وقبيل^(١) ١٢٣٥ / ١ أن يخرج - يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم - وقبل أن تنزل هذه الآية التي أمروا فيها بالقتال ، استأذنه أبو بكر ؛ ولم يكن أمره بالخروج مع من خرج من أصحابه ، حبسه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال له : أنظرتني ، فإني لا أدري ؛ لعلني يؤذن لي بالخروج . وكان أبو بكر قد اشترى راحلتين يعدّهما للخروج مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ؛ فلما استنظره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبره بالذي يرجو من ربه أن يأذن له بالخروج ، حبسهما وعلقهما ، انتظاراً لصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أتمنهما ، فلما حبس عليه خروج النبي صلى الله عليه وسلم ، قال أبو بكر : أنطمع أن يؤذن لك ؟ قال : نعم ؛ فانتظره فكث بذلك^(٢) .

فأخبرتني عائشة ، أنهم بينا هم ظهراً في بيتهم ، وليس عند أبي بكر إلا ابتاه : عائشة وأسماء ؛ إذا هم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين قام قائم الظهيرة - وكان لا يخطئه يوماً أن يأتي بيت أبي بكر أول النهار وآخره - فلما رأى أبو بكر النبي صلى الله عليه وسلم جاء ظهراً ، قال له : ما جاء بك يا نبي الله إلا أمرٌ حدث ؟ فلما دخل عليهم النبي صلى الله عليه وسلم البيت ، قال لأبي بكر : أخرج من عندك ، قال : ليس علينا عين ، إنما هما ابتائى ، قال : إن الله قد أذن لي بالخروج إلى المدينة ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ، الصحابة ، الصحابة ! قال : الصحابة . قال أبو بكر : خذ إحدى الراحتين - وهما الراحتان اللتان كان يعلفهما أبو بكر ، يعدّهما للخروج ، إذا

(١) م : « قبل » .

(٢) ح : « فكثا كذلك » .

أَذِنَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَعْطَاهُ إِحْدَى الرَّاحِلَتَيْنِ ، فَقَالَ :
 خُذْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ^(١) فَارْتَحِلْهَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَدْ أَخَذْتُهَا
 بِالثَمَنِ ، وَكَانَ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مُوَلَّدًا ^(٢) مِنْ مُوَلَّدَى الْأَزْدِ ، كَانَ لِلطُّفَيْلِ
 ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَخْبَرَةَ ^(٣) ، وَهُوَ أَبُو الْحَارِثِ بْنِ الطُّفَيْلِ ، وَكَانَ أَخَا
 عَائِشَةَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ لِأُمَّتِهِمَا ، فَأَسْلَمَ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ ،
 وَهُوَ مَمْلُوكٌ لَهُمْ ، فَاشْتَرَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَعْتَقَهُ ، وَكَانَ حَسَنَ الْإِسْلَامِ ، فَلَمَّا خَرَجَ
 النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ ، كَانَ لِأَبْنَى بَكْرٍ مَنِيحَةً ^(٤) مِنْ غَنَمٍ
 تَرُوحُ عَلَى أَهْلِهِ ، فَأَرْسَلَ أَبُو بَكْرٍ عَامِرًا فِي الْغَنَمِ إِلَى ثَوْرٍ ، فَكَانَ عَامِرُ بْنُ
 فُهَيْرَةَ يَرُوحُ بِتِلْكَ الْغَنَمِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْغَارِ فِي ثَوْرٍ ،
 وَهُوَ الْغَارُ الَّذِي سَمَّاهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ ، فَأَرْسَلَ بَظَهْرَهُمَا رَجُلًا مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ
 عَدَى ، حَلِيفًا لِقُرَيْشٍ مِنْ بَنِي سَهْمٍ ، ثُمَّ آَلَ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ ؛ وَذَلِكَ
 الْعَدَوِيُّ يَوْمُئِذٍ مُشْرِكٌ ، وَلَكِنَّهُمَا اسْتَأْجَرَاهُ ، وَهُوَ هَادٍ بِالطَّرِيقِ . وَفِي اللَّيَالِي ^(٥)
 الَّتِي مَكَتَا ^(٦) بِالْغَارِ كَانَ ^(٧) يَأْتِيهِمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ حِينَ يُمَسِّي بِكُلِّ
 خَبَرٍ ^(٨) بِمَكَّةَ ، ثُمَّ يَصْبِحُ بِمَكَّةَ وَيَرْبِيعُ عَامِرَ الْغَنَمِ كُلَّ لَيْلَةٍ ، فَيَحْلُبَانِ ،
 ثُمَّ يَسْرَحُ بِكُرَّةٍ ^(٩) فَيَصْبِحُ ^(١٠) فِي رُعْيَانِ النَّاسِ ، وَلَا يُفْطِنُ لَهُ ؛ حَتَّى إِذَا
 هَدَأَتْ عَنْهُمَا الْأَصْوَاتُ ، وَأَتَاهُمَا أَنْ قَدْ سَكُنَتْ عَنْهُمَا ، جَاءَهُمَا صَاحِبُهُمَا
 بِيَعْرِيهُمَا ^(١١) ، فَاَنْطَلَقَا وَانْطَلَقَتْ مَعَهُمَا بِعَامِرِ بْنِ فُهَيْرَةَ يَخْدُمُهُمَا وَيَعِينُهُمَا ،
 يُرْدِفُهُ أَبُو بَكْرٍ وَيُعْقِبُهُ عَلَى رَحْلِهِ ، لَيْسَ مَعَهُمَا أَحَدٌ إِلَّا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ ،

(١) ح : بَأَيِّ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

(٢) ح : « مَوْلُودًا » .

(٣) ضبطه صاحب التقریب يفتح فسكون .

(٤) المنيحة : ذات اللبن . وفي الفائق : « منحة » .

(٥) ح : « فِي اللَّيَالِي » .

(٦) ح : « مَكَتَا » .

(٧) م : « وَكَانَ » .

(٨) ح ، ر : « غَيْرِ » .

(٩) ح : « فَأَصْبَحَ » .

(١٠) ح ، هـ : « يَمِيرُهُمَا » .

أنو بنى عدى يلهيها الطريق ، فأجاز بهما فى أسفل مكة^(١) ، ثم مضى ١٢٣٧/١
 بهما حتى حاذى بهما الساحل ، أسفل من عسفان ، ثم استجاز بهما حتى
 عارض الطريق بعد ما جاوز قُديداً ، ثم سلك الحرَّار^(٢) ، ثم أجاز على
 ثنية المرأة^(٣) ، ثم أخذ على طريق يقال لها^(٤) المدبجة بين طريق عَمَق
 وطريق الروحاء ، حتى توافوا^(٥) طريق المَرَج ، وسلك ماء يقال له الغابر عن
 يمين ركوبة ؛ حتى يطلع على بطن رَم ، ثم جاء حتى قدِم المدينة على بنى
 عمرو بن عوف قبل القائلة . فحدثت أنه لم يبقَ فيهم إلا يومين - وزعم
 بنو عمرو بن عوف أن قد أقام فيهم أفضل من ذلك - فافتاد راحلته
 فاتبعته حتى دخل فى دُور بنى النجار ، فأراه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
 مريداً كان بين ظهريَّ دورهم .

وقد حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن
 إسحاق ، قال : حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي ،
 قال : حدثني عروة بن الزبير ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ،
 قالت : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لا يخطئه أحدٌ طرفي النهار
 أن يأتى بيت أبى بكر إما بكثرة ، وإما عشية ؛ حتى إذا كان اليوم
 الذى أذن الله فيه لرسوله بالهجرة ، وبالحروج من مكة من بين ظهرائى
 قومه ، أتانا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة ، فى ساعة كان لا يأتى فيها .
 قالت : فلما رآه أبو بكر قال : ما جاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ١٢٣٨/١
 هذه الساعة إلا لأمرٍ حدث . قالت : فلما دخل تأخر أبو بكر عن سريره
 فجلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وليس عند أبى بكر إلا أنا وأختى

(١) م : « إلى أسفل مكة » .

(٢) م : « الحرار » .

(٣) ثنية المرأة ، موضع ذكره ياقوت . وفى ح : « المرأة » .

(٤) ر : « له » ؛ والطريق تذكر وتوثق .

(٥) ط : « ثم يوافق » ، وما أثبت من ح .

أماء بنت أبي بكر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخرج عني من عندك^(١) ، قال : يا نبي الله ، إنما هما ابتائى ، وما ذاك فذاك أبى وأمى ! قال : إن الله عز وجل قد أذن لى بالخروج والهجرة ، فقال أبو بكر : الصعبة يا رسول الله ، قال : الصعبة .

قلت : فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً ييكى من الفرح ؛ حتى رأيت أبا بكر يومئذ ييكى من الفرح . ثم قال : يا نبي الله ، إن هاتين راحلتائى^(٢) ، كنت أعددتُهُما لهذا . فاستأجرا عبد الله بن أرقم - رجلاً من بنى الدئل بن بكر ، وكانت أمه امرأة من بنى سَهْم بن عمرو ، وكان مشركاً - يدلُّهما على الطريق ، ودفعاً إليهما راحلتيهما ، فكانتا^(٣) عنده يرعاها^(٤) ليعادها ، ولم يعلم - فيما بلغنى - يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد حين خرج إلا على بن أبي طالب وأبو بكر الصديق ، وآل أبى بكر ، فأما على بن أبي طالب فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنى - أخبره بخروجه ، وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الدائع التى كانت عنده للناس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليمّا يعرف من صدقه وأمانته . فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم للخروج أتى أبا بكر بن أبى قحافة ، فخرجا من خوخة لأبى بكر فى ظهر بيته ، ثم عمدا إلى غاربشور جبل بأسفل مكة ، فدخلاه ، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله بن أبى بكر أن يسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ، ثم تأتيا إذا أمسى بما يكون فى ذلك اليوم من الخبر ، وأمر عامر بن فهيرة مولا أن يرعى غنمه نهاره ، ثم يرئحها عليهما إذا أمسى بالغار . وكانت أسماء بنت أبى بكر تأتيا من الطعام^(٥) إذا أمسى بما يصلحهما ، فأقام رسول الله

(١) ح : « على » .

(٢) ح : « راحلتان » .

(٣) ح ، م : « فكانت » .

(٤) م : « يرعاها » .

(٥) د : « بالطعام » .

صلى الله عليه وسلم في الغار ثلاثاً ، ومعه أبو بكر ، وجعلت قريش حين
 فقدوه مائة ناقة لمن يردّه عليهم ، فكان عبد الله بن أبي بكر يكون في قريش
 ومعهم ، ويستمع ما يأترون به ، وما يقولون في شأن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وأبي بكر ، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر ، وكان عامر بن فهيرة
 مولى أبي بكر يرعى في رعيان أهل مكة ، فإذا أمسى أراح عليهما غنم
 أبي بكر ، فاحتلبا وذبحا ، فإذا غدا عبد الله بن أبي بكر من عندهما إلى مكة
 اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم ، حتى ينفى عليه ، حتى إذا مضت الثلاث ،
 وسكن عنهما الناس ، أتاهما صاحبهما الذي استأجرا بيعيريهما ، وأتتهما ١٢٤٠/١
 أسماء بنت أبي بكر بسفرتهما ، ونسيت أن تجعل لها عصاما^(١) . فلما ارتحلا
 ذهبت لتعلق السفرة^(٢) ، فإذا ليس فيها عصام فحلت نطاقتها^(٣) ، فجعلته
 لها عصاما ، ثم علقها به - فكان يقال لأسماء بنت أبي بكر : ذات النطاقين ،
 لذلك - فلما قرب أبو بكر الراحتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قرب
 له أفضلهما ، ثم قال له : اركب فذاك أبي وأمتي ! فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : إني لا أركب بعيراً ليس لي ، قال : فهو لك يا رسول الله بأبي
 أنت وأمتي ! قال : لا ولكن ما الثمن الذي ابتعتها به ؟ قال : كذا وكذا ، قال :
 قد أخذتها بذلك ، قال : هي لك يا رسول الله ، فركبا فانطلقا ، وأردف أبو بكر
 عامر بن فهيرة مولا خكفته يخدمهما بالطريق^(٤) .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن
 إسحاق ، قال : وجدت عن أسماء بنت أبي بكر ، قالت : لما خرج رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أتانا فقر من قريش ، فيهم أبو جهل بن
 هشام ، غوفوا على باب أبي بكر ، فخرجت إليهم ، فقالوا : أين أبوك يا ابنة
 أبي بكر ؟ قلت : لا أدري والله أين أبي ! قالت : فرفع أبو جهل يده -

(١) العصام : ما تعلق به السفرة وغيرهما . (٢) السفرة : طعام المسافر .

(٣) قال ابن هشام : «وعمت غير واحد من أهل العلم يقول : ذات النطاقين ؛ وتفسيره أنها
 لما أرادت أن تعلق السفرة شقت نطاقتها اثنتين ، فطلقت السفرة بواحد ، وانطقت بالآخر» .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٢ - ٤

وكان فاحشاً خبيثاً فلطم خدي لطمه طرح منها قرطبي . قالت : ثم انصرفوا
ويمكننا ثلاث ليال ، لا نندري أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى
أقبل رجل من الحِمْيَر ، من أسفل مكة يغني بأبيات من الشعر غناء العرب
والناس يتبعونه ؛ يسمعون صوته وما يرونه ، حتى خرج من أعلى مكة ، وهو
يقول :

جَزَى اللَّهُ رَبَّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ رَفِيقَيْنِ حَلَا خَيْمَتِي أُمُّ مَعْبِدٍ (١)
هَما نَزَلَاها بِالْهُدَى وَأَعْتَدُوا بِهِ فَأَفْلَحَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدٍ ١٢٤١/١
لِيَهْنِ بَنِي كَعْبٍ مَكَانُ قَتَاتِهِمْ وَمَقْعَدُهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِرَّصَدٍ

قالت : فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وأن وجهه إلى المدينة ، وكانوا أربعة : رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وأبو بكر ، وعامر بن فهيرة ، وعبد الله بن أرقد دليلهما (٢) .

قال أبو جعفر : حدثني أحمد بن المقدم العجلي ، قال : حدثنا هشام
ابن محمد بن السائب الكلبي ، قال : حدثنا عبد الحميد بن أبي عبس بن
محمد بن أبي عيس بن جبر ، عن أبيه ، قال : سمعت قريشاً قائلاً يقول في
الليل على أبي قُبَيْس :

فَإِنْ يُسَلِّمِ السَّعْدَانِ يُصْبِحُ مُحَمَّدٌ بِمَكَّةَ لَا يَخْشَى خِلَافَ الْمُخَالِفِ
فَلَمَّا أَصْبَحُوا قَالَ أَبُو سَفْيَانَ : مَنْ السَّعْدَانِ ؟ سَعْدُ بَكْر ، سَعْدُ ١٢٤٢/١

نُعَيْم ، سعد هُدَيْم ! فلما كان في الليلة الثانية ، سمعوه يقول :

أَيَا سَعْدُ سَعْدُ الْأَوْسِ كُنْ أَنْتَ نَاصِرًا وَيَا سَعْدُ سَعْدُ الْغَزَرِ جِنِ الْغَطَارِفِ
أَجِيبَا إِلَى دَاعِي الْهُدَى وَتَعْنِيَا عَلَى اللَّهِ فِي الْفِرْدَوْسِ مُنِيَّةَ عَارِفِ
فَإِنَّ ثَوَابَ اللَّهِ لِلطَّالِبِ الْهُدَى جَنَّاتٍ مِنَ الْفِرْدَوْسِ ذَاتِ رَقَارِفِ

(١) قال ابن هشام : أم معبد بنت كعب ، من غزاة .

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام ٤ : ٤ ، ٥ .

فلما أصبحوا ، قال أبو سفيان : هو والله سعد بن معاذ وسعد بن عباد .

• • •

قال أبو جعفر : وقدم دليلهما بهما قباء ، على بن عمرو بن عوف ،
لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، يوم الاثنين حين اشد الضحى ،
وكادت الشمس أن تعتدل .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن
إسحاق ، قال : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ،
عن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة ، قال : حدثني رجال قوي من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : لما سمعنا بمخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم من مكة ، وتوكلنا قدومه ^(١) ، كنّا نخرج إذا صلينا الصبح إلى
ظاهر حرتنا ، ننتظر ^(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوالله ما نبرح
حتى تغلبنا الشمس على الظلال ^(٣) ؛ فإذا لم نجد ظيلاً دخلنا بيوتنا ، وذلك ١٢٤٣/١
في أيام حارة ؛ حتى إذا كان في اليوم الذي قدّم فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم جلسنا كما كنّا نجلس ؛ حتى إذا لم يبق ظيل دخلنا بيوتنا . وقدّم رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين دخلنا البيوت ، فكان أول من رآه رجل من
اليهود ، وقد رأى ما كنّا نصنع ، وإنّا ^(٤) كنّا ننتظر قدوم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فصرخ بأعلى صوته : يا بني قتيلة ^(٥) هذا جدكم قد جاء .
قال : فخرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو في ظل نخلة ،
ومعه أبو بكر في مثل سنه وأكثرنا من لم يكن رأى رسول الله صلى الله عليه
وسلم قبل ذلك ، قال : وركبه الناس ^(٦) ، وما نعرفه من أبي بكر ؛ حتى زال

(١) توكلنا قدومه : انتظرناه .

(٢) ر : « فننتظر » .

(٣) ح : « القلال » .

(٤) ح : « وما » ، ر : « وإنا » .

(٥) بنو قتيلة ؛ هم الأنصار ؛ وقيلة : اسم جده كانت لهم .

(٦) ركبته الناس ، أي ازدحموا عليه .

الظلّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام أبو بكر ، فأظله برداته ، فعرفناه عند ذلك ، فزل رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما يذكرون - على كلثوم بن هيدم ، أخى بنى عمرو بن عوف ، ثم أحد بنى عبيد ، ويقال : بل نزل على سعد بن خبيشة .

ويقول مَنْ يذكُر أنه نزل على كلثوم بن هدم : إنما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج من منزل كلثوم بن هدم ، جلس للناس في بيت سعد بن خبيشة ؛ وذلك أنه كان عَرَبًا لا أهل له ، وكان منازل العَرَب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين عنده ؛ فن هناك يقال : نزل على سعد بن خبيشة ، وكان يقال لسعد بن خبيشة : بيت العَرَب ، فإله أعلم أى ذلك كان ، كلا قد سمعنا .

١٢٤٤/١ ونزل أبو بكر بن أبي قحافة على خبيّ بن أساف ، أخى بنى الحارث ابن الخرج بالسُّنح ، ويقول قائل : كان منزله على خارجة بن زيد بن أبي زهير ، أخى بنى الحارث بن الخرج .

وأقام على بن أبي طالب رضى الله عنه بمكة ثلاث ليال وأيامها ؛ حتى أدّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التى كانت عنده إلى الناس ؛ حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل معه على كلثوم ابن هيدم ، فكان على يقول : وإنما كانت إقامته بقباء على امرأة لا زوج لها مسلمة ، ليلة أوليتين ، وكان يقول : كنتُ نزلت بقباء على امرأة لا زوج لها مسلمة ، فرأيتُ إنسانًا يأتيها في جوف الليل ، فيضرب عليها بابها ، فتخرج إليه فيعطيه شيئًا معه ، قال : فاستربتُ لشأنه ، فقلت لها : يا أمة الله ، مَنْ هذا الرجل الذى يضرب عليك بابك كل ليلة فتخرجين إليه ، فيعطيك شيئًا ، ما أدري ما هو ؟ وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك ! قالت : هذا سهيل بن حنيفة بن واهب ، قد عرف أنى امرأة لا أحد لي ؛ فإذا أمسى عدا على أوثان قومه فكسرها ، ثم ^(١) جاعى بها ، وقال : احتطبي بهذا . فكان على بن

أبي طالب يأثر ذلك من أمر سهل بن حنيف حين هلك عنده بالعراق^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني هذا الحديث علي بن هند بن سعد بن سهل بن حنيف ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقاء في بني عمرو بن عوف يوم ١٢٤٠/١ الاثنين ، ويوم الثلاثاء ، ويوم الأربعاء ، ويوم الخميس ، وأسّس مسجدهم ؛ ثم أخرجه الله عز وجل من بين أظهرهم يوم الجمعة ؛ وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك . والله أعلم .
ويقول بعضهم : إن مقامه بقاء كان بضعة عشر يوماً .

• • •

قال أبو جعفر : واختلف السلف من أهل العلم في مدة مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد^(٢) ما استتب ، فقال بعضهم : كانت مدة مقامه بها إلى أن هاجر إلى المدينة عشر سنين .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن المنثى ، قال : حدثنا يحيى بن محمد بن قيس المدني - يقال له أبو زكريا - قال : سمعت ربيعة بن أبي عبد الرحمن يذكر عن أنس ابن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث على رأس أربعين ، فأقام بمكة عشرًا .

حدثني الحسين بن نصر الأملي ، قال : حدثنا عبيد^(٣) الله بن موسى ، عن شيبان ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ؛ قال : أخبرني عائشة وابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٠ ، ١١

(٢) ح : « يم » .

(٣) ر : « عد » .

لبث بمكة عشر سنين ، ينزل^(١) عليه القرآن .

حدثنا ابنُ المثنى ، قال : حدثنا عبد الوهاب ، قال : حدثنا يحيى ابن سعيد ، قال : سمعتُ سعيد بن المسيّب ، يقول : أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن وهو ابن ثلاث وأربعين ، فأقام بمكة عشرًا .

حدثني أحمد بن ثابت الرازي ، قال : حدثنا أحمد ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد ، عن هشام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ، فكث بمكة عشرًا .

حدثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدثنا عمرو بن عثمان الحمصي ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا محمد بن مسلم الطائفي ، عن عمرو بن دينار ، قال : هاجر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على رأس عشرين من مُخرجه .

• • •

قال أبو جعفر : وقال آخرون : بل أقام بعد ما استنبي بمكة ثلاث عشرة سنة .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا حجاج بن المنهال ، قال : حدثنا حماد - يعني ابن سلمة - ، عن أبي جَمْرَةَ ، عن ابن عباس ، قال : أقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه .

حدثني محمد بن خلف ، قال : حدثنا آدم ، قال : حدثنا حماد ابن سلمة ، قال : حدثنا أبو جَمْرَةَ الضُّبَيْي ، عن ابن عباس ، قال : بُعِثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة^(٢) ، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة .

(١) ج : « ينزل » .

(٢) م : « لأربعين سنة بمكة » .

حدثني محمد بن معمر ، قال : حدثنا رَوْح ، قال : حدثنا زكرياء ابن إسحاق ، قال : حدثنا عمرو بن دينار ، عن ابن عباس ، قال : مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث عشرة سنة .

حدثني عبيد^(١) بن محمد الوراق ، قال : حدثنا رَوْح ، قال : حدثنا هشام ، قال : حدثنا عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : بُعث النبي صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة ، فكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ، ثم أمر^(٢) بالهجرة .

• • •

قال أبو جعفر : وقد وافق قول مَنْ قال : بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة ، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة قول أبي قيس صيرمة بن أبي أنس ، أخى بنى عدى بن النجار ، فى قصيدته التى يقول فيها ، وهو يصف كرامة الله إياهم بما أكرمهم به من الإسلام ، ونزول نبي الله صلى الله عليه وسلم عليهم :

ثَوًى فِى قُرَيْشٍ بَضَعَ عَشْرَةَ حِجَّةً	يَذْكُرُ لَوْ يَلْقَى صَدِيقًا مَوَاتِيًا ^(٣) !
وَيَمْرُضُ فِى أَهْلِ الْمَوَاسِمِ نَفْسُهُ	قَلَمَ يَرِ مَنْ يُؤْوَى ، وَلَمْ يَرِ دَاعِيَا
فَلَمَّا أَنَا أَظْهَرَ اللَّهُ دِينَهُ	فَأَصْبَحَ مَسْرُورًا بَطْنِيَّةَ رَاضِيَا
وَأَلْقَى صَدِيقًا وَأَطْمَأْنَنْتَ بِهِ النَّوَى	وَكَانَ لَهُ عَوْنًا مِنَ اللَّهِ بَادِيَا
يَقْضُ لَنَا مَا قَالَ نُوحٌ لِقَوْمِهِ	وَمَا قَالَ مُوسَى إِذْ أَجْلَبَ الْمُنَادِيَا
وَأَصْبَحَ لَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ وَاحِدَا	قَرِيبًا ، وَلَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ نَائِيَا ^(٤)
بَذَلْنَا لَهُ الْأَمْوَالَ مِنْ جُلٍّ مَا لَنَا	وَأَنْفُسَنَا عِنْدَ الْوَعَى وَالْقَاسِيَا ^(٥)

(١) ر : « عبيد الله » .

(٢) ح ، م : « أمره » .

(٣) الآيات فى الاستيعاب ٣٢٣ .

(٤) يمد فى الاستيعاب :

نُعَادِي الَّذِى عَادَى مِنَ النَّاسِ كُلَّهُمْ جَيْمًا وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمَوَاتِيَا^(٢٠)

وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَا شَيْءَ غَيْرَهُ وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ أَفْضَلُ هَادِيَا
فَأَخْبَرَ أَبُو الْقَيْسِ فِي قَصِيدَتِهِ هَذِهِ أَنَّ مَقَامَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فِي قَوْمِهِ قَرِيشٍ كَانَ بَعْدَ مَا اسْتَنْبَى وَصَدَعَ بِالْوَحْيِ مِنَ اللَّهِ بَضْعَ عَشْرَةِ
حِجَّةٍ .

• • •

وَقَالَ بَعْضُهُمْ كَانَ مَقَامُهُ عَمَكَةَ خَمْسَ عَشْرَةِ سَنَةً :

• ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ :

حَدَّثَنِي بِذَلِكَ الْحَارِثُ ، عَنْ ابْنِ سَعْدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ
إِسْمَاعِيلَ ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ الْحَصِينِ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَاسْتَشْهَدَ
بِهَذَا الْبَيْتِ مِنْ قَوْلِ أَبِي قَيْسٍ صِرْمَةَ بْنِ أَبِي أَنْسٍ ، غَيْرَ أَنَّهُ أَنْشَدَ ذَلِكَ :
تَوَى فِي قُرَيْشٍ خَمْسَ عَشْرَةَ حِجَّةً يُذَكِّرُ لَوْ بَلَغَى صَدِيقًا مُوَاتِيَا^(١) !

• • •

١٢٤٩/١ قال أبو جعفر : وَقَدْ رَوَى عَنْ الشَّعْبِيِّ أَنَّ إِسْرَافِيلَ قُرْنُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يُوْحَى إِلَيْهِ ثَلَاثَ سِنِينَ .

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو
الْوَاقِدِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الثَّوْرِيُّ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ ، عَنْ الشَّعْبِيِّ —
قَالَ : وَحَدَّثَنَا إِمْلَاءُ مِنْ لَفْظِهِ مَنْصُورٌ عَنِ الْأَشْعَثِ ، عَنْ الشَّعْبِيِّ — قَالَ :
قُرْنُ إِسْرَافِيلَ بِنَبْوَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ سِنِينَ ، يَسْمَعُ حَسَّهُ ،
وَلَا يَرَى شَخْصَهُ . ثُمَّ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ . قَالَ الْوَاقِدِيُّ :
فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِمُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ بْنِ دِينَارٍ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ يَا بْنَ أَخِي لَقَدْ سَمِعْتُ
عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ بْنَ حَزْمٍ ، وَعَاصِمُ بْنُ عَمْرِو بْنِ قَتَادَةَ يَحْدِثَانِ^(٢) فِي

(١) م : « مَوَاتِيَا » .

(٢) ح : « يَتَحَدَّثَانِ » .

المسجد ورجل عراقي يقول لهما هذا ، فأنكراه جميعاً وقالوا : ما سمعنا ولا علمنا إلا أن جبريل هو الذي قُرُنَ به ، وكان يأتيه بالوحي من يوم نُبئُ إلى أن توفى صلى الله عليه وسلم ^(١) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا ابن أبي عدي ، عن داود ، عن عامر ، قال : أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة ، فقرن بنبوته إسماعيل ثلاث سنين ، فكان يعلمه الكلمة والشئ ، ولم ينزل القرآن على لسانه ، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل عليه السلام ، فنزل القرآن على لسانه عشر سنين بمكة وعشر سنين بالمدينة .

قال أبو جعفر : فعلّ الذين قالوا : كان مقامه بمكة بعد الوحي عشراً عدواً مقامه بها من حين أتاه جبريل بالوحي من الله عز وجل ، وأظهر الدعاء إلى توحيد الله . وعدّ الذين قالوا : كان مقامه ثلاث عشرة سنة من أول الوقت الذي استنبأ فيه ، وكان إسماعيل المقرون به وهى السنون الثلاث ١٢٠٠/١ التي لم يكن أمر فيها بإظهار الدعوة .

وقد روى عن قتادة غير القولين اللذين ذكرت ؛ وذلك ما حدثت عن روح بن عبادة ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانى سنين بمكة وعشراً بعد ما هاجر ، وكان الحسن يقول : عشراً بمكة وعشراً بالمدينة .

ذكر الوقت الذى عمل فيه التأريخ

قال أبو جعفر : ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، أمر بالتأريخ فيما قيل . حدثني زكرياء بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن ابن جرير ، عن أبي سلمة ، عن ابن شهاب ، أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة - وقد مها في شهر ربيع الأول - أمر بالتأريخ .

• • •

قال أبو جعفر : فذكر أنهم كانوا يؤرخون بالشهر والشهرين من مقدمه إلى أن تمت السنة ، وقد قيل إن أول من أمر بالتأريخ في الإسلام عمر بن الخطاب ، رحمه الله .

• ذكر الأخبار الواردة بذلك :

حدثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدثنا أبو نعيم ، قال : حدثنا حبان ابن علي العنزي ، عن مجالد ، عن الشعبي ، قال : كتب أبو موسى الأشعري إلى عمر : إنه تأتينا منك كتب ليس لها تاريخ . قال : فجمع عمر الناس للمشورة ، فقال بعضهم : أرخ لمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال بعضهم : لمهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر : لا بل نؤرخ لمهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن مهاجرة فرق بين الحق والباطل .

حدثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدثنا قتيبة بن سعيد ، قال : حدثنا خالد بن حيان أبو يزيد الخزاز ، عن فرات بن سلمان ، عن ميمون بن مهران ، قال : رفع إلى عمر صك^١ سجله في شعبان ، فقال عمر : أى شعبان؟ الذى هو آت ، أو الذى نحن فيه ؟ قال : ثم قال لأصحاب رسول الله صلى الله

عليه وسلم : ضعوا للناس شيئاً يعرفونه ، فقال : بعضهم : اكتبوا على تأريخ الروم ، فقيل : إنهم يكتبون من عهد ذى القرنين ؛ فهذا يطول . وقال بعضهم : اكتبوا على تأريخ الفرس ؛ فقيل : إن الفرس كلما قام ملك طرح من كان قبله ؛ فاجتمع^(١) رأيهم على أن ينظروا : كم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ؟ فوجدوه عشر سنين ؛ فكتب التأريخ من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثت عن أمية بن خالد وأبي داود الطيالسي ، عن قرّة بن خالد السدوسي ، عن محمد بن سيرين ، قال : قام رجل إلى عمر بن الخطاب فقال : أرخوا ، فقال عمر : ما «أرخوا» ؟ قال : شئ تضعه الأعاجم ، يكتبون في شهر كذا من سنة كذا ، فقال عمر بن الخطاب : حسن ، فأرخوا . فقالوا : من أي السنين نبدأ ؟ قالوا : من مبعثه ، وقالوا : من وفاته ، ثم أجمعوا^(٢) على الهجرة . ثم قالوا : فأى الشهور نبدأ ؟ فقالوا : رمضان ، ثم قالوا : المحرم ، ١٣٥٢/١ فهو منصرف الناس من حجّهم ؛ وهو شهر حرام ، فأجمعوا^(٣) على المحرم .

حدثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدثني سعيد بن أبي مريم . وحدّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدّثنا أبي ، قالاً جميعاً : حدّثنا عبد العزيز بن أبي حازم ، قال : حدّثني أبو حازم ، عن سهيل ابن سعد ، قال : ما أصاب الناس العدد ؛ ما عدّوا من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا من وفاته ، ولا عدّوا إلا من مقدّمه المدينة .

حدثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدّثنا سعيد بن أبي مريم ، قال : حدّثنا يعقوب بن إسحاق ، قال : حدّثني محمد بن مسلم ، عن عمرو بن دينار ، عن عبد الله بن عباس ، قال : كان التأريخ في السنة التي قدّم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وفيها ولد عبد الله بن الزبير .

(١) م : « فاجتمع » .

(٢) م : « اجتمعوا » .

(٣) م : « فاجتمعوا » .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكيم ، قال : حدثنا يعقوب
ابن إسحاق بن أبي عباد ، قال : حدثنا محمد بن مسلم الطائفي ، عن عمرو
ابن دينار ، عن ابن عباس ، قال : كان التأريخ في السنة التي قدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيها ، فذكر مثله .

حدثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدثنا قتيبة بن سعيد ، قال : حدثنا
نوح بن قيس الطائفي ، عن عثمان بن محسن ، أن ابن عباس كان يقول
في : (والفجر وكيال عشر) ، قال : الفجر هو المحرم ، فحجر السنة .

حدثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ،
قال : حدثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي إسحاق ، عن الأسود بن يزيد ،
عن عبيد بن عمير ، قال : إن المحرم شهر الله عز وجل ، وهو رأس السنة ،
فيه يكسى البيت ، ويؤرخ^(١) التأريخ ، ويضرب فيه الوري ، وفيه يوم كان
١٢٥٣/١ تاب فيه قوم ، فتاب الله عز وجل عليهم .

حدثني أحمد بن ثابت الرازي ، قال : حدثنا أحمد^(٢) ، قال : حدثنا
روح بن عباد ، قال : حدثنا زكرياء بن إسحاق ، عن عمرو بن دينار ،
أن أول من أرخ الكئب بعل بن أمية ، وهو باليمن ، وأن النبي صلى الله
عليه وسلم قدم المدينة في شهر ربيع الأول ، وأن الناس أرخوا لأول السنة ؛
ولما أرخ الناس لقدّم النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال علي بن مجاهد ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري . وعن محمد
ابن صالح ، عن الشعبي ، قال^(٣) : أرخ بنو إسماعيل من نار إبراهيم عليه
السلام إلى بنيان البيت ، حين بناه إبراهيم وإسماعيل ، ثم أرخ بنو إسماعيل
من بنيان البيت ؛ حتى تفرقت^(٤) ، فكان كلما خرج قوم من تيمامة أرخوا

(١) ح : « يؤرخ للتأريخ » .

(٢) ح : « قال » .

(٣) ر : « حين » .

(٤) هو أحمد بن حنبل .

بمخرجهم^(١) ، ومن بقي بتهامة من بني إسماعيل يؤرخون من خروج سعد وتهد وجهينة ، بني زيد ، من تهامة ؛ حتى مات كعب بن لؤي ، فأرخوا من موت كعب بن لؤي إلى القيل ؛ فكان التأريخ من القيل ، حتى أرخ عمر ابن الخطاب من الهجرة ؛ وذلك سنة سبع عشرة أو ثمانى عشرة .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدثنا نعيم بن حماد ، قال : حدثنا الدراوردي ، عن عثمان بن عبيد الله بن أبي رافع ، قال : سمعت سعيد بن المسيب ، يقول : جمع عمر بن الخطاب الناس ، فسألم ، فقال : من أى يوم نكتب ؟ فقال علي عليه السلام : من يوم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وترك أرض^(٢) الشُّرك ، ففعله عمر رضى الله عنه . ١١٥٤/١

قال أبو جعفر : وهذا الذى رواه علي بن مجاهد ، عمن رواه عنه فى تأريخ بني إسماعيل غير بعيد من الحق ؛ وذلك أنهم لم يكونوا يؤرخون على أمر معروف يعمل به عامتهم ، وإنما كان المؤرخ منهم يؤرخ بزمان قحمة^(٣) كانت فى ناحية من نواحي بلادهم ، ولتربة أصابتهم ؛ أو بالعامل كان يكون عليهم ، أو الأمر الحادث فيهم ينتشر خبره عندهم ؛ يدل على ذلك اختلاف شعرائهم فى تأريخاتهم ؛ ولو كان لهم تأريخ على أمر معروف ، وأصل معمول عليه ، لم يختلف ذلك منهم .

ومن ذلك قول الربيع بن ضبُع الفزاري :

هَائِذَا آمَلُ الْخُلُودَ وَقَدْ أَذْرَكَ عَقْلِي وَمَوْلَدِي حُجْرًا
أَبَا امْرِئِ الْقَيْسِ هَلْ سَمِعْتَ بِهِ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ طَالَ ذَا عُمْرَا
فَأَرِخْ عَمْرَهُ بِحَجَرِ بْنِ عَمْرٍو أَبِي امْرِئِ الْقَيْسِ .

وقال نابغة بني جعدة :

(١) ر : م : « بمخرجهم » .

(٢) ر : « أهل » .

(٣) القحمة ، بالضم : القحط الشديد ؛ وكذلك التربة .

فَمَنْ يَكُ سَائِلًا عَنِّي فَأِنِّي مِنَ الشُّبَّانِ أَرْمَانَ الْخُنَّانِ^(١)

فجعل التابعة تأريخه ما أَرخَ بزمان علته كانت فيهم عامة .

وقال آخر :

وَمَا هِيَ إِلَّا فِي لِزَارٍ وَعِلْقَةٍ مَعَارَ ابْنِ هَمَامٍ عَلَى حَيِّ خَتَمًا^(٢)

١٢٥٥/١ فكل واحد من هؤلاء الذين ذكرت تأريخهم في هذه الآيات ، أَرخَ على قُربَ زمان بعضهم من بعض ، وقُربَ وقت ما أَرخَ به من وقت الآخر ؛ بغير المعنى الذى أَرخَ بِهِ الآخر ؛ ولو كان لم تأريخ معروف كما للمسلمين اليوم ولسائر الأمم غيرها ، كانوا إن شاء الله لا يتعدّونه ؛ ولكن الأمر في ذلك كان عندهم إن شاء الله على ما ذكرت ؛ فأما قريش من بين العرب ؛ فإن آخر ما حصلت من تأريخها قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة على التأريخ بعام الفيل ؛ وذلك عام وُلد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وكان بين عام الفيل والفِجَارِ عشرون سنة ، وبين الفِجَارِ وبناء الكعبة خمس عشرة سنة ، وبين بناء الكعبة ومبعث النبي صلى الله عليه وسلم خمس سنين .

• • •

قال أبو جعفر : وبُعِثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة ، وقُرُنَ بنبوته — كما قال الشعبي — ثلاث سنين : إسرَافيلُ ؛ وذلك قبل أن يؤمر بالدعاء وإظهاره على ما قدّمنا الرواية والإخبار به ، ثم قُرُنَ بنبوته جبريلُ عليه السلام بعد السنين الثلاث ، وأمره بإظهار الدعوة إلى الله ، فأظهرها ، ودعا إلى الله مقيمًا بمكة عشر سنين ، ثم هاجر إلى المدينة في شهر ربيع الأول من سنة أربع عشرة من حين استنبي ، وكان خروجه من مكة إليها يوم الاثنين ، وقلومه المدينة يوم الاثنين ؛ لمضى اثنتى عشرة ليلة من شهر ربيع الأول .

(١) في السان : « وزين الخنّان زين ماتت فيه الإبل » ، وأورد البيت .

(٢) البيت في السان (علق) من غير نسبة .

حدثني إبراهيم بن سعيد الجوهري ، قال : حدثنا موسى بن داود ، عن ابن لهيعة ، عن خالد بن أبي عمران ، عن حنش الصنعاني ، عن ابن عباس ، قال : ولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، واستنبت يوم الاثنين ، ورفع الحجر يوم الاثنين ، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ، ١٢٥٦/١ وقدم المدينة يوم الاثنين ، وقبض يوم الاثنين .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهري ، قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين ، لاثني عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول .

• • •

قال أبو جعفر : فإذا كان الأمر في تاريخ المسلمين كالذي وصفت ، فإنه وإن كان من الهجرة ، فإن ابتداءهم إياه قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة بشهرين وأيام ، هي اثنا عشر ، وذلك أن أول السنة المحرم ، وكان قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ، بعد مضى ما ذكرت من السنة ، ولم يؤرخ التاريخ من وقت قدومه ، بل من أول تلك السنة .

ذكر ما كان

من الأمور المذكورة في أول سنة من الهجرة

قال أبو جعفر : قد مضى ذكرنا وقت مقدّم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، وموضعه الذي نزل فيه حين قدمها، وعلى من كان نزوله، وقدّر مكانه في الموضع الذي نزل^(١)، وخبر ارتحاله عنه . ونذكر الآن ما لم نذكر قبل مما كان من الأمور المذكورة في بقية سنة قدمه، وهي السنة الأولى من الهجرة. فن ذلك تجميعه صلى الله عليه وسلم بأصحابه الجمعة، في اليوم الذي ارتحل فيه من قُباء؛ وذلك أن ارتحاله عنها كان يوم الجمعة عامداً^(٢) المدينة، فأدركته الصلاة، صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف، ببطن واد لهم - قد اتخذ^(٣) اليوم في ذلك الموضع مسجداً - فيما بلغني - وكانت هذه الجمعة، أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسلام، فخطب في هذه الجمعة، وهي أول خطبة خطبها بالمدينة فيما قيل.

• • •

خطبة رسول الله

صلى الله عليه وسلم في أول جمعة جمعها بالمدينة

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : حدثني سعيد بن عبد الرحمن الجمعي، أنه بلغه عن خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول جمعة صلاها بالمدينة في بني سالم بن عوف : الحمد لله، أحمدته وأستعينه، وأستغفره وأستهديه، وأومن به ولا أكفره، وأعادي من يكفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله؛ أرسله بالهدى والنور والموعظة، على فطرة من الرسل، وقلة من

(١) ر : نزل . (٢) ح : عابداً إلى المدينة .

(٣) ح : اتخذوا .

العلم، وضلالة من الناس، واقطاع من الزمان، ودنو من الساعة، وقرب من الأجل؛ من يطلع الله ورَسُولُهُ فَمَقْدَرُ شَدِّ، ومن يعصهما فقد غَوَى وفُطِرَ، وضلّ ضلالاً بعيداً. وأوصيكم بتقوى الله، فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم؛ أن يحفظه على الآخرة، وأن يأمره بتقوى الله، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه، ولا أفضل من ذلك نصيحة، ولا أفضل من ذلك ذكراً، وإن تقوى الله لمن عمل به على وجل^(١) وخافة من ربه، عونٌ صدق على ما تبغون من أمر الآخرة. ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية، لا ينوي بذلك إلا وجه الله يكن له ذكراً^(٢) في عاجل أمره، وذخراً فيما بعد الموت، حين يفتر المرء إلى ما قدم، وما كان من سوي ذلك يودّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً، ويحذركم الله نفسه، والله رءوف بالعباد. والذي صدق قوله، وأنجز^(٣) وعده، لا خلف لذلك، فإنه يقول عز وجل: ١٢٥٨/١ ﴿مَا يُدْلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْمُتَدِينِ﴾^(٤). فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية، فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته، ويعظم له أجراً، ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً. وإن تقوى الله يوقى مقته، ويوقى عقوبته، ويوقى سخطه، وإن تقوى الله يبيض الوجه، ويرضى الرب، ويرفع الدرجة.

خلوا بحظكم، ولا تفرطوا في جنب الله؛ قد علمكم الله كتابه، ونهج لكم سبيله، ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين. فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه، وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وتماكم المسلمين، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيى عن بينة، ولا قوة إلا بالله. فأكثروا ذكر الله، واعملوا لما بعد اليوم، فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس، ذلك بأن الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه، ويملك من الناس ولا يملكون^(٥).

(١) ح: «رحله». (٢) ح: «ذخراً وذكراً».

(٣) ح: م: «وفجز». (٤) سورة ق ٢٩.

(٥) ر: «لا يملكون».

منه ؛ الله أكبرُ ، ولا قوةَ إلا بالله العظيم ! .

• • •

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابنِ إسحاق ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ركب ناقته ، وأرخى لها الزمام ، فجمعت لا تمرُّ بدار من دُور الأنصار إلا دعاه أهلُها إلى التزول عندهم ، وقالوا له : هلم يا رسولَ الله ! إلى العُدَّة والعُدَّة والمنعة ؛ فيقول لهم صلى الله عليه وسلم : خلكوا زيامها فإنَّها مأمورة ؛ حتى انتهى إلى موضع مسجده اليوم ، فبركت على باب مسجده ^(١) ؛ وهو يومئذ ميربَد ^(٢) لفلانين يتيمن من بني النجَّار في حجر معاذ بن عفراء ؛ يقال لأحدهما سهل وللآخر سهيل ، ابنا عمرو بن عباد ابن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجَّار . فلما بركت لم يتزل عنها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم وثبتت فسارت غير بعيد ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم واضح لها زمامها لا يتنَّيها به ؛ ثم التفت خلفها ، ثم رجعت إلى مبركها أول مرة ، فبركت فيه ووضعت جرائنها ، ونزل عنها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فاحتمل أبو أيوب رحله ، فوضعه في بيته ، فدعته الأنصار إلى التزول عليهم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : المرءُ مع رحله . فتزل على أبي أيوب خالد بن زيد بن كليب ، في بني غنم بن النجَّار ^(٣) .

قال أبو جعفر : وسأل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن الميربَد لمن هو ؟ فأخبره معاذ بن عفراء ، وقال : هو ليتيمين لي ، سأرضيهما . فأمر به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يبتى مسجداً ، ونزل على أبي أيوب ، حتى بنى مسجده ومساكنه . وقيل : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم اشترى موضع مسجده ، ثم بناه .

والصحيح عندنا في ذلك ، ما حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : حدثنا

(١) و : « المسجد » .

(٢) المربد : الموضع الذي يحفف فيه الثمر .

(٣) الخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ١١ ، ١٢ .

يزيد بن هارون، قال : أخبرنا حمّاد بن سلّمة ، عن أبي التّياح ، عن أنس ابن مالك ، قال : كان موضع مسجد النبي صلى الله عليه وسلم لبني النّجار ، وكان فيه نخل وحِثْرٌ وقبورٌ من قبور الجاهليّة ، فقال لم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثامنوني^(١) به ، فقالوا : لا نبتغي^(٢) به ثمناً إلّا ما عند الله . فأمر ١٢٦٠/١ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنّخل فقطع ، وبالحِثْر فأفسد ، وبالقبور فنبتت ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك يصلي في مرابض الغم ، وحيث أدركته الصلاة .

قال أبو جعفر : وتولّى بناء مسجد النبي صلى الله عليه وسلم هو بنفسه وأصحابه^(٣) من المهاجرين والأنصار .
وفي هذه السنّة بُني مسجد قُباء .

• • •

وكان أوّل من توفّي بعد مقدّمه المدينة من المسلمين - فيما ذكر - صاحب منزله كلثوم بن الهمد ، لم يلبث بعد مقدّمه إلّا يسيراً حتى مات .

ثم توفّي بعده أسعد بن زُرارة في سنّة مقدّمه ، أبو أمامة . وكانت وفاته قبل أن يقرّخ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بناء مسجده ، بالذّبْحَة^(٤) والشّهقة^(٥) . فحدّثنا ابنُ حُمَيْد ، قال : حدّثنا سلّمة ، قال : قال محمد ابن إسحاق . حدّثني عبد الله بن أبي بكر ، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بش^(٦) الميِّتُ أبو أمامة ليهودٍ ومناقب العرب ! يقولون : لو كان محمد نبياً لم يمّتُ صاحبه ، ولا أمليكَ لنفسي ولا لصاحبي من الله شيئاً^(٧) .

(١) ثامنوني به ؟ أي اجعلوا لها ثمناً .

(٢) و : « لا نبتغي » .

(٣-٤) و : « وأصحابه المهاجرون » .

(٤) الذّبْحَة : وجع في الحلق يخفق فيقتل .

(٥) الشّهقة : الصيحة .

(٦) و : « لبس » .

(٧) سيرة ابن هشام ١٩ : ٢

وقد حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن معمر ، عن الزهري ، عن أنس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كوى أسعد ابن زُرارة من الشوكة ^(١) .

قال ابن حُميد ، قال سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثني عاصم ابن عمر بن قتادة الأنصاري أنه لما مات ^(٢) أبو أمامة أسعد بن زُرارة ، اجتمعت بنو النجار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكان أبو أمامة تقييهم - فقالوا : يا رسول الله ، إن هذا الرجل قد كان منّا حيث قد علمت ، فاجعل منّا رجلاً مكانه ، يقيم من أمرنا ما كان يقيمه ، فقال لم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتم أخوالي وأنا منكم ، وأنا تقييكم .

قال : وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخصّ بها بعضهم دون بعض ، فكان من فضل ^(٣) بني النجار الذي تعدّ ^(٤) على قوميهم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان تقييهم ^(٥) .

وفي هذه السنة مات أبو أحبيحة بماله بالطائف . ومات الوليد بن المغيرة والمعاص بن وائل السهني فيها بمكة .

• • •

وفيها بئى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمائشة بعد مقدّمه المدينة بئانية أشهر ، في ذى القعدة في قول بعضهم ، وفي قول بعض : بعد مقدّمه المدينة بسبعة أشهر ، في شوال ، وكان تزوّجها بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين بعد وفاة خديجة وهى ابنة ست سنين ، وقد قيل : تزوّجها وهى ابنة سبع .

(١) الشوكة : حشرة تظهر في الوجه وغيره من الجسد . والخبر في نهاية ابن الأثير ٤ : ٢٤٠ ، ٢٤١ .

(٢) ح : « أصيب » .

(٣) ح : « قصة بني النجار وفضلهم » .

(٤) ح : « يملونه » . ر : « يمد » ، سيرة ابن هشام : « الذي يملون » .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ١٩ .

حدثنا عبد الحميد بن بيسان السكري ، قال : أخبرنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل - يعني ابن أبي خالد - عن عبد الرحمن بن أبي الضحاك ، عن رجل من قریش ، عن عبد الرحمن بن محمد ، أن عبد الله بن صفوان وآخر ١٢٦٢/١ معه أنبا عائشة ، فقالت عائشة : يا فلان ؛ أسمعت حديث حفصة ؟ قال لها : نعم يا أم المؤمنين ، قال لها عبد الله بن صفوان : وما ذلك ؟ قالت : خيلاً فيّ تسع لم تكن في أحد من النساء إلا ما آتى الله مريم بنت عمران ؛ والله ما أقول هذا فخراً على أحد من صواحي ، قال لها : وما هن ؟ قالت : نزل الملك بصورتي ، وتزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم لسبع سنين ، وأهديت إلي تسع سنين ، وتزوجني بكرأ لم يشركه في أحد من الناس ، وكان يأتيه الوحي وأنا وهو في لحاف واحد ، وكنت من أحب الناس إليه (١) ، ونزل في آية من القرآن كادت الأمة أن تهلك ، ورأيت جبريل ولم يره أحد من نسائه غيري ، وقُبض في بيتي لم يله أحد غير الملك وأنا .

• • •

قال أبو جعفر : وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما قيل - في شوال ، وبتى بها حين بنى بها في شوال .

• ذكر الرواية بذلك :

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد ، قال : حدثنا سفيان ، عن إسماعيل بن أمية ، عن عبد الله بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال ، وبتى في شوال . وكانت عائشة تستحب أن يبنى بالنساء (٢) في شوال .

(١) كلما في ر ، وف ط : وهو .

(٢) زاد بعدها ر : « وأبى أحب الناس إليه » .

(٣) كلما في ر ، وف ط : « يسلتها » .

حدثنا ابنُ وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن أمية ،
عن عبد الله بن عُرْوَةَ ، عن عُرْوَةَ ، عن عائشة ، قالت : تزوجني رسولُ الله
صلَّى الله عليه وسلَّم في شَوَّال ، وبنى بي في شَوَّال ، فأبى نساء رسول الله
كانت أحظي عنده مني ! وكانت عائشة تستحبُّ أن يُدْخَلَ بالنساء^(١)
في شَوَّال .

قال أبو جعفر : وقيل : إنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بنى بها
في شَوَّال يوم الأربعاء ، في منزل أبي بكر بالسُّنْح .

وفي هذه السنة بعثَ النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم إلى بناتِهِ وزوجتهِ
سَوْدَةَ بنتِ زَمْعَةَ ، زيدَ بن حارثةَ وأبا رافع ، فحملهنَّ^(٢) من مكة إلى
المدينة .

ولارجع - فيما ذكر - عبد الله بن أَرْيَظٍ إلى مكة أخبر عبد الله بن
أبي بكر بمكان أبيه أبي بكر ، فَخَرَجَ عبدُ الله يَعيَالُ أبيه إليه ، وصَحِبَهُمْ
طَلْحَةُ بن عبيد الله ، معهم^(٣) أمُّ رومان ، وهي أمُّ عائشة ؛ وعبد الله بن
أبي بكر حتى^(٤) قدموا المدينة .

وفي هذه السنة زِيدَ في صلاةِ الحَضَرِ - فيما قيل - ركعتان ، وكانت
صلاة الحَضَرِ والَسَفَرِ ركعتين ؛ وذلك بعد مقدّم رسول الله صلَّى الله عليه
وسلَّم المدينةَ بشهر ، في ربيع الآخر ، لمُضَى اثنتي عشرة ليلة منه^(٥) ،
زعم الواقدي أنه لا خلاف بين أهل الحجاز فيه .

• • •

وفيها - في قول بعضهم - وُلِدَ عبد الله بن الزُّبَيْر . وفي قول الواقدي :
وُلِدَ في السَّنَةِ الثانية من مقدّم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم المدينة
في شَوَّال .

(١) كذا في ر وفي ط : « بنائهما » .

(٢) ر : « معهن » .

(٣) م : « حين » .

(٤) ر : « مضت منه » .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : قال محمد بن عمر الواقدي : وُلِدَ ابنُ الزبير بعد الهجرة بعشرين شهرًا بالمدينة .

١٢٦٤/١

قال أبو جعفر : وكان أولَ مولود ولد من المهاجرين في دار الهجرة ، فكبر - فيما ذكر - أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وُلِدَ ؛ وذلك أنَّ المسلمين كانوا قد تحدَّثوا أنَّ اليهود يذكرون أنَّهم قد سَحَرَوْهم فلا يُولَدُ لهم ؛ فكان تكبيرُهم ذلك سرورًا منهم بتكذيب الله اليهود فيما قالوا من ذلك .

وقيل : إن أسماء بنت أبي بكر ، هاجرت إلى المدينة وهي حاملٌ به .

وقيل أيضًا : إنَّ النعمان بن بشير وُلِدَ في هذه السنة ؛ وإنَّه أولَ مولود وُلِدَ للأنصار بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إليهم ؛ وأنكر ذلك الواقدي أيضًا .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا الواقدي ، قال : حدثنا محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حنيفة ، عن أبيه ، عن جدِّه ، قال : كان أولَ مولود من الأنصار ^(١) النعمان بن بشير ؛ ولد بعد الهجرة بأربعة عشر شهرًا ، فتوفى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمانين سنين ، أو ^(٢) أكثر قليلًا .

قال : وولد النعمان قبل بدر بثلاثة أشهر أو أربعة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا مُصَنَّب بن ثابت ، عن أبي الأسود ، قال : ذُكِرَ النعمان بن بشير عند ابنِ الزبير ^(٣) ، فقال : هو أَسَنُ مني بستة أشهر .

قال أبو الأسود : ولد ابنُ الزبير على رأس عشرين شهرًا من مهاجرة

(١) ر : « ولد للأنصار » .

(٢) م : « وأكثر » .

(٣) ح ، م : « عبد الله بن الزبير » .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وولد النعمان على رأس أربعة عشر شهراً في ربيع الآخر .

قال أبو جعفر : قيل : إن المختار بن أبي عبيد الثقفي وزياد ابن ممية فيها ولدا .

• • •

قال : وزعم الواقدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد في هذه السنة في شهر رمضان ، على رأس سبعة أشهر من مهاجره ، لحمزة بن عبد المطلب لواءً أبيض في ثلاثين رجلاً من المهاجرين ، ليعترض^(١) ليعيرات^(٢) قریش ، وأن حمزة لقي أبا جهل [بن هشام]^(٣) في ثلاثمائة رجل ، فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني فافترقوا ، ولم يكن بينهم قتال . وكان الذي يحمل لواء حمزة أبو مرثد .

وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد أيضاً في هذه السنة ، على رأس ثمانية أشهر من مهاجره في شوال ، لعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف لواء أبيض ، وأمره بالمسير^(٤) إلى بطن رايغ ، وأن لواءه كان مع مسطح بن أثاثة ، فبلغ ثنية المرة — وهي بناحية الجحفة — في ستين من المهاجرين ، ليس فيهم أنصاري ، وأنهم التقوا هم والمشركون على ماء يقال له أحياء ، فكان بينهم الرمي دون المسابقة^(٥) .

قال : وقد اختلفوا في أمير السرية ؛ فقال بعضهم : كان أبو مغيان بن حرب ، وقال بعضهم : كان مكرز بن حفص .

قال الواقدي : ورأيت الثبت على أبي سفيان بن حرب ، وكان في مائتين من المشركين .

(١) د : « ليعرض » .

(٢) البيرات : جميع العرب ؛ وهي الإبل التي تحمل الميرة ؛ لا واحد لها من لفظها ، قال سيبويه : « جمعوها بالألف والتاء لمكان التانيث ؛ وحركوا الياء لمكان الجمع بالتاء » .

(٣) من د .

(٤) م : « بالسير » .

(٥) المسابقة : التضارب بالسيف .

قال : وفيها عَفَدَ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم لسعد بن أبي وقاص إلى الخَرَّارِ لواءَ أبيضٍ يحمله المقداد بن عمرو في ذى القعدة . وقال : حدثني أبو بكر بن إسماعيل ، عن أبيه ، عن عامر^(١) بن سعد ، عن أبيه ، قال : خرجتُ في عشرين رجلاً على أقدامنا - أوقال : واحد^(٢) وعشرين رجلاً - فكُنَّا نَكْمُنُ النَّهَارَ ، ونسير الليل حتى صَبَحْنَا الخَرَّارَ صُبْحَ خَمَاسَةٍ ؛ وكان رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، قد عهد إلى ألاَّ أَجَاوِزَ الخَرَّارَ ، وكانت العِيرُ قد سَبَقَتْني قبل ذلك يوم ، وكانوا ستين ، وكان مَنْ مع سعد كلَّهم من المهاجرين .

• • •

قال أبو جعفر : وقال ابن إسحاق في أمر كلِّ هذه السرايا التي ذكرتُ عن الواقدي قوله فيها غير ما قاله الواقدي ، وأنَّ ذلك كلُّه كان في السنة الثانية من وقت التاريخ .

حدثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدثنا سَلَمَةُ بن الفضل ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : قدم رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم المدينةَ في شهر ربيع الأول لاثنتي عشرة ليلة مضت منه ، فأقام بها ما بقيَ من شهر ربيع الأول وشهرَ ربيع الآخر وَجُمَادَيَيْنِ وَرَجَبَ وشعبانَ ورمضانَ وشَوَّالاً وذَا القعدة وذَا الحجة - وولى تلك الحجةَ المشركينَ - والمحرَّم . وخرج في صَفَرٍ غازياً على رأس اثني عشر شهراً من مقدَّمه المدينة ، لِفَتْيَ عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول ؛ حتى بلغ ودَّانَ ؛ يريد قريشاً وبنى ضَمْرَةَ بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ؛ وهي غزوةُ الأبواء ، فَوَادَعَهُ^(٣) فيها بنو ضَمْرَةَ ؛ وكان الَّذي وادَّعه منهم عليهم سيدهم كان في زمانه ذلك ، مَخْشِي بن عمرو ، رجل^(٤) منهم .

(١) ح : م : « عامر » .

(٢) ح : « في واحد وعشرين » .

(٣) وادَّعه : سلَّه وعادته ألاَّ تحاربه .

(٤) ح : « ورجل » . .

قال : ثم رجع رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم إلى المدينة ، ولم يلقَ كَيْدًا ، فأقام بها بقيةَ صفرٍ وصدرًا من شهر ربيع الأول^(١) . ١٢٦٧/١

وبعث في مقامه ذلك عبيدةُ بن الحارث بن المطلب في ثمانين أو ستين راكبًا من المهاجرين ؛ ليس فيهم من الأنصار أحدٌ ، حتى بَلَغَ أحياءَ (ماء بالحجاز بأسفل ثنيةِ المرأة) ، فلقِيَ بها جمعًا عظيمًا من قريش ؛ فلم يكن بينهم قتال ؛ إلا أن سعد بن أبي وقاص قد رَمَى يومئذٍ بسهم ؛ فكان أولُ سهم رُمِيَ به في الإسلام .

ثم انصرف القوم عن القوم والمسلمين حاميةً ، وقرَّ منَ المشركين إلى المسلمين المِقْدَاد بن عمرو البهْراني حليف بنى زُهْرة ، وعُثْبَةُ بن غَزْوَان بن جابر حليف بنى نوفل بن عبد مناف - وكانا مسلمين ؛ ولكنهما خرجا يتوصَّلا^(٢) بالكُفَّار إلى المسلمين - وكان على ذلك الجمع^(٣) عِكْرَمَةُ بن أبي جهل .

قال مُحَمَّد : فكانت رايةُ عبيدة - فيما بلغني - أول راية عقدتها رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم في الإسلام لأحد من المسلمين^(٤) .

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : وبعض العلماء يزعم أن رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم كان بعثه حين أقبل من غزوة الأنواء قبل أن يصلَ إلى المدينة . قال : وبعث حمزة بن عبد المطلب في مقامه ذلك إلى سيف البحر من ناحية العيص في ثلاثين راكبًا من المهاجرين ؛ وهي من أرض جهينة ليس فيهم من الأنصار أحدٌ ، فلقِيَ أبا جهل بن هشام بذلك الساحل في ثلاثمائة

(١) في السيرة : « قال ابن هشام : وهي أول غزوة غزاها » ، والخبر في السيرة ٢ : ٥٤ .

(٢) في ابن هشام : « ليتوصلا بالكفار » ؛ أي أتباعا جلا غروجهما مع الكفار وسيلة الوصول إلى المسلمين .

(٣) و : « ذلك الجمع من المشركين » .

(٤) الخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٥٥ .

راكب من أهل مكة ، فحجز بينهم مَجْدِيُّ بْنُ عَمْرِو الْجُهَنِيُّ ، وكان ١٣٦٨/١
مُؤَادِعًا لِلرَّيْقَيْنِ جَمِيعًا ، فأنصرف القومُ بعضهم عن بعض ، ولم يكن
بينهم قتال .

قال : وبعضُ القوم يقول : كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله
صلَّى الله عليه وسلَّم لأحد من المسلمين ، وذلك أَنَّ بَعَثَهُ وَبَعَثَ
عُبَيْدَةَ بْنَ الْحَارِثِ كَانَا مَعًا ، فَشَبَّهَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ .

قال : وَالَّذِي سَمِعْنَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ عِنْدَنَا أَنَّ رَايَةَ عُبَيْدَةَ بْنِ الْحَارِثِ
كَانَتْ أَوَّلَ رَايَةٍ عُقِدَتْ فِي الْإِسْلَامِ ^(١) .

قال : ثُمَّ غَزَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ ،
يُرِيدُ قَرِيشًا ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ بُوْاطَ مِنْ نَاحِيَةِ رَضَوَى رَجَعَ وَلَمْ يَلْقَ
كَيْدًا ، فَلَبِثَ بَقِيَّةَ شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ وَبَعْضَ جُمَادَى الْأُولَى ^(٢) .

ثُمَّ غَزَا يُرِيدُ قَرِيشًا ، فَسَلَكَ عَلَى نَقَبِ بَنِي دِينَارِ بْنِ النَّجَّارِ ، ثُمَّ
عَلَى فَيْفَاءِ الْخَبَّارِ ، فَتَزَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ يَبْطَحَاءُ ابْنُ أَزْهَرَ ، يُقَالُ لَهَا :
ذَاتُ السَّاقِ ، فَصَلَّى عِنْدَهَا ، فَثَمَّ مَسَجَدَهُ . وَصُنِعَ لَهُ عِنْدَهَا
طَعَامٌ فَأَكَلَ مِنْهُ وَأَكَلَ النَّاسُ مَعَهُ ، فَمَوْضِعُ أَثَاقِ الْبُرْمَةِ مَعْلُومٌ
هُنَاكَ . وَاسْتَقْبَى ^(٣) لَهُ مِنْ مَاءٍ بِهِ يُقَالُ لَهُ الْمُسْتَرِبُّ ^(٤) . ثُمَّ ارْتَحَلَ ١٣٦٩/١
فَتَرَكَ الْخَلَاقَ ^(٥) بَيْسَارَ ، وَسَلَكَ شُعْبَةَ يُقَالُ لَهَا شُعْبَةُ عَبْدِ اللَّهِ — وَذَلِكَ اسْمُهَا
الْيَوْمَ — ثُمَّ صَبَّ لَيْسَارَ ، حَتَّى هَبَطَ يَكْتَلِيلَ ، فَتَزَلَّ بِمَجْتَمَعِهِ وَمَجْتَمَعِ
الضَّبُوعَةِ ؛ وَاسْتَقْبَى لَهُ مِنْ بَثَرٍ بِالضَّبُوعَةِ . ثُمَّ سَلَكَ الْفَرَشَ ؛ فَرَشَ
مَلِكًا ، حَتَّى لَقِيَ الطَّرِيقَ بِصَخِيرَاتِ الْيَمَامِ . ثُمَّ اعْتَدَلَ بِهِ الطَّرِيقَ حَتَّى

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٥٦

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٥٧ .

(٣) ط : « فاستقى » ؛ وما أثبتته من ابن هشام .

(٤) ابن هشام : « المشترب » .

(٥) في ياقوت : « وكان لمبد الله بن أحمد بن جحش أرض يقال لها الخلاق بنواحي المدينة » .

نزل العُشَيْرَة من بطن يَنْبُع ، فأقام بها بقيَّة جُمَادَى الأولى ولياليَ من جُمَادَى الآخرة ، ووَادَعَ فيها بنى مُدَلِّج وحلفاءهم من بنى ضَمْرَة . ثم رجع إلى المدينة ، ولم يَلْقَ كَيْدًا .

وفى تلك الغزوة قال لعلَّ بن أبى طالب عليه السلام ما قال .

قال : فلم يُقِم رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم حين قدِم من غَزْوَةِ العُشَيْرَةِ بالمدينة إلَّا لياليَ قَلَالٍ لَا تَبْلُغُ العَشْرَ ، حتى أغَارَ كُرْزُ بن جابر الفِهْرِيّ على سَرَحِ المدينة ، فخرج رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم في طلبه ، حتى بلغ واديًا يقال له سَعْوَان من ناحية بدر ، وفاتته كُرْز فلم يدرِكه ؛ وهى غزو بدر الأولى ؛ ثم رجع رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم إلى المدينة ، فأقام بها بقيَّة جُمَادَى الآخرة ورجبَ وشعبان . وقد كان بعث فيما بين ذلك سَعْدُ بن أبى وقَّاص في ثمانية رهط^(١) .

• • •

وزعم الواقدي أن في هذه السنة - أعنى السَّنة الأولى من الهجرة - جاء أبو قيس بن الأسَلْت رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، فعرض عليه رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم الإسلام ، فقال : ما أحسنَ ما تدعو إليه ! أنظرُ في أمري ، ثم أعود إليك . فلقِيَهُ عبدُ الله بن أبى ، فقال له : كرهتَ والله حربَ الخُزَرج ! فقال أبو قيس : لا أسَلِم^(٢) سنة ؛ فات في ذى القعدة .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٥٨٠، ٥٧ .

(٢) ابن الأثير : إلى سنة .

ثم كانت السنة الثانية من الهجرة

فغزا رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم - في قول جميع أهل السّير - فيها ، في ربيع الأوّل بنفسه غَزْوَةَ الْأَبْنَاء - ويقال وَدَّان - وبينهما ستّة أميال هي بحدائها ؛ واستخلف رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم على المدينة حين خرج إليها سعدُ بن عُبَادَةَ بن دُلَيْم . وكان صاحبَ لوائه في هذه الغَزَاة حمزة بن عبد المُطَّلَب ، وكان لوائه - فيما ذكر - أبيض .

وقال الواقدي: كان مقامه بها خمسَ عشرة ليلة ، ثم قدّم المدينة .

• • •

قال الواقدي : ثم غزا رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم في مائتين من أصحابه ؛ حتى بلغ بواط في شهر ربيع الأوّل ؛ يعتزّض لِعِيْرَات قريش ، ١٢٧٠/١ وفيها أُمَيَّة بن خلف ومائة رجلٍ من قريش ، وألفان وخمسمائة بعير . ثم رَجَعَ ولم يَلْقَ كَيْدًا .

وكان يحملُ لواءه سعدُ بن أبي وقَّاص ، واستخلف على المدينة سعدُ ابن معاذ في غَزَوْتِه هذه .

• • •

قال^(١) : ثم غزا في ربيع الأوّل في طلب كُرُزَيْن بن جابر الفِهْرِي في المهاجرين . وكان قد أغار على سَرَح^(٢) المدينة ، وكان يرعى^(٣) بالجمَّام فاستاقه ، فطلبه رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم حتى بلغ بدرًا فلم يلحقه ؛ وكان يحمل لواءه عَلِيٌّ بن أبي طالب عليه السلام . واستخلف على المدينة زيدَ بن حارثة .

(١) ح : « قال الواقدي » . (٢) السرح : المال السارح ، ولا يسمى من الأموال سرحاً إلا ما يمشى به ويراع . (٣) ح : ر : « وكانت ترعى » .

[غزوة ذات العُشيرة]

قال : وفيها خرج رسولُ الله صلى عليه وسلّم يعترض لِعَبِيرَات قريش حين أبدأت^(١) إلى الشَّام في المهاجرين - وهى غزوة ذات العُشيرة - حتى بلغ يَنْبُع ؛ واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد ؛ وكان يحمل لواء حمزة بن عبد المطلب . فحدثنا سليمان بن عمر بن خالد الرقي ، قال : حدثنا محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن يزيد بن خُثَيْم^(٢) ؛ عن محمد بن كعب القرظي ؛ قال : حدثنا أبوك يزيد بن خُثَيْم ، عن عمَّار بن ياسر ، قال كنت أنا وعلى رقيقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم في غزوة العُشيرة ، فزلنا متزلاً ، فرأينا رجالاً من بني مُدَلِج يعملون في نخل لهم ، فقلت : لو انطلقنا ! فنظرنا إليهم كيف يعملون ، فانطلقنا فنظرنا إليهم ساعة ، ثم غشيَّنا النُّعَاسُ ، فعمدنا إلى صَوْر^(٣) من النخل ؛ فنمنا تحته في دفء^(٤) من التراب ، فما أيقظنا^(٥) إلا رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ، أنانا وقد تَنَتَّرَبْنَا في ذلك التراب ؛ فحرك علياً^(٦) برجله ، فقال : قم يا أبا تراب ؛ ألا أخبرك بأشقى الناس ؟ أحمر ثمود عاقر الناقة ، والذي يضربك [يا عليّ]^(٧) على هذا

١٢٧٢/١

(١) يقال : أبدأ من أرض إلى أرض أخرى ، وبدأ ؛ إذا خرج منها إلى غيرها .

(٢) في ابن هشام : « يزيد بن محمد بن خيثم » .

(٣) الصور : جماع النخل ، ولا واحد له من لفظه .

(٤) لدفاء : التراب البين .

(٥) في ابن هشام : « فواقه ما أعبأ إلا رسول الله » ؛ وأعبأ : أيقظنا .

(٦) ح : « فحرك علياً » ، وفي ابن هشام : « يحركنا برجله » .

(٧) من سيرة ابن هشام .

— بعنى قَرَنَتْه — فيخضب^(١) هذه منها ؟ وأخذ يلحيتها^(٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني يزيد بن محمد بن خُثَيْم^(٣) الحاربي ، عن محمد ابن كعب القرظي ، عن محمد بن خُثَيْم — وهو أبو يزيد — عن عمار بن ياسر ، قال : كنت أنا وعلى رفيقين ، فذكر نحوه .

وقد قيل في ذلك غير هذا القول ؛ وذلك ما حدثني به محمد بن عبيد الحاربي ، قال : حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم ، عن أبيه ، قال : قيل لسهل^(٤) بن سعد : إن بعض أمراء المدينة يريد أن يبعث إليك تَسْبُءً علياً^(٥) عند المنبر ، قال : أقول ماذا ؟ قال : تقول : أبا تراب ، قال : والله ما سَمَّاه بذلك^(٦) إلا رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، قال : قلتُ : وكيف ذاك يا أبا العباس ؟ قال : دخل عليّ على فاطمة ، ثم خرج من عندها ، فاضطجع في قَمِيءِ المسجد . قال : ثم دخل رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم علي فاطمة ، فقال لها : أين ابنُ عمك ؟ فقالت : هو ذاك مضطجع في المسجد ، قال : فجاءه رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ؛ فوجده قد سقط رداؤه عن ظهره ، وخلّص التراب إلى ظهره ، فجعل يمسح التراب عن ظهره ، ويقول : اجلس أبا تراب . فوالله ما سَمَّاه به إلا رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ؛ ووالله ما كان له اسمٌ أحبَّ إليه منه !

• • •

(١) ابن هشام : « حتى يبل منها هذه » .

(٢) الخبَر في سيرة ابن هشام ٢ : ٥٨ . قال السهيلي : « وأصح من ذلك ما رواه البخاري في جامعه ؛ وهو أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم وجده في المسجد ذائماً ، وقد ترب جنبه ، فجعل يمسح التراب عن جنبه ويقول : قم أبا تراب ؛ وكان قد خرج إلى المسجد مغاضباً لفاطمة . وهذا معنى الحديث ؛ وما ذكره ابن إسحاق من حديث عمار يخالف له ؛ إلا أن يكون رسول الله صلّى الله عليه وسلم كناه بها مرتين : مرة في المسجد ، ومرة في هذه القصة » .

(٣) كذا ضبطه صاحب التقريب ، بمسجمة ومثقة ، مصغراً .

(٤) م : « لسهل » . (٥) م : « علي » . (٦) د ، م : « ذاك » .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة في صفر ، ليال يقيين منه ، تزوج علي^١ بن أبي طالب عليه السلام فاطمة رضي الله عنها ، حدثت بذلك ، عن محمد بن عمر ، قال : حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة ، عن إسحاق ابن عبد الله بن أبي فروة ، عن أبي جعفر .

• • •

[سرية عبد الله بن جحش]

قال أبو جعفر الطبري : ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب كُرْز بن جابر الفهري إلى المدينة ، وذلك في جمادى الآخرة ، بعث في رجب^(١) عبد الله بن جحش معه ثمانية رهط من المهاجرين^(٢) ؛ ليس فيهم من الأنصار أحد ؛ فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني الزهري^٣ ويزيد بن رومان ؛ عن عمرو بن الزبير ، بذلك .

• • •

وأما الواقدي فإنه زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله ابن جحش سرية في اثني عشر رجلا من المهاجرين .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، عن الزهري ويزيد بن رومان ، عن عمرو ، قال : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم له كتاباً - يعني

(١) زاد ابن هشام : « مفقده من بدر الأول » .

(٢) في ابن هشام : « وكان أصحاب عبد الله بن جحش من المهاجرين ثم من بني عبد شمس بن عبد مناف : أبو حليفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ؛ ومن حلفائهم عبد الله ابن جحش ؛ وهو أمير القوم ، ومكاشة بن حصن بن حريثان ، أحد بني أسد بن غزيمة ؛ حليف لهم . ومن بني نوفل بن عبد مناف عتبة بن غزوان بن جابر ، حليف لهم . ومن بني زهرة بن كلاب سعد ابن أبي وقاص . ومن بني عدي بن كعب عامر بن ربيعة ؛ حليف لهم من بني وائل ، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع ؛ أحد بني تميم ، حليف لهم ، وغالد بن البكير أحد بني سعد بن لث حليف لهم . ومن بني الحارث بن فهر سجيل بن يضاء » .

لعبد الله بن جحش - وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين ، ثم ينظر فيه فيُضَيّ له أمره به ، ولا يستكره أحداً من أصحابه ، فلما سار عبد الله ابن جحش يومين ، فتح الكتاب ، ونظر فيه ، فإذا فيه : « وإذا نظرت في كتابي هذا ، فسر حتى تنزل نَحْلَةٌ ^(١) بين مكة والطائف ، فترصد بها قريشاً ، وتعلم لنا من أخبارهم . فلما نظر عبد الله في الكتاب ، قال : سمع وطاعة ، ثم قال لأصحابه : قد أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أمضي إلى نَحْلَةٍ ، فأرصد بها قريشاً حتى آتية منهم بخبر ، وقد نهي أن أستكره أحداً منكم ، فمن كان منكم يريد الشهادة ، ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فأما أنا فاضل الأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فضى ومضى معه أصحابه ، فلم يتخلف عنه منهم أحد ، وسلك على الحجاز حتى إذا كان بمعدن فوق القرع ^(٢) [يقال له بَحْران ^(٣)] ، أضل سعد بن أبي وقاص وعُتْبَةُ بن غَزْوَان بعيراً لهما كانا يعتقبانه ^(٤) ، فتخلفا عليه في طلبه . ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل بنحلة ، ففرت به عير لقريش تحمل زيباً وأدماً وتجارة من تجارة قريش فيها ، منهم عمرو بن الحضرمي ^(٥) ، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزوميان ، والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة . فلما رآهم القوم هابوهم ، وقد نزلوا قريباً منهم ، فأشرف لهم عكاشة بن محصن - وقد كان حلق رأسه - فلما رأوه آمنوا ، وقالوا : عسار ^(٦) لا بأس عليكم منهم ^(٧) . وتشاور القوم فيهم ، وذلك في آخر يوم من رجب ،

(١) و : « بنحلة » .

(٢) كذا ضبطه ياقوت ، يضم أوله وسكون ثانيه ؛ وقال السهيلي : هو بضتين .

(٣) من سيرة ابن هشام .

(٤) يعتقبانه ، أي يركبه هذا عقبة وهذا عقبة ، والعقبة : الثوب .

(٥) قال ابن هشام : « واسم الحضرمي عبد الله بن عباد ، أحد الصدف ، واسم الصدف عمرو

ابن مالك . أحد السكون بن المنيرة بن أشرس بن كعدة ، ويقال : كثنى » .

(٦) عسار ، أي محترق ، والاعتار زيارة البيت الحرم . (٧) ح : « منه » .

قَالَ الْقَوْمُ : وَاللَّهِ لَئِنْ تَرَكْتُمْ الْقَوْمَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ لَيَدْخُلَنَّ الْحَرَمَ ؛ فَلِيَمْتَنَنَّ^(١) بِهِ مِنْكُمْ ؛ وَلَئِنْ قَتَلْتُمُوهُمْ لَتَقْتُلُنَّهُمْ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ . فَتَرَدَّدَ الْقَوْمُ ، وَهَابُوا الْإِقْدَامَ عَلَيْهِمْ ؛ ثُمَّ تَشَجَّعُوا^(٢) عَلَيْهِمْ ، وَأَجْمَعُوا عَلَى قَتْلِ مَنْ قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنْهُمْ ، وَأَخَذُوا مَعَهُمْ ؛ فَرَمَى وَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيَّ عَمْرُو بْنُ الْخَضْرِيِّ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ ، وَاسْتَأْسَرَ عُمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَالْحَكَمُ بْنُ كَيْسَانَ ، وَأَقْلَتِ نُوْفَلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَأَعْجَزَهُمْ ، وَأَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ وَأَصْحَابُهُ بِالْعَبِيرِ وَالْأَسِيرِينَ ؛ حَتَّى قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ .

قال : وقد ذَكَرْتُ بَعْضُ آلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ ، قَالَ لِأَصْحَابِهِ : إِنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا غَنِمْتُمُ الْخُمْسَ - وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَفْرُضَ اللَّهُ مِنَ الْغَنَائِمِ الْخُمْسَ - فَنَزَلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُمْسُ الْغَنِيمَةِ ، وَقَسَمَ سَائِرَهَا بَيْنَ أَصْحَابِهِ ؛ فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : مَا أَمَرْتُكُمْ بِقِتَالِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ . فَوَقَّفَ الْعَبِيرَ وَالْأَسِيرِينَ ؛ وَأَبَى أَنْ يَأْخُذَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا . فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَقَطَ فِي أَيْدِي الْقَوْمِ ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا ، وَعَنَقَتْهُمْ الْمُسْلِمُونَ فِيمَا صَنَعُوا . وَقَالُوا لَهُمْ : صَنَعْتُمْ مَا لَمْ تُؤْمَرُوا بِهِ ، وَقَاتَلْتُمْ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَلَمْ تُؤْمَرُوا بِقِتَالِ ! وَقَالَتْ قُرَيْشٌ : قَدْ اسْتَحَلَّ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ الشَّهْرَ الْحَرَامَ ، فَسَفَكُوا فِيهِ الدَّمَ وَأَخَذُوا فِيهِ الْأَمْوَالَ ، وَأَسَرُّوا فِيهِ الرِّجَالَ . فَقَالَ مَنْ يَرِدُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَمُنْ كَانَ بِمَكَّةَ : إِنَّمَا أَصَابُوا مَا أَصَابُوا فِي شِعْبَانَ . وَقَالَتْ يَهُودُ : تَفَاءَلُ^(٣) بِذَلِكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عَمْرُو بْنُ الْخَضْرِيِّ قَتَلَهُ وَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : «عَمَرُو» عَمَرَتِ الْحَرْبُ ، وَ«الْخَضْرِيُّ» حَضَرَتِ الْحَرْبُ ، وَ«وَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ» وَقَدَّتِ الْحَرْبُ ؛ فَجَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ لَاحِمًا^(٤) .

فَلَمَّا أَكْثَرَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) التَّضَيَّرَ : «ثُمَّ شَجَّعُوا» .

(٢) وَ : «تَفَاءَلَا» ؛ وَفِي التَّضَيَّرِ : «تَفَاءَلَا» .

(٣) ح وَالتَّضَيَّرِ : «وَجَمَّ» .

وسلم : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ...﴾^(١) الآية .
فلما نزل القرآن بهذا من الأمر وقرّج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من
الشَّقَقِ^(٢) ، قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والأسيرين^(٣) .

وبعثت إليه قريش في فداء عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : لا تُفديكموهما ؛ حتى يقدّم صاحبا - يعني سعد
ابن أبي وقاص وعُتْبَةُ بن غزوان - فإنّنا نخشاكم عليهما ؛ فإن قتلوهما نقتل
صاحبيكم . فقدم سعد وعُتْبَةُ ، ففاداهما^(٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم
منهم ؛ فأما الحكم بن كيسان فأسلم فحسن إسلامه ، وأقام عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل يوم بدر معونة شهيداً^(٥) .

• • •

قال أبو جعفر : وخالف في بعض هذه القصة محمد بن إسحاق والواقدي
جميعاً السدي ؛ حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حمّاد ،
قال : حدثنا أسباط ، عن السدي : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ
فِيهِ كُلِّ قِتَالٍ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ؛ وذلك أنّ رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية وكانوا سبعة نفر ؛ عليهم
عبد الله بن جحش الأسدي وفيهم عمار بن ياسر ، وأبو حذيفة بن عتبة بن
ربيعة ، وسعد بن أبي وقاص ، وعُتْبَةُ بن غزوان السلمي حليف لبنى
نوفل ، وسُهَيْل بن يثضاء ، وعامر بن فهيرة ، وواقد بن عبد الله
اليربوعي ؛ حليف لعمر بن الخطاب . وكتب مع ابن جحش كتاباً وأمره
ألا يقرأه حتى يترنزل بطن ملئ ؛ فلما نزل بطن ملئ فتح الكتاب ؛
فلذا فيه : أنّ سير حتى ترنزل بطن نخلة ؛ فقال لأصحابه : من كان يريد

(١) سورة البقرة ٢١٧ .

(٢) الشَّقَق : الخوف والحذر .

(٣) العير إلى هنا في التفسير ٤ : ٣٠٢ - ٣٠٥ .

(٤) ابن هشام : وفاداهما .

(٥) ابن هشام ٢ : ٦٠ ، ٥٩ .

الموت فليستمنّيس وليُوصَ ؛ فإني مُوصٍ وماضٍ لأمر رسولِ الله صلى الله عليه وسلم . فسار وتخلّف عنه سعد بن أبي وقّاص وعُثْبَةُ بن غزوَان ، أصلاً وراحلةً لهما ، فأتيا بُحْرانَ يطلُبانيها ، وصار ابنُ جَحْشٍ إلى بطْنِ نخلة ؛ فإذا هو بالحكم بن كيسان ، وعبد الله بن المغيرة ، والمغيرة بن عثمان ، وعمرو بن الحضرمي ؛ فاقتلوا ، فأسروا الحكم بن كيسان وعبد الله بن المغيرة ، وانفلت (١) المغيرة ، وقتل عمرو بن الحضرمي ، قتله واقد بن عبد الله . فكانت أولُ غنيمةٍ غنيمتها أصحابُ محمد صلى الله عليه وسلم .

فلما رجعوا إلى المدينة بالأسيرين وما أصابوا من الأموال ؛ أراد أهل مكة أن يُفادوا الأسيرين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : حتّى ننظرَ ١٢٧٨/١ ما فعل صاحِبانا ! فلما رجع سعد وصاحبه فادى بالأسيرين ، ففجّر (٢) عليه المشركون ، وقالوا : محمد يزعم أنّه يتبع طاعة الله (٣) ، وهو أولُ مَنْ استحلَّ الشهر الحرام ، وقتل صاحِبنا في رَجَب ! فقال المسلمون : إنّما قتلناه في جُمادى - وقيل في أول ليلة من رَجَب وآخر ليلة من جُمادى - ومحمد (٤) المسلمون سيوفهم حين دخل رَجَب ؛ فأنزل الله عز وجل يُعِيرُ أهل مكة : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ . . . ﴾ الآية (٥) .

• • •

قال أبو جعفر : وقد قيل إنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان

(١) ح ، و : « وانفلت » .

(٢) و : « ففجّر » .

(٣) م : « يذبح » .

(٤) و : « وأغمد » ؛ وغمد السيف وأغمد : أدخله في الغمد .

(٥) الخبر في التفسير ٤ : ٣٠٥ - ٣٠٦ .

انتدب^(١) لهذا المسير أبا عبيدة بن الجراح، ثم بدا له^(٢) فيه، فندب له عبد الله بن جحش.

• ذكر الخبر بذلك :

حدثنا محمد بن عبد الأعلى؛ حدثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، أنه حدثه رجل عن أبي السَّوَّار؛ يحدثه عن جُنْدَب بن عبد الله، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه بعث رهطاً، فبعث عليهم أبا عبيدة بن الجراح؛ فلما أخذ لينطلق بكى صبايةً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعث رجلاً مكانه يقال له عبد الله بن جحش، وكتب له كتاباً وأمره ألا يقرأ الكتاب حتى يبلغ كذا وكذا : « ولا تُكرِهَنَّ أحدًا من أصحابك على السير^(٣) معك ». فلما قرأ الكتاب استرجع، ثم قال : سبعا وطاعة لأمر الله ورسوله ! فخبَّرتهم بالخبر؛ وقرأ عليهم الكتاب، فرجع رجلان ومضى بقيتهم، فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه، ولم يدروا ذلك اليوم من^(٤) رَجَبِ أَوْ مِنْ جُمَادَى ! فقال المشركون للمسلمين : فعلتم كذا وكذا في الشهر الحرام ! فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم، فحدثوه الحديث، فأنزل الله عز وجل : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ ، الفتنه هي الشرك .

وقال بعض الذين — أظنُّه قال — : كانوا في السريَّة : والله ما قتله إلا واحد؛ فقال : إن يكن خيرا فقد وليت، وإن يكن ذنباً فقد عَمِلت^(٥).

• • •

ذكر بقية ما كان في السنة الثانية من سني الهجرة

ومن ذلك ما كان من صرف الله عز وجل قبيلة المسلمين من الشام

(١) و : « ندب » .

(٢) بدا له في الأمر بعد ما وُبدء ؛ أي نشأ له فيه رأى آخر ؛ ومنه قولهم : « هو ذو بدوات » .

(٣) ر : « السير » .

(٤) التفسير : « ولم يدروا ذلك اليوم أمن رجب أو من جمادى » .

(٥) كذا في م و التفسير ، وفي ط « علمت » والخبر في التفسير ٤ : ٣٠٦ ، ٣٠٧ .

إلى الكعبة ، وذلك في السنة الثانية من مقدم النبي صلى الله عليه وسلم
المدينة في شعبان .

• • •

وإختلف السلف من العلماء في الوقت الذي صُرِفَ^(١) فيه من هذه
السنة ؛ فقال بعضهم - وهم الجمهور الأعظم : صُرِفَ في النصف من شعبان
على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة .
• ذكر من قال ذلك :

حدثنا موسى بن هارون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حمّاد ،
قال : حدثنا أسباط ، عن السدي - في خبر ذكره - عن أبي مالك ، وعن
أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود -
١٢٨٠/١ وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : كان الناس يصلون
قبيل بيت المقدس ؛ فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة على رأس
ثمانية عشر شهراً من مهاجره ، كان^(٢) إذا صلى رفع رأسه إلى السماء
ينظر ما يؤمر ، وكان يصلّي قبيل بيت المقدس ؛ فنسخها الكعبة ، وكان
النبي صلى الله عليه وسلم يحب أن يصلّي قبيل الكعبة ، فأنزل الله
عز وجل : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ... ﴾^(٣) ، الآية .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال :
صُرِفَ القبلة في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله صلى
الله عليه وسلم المدينة .

وحدثت عن ابن سعد ، عن الواقدي مثل ذلك . وقال : صُرِفَ القبلة
في الظاهر يوم الثلاثاء للنصف من شعبان .

• • •

(١) ح : « صُرِفَ القبلة فيه » .

(٢) ط : « وكان » ، وما أتبعه من التفسير .

(٣) سورة البقرة ١٤٤ . والكبر في التفسير ٣ : ١٧٣ .

قال أبو جعفر : وقال آخرون : إنما صُرِفَت القبلة إلى الكعبة لستة عشر شهراً مضت من سني الهجرة .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا المثنى بن إبراهيم الآملي ، قال : حدثنا الحجاج ، قال : حدثنا همام بن يحيى ، قال : سمعت قتادة ، قال : كانوا يصلون نحو بيت المقدس ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة ، وبعد ما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً ، ثم وجهه بعد ذلك نحو الكعبة البيت الحرام ^(١) .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ١٢٨١/١ سمعت ابن زيد يقول : استقبل النبي صلى الله عليه وسلم بيت المقدس ستة عشر شهراً ، فبلغه أن يهود تقول : والله ما درى محمد وأصحابه أين قبلتهم حتى هدناهم ! فكره ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، ورفع وجهه إلى السماء ، فقال الله عز وجل : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ... ﴾ ^(٢) الآية .

• • •

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة فرض - فيما ذكر - صوم رمضان . وقيل : إنه فرض في شعبان منها . وكان النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة ، رأى يهود تصوم يوم عاشوراء ؛ فسألهم فأخبروه أنه اليوم الذي غرق فيه آل فرعون ، ونجى موسى ومن معه منهم ؛ فقال : نحن أحق بموسى منهم . فصام وأمر الناس بصومه ، فلما فرض صوم شهر رمضان ، لم يأمرهم بصوم يوم عاشوراء ، ولم ينههم عنه .

(١) الخبر في التفسير ٢ : ٥٢٩ ، مع اختلاف في الرواية .
(٢) الخبر في التفسير ٢ : ٥٢٩ ، ٥٢٦ ، مع اختلاف في الرواية .

وفيها أمر الناس بإخراج زكاة الفطر . وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم خطب الناس قبل [يوم] ^(١) الفطر بيوم أو يومين ، وأمرهم بذلك . وفيها خرج ^(٢) إلى المصلى فصلى بهم صلاة العيد ؛ وكان ذلك أولَ خُرُوجِهِ خَرَجَهَا بِالنَّاسِ إِلَى الْمُصَلَّى لِصَلَاةِ الْعِيدِ .

وفيها - فيما ذكر - حُمِلَتِ الْعَنْزَةُ ^(٣) لَهُ إِلَى الْمُصَلَّى فَصَلَّى إِلَيْهَا ، وَكَانَتْ لِلزَّبِيرِ بْنِ الْعَوَامِ - كَانَ النَّجَاشِيُّ وَهِيَ لَهُ - فَكَانَتْ تَحْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي الْأَعْيَادِ ، وَهِيَ الْيَوْمَ فِيمَا بَلَّغْنِي عَنْهُ الْمُؤَذِّنِينَ بِالْمَدِينَةِ .
وفيها كانت وقعة بدر الكبرى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والكفار من قُرَيْشٍ ؛ وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْهَا .

.. . .

١٢٨٢/١ ثم اختلفوا في اليوم الذي فيه كانت الحرب بينه وبينهم ، فقال بعضهم : كانت وقعة بدر يوم تسعة عشر من شهر رمضان .

.. ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ الْمَغيرةِ ، عَنْ عُنْبِيسَةَ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَسَدِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : التَّمِسُّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي تِسْعِ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ ؛ فَإِنَّهَا لَيْلَةُ بُدْرٍ .

حدثنا محمد بنُ حُمارةِ الأَسَدِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عُبيدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا إِسْرَائِيلُ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ حُجْبَيْرِ الثَّعْلَبِيِّ ، عَنْ الْأَسَدِ

(١) من ح .

(٢) ح : « خرج النبي صلى الله عليه وسلم » .

(٣) في شرح مواهب القسطلاني للزرقاني (٣ : ٤٣٧) : « العنزة ، بفتح المهملة والتون والزاي ، قال الحافظ : عصا أقصر من الرمح يقال لها سنن ؛ وقيل : هي الحربة القصيرة ، وفي رواية : عصا عليها زج . وفي طبقات ابن سعد أن النجاشي أهداها للنبي صلى الله عليه وسلم ... ، وروى أنها للزبير أخذها من مشرك يوم أحد . ونقل عن ابن سيد الناس أن الزبير قدم بها من الحبشة » .

عن عبد الله ، قال : التمسوا ليلة القدر في تسع عشرة من رمضان ، فإن صيحتها كانت صبيحة بلر .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عبيد بن محمد المحاربي ، قال : حدثنا ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن خاتمة بن زيد ، عن زيد ، أنه كان لا يحصى ليلة من شهر رمضان كما يحصى ليلة تسع عشرة وثلاث وعشرين ، ويصيح وجهه مصفراً من أثر السهر ، فقل له ، فقال : إن الله عز وجل فرق في صيحتها بين الحق والباطل .

• • •

وقال آخرون : كانت يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان . ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن المنثي ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ، قال : سمعت أبا إسحاق يحدث عن حجاج ، عن الأسود وعلقمة ، أن ^(١) عبد الله بن مسعود ، قال : التمسوها في سبع عشرة . وتلا هذه الآية : ﴿ يَوْمَ التَّتِي الْجَمْعَانِ ﴾ ^(٢) ، يوم بلر ، ثم قال : أو تسع عشرة ، أو إحدى وعشرين .

حدثنا الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا الثوري ، عن الزبير بن عدي ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عبد الله ، قال : كانت بلر صبيحة تسع عشرة من رمضان .

حدثنا الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن الأسود ، عن عبد الله مثله . قال الحارث : قال ابن سعد ، قال الواقدي : فذكرت ذلك لمحمد بن

صالح ، فقال : هذا أعجب الأشياء ؛ ما ظننتُ أن أحداً من أهل الدنيا شكَّ^(١) في هذا ؛ إنها صبيحة سبع عشرة من رمضان^(٢) ، يوم الجمعة .

قال محمد بن صالح : سمعتُ عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن رومان ، يقولان ذلك . قال لي محمد بن صالح : يابنٌ أخى ، وما تحتاج إلى تسمية الرجال في هذا ! هذا أبينُ من ذلك^(٣) ؛ ما يجهل هذا النساء في بيوتهن .

قال الواقدي : فذكرته لعبد الرحمن بن أبي الزناد ، فقال : أخبرني أبي ، عن خارجة بن زيد ، عن زيد بن ثابت ، أنه كان يُحْيِي ليلةَ سبعِ عشرة من شهر رمضان ؛ وإن^(٤) كان ليُصْبِحَ على^(٥) وجهه أثر السَّهَرِ ، ويقول : فرَّقَ الله في صَبِيحَتِهَا بين الحقِّ والباطل ، وأَعَزَّ في صُبْحِهَا^(٦) الإسلام ، وأنزل فيها القرآن^(٧) ، وأذلَّ فيها أئمةَ الكفر .

وكانت وقعة بدر يوم الجمعة . حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى ابن واضح ، قال : حدثني يحيى بن يعقوب أبو طالب ، عن أبي عَوْن محمد ابن عبيد الله الثقفي ، عن أبي عبد الرحمن السُّلَميَّ عبد الله بن حبيب ، قال : قال قال الحسنُ بن عليٍّ بن أبي طالب : كانت ليلةَ الفُرْقان يومَ التقى الجمعان ، لسبعِ عشرة من رمضان .

وكان الَّذِي هاجَ وقعةَ بدر وسائر الحروب التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين مشركي قريش - فيما قال عُرْوَةُ بن الزُّبَيْر - ما كان من قَتْلِ وَاقد بن عبد الله التميميِّ عمرو بن الحضرمي .

(١) و : « يشك » .

(٢) و : « من شهر رمضان » .

(٣) و : « ذاك » .

(٤) ر : « وأنه » .

(٥) م : « على » .

(٦) ح ، ر : « صبيحتها » .

(٧) ر ، و : « الفرقان » .

ذكر وقعة بدر الكبرى

حدثنا علي بن نصر بن علي ، وعبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث — قال علي : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، وقال عبد الوارث : حدثني أبي — قال : حدثنا أبان العطار ، قال : حدثنا هشام بن عروة ، عن عروة ، أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان : أما بعد ، فلذلك كتبت إلى في أبي سفيان ومخرجه ، تسألني كيف كان شأنه ؟ كان من شأنه أن أبا سفيان بن حرب أقبل من الشام في قريب من سبعين راكباً من قبائل قريش كلها ، كانوا ١٢٨٥/١ تجاراً بالشام ، فأقبلوا جميعاً معهم أموالهم وتجارهم ، فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ؛ وقد كانت الحرب بينهم قبل ذلك ، فقتلت قتلى ، وقتل ابن الحضرمي في ناس بنحلة ، وأسیرت أسارى من قريش ؛ فيهم بعض بني المغيرة ، وفيهم ابن كيسان مولاهم ، أصابهم عبد الله بن جحش وواقده حليف بني عدى بن كعب ، في ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثهم مع عبد الله بن جحش ، وكانت تلك الوقعة حاجت الحرب بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، وأول ما أصاب به بعضهم بعضاً من الحرب ، وذلك قبل مخرج أبي سفيان وأصحابه إلى الشام . ثم إن أبا سفيان أقبل بعد ذلك ومن معه من ركبان قريش^(١) مقبلين من الشام ، فسلخوا طريق الساحل ، فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نذّب أصحابه وحدّثهم بما معهم من الأموال ، وبقلّة عددهم ، فخرجوا لا يريدون إلا أبا سفيان والركب معه ؛ لا يرونها إلا غنيمة لهم ؛ لا يظنون أن يكون كبير قتال إذا لقوهم ، وهي التي أنزل الله عز وجل فيها : ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾^(٢) .

فلما سمع أبو سفيان أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معترضون له^(٣) ،

(١) الركبان والركب : أصحاب الإبل في السفر . رقم : « رؤساء قريش » .

(٢) سورة الأنفال ٧ ، والتعبير في التفسير ١٣ : ٣٩٩ .

(٣) د ، و : « لهم » .

بعث إلى قريش : إنَّ محمدًا وأصحابه معترضون لكم ، فأجبروا^(١) تجارتكم^(٢) . فلما أتى قريشًا الخبرُ - وفي غير أبي سفيان ؛ من بطون كعب ابن لؤي كلها - نفَّر لها أهلُ مكة ؛ وهي نفْرةُ بني كعب بن لؤي ، ليس فيها من بني عامر أحدٌ إلاَّ من كان من بني مالك بن حِسل ؛ ولم يسمع بنفْرة قريش رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه ؛ حتى قدِم النبي صلى الله عليه وسلم بدرًا - وكان طريق ركيان قريش ؛ مَنْ أخذ منهم طريق الساحل إلى الشام - فخفض^(٣) أبو سفيان عن بدر ، ولزم طريق الساحل ، وخاف الرصد^(٤) على بدر ، وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى عرَّس قريشًا من بدر ، وبعث النبي صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام في عصابة من أصحابه إلى ماء بدر ، وليسوا^(٥) يحسبون أن قريشًا خرجت لهم ، فبينما النبي صلى الله عليه وسلم قائم يصلي ؛ إذ ورد بعض روايا^(٦) قريش ماء بدر ، وفيمن ورد من الروايا غلام لبني الحجاج أسود ؛ فأخذه النفر الذين بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الزبير إلى الماء ، وأفلت بعض أصحاب العبد نحو قريش ، فأقبلوا به حتى أتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في معرسته ، فسأله عن أبي سفيان وأصحابه ؛ لا يحسبون إلاَّ أنه معهم ، فطفق العبد يحدِّثهم عن قريش ومن خرج منها ، وعن رؤسهم ، ويصدِّقهم الخبر ؛ وهم أكره شيء إليهم الخبر الذي يخبرهم ؛ وإنما يطلبون حيثُ بالركب أبا سفيان وأصحابه ، والنبي صلى الله عليه وسلم يصلي ؛ يركع ويسجد يرى ويسمع ما يُصنع^(٧) بالعبد ، فطفقوا إذا ذكر لهم أنها قريش جاءتهم ، ضربوه وكذبوه ، وقالوا : إنما تكتمنا أبا سفيان وأصحابه ؛ فجعل العبد إذا

١٢٨٦/١

١٢٨٧/١

(١) و : « فأجبروا » .

(٢) م : « فأجبروا تجارتكم » .

(٣) الخفض : السير اللين .

(٤) الرصد : المرتصون المترقبون على الطريق .

(٥) و : « ليس » .

(٦) رواية : جمع رواية ، ويراد بالرواية هنا القوم يستقون الماء على العواب .

(٧) م : « ما صنع » .

أَذْلَقُوهُ بِالضَرْبِ^(١) سَأَلُوهُ عَنْ أَبِي سَفْيَانَ وَأَصْحَابِهِ^(٢) - وَلَيْسَ لَهُ بِهِمْ عِلْمٌ ، إِنَّمَا هُوَ مِنْ رَوَايَا قُرَيْشٍ - قَالَ : نَعَمْ ، هَذَا^(٣) أَبُو سَفْيَانَ ، وَالرَّكْبُ حَيْثُ دُ اسْفَلَ مِنْهُمْ^(٤) ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِذْ أَنتَمُ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ﴾ - حَتَّى بَلَغَ - ﴿ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾^(٥) ، فَطَفِقُوا إِذَا قَالَ لَهُمُ الْعَبْدُ : هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ أَتَيْتُمْ ضَرْبَهُ ، وَإِذَا قَالَ لَهُمُ : هَذَا أَبُو سَفْيَانَ تَرَكَوهُ .

فَلَمَّا رَأَى صَنِيعَهُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ وَقَدْ سَمِعَ الَّذِي أَخْبَرَهُمْ ، فَرَعَمُوا أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، إِنْ كُنْتُمْ لَتَضْرِبُونَهُ إِذَا صَدَّقَ ، وَتَبْرَكُونَ إِذَا كَذَبَ ! قَالُوا : فَلِإِنَّهُ يَحْدِثُنَا أَنْ قُرَيْشًا قَدْ جَاءَتْ ، قَالَ : فَلِإِنَّهُ قَدْ صَدَّقَ ؛ قَدْ خَرَجْتَ قُرَيْشٌ تَجِيرُ^(٦) رِكَابَهَا ، فَدَعَا الْغُلَامَ فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ بِقُرَيْشٍ ، وَقَالَ : لَا عَلِمَ لِي بِأَبِي سَفْيَانَ ، فَسَأَلَهُ : كَيْمُ الْقَوْمِ^(٧) ؟ فَقَالَ : لَا أَدْرِي ؛ وَاللَّهِ هُمْ كَثِيرٌ عَدَدُهُمْ^(٨) . فَرَعَمُوا أَنْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : مَنْ أَطْعَمَهُمْ^(٩) أَوَّلَ مَيْنٍ أَمْسَ ؟ فَسَمَى رَجُلًا أَطْعَمَهُمْ ، فَقَالَ : كَيْمُ جَزَائِرِ تَحَرَّهْمُ^(١٠) ؟ قَالَ : تَسْعُ جَزَائِرُ ، قَالَ : فَسَمَى أَطْعَمَهُمْ أَمْسٍ ؟ فَسَمَى رَجُلًا ، فَقَالَ : كَيْمُ نَحْرٍ لَهُمْ ؟ قَالَ : عَشْرُ جَزَائِرٍ ؛ فَرَعَمُوا أَنْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : الْقَوْمُ مَا بَيْنَ التَّسْعِمَاةِ إِلَى الْأَلْفِ . فَكَانَ نَفْرَةً^(١١) قُرَيْشٍ يَوْمَئِذٍ خَمْسِينَ وَتَسْعِمَاةً .

١٢٨٨/١

(١) أَذْلَقُوهُ بِالضَرْبِ : أَضْفَوْهُ .

(٢) سَاقَطَ مِنْ ح ، م .

(٣) م : « هُوَ » .

(٤) د : « مِنْكُمْ » .

(٥) سُورَةُ الْأَنْفَالِ ٤٢ .

(٦) و : « تَجِيرُ » .

(٧) ح : « سَأَلَهُ عَنِ الْقَوْمِ » .

(٨) د : « عَدَدٌ كَثِيرٌ » .

(٩) د : « أَطْعَمَهُمْ » .

(١٠) و : « لَكُمْ » . وَالْجَزُورُ : النَّاقَةُ الْمَجْزُورَةُ ، وَالْمَجْمَعُ جَزَائِرُ .

(١١) النَّفْرَةُ وَالنَّفَرُ وَالنَّفِيرُ : الْقَوْمُ يَنْفِرُونَ إِلَى الْقِتَالِ .

فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم فتزل الماء وملأ الحياض، وصف عليه أصحابه، حتى قدم عليه القوم. فلما ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرًا قال: هذه مصارعهم؛ فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم قد سبقهم إليه فزول عليه. فلما طلعا^(١) عليه زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: هذه قريش قد جاءت بجلبتهما^(٢) وفخرها؛ تحادك^(٣) وتكذبُ رسولك اللهم إني أسألك ما وعدتني.

فلما أقبلوا استقبلهم، فحشاً في وجوههم التراب؛ فهزمهم الله. وكانوا قبل أن يلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم قد جاءهم راكب من أبي سفيان والركب الذين معه: أن ارجعوا^(٤) — والركب الذين يأمرون قريشاً بالرجعة بالجحفة — فقالوا: والله لا نرجع حتى نزل بدرًا، فنقيم به^(٥) ثلاث ليال، ويرانا من غشيتنا من أهل الحجاز؛ فإنه لن يرانا أحد من العرب وما جمعنا فيقاتلنا. وهم الذين قال الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾^(٦)؛ فالتقواهم والنبي صلى الله عليه وسلم، ففتح الله على رسوله، وأخزى أئمة الكفر وشقي صدور المسلمين منهم^(٧).

حدثني هارون بن إسحاق، قال: حدثنا مصعب بن المقدام، قال: حدثنا إسرائيل، قال: حدثنا أبو إسحاق، عن حارثة، عن علي عليه السلام، قال: لما قَدِمْنَا المدينة أصبنا من ثمارها، فاجتويناها، وأصابنا بها عُمُكٌ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخبر عن بدر؛ فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر — وبدر بر — فسبقنا المشركين إليها، فوجدنا فيها رجلين، منهم رجلٌ من

١٢٨٩/١

(١) و: «اطلعا».

(٢) ح، و: «جلبتهما».

(٣) ر، م: «تجادل».

(٤) في التفسير: «إنا أجزنا القوم، وأن ارجعوا».

(٥) و، والتفسير: «فيه».

(٦) سورة الأنفال ٤٧.

(٧) الخبر ورد مفرقاً في التفسير ١٣: ٤٤٣، ٥٧٨.

قريش ، وولّى لعُتْبَةَ بن أبي مُعَيْطٍ ؛ فأما القرشيّ فأنفلت^(١) ، وأمّا مولى عُتْبَةَ فأخذناه ، فجعلنا نقول : كم القوم ؟ فيقول : هم والله كثير ، شديدٌ بأسهم ؛ فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه ، حتى انتهوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : كم القوم ؟ فقال : هم والله كثير ، شديدٌ بأسهم ، فجهد النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يخبره كم هم ، فأبى . ثمّ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله : كم ينحرون من الحِزْرِ ؟ فقال : عشراً كلّ يوم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القوم ألف .

ثمّ إنه أصابنا من الليل طَشٌّ^(٢) من المطر ، فانطلقنا تحت الشجر والتججف^(٣) نستظلُّ تحتها من المطر ، وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربّه : اللهمّ إنّ تهلك هذه العصابة لا تُعبد في الأرض . فلما أن طلع الفجر نادى : الصلاة عباد الله ! فجاء الناس من تحت الشجر والتججف ، فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحرّض على القتال ، ثم قال : إنّ جمْعَ قريش عند هذه الضِّلعة^(٤) من الجبل . فلما أن دنا القوم منا وصافقناهم^(٥) ؛ إذا رجلٌ من القوم على جمل أحمر يسير في القوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا على ، ناد لي حمزة - وكان أقربهم إلى المشركين - : من صاحب الجمل الأحمر ؟ وماذا يقول لهم ؟ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن يكن في القوم من يأمُر بالخير ؛ فمضى أن يكون صاحب الجمل الأحمر ، فجاء حمزة ، فقال : هو عتبة بن ربيعة ؛ وهو ينهى عن القتال ، ويقول لهم : إنّي أبى قوماً مُستعيتين لا تصلون^(٦) إليهم وفيكم خير ؛ يا قوم اعصيوها اليوم برأسي ، وقولوا : جِبْنَ عتبة ابن ربيعة ؛ ولقد علمتم أنّي لست بأجنيكم .

(١) ر : « فأنفلت » .

(٢) الطش : المطر الصيف فوق الرذاذ .

(٣) التججف : ضرب من التربة ؛ واحتبها حيفة ؛ وهي من الجلود خاصة .

(٤) الضلعة : الجانب .

(٥) صاف القوم غيرهم في القتال مصافة ، أي وقفوا مصطفين .

(٦) و : « لا يوصل إليهم » .

قال : فسمع أبوجهل فقال : أنت تقول هذا ! والله لو غيرك يقول هذا لعضضته^(١) ! لقد ملكت ريشك وجوفك رعباً ، فقال عتبة : إني أتعير يامصفر^(٢) امته ! ستعلم اليوم أينما أجبني !

قال : فبرز عتبة بن ربيعة وأخوه شيبه بن ربيعة ، وابنه الوليد ، حمية ، فقالوا : من يبارز ؟ فخرج فتية من الأنصار ستة ، فقال عتبة : لا نريد هؤلاء ؛ ولكن يبارزنا من بني عمنا من بني عبد المطلب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا علي قم ، يا حمزة قم ، يا عبيدة بن الحارث قم ، فقتل الله عتبة بن ربيعة وشيبه بن ربيعة والوليد بن عتبة ، وجرح عبيدة بن الحارث ، فقتلنا منهم سبعين ، وأسرونا منهم سبعين .

قال : فجاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيراً ، فقال : يا رسول الله ؛ والله ما هذا أسرتني ، ولكن أسرتني رجل أجلس^(٣) من أحسن الناس وجهاً ، على فرس أبلق ، ما أراه في القوم ، فقال الأنصاري : أنا أسرتي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد آزرك الله بملك كريم . قال علي : فأسير من بني عبد المطلب العباس وعقيل ونوفل بن الحارث .

حدثني جعفر بن محمد البرزوري ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة ، عن علي ، قال : لما أن كان يوم بدر ، وحضر البأس اتقينا رسول الله ، فكان من أشد الناس بأساً ، وما كان منا أحد أقرب إلى العدو منه .

١٢٩١/١

حدثنا عمرو بن علي ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مضرب^(٤) ، عن علي ، قال : سمعته

(١) ح : « لعضضته » .

(٢) مصفره ، قال السهيلي : « إنما أراد مصفر بدنه ؛ ولكنه قصد المبالغة في الدم ، يخص منه بالذكر ما يسود أن يذكر » .

(٣) الجلس : انصار الشعر عن جانبي الرأس ، وفي ح : « أجلس الرأس » .

(٤) و : « مصرب » .

يقول : ما كان فينا فارسٌ يوم بدر غير مِقْدَاد بن الأسود ، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائمٌ ، إلا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قائماً إلى شجرة يصلي ، ويدعو حتى يصبح .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سمعَ بأبي سفيان بن حربٍ مقبلاً من الشام في عيرٍ لقريشٍ عظيمة ، فيها أموال لقريش وتجارة من تجاراتهم ، وفيها ثلاثون راكباً من قريش - أو أربعون - منهم غزوة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وعمر بن العاص بن وائل بن هشام ابن سعيّد بن سهم .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : فحدثني محمد بن مسلم الزهري وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ويزيد بن رومان ؛ عن عروة وغيرهم من علمائنا ، عن عبد الله بن عباس ، كلٌّ قد حدثني بعض هذا الحديث ؛ فاجتمع حديثهم ١٢٩٢/١ فيما سَقُت من حديث بدر ، قالوا : لما سمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مقبلاً من الشام ، ندب المسلمين إليهم ، وقال : هذه عيرُ قريش فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها ، لعلَّ الله أن ينفلِككموها ، فانتدب الناس فحفَّت بعضهم وثقل بعضهم ؛ وذلك أنهم لم يظنُّوا أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يلقى حرباً ، وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسَّس الأخبار ، ويسأل من لقي من الركب أن تخوفاً على أموال الناس ؛ حتى أصاب خبراً من بعض الركبان ؛ أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك . فحذر عند ذلك ، فاستأجر ضَمَضَمَ بن عمرو الغفاري ، فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتي قريشاً يستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أن محمداً قد عرَّض لها في أصحابه ،

فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال ابنُ إسحاق :
وحدثني مَنْ لا أَنَّهُمْ ، عن عِكْرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ويزيد
ابن رومان ، عن عُرْوَة ، قال : وقد رَأَتْ عاتكةُ بنت عبد المطلب قبل قدوم
ضمضم مكة ثلاثَ لَيَالٍ رَوَّيا أَفْرَعَتها ، فبعثتْ إلى أخيها العباس بن عبد المطلب
فقالَتْ له : يا أُنْحى ، والله لقد رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَوَّيا لقد أَفْظَعْنِي^(٢) ، وتَخَوَّفْتُ
أَنْ يَدْخُلَ عَلَى قَوْمِكَ مِنْهَا شَرٌّ وَمَصِيبَةٌ ، فَاسْكُتْ عَلَى^(٣) مَا أَحَدْتُكَ [به]^(٤)
قالَ لها : وما رَأَيْتُ ؟ قالت : رَأَيْتُ رَاكِباً أَقْبَلَ عَلَى بَعِيرٍ لَهُ حَنَى وَقَفَ
بِالْأَبْطَحِ . ثُمَّ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : أَنْ^(٥) انْفِرُوا يَا آلَ غُدْرٍ^(٦) لمصارعكم في
ثَلَاثَ ! فَأَرَى النَّاسَ^(٧) اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَالنَّاسَ يَتَّبِعُونَهُ ، فَبَيْنَاهُمْ
حَوْلَةٌ مَشْكَلَةٌ بِهِ بَعِيرُهُ عَلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ ، ثُمَّ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ بِمَثَلِهَا : أَنْ
انْفِرُوا يَا آلَ غُدْرٍ لمصارعكم في ثَلَاثَ ! ثُمَّ مَثَلَ بِهِ بَعِيرُهُ عَلَى رَأْسِ
أَبِي قُبَيْسٍ ، فَصَرَخَ بِمَثَلِهَا ، ثُمَّ أَخَذَ صَخْرَةً فَأَرْسَلَهَا ، فَأَقْبَلَتْ تَهْوِي حَتَّى
إِذَا كَانَتْ بِأَسْفَلَ الْجَبَلِ ارْفَضَتْ^(٨) فَا بَنَى بَيْتَ مِنْ بِيوتِ مَكَّةَ ، وَلَا دَارَ مِنْ
دَوْرِهَا إِلَّا دَخَلَتْ مِنْهَا فِلَقَةٌ .

١٢٩٣/١

قال العباس : والله إنَّ هذه لرَوَّيا رَأَيْتُ فَاسْكُتْ عَلَيْهَا وَلَا تَذْكُرْهَا لِأَحَدٍ .

(١) سيرة ابن هشام : ٢ : ٦١ .

(٢) أَفْظَعْنِي : اشتعلت على .

(٣) ابن هشام : « اكتم على » .

(٤) من سيرة ابن هشام .

(٥) ابن هشام : « ألا انفروا » .

(٦) كَذَا فِي ط ، بِضَمِّ التَّيْنِ وَفَتْحِ الدَّالِ . وَفِي اللَّسَانِ : « وَرَجُلٌ غَادِرٌ وَغَادِرٌ وَغَدِيرٌ وَغَدُورٌ ، وَكَذَلِكَ الْأَثَرُ بِغَيْرِ هَاءٍ ، وَغَدِرٌ (بِضَمِّ التَّيْنِ وَفَتْحِ الدَّالِ) ، وَأَكْثَرُ مَا يَسْتَعْمَلُ هَذَا التَّنَادُّ فِي الشَّمِّ ، يُقَالُ : يَا غَدِرُ ، وَفِي الْحَدِيثِ : « يَا غَدِرُ ، أَلَسْتَ أَسْمَى فِي غَدْرِكَ ! » ، وَيُقَالُ فِي الْجَمْعِ : يَا لَغَدِرِ (بِضَمِّ التَّيْنِ وَفَتْحِ الدَّالِ) ، وَهِيَ حَدِيثُ عَاتِكَةَ : يَا لَغَدِرِ يَا لَغَدِرِ ! » . وَقَالَ السَّيْلِيُّ : « هُوَ بِضَمِّ التَّيْنِ وَالدَّالِ ، جَمْعُ غَدُورٍ » .

(٧) فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ : « فَأَرَى النَّاسَ اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَالنَّاسُ يَتَّبِعُونَهُ ، بَيْنَهُمْ حَوْلَةٌ ، مَثَلَ بِهِ بَعِيرُهُ . وَمَثَلَ بِهِ : قَامَ بِهِ » .

(٨) ارْفَضَتْ : تَفَرَّقَتْ .

ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة بن ربيعة - وكان له صديقاً - فذكرها له واستكنمه إياها ، فذكرها الوليد لأبيه عتبة ، ففشا الحديث ، حتى تحدثت به قريش [في أئديتها] ^(١) .

قال العباس : فغلوت أطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة ؛ فلما رآني أبو جهل ، قال : يا أبا الفضل ؛ إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا . قال : فلما فرغت أقبلت إليه حتى جلست معهم ، فقال لي أبو جهل : يا بني عبد المطلب ؛ متى حدثت فيكم هذه النبئة ! قال : قلت : وما ذاك ؟ قال : للرؤيا التي رأت عاتكة ، قال : قلت : وما رأت ؟ قال : يا بني عبد المطلب ، أما رضيتم أن تتبأ رجالكم ، حتى تتبأ نساؤكم ! قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال : انفروا في ثلاث ، فستربص بكم هذه الثلاث ؛ فإن يكن ما قالت حقاً فسيكون ، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء ؛ نكب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب .

قال العباس : فوافقه ما كان مني إليه كبير إلا أني جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأيت شيئاً . قال : ثم تفرقنا ؛ فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني ، فقالت : أقررت لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ؛ ثم لم يكن عندك غيرة لشيء مما سمعت ! قال : قلت : قد والله فعلت ؛ ما كان مني إليه من كبير ، وإيم الله لأتعرضن له ؛ فإن عاد لأكتفينكموه ^(٢) .

قال : فغلوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة ، وأنا حديد مغضب ، أرى أن قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه .

قال : فدخلت المسجد فرأيت ؛ فوافقه إني لأمشي نحوه أتعرضه ^(٣) ليعود لبعض ما قال فأقع به - وكان رجلاً خفيفاً حديد الوجه ، حديد اللسان ،

(١) من سيرة ابن هشام .

(٢) سيرة ابن هشام : « لأكتفينكه » .

(٣) ح : « أتعرض له » .

حديد النظر - إذ خرج نحو باب المسجد يشتد . قال : قلتُ في نفسي : ما له لعله الله ! أكل هذا فرقا من أن أشاعه ! قال : وإذا هو قد سمع ما لم أسمع ، صوت ضمضم بن عمرو الغفاري ، وهو يصرخ يبطن الوادي واقفاً على بعيره ، قد جدع^(١) بعيره ، وحوك رحله ، وشق قميصه ، وهو يقول : يا معشر قريش ، اللطيمة اللطيمة^(٢) ! أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه ، لا أرى أن تتركوها ، الغوث الغوث !

قال : فشغلي عنه وشغله عني ما جاء من الأمر . فتجهز الناس سراعاً ، وقالوا : أيظن محمد وأصحابه أن تكون كميبر ابن الحضرمي ! كلا والله ليعلمن غير ذلك . فكانوا بين رجلين : إما خارج ، وإما باعث مكانه رجلا ، وأوعبت^(٣) قريش فلم يتخلف من أشرافها أحد ، إلا أن أبا لب بن عبدالمطلب تخلف ، فبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة ، وكان لاط له^(٤) بأربعة آلاف درهم كانت له عليه ، أفلس بها ، فاستأجره بها على أن يجزي عنه بعث ، فخرج عنه وتخلف أبو لب^(٥) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي نجيح ، أن أمية بن خلف كان قد أجمع القعود ، وكان شيخاً جليلاً ثقيلاً ، فأتاه عقبة بن أبي معيط ، وهو جالس في المسجد بين ظهري قومه بمجسرة يحملها ، فيها نار ومخمر^(٦) ، حتى وضعها بين يديه ، ثم قال : يا أبا علي ، استجبر^(٧) ؛ فلأنما أنت من النساء ، قال : فيحك الله وقيح ما جئت به ! قال : ثم تجهز ، فخرج مع الناس ، فلما فرغوا من جهازهم ، وأجمعوا السبر ، ذكروا ما بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب ، فقالوا : إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا^(٨) .

١٢٩٦/١

(١) جدع بعيره : قطع ألقه .

(٢) اللطيمة : الإبل التي تميل البز والعليب .

(٣) أوعب القوم : إذا غريبوا كلهم للقزو .

(٤) لاط له : أربى ، فذبح والأغاني : « لاط » .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٦١ ، ٦٢ ، والأغاني ٤ : ١٧١ - ١٧٤ (طبعة الدار)

(٦) المخبر : السود يتغير به .

(٧) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٢ ، والأغاني ٤ : ١٧٤ ، ٢٧٥

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق ،
وحدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، قال : لما أجمعت قريش
المسيّر ، ذكرت الذي بينها وبين بني بكر ، فكاد ذلك أن يشتمهم ، فتبدى
لهم إبليس في صورة سراقَة بن جَعْنَم المدبليجى - وكان من أشراف كنانة -
فقال : أنا جارٌ لكم من أن تأتيتكم كنانة بشيء تكرهونه . فخرجوا سراعاً^(١) .

قال أبو جعفر : وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنى عن
غير ابن إسحاق - ثلاث ليالٍ خَلَونَ من شهر رمضان في ثلثائة وبضعة
عشر رجلاً من أصحابه ؛ فاختلف في مبلغ الزيادة على العشرة .
فقال بعضهم ، كانوا ثلثائة وثلاثة عشر^(٢) رجلاً .

١٢٩٧/١

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو بكر بن عياش ، قال : حدثنا
أبو إسحاق^(٣) ، عن البراء ، قال : كنّا نتحدث أن أصحابَ بدر يوم
بدر^(٤) كعدّة أصحاب طالوت ، ثلثائة رجل وثلاثة عشر رجلاً ؛ الذين
جاوَزُوا النهر ؛ فسكت^(٥) .

حدثني محمد بن عبيد المحاربيّ ، قال : حدثنا أبو مالك الجنبىّ ، عن
الحجاج ، عن الحَكَم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، قال : كان المهاجرون
يومَ بدر سبعة وسبعين رجلاً ؛ وكان الأنصار مائتين وستة وثلاثين رجلاً ،
وكان صاحبُ راية رسولِ الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب عليه
السلام ، وصاحبُ راية الأنصار سعد بن عبادة^(٦) .

• • •

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٣ ، والأغاني ٤ : ١٧٥

(٢) و : « وعشرين » .

(٣) كذا في ط ، و في م : « ابن إسحاق » ، والصواب ما في ط ، وأبو إسحاق بن روى عن

البراء بن عازب . تهذيب التهذيب ١ : ٤٢٥ .

(٤) كذا في ط .

(٥) و : « أنهم كانوا » .

(٦) الأغاني ٤ : ١٧٥ .

وقال آخرون : كانوا ثلثمائة رجل وأربعة عشر ، من شهد منهم ، ومن ضُربَ بسهمه وأجره ؛ حدثنا بذلك ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابنِ إسحاق .

وقال بعضهم : كانوا ثلثمائة وثمانية عشر .

وقال آخرون : كانوا ثلثمائة وسبعة .

• • •

وأما عامة السلف ؛ فإنهم قالوا : كانوا ثلثمائة رجل وبضعة عشر رجلا .

ذكر من قال ذلك :

١٢٩٨/١

حدثنا هارون بن إسحاق ، قال : حدثنا مُصْعَبُ بنِ المقدام ، وحدثني أحمد بن إسحاق الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : حدثنا إسرائيل ، قال : حدثنا أبو إسحاق ، عن البراء ، قال : كنّا نتحدث أن عدّة أصحاب بدر على عدّة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر - ولم يَجْزْ^(١) معه إلاّ مؤمن - ثلثمائة وبضعة عشر .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا أبو عامر ، قال : حدثنا سُفْيَانُ ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، قال : كنّا نتحدث أن أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلّم كانوا يوم بدر ثلثمائة وبضعة عشر رجلا ، على عدّة أصحاب طالوت ؛ مَنْ جاز معه النهر ؛ وما جاز معه إلاّ مؤمن .

حدثنا ابنُ وكيع ، قال : حدثنا أبي ؛ عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، بنحوه .

حدثنا إسماعيل بن إسرائيل الرَّمْلِيّ ، قال : حدثنا عبد الله بن محمد ابن المغيرة ، عن مِسْعَرٍ ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، قال : عدّة أهل بدر عدّة أصحاب طالوت .

(١) م : « يَكُن » .

حدثني أحمد بن إسحاق ، قال : حدثنا أبو أحمد ، قال : حدثنا مسعر ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، مثله .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : 'ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوم بدر : أنتم بعيدة أصحاب طالوت يوم لقي جالوت ، وكان أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً .

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، قال : خَلَصَ طالوت في ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً ؛ عدة أصحاب بدر .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا مسعر ، عن قتادة ، قال : كان مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ، وجعل على الساقة^(١) قيس بن أبي صغصصة - أخا بني مازن بن النجار ، في ليال مضت من شهر رمضان ؛ فسار حتى إذا كان قريباً من الصفراء ، بعث بسيس بن عمرو الجهني ، حليف بني ساعدة وعدي بن أبي الزغباء الجهني حليف بني النجار إلى بدر ، يتحسنان^(٢) له الأخبار عن أبي سفيان بن حرب وعيره ؛ ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقد قدما ؛ فلما استقبل الصفراء - وهي قرية بين جبلين - سأل عن جبلينهما ؛ ما أسمائهما ؟ فقالوا لأحدهما : هذا مُسَلِّح ؛ وقالوا للآخر : هذا مُخَرَّي ؛ وسأل عن أهلها ، فقالوا : بنو النار وبنو حُرَّاق (بطنان من بني غفار) ، فكرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم والمرور بينهما ،

(١) ساقة الجيش : مؤخرته .

(٢) ابن هشام والأغاني : يتحسنان ، والتجسس والتحسس : تطلب الأخبار والبحث عنها .

وتفاعل (١) بأسمائهما وأسماء أهاليهما ؛ فتركهما والصَّفراء (٢) بيسار ، وسلكت ذات اليمين على واد يقال له ذَفِيرَان ؛ فخرج منه حتى إذا كان ببعضه نزل .

وأناه الخبر عن قریش بمسيرهم لِيَمْنَعُوا عِيْرَهُمْ ، فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم الناس ، وأخبرهم عن قُرَيْش ، فقام أبو بكر رضى الله عنه ، فقال فأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب فقال فأحسن ، ثم قام المِقْدَاد بن عمرو ، فقال : يا رسول الله ، امضِ لما أمرك الله ، فتنحى معك ؛ والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ (٣) ؛ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون . فولدني بعثك بالحق لو سرت بنا إلى بَرْك الغِمَاد - يعنى مدينة الحبشة - لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودعنا له بخير (٤) .

• • •

حدثنا محمد بن عبيد المحاربي ، قال : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم أبو يحيى ، قال : حدثنا المخارق ، عن طارق ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : ١٣٠١/١ لقد شهدت من المِقْدَاد مشهداً لأنْ أكونَ أنا صاحبه أحبَّ إلىَّ مما في الأرض من شيء ؛ كان رجلاً فارساً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضب احمرت وجنتاه ؛ فأناه المِقْدَادُ على تلك الحال (٥) ، فقال : أبشر يا رسول الله ؛ فوالله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ ، ولكن والذي بعثك بالحق لنكوننَّ من بين يديك ومن خلفك ، وعن يمينك وعن شمالك ، أو يفتتح الله لك (٦) .

• • •

(١) الفأل في الأصل ، ضد الطيرة ؛ وينقل إلى ما يكون صالحاً تجوزاً . وفي الحديث : « ويعجبني الفأل الصالح » ، قال في اللسان : « وهذا يدل على أن الفأل منه ما يكون صالحاً ، ومنه ما يكون غير صالح » .

(٢) في بعض النسخ : « الصفراء » . (٣) سورة المائدة ٢٤ .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٣ ، ٦٤ ، والأغاني ٤ : ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٥) ج ٢ م : « ذلك الحال » . (٦) الأغاني ٤ : ١٧٧ .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشيروا علي أيها الناس - وإنما يريد الأنصار ؛ وذلك أنهم كانوا عند الناس ؛ وذلك أنهم حين بایعوه بالعقبة ، قالوا : يا رسول الله ؛ إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى دارنا ، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمامنا ؛ فتمنع مما تمنع منه أبناءنا ونساءنا ؛ فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصرته ؛ إلا ممن دهمته بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم - فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال له سعد بن معاذ : والله لأكأنك تريدنا يا رسول الله ! قال : أجل ، قال : فقد آمنا بك وصدقتك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا ؛ على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت ؛ فوالذي بعثك بالحق ، إن استعرضت^(١) بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ؛ ما تخلف منا رجل واحد ؛ وما نكرك أن تلقى بنا عدونا غدا ؛ إنا لصبر عند الحرب ، صدق عند اللقاء ؛ لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ؛ فسر بنا على بركة الله .

١٣٠٢/١

فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ، ونشطه ذلك ، ثم قال : سيروا على بركة الله ، وأبشروا ؛ فإن الله قد وعدهني إحدى الطائفتين ؛ والله لكأنني الآن أنظر إلى مصارع القوم .

ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذفران ، فسلط على ثنايا يقال لها الأصافر^(٢) ، ثم انحط منها على بلد يقال لها الدبة ، وترك الحنآن بيمين ؛ - وهو كتيب عظيم كالجبل - ثم نزل قريبا من بذر ، فركب هو ورجل من أصحابه - كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن يحيى بن حبان - حتى وقف على شيخ من العرب^(٣) ؛ فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه ، وما بلغه عنهم ، فقال

(١) استعرض البحر : أثناء من جانبه عرضا . (٢) في بعض النسخ : « الصغفاء » .

(٣) قال ابن هشام : « يقال ذلك الشيخ سفيان الصري » .

١٣٠٢/١ الشيخ : لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنما ! فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أخبرتنا أخبرناك ، فقال : وذاك بذاك ! قال : نعم ، قال الشيخ : فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدقتي الذي أخبرني فهو اليوم بمكان كذا وكذا - للمكان الذي به رسول الله صلى الله عليه وسلم - وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا ؛ فإن كان الذي حدثني صدقتي فهم اليوم بمكان كذا وكذا - للمكان الذي به قريش - فلما فرغ من خبره ، قال : ممن أنما ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نحن من ماء ؛ ثم انصرف عنه . قال يقول الشيخ : « ما من ماء » ، « آمين » ماء العراق ^(١) !

ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه ؛ فلما أمسى بعث عليّ ابن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص ، في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتبسون له الخبر عليه - كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، كما حدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير - فأصابوا راوية لقريش فيها أسلم ، غلام بنى الحجاج ، وعريض أبو يسار ، غلام بنى العاص بن سعيد ؛ فأتوا بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي ؛ فسألوهما ، فقالا : نحن سقاة قريش ؛ بعثونا لنسقيهم من الماء ، فكره القوم خبرهما ، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان ، ففصر بهما ، فلما أذلقوهما قالوا : نحن لأبي سفيان ، فركوهما ، وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسجد سجدتين ، ثم سلم ، فقال : إذا صدقاكم ضربتموهما ، وإذا كذباكم تركتموهما ! صدقا والله ! إنهما لقريش ، أخبراني : أين ^(٢) قريش ؟ قالوا : هم وراء هذا الكتيب الذي ترى بالعدوة القصوى - والكتيب : العقنقل - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما : كم القوم ؟ قالوا : كثير ، قال : ما عدتهم ؟ قالوا : لا ندرى ، قال : كم ينحرون كل يوم ؟ قالوا : يوماً تسعاً ويوماً عشرة ، قال رسول

١٣٠٤/١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٥ ، والأغاني ٤ : ١٧٨ ، ١٧٩

(٢) سيرة ابن هشام : « عن قريش » .

الله صلى الله عليه وسلم : القوم ما بين التسعمائة والألف . ثم قال لهما رسولُ
الله صلى الله عليه وسلم : فَمَنْ فِيهِمْ من أشرف قريش ؟ قال : عِثْبَةُ بن
ربيعة ، وَشَيْبَةُ بن ربيعة ، وأبو البختري بن هشام ، وحكيم بن حزام ،
ونوفل بن خويلد ، والحارث بن عامر بن نوفل ، وطُعَيْمَةُ بن عَدِي بن
نوفل ، والنضر بن الحارث . بن كَلْدَةَ ، وَزَمْعَةُ بن الأسود ، وأبو جهل
ابن هشام ، وأمِيَّة بن خلف وَثِييَّة ، ومُنْبَه ابن الحجاج ، وَصُهَيْل بن عمرو ،
وعمر بن عبد ود . فأقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على الناس ، فقال :
هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ^(١) كيديها .

قالوا : وقد كان بَسْبَس بن عمرو وَعَدِي بن أبي الزَّغْبَاء مَضِيًّا حتى
نزلا بدرًا ، فأناخا إلى تلٍّ قريب من الماء ، ثم أخذَا شئًا^(٢) يستقيان فيه —
ومجدي بن عمرو الجهني على الماء — فسمع عدِي وبسبس جار يتين من
جوارى الحاضر^(٣) ؛ وهما تلتازمان^(٤) على الماء ؛ والملزومة^(٥) ، تقول لصاحبتها :
إنما تأتي العيرُ غدًا أو بعد غد ، فأعمل لهم ثم أقضيك الذي لك . قال :
مَجْدِي : صدقت ، ثم خلص بينهما ؛ وسمع ذلك عدِي وبَسْبَس ، فجلسا
على بعيريهما ، ثم انطلقا حتى أتيا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبراه
بما سمعا .

وأقبل أبو سفيان قد تقدم العيرَ حذرًا حتى ورد الماء ، فقال لمجدي بن
عمرو : هل أحسستَ أحدًا ؟ قال : ما رأيتُ أحدًا أنكرهُ ؛ إلا أني رأيتُ
راكبين أناخا إلى هذا التلِّ ، ثم استقيا في شئٍ لهما ؛ ثم انطلقا . فأتى أبو سفيان
مناخهما ، فأخذ من أبعاد بعيريهما فقتنه ؛ فإذا فيه نوى^(٦) . فقال : هذه والله
علائف يشرب ! فرجع إلى أصحابه سريعًا ، فضرب وجهه غيره عن الطريق ، فساحل

(١) الأفلاذ : القطع .

(٢) الشئ : الزق البالي .

(٣) الحاضر : القوم النازلين على الماء .

(٤) التلازم : تعلق الغريم بغريمه .

(٥) الملزومة : المدينة .

(٦) ابن هشام : « النوى » .

بها^(١) ، وترك بدراناً يساراً ، ثم انطلق حتى أسرع .

وأقبلت قريش ، فلما نزلوا بالجحفة رأى جهيمُ بن الصلتُ بن مخرمة ابن المطلب بن عبد مناف رؤيا ، فقال : إني رأيتُ فيا يرى النائم ، وإني لبين النائم واليقظان ، إذ نظرتُ إلى رجل أقبل على فرسٍ حتى وقف ومعه بعيرٌ له ، ثم قال : قُتِلَ عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأميمة بن خلف ، وفلان وفلان ؛ فعدَدَ رجالاً ممن قتل يومئذ من أشرف قريش ؛ ورأيتُ ضرب في لَبَّةٍ بعيره ، ثم أرسله في العسكر ، فما بقى خبياء من أخبية العسكر . إلا أصابه نصْحُ^(٢) من دمه .

قال : فلبتُ أبا جهل ، فقال : وهذا أيضاً نبيٌّ آخرٌ من بني المطلب ؛ سيَعْلَمُ غداً مَنْ المقتول إن نحن التقينا !

ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره ، أرسل إلى قريش : إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم ؛ فقد نجاها الله ، فارجعوا . فقال أبو جهل ابن هشام : والله لا نرجع حتى نردَّ بدراناً — وكان بدراناً مؤمناً من مواسم العرب ، تجتمع لهم بها سوقٌ كلَّ عام — فنقيم عليه ثلاثاً ، وننحضرَ الحزْرَ ، ونُطْعِمُ الطعام ، ونسقى الحُمُور ، ونُعزِفَ علينا القِيانَ ، وتسمع بنا العرب ؛ فلا يزالون يهابونا أبداً ؛ فامضوا . فقال الأخنسُ بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي — وكان حليفاً لبني زُهرة وهم بالجحفة : يا بني زُهرة ؛ قد نجى الله لكم أموالكم ، وخلّص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل ؛ ولما نفرتم لتمنعوه وواله ، فاجعلوا بي جُبْنَهَا وارجعوا ، فإنه لا حاجةَ بكم في أن تخرجوا في غير ضيعة ؛ لا ما يقول هذا — يعني أبا جهل — فرجعوا ؛ فلم يشهدوا زهرياً واحداً ؛ وكان فيهم مطاعاً . ولم يكن بقي من قريش بطن إلا نَفَرَ منهم ناس ، إلا بني عدى بن كعب ، لم يخرج منهم رجلٌ واحداً ، فرجعت بنو زُهرة مع الأخنس بن شريق ، فلم يشهد بدراناً من هاتين القبيلتين أحداً . ومضى القوم .

(١) ساحل بها ، أي أخذ بها طريق الساحل .

(٢) نصح ، أي لطم .

قال : وقد كان بين طالب بن أبي طالب - وكان في القوم - وبين ١٣٠٨/١ بعض قريش مُحَاوَرَةً^(١) ، فقالوا : والله لقد عَرَقْنَا يا بني هاشم - وإن^(٢) خَرَجَنا معنا - أَنْ هَوَاكُم مع محمد . فرجع طالب إلى مكة فيمن^(٣) رجع .

• • •

قال أبو جعفر : وأما ابن الكلبي ، فإنه قال فيما حَدَّثَتْ عَنْهُ : شَخَصَ طَالِبُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَى بَدْرٍ مَعَ الْمُشْرِكِينَ ، أَخْرَجَ كَرْهًا . فَلَمْ يَوْجَدْ فِي الْأَسْرَى وَلَا فِي الْقَتْلِ ، وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَى أَهْلِهِ ، وَكَانَ شَاعِرًا ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ :

يَا رَبِّ إِنَّمَا يَغْزُونَ طَالِبَ^(٤) فِي مِقْتَبٍ مِنْ هَذِهِ الْمَقَانِبِ^(٥)

فَلْيَكُنِ الْمَسْلُوبَ غَيْرَ السَّالِبِ وَلْيَكُنِ الْمَغْلُوبَ غَيْرَ الْغَالِبِ^(٦)

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : ومضت قريش حتى نزلوا بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى مِنَ الْوَادِي ؛ خَلْفَ الْعَقَنْقَلِ ، وَبَطْنِ الْوَادِي وَهُوَ يَكْتَلِلُ ، بَيْنَ بَدْرِ وَبَيْنَ الْعَقَنْقَلِ ؛ الْكَثِيبُ الَّذِي خَلْفَهُ قَرِيشٌ ، وَالْقُلُبُ^(٧) بَدْرٍ فِي الْعُدْوَةِ الدُّنْيَا مِنْ بَطْنِ يَكْتَلِلٍ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَبَعَثَ اللَّهُ السَّمَاءَ ، وَكَانَ الْوَادِي دَهْسًا^(٨) ، فَأَصَابَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ مِنْهَا مَا لَبَدَ لَهُمُ الْأَرْضَ ؛ وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ الْمَسِيرَ ، وَأَصَابَ قَرِيشًا مِنْهَا مَا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى أَنْ يَرْتَحِلُوا مَعَهُ ؛ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُبَادِرُهُمْ إِلَى الْمَاءِ ؛ ١٣٠٩/١ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَذْيَ مَاءٍ مِنْ بَدْرِ نَزَلَ بِهِ^(٩) .

(١) ح : « مجاورة » . (٢) م : « إن » .

(٣) و : « مع من رجع » . (٤) ابن هشام : « لا هم » .

(٥) ابن هشام : « في عصبة تحالف محارب » ؛ والمقنب : الجماعة من الخيل ؛ مقدار ثلاثمائة أو نحوها .

(٦) قال ابن هشام : قوله : « فليكن المسلوب » ، وقوله : « وليكن المغلوب » ، عن غير واحد من الرواة للشعر .

(٧) القلب : جمع قلب ، وهو البئر .

(٨) الدهس : كل مكان لين لم يبلغ أن يكون رملا .

(٩) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٤ ، ٦٥ ، والأغاني ٤ : ١٧٨ ، ١٨٣

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : فحدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثت عن رجال من بني سلمة ؛ أنهم ذكروا أن الحجاب ابن المنذر بن الجهم ، قال : يا رسول الله ، أرايت هذا المنزل ، أم منزل أنزلك الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخره ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال : بلى هو الرأي والحرب والمكيدة ؛ فقال : يا رسول الله ، فإن هذا ليس لك بمنزل ، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فتزله ، ثم نعوذ^(١) ما سواه من القلب ، ثم نبني عليه حوضاً فتملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أشرت بالرأي . فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس ، فسار حتى أتى أدنى ماء من القوم ، فترل عليه ، ثم أمر بالقلب فعورت ، وبني حوضاً على القلب الذي نزل عليه فلىء ماء ، ثم قذفوا فيه الآية^(٢) . ١٣١٠/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر ، أن سعد بن معاذ قال : يا رسول الله ، نبئني لك عريشاً من جريد فتكون فيه ، ونعد عندك ركائبك ، ثم نلقى عدونا ؛ فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا^(٣) كان ذلك مما^(٤) أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك ، فلحق بمن وراءنا من قومنا ، فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ، ما نحن بأشد حُباً لك منهم ؛ ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك . يمنعك الله بهم ، يناصحونك ويجاهدون معك . فأثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه^(٥) خيراً ، ودعا له بخير .

(١) م : « منزل » .

(٢) حور العين ؛ إذا دفنها ، وفي ابن هشام : « نفور » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٥ ، والأغاني ٤ : ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٤) ح : « عليه » .

(٥) ابن هشام : « ما أحببنا » .

(٦) ر : « عليهم » .

ثم بُني لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش^{*}، فكان فيه ؛ وقد ارتحلت قريش حين أصبحت ، فأقبلت ، فلمّا رآها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تصوّب^(١) من العَصَنَقْل - وهو الكُثيب الذي منه جاءوا إلى الوادي - قال : اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تُحادّك وتُكذّب رسولك ؛ اللهم فنصرَكَ الذي وعدتَنِي ؛ اللهم فأُحْنِنيهم^(٢) الغداة !

وقد قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - ورأى عتبة بن ربيعة في القوم ، على جمل له أحمر : إن يكنْ عندَ أحد من القوم خيرٌ ؛ فعند صاحب الجمل الأحمر ؛ إن يُطيعوه يَرسُدُوا . وقد كان خُفّاف بن إيماء بن رَحْصَةَ الْغِفَارِيّ - أو أبوه إيماء بن رَحْصَةَ - بعث إلى قريش حين مرّوا به ابناً له يَجزائر^(٣) أهداها لهم ، وقال : إن أحببتم أن أمِدّكم بسلّاح ورجال فَعَلْنَا ؛ فأرسلوا إليه مع ابنه : أن وصلتك الرّحم^(٤) ! فقد قضيت الذي عليك ؛ فَلَعمري لئن كنّا إنا نقاتل الناس ؛ ما بنا ضعفٌ عنهم ؛ ولئن كنّا نقاتل الله - كما يزعم محمد - فلا لأحد بالله من طاقة .

فلَمّا نزل الناس ، أقبل نفر من قريش ؛ حتّى وردوا حوضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيهم حَكِيم بن حِزَام ، على فرس له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوهم ؛ فاشرب منهم رجل لاقُتل يومئذ ؛ إلّا ما كان من حَكِيم بن حِزَام ، فإنّه لم يُقتل^(٥) ؛ نجا على فرس له يقال له الوجيه ، وأسلم بعد ذلك ، فحسن إسلامه ؛ فكان إذا اجتهد في يمينه قال : لا والذي نَجّاني ١٣١٢/١ يوم بدر^(٦) !

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق :

(١) التصويب : الانحدار من علو .

(٢) أحْنَم : أهلكتهم .

(٣) الجزائر : الذبائح ؛ وأحدا جزور .

(٤) ابن هشام : « رحم » .

(٥ - ٥) ابن هشام : وقَّاه لم يُقتل ، ثم أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه .

(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٦ ، والأغاني ٤ : ١٨٤ ، ١٨٥ .

وحدثني إسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم ، عن أشياخ من الأنصار ، قالوا : لما اطمأن القوم ، بثوا عُثَيْرَ بْنَ وَهَبِ الْجُمَحِيِّ ، فقالوا : احزُرْ^(١) لنا أصحابَ محمد ، قال : فاستجال بفرسه حول العسكر ، ثم رجع إليهم ، فقال : ثلثائة رجل ، يزيدون قليلا أو ينقصون^(٢) ؛ ولكن أمهلوني حتى أنظر ، ألقوم كين أم مدد ؟ قال : فضرب في الوادي ، حتى أبعد فلم ير شيئا ، فرجع إليهم ، فقال : ما رأيت شيئا ، ولكني قد رأيتُـيا معشرَ قريشـ الولايا^(٣) تحمل المنايا ، نواضع^(٤) يثرب تحمل الموت الناقع ، قوم ليس لهم^(٥) منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ، والله ما أرى [أن]^(٦) يقتل رجل منهم حتى يقتل رجل منهم ، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك ! فرؤوا رأيكم .

١٣١٢/١ فلما سمع حكييم بن حزام ذلك ، مشى في الناس^(٧) ، فأقى عتبة بن ربيعة ، فقال : يا أبا الوليد ؛ إنك كبيرُ قريش الليلة وسيدها ، والمطاع فيها ؛ هل لك ألا تزال^(٨) تذكر منها^(٩) بخير إلى آخر الدهر ؟ قال : وما ذاك يا حكييم ؟ قال : ترجع بالناس ، وتحمل دم حليفك عمرو بن الحضرمي ؛ قال : قد فعلت ، أنت على بذلك ؛ إنما هو حليفى فعلى عَقْلِهِ ، وما أصيب من ماله ؛ فأقى ابن الحنظلية^(١٠) ؛ فإني لا أخشى أن يشجر^(١١) أمر الناس غيره .

(١) الحزور : الضيق .

(٢) كلما في ابن هشام ، وفي ط : « ينقصوه » .

(٣) الولايا : جمع ولية ؛ وهي البرذعة التي تكون تحت الرجل ؛ وفي ابن هشام : « البلايا » .

(٤) النواضع : الإبل التي يستق عليها الماء . ثم استعمل في كل بئر ولو لم يحمل الماء .

(٥) ح ، م ، ابن هشام : « معهم » .

(٦) تكلمة من ابن هشام .

(٧) خ : « القوم » .

(٨) ابن هشام : « إلى أن » .

(٩) ابن هشام « فيها » .

(١٠) في ابن هشام : « والحنظلية أم أبي جهل ؛ وهي أسهاء بنت مخزبة ، أحد بنى نضل

ابن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد ساة بن تميم » .

(١١) يشجر ؛ من الشجار ؛ وهو المخالفة والمخاصمة .

يعنى أبا جهل بن هشام^(١)

حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثنا عثمان^(٢) بن عمرو السهمي، قال: حدثني مسور بن عبد الملك البيرعي، عن أبيه، عن سعيد بن المسيب، قال: بينما نحن عند مروان بن الحكم، إذ دخل حاجبه، فقال: هذا أبو خالد حكيم بن حزام، قال: إذن له، فلما دخل حكيم بن حزام، قال: مرحباً بك يا أبا خالد! إذن، فقال له مروان عن صدر المجلس، حتى كان بينه وبين الوسادة، ثم استقبله مروان، فقال: حدثنا حديث بذر، قال: خرجنا حتى إذا نزلنا الجحفة رجعت قبيلة من قبائل قريش بأسرها، فلم يشهد أحد من مشركهم بذرًا. ثم خرجنا حتى نزلنا العدة التي ذكرها^(٣) ١٣١٤/١
الله عز وجل، فجئت عتبة بن ربيعة، فقلت: يا أبا الوليد، هل لك أن تذهب بشرف هذا اليوم ما بقيت؟ قال: أفعل ماذا؟ قلت: إنكم لا تطلبون من محمد إلا دم ابن الحضرمي، وهو حليفك، فتحمل ديتته وترجع بالناس. فقال: أنت وذاك، وأنا أتحمّل بديتته، واذهب إلى ابن الحنظلية — يعنى أبا جهل — فقل له: هل لك أن ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمك؟ فجئته فإذا هو في جماعة من بين يديه ومن ورائه، وإذا ابن الحضرمي واقف على رأسه، وهو يقول: قد فسخت عقدي من عبد شمس، وعقدى إلى بنى مخزوم. فقلت له: يقول لك عتبة بن ربيعة: هل لك أن ترجع اليوم عن ابن عمك بمن معك؟ قال: أما وجد رسولاً غيرك! قلت: لا، ولم أكن لأكون رسولاً لغيره. قال حكيم: فخرجت مبادراً إلى عتبة، لئلا يسؤتني من الخير شيء، وعتبة متكئ على إيماء بن رَحضة الغفاري، وقد أهدى إلى المشركين عشر جزائر، فطلع أبو جهل والشر في وجهه، فقال لعتبة: انتفع سحرُك! فقال له عتبة: ستعلم! فسل أبو جهل سيفه، فضرب به من فرسه، فقال إيماء بن رَحضة: بش الفأل^(٤) هذا! فعند ذلك قامت الحرب^(٥).

• • •

(١) سيرة ابن هشام ٢: ٦٦، ٦٧، والأغاني ٤: ١٨٥، ١٨٦.

(٢) ط: «عمامة»، وانظر الفهرس. (٣) كذا في «و»، وفي ط: «قال».

(٤) الأغاني: «المقام». (٥) الخبر في الأغاني ٤: ١٨٦، ١٨٧.

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . ثم قام عتبة بن ربيعة خطيباً ، فقال : يا معشر قريش ، إنكم والله ما تصنعون بأن تلتقوا محمداً وأصحابه شيئاً ؛ والله لئن أصبتموه لا يزال رجلٌ ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه ، قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته ؛ فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب ؛ فإن أصابوه فذاك الذي أردتم ، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرضوا^(١) منه ما تريدون . قال حكيم : فانطلقت أومُّ أبا جهل ؛ فوجدته قد نكل^(٢) دَرْعاً له من جربها ؛ فهو يهينها^(٣) . فقلت : يا أبا الحكم ؛ إن عتبة قد أرسلني إليك بكذا وكذا - للذي قال - فقال : انتفخ والله سحره^(٤) حين رأى محمداً وأصحابه ؛ كلاً والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد وأصحابه ، وما بعثة ما قال ؛ ولكنه قد رأى محمداً وأصحابه أكلة جزور ؛ وفيهم ابنه فقد تخوفكم عليه . ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي ، فقال له : هذا حليفك ، يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت ثارك بعينك ، قم فانشد خفرتك^(٥) ومقتل أخيك . فقام عامر بن الحضرمي فاكشف ثم صرخ : واعمره ! واعمره ! فحميت الحرب ، وحقيب^(٦) أمر الناس ؛ واستوقوا^(٧) على ما هم عليه من الشر ، وأفيد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة بن ربيعة .

فلما بلغ عتبة بن ربيعة قول أبي جهل : « انتفخ سحره » ، قال : سيعلم المصفرُ استه من انتفخ سحره ، أنا أم هو ! ثم التمس بيضة يدخلها في رأسه فما وجد في الجيش بيضة تسمعه من عظيم هامته ، فلما رأى ذلك اعتجّر^(٨) على رأسه ببرد له .

(١) الأغانى : « ولم تملوا » .

(٢) نكل : أخرج .

(٣) ابن هشام : « هينها » ؛ أى يهينها بذكر الزيت .

(٤) انتفخ سحره ؛ أى رثته ؛ يقال ذلك للبيان .

(٥) انشد خفرتك ؛ أى اطلب من قريش الرضا بخفرتهم لك ، أى عهدهم ؛ لأنه كان حليفاً لهم وجاراً .

(٦) حقب أمرهم : اشتد .

(٧) استوقوا : اجتمع أمرهم .

(٨) الاعتجار : لف الصمامة على الرأس .

وقد خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي - وكان رجلاً شرساً سيئاً الخلق - فقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم ولأهدمنه أولاً مؤنن^(١) دونه . فلما خرج خرج له حمزة بن عبد المطلب ، فلماً التقيا ضربه حمزة ، فأطعن^(٢) قدمه بنصف ساقه ؛ وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره تشخب^(٣) رجله دماً نحو أصحابه ، ثم حبس إلى الحوض حتى اقتحم فيه ، يريد ١٣١٧/١ - زعم - أن يُبرئ يمينه ، واتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض .

ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبه بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ؛ حتى إذا فصل من الصف دعاً إلى المبارزة ، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة نفر منهم : عوف ومعوذ ابنا الحارث - وأمهما عفرأ - ورجل آخر يقال له عبد الله بن رواحة ، فقال : من أنتم ؟ قالوا : رهط من الأنصار . فقالوا : ما لنا بكم حاجة ! ثم نادى منادهم : يا محمد ، أخرج إلينا أكفأنا من قومنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم يا حمزة بن عبد المطلب ، قم يا عبيدة بن الحارث ، قم يا علي بن أبي طالب ؛ فلما قاموا ودنوا منهم ، قالوا : من أنتم ؟ قال عبيدة : عبيدة ، وقال حمزة : حمزة ، وقال علي : علي ، قالوا : نعم أكفأ كرام ! فبارز عبيدة بن الحارث - وكان أسن القوم - عتبة بن ربيعة ، وبارز حمزة شيبه بن ربيعة ، وبارز علي الوليد بن عتبة ؛ فأما حمزة فلم يمهل شيية أن قتله ، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله ؛ واختلف عبيدة وعتبة بينهما بضربتين ، كلاهما أثبت صاحبه^(٤) ، وكره حمزة وعلي ١٣١٨/١ بأسيا فهما على عتبة ، فذفعا^(٥) عليه فقتلاه ، واحتلما صاحبهما عبيدة فجاء به^(٦) إلى أصحابه ؛ وقد قطعت رجله ، فحُفها يسيل ، فلما أتوا بعبيدة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألسن شهيداً يا رسول الله ! قال :

(١) أطعن : طار .

(٢) تشخب : يسيل منها الدم بصوت .

(٣) أثبت صاحبه : جرحه جراحة لم يبق معها .

(٤) ذفعا عليه : أسرما لقتله .

(٥) ابن هشام : « فمأزاه » .

بلى، فقال عبيدة : لو كان أبو طالب حياً لعلم أنى أحق بما قال منه حيث يقول :
وَنُسْلِمُهُ حَتَّى نُصَرِّعَ حَوْلَهُ ^(١) وَنَذْهَلَ عَنْ أَبْنَانِنَا وَالْحَلَائِلِ ^(٢)

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق :
وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن عتبة بن ربيعة قال للفتية من الأنصار
حين انتسبوا : أكفاء كرام ، إنما نريد قومنا ، ثم تراحف الناس ؛ ودنا بعضهم
من بعض ، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ألا يحملوا حتى
يأمرهم ؛ وقال : إن اكتفكم القوم فانضحوا ^(٣) عنكم بالنبل ؛ ورسول الله
صلى الله عليه وسلم في العريش معه أبو بكر .

قال أبو جعفر : وكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من
شهر رمضان ، كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال
محمد بن إسحاق ؛ كما حدثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين . وحدثنا
ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحدثني ١٣١٩/١
حبان بن واسع بن حبان بن واسع ، عن أشياخ من قومه ، أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدر ، وفي يده قدح ^(٤) يعدل
به القوم ، فرسوا بسواد ^(٥) بن غزيرة ، حليف بني عدى بن النجار ، وهو
مستنبل ^(٦) من الصف ، فطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بطنه
بالقدح ، وقال : استموا يا سواد بن غزيرة ؛ قال : يا رسول الله أوجعتني
وقد بعثك الله بالحق ، فأقذني ^(٧) . قال : فكشف رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن بطنه ثم قال : استقيد ، قال : فاعتقه وقبّل بطنه ، فقال : ماحمك

(١) الخبر إلينا في سيرة ابن هشام ٢ : ٦٧ ، ٦٨ ، وهو أيضاً في الأغاني ٤ : ١٨٧-١٩٠

(٢) م : « دونه » .

(٣) التضح بالنبل : الرمي به .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٨ ، والأغاني ٤ : ١٩٠

(٥) القلج : السهم .

(٦) كذا في ط ، وقال ابن هشام : يقال « سواد » ، مثقلة ، وسواد في الأنصار غير هذا غنغف .

(٧) مستنبل : مقبض . قال ابن هشام : يقال : « مستنبل » .

(٨) أقذني : أرى اتخص لي من نفسك .

على هذا يا سَوَاد ؟ فقال : يا رسول الله ، حضر ما ترى فلم آمن القتل . فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلدك . فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير ، وقال له خيراً .

ثم عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصقوف ، ورجع إلى العريش ، ودخله ، ومعه فيه أبو بكر ليس معه فيه غيره ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ما وعده من النصر ، ويقول فيما يقول : اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة اليوم - يعنى المسلمين - لا تبعث بعد اليوم ، وأبو بكر يقول : يا نبي الله ، بعض مناشدتك ربك ! ، فإن الله عز وجل منجز لك ما وعده^(١) . ١٣٢٠/١

فحدثني محمد بن عبيد المحاربي ، قال : حدثنا عبد الله بن المبارك ، عن عكرمة بن عمار ، قال : حدثني سماك الحنفي ، قال : سمعت ابن عباس يقول : حدثني عمر بن الخطاب ، قال : لما كان يوم بدر ، ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وعيدهم ، ونظر إلى أصحابه نيئاً على ثلثائة ، استقبل القبلة ، فجعل يدعو ، يقول : اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تبعث في الأرض ، فلم يزل كذلك حتى سقط رداؤه ، فأخذ أبو بكر فوضع رداءه عليه ، ثم التزمه من ورائه ، ثم قال : كفالك يا نبي الله ، بأبي وأنت وأمي ، مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعده ! فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾^(٢) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا الثقفى - يعنى عبد الوهاب - عن خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال وهو في قبته يوم بدر : اللهم إني أسألك عهدك ووعدك ، اللهم إن شئت لم تبعث بعد اليوم !

(١) سيرة ابن هشام ٦٨ ، ٦٩ ، والأغانى ٤ : ١٩٠ ، ١٩١ .

(٢) سورة الأنفال ٩ ، والتعبير في التفسير ١٣ : ٤٠٩ ، والأغانى ٤ : ١٩١ ، ١٩٢ .

قال : فأخذ أبو بكر بيده ، فقال : حسبك يا نبي الله ، فقد ألححت على ربك - وهو في الدرع - فخرج وهو يقول : ﴿ سَبِّحْهُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ . بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمُ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ ﴾^(١) .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : وقد خَفَقَ^(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقةً وهو في العرش ، ثم انتبه ، فقال : يا أبا بكر ، أتاك نصر الله ، هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده ، على ثناباه النقع^(٣) . قال : وقد رُمِيَ مِهْجَعٌ مولى عمر بن الخطاب بسهم فقتل ، فكان أول قتيل من المسلمين ، ثم رُمِيَ حارثة بن سُرَّاقه ، أحد بني عدى بن النجار وهو يشرب من الخوض فقتل . ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فحرضهم ، ونفل كل امرئ منهم ما أصاب ، وقال : والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة . فقال عمير بن الحُصَّام ، أخو بني سلمة ، وفي يده تمرات يأكلهن : بَخَّ بَخَّ^(٤) ، فما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ! ثم قذف التمرات من يده ، وأخذ سيفه ، فقاتل القوم حتى قُتِلَ^(٥) وهو يقول :

رَكُضًا إِلَى اللَّهِ بغير زادٍ إِلَّا التَّقَى وَعَمَلِ الْمَعَادِ
وَالْعَبْرُ فِي اللَّهِ عَلَى الْجِهَادِ وَكُلُّ زَادٍ عُرْضَةٌ النَّقَادِ
• غَيْرُ التَّقَى وَالْبِرِّ وَالرَّشَادِ •

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ؛ أن عوف بن الحارث - وهو ابن

(١) سورة القمر ٤٥ ، ٤٦ . والخبر في الأغاني ٤ : ١٩٢ .

(٢) خفق : نام نوماً خفيفاً .

(٣) النقع : التراب .

(٤) بَخَّ ، بكسر الحاء وإسكانها ؛ كلمة تقال للإعجاب .

(٥) الخبر إلى هنا في سيرة ابن هشام ٢ : ٦٨ ، ٦٩ ، وهو أيضاً في الأغاني ٤ : ١٩٢ ، ١٩٣ .

عفراء - قال : يا رسول الله ، ما يُضْحِكُ^(١) الربَّ من عبده ؟ قال : غَمَسُهُ يَدَهُ في العَدُوِّ حَاسِرًا . فترع درعًا كانت عليه ، ففقدتها ، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قُتِلَ^(٢) .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق . وحدثني محمد بن مسلم الزهري ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صَعْبِ العُدْرِي ، حليف بني زُهرة ، قال : لما التقى النَّاسُ ، ودنا بعضهم من بعض ، قال أبو جهل : اللهم أَقْطَعْنَا لِلرَّحِمِ ، وآتانا بما لا يُعرف ؛ فأَحْنَهُ^(٣) الغداة ، فكان هو المستَفِيعُ^(٤) على نفسه .

ثم إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أخذ حَفَنَةً من الخِصْبَاءِ ، فاستقبل بها قريشًا ، ثم قال : شأهت الوجوه ! ثم نَفَحَهم بها ، وقال لأصحابه : شدُّوا ، فكانت الهزيمة ، فقتل الله مَنْ قُتِلَ من صناديد قريش ، وأسير مَنْ أسير منهم . فلما وضع القوم أيديهم يأسرون ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش ، وسعد بن مُعَاذ قائم على باب العريش الذي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، متوشحًا السيف ، في نفر من الأنصار يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يخافون عليه كَرَّةَ العَدُوِّ ، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما ذكر لي - في وجه سعد بن معاذ الكَرَاهِيَةَ لِمَا يصنع الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لكأنَّكَ يا سعد تكره ما يصنع الناس !^{١٣٢٣/١} قال : أجلُّ وإله يا رسول الله ! كانت أوَّلَ وقعة أوقعها الله بالمشركين ؛ فكان الإِثْخَانُ في القتل أعجَبَ إلى من استبقاه الرجال^(٥) .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدثني العباس بن عبد الله بن مَعْبُد ، عن بعض أهله ، عن ابن عباس ،

(١) ما يضحك ربك ، أي ما يرضيه غاية الرضا .

(٢) ابن هشام ٢ : ٦٨ ، ٦٩ . (٣) أحنه : أهلكه .

(٤) يريد أنه حكم على نفسه بهذا الدعاء ، وانظر اللسان (فتح) .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٠٩ ، والأغاغي ٤ : ١٩٣ ، ١٩٤ .

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يومئذ : إني قد عرفت أن رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهًا ، لا حاجة لهم بقتالنا ، فمن لقي منكم أحدًا من بني هاشم فلا يقتله ، ومن لقي أبا البختري بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب عم رسول الله فلا يقتله ؛ فإنه إنما أخرج مستكرهًا .

قال : فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة : أقتلُ آبائنا وأبنائنا وإخواننا وعشيرتنا ، ونترك العباس ! والله لئن لقيته لألحيمته^(١) السيف . فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل يقول لعمر بن الخطاب : يا أبا حفص ، أما تسمع إلى قول أبي حذيفة ، يقول : أضرب وجه عم رسول الله بالسيف ! فقال عمر : يا رسول الله ، دعني فلا أضرب^(٢) عنقه بالسيف ؛ فوالله لقد نافقت .

قال^(٣) عمر : والله إنه لأوّل يوم كنتاني فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٣٢٤/١

بأبي حفص -

قال : فكان أبو حذيفة يقول : ما أنا بأمين من تلك الكلمة التي قلت يومئذ ، ولا أزال منها خائفًا إلا أن تكفرها عن الشهادة . فقتل يوم اليامة شهيدًا .

قال : وإنما نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أبي البختري ؛ لأنه كان أكفّ القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ، كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه ؛ وكان ممن قام في نقض الصحيفة التي كتبت قريش على بني هاشم وبني المطلب ، فلقيه المُجَذَّر بن زياد البلوي ، حليف الأنصار من بني عدى ، فقال المجذّر بن زياد لأبي البختري : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهي عن قتلك - ومع أبي البختري زميل^(٤) له خرج معه من مكة ، وهو جنادة بن مَلَيْحَة بنت زُهَيْر بن الحارث بن أسد ، وجنادة رجل من بني لَيْث . واسم أبي البختري العاص بن هشام

(١) لألحيمته ، أي لألحقن لحمه بالسيف ولا خالطه . وقال ابن هشام : « ويقال : لألحيمته بالسيف » ، أي لأضربه به في وجهه .

(٢) و : « فلا أضرب » ، وكذلك في ابن هشام .

(٣) كذا في ابن هشام ، وفي ط : « فقال » .

(٤) الزميل : الذي يركب مع صاحبه على بعير واحد .

ابن الحارث بن أسد - قال : وزميلي ؟ فقال : المجذّر : لا والله ما نحن بشاركي زميلك ؛ ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلاّ بك وحدك ، قال : لا والله إذا ، لأموستن أنا وهو جميعاً ؛ لاتحدث عني نساء قريش من أهل مكة أننى تركت زميلي حراً على الحياة . فقال أبو البخري حين نازله المجذّر ، وأبى إلاّ القتال ، وهو يرتجز :

لَنْ يُسْلِمَ ابْنُ حُرَّةٍ أَكِيلَةَ حَتَّى يَمُوتَ أَوْ يَرَى سَبِيلَهُ
فاقتلا ، فقتله المجذّر بن ذباد .

قال : ثم أتى المجذّر بن ذباد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : والذّي بعثك بالحق ، لقد جهدتُ عليه أن يستأسرَ فأتيك به ؛ فأبى إلاّ القتال ، فقاتلته فقتلته^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، قال . وحدثني أيضاً عبد الله بن أبي بكر ، وغيرهما ، عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : كان أمية بن خلف لي صديقاً بمكة - وكان اسمي عبد عمرو ، فسميت حين أسلمت : « عبد الرحمن » ، ونحن بمكة - قال : فكان يلقياني ونحن بمكة ، فيقول : يا عبد عمرو ، أرغبت عن اسم سمّاكته أبوك ؟ فأقول . نعم ، فيقول : فإني لا أعرف « الرحمن » ؛ فاجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به ؛ أما أنت فلا تجعلني باسمك الأول ، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف . قال : فكان إذا دعاني : « يا عبد عمرو » ، لم أجبه ، فقلت : اجعل بيني وبينك يا أبا عليّ ما شئت ، قال : فأنت « عبد الإله » ، فقلت : نعم ، فكنت إذا مررت به قال : يا عبد الإله ، فأجيبه ، فأتحدث معه ؛ حتى إذا كان يوم بدر ، مررت به وهو واقف مع ابنه عليّ بن أمية ، أخذاً بيده ، ومعى أذراع قد استلبتها ، فأنا أحملها . فلما رأيته^(٢) قال : يا عبد عمرو ! فلم أجبه ،

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٩ ، ١٧ ، والأغاني ٤ : ١٩٤ ، ١٩٥ .

(٢) م : « رأى ذلك » .

فقال : يا عبد الإله ، قلت : نعم ، قال : هل لك فيّ ، فأنا خير لك من هذه الأذراع التي معك ؟ قال : قلت : نعم ، هلمّ إذاً^(١) . قال : فطرحْتُ الأذراع من يدي وأخذت بيده ويد ابنه عليّ ، وهو يقول : ما رأيتُ كالיום قطاً ! أما لكم حاجة في اللبن !^(٢) قال : ثم خرجت أمشي بهما^(٣) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني عبد الواحد بن أبي عون ، عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : قال لي أمية بن خلف وأنا بينه وبين ابنه ، آخذٌ بأيديهما : يا عبد الإله ، من الرجل منكم ، المعلم بريشة نعامة في صدره ؟ قال : قلت : ذاك حمزة بن عبد المطلب ، قال : ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل ! قال عبد الرحمن : فوالله إنني لأقودهما إذ رآه بلال معي — وكان هو الذي يعذب بلالا بمكة على أن يترك الإسلام فيخرجهُ إلى رَمَضاء^(٤) مكة إذا حميت ، فيضجيه على ظهره ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول : لا تزالُ هكذا حتى تفارقَ دين محمد ، فيقول بلال : أحدٌ أحدٌ — فقال بلال حين رآه : رأس الكفر أمية ابن خلف ، لا نجوتُ إن نجوتُ^(٥) ، قال : قلت : أي بلال ، أسيرى^(٦) ! قال : لا نجوتُ إن نجوا . قال : قلت : تسمع^(٧) يا بن السوداء ! قال : لا نجوتُ إن نجوا ، ثم صرخ بأعلى صوته : يا أنصارَ الله ، رأس الكفر أمية ابن خلف ، لا نجوتُ إن نجا ! قال : فأحاطوا بنا ، ثم جعلونا في مثل المسكة^(٨)

(١) ابن هشام : « ها الله ذا » ، وما تنبيه ، وذا إشارة إلى نفسه .

(٢) قال ابن هشام : « يريد بالبن ، أن من أسرف اقتديت منه بإبل كثيرة اللبن » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٠ ، ٧١ ، والأغاني ١٤ : ١٩٦ ، ١٩٧ .

(٤) الرمضاء : الرمل الحار من الشمس .

(٥) في ابن هشام : « لا نجوت إن نجا » .

(٦) ابن هشام : « أبأ سري » .

(٧) ابن هشام : « اتسع » والتسمع : التشهير .

(٨) في مثل المسكة ، أي جعلونا في حلقة كالسوار وأحلقوا بنا .

وَأَنَا أَذُبُّ عَنْهُ^(١) ، قَالَ : فَضْرِبْ رَجُلٌ ابْنَهُ فَوْقَ . قَالَ : وَصَاحَ أُمِّيَّةٌ صَاحَةً مَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهَا قَطً . قَالَ : قُلْتُ : أُنَجِّ بِنَفْسِكَ ، وَلَا نَجَاءَ ، فَوَاللَّهِ مَا أَغْنَى عَنْكَ شَيْئًا . قَالَ : فَهَبْرُوهُمَا^(٢) بِأَسْيَافِهِمْ حَتَّى فَرَّغُوا مِنْهَا .
 قَالَ : فَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَقُولُ : رَحِمَ اللَّهُ بِلَالًا ! ذَهَبَتْ أَدْرَاعِي وَفَجَعَنِي بِأَسِيرِي^(٣) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، أَنَّهُ حَدَّثَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ ، قَالَ : أَقْبَلْتُ أَنَا وَابْنُ عَمِّ لِي حَتَّى أَصْعَدَنَا فِي جَبَلٍ يُشْرِفُ بِنَا عَلَى بَدْرٍ ، وَنَحْنُ مُشْرِكُونَ ، نَنْتَظِرُ الْوَقْعَةَ عَلَى مَنْ تَكُونُ الدَّبْرَةُ ، فَتَنْتَهِبُ مَعَنَا مِنْ يَنْتَهِبُ . قَالَ : فَبَيْنَا نَحْنُ فِي الْجَبَلِ ؛ إِذْ دَنَتْ مِنَّا سَحَابَةٌ ، فَسَمِعْنَا فِيهَا حَمَمَةَ الْخَيْلِ ، فَسَمِعْتُ قَائِلًا : ١٣٢٨/١
 يَقُولُ : أَقْدِمُ حَيَزُومَ^(٤) . قَالَ : فَأَمَّا ابْنُ عَمِّي فَانْكَشَفَ قِنَاعَ قَلْبِهِ فَمَاتَ مَكَانَهُ ؛ وَأَمَّا أَنَا فَكِدْتُ أَهْلِكَ ، ثُمَّ تَمَاسَكَتُ^(٥) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي أَبِي إِسْحَاقَ بْنُ يَسَّارٍ ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي مَازَنَ بْنِ النَّجَّارِ ، عَنْ أَبِي دَاوُدَ الْمَازَنِيِّ - وَكَانَ شَهِيدَ بَدْرٍ - قَالَ : إِنِّي لِأَتَّبِعُ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ لِأَضْرِبَهُ ، إِذْ وَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ سَيْفِي ، فَعَرَفْتُ أَنَّ قَدْ قَتَلَهُ غَيْرِي .

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ الْمِصْرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ^(٦) ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْإِسْكَدَرَانِيُّ عَنْ الْعَلَاءِ بْنِ

(١) فِي ابْنِ هِشَامٍ بَعْدَهَا : «وَقَالَ : فَأَخْلَفَ رَجُلٌ السَّيْفَ ؟» وَيُقَالُ : أَخْلَفَ الرَّجُلُ السَّيْفَ ، إِذَا سَلَهُ مِنْ غَدَاةٍ .

(٢) هَبْرُوهُمَا : قَطَعُوهُمَا . (٣) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٢ : ٧١ ، وَالْأَغَاثِيُّ ٤ : ١٩٧ ، ١٩٨ .

(٤) قَالَ أَبُو ذَرٍّ الْخَفِيُّ . «قَالَ ابْنُ سِرَاجٍ : أَقْدِمُ ، كَلِمَةً تَزْجُرُ بِهَا الْخَيْلُ ، وَحَيَزُومُ اسْمُ فَرَسٍ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَيُقَالُ فِيهِ : جَبْرُومُ» .

(٥) ابْنُ هِشَامٍ ٢ : ٧١ ، وَالْأَغَاثِيُّ ٤ : ١٩٨ .

(٦) هُوَ يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْبُكَيْرِ .

كثير ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن المِسْوَر بن مخزّمة ، عن أبي أمامة ابن سَهْل بن حُصَيْف ، قال : قال لى أبى : يا بُنى ، لقد رأيتُنا يوم بدر ، وإنّ أحدنا ليشيرُ بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف^(١) .

حدثنا ابنُ حُمَيْد ، قال : حدثنا سَلَمَة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدثني الحسن بن عُمارة ، عن الحكم بن عتيبة ، عن مِقْسَم مولى عبد الله بن الحارث ، عن عبد الله بن عباس ، قال : كانت سيماء الملائكة يوم بدر عمام أيضاً قد أرسلوها في ظهورهم ، ويوم حنين عمام حمراء ، ولم تقا تل الملائكة في يوم من الأيام سوى يوم بدر . وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عُدَدًا ومدَدًا لا يضربون^(٢) .

حدثنا ابنُ حُمَيْد ، قال : حدثنا سَلَمَة ، قال : قال محمد : وحدثني ثور بن زيد مولى بني الدَّيْل ، عن عِكْرَمَة مولى ابنِ عَبَّاس ، عن ابن عَبَّاس قال : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، قال : كان مُعَاذ بن عمرو بن الجَمُوح أخو بني سَلَمَة يقول : لما فرغ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من عدوه ، أمر بأبي جهل أن يلتصق في القتلى ، وقال : اللهم لا يعجزتك ، قال : فكان أول مَنْ لقيَ أبا جهل معاذ بن عمرو بن الجموح ، قال : سمعت القوم وأبو جهل في مثل الحرجة^(٣) وهم يقولون : أبو الحكم لا يُخلّص إليه . فلما سمعتها جعلته من شأني ، فصمّدت نحوه ، فلما أمكنني حملتُ عليه فضربتة ضربة أطنت^(٤) قدّمه بنصف ساقه ، فوالله ما شبّهتها حين طاحت إلا النواة تطيح^(٥) من تحت مِرْصَعة^(٦) النوى حين يُضرب بها .

(١) الأغاني ٤ : ١٩٩ .

(٢) ابن هشام ٢ : ٢٨٦ ، والأغاني ٤ : ١٩٩ .

(٣) قال ابن هشام : « الحرجة الشجر الملتف ، وفي الحديث ، عن عمر بن الخطاب أنه سأل عن الحرجة فقال : هي شجرة من الأشجار لا يوصل إليها » .

(٤) أطنت قسه : أطارتها .

(٥) تطيح : تذهب .

(٦) المرصعة : التي يدق بها النوى للطف .

قال : وضربني ابنه عِكْرَمَة على عاتقي ، فطرح يدي ، فتعلقت بجلدة من جنبي ، وأجهضني^(١) القتال عنه ؛ فلقد قاتلت عامة يوبي ، وإني لأسحبها خلفي ؛ فلما آذني جعلت عليها رجلي ، ثم تمطيت بها ، حتى طرحتها .

قال : ثم عاش معاذ بعد ذلك ، حتى كان في زمن عثمان بن عفان . قال : ثم مرّ بأبي جهل - وهو عقير^(٢) - معوذ بن عفراء ، فضربه حتى أثبتته^(٣) ، فتركه وبه رمق ؛ وقاتل معوذ حتى قُتل ، فمرّ عبد الله بن مسعود بأبي جهل حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلتبس في القتلى ، وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني : انظروا إن خفي عليكم في القتل إلى أثر جرح بركيته ؛ فإني ازدحمت أنا وهو يوماً على مأدبة لعبد الله ابن جُدعان ؛ ونحن غلامان ؛ وكنت أشف منه ببسر ؛ فدفعته ، فوقع على ركبتيه ، فمَجُحِش^(٤) في إحداهما جَحْشًا لم يزل أثره فيه بعد . قال عبد الله بن مسعود : فوجدته بأخر رمي ، ففرقته ، فوضعت رجلي على عنقه . قال : وقد كان ضَبَّت^(٥) بي مرة بمكة ، فأذاني ولكزني . ثم قلت : هل أخزأك الله يا عدو الله ! قال : وبما ذا أخزائي ! أعمد من رجل قتلتموه^(٦) ! ١٣٣١/١ أخبرني من الدبرة ؟ [اليوم]^(٧) قال : قلت : لله ولرسوله^(٨) .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق : وزعم رجال من بني مخزوم أن ابن مسعود ، كان يقول : قال لي أبو جهل : لقد ارتقيت يا رومي الغنم مرتقي صعباً ؛ ثم احتزرت رأسه ؛ ثم جثت به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ، هذا رأس عدو الله

(١) أجهضني : غلبني واشتد علي . (٢) العقير : المجروح .

(٣) أثبتته : جرحه جراحة لا يتحرك معها .

(٤) مجش : خدش .

(٥) ضبت ، قال ابن هشام : « قبض عليه ولزمه » .

(٦) يقال : أعمد من رجل قتلته قومه ، أي أعجب ، قال أبو عبيد : معناه هل زاد على سيد قتلته قومه !

أي أن هذا ليس بمار . (٧) من الأغاني . (٨) سيرة ابن هشام ٧١ : ٢ ، والأغاني ٤ : ٢٠١ ، ٢٠٢ .

أبى جهل ، قال : فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : آله الذى لا إله غيره^(١) — وكانت يمينُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلَّم — قال : قلتُ : نعم ؛ والله الذى لا إله غيره ، ثم أَلقيتُ رأسه بين يدي رسولِ الله صلى الله عليه وسلَّم . قال : فحمد الله^(٢) .

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ، قالت : لما أمر رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بالقتل أن يُطرحوا في القليب^(٣) طُرحوا فيه ؛ إلا ما كان من أمية بن خلف ؛ فإنه انتفض في دِرْعِه حتى ملأها ، فذهبوا ليحرقوه ، فتزايَل^(٤) فأقروه ، وألقوا عليه ما غيَّبه من التراب والحجارة ، فلما ألقاهم في القليب ، وقف رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم عليهم ، فقال : يا أهلَ القليب ، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًّا ! فإني وجدتُ ما وعدني ربي حقًّا . فقال له أصحابه : يا رسولَ الله ، أتكلّم قوماً موتى ! قال : لقد علموا أن ما وعدتهم حقٌّ ، قالت عائشة : والناس يقولون : «لقد سمعوا ما قلت لهم» ، وإنما قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : «لقد علموا»^(٥) .

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق . قال : وحدثني حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : سمع أصحاب رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم من جوف الليل : يا أهلَ القليب ، يا عبئة بن ربيعة ، يا شبة بن ربيعة ، يا أمية بن خلف ، يا أبى جهل بن هشام — فعدَّدَ مَنْ كان معهم في القليب : هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًّا ؛ فإني قد وجدتُ ما وعدني

(١) قال السجستاني : « الله الذى لا إله إلا هو » ، هو بالخفض عند سيويه وغيره ؛ لأن الاستفهام عوَضَ عن الخافض عنده .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٢ ، والأغاني ٤ : ٢٠١ .

(٣) القليب : البئر .

(٤) تزايَل : تفرق .

(٥) ابن هشام ٢ : ٧٤ ، والأغاني ٤ : ٢٠١ ، ٢٠٢ .

ربِّي حقًّا ! قال : المسلمون : يا رسولَ الله ؛ أتنادى قومًا قد جَئَوا^(١) ! فقال : ما أنتم بأسمَحَ لما أقولُ منهم ؛ ولكنَّهم لا يستطيعون أن يجيبوني^(٢) .

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سَلَمَة ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحدَّثني بعضُ أهلِ العلم ، أن رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يوم قال هذه المقالة : قال : يا أهلَ القَلْبِيب ، بشس عشيْرة النَبِيِّ كَتَمَ لِنَبِيِّكُمْ ! كَذَبْتُمُونِي وَصَدَقْتَنِي النَّاسَ ، وَأَخْرَجْتُمُونِي وَأَوَّلَى النَّاسَ ، وَقَاتَلْتُمُونِي وَنَصَرْتَنِي النَّاسَ . ثُمَّ قال : هل وجدتم ما وعدكم ربُّكم حقًّا ؟ للمقالة التي قال . قال : ولا أمر بهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أن يُلقَوا في القَلْبِيب ، أَخَذَ عَتَبَةَ بْنِ رِيعة ١٣٣٣/١ فَصَحِبَ إِلَى القَلْبِيب ، فَظَنَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيمَا بَلَغَنِي - فِي وَجْهِ أَبِي حَذِيفَةَ بْنِ عَتَبَةَ ؛ فَإِذَا هُوَ كَثِيبٌ قَدْ تَغَيَّرَ ، فَقَالَ : يَا أَبَا حَذِيفَةَ ؛ لَعَلَّكَ دَخَلْتَ مِنْ شَأْنِ أَبِيكَ شَيْءًا - أَوْ كَمَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ يَا نَبِيَّ اللهِ ، مَا شَكَكْتُ فِي أَبِي وَلَا فِي مَصْرَعِهِ ؛ وَلَكِنِّي كُنْتُ أَعْرِفُ مِنْ أَبِي رَأْيًا وَحِلْمًا وَفَضْلًا ؛ فَكُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَهْدِيَهُ ذَلِكَ إِلَى الْإِسْلَامِ ؛ فَلَمَّا رَأَيْتُ مَا أَصَابَهُ ، وَذَكَرْتُ مَا مَاتَ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ بَعْدَ الَّذِي كُنْتُ أَرْجُو لَهُ ، حَزَنَتْنِي ذَلِكَ ، قَالَ : فَدَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ بِخَيْرٍ ، وَقَالَ لَهُ خَيْرًا .

ثم إن رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلم أمر بما في العسكر ممَّا جَمَعَ الناسَ فَجَمَعَ ؛ فَاخْتَلَفَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِ ، فَقَالَ مَنْ جَمَعَهُ : هُوَلْنَا ؛ قَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَتَلَ كُلَّ امْرِئٍ مَا أَصَابَ ، فَقَالَ الَّذِينَ كَانُوا يِقَاتِلُونَ الْعَدُوَّ وَيَطْلُبُونَهُمْ : لَوْلَا نَحْنُ مَا أَصْبَتُمُوهُ ، لَنَحْنُ شَغَلْنَا الْقَوْمَ عَنْكُمْ حَتَّى أَصْبِتُمْ مَا أَصْبِتُمْ . فَقَالَ الَّذِينَ يَحْرُسُونَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِمَافَةَ أَنْ يَخَالِفَ إِلَيْهِ الْعَدُوُّ : وَاللَّهِ مَا أَنْتُمْ بِأَحَقَّ بِهِ مِنَّا ؛ لَقَدْ رَأَيْنَا أَنْ نَقْتُلَ الْعَدُوَّ إِذْ وَلَا نَأْتِي اللهَ ، وَمِنْحَنَا أَكْثَافَهُمْ ؛ وَلَقَدْ رَأَيْنَا أَنْ نَأْخُذَ الْمَتَاعَ

(١) جِيئُوا : أَي سَارُوا جِيئًا .

(٢) إِنْ هَذَا ٢ : ٧٤ ، وَالْأَغَانِي ٤ : ٢٠٢ .

حين لم يكن دونه مَنْ يَمْنَعُهُ ؛ ولكن خفنا على رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم كَرَّةَ الْعُلُوِّ ، فقمنا دونه ؛ فأنتم بأحقَّ به منَّا ^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال :
 ١٣٣٤/١ وحدَّثني عبد الرحمن بن الحارث وغيره من أصحابنا ، عن سليمان بن موسى الأشدقي ، عن مكحول ، عَنِ أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ، قال : سألت عبادة بن الصَّامِتَ عن الأنفال ، فقال : فينا معشر أصحاب بدر نزلت ؛ حين اختلفنا في النَّفْلِ ، وساءت فيه أخلاقنا ، فترعه الله من أيدينا ، فجعله إلى رسوله ، فقسَّمه رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم بين المسلمين عن بَوَاءٍ — يقول على السَّوَاءِ — فكان في ذلك تقوى الله ، وطاعة رسوله ، وصلاح ذات البين .

قال : ثمَّ بعث رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم عند الفتح عبدَ الله بن رواحة بشيرًا إلى أهل العالية بما فتح الله على رسوله صَلَّى الله عليه وسلم وعلى المسلمين ، وبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة .

قال أسامة بن زيد : فأنا الخبر حين سَوَّينا التَّرابَ على رِيقَةِ بنت رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم التي كانت عند عثمان بن عفان ، كان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم خلفني عليها مع عثمان .

قال : ثمَّ قدم زيد بن حارثة فجنته وهو واقف بالمصلَّى قَدَ غَشِيَهُ الناس وهو يقول : قُتِلَ عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وزمعة بن الأسود ، وأبو البَخَرِيِّ بن هشام ، وأميمة بن خلف ونيبه ومنبه ابنا الحجاج . قال : قلت : يا أبا هُرَيْرَةَ ! هذا ! قال : نعم والله يا بُنَيَّ . ثمَّ أقبل رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم قافلاً إلى المدينة ؛ فاحتمل معه النَّفْلَ الذي أصيب من المشركين ، وجعل على النَّفْلِ عبد الله بن كعب بن زيد ابن عوف بن مِزْدَلٍ بن عمرو بن مازن بن النَّجَّار . ثمَّ أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا خرج من مَضِيقِ الصَّفْرَاءِ ، نزل على كَثِيبٍ بين المَضِيقِ وبين النَّازِيَةِ — يقال له سَيَّرٌ — إلى سَرَحَةٍ به ، فقسَّم هنالك النَّفْلَ

(١) ابن هشام ٢ : ٧٤ - ٧٦ ، والأغانى ٤ : ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

الَّذِي أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى السَّوَاءِ ، وَاصْتَقَى لَهُ مِنْ مَاءٍ بِهِ يَقَالُ لَهُ الْأُرَوَاقُ .

ثم ارتحل رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالروحاء ، لقيهُ المسلمون يُهَنِّتُونَهُ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَمِعُوا مِنْهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ سَلَمَةُ بْنُ سَلَامَةَ بْنُ وَقْشٍ — كَمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، فَقَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، كَمَا حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ ، وَيزِيدُ بْنُ رِيَّانٍ : وَمَا الَّذِي تَهْنِئُونَ بِهِ ! فَوَاللَّهِ إِنْ لَقِينَا إِلَّا عَجَازَ صَلُوعًا كَالْبِدْنِ الْمُعْتَلَةِ ، فَنَحْرِنَاهَا . فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ : يَا بَنِي أَخِي ، أُولَئِكَ الْمَلَأُ^(١) . قَالَ : وَمَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَسَارَى مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَكَانُوا أَرْبَعَةً وَأَرْبَعِينَ أَسِيرًا ، وَكَانَ مِنَ الْقَتْلِ مِثْلُ ذَلِكَ — وَفِي الْأَسَارَى عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ — حَتَّى إِذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالصَّفْرَاءِ ، قَتَلَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ ، قَتَلَهُ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ قَالَ : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : كَمَا حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، قَالَ : ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِعَرْقِ الظُّبَيْيَةِ ، قَتَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ، فَقَالَ حِينَ أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقْتُلَ : فَنَاصِيَةً يَا مُحَمَّدُ ! قَالَ : النَّارُ ، قَالَ : فَقَتَلَهُ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ بَنِي أَبِي الْأَقْلَحِ الْأَنْصَارِيِّ ، ثُمَّ أَحَدَ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ .

قَالَ : كَمَا حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَمَّارٍ بْنُ يَاسِرٍ ، قَالَ : وَلَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَرْقِ الظُّبَيْيَةِ حِينَ قَتَلَ عُقْبَةَ لَقِيَهُ أَبُو هَنْدٍ مَوْلَى قُرْظَةَ بْنِ عَمْرِو الْبَيْتَاضِيِّ بِحَمِيَّتٍ مَمْلُوءَةٍ حَيْسًا^(٣) ، وَكَانَ قَدْ تَخَلَّفَ عَنْ بَدْرِ ، ثُمَّ شَهِدَ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

(١) الْمَلَأُ : الْأَشْرَافُ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٧ ، وَالْأَغَانِي ٤ : ٢٠٣ .

(٣) قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : الْحَمِيَّةُ : « الزَّقِّ . وَالْحَيْسُ : السَّمْنُ يَخْلُطُ بِالنَّعْرِ وَالْأَقْلَحُ » .

وكان حجّام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : إنما أبو هند امرؤٌ من الأنصار ، فأنكحوه وأنكحوا إليه ، ففعلوا . ثم مضى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى قدِم المدينة قبل الأسارى يوم^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زُرارة ، قال : قدِم بالأسارى حين قدِم بهم وسودة بنت زمعة زوج النبي صلّى الله عليه وسلّم عند آل عفرَاء في مساحتهم على عوف ومعوذ ابنتي عفرَاء . قال : وذلك قبل أن يضربَ عليهنّ الحجاب — قال : تقول سودة : والله إني لأعندهم إذ أتينا ، فقيل : هؤلاء الأسارى قد أتى بهم ، قالت : فرحّت إلى بيتي ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فيه ؛ وإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو في ناحية الحُجرة ، مجموعة يده إلى عنقه بحبل ، قالت : فوالله ما ملكتُ نفسي حين رأيتُ أبا يزيد كذلك أن قلت : يا أبا يزيد ، أعطيتم بأيديكم ، ألا متمّ كراما ! فوالله ما أنبهني إلا قولُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من البيت : يا سودة ، أعلى الله وعلى رسوله ! قالت : قلت : يا رسول الله ؛ والذي بعثك بالحق ما ملكتُ نفسي حين رأيتُ أبا يزيد مجموعة يده إلى عنقه بحبل أن قلت ما قلت^(٢) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني نُبَيْه بن وهب ، أخو بني عبد الدّار ، أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم حين أقبل بالأسارى فرّقهم في أصحابه ، وقال : استوصوا بالأسارى خيرا — قال : وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم ، أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الأسارى . قال : فقال أبو عزيز : مرّ بي أخي مصعب بن عمير ، ورجل من الأنصار يأسرني ، فقال : شدّ يدك به ؛

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٧ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٧ ، ٧٨ ، والأغاني ٤ : ٢٠٤ .

فإن أمه ذاتُ متاع ، لعلَّها أن تفتديَهُ منك . قال : وكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر ؛ فكانوا إذا قدَّموا غَداءَهُم وعشاءَهُم خصَّصُني ١٣٣٨/١ بالخبز ، وأكلوا التمر لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لإبراهيم بنا ، ما تقع في يد رجل منهم كسرة من الخبز إلا نفخني بها . قال : فأستحي ، فأردَّها على أحدهم فإردَّها عليَّ ما يَمَسُّها ^(١) .

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : وكان أولُ مَنْ قدم مكة بمُصَّاب قريش الحِيسْمَان بن عبد الله بن إياس ابن ضُبَيْعة بن مازن بن كعب بن عمرو الخزاعي — قال أبو جعفر : وقال الواقدي : الحِيسْمَان بن حابس الخزاعي — قالوا : ما وراءك ؟ قال : قُتِل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمّية بن خلف ، وزمعة بن الأسود ، وأبو البختري بن هشام ونُبَيْه ومنبه ابنا الحجاج . قال : فلما جعل يعدُّ أشراف قريش ، قال صَفْوَان بن أمّية وهو قاعد في الحجر : والله إن يعقل هذا فسلُّوه عني ، قالوا : ما فعل صفوان بن أمّية ؟ قال : هو ذاك جالسا في الحجر ، وقد والله رأيتُ أباه وأخاه حين قُتِلَا ^(٢) .

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : حدَّثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، قال : قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت غلاماً للعبّاس بن عبد المطلب ، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت ، وأسلمت أم الفضل وأسلمت ، وكان العبّاس يهاب قومه ، ويكره أن يخالفهم ، وكان يكتم إسلامه ، وكان ذا مال كثير متفرّق في قومه ، وكان أبو لهب عدو الله قد تخلف عن بدر ، وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة وكذلك صنعوا ، لم يتخلف رجل إلّا بعث مكانه رجلاً ، فلما جاء الخبر عن مُصَّاب أصحاب بدر من قريش ، كبتَه الله وأخزاه ، ووجدنا في أنفسنا قوّة وعزّاً .

قال : وكنت رجلاً ضعيفاً ، وكنت أعمل القِداح ، أنحتُها في حَجْرَةٍ
 نَزَم ، فَوَاقَهُ إِنِّي لَجَالِسٍ فِيهَا أَنْحَتِ الْقِدَاح ، وَعِنْدِي أُمُّ الْفَضْلِ جَالِسَةٌ ،
 وَقَدْ سَرَّنا مَا جَاءَنَا مِنَ الْخَبَرِ ، إِذْ أَقْبَلَ الْقَاسِقُ أَبُو لَهَبٍ يَجْرُ رَجُلِيهِ بَشْرًا ،
 حَتَّى جَلَسَ عَلَى طُنْبُ الْحَجَرَةِ ، فَكَانَ ظَهْرُهُ إِلَى ظَهْرِي ؛ فَبَيْنَا هُوَ جَالِسٌ
 إِذْ قَالَ النَّاسُ : هَذَا أَبُو سَفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَدْ قَدِمَ . قَالَ :
 فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ : هَلَمْ إِلَى يَا بَنَ أَخِي ؛ فَعِنْدَكَ الْخَبَرُ . قَالَ : فَجَلَسَ إِلَيْهِ ،
 وَالنَّاسُ قِيَامٌ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : يَا بَنَ أَخِي ، أَخْبِرْنِي ؛ كَيْفَ كَانَ أَمْرُ النَّاسِ ؟
 ١٣٤٠/١ قَالَ : لَا شَيْءَ ، وَاللَّهِ إِنْ كَانَ إِلَّا أَنْ لَقِينَاهُمْ ، فَحَنَاهُمْ أَكْثَفًا ، يَقْتُلُونَنَا
 وَيَأْسِرُونَ كَيْفَ شَاءُوا ؛ وَابِمُ اللَّهِ مَعَ ذَلِكَ مَا لُمْتُ النَّاسَ ؛ لَقِينَا
 رِجَالًا بَيْضًا عَلَى خَيْلٍ بُلْتُقٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؛ مَا تَلِيْقُ^(١) شَيْئًا وَلَا يَقُومُ
 لَهَا شَيْءٌ . قَالَ أَبُو رَافِعٍ : فَرَفَعْتُ طُنْبُ^(٢) الْحَجَرَةِ يَدِي ، ثُمَّ قُلْتُ : تِلْكَ
 الْمَلَانِكَةُ . قَالَ : فَرَفَعَ أَبُو لَهَبٍ يَدَهُ فَضْرَبَ وَجْهِي ضَرْبَةً شَدِيدَةً ، قَالَ :
 فَثَاوَرْتُهُ^(٣) ، فَاحْتَمَلَنِي ، فَضْرَبَ بِي الْأَرْضَ ثُمَّ بَرَكَ عَلَى يَضْرِبِي - وَكَنتُ رِجُلًا
 ضَعِيفًا - فَقَامَتْ أُمُّ الْفَضْلِ إِلَى عَمْرُودٍ مِنْ عُمُدِ الْحَجَرَةِ ، فَأَخَذَتْهُ فَضْرَبَتْهُ بِهِ
 ضَرْبَةً فَشَجَّتْ^(٤) ، فِي رَأْسِهِ شَجَّةٌ مَنْكَرَةٌ ، وَقَالَتْ : تَسْتَضَعِفُهُ أَنْ غَابَ عَنْهُ سَيِّدُهُ !
 فَقَامَ مَوْلِيًا ذَلِيلًا ، فَوَاقَهُ مَا عَاشَ إِلَّا سَبْعَ لَيَالٍ حَتَّى رَمَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْعَدَسَةِ^(٥)
 فَقَتَلَتْهُ ، فَلَقَدْ تَرَكَهُ ابْنَاهُ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا مَا يَدْفَنَانِهِ حَتَّى أَنْتَنَ فِي بَيْتِهِ - وَكَانَتْ
 قَرِيشٌ تَتَّقِي الْعَدَسَةَ وَعَدَّوَتْهَا كَمَا يَتَّقِي النَّاسُ الطَّاعُونَ - حَتَّى قَالَ لَهَا
 رَجُلٌ مِنْ قَرِيشٍ : وَيَحْكُمَا ! أَلَا تَسْتَحْيَانِ أَنْ أَبَاكُمَا قَدْ أَنْتَنَ فِي بَيْتِهِ
 لَا تَقْيَبَانِ ! فَقَالَا : إِنَّا نَخْشَى هَذِهِ الْقَرْحَةَ ، قَالَ : فَانْطَلِقَا فَأَنَا مَعَكُمَا ،
 فَمَا غَسَلُوهُ إِلَّا قَذْفًا بِالْمَاءِ عَلَيْهِ مِنْ بَعِيدٍ ، مَا يَمْسُونُهُ ، ثُمَّ احْتَمَلُوهُ فَدَفَنُوهُ بِأَعْلَى
 ١٣٤١/١ مَكَّةَ إِلَى جِدَارٍ ، وَقَذَفُوا عَلَيْهِ الْحِجَارَةَ حَتَّى وَارَوْهُ^(٦) .

(١) مَا تَلِيْقُ : مَا تَلِيْقُ . (٢) طُنْبُ الْحَجَرَةِ : طَرَفُهَا .

(٣) ثَاوَرْتُهُ : وَثَبْتُ إِلَيْهِ .

(٤) كُنَّا فِي الْأَغَاثِ ، وَفِي ط : « فَلَقْتُ » .

(٥) الْعَدَسَةُ : قَرْمَةٌ قَاتِلَةٌ كَالطَّاعُونَ .

(٦) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٢ : ٧٨ ، ٧٨ ، وَالْأَغَاثِيُّ ٤ : ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد ، عن بعض أهله ، عن عبد الله ابن عباس ، قال : لما أمسى القوم من يوم بدر ، والأسارى محبسون في الوثاق ، بات رسول الله صلى الله عليه وسلم ساهراً أول ليلة ، فقال له أصحابه : يا رسول الله ، مالك لا تنام ! فقال : سمعت تضور العباس في وثاقه ، قال : فقاموا إلى العباس فأطلقوه ، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فحدثني الحسن بن عمار ، عن الحكم بن عتيبة بن مقسم ، عن ابن عباس ، قال : كان الذي أسر العباس أبو اليسر كعب بن عمرو أخو بني سلمة ، وكان أبو اليسر رجلاً مجموعاً ، وكان العباس رجلاً جسيماً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي اليسر : كيف أسرت العباس يا أبا اليسر ؟ فقال : يا رسول الله ، لقد أعانني عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده ، هيته كذا وكذا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أعانك عليه ملك كريم^(٢) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدثني يحيى بن عباد ، عن أبيه عباد ، قال : ناحت قريش على قتلاهم ، ثم قالوا : لا تفعلوا فيلنح ذلك محمد وأصحابه ، فيشمت^(٣) بكم ، ولا تبعثوا في فداء أسراكم حتى تستأنوا بهم^(٤) ، لا يتأرب^(٥) عليكم محمد وأصحابه في الفداء^(٥) .

(١) الأغاني ٤ : ٢٠٦ .

(٢) سيرة ابن هشام والأغاني : « فيشتروا » .

(٣) حتى تستأنوا بهم : أي توغروا فداهم ، وفي الأغاني : « حتى تيسروا » .

(٤) يتأرب : يتأرب ويتشدد . وفي السيرة واللسان - مادة أرب : « لا يأرب » ، وأرب : تشدد .

(٥) سيرة ابن هشام ٧٩ ، والأغاني ٤ : ٢٠٦ .

قال : وكان الأسود بن عبد المطلب ^(١) قد أصيب له ثلاثة من ولده : زمنة بن الأسود ، وعقيل بن الأسود ، والحارث بن الأسود ، وكان يجب أن يبكي على بنيه ؛ فبينما هو كذلك ؛ إذ سمع نائحة من الليل ، فقال للغلام له وقد ذهب بصره : انظر هل أحلّ النحب ؟ هل بكى قريش على قتلاهما ؟ لعلني أبكي على أبي حكيمة - معنى زمنة - فإن جئني قد احترق ! قال : فلما رجع إليه الغلام ، قال : إنما هي امرأة تبكي على بعير لها أضلته . قال : فذلك حين يقول :

أَتَبْكِي أَنْ يَضِلَّ لَهَا بَعِيرٌ وَيَمْنَعُهَا مِنَ النَّوْمِ الشُّهُودُ ^(٢) ١٣٤٣/١
فَلَا تَبْكِي عَلَى بَكْرِ وَلَكِنْ عَلَى بَدْرِ تَقَاصَرَتِ الْجُدُودُ ^(٣)
عَلَى بَدْرِ سَرَاةِ بَنِي هُصَيْنٍ وَخَزُومٍ وَرَهْطِ أَبِي الْوَلِيدِ ^(٤)
وَبَكِّي إِنْ بَكَيتِ عَلَى عَقِيلٍ وَبَكِّي حَارِثًا أَسَدَ الْأُسُودِ ^(٥)
وَبَكِّيهِمْ وَلَا تَسْمِي ^(٦) جَسِيمًا فَمَا لِأَبِي حَكِيمَةٍ مِنْ نَدِيدٍ
أَلَا قَدْ سَادَ بَدَنُهُمْ رِجَالٌ وَلَوْ لَا يَوْمٌ يَدْرِي لَمْ يَسُودُوا ^(٧)

قال : وكان في الأسارى أبو وداعة بن ضبييرة السهمي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن له ابناً تاجراً كياً ذا مال ؛ وكأنكم به قد جاءكم في فداء أبيه ! قال : فلما قالت قريش : لا تعجلوا في فداء أسرائكم لا يتأرب ^(٨) عليكم محمد وأصحابه ، قال المطلب بن أبي وداعة - وهو الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى - : صلقتم ، لا تعجلوا بفداء أسرائكم .

(١) كذا في السيرة ؛ وهو الموافق لما في حسانة أبي تمام والاشتقاق لابن دريد ٩٤ ، وفي ط : « ابن عبد يفيث » .

(٢) حسانة أبي تمام - بشرح التبريزي ٢ : ٣٤٠ ، ٣٤١ .

(٣) البكر : الفتى من الإبل . تقاصرت الجلود ، أي تواضعت المخطوط .

(٤) سرادة : جمع سري ؛ وهو السيد الكريم .

(٥) بكاء بالتضمين ، ككاء الخفف .

(٦) لا تسمى غفف ؛ لا تسمى .

(٧) قال ابن هشام : « هذا إقراء » .

(٨) سيرة ابن هشام : « لا يتأرب » .

ثم أنسل من الليل ، فقدم المدينة ، فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم ، ثم انطلق به ، ثم بعث قريش في فداء الأسارى ، فقدم ميكرب بن حفص ابن الأخيف في فداء سهيل بن عمرو ، وكان الذي أسر ه مالك بن الدخشم ، أخو بني سالم بن عوف ، وكان سهيل بن عمرو أعلم^(١) من شقته السقلى^(٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق :

فحدثني محمد بن عمرو بن عطاء بن عياش^(٣) بن علقمة ، أخو بني عامر بن لؤي ، أن عمر بن الخطاب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله انتزع ثيبتى سهيل بن عمرو السقليتين يدلع^(٤) لسانه ، فلا يقوم عليك خطيبا في موطن أبدا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا أمثل به فيمثل الله بي ، وإن كنت نبيا .

قال : وقد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر في هذا الحديث : إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تدعه ، فلما قاوم فيه ميكرب ، وانتهى إلى رضاهم ، قالوا : هات الذي لنا . قال : اجعلوا رجلى مكان رجله ، واخلوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه . قال : فخلوا سبيل سهيل ، وجسوا ميكربا مكانه عندهم^(٥) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب حين انتهى به إلى المدينة : يا عباس ، افد نفسك وابني^(٦) أخيك عقیل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث ، وحليفك عتبة بن عمرو بن جحشم ، أخا بني الحارث بن فهر ؛ فلنك ذو مال .

(١) الأعل : المشقوق الشفة العليا ؛ وأما المشقوق الشفة السفلى ؛ فهو الأفلح .

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٧٩ ، ٨٠ ، والأغاني ٤ : ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

(٣) ط : « عباس » ، والصواب ما أثبتته ، وانظر كتب التراجم .

(٤) يدلع : يخرج .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٨٠ .

(٦) الأغاني : « ابن » .

فقال : يا رسول الله ؛ إني كنتُ مُسْلِمًا ؛ ولكنَّ القوم استكروني ، فقال :
الله أعلم بإسلامك ؛ إن يكن ما تذكر حقًّا فالله يعجزك به ، فأما ظاهرُ
أمرك فقد كان علينا ، فافد نفسك - وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
قد أخذ منه عشرين أوقية من ذهب - فقال العباس : يا رسول الله ، احسبها
لي في فدائي ، قال : لا ؛ ذاك شيء أعطناه الله عزَّ وجلَّ منك ، قال : فإنه
ليس لي مال . قال : فأين المال الذي وضعتَه بمكة حيث خرجتَ من عند
١٣٤٥/١ أم الفضل بنت الحارث ، ليس معكما أحد . ثم قلتُ لها : إن أصبتُ في
سفري هذا فللفضل كذا وكذا ، ولعبد الله كذا وكذا ، ولقُشَم كذا وكذا ،
ولعبد الله كذا وكذا ! . قال : واللَّهِ بعثك بالحقِّ ما علمَ هذا أحد
غبري وغيرها ؛ وإني لأعلم أنك رسول الله ، ففدَى العباس نفسه وإبني^(١)
أخيه وحليفه^(٢) .

حدثنا ابنُ حميد ؛ قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد ،
قال : وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، قال : كان
عمرو بن أبي سفيان بن حرب - وكان لابنة عُمَيَّة بن أبي مُعَيْط - أسيرًا في
يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسارى بدر ، فقيل لأبي سفيان :
أفدِ عَمْرًا ، قال : أجمع على دى ومالى ! قتلوا حَنَظَلَةَ وأفدى
عمرا ! دَعَوْهُ في أيديهم يمسكوه ما بدا لهم . قال : فبينما هو كذلك محبوسٌ
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرج سعدُ بن التَّعَمَان بن أكَال ،
أخو بني عمرو بن عوف ، ثم أخذ بني معاوية معتمرًا ، ومعه مَرَّة^(٣) له ؛
وكان شيخًا كبيرًا مسلمًا في غنم له بالنتيع^(٤) ؛ فخرج من هنالك معتمرًا ؛
ولا يخشى الذي صنَّع به ؛ لم يظن أنه يُحبَس بمكة ؛ إنما جاء معتمرًا ؛

(١) الأغاني : « وابن أخيه » .

(٢) الأغاني ٤ : ٢٠٧ .

(٣) مرة ، تصغير امرأة .

(٤) م : « البقيع » ، والصواب ما في ط والسيره ؛ والنتيع : موضع قرب المدينة ، والبقيع :
موضع داخل المدينة ؛ والأول هو المراد .

وقد عهد قريشا لا تعترض لأحد حاجًا أو معتمرًا إلا بخير ؛ فعدا عليه ١٣٤٦/١
أبو سفيان بن حرب ، فحبسه بمكة بانه عمرو بن أبي سفيان ، ثم قال
أبو سفيان :

أَرْهَطَ ابْنُ أَكَّالٍ أَجَبِيئًا دُعَاءَهُ تَعَاقَدْتُمْ لَا تُنْصِلُوا السَّيِّدَ الْكَهْلًا^(١)
فَإِنَّ بَنِي عَمْرٍو لَنَامٌ أَذِلَّةٌ لَنْ لَمْ يَفُكُوا عَنْ أَسِيرِهِمُ الْكَبَلَا

قال : فشى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فأخبروه خبره ، وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفكوا شيخهم ؛
ف فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعثوا به إلى أبي سفيان ، فخلى
سبيل سعد .

قال : وكان في الأسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن
عبد شمس^(٢) ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، زوج ابنته زينب ، وكان
أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالا وأمانة وتجارة ، وكان له بنت خويلد
[وكانت]^(٣) خديجة خالته ، فسألت خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يزوجه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخالفها ؛ وذلك قبل
أن ينزل عليه ، فزوجه ؛ فكانت تعد به منزلة ولدها ؛ فلما أكرم الله عز وجل
رسوله بنبوته آمنت به خديجة وبناته ، فصداقته وشهدته^(٤) أن ما جاء
به هو الحق ؛ ودين دينه ؛ وثبت أبو العاص على شريكه .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد زوج عتبة بن أبي لهب
إحدى ابنتيه رقية أو أم كلثوم ؛ فلما بادی قريشا بأمر الله عز وجل
وباعده^(٥) ، قالوا : إنكم قد فرغتم محمداً من همه ؛ فردوا عليه بناته ، فاشغلوه
بهن ، فمشوا إلى أبي العاص بن الربيع ، فقالوا له : فارق صاحبك ؛ ونحن

(١) كذا في السيرة ، و ، وفي ط : « تعاقدم » .

(٢) قال ابن هشام : « أسره خراش بن الصمة ، أحد بني حرام » .

(٣) من ابن هشام .

(٤) م : « وشهدت » .

(٥) ابن هشام : « بالعداوة » .

نزولك أي امرأة شئت من قريش ، قال : لا ها الله إذا ؛ لأفارق صاحبتني وما أحب أن لي بامرأتى امرأة من قريش ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينشئ عليه في صهره خيراً - فيما بلغني .

قال : ثم مشوا إلى الفاسق ابن الفاسق ، عتبة بن أبي لهب ، فقالوا له : طلق ابنة محمد ونحن نزولك أي امرأة من قريش شئت ؛ فقال : إن زوجتموني ابنة أبان بن سعيد بن العاص ، أو ابنة سعيد بن العاص فارقتهما . فزوجوه ابنة سعيد بن العاص وفارقها ، ولم يكن عدو الله دخل بها ، فأخرجها الله من يده كرامة لها ، وهواناً له ؛ فخلف عليها عثمان بن عفان بعده ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل بمكة ولا يحرم مغلوباً على أمره ، وكان الإسلام قد فرق بين زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسلمت وبين أبي العاص بن الربيع ؛ إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يقدر على أن يفرق بينهما ؛ فأقامت معه على إسلامهم وهو على شركه ؛ حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما سارت قريش إلى بدر سار فيهم أبو العاص بن الربيع ؛ فأصيب في الأسارى يوم بدر ، وكان بالمدينة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم ، بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء أبي العاص ابن الربيع بمال ، وبعثت فيه بقلادة لما كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها .

قالت : فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رقى لها رقعة شديدة ، وقال : إن رأيتم أن تطلقوها أسيرها وتردوها عليها الذي لها فافعلوا ! فقالوا : نعم يا رسول الله ، فأطلقوه وردوها عليها الذي لها .

وكان رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم قد أخذَ عليه - أو وعدَ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم - أن يخلّيَ سبيلَ زينبَ إليه ، أو كان فيما شرطَ عليه في إطلاقه ؛ ولم يظهر ذلك منه ولا من رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، فيعلم ما هو ! إلاَّ أنَّه لما خرج أبو العاص إلى مكَّة وخُلّيَ سبيلُه ، بعث رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم زيدَ بن حارثةَ ورجلاً من الأنصار مكانه ، فقال : كونا ببطن يأجج ؛ حتى تمرَّ بكما زينب فتصحبها ، حتى تأتياي بها ، فخرجتا مكانهما ؛ وذلك بعد بلر بشهر أو شيعه^(١) . فلما قدِم أبو العاص مكَّة أمرها بالحق بأبيها ؛ فخرجت تجهز^(٢) .

فحدثنا ابنُ حُميد قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني عبدُ الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، قال : حدثت عن زينب أنَّها قالت : بينا أنا أتجهزُ بمكَّة للحق بأبي ، لقيتني هند بنت عتبة ، فقالت : أى ابنة محمد^(٣) ؛ ألم يبلغنني أنَّك تريدن للحق بأبيك ! قالت : قلت : ما أردتُ ذلك ، قالت : أى ابنة عمي ، لا تفعل ؛ إن كانت لك حاجة بمتاع مما يرفقُ بك في سفرك ، أو بما لا تبلغن^(٤) به إلى أبيك ، فإنَّ عندي حاجتك فلا تضطني^(٥) مني ؛ فإنَّه لا يدخل بين النساء ما يدخل بين الرجال . قالت : والله ما أراها قالت ذلك إلاَّ لتفعل . قالت : ولكني خفتُها ، فأنكرتُ أن أكون أريد ذلك ، وتجهزت .

فلما فرغت ابنةُ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم من تجهيزها قدِم لها حموها كِنانة بن الربيع أخو زوجها بعيراً فركبته ، وأخذ قوسه وكنانته ، ثم خرج بها نهاراً يقود بها ، وهى فى هودج لها . وتحدث بذلك رجال قريش ،

(١) شيعه : قريب منه .

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام : ٢ : ٨١ .

(٣) سيرة ابن هشام : « يا بنت محمد » .

(٤) سيرة ابن هشام : « تبلغين » .

(٥) لا تضطني : لا تسحق ، وأصله الهز ؛ يقال : اضطأنت المرأة : استحييت ؛

فحلفت الهززة تخفياً .

فخرجوا في طلبها حتى أدركوها بذي طوى ، فكان أول مَنْ سبق إليها
هَبَّار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى ونافع بن عبد القيس ،
والقهري^(١) . فروعها هَبَّار بالرمح وهي في هودجها - وكانت المرأة حاملا ؛ فيما
يزعمون - فلما رجعت طرحت ذا بطنها ، وبورك حَمُوهَا ، ونثر كنانته ثم
قال : والله لا يذنبو منى رجلٌ إلّا وضعت فيه سهما ، فتكركر^(٢) النَّاسُ عنه ،
وأثاء أبو سفيان في جِلَّة قريش ، فقال : أيُّها الرجل ، كفَّ عنا نَبْلُكَ
حتى نكلّمك ، فكفَّ . فأقبل أبو سفيان حتّى وقف عليه ، فقال : إنَّك
لم تُصِبْ ، خرجتِ المرأة على رموس الرجال علانية ، وقد عرفت مصيبتنا
ونكبتنا وما دخل علينا من محمد ، فيظنّ الناس إذا خُرج بابتته علانية من
بين أظهرنا أن ذلك عن ذلّ أصابنا عن مصيبتنا ، ونكبتنا التي كانت ، وأنّ
ذلك منا ضعفٌ وهنٌ ؛ لَمَسْمَرِي ما لنا حاجة في حبسها عن أبيها ، وما لنا في
ذلك من ثورة^(٣) ؟ ولكن أرجع المرأة ، فإذا هدا الصوت ، وتحدّث النَّاسُ
أنا قد ردناها ، فسَلَّها سرّاً فألحِقَها بأبيها^(٤) . ففعل حتى إذا هدا الصوتُ
خرج بها ليلا ؛ حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبِه ، فقدِمَا بها على
رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

١٣٥٠/١

قال : فأقام أبو العاص بمكّة ، وأقامت زينبُ عند رسول الله صلّى الله
عليه وسلّم بالمدينة ، قد فرّق بينهما الإسلام ، حتى إذا كان قبيل الفتح خرج
تاجراً إلى الشام - وكان رجلاً مأموناً بمال له ، وأموال رجال من قريش أبضعوها
معه - فلما فرغ من تجارته - وأقبل قافلاً ؛ لقيته سريّة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فأصابوا ما معه ، وأعجزهم حرباً ، فلما قدِمَت السريّة بما أصابوا
من ماله ، أقبل أبو العاص تحت الليل ؛ حتى دخل على زينب بنت رسول الله

(١) ط : « القهري » . ٤ . وما أثبتته من الروض الأنف . قال السهيلي : « قال : سبق
إليها هبار بن الأسود ، والقهري ، ولم يسم ابن إسحاق القهري ، وقال ابن هشام : هو نافع بن
عبد قيس ، وفي غير السيرة أنه خالد بن عبد قيس » .

(٢) تكركر النَّاسُ عنه : رجعوا وانصرفوا .

(٣) الثورة : طلب الثأر .

(٤) م : « بأهلها » .

صلَّى الله عليه وسلم ، فاستجار بها ، فأجارته في طلب ماله ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصُّبْح - فحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : كما حدثني يزيد بن رومان - فكَبَّرَ وكَبَّرَ الناس معه ، صرخت زينب من صُفَّة^(١) النساء : أيها الناس ، إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع . فلما سلَّم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم من الصلاة ، أقبل على الناس ، فقال : أيُّها النَّاسُ ، هل سمعتم ما سمعت ! قالوا : نعم ، قال : أما وَالَّذِي نفس محمد بيده ، ما علمت بشيء كان حتى سمعت منه ما سمعتم ؛ إنه يجيز على المسلمين أذناهم . ثم انصرف رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فدخل على ابنته ، فقال : أي بنية أكرى مثواه ولا يخلص إليك ، فإنك لا تحلين له^(٢) .

١٣٥١/١

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدثني عبدُ الله بن أبي بكر ، أن رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بعث إلى السريَّة الذين أصابوا مال أبي العاص ، فقال لهم : إن هذا الرَّجُلُ منَّا حيث قد علمتم ، وقد أصبتم له مالا ، فإن تحسنوا تردوا عليه الذي له ؛ فإننا نحب ذلك ؛ وإن أبيتم فهو فتيء الله الذي أفاءه عليكم ؛ فأنتم أحق به . قالوا : يا رسولَ الله ، بل نردّه عليه !

قال : فردّوا عليه ماله حتى إن الرَّجُلَ ليأتي بالحبل^(٣) ، ويأتي الرَّجُلَ بالشَّنة^(٤) والإداوة^(٥) ؛ حتى إن أحدهم ليأتي بالشَّظاظ^(٦) ؛ حتى ردّوا عليه ماله بأسره ؛ لا يفقد منه شيئا . ثم احتمل إلى مكّة ، فأدّى إلى كل ذي مال من قريش

(١) الصفة : السقفة .

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام ٨٢ : ٨٣ .

(٣) ابن هشام : « الدلو » .

(٤) الشنة : السقاء البالي .

(٥) الإداوة : إناء صغير من جلد .

(٦) الشظاظ : خشبة عفاها تدخل في حرة الجوالق ، وأجمع أشطه .

ماله ممن كان أبْضَعَ معه، ثم قال : يا معشر قريش ؛ هل بقي لأحد منكم عندى مال لم يأخذه ؟ قالوا : لا فجزاك الله خيراً ؛ فقد وجدناك وفيّاً كريماً ، قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله ؛ والله ما منعى من الإسلام عنده إلا تخوفاً أن تظنوا أننى إنما أردت أكل أموالكم ؛ فلما أداها الله إليكم ، وفرغت منها أسلمت . ثم خرج حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سامة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فحدثني داود بن الحصين ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، عن عبد الله بن عباس ، قال : ردّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بالنكاح الأول ، ولم يحدث شيئاً بعد ست سنين^(١) .

• • •

حدثنا ابن حُميد ، قال حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : قال محمد بن إسحاق ، حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : جلس عُمير بن وهب الجُمحى مع صفوان بن أمية بعد مصاب أهل بدر من قريش ببسير في الحِجْر - وكان عُمير بن وهب شيطاناً من شياطين قريش ، وكان ممن يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ويلقون منه عناء وهم بمكة ، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر - فذكر أصحاب القليب ومصائبهم ، فقال صفوان : والله إنّ في العيش خير بعدهم ، فقال عُمير : صدقت والله ! أما والله لولا دين على ليس له عندى قضاء وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى ، لركبت إلى محمد حتى أقتله ، فإنّ لى قبيلهم علّة ، ابنى أسير في أيديهم .

فاغتمها صفوان بن أمية ، فقال : على دينك أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالى وأوسيتهم ما بقوا ، لا يسعنى شيء ويعجز عنهم ، قال عمر : فاكتم على شأنك وشأنك : قال : أفعل .

قال : ثمَّ إنَّ عُميراً أمرَ بسيفه فشحذَ له وسماً ، ثمَّ انطلقَ حتَّى قدِمَ المدينة ، فبينما عمرُ بن الخطابُ في نفرٍ من المسلمين في المسجد يتحدَّثون عن يوم بدر ، ويذكرون ما أكرمهم الله عزَّ وجلَّ به ، وما أراهم في عدوِّهم ، إذ نظر عمرُ إلى عُمير بن وهب حين أفاخ بعيره على باب المسجد ، متوشحاً السيف ، فقال : هذا الكلبُ عدوُّ الله عُمير بن وهب ، ما جاء إلا لشرٍّ ! وهو الذي حرَّش^(١) بيتنا ، وحزَّرتا^(٢) للقوم يوم بدر . ثمَّ دخل عمرُ على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فقال : يا نبيَّ الله ، هذا عدوُّ الله عُمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه ، قال : فأذخِله عليَّ .

قال : فأقبل عُمير حتَّى أخذ بحمالة سيفه في عنقه ، فلبَّه بها ، وقال لرجال ممَّن كان معه من الأنصار : ادخلوا على رسول الله صلَّى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده ، واحذروا هذا الخبيث عليه ، فإنه غير مأمون . ثمَّ دخل به على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم .

فلما رآه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وعمرُ آخذ بحمالة سيفه ، قال : أرسله يا عمر ، اذْنُ يا عُمير ، فدنا ثمَّ قال : أنعموا صباحاً - وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم - فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : قد أكرمنا الله بتحيةٍ خير من تحيتك يا عُمير ، بالسلام تحية أهل الجنة ، قال : أما والله يا محمد إن كنت لحديث عهد بها . قال : ما جاء بك يا عُمير ؟ قال : جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم ، فأحسنوا فيه . قال : فما بالُ السيف في عنقك ! قال : قُبِحها الله من سيوف ! وهل أغنت شيئاً ! قال : اصدُقني بالذي جئتَ له ، قال : ما جئتُ إلا لذلك ، فقال : بلى ، قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر ، فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثمَّ قلت : لولا دين عليَّ وعيالي لخرجتُ حتَّى أقتلَ محمداً ، فتحملَ لك صفوان بدينك وعيالك ، على أن تقتلني له . والله عزَّ وجلَّ حائلٌ بيني وبينك . فقال عُمير : أشهدُ أنك رسولُ الله ؛ قد كنَّا يا رسولَ الله نكذبُك بما كنت

١٣٥٤/١

(١) حرَّش : أفسد .

(٢) الحزرتا : تقديرُ اللد تسميته .

تأتينا به من خير السماء ، وما ينزل عليك من الوحي ؛ وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ؛ فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله ؛ فالحمد لله الذي هداني للإسلام ، وساقني هذا المساق . ثم تشهد شهادة الحق ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ففقهوا أخاكم في دينه ، وأقرئوه وعلموه القرآن ، وأطلقوا له أسيره .

قال : ففعلوا ، ثم قال : يا رسول الله : إني كنت جاهداً في إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله ؛ وإنني أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعهم إلى الله وإلى الإسلام ؛ لعل الله أن يهديهم ؛ وإلا أذيتهم في دينهم كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم .

قال : فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلهق بمكة ، وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب يقول لقريش : أبشروا بوقعة تأتاكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر ، وكان صفوان يسأل عنه الركبان ؛ حتى قدم راكباً فأخبره بإسلامه ، فحلف ألا يكلمه أبداً ولا ينفعه بنفع أبداً . فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام ، ويؤذي من خالفه أذى شديداً فأسلم على يديه أناس كثير^(١) .

• • •

فلما انقضى أمر بدر ، أنزل الله عز وجل فيه من القرآن الأنفال بأسرها . حدثنا أحمد بن منصور ، قال : حدثنا عاصم بن علي ، قال : حدثنا عكرمة بن عمار ، قال : حدثنا أبو زُمَيْل ، قال : حدثني عبد الله بن عباس ؛ حدثني عمر بن الخطاب ، قال : لما كان يوم بدر التقوا ، فهزم الله المشركين ، فقتل منهم سبعون رجلاً ، وأسیر سبعون رجلاً ، فلما كان يومئذ شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعلياً وعمر ، فقال أبو بكر : يا نبي الله ، هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان ؛ فإني أن تأخذ منهم القديّة ؛ فيكون ما أخذنا منهم قوة ، وعسى الله أن يهديهم ،

١٣٥٠/١

فيكونوا لنا عَصْدًا . فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : ما ترى يا بن الخطاب ؟ قال : قلتُ : لا والله ، ما أرى الذي رأى أبو بكر ، ولكني أرى أن تمكَّنِي من فلان فأضربَ عنقه ، وتمكَّنَ حمزة من أخ له فيضربَ عنقه ، وتمكَّنَ عليًّا من عَقِيل فيضربَ عنقه ، حتى يعلم الله أن ليس في قلوبنا هَوَادَةٌ للكُفَّار ، هؤلاء صناديدهم وقادتهم وأئمتهم .

قال : فهوى رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ما قال أبو بكر ، ولم يهوَ ما قلت أنا ، فأخذ منهم الفداء ، فلمَّا كان الغدُ قال عمر : غدوتُ إلى النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم وهو قاعدٌ وأبو بكر ، وإذا هما يبكيان ، قال : قلت : يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك ؟ فإن وجدتُ بكاءً بكيتُ ، وإن لم أجِدْ تبأكيتُ لبُكائكما . فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : للذي عرض على أصحابك من الفداء . لقد عُرِضَ على عذابكم أدنى من هذه الشجرة - لشجرة قرية - وأنزل الله عزَّ وجلَّ : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ إلى قوله : ﴿ فِيمَا أَخَذْتُم عَذَابَ عَظِيمٍ ﴾ ^(١) ؛ ثم أحلَّ لهم الفنائم .

فلمَّا كان من العام القابل في أحد عَوَاقِبِها بما صنعوا ، قُتِلَ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعون ، وأسر سبعون ، وكسرت رباعيتهُ وهُشِمَتِ البَيْضَةُ على رأسه ، وسال الدم على وجهه ، وفرَّ أصحابُ النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم ، وصعلوا الجبل ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ هذه الآية : ﴿ أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْ أَلَيْسَ هَذَا الَّذِي قُلْتُمْ إِلَى قَوْلِهِ : ١٣٥/١ ﴾ ^(٢) ، ونزلت هذه الآية الأخرى : ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلَوْنَهَا عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ مِنْ بَدِ الْقَمَرِ أَمَنَةً ﴾ ^(٣) .

(١) سورة الأنفال ٦٧

(٢) سورة آل عمران ١٦٥

(٣) سورة آل عمران ١٥٤ ، ١٥٤

• حدثني سلم بن جُنادة ، قال : حدثنا أبو معاوية ، قال : حدثنا الأعمش ، عن عمرو بن مُرّة ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، قال : لما كان يوم بدر ، وجاء بالأمرى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تقولون في هؤلاء الأسرى ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله ، قومك وأهلك ، استبقيهم واستأنهم ؛ لعل الله أن يتوب عليهم . وقال عمر : يا رسول الله كذبوك وأخرجوك ، قدّمهم فضرّب أعناقهم . وقال عبد الله بن رَوَاحه : يا رسول الله ، انظر وادياً كثير الحطب فأدْخِلْهم فيه ، ثم أضرمه عليهم ناراً . قال : فقال له العباس : قطعنك رحيمك ! قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يُجِبهُم ، ثم دخل ، فقال ناس : يأخذ بقول أبي بكر ، وقال ناس : يأخذ بقول عمر ، وقال ناس : يأخذ بقول عبد الله بن رَوَاحه ، ثم خرج عليهم رسول الله ، فقال : إن الله عز وجل ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللين^(١) ؛ وإن الله ليشد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة ؛ وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم ، قال : ﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَافِرٌ رَحِيمٌ ﴾^(٢) ، ومثلك يا أبا بكر ، مثل عيسى ، قال : ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^(٣) ومثلك يا عمر مثل نوح ، قال : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾^(٤) ، ومثلك كمثل موسى ، قال : ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْمَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾^(٥) . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتم اليوم عائلة فلا يفلتن منهم أحدٌ إلا بغياء أو ضرب عتق ؛ قال عبد الله بن مسعود : إلا سهيل ابن بيضاء ؛ فإن سمعته يذكر الإسلام . فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

١٣٥٧/١

(١) م : « اللين » .

(٢) سورة إبراهيم ٣٦

(٣) سورة المائدة ١١٨

(٤) سورة نوح ٢٦

(٥) سورة يونس ٨٨

فَارَأَيْتُنِي فِي يَوْمٍ أَخُوفٌ أَنْ تَقَعَ عَلَيَّ الْحِجَارَةُ مِنَ السَّمَاءِ مَتَى فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، حَتَّى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِلَّا سَهِيلَ بْنَ بَيْضَاءِ »
 قَالَ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ مَا كَانَ لَنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثْبِتَنَّ فِي الْأَرْضِ . . . ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ الثَّلَاثِ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُلَيْمَةُ ، قَالَ : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ :
 لَمَّا نَزَلَتْ - يَعْنِي هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ مَا كَانَ لَنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى ﴾ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَوْ نَزَلَ عَذَابٌ مِنَ السَّمَاءِ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ إِلَّا سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ ، لِقَوْلِهِ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، كَانَ الْإِثْمَانُ فِي الْقَتْلِ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ اسْتِيقَاءِ الرِّجَالِ .

• • •

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَكَانَ جَمِيعُ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، وَمَنْ ضَرَبَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَهْمِهِ وَأَجْرُهُ ثَلَاثَةُ ثَمَانِينَ رَجُلًا فِي قَوْلِ ابْنِ إِسْحَاقَ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُلَيْمَةُ ، عَنْهُ : وَجَمِيعُ مَنْ شَهِدَ مِنَ الْأَوْسِ مَعَهُ وَمَنْ ضَرَبَ لَهُ بِسَهْمِهِ وَاحِدٌ وَثَمَانُونَ رَجُلًا . وَجَمِيعُ مَنْ شَهِدَ مَعَهُ مِنَ الْخَزَرَجِ مِائَةً وَسَبْعِينَ رَجُلًا فِي قَوْلِ ابْنِ إِسْحَاقَ ، وَجَمِيعُ مَنْ اسْتَشْهَدَ ١٣٥٨/١
 مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا ، سِتَّةً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَثَمَانِيَةَ مِنَ الْأَنْصَارِ .

وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ - فِيمَا زَعَمَ الْوَاقِدِيُّ - تِسْعَمِائَةً وَخَمْسِينَ مَقَاتِلًا ؛ وَكَانَتْ خَيْلُهُمْ مِائَةً فَرَسٍ .

وَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ جَمَاعَةَ اسْتَصْغَرَهُمْ - فِيمَا زَعَمَ الْوَاقِدِيُّ - فَهُمْ فِيمَا زَعَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، وَرَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ ، وَالْبِرَاءُ بْنُ عَازِبٍ ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَأُسَيْدُ بْنُ ظُهَيْرٍ ، وَعُمَيْرُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ ثُمَّ أَجَازَ عُمَيْرًا بَعْدَ أَنْ رَدَّهَ فَقَتَلَ يَوْمَئِذٍ .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث قبل أن يخرج من المدينة
طلحة بن عبيد الله ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، إلى طريق الشام
يتحسّان الأخبار عن العير ، ثم رجعا إلى المدينة ، فقد ماها يوم وقعت
بدر ، فاستقبلا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتربّان ؛ وهو منحدر من
بدر يريد المدينة .

• • •

قال الواقدي : كان خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة في
ثلثمائة رجل وخمسة ، وكان المهاجرون أربعة وسبعين رجلا ، وسائرهم من
الأنصار ، وضرب لثمانية بأجورهم وسهمانهم : ثلاثة من المهاجرين ؛ أحدهم
عثمان بن عفان كان تخلف على ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مات ،
وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد ، كان بهما يتحسّان الخبر عن
العير ، وخمسة من الأنصار : أبو لبابة بشير بن عبد المنذر ؛ خلفه على
المدينة ، وعاصم بن عدي بن العجلان ؛ خلفه على العالية ، والحارث بن
حاطب ؛ رده من الروحاء إلى بني عمرو بن عوف لشيء بلغه عنهم ، والحارث
ابن الصمة ؛ كسير بالروحاء ، وهو من بني مالك بن النجار ، وخوات بن جبير ،
كسر من بني عمرو بن عوف . قال : وكانت الإبل سبعين بعيرا ، والخيول فرسين :
فرس للمقداد بن عمرو ، وفرس لمروث بن أبي مرثد .

• • •

قال أبو جعفر : وروى عن ابن سعد ، عن محمد بن عمر ، عن محمد بن
هلال ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : ورثي رسول الله صلى الله عليه وسلم
في أثر المشركين يوم بدر مصلحتا السيف ، يتلو هذه الآية :
(سَبِّحْهُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ) ^(١) .

قال : وفي غزوة بدر انتفض رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه ذا الفقار ،

وكان لمُنْبَتَه بن الحجاج .

قال : وفيها غم جَمَلْ أَبَى جَهْلٍ ؛ وكان مَهْرِيًّا يغزو عليه ويضرب في لِقَاحِهِ .

• • •

قال أبو جعفر : ثم أقام رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بالمدينة ، مُنْصَرَفَهُ من بدر ، وكان قد وادع حين قدم المدينة يهودَها ؛ على أن لا يُعِينُوا عليه أحدًا ؛ وأتته إن دَهَمَهُ بها عَدُوٌّ نصره . فلمَّا قَتَلَ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم مَنْ قَتَلَ بيدر من مشركي قريش ، أظهروا له الحسدَ والبغى ، وقالوا : لم يلق محمدٌ من يُحَسِّنُ القتال ؛ ولو لقيتَا لاقى عندنا قتالًا لا يشبهه قتال أحد ؛ وأظهروا نقضَ العهد .

• • •

غزوة بني قينقاع

فحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : كان من أمر بني قينقاع ، أن رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم جمعهم ١٣٦٠/١ بسوق بني قينقاع ، ثم قال : يا معشر اليهود ، احذروا من الله عز وجل مثل ما نزل بقريش من النقمة ، وأسلموا ؛ فإنكم قد عرفتم أني نبيُّ مُرْسَلٌ تجلون ذلك في كتابكم ؛ وفي عهد الله إليكم . قالوا : يا محمد ؛ إنك ترى أنا كقولك لا يفرنك أنك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ؛ إنا والله لئن حاربنا لتعلمن أنَّا نحن الناس ^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أن بني قينقاع كانوا أولَ يهود نقضوا ما بينهم وبين رسولِ الله صلى الله عليه وسلَّم ، وحاربوا فيما بين بدر وأحد .

فحدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر :

(١) سيرة ابن هشام : ١ : ١٢٠ .

عن محمد بن عبد الله ، عن الزهري ، أن غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى القينقاع كانت في شوال من السنة الثانية من الهجرة .

قال الزهري عن عروة : نزل جبريلُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية : ﴿ وَإِنَّمَا تَخَافْنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾ ^(١) ، فلما فرغ جبريل عليه السلام من هذه الآية ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني أخاف من بني قينقاع ، قال عروة : فسار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية .

قال الواقدي : وحدثنني محمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسَ عشرة ليلة لا يطلعُ منهم أحد . ثم نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكُتِفُوا وهو يريد قتلهم ، فكلَّمهم فيه عبد الله بن أبي .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه ، فقام إليه عبد الله بن أبي بن سَكُول حين أمكنه الله منهم ، فقال : يا محمد ، أحسن في موالى — وكانوا حلفاء الخزرج — فأبطلأ عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، أحسن في موالى ، فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم . قال : فأدخل يده في جيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسلني ، وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسلني ، وبحك أرسلني ! قال : لا والله لا أرسلك حتى تحسن إلى موالى . أربعمائة حاسروا ثلاثمائة دارع قد منعوني من الأسود والأحمر ؛ تحصدهم في غداة واحدة ! وإني والله لا آمن وأخشى الدوائر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هم لك ^(٢) .

(١) سورة الأنفال ٥٨ .

(٢) ابن هشام « غلا » ، وما جمع غلة ، وهي السحابة ، استمارها لتغير الوجه عند الغضب .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٠ ، ١٢١ .

قال أبو جعفر : وقال محمد بن عمر في حديثه عن محمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : خلّوهم لعنهم الله ولعنه معهم ! فأرسلوهم . ثم أمر بإجلالهم ، وغنم الله عز وجل رسوله والمسلمين ما كان لهم من مال - ولم تكن لهم أرضون ؛ إنما كانوا صاغية - فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم سلاحاً كثيراً وآلة صياغتهم ؛ وكان الذي ولي إخراجهم من المدينة بذراريهم عبادة بن الصامت ، فضى بهم حتى بلغ بهم دباب^(١) ؛ وهو يقول : الشرف الأبعد ، الأقصى فالأقصى ! وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر .

١٣٦٢/١

* * *

قال أبو جعفر : وفيها كان أول خميس ختمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسلام ؛ فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم صفيّة^(٢) والخميس وسهمه ، وقص^(٣) أربعة أخماس على أصحابه ، فكان أول خميس قبضه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بنى قينقاع لواء أبيض ، مع حمزة بن عبد المطلب ، ولم تكن يومئذ رايات . ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وحضرت الأضحى ؛ فذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى وأهل اليسر من أصحابه ، يوم العاشر من ذي الحجة ، وخرج بالناس إلى المصلّى فصلّى بهم ، فذلك أول صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس بالمدينة بالمصلّى في عيد ، وذبح فيه بالمصلّى يده شاتين - وقيل ذبح شاة .

قال الواقدي : حدثني محمد بن الفضل ، من ولد رافع بن خديج ، عن أبي مبشر ، قال : سمعت جابر بن عبد الله ، يقول : لما رجعنا من بنى قينقاع ضحينا في ذي الحجة صبيحة عشر ، وكان أول أضحي رآه

(١) ط : « ذباب » ، وانظر الفهرس وياقوت . (٢) الصق : سهم الرئيس من الفئمة .

(٣) يقال : قص الشيء على القوم ؛ أي فرقه وقسمه عليهم .

المسلمون ، وذبحنا في بني سليمة فعدت في بني سلمة سبع عشرة أضحية .

• • •

قال أبو جعفر : وأمّا ابن إسحاق فلم يوقت لغزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي غزاها بني قينقاع وقتاً ، غير أنه قال : كان ذلك بين غزوة السيوف وخروج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة يريد غزو قريش ؛ حتى بلغ بني سليم وبسحران ، معدّين بالحجاز من ناحية الفرع ^(١) .

وأما بعضهم ، فإنه قال : كان بين غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرًا الأولى وغزوة بني قينقاع ثلاث غزوات وسريّة أسراها . وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم إنمّا غزاهم لتسع ليالٍ خلكون من صفر من سنة ثلاث من الهجرة ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا بعد ما انصرف من بدر ، وكان رجوعه إلى المدينة يوم الأربعاء لثمانٍ ليالٍ يقين من رمضان ، وأنه أقام بها بقية رمضان . ثم غزا قرقرة الكدّر حين بلغه اجتماع بني سليم وغطفان ؛ فخرج من المدينة يوم الجمعة بعد ما ارتفعت الشمس ، غرة شوال من السنة الثانية من الهجرة إليها .

١٣٦٣/١

وأما ابن حميد ، فحدثنا عن سلمة ، عن ابن إسحاق ، أنه قال : لما قدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر إلى المدينة ، وكان فراغه من بدر في عقب شهر رمضان - أو في أول شوال - لم يقيم بالمدينة إلا سبع ليالٍ ؛ حتى غزا بنفسه يريد بني سليم ، حتى بلغ ماء من مياههم ؛ يقال له الكدّر ، فأقام عليه ثلاث ليالٍ ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً ، فأقام بها بقية شوال وذا القعدة ، وفدى في إقامته تلك جبل الأسارى من قريش ^(٢) .

وأما الواقدي ، فزعم أن غزوة النبي صلى الله عليه وسلم الكدّر كانت في المحرم من سنة ثلاث من الهجرة ، وأن لواءه كان يحمله فيها علي بن

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٠ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ١١٩ .

أبي طالب ، وأنه استخلف فيها ابن أم مكتوم المَعِصِيَّ على المدينة .
وقال بعضهم : لمّا رجع النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم من غزوة الكُدُر
إلى المدينة ، وقد ساق النّعم والرّعاء ولم يلق كيداً . وكان قلوبهم منها - فيما
١٣٦٤/١ زعم - لعشر خلكون من شوال ، بعث غالب بن عبد الله الليثي يوم الأحد
لعشر ليال مضيين من شوال إلى بني سليم وعطفان في سرية ، فقتلوا فيهم ، وأخذوا
النّعم ، وانصرفوا إلى المدينة بالغنيمة يوم السبت ، لأربع عشرة ليلة بقيت من
شوال ، واستشهد من المسلمين ثلاثة نفر ، وإنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم
أقام بالمدينة إلى ذى الحجة ، وإنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم غزا يوم
الأحد لسبع ليال بقيت من ذى الحجة غزوة السّويق .

• • •

غزوة السّويق

قال أبو جعفر : وأما ابنُ إسحاق ، فإنه قال في ذلك ما حدّثنا ابنُ
حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابنِ إسحاق ، قال : لمّا رجع رسولُ
الله صلّى الله عليه وسلّم من غزوة الكُدُر إلى المدينة ، أقام بها بقيةَ شوال
من سنة اثنتين من الهجرة ، وذا القعدة . ثم غزا أبو سفيان بن حرب غزوة
السّويق في ذى الحجة . قال : ووكّيت تلك الحجة المشركون من تلك
السنة^(١) .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن محمد بنِ إسحاق ،
عن محمد بنِ جعفر بن الزبير ويزيد بن رومان ومن لا أتهم ، عن عبيد الله
ابن كعب بن مالك - وكان من أعلم الأنصار - قال : كان أبو سفيان بن
حرب حين رجع إلى مكّة ، ورجع قتل^(٢) قريش إلى مكّة من بدر ، نذّر
ألاّ يمسّ رأسه ماء من جَنَابَة حتى يغزوَ محمداً . فخرج في مائتي راكب
١٣٦٥/١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١١٩ .

(٢) الفلّ : القوم المنهزون .

من قريش ، ليُسِّرَ يمينه ، فسلك النَجْدِيَّةَ حَتَّى نَزَلَ بِصَلُورٍ قَتَاةً إِلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ تَيْتٌ ، مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى بَرِيدٍ أَوْ نَحْوِهِ . ثُمَّ خَرَجَ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى أَتَى بَنِي النَّضِيرِ تَحْتَ اللَّيْلِ ، فَأَتَى حُيَيَّ بْنَ أَخْطَبٍ ، فَضَرَبَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَأَبَى أَنْ يَفْتَحَ لَهُ وَخَافَهُ ، فَأَبَى فَأَنْصَرَفَ إِلَى سَلَامِ بْنِ مِشْكَمٍ - وَكَانَ سَيِّدَ النَّضِيرِ فِي زَمَانِهِ ذَلِكَ ، وَصَاحِبَ كَثَرِهِمْ ^(١) - فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ فَأَذْنَلَهُ فَقَرَأَ وَسَقَاهُ ، وَبَطَّنَ ^(٢) لَهُ خَبَرَ النَّاسِ ، ثُمَّ خَرَجَ فِي عَقِيبِ لَيْلَتِهِ ؛ حَتَّى جَاءَ أَصْحَابَهُ ، فَبِعَثَ رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَأَتَوْا نَاحِيَةَ مِنْهَا يُقَالُ لَهَا الْعُرَيْضُ ، فَحَرَقُوا فِي أَصْوَارِ ^(٣) مِنْ تَخَلَّ لَهَا ، وَوَجَدُوا رِجَالًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَحَلِيفًا لَهُ فِي حَرِثٍ لَهَا فَقَتَلُوهُمَا ثُمَّ انْصَرَفُوا رَاجِعِينَ ؛ وَتَذَرَّ بِهِمُ النَّاسَ ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَلَبِهِمْ ، حَتَّى بَلَغَ قَرْقَرَةَ الْكُدَّرِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَاجِعًا ، وَقَدْ فَاتَهُ أَبُو سَفْيَانَ وَأَصْحَابُهُ ، وَقَدْ رَأَوْا مِنْ مَزَادِ الْقَوْمِ مَا قَدْ طَرَحُوهُ فِي الْحَرِثِ ؛ يَتَخَفَّقُونَ مِنْهُ لِلنَّجَاةِ . فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ حِينَ رَجَعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنْطَمِعَ أَنْ تَكُونَ لَنَا غَزْوَةً ؟ قَالَ : نَعَمْ ^(٤) .

وقد كان أبو سفيان قال وهو يتجهز خارجًا من مكة إلى المدينة أبياتًا من شعر يُحَرِّضُ قُرَيْشًا :

كُرُّوا عَلَى يَنْزَبٍ وَجَمِّعِهِمْ فَإِنْ مَا جَمَعُوا لَكُمْ نَقْلُ
إِنْ يَكُ يَوْمُ الْقَلِيبِ كَانَ لَكُمْ فَإِنْ مَا بَعْدَهُ لَكُمْ دُولُ
آلَيْتُ لَا أَقْرَبُ النِّسَاءِ وَلَا يَمْسُ رَأْسِي وَجِلْدِي الْفُلُ
حَتَّى تُبِيرُوا قِبَالَ الْأَوْسِ وَالْ خَزْرَجِ ، إِنَّ الْفُؤَادَ مُشْتَعِلُ
فَأُجَابَهُ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ :

تَلَهَّفُ أُمُّ الْمَسْبُوعِينَ عَلَى جَيْشِ ابْنِ حَرْبٍ بِالْحَرَّةِ الْفَيْلِ
إِذْ يَطْرَحُونَ الرِّجَالَ مِنْ سَمِّ الطَّلَيرِ تَرْقَى لَقْنَةُ الْجَبَلِ

(١) الكثر هنا : ما كان يجمعون من أموال يحفظونها لمهامهم وفوائدهم .

(٢) بطن له ، أي أعلمه سرهم .

(٣) الأصوار : جمع صور ؛ وهو التخل بجمجمة .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ١١٩

جاءوا بمنع لو قيس مبركته ما كان إلا كفحص الدليل^(١)
عاري من النضر والثراء ومن أبطال أهل البطحاء والأسل

وأما الواقدي فزعم أن غزوة السويق كانت في ذى القعدة من سنة اثنتين من الهجرة . وقال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مائتي رجل من أصحابه من المهاجرين والأنصار . ثم ذكر من قصة أبي سفيان نحوه مما ذكره ابن إسحاق ، غير أنه قال : فرّ - يعني أبا سفيان - بالعريض ، برجل معه أجير له يقال له معبد بن عمرو ، فقتلها وحرّق آياتها هناك وتبناً ، ورأى أن^{١٣١٧/١} يمينه قد حُلّت ، وجاء الصريخ إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فاستنفر الناس ، فخرجوا في أثره فأعجزهم . قال : وكان أبو سفيان وأصحابه يلقنون جُرْبَ الدقيق ويتخفّون ، وكان ذلك عامّة زادهم ؛ فلذلك سُميت غزوة السويق .

وقال الواقدي : واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة أبا لبابة ابن عبد المنذر .

• • •

قال أبو جعفر : ومات في هذه السنة - أعني سنة اثنتين من الهجرة - في ذى الحجة عثمان بن مظعون ، فدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبقيع ، وجعل عند رأسه حجراً علامة لقبره .

وقيل : إن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام وُلد في هذه السنة .

قال أبو جعفر : وأما الواقدي ، فإنه زعم أن ابن أبي سبيرة حدثه عن إسحاق بن عبد الله عن أبي جعفر ، أن علي بن أبي طالب عليه السلام بنى

(١) البيت في اللسان (دال) ، وروايته :

جاءوا بمِيش لو قيس مُعرّسه ما كان إلا كمُرس الدليل

بفاطمة عليها السلام في ذى الحجة ، على رأس اثنين وعشرين شهرا .

قال أبو جعفر : فإن كانت هذه الرواية صحيحة فالقول الأول باطل .

وقيل : إن في هذه السنة كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم المعاقيل^(١)
فكان معلقاً بسيفه .

(١) المماثل : جمع مقلة ، بضم التثاق ؟ وهي البنية .

ثم دخلت السنة الثالثة من الهجرة

[غزوة ذي أمر]

فحدثنا ابن حميد ، قال حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة السويق ، أقام بالمدينة بقبعة ذي الحجة والمحرم ، أو قريبا منه ، ثم غزا نجدا يريد غطفان ؛ وهي غزوة ذي أمر ، فأقام بنجد صفرًا كله أو قريبا من ذلك . ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدا^(١) ، فلبث بها شهر ربيع الأول كله إلا قليلا منه .

ثم غزا يريد قريشا وبنى سُلَيْم ، حتى بلغ بَحْران (مَعْدِنًا بالحجاز من ناحية القُرْع) فأقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدا^(٢) .

خبر كعب بن الأشرف

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة سَرَى النبي صلى الله عليه وسلم سرية إلى كعب بن الأشرف ؛ فزعم الواقدي أن النبي وجهه من وجهه إليه في شهر ربيع الأول من هذه السنة .

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان من حديث ابن الأشرف أنه لما أصيب أصحاب بدر ، وقدم زيد بن حارثة إلى أهل السافلة وعبد الله بن رواحة إلى أهل العالية^(١) بشيرين ، بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من بالمدينة من المسلمين بفتح الله عز وجل عليه وقتل من قتل من المشركين ؛ كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن المغيث ابن أبي بُرْدَة بن أسير الظفري ، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وصالح بن أبي أمانة بن سهل ، قال : كل

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٠ .

(٢) العالية : اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها ومنازلها إلى تهامة ، وما كان دون ذلك من جهة تهامة فهو السافلة .

قد حدثني بعض حديثه ، قال : قال كعب بن الأشرف - وكان رجلاً من طي ،
ثم أحد بني نيهان ، وكانت أمه من بني النضير ، فقال حين بلغه الخبر :
ويلكم أحقّ هذا ! أترون أن محمدًا قتل هؤلاء الذين يسمّى هذان الرجلان
- يعنى زيد بن حارثة ، وعبد الله بن رواحة ؟ وهؤلاء أشرف العرب وملوك
الناس . والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم ليطنّ الأرض خير لنا
من ظهرها^(١) .

فلما تيقن علو الله الخبر ، خرج حتى قدم مكة ، فزل على
المطلب بن أبي وداعة بن ضبيرة السهمي ، وعنده عاتكة بنت أسيد بن
أبي العيص بن أمية بن عبد شمس ، فأنزله وأكرمه ، وجعل يحترض
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينشد الأشعار ، ويبكى على أصحاب
التكليب الذين أصيبوا ببلر من قريش . ثم رجع كعب بن الأشرف إلى
المدينة ، فشيب بأم الفضل بنت الحارث ، فقال :

أراحِلُ أَنْتَ لَمْ تَحُلْ بِمَنْقَبَةٍ وتاركُ أَنْتَ أُمُّ الْفَضْلِ بِالْحَرَمِ !
صفراء رادعة لو تُمَصِّرُ أَنْصَرْتَ من ذى القوارير والحنا والكم
يرتج ما بين كعبها ومرفقها إذا تَأْتَتْ قِيامًا ثُمَّ لَمْ تَقُمْ
أشباهُ أُمِّ حَكِيمٍ إِذْ تَوَاصَلْنَا والحبلُ منها متينٌ غيرُ مُنْجَظِمٍ
إحدى بني عامرٍ جُنَّ الْفُؤَادُ بِهَا ولو تَشَلَّ شَقَتْ كَعْبًا مِنَ السَّقَمِ
فرعُ النساءِ وفرعُ القومِ والدُّها أهلُ التَّحِلَّةِ والإيفاءِ بالذَّمِ
لمَ أَرَشَمَا بِلِيلٍ قَبْلَهَا طَلَعَتْ حتى تَجَلَّتْ لَنَا فِي لَيْلَةِ الظُّلَمِ^(٢)

ثم شيبَ بنساء من نساء المسلمين حتى آذاهم ، فقال النبي صلى الله
عليه وسلم كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن
إسحاق ، عن عبد الله بن المغيث بن أبي بُردة : من لي من ابن الأشرف !

(١) م : « ظاهرها » .

(٢) لم تذكر هذه الأبيات في رواية ابن هشام ؛ وذكر موضعها أبياتاً مغلطها :

طَلَعَتْ رَحَى بَدْرِ لِمَلِكٍ أَهْلِهِ وَلِئِلَّ بَدْرِ تَسْتَهْلُ وَتَدَمَعُ

قال : فقال محمد بن مسلمة ، أخو بني عبد الأشهل : أنا لك به يا رسول الله ، ١٣٧٠/١
أنا أقتله . قال : فافعل إن قَدَرْتَ على ذلك ، فرجع محمد بن مسلمة ،
فكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب . إلا ما يعلتق [به] ^(١) نفسه ، فذكر ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاه فقال له : لِمَ تركت الطعام والشراب ؟
قال : يا رسول الله ، قلت قولاً لا أدرى أفي به أم لا ! قال : إنما عليك الجَهْدُ ،
قال : يا رسول الله ، إنه لا بُدَّ لنا من أن نقول . قال : قولوا ما بدا لكم ، فأنتم
في حلٍّ من ذلك !

قال : فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة وسليكان بن سلامة بن وقش -
وهو أبو نائلة أحد بني عبد الأشهل ، وكان أخا كعب من الرضاة - وعبد
ابن بشر بن وقش ، أحد بني عبد الأشهل ، والجارث بن أوس بن معاذ ،
أحد بني عبد الأشهل ، وأبو عبيس بن جببر ، أخو بني حارثة . ثم قدّموا
إلى ابن الأشرف قبل أن يأتوه سليكان بن سلامة أبا نائلة ، فجاءه فتحدث
معه ساعة ، وتناشدا شعراً - وكان أبو نائلة يقول الشعر - ثم قال : ويحك
يا ابن الأشرف ! إني قد جئتكم لحاجة أريد ذكرها لك ، فاكتم على ، قال :
أفعل ، قال : كان قديم هذا الرجل بلاء [علينا] ^(١) عادتنا ^(٢) العرب ورمونا
عن قوس واحدة ، وقطعت عنا السبل حتى ضاع العيال ، وجهدت
الأنفس ، وأصبحنا قد جُهدنا وجُهد عيالنا ! فقال كعب : أنا ابن الأشرف ،
أما والله لقد كنت أخبرتك يا بن سلامة أن الأمر سيصير إلى ما كنت أقول ،
فقال سليكان : إني قد أردت أن تبيعنا طعاماً ونزّهتك ونوثق لك ، وتحسن
في ذلك . قال : ترهنوني أبناءكم ! فقال : لقد أردت أن تفضحتنا ! إن معي
أصحاباً لي على مثل رأيي ، وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم ، وتحسن في ١٣٧١/١
ذلك ، ونزّهتك من الحلقة ^(٣) ما فيه لك وفاء - وأراد سليكان ألا ينكر
السلاح إذا جامعوا بها - فقال : إن في الحلقة لوفاء ، قال : فرجع سليكان إلى

(١) من ابن هشام .

(٢) م : « عادتنا » .

(٣) الحلقة هنا : السلاح كله .

أصحابه ، فأخبرهم خبره ، وأمرهم أن يأخذوا السلاح فينطلقوا فيجتمعوا إليه ، فاجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) .

حدثنا ابن حميد قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق قال : فحدثني ثور بن زيد الدبلي ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ، قال : مشى معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بقيع الغرقد ، ثم وجههم وقال : انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعينهم . ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته في ليلة مقمرة ، فأقبلوا حتى انتهوا إلى حصنه ، فهتف به أبو نائلة - وكان حديث عهد بعمرس - فوثب في ملحقته ^(٢) ، فأخذت امرأته بناحيتها ، وقالت : إنك امرؤ مُحارب ؛ وإن صاحب الحرب لا ينزل في مثل هذه الساعة . قال : إنه أبو نائلة ؛ لو جلني نائماً لما أيقظني ، قالت : والله إنني لأعرف في صوته الشر . قال : يقول لها كعب : لو دعيت الفتى لطعنة ^(٣) أجاب ، فتزل فتحدث معهم ساعة ، وتحدثوا معه ، ثم قالوا له : هل لك يا بن الأشرف ، أن نتماشى إلى شعب العجوز ^(٤) ، فتحدث به بقية ليلتنا هذه ! قال : إن شئتم ! فخرجوا يمشون ، فمشوا ساعة . ثم إن أبا نائلة شام يده في فتود رأسه ، ثم شم يده ، فقال : ما رأيت كالليلة طيب عطري قط . ثم مشى ساعة ثم عاد لملئها ، حتى اطمأن ثم مشى ساعة ، فعاد لملئها ، فأخذ بفتود رأسه ، ثم قال : اضربوا عدو الله ، فاختلقت عليه أسيافهم ، فلم تغن شيئاً . قال محمد بن مسلمة : فذكرت مغولاً ^(٥) في سيفي حين رأيت أسيافاً لا تغني شيئاً ، فأخذته ، وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا أوقدت عليه نار . قال : فوضعته في ثنودته ، ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته ، ووقع عدو الله ، وقد أصيب الحارث بن أوس بن معاذ بجرح في رأسه أو رجله ، أصابه بعض أسيافنا .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٤ .

(٢) الملحق : اللباس الذي فرق سائر اللباس .

(٣) و : « إلى طعنة » ، ابن هشام : « لو يدعى إلى طعنة » .

(٤) شعب العجوز : موضع بظاهر المدينة ؛ ذكره ياقوت ، وقال : « قتل عنده كعب

ابن الأشرف » .

(٥) المغول : السكين التي تكون في السوط .

قال : فخرجنا حتى سلكنّا على بنى أميّة بن زيد ، ثم على بنى قريظة ، ثم على بُعَاث حتى أَسْنَدْنَا^(١) في حرّة المُرَيْض ، وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس ونَزَّهَهُ الدَّمُ ، ففَقَعْنَا له ساعة ، ثم أَنَا أَنَا يَتَّبِع آثارَنَا . قال : فأحتملناه فَجَبْتَا به رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم آخر الليل وهو قائم يصلي ، فسلَّمْنَا عليه ، فخرج إلينا ، فأخبرناه بقتل علوّ الله ، وتفكّل على جُرْح صاحبنا ، ورجعنا إلى أهلنا ، فأصبحنا وقد خافت يهود بوقعتنا بعلوّ الله ، فليس بها يهودي إلّا وهو يخاف على نفسه . قال : فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم : مَنْ ظَفَرْتُمْ به من رجال يهود فاقتلوه ، فوثب مُحِيصَةُ بن مسعود على ابن سُنَيْتَةَ - رجل من تجار يهود كان يلبسهم ويبيعهم قتلته - وكان حَوَيْصَةُ بن مسعود إذ ذاك لم يُسَلِّمْ ، وكان أَسَنّ من محيصة - فلما قتله جعل حَوَيْصَةُ يضربه ويقول : أى علوّ الله ! قتلته^(٢) ! أما والله لرُبّ شَحْم في بطنك من ماله ! قال محيصة : قتلته له : والله لو أمرني بقتلك مَنْ أمرني بقتله لضربت عنقك . قال : فوالله إن كان لأوّل إسلام حَوَيْصَةَ ، وقال : لو أمرك محمد بقتل لقتلتني ! قال : نعم والله ، لو أمرني بقتلك لضربت عنقك . قال : والله إن دينًا بلغ بك هذا لعَجَب ! فأسلم حَوَيْصَةُ^(٣) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق . قال : حدثني هذا الحديث مولى لبنى حارثة ، عن ابنة محيصة ، عن أبيها .

قال أبو جعفر : وزعم الواقدي أنهم جاءوا برأس ابن الأشرف إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم .

• • •

وزعم الواقدي أن في ربيع الأول من هذه السنة تزوّج عثمان بن عفان أمّ كلثوم بنت رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم ، وأَدْخِلَتْ عليه في جمادى

(١) أسند في الحرّة : صحدا .

(٢) ابن هشام : « أقتله ! » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٤ .

الآخرة ، وأنّ في ربيع الأول من هذه السنة غزا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم غزوة أنمارسويقال لها : ذو أمر - وقد ذكرنا قول ابن إسحاق في ذلك قبل .
قال الواقدي : وفيها وليد السائب بن يزيد ابن أخت النّسير .

• • •

غزوة القرّة

قال الواقدي : وفي جمادى الآخرة من هذه السنة ، كانت غزوة القرّة ١٣٧٤/١
وكان أميرهم - فيما ذكر - زيد بن حارثة ، قال : وهي أول سرية خرج فيها زيد بن حارثة أميراً .

قال أبو جعفر : وكان من أمرها ما حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلّمة ، عن ابن إسحاق ، قال : سرية زيد بن حارثة التي بعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فيها حين أصاب عير قريش ، فيها ^(١) أبو سفيان بن حرب ، على القرّة ، ماء من مياه نجد . قال : وكان من حديثها أن قريشاً قد كانت خافت ^(٢) طريقها التي كانت تسلك إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان ، فسلكوا طريق العراق ، فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب ، ومعه فضة كثيرة ؛ وهي عظم تجارتهم ، واستأجروا رجلاً من بكر بن وائل يقال له فرات بن حيّان ، بدلّهم على ذلك ^(٣) الطريق ، وبعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم زيد بن حارثة ، فلقبّهم على ذلك الماء ، فأصاب تلك العير وما فيها ، وأعجزه الرجال ، فقدم بها على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ^(٤)

• • •

قال أبو جعفر : وأما الواقدي ، فزعم أن سبب هذه الغزوة كان أن قريشاً قالت : قد عورّ علينا محمد متّجراً وهو على طريقنا . وقال أبو سفيان

(١) ابن هشام : « وفيها » .

(٢) ابن هشام : « خافوا طريقهم » .

(٣) ابن هشام : « في ذلك على الطريق » .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢١ .

وصفوان بن أمية : إن أقمتا بمكة أكلنا رموس أموالنا . قال أبو زمعة ^(١) بن الأسود :
 فأننا أدلكم على رجل يسلك بكم التجدية ، لو سلكها مغمض العينين
 لاهتدى . قال صفوان : من هو ؟ فحاجتنا إلى الماء قليل ؛ إنما نحن
 شاتون . قال : فرات بن حيّان ؛ فدعواؤه فاستأجره ؛ فخرج بهم في الشتاء ،
 فسلك بهم على ذات عرق ، ثم خرج بهم على غمرة ، وانتهى إلى النبي ^{صلى الله عليه وسلم}
 ١٣٧٥/١ صلى الله عليه وسلم خبر العير وفيها مال كثير ، وآتية من فضة حملها
 صفوان بن أمية ؛ فخرج زيد بن حارثة ، فاعترضها ، فظفر بالعر ، وأفلت
 أعيان القوم ؛ فكان الخمس عشرين ألفا ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وسلم ، وقسم الأربعة الأخماس على السرية ، وأتى بفرات بن حيّان العجلي
 أسيرا ، فقيل : إن أسلمت لم يقتلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلمّا
 دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم ، فأرسله .

• • •

مقتل أبي رافع اليهودي

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة كان مقتل أبي رافع اليهودي - فيما
 قيل - وكان سب قتله ، أنّه كان - فيما ذُكر عنه - يظهر كعب بن
 الأشرف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجه إليه - فيما ذُكر -
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في النصف من جمادى الآخرة من هذه السنة
 عبد الله بن عتيك ، فحدثنا هارون بن إسحاق الهمداني ، قال : حدثنا
 مصعب بن المقدام ، قال : حدثني إسرائيل ، قال : حدثنا أبو إسحاق ، عن
 البراء ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي رافع اليهودي
 - وكان بأرض الحجاز - رجالا من الأنصار ، وأمر عليهم عبد الله بن عقبة -
 أو عبد الله بن عتيك - وكان أبو رافع يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ويبغى عليه ، وكان في حصن له بأرض الحجاز ، فلما دنا منه وقد غربت
 الشمس ، وراح الناس يسرحهم ، قال لهم عبد الله بن عقبة - أو عبد الله بن

١٣٧٦/١

عَتَيْكَ : اجلسوا مكانكم ، فلاني أنطلق وأتلف للبواب ، لعلني أدخل ! قال : فأقبل حتى إذا دنا من الباب ، تقنّع بثوبه ؛ كأنه يقضي حاجة ، وقد دخل الناس ، فهتف به البواب . يا عبد الله ، إن كنت تريد أن تدخل فادخل ، فلاني أريد أن أغلق الباب . قال : فدخلت فكمت^(١) تحت آري^(٢) حمار ؛ فلما دخل الناس أغلق الباب ثم عكّ الأقاليد على ود^(٣) . قال : فمست إلى الأقاليد فأخذتها ، ففتحت الباب ، وكان أبو رافع يسمرُ عنده في علالي^(٤) ؛ فلما ذهب عنه أهل سمره ، فصعدتُ إليه فجعلت كلّما فتحت باباً أغلقته على من داخل . قلت : إن القوم نذروا بي لم يخلصوا إلى حتى أقتله . قال : فانهيتُ إليه ؛ فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله ؛ لا أدرى أين هو من البيت ! قلت : أبا رافع ! قال : من هذا ؟ قال : فأهويتُ نحو الصوت ، فأضربه ضربة بالسيف ، وأنا دهش فما أغنى شيئاً وصاح ؛ فخرجت من البيت ومكثت غير بعيد . ثم دخلت إليه ، فقلت : ما هذا الصوت يا أبا رافع ؟ قال : لأملك الويل ! إن رجلاً في البيت ضربني قبل بالسيف ، قال : فأضربه فأثخنه ولم أقتله . قال : ثم وضعتُ ضييب^(٥) السيف في بطنه ، حتى أخرجه من ظهره ، فعرفت أنني قد قتلته ، فجعلت أفتح الأبواب باباً فباباً ، حتى انتهيت إلى درجة ؛ فوضعت رجلي ، وأنا أرى أنني انتهيت إلى الأرض ، فوقع في ليلة مقمرة ؛ فانكسرت ساق ، قال : فعصبتها بمعامتي ، ثم إنني انطلقتُ حتى جلست عند الباب ، فقلت : والله لا أبرح الليلة حتى أعلم : أقتله أم لا ؟ قال : فلما صاح الديك ، قام الناعي عليه على السور ، فقال : أنعى أبا رافع ربّاح أهل الحجاز ! قال : فانطلقت إلى أصحابي ، فقلت : النجاء ! قد قتل الله أبا رافع ، فانهيت إلى

١٣٧٧/١

(١) م : « فكتت » .

(٢) الآري : عيس البابية .

(٣) الرد : الردة ، بلفظ تيم ، وفي ابن الأثير : « وتده » .

(٤) ضييب السيف : حده .

النبي صلى الله عليه وسلم ، فحدثته فقال : ابسط رجلك ، فبسطتها فسحها فكأنما لم أشتكها قط .

• • •

قال أبو جعفر : وأما الواقدي ، فإنه زعم أن هذه السريّة التي وجهها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي رافع سلام بن أبي الحقيق إنّما وجهها إليه في ذي الحجة من سنة أربع من الهجرة ، وأنّ الذين توجهوا إليه فقتلوه ، كانوا أبا قتادة ، وعبد الله بن عتيك ، ومسعود بن سنان ، والأسود بن خزاعي ١٣٧٨/١ وعبد الله بن أنيس .

وأما ابن إسحاق ، فإنه قصّ من قصّة هذه السريّة ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة عنه : كان سلام بن أبي الحقيق - وهو أبو رافع - ممن كان حزّب الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت الأوس قبل أحد قتل كعب بن الأشرف في عداوته رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريضه عليه ، فاستأذنت الخزرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل سلام بن أبي الحقيق ، وهو بخير ، فأذن لهم ^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق ، عن محمد مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، قال : كان مما صنع الله به لرسوله أنّ هذين الحيين من الأنصار : الأوس والخزرج ؛ كانا يتصاولان ^(٢) مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تصاول الفحلين ؛ لا تصنع الأوس شيئاً فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غناء ^(٣) إلا قالت الخزرج : والله لا يذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسلام ؛ فلا يتهون حتى يُوقعوا مثلها . قال : وإذا فعلت الخزرج شيئاً ، قالت الأوس مثل ذلك . فلما أصابت الأوس

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٩

(٢) يتصاولان : يتفانران .

(٣) غناء : كفاية وغير .

كعب بن الأشرف في حياوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت الخزرج : لا يذهبون بها فضلا علينا أبدا . قال : فتذاكروا : من رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم في العداوة كابن الأشرف ! فذاكروا ابن أبي الحقيق وهو بخير ، فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتله ، فأذن لهم ، فخرج إليه من الخزرج ثم من بني سليمة خمسة^(١) نفر : عبد الله بن حتيك ، ومسعود بن سنان ، وعبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة الحارث بن ربیع ، وخزاعي بن الأسود ، حليف لهم من أسلم ، فخرجوا ، وأمر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عتيك ، ونهاهم أن يقتلوا وليدا أو امرأة .

١٣٧٩/١

فخرجوا حتى قدموا خيبر ، فأتوا دار ابن أبي الحقيق ليلا ، فلم يدعوا بيتا في الدار إلا أغلقوه من خلفهم على أهله ، وكان في عليته^(٢) له إليها عجلة^(٣) رومية ، فأسندوا فيها حتى قاموا على بابه فاستأذنوا ، فخرجت إليهم امرأته فقالت : من أنتم ؟ فقالوا : نفر من العرب نلتبس الميرة ، قالت : ذاك صاحبكم فادخلوا عليه ، فلما دخلنا أغلقنا عليها وعليه باب الحجر ، وتخوفنا أن تكون دونه محاولة تحول بيننا وبينه . قال : فصاحت امرأته ، ونوّهت بنا ، وابتدرناه وهو على فراشه بأسيافا ، والله ما يد لنا عليه في سواد الليل إلا بياضه ، كأنه قبطية^(٤) ملقاة . قال : ولا صاحتنا بنا امرأته ، جعل الرجل منا يرفع عليها السيف ثم يذكر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيكف يده ، ولولا ذاك فرغنا منها بليل ، فلما ضربناه بأسيافا ، تحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنقذه وهو يقول : قطنني قطنني !

قال : ثم خرجنا ، وكان عبد الله بن عتيك سبي البصر ، فوقع من الدرجة فتوثت رجله وثقا شديدا واحتملناه حتى نأق به متنهرا من عيونهم ، فندخل فيه . قال : وأوقدوا النيران ، واشتدوا في كل وجه يطلبوننا ، حتى إذا

١٣٨٠/١

(١) ط : « ثمانية » ، والصواب ما أثبت من ابن هشام .

(٢) العلية ، بالكسر والهم : بيت منفصل عن الأرض ببيت أو نحوه .

(٣) قال ابن الأثير : « في عجلة من نخل ، هو أن ينثر الجذع ويجعل فيه مثل الدرج

ليصعد فيه إلى القنرف ونحوها » . (٤) القبطية : ضرب من الثياب منسوب إلى قبط مصر

(بالكسر) على غير قياس .

يشسوا رجعوا إلى صاحبهم فاكتشفوه؛ وهو يقضى بينهم . قال : قتلنا : كيف لنا بأن نعلم أن عدو الله قد مات ! فقال رجل منّا : أنا أذهب فأنظر لكم ، فانطلق حتى دخل في الناس ، قال : فوجدته ورجال يهود عنده ، وامرأته في يدها المصباح تنظر في وجهه . ثم قالت تحدثهم ويقول : أما والله لقد عرفت صوت ابن عتيك ؛ ثم أكذبت ، فقلت : أنسى ابن عتيك بهذه البلاد ! ثم أقبلت عليه لتتظّر في وجهه ثم قالت : فاظ^(١) وإله يهود ! قال : يقول صاحبنا ؛ فما سمعت من كلمة كانت ألدّ إلى نفسي منها ، ثم جاءنا فأخبرنا الخبر فاحتملنا صاحبنا ، فقدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبرناه بقتل عدو الله ، واختلفنا عنده في قتله ؛ وكلنا يدعيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هاتوا أسيافكم ، فحجّتها بها فنظر إليها ، فقال لسيف عبد الله بن أنيس : هذا قتله ، أرى فيه أثر الطعام . فقال حسان بن ثابت ؛ وهو يذكر قتل كعب بن الأشرف وسلام ابن أبي الحقيق :

لله درّ عصاةٍ لأقيتهم يابن الحقيق وأنت يابن الأشرف^(٢)
يسرون بالبيض الخفاف إلينكم مرحاً كأند في عرين مغرف^(٣)
حتى أتوكم في محلّ بلادكم فسقوكم حقاً ببيض ذف^(٤)
مستصغرين لنصر دين نبيهم مستصغين لكل أمر مجحف^(٥)

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي وعباس بن عبد العظيم العنبري ، قالا : حدثنا جعفر بن عون ، قال : حدثنا إبراهيم بن إسحاق ، قال : حدثني إبراهيم بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، أن أباه حدثه عن أمه ابنة عبد الله بن أنيس ، أنها حدثته عن عبد الله بن أنيس ، أن

(١) فاظ : هك . (٢) ديوانه ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، والعصاة : الجماعة من الناس .

(٣) يسرون ، من السرى ؛ وهو السر ليل . والبيض الخفاف : السيوف . ورحا : نشاطاً . مغرف : أي في غريف ؛ وهو الأجمة من البرد والخلفاء والقصب .

(٤) ذف ، أي سريّة القتل .

(٥) رواية الديوان : « مستصغرين لكل أمر » . والخبر والشعرية ابن هشام ٢ : ٢٠٩ - ٢١١ .

الرهط الذين بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ابن أبي الحقيق ليقتلوه : عبد الله بن عتيك ، وعبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة ، وحليف لهم ، ورجل من الأنصار ؛ وأنهم قد مروا خيبر ليلا . قال : فعمدنا إلى أبوابهم نغلقتها من خارج ، وتأخذ المفاتيح ، حتى أغلقنا عليهم أبوابهم ، ثم أخذنا المفاتيح فألقيناها في قفسير^(١) ، ثم جئنا إلى المشربة^(٢) التي فيها ابن أبي الحقيق ، فظهرت عليها^(٣) أنا وعبد الله بن عتيك وقعد أصحابنا في الحائط ، فاستأذن عبد الله بن عتيك ؛ فقالت امرأة ابن أبي الحقيق : إن هذا لصوت عبد الله بن عتيك . قال ابن أبي الحقيق : نكلتكم أمك ! عبد الله بن عتيك يئرب ؛ أين هو عندك هذه الساعة ! افتح لي ؛ إن الكريم لا يرد عن بابه هذه الساعة . فقامت ففتحت ؛ فدخلت أنا وعبد الله على ابن أبي الحقيق ، فقال عبد الله بن عتيك : دونك ، قال : فشهرت عليها السيف ، فأذهب لأضربها بالسيف فأذكر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والولدان ، فأكف عنها ، فدخل عبد الله بن عتيك على ابن أبي الحقيق . قال : فأنظر إليه في مشربة مظلمة إلى شدة بياضه ، فلما رآني ورأى السيف ، أخذ الوسادة فأتقاني بها ، فأذهب لأضربه فلا أستطيع ، فوخزته بالسيف وخزاً . ثم خرج إلى عبد الله بن أنيس ، فقال : أقتله ؟ قال : نعم ، فدخل عبد الله بن أنيس فدقف عليه . قال : ثم خرجت إلى عبد الله بن عتيك ؛ فانطلقنا ، وصاحت المرأة : وابيأتاه وابيأتاه ! قال : فسقط عبد الله بن عتيك في الدرجة ، فقال : وارجله وارجله ! فاحتمله عبد الله بن أنيس ؛ حتى وضعه إلى الأرض . قال : قلت : انطلقي ، ليس برحلك بأس . قال : فانطلقنا ، قال عبد الله بن أنيس : جئنا أصحابنا فانطلقنا ، ثم ذكرت قوسي أني تركتها في الدرجة^(٤) ؛ فرجعت إلى قوسي ؛ فإذا أهل خيبر يمجج بعضهم في بعض ؛ ليس لهم

(١) قال ابن الأثير : الفقير هنا : البئر .

(٢) المشربة : الثرة ؛ لأنهم كانوا يشربون فيها .

(٣) و : عليه . (٤) الدرجة : المرقاة .

كلام إلا مَنْ قَتَلَ ابن أبي الحقيق ؟ مَنْ قَتَلَ ابن أبي الحقيق ؟ قال :
فجعلت لا أنظر في وجه إنسان ، ولا ينظر في وجهي إنسان إلا قلت :
مَنْ قَتَلَ ابن أبي الحقيق ؟ قال : ثم صعدت الدَّرَجَة ؛ والناس يظهرون
فيها ؛ ويترلون ؛ فأخذت قوسي من مكانها ، ثم ذهبت فأدركت أصحابي ،
فكُنْتُ نكمنُ النهار ونسير الليل ؛ فإذا كمنًا بالنهار أقعدنا منَّا ناطورًا^(١)
ينظر لنا ؛ فإن رأى شيئًا أشار إلينا ؛ فانطلقنا حتى إذا كنَّا بالبيضاء كنت -
قال موسى : أنا ناطورهم ، وقال عباس : كنتُ أنا ناطورهم - فأشرت إليهم
فذهبوا جُمُزًا^(٢) وخرجت في آثارهم ؛ حتى إذا اقتربنا من المدينة أدركتهم ،
قالوا : ما شأنك ؟ هل رأيت شيئًا ؟ قلت : لا ، إلا أني قد عرفت أن قد
بلغكم الإعياء والوصبُ ، فأحببت أن يجعلكم الفزع .

• • •

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة تزوج النبي صلى الله عليه وسلم حفصة
بنت عمر في شعبان ؛ وكانت قبله تحت خُنَيْس بن حذافة السهْمِي في
الجاهليَّة ، فتوفِّي عنها .

وفيهما كانت غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدًا ؛ وكانت في
شوال يوم السبت لسبع ليالٍ خلون منه - فيما قيل - من سنة ثلاث من
الهجرة .

• • •

غزوة أحد

قال أبو جعفر : وكان الذي هاج غزوة أحد بين رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومشركي قريش وقعة بدر وقتل مَنْ قُتِلَ بيدٍ من أشراف
قريش ورؤسائهم ؛ فحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن
إسحاق ، قال : وحدثني محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب

١٣٨٤/١

(١) الناطور في الأصل : حارس الكرم والنحل .

(٢) الجُمُز : السير السريع .

الزُّهْرِيّ ، ومحمد بن يحيى بن حَبَّان ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، والحُصَيْن ابن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعَاذ وغيرهم من علمائنا ؛ كلهم قد حدّث ببعض هذا الحديث عن يوم أحد ، وقد اجتمع حديثهم كلهم فيما سَقَتْ من الحديث عن يوم أحد ، قالوا^(١) :

لما أُصِيبَتْ قريش - أو من قاله منهم - يوم بدر من كفار قريش من أصحاب القليب ، فرجع فلّهم^(٢) إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بعيره ، مشى عبد الله بن أبي ربيعة ، وعكرمة بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية ، في رجال من قريش ممن أُصيب آبائهم وأبنائهم وإخوانهم ببدر ؛ فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة ، فقالوا : يا معشر قريش ، إنَّ محمدًا قد وتَرَككم ، وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على حربِهِ ؛ لعلنا أن ندرِك منه ثأرًا بمن أُصيب منّا ، ففعلوا ، فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير بأحايشها^(٣) ومن أطاعها من قبائل كِنانة وأهل تِهامة ؛ وكلّ أولئك قد استعزوا^(٤) على حرب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

وكان أبو عَزَّة عمرو بن عبد الله الجُمَحِيّ قد منّ عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم بدر . وكان فقيرًا ذا بنات^(٥) ، وكان في الأسارى ، فقال : يا رسول الله ، إني فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتُها ، فامنن عليّ صلّى الله عليك ! فنّ عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال صفوان

(١) أخبار غزوة أحد عن ابن إسحاق في سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٥ - ١٤٣ ، والأغاني ١٥ : ١٧٩ - ٢٠٧ (طبعة دار الكتب) .

(٢) القل : القوم المنهزمون .

(٣) الأحاييش : الجماعة أيا كانوا ؛ أو هم أحاييش قريش ، أو هم بنو المطلق وبنو الهون بن خزيمه ؛ اجتمعوا عند جبل يسمى « حبشيا » ، بأسفل مكة ، فحالفوا قريشاً .

(٤) يقال : هو يستعزى القوم ؛ أي يستغيث بهم ؛ وفي الأغاني : « استنوا » بالفتح المعجمة ، وهما سواء .

(٥) ابن هشام : « عيال » .

ابن أمية : يا أبا عزة ، إنك امرؤ شاعرٌ ، فأعنتاً بلسانك ، فأخرج معنا . فقال : إنَّ محمدًا قد منَّ عليَّ فلا أريد أن أظاھِرَ عليه ، فقال : بلَى فأعنتاً بنفسك ، فلك الله ^(١) إن رجعت أن أغنيك ، وإن أصيبت أن أجعل بتاتك مع بناتي يصيبن ما أصابن من عسر ويسر . فخرج أبو عزة يسير في تِهامة ، ويدعو بني كنانة . وخرج مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جُشم ؛ إلى بني مالك بن كنانة يحرضهم ويدعوهم إلى حرب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، ودعا جبير بن مطعم غلاماً له يقال له وحشي ، كان حبشياً يقذف بحربة له قد ذف الحبيشة ، قلماً يُخطئ بها ، فقال له : اخرج مع النَّاس ، فإن أنت قتلت عمَّ محمد بعمي طعيمة بن عدي فأنت عتيق .

فخرجت قريش بحدّھا ووجدھا وأحايشھا ، ومنَّ معها ^(٢) من بني كنانة وأهل تِهامة ، وخرجوا معهم بالطَّعن ^(٣) التماس الحفيظة ، ولثلاث يَفروا . فخرج أبو سفيان بن حرب — وهو قائد النَّاس ، معه هند بنت عتبة ابن ربيعة — وخرج عيكرمة بن أبي جهل بن هشام بن المغيرة بأُم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة ، وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وخرج صفوان بن أمية بن خلف ببيزة — قال أبو جعفر: وقيل بيزة — بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثَّقَفِيَّة ؛ وهي أمَّ عبد الله ابن صفوان — وخرج عمرو بن العاص بن وائل بريطة بنت منبه بن الحجاج ، وهي أمَّ عبد الله بن عمرو بن العاص ، وخرج طلحة بن أبي طلحة ، وأبو طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بسُلَافَة بنت سعد بن شهيد — وهي أمَّ بني طلحة مسافع والحلاس وكلاب ؛ قتلوا يومئذ وأبوه — وخرجت خناس بنت مالك بن المضرب إحدى نساء بني مالك ابن حِسل ، مع ابنها أبي عزيز بن عمير ؛ وهي أمَّ مُصعب بن عمير ،

(١) ابن هشام : « لك الله » .

(٢) م : « تبھا » .

(٣) الطن : جمع طينة ؛ وهي المرأة ما دامت في المروج .

وخرجت عَمْرَة بنت علقمة إحدى نساء نبي الحارث بن عبد مناة بن كنانة ؛ وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة كُلَّمَا مَرَّتْ بِوَحْشَى أَوْ مَرَّتْ بِهَا قَالَتْ :
 إِلَيْهِ ^(١) أَبَا دَسَمَةَ ! اشْفِ واشْتَفِ - وكان وحشَى يكنى أبا دَسَمَةَ .
 فأقبلوا حتى نزلوا بعينين بجبل بيطن السَّبْحَةِ ؛ من قناة على شفير الوادى ممّا يلي المدينة .

فلَمَّا سمع بهم رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا قال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم للمسلمين : إني قد رأيت بقرًا فأولتها خيرًا ، ورأيت في ذُبَابٍ سِنِي ثَلَمًا ، ورأيت أننى أدخلت يدى فى درع حصينة فأولتها المدينة ؛ فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ؛ فإن أقاموا أقاموا بشرّ مقام ؛ وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها . ونزلت قريش منزلتها من أحد يوم الأربعاء . فأقاموا به ذلك اليوم ويوم الخميس ويوم الجمعة . وراح رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم حين صَلَّى الجمعة ، فأصبح بالشعب من أحد . فالتقوا يوم السبت للنصف من شوال ؛ وكان رأى عبد الله بن أبى ابن سكول مع رأى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، يرى رأى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم فى ذلك : ألا يخرج إليهم ؛ وكان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم يكره الخروج من المدينة ، فقال رجال من المسلمين من أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيرهم ممن كان فاته بدر وحضوره : يا رسول الله ، اخرج بنا إلى أعدائنا ^(٢) ، لا يرون أنّا جيتنا عنهم وضعفنا ، فقال عبدُ الله بن أبى بن سكول : يا رسولَ الله ، أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم ؛ فوالله ما خرجنا منها إلى عدوّ لنا قطّ إلا أصاب منّا ، ولا دخلها ^(٣) علينا إلا أصبنا منه ، فدعهم يا رسولَ الله ؛ فإن أقاموا أقاموا بشرّ مجلس ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ،

(١) ابن هشام : « وجها » .

(٢) م : « أعداء الله » .

(٣) الأغاني : « يدخلها » .

وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا . فلم يزل الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كان من أمرهم حُبُّ لقاء القوم ؛ حتى دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فليس لأمته ؛ وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة ، وقد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له مالك بن عمرو ، أحد بني النجار ، فصلَّى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ثم خرج عليهم وقد ندم الناس ، وقالوا : استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن ذلك لنا .

• • •

قال أبو جعفر : وأما السديّ ؛ فإنه قال في ذلك غير هذا القول ؛ ولكنه قال ما حدثني محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدثنا أسباط ، عن السديّ ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لما سمع بتزول المشركين من قريش وأتباعها أحداً ، قال لأصحابه : أشيروا عليّ ما أصنع ! فقالوا : يا رسولَ الله ، اخرج بنا إلى هذه الأكلب ، فقالت الأنصار : يا رسولَ الله ، ما غلبنا عدوُّنا قطُّ أنا في ديارنا ^(١) ، فكيف وأنت فينا ! فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن أبيّ بن سلول — ولم يدعه قطُّ قبلها — فاستشاره فقال : يا رسولَ الله ، اخرج بنا إلى هذه الأكلب ؛ وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يعجبه أن يدخلوا عليه المدينة ، فيقاتلوا في الأزقة ، فأتاه النعمان بن مالك الأنصاري ، فقال : يا رسولَ الله لا تحرمني الجنة ؛ فوالذي بعثك بالحق لأدخلن الجنة ، فقال له : بيم ؟ قال : بأنّي أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، وأنّي لا أفرُّ من الزحف . قال : صدقت ، فقتل يومئذ . ثم إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم دعا بدرعه فلبسها ، فلما رآوه قد لبس السلاح ندّموا وقالوا : بشم ما صنعنا ! نشيرُ على رسول الله والوحي يأتيه ! فقاموا فاعتزلوا إليه ، وقالوا : اصنع ما رأيت ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لا ينبغي لنبى أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل . فخرج

رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم إلى أحدٍ في ألف رجل ؛ وقد وعدهم الفتح إن صبروا . فلماً خرج رجع عبد الله بن أبي بن سلول في ثلاثمائة ، فتبعهم أبو جابر السُّلَميَّ يدعوهم ، فلماً غلبوه وقالوا له : ما نعلم قتالا ؛ ولئن أطعنا لترجعن معنا ؛ قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا ﴾^(١) فهم بنو سَلِيمَةَ وبنو حَارِثَةَ ، هَمُّوا بالرجوع حين رجع عبد الله بن أبي ، فقصمهم الله عزَّ وجلَّ ، وبقي رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم في سبعمائة .^(٢)

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق : قال : قالوا : لما^(٣) خرج عليهم رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم قالوا : يا رسولَ الله ؛ استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فإن شئت فاقمُدْ صلى الله عليك ! فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : ما ينبغي لنبيٍّ إذا لبس لأَمَّتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يِقَاتِلَ ؛ فخرج رسولُ الله في ألف رجل من أصحابه ؛ حتى إذا كانوا بالشَّوْطِ بين أحدٍ والمدينة انخزل عنه عبد الله بن أبي بن سلول بثلاثِ الناس ، فقال : أطاعهم فخرج وعصاني ؛ والله ما ندرى علام تقتل أنفسنا ها هنا أيها الناس ! فرجع بمن اتبعه من الناس من قومه من أهل النِّفاق وأهل الرِّيب ، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام ، أخو بني سلمة ، يقول : يا قوم أذكركم الله أن تحذلوا نبيكم وقومكم عند ما حضر من عدوهم ! قالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ؛ ولكننا لا نرى أن يكون قتال ، فلما استعصوا عليه ، وأبَوْا إلَّا الانصراف عنه ، قال : أبعدكم الله أعداء الله ! فسيغنى الله عنكم !

• • •

قال أبو جعفر : قال محمد بن عمر الواقدي : انخزل عبد الله بن أبي عن رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم من الشَّيْخَيْنِ بِثَلَاثِمِائَةٍ ، وبقي رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم في سبعمائة ، وكان المشركون ثلاثة آلاف ، وانخيل

(١) سورة آل عمران ١٢٢ .

(٢) ٢٠ : ٢٠ فلما .

ماتني فرس ، والظعنُ خمس عشرة امرأة .

قال : وكان في المشركين سبعمائة دارع ؛ كان في المسلمين مائة دارع ؛ ولم يكن معهم من الخيل إلا فرسان : فرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفرس لأبي بردة بن نيار الحارثي . فأدلىج^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم من ١٣٩١/١
الشيخين حين طلعت الحمراء - وهما أطمان ، كان يهودي ويهودية أعميان يقومان عليهما ؛ فيتحدّثان فلذلك ، سُميّا الشيخين ؛ وهو في طرف المدينة - قال : وعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم المقاتلة بالشيخين بعد المغرب ؛ فأجاز منْ أجاز ، وردّ منْ ردّ ، قال : وكان فيمن ردّ زيد بن ثابت وابن عمر ، وأسيّد بن ظهير ، والبراء بن عازب ، وعرةّبة بن أوس . قال : وهو الذي قال فيه الشّماخ :

رأيتُ عرةّبةَ الأوسى ينهى إلى الخيَراتِ مُنقطعَ القرين^(٢)
إذا ما رايةٌ رُفِعتْ لمَجْدٍ تلقّاها عرةّبةٌ باليمين

قال : وردّ أبا سعيد الخُدريّ ، وأجاز سمرة بن جندب ورافع بن خديج ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد استصغر رافعاً ، فقام على خفّين له فيهما رقاع ، وتطاول على أطراف أصابعه ؛ فلمّا رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أجازّه .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : كانت أم سمرة بن جندب تحت مرّى بن سنان بن ثعلبة ، عمّ أبي سعيد الخُدريّ ، فكان ربيّه ، فلمّا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد ، وعرض أصحابه ، فردّ من استصغر ردّ سمرة بن جندب ، وأجاز رافع بن خديج ، فقال سمرة بن جندب لربيّه مرّى بن سنان : يا أبت ،

(١) أدلىج : سار في آخر الليل .

(٢) ديوانه ٩٦ ، ٩٧

أجاز رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم رافع بن خَدِيج ، وردتني وأنا أصرع
 رافع بن خَدِيج ، فقال : مُرِّي بن سنان : يا رسول الله ، رددت ابني ،
 وأجرت رافع بن خَدِيج وابني بصره ! فقال النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم لرافع
 وسُمرة : تصارعا ، فصرع سُمرة رافعاً ، فأجازه رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم
 فشهدا مع المسلمين .
 قال : وكان دليل النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم أبو حَشمَةَ الحارثي .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق : قال : ومضى رسولُ الله صَلَّى
 الله عليه وسلَّم حتى سلك في حَرَّةِ بني حارثة ، فَنَدَبَ فرس بذنبه^(١) ، فأصاب
 كِلَابَ^(٢) سيف ، فاستلَّه ، فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم - وكان
 يُحِبُّ القَالَ ولا يعتاف - لصاحب السيف : شِمِّ سيفك ، فإني أرى السيوف
 تستسَلُّ اليوم . ثم قال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم لأصحابه : مَنْ
 رَجُلٌ يخرج بنا على القوم من كَتَبٍ ، من طريق لا يمرُّ بنا عليهم ؟
 فقال أبو حَشمَةَ^(٣) أخو بني حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله ، فقدَّمه فنقد به
 في حَرَّةِ بني حارثة وبين أموالهم حتى سلك به في مال المِرْبَعِ بن قِيظَى - وكان
 رجلاً منافقاً ضرير البصر - فلَمَّا سمع حسَّ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم
 ومن معه من المسلمين ، قام يَحْشِي في وجوههم التراب ، ويقول : إن كنت
 رسولُ الله ؟ فإني لا أحلُّ لك أن تدخل حائطي ؛ قال : وقد ذكر لي أنه
 أخذ حَفَنَةً من تراب في يده ، ثم قال : لو أعلم أنني لا أصيب بها غيرك يا محمد
 لضربت بها وجهك . فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم :
 لا تفعلوا ؛ فهذا الأعمى البصر ، الأعمى القلب . وقد بَدَّرَ إليه سعد بن
 زيد أخو بني عبد الأشهل حين نهى رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم عنه ،

١٣٩٣/١

(١) ذب بذنبه ، أي حركه ليذب به الفلج .

(٢) الكلاب : سمار يكون في قائم السيف ؛ وفيه الذؤابة لتلفه بها .

(٣) ابن هشام والأغني : « غيشة » .

فصر به بالقوس في رأسه فشجّه ، ومضى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على وجهه ؛ حتى نزل الشعب من أحد في عُدوة الوادي إلى الجبل ، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد ، وقال : لا يقاتلن أحدٌ حتى تأمره بالقتال ؛ وقد سرتحت قريش الظّهْر^(١) ، والكُراع في زروع كانت بالصّفة^(٢) من قناة للمسلمين . فقال رجل من المسلمين حين نهى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عن القتال : أترعى زروع بني قيلة^(٣) ؟ ولمّا نُصارب ! وتعباً رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم للقتال وهو في سبعمائة رجل ، وتعبت قريش وهم ثلاثة آلاف رجل ؛ ومعهم مائتا فرس قد جتّبوها ، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل ، وأمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على الرّماة عبد الله بن جبّير ، أخا بني عمرو بن عوف وهو يومئذ معلّم بشاب يبيض ، والرّماة خمسون رجلاً ، وقال : انضح^(٤) عنا الخيل بالنبل لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا ؛ فاثبت مكانك لا تؤثّين^(٥) من قبلك ، وظاهر رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم بين درعين^(٥) .

• • •

فحدثنا هارون بن إسحاق ، قال : حدثنا مُصعب بن المقدام ، قال : ١٣٩٤/١
حدثنا إسرائيل . وحدثنا ابنُ وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، قال : حدثنا أبو إسحاق ، عن البراء ، قال : لمّا كان يومُ أحد ، ولقيَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم المشركين أجلس رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم رجالاً يلازم الرّماة ، وأمر عليهم عبد الله بن جبّير ، وقال لهم : لا تبرحوا مكانكم إن رأيتمونا ظهرنا عليهم ، وإن رأيتموهم ظهرنا علينا فلا تعينونا . فلمّا لقيَ القوم هزم المشركين حتى رأيت النساء قد رفعن عن سوقهن ، وبدت

(١) الظهر : الإبل . والكراع : الخيل .

(٢) الصّفة : موضع قرب أحد .

(٣) بني قيلة : الأوس والخزرج .

(٤) انضح الخيل ؛ أي ادضهم .

(٥) ظاهر بين درعين ؛ أي لبس درعا فوق درع .

خلايلهنّ ، فجعلوا يقولون : الغنيمة الغنيمة ! فقال عبد الله : مهلا ، أما علمتم ما عهد إليكم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ! فأبَوْا ، فانطلقوا ، فلَمَّا أتَوْهم صَرَفَ الله وجوهمهم ؛ فأصيب من المسلمين سبعون .

حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : أقبل أبو سفيان في ثلاث ليال خلون من شوال ، حتّى نزل أحدًا ، وخرج النبیّ صلّى الله عليه وسلّم ، فأذن في الناس فاجتمعوا ، وأمر الزبير على الخيل ؛ ومعه يومئذ المقداد بن الأسود الكنديّ ، وأعطى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم اللّواء^(١) رجلاً من قريش يقال له مُصعب بن عمير ، وخرج حمزة بن عبد المطلب بالحسر^(٢) ، وبعث حمزة بين يديه ، وأقبل خالد بن الوليد على خيل المشركين ؛ ومعه عكرمة بن أبي جهل ، فبعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الزبير ، وقال : استقبلْ خالد^(٣) بن الوليد ؛ فكنْ بلزائمه حتّى أؤذّنك ، وأمر بخیل أخرى ، فكانوا من جانب آخر ، فقال : لا تبرحن^(٤) حتّى أؤذّنكم . وأقبل أبو سفيان يحمِلُ اللّات والعزى ، فأرسل النبیّ صلّى الله عليه وسلّم إلى الزبير أن يحمِل ، فحمل على خالد بن الوليد ؛ فهزّمه الله ومنّ معه ، فقال : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ - إلى قوله - ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ﴾^(٥) ؛ وإنّ الله عزّ وجلّ وَعَدَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَنْصَرَهُمْ^(٦) ؛ وأنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بعث ناساً من الناس ؛ فكانوا من ورائهم ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : كونوا ها هنا ، فردُّوا وجهَ مَنْ فرّ منّا ، وكونوا حراساً لنا من قبَل ظهورنا . وأنّ رسولَ

(١) الأغاني : « الرّاية » .

(٢) الأغاني : « بالخيـش » .

(٣) و : « خالنا » .

(٤) و : « لا تبرحن » .

(٥) سورة آل عمران ١٥٢ .

(٦) الأغاني : « النصر » .

الله صَلَّى الله عليه وسلم لَمَّا هَزَمَ الْقَوْمَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، قَالَ الَّذِينَ كَانُوا جُعِلُوا مِنْ وَرَائِهِمْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ، وَرَأَوْا النِّسَاءَ مُصْعِدَاتٍ فِي الْجَبَلِ ، وَرَأَوْا الْغَنَامَ : انْطَلَقُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَدْرَكُوا الْغَنِيمَةَ (١) قَبْلَ أَنْ يَسْقُونَا (٢) إِلَيْهَا ؛ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى : بَلْ نَطِيعُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَبَّثْتُ مَكَانَنَا ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ لَهُمْ : ﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا ﴾ الَّذِينَ أَرَادُوا الْغَنِيمَةَ ، ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ الَّذِينَ قَالُوا : نَطِيعُ رَسُولِ اللَّهِ وَتَبَّثْتُ مَكَانَنَا ، فَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَقُولُ : مَا شَعَرْتُ أَنَّ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَعَرَضَهَا ؛ حَتَّى كَانَ يَوْمَئِذٍ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ ، عَنْ السَّدِّيِّ ، قَالَ : لَمَّا بَرَزَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ١٣٩٦/١ إِلَى الْمُشْرِكِينَ بِأَحَدِ أَمْرِ الرُّمَاءِ ، فَقَامُوا بِأَصْلِ الْجَبَلِ فِي وَجْهِهِ خَيْلُ الْمُشْرِكِينَ ؛ وَقَالَ [لَهُمْ] (٣) : لَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ إِنْ رَأَيْتُمْ [أَنَا] (٤) قَدْ هَزَمْنَاهُمْ ، فَإِنَّا لَا نَزَالُ غَالِبِينَ مَا تَبَّثْتُمْ مَكَانَكُمْ . وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ أَخَا خَوَاتِ بْنِ جُبَيْرٍ . ثُمَّ إِنَّ طَلْحَةَ بْنَ عُمَانَ صَاحِبَ لُؤَاءِ الْمُشْرِكِينَ قَامَ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ، إِنَّا نَسْتَعِينُكُمْ أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ بِسَيْفِكُمْ إِلَى النَّارِ ، وَيُعْجِلَكُمْ بِسَيْفِنَا إِلَى الْجَنَّةِ ؛ فَهَلْ مِنْكُمْ أَحَدٌ يُعْجِلُهُ اللَّهُ بِسَيْفِي إِلَى الْجَنَّةِ ، أَوْ يُعْجِلُنِي بِسَيْفِهِ إِلَى النَّارِ ! فَقَامَ إِلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَفَارُقُكَ حَتَّى أَعْبُثَكَ (٥) بِسَيْفِي إِلَى النَّارِ ، أَوْ تَعْبُثُنِي بِسَيْفِكَ إِلَى الْجَنَّةِ ، فَضْرَبَهُ عَلَى قَطْعِ رِجْلِهِ فَسَقَطَ فَانْكَشَفَتْ عَوْرَتُهُ ، فَقَالَ : أَشْنَدُكَ اللَّهُ وَالرَّحِمَ يَا بَنِي عَمٍّ ! فَتَرَكَهُ ، فَكَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ لِعَلَى : مَا مَنَعَكَ أَنْ تَجْهِيَزَ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : إِنَّ ابْنَ عَمِّي نَاشَدَنِي حِينَ انْكَشَفَتْ

(١) الْأَغَانِي : « الْغَنَامُ » .

(٢) الْأَغَانِي : « يَسْقُونَا » .

(٣-٤) مِنَ الْأَغَانِي .

(٥) الْأَغَانِي : « تَعْبُثُنِي » .

(٥) الْأَغَانِي : « يُعْجِلُكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِسَيْفِي إِلَى النَّارِ » .

عورته فاستحييت منه . ثم شدّ الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود على المشركين فهزماهم ؛ وحمل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فهزموا أبا سفيان . فلما رأى ذلك خالد بن الوليد - وهو على خيل المشركين - حمل فرمته الرواة فانقمع ^(١) . فلما نظر الرماة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في جوف عسكر المشركين يتجهون ، بادروا الغنيمة ، فقال بعضهم : لا نترك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . وانطلق عامتهم فلاحقوا ^(٢) بالعسكر ، فلما رأى خالد قلّة الرماة صاح في خيله ، ثم حمل فقتل الرماة ؛ وحمل على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . فلما رأى المشركون أن خيلهم تقاتل ، تنادوا فشدوا على المسلمين ، فهزمهم وقتلهم .

فحدثني بشر بن آدم ، قال : حدثنا عمرو بن عاصم الكلابي ، قال : حدثنا عبيد الله بن الوازع ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : قال الزبير : عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفاً في يده يوم أحد ، فقال : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ قال : فقلت فقلت : أنا يا رسول الله ، قال : فأعرض عني ، ثم قال : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقلت : أنا يا رسول الله ، فأعرض عني ، ثم قال : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقال : فقام أبو دجانة سيماك بن خرسة ، فقال : أنا آخذه بحقه ؛ وما حقه ؟ قال : حقه ألا تقتل به مسلماً ، وألا تفرّ به عن كافر ؛ قال : فدفعه إليه . قال : وكان إذا أراد القتال أعلم بعصاة ؛ قال : فقلت : لأتظنّ اليوم ما يصنع ، قال : فجعل لا يرتفع له شيء إلا هتكه وأفرأه ؛ حتى انتهى إلى نسوة في سفح جبل ، معهن دُفوف لمن ، فيهن امرأة تقول :

نَحْنُ بِنَاتُ طَارِقٍ إِنْ تَقْبَلُوا نَعَانِقُ
وَبَبْطُ النَّمَارِقِ أَوْ تَذِيرُوا نَفَارِقُ
• فِرَاقٌ غَيْرَ وَاثِقِ •

(١) انقمع : اغنى .

(٢) و : « فلاحق » .

قال : فرفع السيف ليضربها ، ثم كف عنها . قال : قلت : كل عمك قد رأيت ، أرايت رفعك للسيف عن المرأة بعد ما أهويت به إليها ! قال : فقال : أكرمت سيف رسول الله أن أقتل به امرأة .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . فقال رسول الله صلى الله عليه ١٣٩٨/١ وسلم : مَنْ يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقام إليه رجال ، فأمسكه عنهم ^(١) ، حتى قام إليه أبو دُجَّانَةَ سَمَّاكُ بْنُ خَرْشَةَ أَخُو بَنِي سَاعِدَةَ ، فقال : وما حقه يا رسول الله ؟ قال : أن تضرب به في العدو حتى ينحني ؛ فقال : أنا آخذه بحقه يا رسول الله ؛ فأعطاه إياه — وكان أبو دُجَّانَةَ رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب إذا كانت ، وكان إذا أعلم بعصاة له حمراء يعصها على رأسه علم الناس أنه سيقا تل — فلما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ عصا بته تلك ، فعصب ^(٢) بها رأسه ؛ ثم جعل يتبختر بين الصفتين .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم ، مولى عمر بن الخطاب ، عن رجل من الأنصار من بني سلمة ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أبا دُجَّانَةَ يتبختر : إِنَّهَا لَمَشِيَّةٌ يَبْغِضُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا فِي هَذَا الموطن . وقد أرسل أبو سفيان رسولاً ، فقال : يا معشر الأوس والخزرج ، خلُّوا بيننا وبين ابن عمنا ننصرف عنكم ، فإنه لا حاجة لنا بقتالكم فردوه بما يكره .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن ١٣٩٩/١ عاصم بن عمر بن قتادة ، أن أبا عامر عبد ^(٣) عمرو بن صبيح بن مالك بن النعمان بن أمة ^(٤) ، أحد بني ضبيعة ؛ وقد كان خرج إلى مكة مُبَاعِداً

(١) الأغاني : « بينهم » .

(٢) ابن هشام : « فاعتصب بها » .

(٣) ساقطة من الأغاني .

(٤) الأغاني : « أمية » .

لرسول الله صلى الله عليه وسلم، معه خمسون غلاماً من الأوس، منهم عثمان ابن حُنَيْفٍ - وبعض الناس يقول: كانوا خمسة عشر- فكان يعد قريشاً أن لو قد لقيَ محمدًا لم يختلف عليه منهم رجلان، فلما التقى الناس، كان أول من لقيهم أبو عامر في الأحابيش وعُبدان أهل مكة، فنادى: يا معشر الأوس، أنا أبو عامر، قالوا: فلا أنعم الله بك عينا يا فاسق - وكان أبو عامر يسمى في الجاهلية «الراهب»، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم «الفاسق» - فلما سمع ردهم عليه، قال: لقد أصاب قومي بعدى شر. ثم قاتلهم قتالا شديداً، ثم راضخهم بالحجارة^(١)، وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم بذلك على القتال: يا بني عبد الدار، إنكم وليتم لواءنا يوم بدر، فأصابنا ما قد رأيتم، وإنما يؤتى الناس من قبل رايانهم؛ إذا زالت زالوا؛ فلما أن تكفونا لواءنا؛ وإما أن تخلوا بيننا وبينه فسنكفيكموه. فهموا به وتواعده، وقالوا: نحن نسلم إليك لواءنا، ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع! وذلك الذي أراد أبو سفيان. فلما التقى الناس، ودنا بعضهم من بعض، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللواتي معها، وأخذت الدُّفوفَ يضررن خلف الرجال ويحرضنهم، فقالت هند فيما تقول:

إِنْ تُقْبَلُوا مُنَاقٍ وَنَفَرِشَ النَّمَارِقُ
أَوْ تَدْبُرُوا مُنَاقٍ فِرَاقٍ غَيْرِ وَاِمِقُ

وتقول:

وَيْهَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ^(٢) ! وَيَهَا حُمَاةَ الْأَذْيَارِ^(٣) !
• ضَرْبًا بِكُلِّ بَتَّارٍ^(٤) •

(١) الأغاني: «الحجارة». والمراضة: المراماة.

(٢) الأغاني: «لها».

(٣) حواة الأذبار: الذين يحسون أعقاب الناس.

(٤) البتار: السيف القاطع.

واقْتَتَلَ الناسَ حتى حَمِيَّتِ الحربُ ، وَقَاتَلَ أَبُو دُجَانَةَ حَتَّى أَمْعَنَ فِي الناسِ ، وَحِمَزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي رِجَالِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَصْرَهُ ، وَصَدَقَهُمْ وَعْدَهُ ، فَحَسُّوهُمْ ^(١) بِالسُّيُوفِ حَتَّى كَشَفُوهُمْ ، وَكَانَتِ الْهَزِيمَةُ لَا شَكَّ فِيهَا .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبَّادٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ : قَالَ الزُّبَيْرُ : وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُنِي أَنْظُرَ إِلَى خَدَمِ هِنْدَ بِنْتِ عُبَيْةٍ وَصَوَاحِبِهَا ^(٢) ١٤٠١/١ مَشْمَرَاتِ هَوَارِبٍ ، مَادُونِ أَخَذَهُنَّ قَلِيلٌ كَثِيرٌ ، إِذْ مَالَتِ الرُّمَاءُ إِلَى الْعَسْكَرِ حِينَ كَشَفْنَا الْقَوْمَ عَنْهُ يَرِيدُونَ النَّهْبَ ، وَخَلَّوْا ظَهْرَنَا لِلْخَيْلِ ، فَأَتَيْنَا مِنْ أَدْبَارِنَا وَصَرَخَ صَارِخٌ : أَلَا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ ؟ فَأَنْكَفَأْنَا ^(٣) ، وَانْكَفَأَ عَلَيْنَا الْقَوْمُ ؛ بَعْدَ أَنْ أَصَبْنَا أَصْحَابَ اللُّوَاءِ حَتَّى مَا يَدْنُو مِنْهُ أَحَدٌ مِنَ الْقَوْمِ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ ، أَنَّ اللُّوَاءَ لَمْ يَزَلْ صَرِيحًا حَتَّى أَخَذَتْهُ عَمْرَةُ بِنْتُ عَلْقَمَةَ الْحَارِثِيَّةُ ، فَرَفَعَتْهُ لِقَرِيشٍ ، فَلَاثُوا بِهِ ^(٤) ، وَكَانَ اللُّوَاءُ مَعَ صَوَابٍ ، غُلَامٌ لِبْنِي أَبِي طَلْحَةَ ، حَبَشِيٌّ ، وَكَانَ الْآخَرُ مِنْ أَخِذِهِ مِنْهُمْ ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُطِعَتْ يَدَاهُ ، ثُمَّ بَرِكَ عَلَيْهِ ، فَأَخَذَ اللُّوَاءُ بِصُدْرِهِ وَصُنْفِهِ حَتَّى قُتِلَ عَلَيْهِ ؛ وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ هَلْ أَعْدَرْتُ ! فَقَالَ فَحَسْبُكَ بَنُ ثَابِتٍ فِي قَطْعِ يَدِ صَوَابٍ حِينَ تَقَافُوا بِالْشَعْرِ :

فَقَسَرْتُمْ بِاللُّوَاءِ وَشَرُّهُ فَخَرِي لَوَاءٌ حِينَ رُدَّ إِلَى صَوَابٍ ^(٥)
جَعَلْتُمْ فَخْرَكُمْ فِيهَا لَمَبِدٍ مِنَ الْأَمِّ مَنْ وَطِئَ عَفَرَ التُّرَابِ ^(٦)

(١) حَسُّوهُمْ : اسْتَأْصَلُوهُمْ . (٢) و : « وَصَوَاحِبُهَا » .

(٣) انْكَفَأْنَا : رَجَعْنَا .

(٤) لَاثُوا بِهِ : اجْتَمَعُوا حَوْلَهُ . فِي الْأَغَانِي : « فَلَاثُوا بِهَا » . (٥) دِيوَانُهُ ٦٢

(٦) ابْنُ هِشَامٍ وَالْبُلْبُلَانُ : « مَنْ يَطْلُو عَفَرَ التُّرَابِ » .

ظَنَنْتُمْ وَالسَّفِيهُ لَه ظُنُونٌ
بَأَن جِلَادَنَا يَوْمَ التَّقِينَا ١٤٠٢/١
وَمَا إِنْ ذَاكَ مِنْ أَمْرِ الصَّوَابِ
أَقْرَ الْعَيْنَ أَنْ عُصِبَتْ يَدَاهُ
وَمَا إِنْ تُمْصَبَانِ عَلَى خَضَابٍ^(١)

حدثنا أبو كُرَيْبٍ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا حِبَّانُ ابن عليّ ، عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : لما قُتِلَ عليّ بن أبي طالب أصحاب الألوية^(٢) ، أبصر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم جماعة من مشركي قريش ، فقال لعلّي : أحمل عليهم ، فحمل عليهم ؛ ففرّق جمعهم ، وقتل عمرو بن عبد الله الجُمَحِيُّ . قال : ثم أبصر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم جماعة من مشركي قريش ، فقال لعلّي : أحمل عليهم ، فحمل عليهم ففرّق جماعتهم ؛ وقتل شيبة بن مالك أحد بني عامر بن لؤيّ ، فقال جبريل : يا رسولَ الله ، إنّ هذه لكم واساة ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : إنه منّي وأنا منه ، فقال جبريل : وأنا منكما ، قال : فسمعوا صَوْتًا :

لَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْقَعَارِ وَلَا قِيَّ إِلَّا عَلِيٌّ

قال أبو جعفر : فلما أتى المسلمون من خلفهم انكشفوا وأصاب منهم المشركون ، وكان المسلمون لمّا أصابهم ما أصابهم من البلاء أثلاثاً : ثلث قتل ، وثلث جريح ، وثلث منهزم ؛ وقد جهده الحرب حتّى ما يدرى ما يصنع ، وأصبحت ربّاعية^(٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم السفلى ، وشقّت شفته ، ١٤٠٣/١

(١) قال ابن هشام : « آخرها بيتا يروى لأبي غرashed الهذلي ، وأنشدني له خلف الأحمر :

أَقْرَ الْعَيْنَ أَنْ عُصِبَتْ يَدَاهَا وَمَا إِنْ تُمْصَبَانِ عَلَى خَضَابِ

في أبيات له يعني امرأته في غير حديث أحد ، وتروى الأبيات أيضاً لمقل بن خويلد الهذلي .

(٢) الأغاني : « لما قتل أصحاب الألوية » .

(٣) الرباعية : السن التي بين الثانية والثالثة .

وَكُلِّمَ فِي وَجْهِهِ وَجْهَهُ فِي أَصُولِ شَعْرِهِ ، وَعَلَاهُ ابْنُ قُمَيْتَةَ بِالسَّيْفِ عَلَى شَقَّةِ الْأَيْمَنِ ؛ وَكَانَ الَّذِي أَصَابَهُ عُثْبَةُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس بن مالك ، قال : لما كان يوم أحد ، كُسِرَتْ رَبَاعِيَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشُجَّ ، فَجَعَلَ الدَّمُ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ ، وَجَعَلَ يَمْسَحُ الدَّمُ عَنْ وَجْهِهِ ، وَيَقُولُ : كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ بِالْدَّمِ . وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ! فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ... ﴾ (١) الْآيَةُ .

• • •

قال أبو جعفر : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غشيه القوم : مَنْ رَجُلٌ يَشْرِي لَنَا نَفْسَهُ !

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن محمود بن عمرو بن يزيد بن السكن ، قال : فقام زياد بن السكن في نفر خمسة من الأنصار ، وبعض الناس يقول : إنما هو عُمارة بن زياد ابن السكن ، فقاتلوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ، ثم رجلا ، يقتلون دونه ؛ حَتَّى كَانَ آخِرُهُمْ زِيَادٌ — أَوْ عُمَارَةُ بْنُ زِيَادِ بْنِ السَّكَنِ (٢) — فَقَاتَلَ حَتَّى أَثْبَتَتْهُ الْجِرَاحَةُ ، ثُمَّ فَاءَتْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِئْتَةٌ (٣) حَتَّى أَجْهَضُوا (٤) عَنْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَدْنُوهُ مِنِّي ، فَأَدْنُوهُ مِنْهُ ، فَوَسَّدَهُ قَدَمَهُ ، فَاتَّ وَخَدَّهُ عَلَى قَدَمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَرَسَّ دُونَ ١٤٠٤/١

(١) سورة آل عمران ١٢٨ .

(٢) الأغاني : « زياد بن عمارة بن زياد بن السكن » .

(٣) الفئدة : الجماعة .

(٤) أجْهَضُوا : أزالوا وغلبوا .

(٥) الأغاني : « من دون » .

رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو دُجَانة بنفسه يَتَقَعُ النَّبِيلَ في ظهره وهو مُنْحَنٍ عليه ؛ حتى كَثُرَتْ فِيهِ النَّبِيلُ ، وَرَمَى سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ سَعْدٌ : فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنَاولُنِي وَيَقُولُ : اِرْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ! حَتَّى إِنَّهُ لَيَنَاولُنِي السَّهْمَ مَا فِيهِ نَصْلٌ ، فيقول : اِرْمِ بِهِ !

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عَمْرِو بْنِ قَتَادَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَمَى عَنْ قَوْسِهِ حَتَّى انْدَقَتْ سَيْتُهَا ^(١) ، فَأَخَذَهَا قَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ ؛ فَكَانَتْ عِنْدَهُ ، وَأَصَابَتْ يَوْمئِذٍ عَيْنُ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ ؛ حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى وَجْهِهِ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عَمْرِو بْنِ قَتَادَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَدَّهَا بِيَدِهِ ؛ فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنِيهِ وَأَحَدَهُمَا .

• • •

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَقَاتَلَ مُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ لَوَاؤُهُ حَتَّى قُتِلَ ؛ وَكَانَ الَّذِي أَصَابَهُ ابْنُ قَمِيثَةَ ^(٢) اللَّيْثِيُّ . وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَرَجَعَ إِلَى قَرِيشٍ ، فَقَالَ : قَتَلْتُ مُحَمَّدًا . فَلَمَّا قَتَلَ مُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّوَاءَ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقَاتَلَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلِبِ حَتَّى قَتَلَ أَرْطَاةَ بْنِ عَبْدِ ^(٣) شُرَحْبِيلَ بْنِ هَاشِمٍ بِنَ عَبْدِ مَنَاظٍ بِنَ عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ ؛ وَكَانَ أَحَدَ الثَّغَرِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ اللَّوَاءَ ، ثُمَّ مَرَّ بِهِ سَبَاعُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى الغُبَشَانِيُّ - وَكَانَ يَكْنَى بِأَبِي نَيْسَارٍ - فَقَالَ لَهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلِبِ : هَلُمَّ إِلَى يَا بَنَ مَقْطَعَةِ الْبُظُورِ - وَكَانَتْ أُمُّهُ أُمُّ أُنْمَارٍ مَوْلَاةُ شَرِيقَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ وَهَبِ النَّخَعِيِّ ، وَكَانَتْ خَتْنَانَهُ بِمَكَّةَ - فَلَمَّا التَقِيَ ضَرَبَهُ حَمْزَةُ فَقَتَلَهُ ، فَقَالَ

(١) سِيَةُ الْقَوْسِ : طَرَفُهُ .

(٢) الْأَغَانِيُّ وَابْنُ هَشَامٍ : « ابْنُ قَمِيثَةَ » . (٣) سَاطِعَةٌ مِنْ رِوَايَةِ الْأَغَانِيِّ .

وَحَنِيئَةُ عَلَّامٌ جَبَّارٌ بن مطعم : والله إني لأنتظر إلى حمزة يَهْدُ^(١) الناس بسيفه ، ما يليق^(٢) شيئا يمر به ؛ مثل الحمل الأورق ؛ إذ تقدمني إليه سيّاح بن عبد العزى ، فقال له حمزة : هلُمَّ إلىّ يا بن مقطّعة البظور ! فضربه ؛ فكأنما أخطأ رأسه ، وهزّزت حريتي حتى إذا رضيتُ منها دفعْتُها عليه فوقع في لَبَتِهِ حتى خرجت من بين رجليه ، وأقبل نحوي ، فغلب فوقع ، فأمهلتُه حتى إذا مات جثت فأخذتُ حريتي ؛ ثم تنحيتُ إلى العسكر ؛ ولم يكن لي بشيء حاجة غيره . وقد قتل عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح أخو بني عمرو بن عوف مسافع بن طلحة وأخاه كيلاب بن طلحة ؛ كلاهما يُشعره^(٣) سهماً ؛ فيأتى أمه سُلَاقَةً فيَبْصَحُ رأسه في حجرها ، فتقول : يا بنيّ ، مَنْ أصابك ؟ فيقول : سمعتُ رجلاً حين رماني يقول : خذها وأنا ابن الأفلح ! ١٤٠٦/١ فتقول : ألقني ! فنذرتُ الله إن الله أمكنها من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر . وكان عاصم قد عاهد الله ألاّ يمسّ مشركاً أبداً ولا يمسّه .

فحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع ؛ أخو بني عدى بن النجار ، قال : انتهى أنس بن النضر ؛ عمّ أنس بن مالك ، إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار ، وقد ألقوا بأيديهم ، فقال : ما يجلسكم ؟ قالوا : قتل محمد رسول الله ، قال : فما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا ففوتوا [كراما] ^(٤) على ما مات عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . ثم استقبل القوم ؛ فقاتل حتى قتل ؛ وبه سمى أنس بن مالك .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : لقد وجدنا بأنس بن

(١) هذه بالسيف : قطعه .

(٢) ما يليق : ما يترك وما يليق .

(٣) أشعره سهماً : خالطه به .

(٤) من الأغاني .

التَّضَرُّعُ بِوَمُئِذٍ سَبْعِينَ ضَرْبَةً وَطَعَنَ فَمَا عَرَفَهُ إِلَّا أَخْتَهُ ، عَرَفَتْهُ بِحَسَنِ بَنَانِهِ .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال :
 « كان أوَّل مَنْ عَرَفَ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بعد الهزيمة وقول الناس :
 « قُتِلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم » - كما حدثني ابنُ شهاب الزهري - كعب بن
 مالك ، أخو بني سلمة ، قال : عرفت عينيه تزهَّران تحت المغفر ، فناديت :
 بأعلى صوتي : يا معشرَ المسلمين أبشروا ! هذا ^(١) رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم !
 فأشار إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : أن أنصت . فلما عرف المسلمون
 رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم نهضوا به ، ونهضَ نحو الشعب ، معه علي بن
 أبي طالب ، وأبو بكر بن أبي قحافة ، وعمر بن الخطاب ، وطلحة بن عبيد الله
 والزبير بن العوام ، والحارث بن الصَّمَّة ، في رهط من المسلمين ^(٢) . فلما أسند ^(٣)
 رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم في الشعب أدركه أبي بن خلف وهو يقول : أين
 مُحَمَّدٌ ! لا نجوتُ إن نجوتُ ! فقال القوم : يا رسولَ الله ، أعطف عليه
 رجل منّا ؟ قال : دعوه ، فلما دنا تناول رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم
 الحرية من الحارث بن الصَّمَّة - قال : يقول بعض الناس فيما ذكر لي :
 فلما أخذها رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، انتفض بها انتفاضة تطايرَ ناعنه تطايرُ
 الشعراء ^(٤) عن ظهر البعير إذا انتفض بها ؛ ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة
 تدَّأدأ ^(٥) منها عن فرسه مرَّاراً .

وكان أبي بن خلف - كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ،
 عن محمد ابن إسحاق ، عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف
 - يلقَى رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بمكة ، فيقول : يا مُحَمَّدُ
 إن عندى العود ، أعلفه كلَّ يومَ فَرَقاً ^(٦) من ذرة أحتلك عليه ! فيقول

(١) م : « هناك » . (٢) الخبر إلى هنا في التفسير ٧ : ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

(٣) أسند في الجليل : رد فيه .

(٤) الشعراء : ذباب أحمر ، يقبل أزرق ، يقع على الإبل ويخذيها أذى شديداً .

(٥) تدأدأ : تدرج .

(٦) الفرق : مكيال لأهل المدينة يسع ثلاثة أصولع .

رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أنا أقتلك إن شاء الله . فلما رجع إلى قريش ، وقد خلدته في عنقه ^(١) خَدَشًا غير كبير ؛ فاحتقن الدم ، قال : قتلني والله محمد . قالوا : ذهب والله فؤادك ؛ والله إن بك بأس ^(٢) . قال : إنه قد كان بمكة قال لي : أنا أقتلك ؛ فوالله لو بصق على لقتلني . فأتت عدو الله بسرف وهم قافلون به إلى مكة .

قال : فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فم الشعب ، خرج علي بن أبي طالب حتى ملأ دَرَقَتَهُ من المهراس ^(٣) . ثم جاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشرب منه ؛ فوجد له ريحاً فعافه ؛ ولم يشرب منه ، وغسل عن وجهه الدم ؛ وصَبَّ على رأسه ؛ وهو يقول : اشتد غضب الله على من دَمَى وَجْهَ نَبِيٍّ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق . قال : حدثني صالح بن كيسان ، عمن حدثه ، عن سعد بن أبي وقاص ، أنه كان يقول : والله ما حرَّصت على قتل رجل قطَّ ما حرَّصت على قتل عتبة بن أبي وقاص ؛ وإن كان ما علمت لَسَمِيءَ الخلق ، مِبْغَضًا في قومه ؛ ولقد كفاني منه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اشتد غضب الله على من دَمَى وجه رسول الله » .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، قال : أتى ابن قميئة الحارثي أحد بني الحارث ابن عبد مناة بن كنانة ، فرى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر ، فكسر أنفه ورباعيته ، وشجَّه في وجهه ، فأثقله وتفرَّق عنه أصحابه ، ودخل بعضهم المدينة ، وانطلق بعضهم فوق الجبل إلى الصخرة ، فقاموا عليها ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس : إلى عباد الله !

(١) الأغاني : « حلقه » .

(٢) الأغاني : « ما بك بأس » .

(٣) المهراس : ماء يجبل أحد .

١٤٠٩/١ إلى عباد الله ! فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً ، فجعلوا يسرون بين يديه ، فلم يقف أحد إلا طلحة وسهل بن حنيفة ، فحماه طلحة ، فرمى بسهم في يده فبيست يده ، وأقبل أبي بن خلف الجمحي ، وقد حلف ليقتلن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : بل أنا أقتله ، فقال : يا كذاب ، أين تنير ! فحمل عليه فطعنه النبي صلى الله عليه وسلم في جيب الدرع ، فجرح جرحاً خفيفاً ، فوقع يخور خوار الثور ، فاحتملوه ، وقالوا : ليس بك جراحة ، فما يجزئك ؟ قال : أليس قال : « لأقتلك » ! لو كانت بجميع ربيعة ومضر لقتلتهم ! فلم يلبث إلا يوماً أو بعض يوم حتى مات من ذلك الجرح .

وفشا في الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قُتل ، فقال بعض أصحاب الصخرة : ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبي ، فيأخذ لنا أمانة من أبي سفيان ! يا قوم إن محمداً قد قتل ، فارجموا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم . قال أنس بن النضر : يا قوم إن كان محمد قد قتل ، فإن رب محمد لم يقتل . فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد : اللهم أني أعتذر إليك ما يقول هؤلاء ، وأبرأ إليك ما جاء به هؤلاء ! ثم شد^(١) بسيفه فقاتل حتى قتل ، وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس حتى انتهى إلى أصحاب الصخرة ، فلمّا رأوه وضع رجل سهماً في قوسه ، فأراد أن يرميه فقال : أنا رسول الله ، ففرحوا بذلك حين وجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حياً ، وفرح رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أن في أصحابه من يمتنع به ، فلمّا اجتمعوا وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب عنهم الحزن ، فأقبلوا يذكرون الفتح ، وما فاتهم منه ، ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا ، فقال الله عز وجل للذين قالوا : « إن محمداً قد قتل ، فارجموا إلى قومكم » : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾

وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١١﴾.

فأقبل أبو سفيان حتى أشرف عليهم ، فلما نظروا إليه نسوا ذلك الذي كانوا عليه ، وأهمتهم أبو سفيان ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ليس لم أن يعلوَناءُ اللهم ! إن تقتل هذه العصابة لا تُعْبِد ! ثم ندب أصحابه ، فرمَوْهم بالحجارة حتى أنزلوهم ؛ فقال أبو سفيان يومئذ : اعلُ هُبَل ، حنظلة بحنظلة ، ويومٌ بيوم^(٢) بدر . وقتلوا يومئذ حنظلة بن الراهب ، وكان جنباً ففسلته الملائكة ؛ وكان حنظلة بن أبي سفيان قُتِل يوم بدر ؛ وقال أبو سفيان : لنا العزى ولا عزى لكم ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعمر : قل : الله مولانا ولا مولى لكم . فقال أبو سفيان : أفيكم^(٣) محمد ! أما إنها^(٤) قد كانت فيكم مثلة ، ما أمرت بها ولا نهيئت عنها ؛ ولا سرتني ولا ساءتني ؛ فذكر الله عز وجل إشراف أبي سفيان عليهم ، فقال : ﴿ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمِّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾ ، والغم الأول ما فاتهم من الغنمة والفتح ، والغم الثاني إشراف العدو عليهم ، ﴿ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ﴾ ١٤١١/١ من الغنمة ﴿ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾^(٥) من القتل حين تذكرون . فشغلهم أبو سفيان^(٦) .

قال أبو جعفر : وأما ابنُ إسحاق ، فإنه قال — فيما حدثنا ابنُ حُميد قال : حدثنا سلمة عنه — بينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في الشعب ؛ ومعه أولئك النَّفَر من أصحابه إذ علت عالية من قريش الجبل ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اللهم ! إنه لا ينبغي لم أن يعلوَناءُ ؛ فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم عن الجبل ؛ ونهض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى صخرة من الجبل ليعلوها . وقد كان بدت رسول

(١) سورة آل عمران ١٤٤ .

(٢) م : « ويوم أحد ويوم بدر » .

(٣) م : « فيكم » .

(٤) م : « قال : أما إنها » ، وفي التفسير « قالوا : نعم » ، قال « .

(٥) سورة آل عمران ١٥٣ .

(٦) التفسير ٧ : ٣٠٧ - ٣٠٨ .

الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، وظاهرَ بين درْعَيْنِ^(١) ، فلما ذهب لينهض لم يستطع ؛ فجلس تحته طلحة بن عبيد الله ، فنهض حتّى استوى عليها^(٢) .

حدَّثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : قال محمد : قال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، كما حدَّثنا يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير ، قال : سمعتُ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلّم يقول يومئذ : أوجب طلحة حين صنع برسول الله ما صنع .

قال أبو جعفر : وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، حتى انتهى بعضهم إلى المتي دون الأعوص ، وفرَّ عثمان بن عفان وعقبة بن عثمان وسعد بن عثمان (رجلان من الأنصار) ؛ حتّى بلغوا الجَلْعَبَ (جبلًا بناحية المدينة مما يلي الأعوص) ، فأقاموا به ثلاثًا ثم رجعوا إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ؛ فزعموا أنَّ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، قال لهم : لقد ذهبتُم فيها عريضة^(٣) .

• • •

قال أبو جعفر : وقد كان حنظلة بن أبي عامر السيل ، التقي هو وأبو سفيان بن حرب ، فلما استعلاه حنظلة رآه شدّاد بن الأسود—وكان يقال له . ابن شعوب—قد علا أبا سفيان ، فضربه شدّاد فقتله ، فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم : إن صاحبكم^(٤) — يعنى حنظلة — لتفسله الملائكة . فسلوا أهله : ما شأنه ؟ فسلّتْ صاحبتَه ، قالت : خرج وهو جُنُب حين سمع الهائمة^(٥) ؛ فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم : لذلك غسّلت الملائكة ، فقال شدّاد ابن الأسود في قتله حنظلة :

لَأَحْمِيَنَّ صَاحِبِي وَنَفْسِي بِطَمَنَةٍ مِثْلِ شُعَاعِ الشَّمْسِ

(١) وظاهر بين درعين ، أى لبس إحداهما على الأخرى .

(٢) الخبر في التفسير ٧ : ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

(٣) عريضة ، أى وأسة ، وانظر النهاية ٣ : ٨٢ . (٤) و : « صاحبكما » .

(٥) الهائمة : الصوت الذى تفرع منه وتخافه من العدو .

وقال أبو سفيان بن حرب ؛ وهو يذكر صبره ذلك اليوم ، ومعاونة ابن شعوب شداد بن الأسود إتياءه على حنظلة :

ولو شئتُ نجّيتُ كَمَيْتَ طِمْرَةٍ ولم أحمل النّماء لابنِ شعوب^(١)
 فما زال مهزّي مزجّر الكلبِ منهم لدى غُدُوّةٍ حتى دنتُ لِرُؤوب^(٢)
 أفانلهم وأدعى يالَ غالبٍ وأذفهم عني برُكنِ صليب
 فبكى ولا تورّعني مقالة عاذلٍ ولا تسأني من عَبرَةٍ ونجيب^(٣)
 أبلك وإخواناً له قد تتابعوا وحقّ لهم من عَبرَةٍ بنصيب
 وسلى الذي قد كان في النفس أننى قتلت من النّجار كلّ نجيب
 ومن هاشم قرماً نجيباً ومضجاً وكان لدى المنيجاء غير هَيُوب^(٤)
 ولو أننى لم أشف منهم قروتي لكانت شجعي في القلب ذاتُ ندوب^(٥)
 فأبوا وقد أودى الحلابُ منهم لم خدب من مُعْطِلٍ وكثيب^(٦)
 أصابهم من لم يكن لِدَمائهم كَفِيّاً ولا في خُطّةٍ بضريب
 فأجابه حسان بن ثابت فقال :

ذَكَرْتَ القُرُومَ الصِّدَمَ آلَ هاشم ولتَ لزورٍ قُلتَهُ بِمُصِيب^(٧)
 اتَّعَجَبُ أَنْ أَفْضَدْتَ حَمْرَةَ مِنْهُمْ نجيباً وقد سَيَّئْتَهُ بِنَجِيب^(٨)
 أَلَمْ يَقْتُلُوا عَمراً وَعُتْبَةَ وابنه وشيئةً والحجاجَ وأبنَ حبيبٍ ا

(١) الطمرة : الفرس السريمة الوثب .

(٢) مزجر الكلب ؛ أى لم يبعد منهم إلا بمقدار الموضع الذى يزجر الكلب فيه .

(٣) القرم : الفحل الكريم من الإبل ؛ يريد حمزة .

(٤) القروقة : النفس ، وفي ابن هشام : « لم أشف نفسى منهم » .

(٥) الحلاب : الجماعات ، أو أنصار الرجل من بني عمه ؛ ورواية البيت في ابن هشام :

قالوا وقد أودى الحلابُ منهم بهم خدب من مُعْطِلٍ وكثيب

(٦) أبيات أبي سفيان وجواب حسان ؛ في ديوان حسان ٦٤ - ٦٦ .

(٧) أقصده : رماه .

غَذَاةٌ دَعَا الْعَامِىَ عَلِيًّا فَرَاغَهُ بِضَرْبَةِ عَصَا بِلَهْ بِمُخَضَّبِ

وقال شدّاد بن الأسود، يذكر يده عند أبي سفيان بن حرب فيما دفع عنه :

وَلَوْلَا دِفَاعِي يَابْنَ حَرْبٍ وَمَشْهَدِي لَأَلْفَيْتَ يَوْمَ التَّنْفِ غَيْرَ حَبِيبِ
وَلَوْلَا مَكْرَتِي الْمُهَرِّ بِالتَّنْفِ قَرَّرْتِ ضِبَاعٌ عَلَيْهِ أَوْ ضِرَاهُ كَلِيبِ

وقال الحارث بن هشام يجيب أبا سفيان في قوله :

• وما زال مُهَرِّى مَزَجَرَ الْكَلْبِ مِنْهُمْ •

وظنّ أنه يعرض به إذ فرّ يوم بدر :

وإِنَّكَ لَوْ عَابَيْتَ مَا كَانَ مِنْهُمْ لَأَبَتْ بَقْلِي مَا جِئْتَ تَحِيْبِ^(١)
لَدَى صَخْنٍ بِذُرٍّ أَوْ لَقَامَتْ نَوَاسِحَ عَلَيْكَ، وَلَمْ تَحْفَلْ مُصَابَ حَبِيبِ
جَزَيْتَهُمْ يَوْمًا بِبَذْرِ كَمْثِلِهِ عَلَى سَابِغٍ ذِي مَيْعَةٍ وَشَبِيبِ^(٢)

١٤١٤/١

• • •

قال أبو جعفر : وقد وقفت هند بنت عتبة - فيما حدثنا ابن حميد ؛ قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني صالح بن كيسان - والنسوة الثلاث معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يتجدعن الآذان والأنوف^(٣) ؛ حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنفهم خدماً^(٤) وقلائد ، وأعطت خدماً وقلائدها وقيرطتها وحشياً ، غلام جبير بن مطعم ، وبقرت عن كبد حمزة

(١) التحيب : الجبان الفرع .

(٢) السابغ : الفرس الذي كأنه يسبح في جريه . والميعة : الحفة والنشاط ، شبيب ، أى شاب .

(٣) الأغاني : « الألف » .

(٤) الخدم : جمع خمة ، بالتحريك ؛ وهى الخلخال .

فلاكنها فلم تستطع أن تُسَيِّفَهَا فَلَقَطَطْنَهَا . ثُمَّ عَلَتْ عَلَى صَخْرَةٍ مُشْرِقَةٍ ،
فَصَرَخَتْ بِأَعْلَى صَوْتِهَا بِمَا قَالَتْ مِنَ الشَّرِّ حِينَ ظَفَرُوا بِمَا أَصَابُوا مِنْ أَصْحَابِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن
إسحاق ، قال : حدثني صالح بن كيسان ، أَنَّهُ حَدَّثَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ١٤١٦/١
قال لحسان : يَا بْنَ الْفُرَيْعَةِ لَوْ سَمِعْتَ مَا يَقُولُ هِنْدُ وَرَأَيْتَ أَشْرَهَا ، قَائِمَةً
عَلَى صَخْرَةٍ تَرْتَجِزُ بِنَا ، وَتَذَكُرُ مَا صَنَعْتَ بِحِمْرَةٍ ! فَقَالَ لَهُ حَسَّانُ : وَاللَّهِ
إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى الْحَرْبَةِ تَهْوِي وَأَنَا عَلَى رَأْسِ فَارِعٍ - يَعْنِي أَطْمَهَ - قُلْتُ :
وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَسِلَاحٌ مَا هِيَ بِسِلَاحِ الْعَرَبِ ؛ وَكَأَنَّهَا إِنَّمَا تَهْوِي إِلَى حِمْرَةٍ ؛
وَلَا أَدْرَى . أَسَمِعْتَنِي بَعْضُ قَوْمٍ أَكْثِيكُمُوهَا ؛ قَالَ : فَأَنْشَدَهُ عُسْرُ بَعْضِ
مَا قَالَتْ ، فَقَالَ حَسَّانُ يَهْجُو هِنْدًا :

أَشِيرَتْ لَكَاجٍ وَكَانَ عَادَتُهَا لَوْ مَا إِذَا أَشِيرَتْ مَعَ الْكُفْرِ^(١)
لَمَنْ إِلَاهُ وَزَوْجَهَا مَعَهَا هِنْدُ الْهُنُودِ عَظِيمَةُ الْبَطْرِ
أَخْرَجَتْ مُرْقِصَةً إِلَى أَحَدٍ فِي الْقَوْمِ مُقْتَبَةً عَلَى بَكْرِ^(٢)
بَكْرٍ قَالِ لَا حَرَكَ بِه لَا عَنْ مُعَاتَبَةٍ وَلَا زَجَرٍ^(٣)
وَعَصَاكَ إِنْ شِئْتَ تَنْتَقِنَ بِهَا دَقَى الْعُجَابَةِ هِنْدُ بِالْفَهْرِ^(٤)
فَرِحَتْ عَجِيزَتَهَا وَمَشْرِجَهَا مِنْ دَأْبِهَا نَصَا عَلَى الْقُرَى^(٥)

(١) ديوانه ٢٢٩ . لكاج : كفى بها من هند ، وامرأة لكاج : لثينة ، ورواية الأغاني :
« من الكفر » .

(٢) الإرقاص : أن يحمل الجير على الحبيب ، وفي الديوان : « منقطة على بكر » .

(٣) النضال : البطىء من الإبل .

(٤) يقال : عصاه استه ، أي ليس معه عصا ؛ فهو يحرك استه على الحطية حتى تسير .
والمعجبة : الصبب يضرب حتى يلين . والفهر : حجر يملأ الكف .

(٥) النص : ضرب من السير السريع ؛ والقر : بالضم : الناحية والجانب .

١٤١٧/١. خَلَّتْ تَذَاوِيهَا زَمِيَّتَهَا بِالْمَاءِ تَنْفَعُهُ وَبِالسَّذِرِ
أَخْرَجَتْ نَائِرَةً مَبَادِرَةً بِأَيْكِ وَابْنِكِ يَوْمَ ذِي بَذِرِ
وَبِمَكِّ الْمَسْتُورِ فِي رَدْعِ وَأَخِيكِ مَنْعَفَرَيْنِ فِي الْجَفْرِ^(١)
وَنَسِيتِ فَاحِشَةً أَتَيْتِ بِهَا يَا هِنْدُ، وَيَحْكُ سَبَّةَ الْأَدْفْرِ^(٢)
فَرَجَعَتْ صَاغِرَةً بِلَا تَرَوِ مِنَّا ظَلَمْتَ بِهَا وَلَا نَصْرِ
زَعَمَ الْوَلَايِدُ أَنَّهَا وَلَدَتْ وَلَدًا صَغِيرًا كَانَ مِنْ عَهْرِ

قال أبو جعفر: ثم إن أبا سفيان بن حرب أشرف على القوم - فيما حدثنا هارون بن إسحاق قال: حدثنا مصعب بن المقدم، قال: حدثنا إسرائيل.

وحدثنا ابن وكيع، قال: حدثني أبي، عن إسرائيل، قال: حدثنا أبو إسحاق، عن البراء، قال: ثم إن أبا سفيان أشرف علينا، فقال: أفي القوم محمد؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تجيبوه؛ مرتين، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ ثلاثاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تجيبوه، ثم قال: أفي القوم ابن الخطاب؟ ثلاثاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تجيبوه، ثم التفت إلى أصحابه، فقال: أما هؤلاء فقد قُتِلُوا، لو كانوا في الأحياء لأجابوا، فلم يملك عمر بن الخطاب نفسه أن قال: كذبت يا عدو الله، قد أبى الله لك ما يخزيك! فقال: اعلُ هُبْل! اعلُ هُبْل! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أجيبوه، قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: الله أعلَى وأجلُّ! قال أبو سفيان: ألا لنا العزَّى ولا عزَّى لكم! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أجيبوه، قالوا: ما نقول؟ قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم! قال أبو سفيان: يوم

(١) المستور: المضروب في استه. والردع: الدم. الهوان: «الملوب بزه». وفي ط: «ودع»، وما أثبت من الأغاني.

(٢) الأغاني: «سببة الدعر».

يوم بدر ، والحرب سجال ؛ أمّا إنكم ستجدون في القوم مثلاً لم أمر بها ولم تشق .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال في حديثه : لما أجاب عمرُ أبا سفيان قال له أبو سفيان : هلم يا عمر ، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إيتيه فانظر ما شأنه ؟ فجاءه فقال له أبو سفيان : أنشدك الله يا عمر ، أقتلنا محمداً ؟ فقال عمر : اللهم لا ؛ وإنه ليسمع كلامك الآن ، فقال : أنت أصدق عندي من ابن قميثة^(١) وأبر ؛ لقول ابن قميثة لم : إني قتلت محمداً . ثم نادى أبو سفيان ، فقال : إنه قد كان في قتلناكم مثل^(٢) والله ما رضيت ولا سخطت ، ولا نيت ولا أمرت^(٣) .

وقد كان الحليّس بن زبّان أخو بني الحارث بن عبد مناة ؛ وهو يومئذ سيد الأحابيش ، قد مرّ بأبي سفيان بن حرب ، وهو يضرب في شدة حمزة بزجّ الرمح ؛ وهو يقول : ذقْ عَقَقْ !^(٤) فقال الحليّس : يا بني كنانة ، هذا سيد قریش يصنع بابن عمّه كما ترون لحماً^(٥) ! فقال : اكتمها ، فإنّها كانت زلّة ، فلما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى : إن موعدهم بدر ١٤١٩/١ للعام المقبل ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه : قل نعم هي بيننا وبينك موعد .

ثم بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فقال : اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون ، وماذا يريدون ! فإن كانوا قد اجتمعوا الخيل ، وامتلأوا الإبل ، فلأنهم يريدون مكة ؛ وإن ركبوا الخيل ، وساقوا الإبل ، فهم يريدون المدينة ؛ فوالذي نفسي بيده ؛ لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأناجزنّهم . قال عليّ : فخرجت في آثارهم أنظر ماذا

(١) الأغاني : « قميّة » . (٢) الأغاني : « إنه قد كان مثل » . والمثل : جمع مظنة .

(٣) التفسير ٧ : ٣٠٩ ، ٣١٠ .

(٤) ذق عقق ، أي ذق جزاء فمك يا عاق ؛ وعقق : ممدول عن عاق بالمبالغة ، كقندر

من غادر .

(٥) لحماً ، أراد وهو قتل .

يصنعون ؛ فلما اجتمعوا للحيل وامتطوا الإبل توجهوا إلى مكة ؛ وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال : أتى ذلك كان فأخفِه^(١) حتى تأتيته . قال علي عليه السلام : فلما رأيتهم قد توجهوا^(٢) إلى مكة أقبلت أصبح ؛ ما أستطيع أن أكرم الذي أمروني به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لما بي من الفرح ؛ إذ رأيتهم انصرفوا إلى مكة عن المدينة .

وفرح الناس لقتلهم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - كما حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة المازني أخى بنى النجار ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : من رجل ينظر لى ما فعل سعد بن الربيع ؟ - وسعد أخو بنى الحارث بن الخزرج - أفى الأحياء هو أم فى الأموات ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا أنظرك يا رسول الله ما فعل ؛ فنظر فوجده جريحاً فى القتلى به رمى ، قال : فقلت له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى أن أنظر له : أفى الأحياء أنت أم فى الأموات ؟ قال : فأنأ فى الأموات ، أبلغ رسول الله عنى السلام ، وقل له : إن سعد ابن الربيع يقول لك : جزأك الله خيراً ما جزى نبي عن أمته ، وأبلغ عنى قومك السلام ، وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله إن خليص إلى نبيكم صلى الله عليه وسلم وفيكم عين تطرف . ثم لم أبرح حتى مات ؛ فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبره . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنى - يلتمس حمزة بن عبد المطلب ، فوجده يطن الوادى قد بقير بطنه عن كبده ، ومثل به ، فجدع أنفه وأذناه .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى بحمزة ما رأى ، قال : لولا أن تحزن صفة أو تكون سنة من بعدى لتركته حتى يكون فى أجواف السباع وحواصل الطير ؛ ولئن أنا أظهرت الله على قريش فى موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم ؛ فلما رأى

المسلمون حزنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيظه على ما فُعلَ بعمه ، قالوا : والله لئن ظهرنا عليهم يوماً من الدهر لنمثلنَّ بهم مثلثةً لم يمثلها ١٤٢١/١ أحد من العرب بأحد قط ! .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، قال : أخبرني بُريد بن سفيان بن فروة الأسلمي ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن ابن عباس . قال ابن حميد ، قال سلمة : وحدثني محمد بن إسحاق ، قال : وحدثني الحسن بن عمار ، عن الحكم بن عتيبة ، عن ميسم ، عن ابن عباس ، قال : إن الله عز وجل أنزل في ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول أصحابه : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ ^(١) ، إلى آخر السورة ، ففما رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبر ونهى عن المثلثة .

قال ابن إسحاق : وأقبلت - فيما بلغني - صفيّة بنت عبد المطلب لتنظر إلى حمزة - وكان أخاها لأبيها وأُمها - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير بن العوام : القها فارجمها ، لا ترى ما بأخيها . فلقيها الزبير فقال لها : يا أمّة ! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرُك أن ترجعي ، فقالت : ولم ، وقد بلغني أنه مُثِّلَ بأخي وذلك في الله قليل ! فما أرضانا بما كان من ذلك ! لاحتبسن ولأصبرن إن شاء الله . فلما جاء الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ، قال : خَلَّ سبيلها ، فأتته فنظرت إليه وصَلَّت عليه ، واسترجعت واستغفرت له ؛ ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم به فدُفِن .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : فحدثني محمد بن إسحاق ، قال : فرغم بعض آل عبد الله بن جحش - وكان لأُمَيَّة بنت عبد المطلب خاله حمزة ، وكان قد مُثِّلَ به كما مُثِّلَ بحمزة ؛ إلا أنه

لم يُبْقَرْ عن كبده - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دَفَنَهُ مع حمزة في قبره ؛ ولم أسمع ذلك إلا عن أهله .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني عاصم بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد وقع ^(١) حُسَيْل بن جابر - وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان - وثابت بن وقش بن زعوراء في الآطام مع النساء والصبيان ، فقال أحدُهما لصاحبه ؛ وهما شيخان كبيران ؛ لا أبالك ! ماتتنتظر؟ فوالله إن بقي لواحد منّا من عمره إلا ظيمٌ ^(٢) حِمَارٌ ^(٣) ؛ إنّا نحن هامة اليوم ^(٤) أو غَدٌ ؛ أفلا نأخذ أسيفنا ، ثم نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، لعل الله عز وجل يرزقنا شهادة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فأخذنا أسيفهما ، ثم خرجا حتى دخلا في النَّاسِ ، ولم يُعْلَمَ بهما ؛ فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون ، وأما حُسَيْل بن جابر ، اليَمَانُ ، فاختلف عليه أسيف المسلمين فقتلوه ؛ ولا يعرفونه . فقال حذيفة : أبى ! قالوا : والله إن عرفناه . وصدقوا ، قال حذيفة : يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ! فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَدِيَهُ ^(٥) فتصدّق حذيفة بِيَدَيْهِ على المسلمين ، فزادته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن رجلاً منهم كان يُدْعَى حاطب بن أمية بن رافع ، وكان له ابن يقال له يزيد بن حاطب ، أصابته جراحة يوم أحد : فأتى به إلى دار قومه وهو يموت ؛ فاجتمع إليه أهل الدار ؛ فجعل المسلمون يقولون من الرجال والنساء : أبشِرْ يا بن حاطب بالجنة ،

(١) كذا في م ، وفي الأغاني : « رجيع » .

(٢) ظم الحمار : ما بين الشريتين له ؛ وليس شيء من الدواب أقصر ظناً من الحمار ، يرد الماء كل يوم في الصيف مرتين .

(٣) هامة اليوم ، أي سنوت اليوم أو غدا .

(٤) وداه ، أي أدى ديته .

قال : وكان حاطبٌ شيخاً قد عسا^(١) في الجاهلية ، فَتَجَسَّم يَوْمئذٍ نفاقه ، فقال : بأى شئ تبشرونه ، أبجئة من حرمل^(٢) ! غررتم والله هذا الغلام من نفسه ، وفجعتموني به !

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : كان فينا رجلٌ أُنِي^(٣) لا يُدْرَى من أين هو ، يقال له قُرْظَمَان ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا ذُكِرَ له : إنه لَمِنْ أهل النار ؛ فلَمَّا كان يوم أحد ، قاتل قتالا شديداً ، فقتل هو وحده ثمانية من المشركين أو تسعة ؛ وكان شهماً شجاعاً ذا بأس ؛ فأثبتته الجراحة ، فاحتمل إلى دار بني ظُفَر . قال : فجعل رجالٌ من المسلمين يقولون : والله لقد أبليت اليوم يا قُرْظَمَان ؛ فأبشر ! قال : بم أبشر ! فوالله إن قاتلتُ إلا على أحساب قومي ؛ ولولا ذلك ما قاتلت ؛ فلَمَّا اشتدت عليه جراحته ، أخذ شهماً من كنانته فقطع رواهشَه فنزفه الدم فأت ، فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أشهد أنى رسولُ الله حقاً !

وكان ممن قُتِل يوم أحد مُخِيرِيق اليهودي^(٤) ، وكان أحد بني ثعلبة ابن الفُطَيْيْن ، لَمَّا كان ذلك اليوم قال : يا معشر يهود ؛ والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحقٌ . قالوا : إن اليوم يوم السبت ، فقال : لاسبت ، فأخذ سيفه وعدته ، وقال : إن أصيبتُ فالى محمد يصنع فيه ما شاء . ثم غداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتل معه حتى قُتِل ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني : مُخِيرِيق خير يهود .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن

(١) عسا ، أى كبر وأسن .

(٢) قال السهيلي : « يريد الأرض التي دفن فيها ؛ وكانت تبت الحرمل : أى ليس له جنة إلا ذاك » .

(٣) الأني : الغريب ليس من القوم .

إسحاق ، قال : وقد احتمل ناسٌ من المسلمين قَتْلَهم إلى المدينة . فدفنهم بها ، ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وقال : ادفنهم حيث صرُّعُوا .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن أشياخ من بني سلمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ حين أمر بدفن القتلى : انظروا عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو بن حرام . فإنهما كانا متصافيين في الدنيا ، فاجعلوهما في قبر واحد . قال : فلما احتضر معاوية القناة أخرجا وهما يتثنيان^(١) كأنما دفنا بالأمس .

قال : ثم انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم راجعاً إلى المدينة ، فلقينهُ حمَنة بنت جحش — كما ذكر لي — فَنَعِيَ لها^(٢) أخوها عبد الله بن جحش ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نَعِيَ لها خالها حمزة بن عبد المطلب ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نَعِيَ لها زوجها مصعب بن عمير ، فصاحت وولولت ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إنَّ زَوْجَ^(٣) المرأة منها لِمِكان ، لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالها ، وصياحها على زوجها .

قال : ومَرَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بدار من دور الأنصار من بني عبد الأشهل وظَنَّرَ ، فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم ؛ فَتَدَرَّقَتْ عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى ثم قال : لكنَّ حمزة لا يواكِي له ! فلما رجع سعد بن معاذ وأسيَد بن حُصَيْنِر إلى دار بني عبد الأشهل أَمَرَ نساءهم أن يتحزمنَ ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني عبد الواحد بن أبي عَوْن ، عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص ؛

(١) م : « يتثنيان » .

(٢) م : « إليها » .

(٣) م : « لزوج » .

قال : مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بني دينار ؛ وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد ؛ فلما نكحها قالت : فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : خيراً يا أمّ فلان ؛ هو بحمد الله كما تحبين ؛ قالت : أريني حتى أنظر إليه ، فأشير لها إليه حتى إذا رأيته قالت : كل مصيبة بعدك جلّك^(١) !

• • •

قال أبو جعفر : فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة ، فقال : اغسلي عن هذا دمه يا بنتي ؛ وناولها على عليه السلام سيفه ، وقال : وهذا فاغسلي عنه ؛ فوالله لقد صدقني اليوم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لن كنت صدقت القتال لقد صدق معك سهل بن حنيف ، وأبو دُجّانة سمالك بن خراشة . وزعموا أن علي بن أبي طالب حين أعطى فاطمة عليهما السلام سيفه قال :

أَفَاطِمُ هَالِكِ السَّيْفِ غَيْرَ ذَمِيمٍ فَلَسْتُ بِرَعِيدٍ وَلَا بُلِيمٍ
لَعَمْرِي لَقَدْ قَاتَلْتُ فِي حُبِّ أَحْمَدٍ وَطَاعَةِ رَبِّ الْعِبَادِ رَحِيمٍ
وَسَيِّئِي بِكَفَى كَالشَّهَابِ أَهْرُهُ أَجْذُبُهُ مِنْ عَائِقِي وَصِيمٍ
فَارَزَلْتُ حَتَّى فَعَسَ رَبِّي جُمُوعَهُمْ وَحَقِّ شَفِينَا نَفْسُ كُلِّ حَلِيمٍ

وقال أبو دُجّانة حين أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتل به قتالاً شديداً - وكان يقول : رأيت إنساناً يخمش الناس خمشاً شديداً فصمدت له ، فلما حملت عليه بالسيف وكولت ؛ فإذا امرأة ؛ فأكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأة - وقال أبو دُجّانة :

أَنَا الَّذِي عَاهَدَنِي خَلِيلِي وَغَنُ بِالْفُحْ لَدَى التَّخِيلِ
أَلَا أَقْوَمَ الدَّهْرَ فِي الْكَيْوَلِ أَضْرِبُ بِسَيْفِ اللَّهِ وَالرَّسُولِ^(٢)

١٤٢٧/١

(١) جل ، أي صبرة ، وهو من الأضداد . (٢) الكيول : آخر الصفوف في الحرب .

[غزوة حمراء الأسد]

وكان رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة يوم السبت ؛ وذلك يوم الواقعة بأحد ؛ فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، قال : كان يوم أحد يوم السبت ؛ للنصف من شوال ؛ فلما كان الغد من يوم أحد - وذلك يوم الأحد لست عشرة ليلة خلت من شوال - أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس بطلب العدو ؛ وأذن مؤذنه : ألا يخرجن معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس . فكلّمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ، فقال : يا رسول الله ، إن أبي كان خلفني على أخوات لي سبع ، وقال لي : يا بني ؛ إنه لا ينبغي لي ولا لك أن تترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ، ولست بالذي أؤثرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسي ؛ فتخلف على أخواتك . فتخلفت عليهن . فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج معه ؛ وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم مرهباً للعدو ؛ وليبلغهم أنه خرج في طلبهم ؛ ليظنوا به قوة ، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن علوهم . ١٤٢٨/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فحدثني عبد الله بن خارجه بن زيد بن ثابت ، عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان ، أن رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني عبد الأشهل كان شهد أحداً ، قال : شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأخي ، فرجعنا جريحين ؛ فلما أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في طلب العدو ، قلت لأخي وقال لي : أنفسوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ! والله ما لنا من دابة نركبها ، وما منا إلا جريح ثقيل ؛ فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكنت أيسر جرحاً منه - فكنت إذا غلب حملته عقيبته^(١) ومشى عقيبته حتى

(١) المقة ، بالضم : للتوبة .

انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون ، فخرج رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، حتى انتهى إلى حِمْراء الأسد ؛ وهي من المدينة على ثمانية أميال ، فأقام بها ثلاثاً : الاثنين ، والثلاثاء ، والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة .

وقد مرّ به — فيما حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم — معبدُ الخُزاعيّ ، وكانت خُزاعة مسلمهم ومشرِكهم عيّبة^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة ، صفقتُهم^(٢) معه ، لا يخفون عليه شيئاً كان بها — ومعبد يومئذ مشرك — فقال : يا محمد ؛ أما والله لقد عزّ علينا ما أصابك في أصحابك ؛ ولودّ دنا أن الله كان أعفأك فيهم ! ثم خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الأسد ؛ حتى لقيَ أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء ، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم وأصحابه ، وقالوا : أصبنا حدّ أصحابه وقادتهم وأشرفهم ؛ ثم رجعنا قبل أن نستأصلهم ؛ لتكرّنا على بقيّتهم ؛ فلنقرّغنّ منهم . فلما رأى أبو سفيان معبداً ، قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمعٍ لم أر مثله قط ؛ يتحرّقون عليكم تحرقاً ؛ قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم ، وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط . قال : ويليّك ما تقول ! قال : والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل . قال : فوالله لقد أجمعتنا الكثرة عليهم لنستأصل^(٣) بقيّتهم ، قال : فإني أنهاك عن ذلك ، فوالله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيه أبياتاً من شعر ، قال : وماذا قلت ؟ قال : قلت :

كَادَتْ تُهْدِي مِنَ الْأَصْوَاتِ رَاحِلَتِي إِذَا لَتِ الْأَرْضُ بِالْجُرْدِ الْأَبَابِيلَ^(٤)

(١) عيبة الرجل : موضع سره .

(٢) ساقطة من رواية الأغاني .

(٣) في الأغاني : « نستأصل شأقتهم » .

(٤) تهدي : يبلغ منها الجهد وتكثر . والجرد : جمع أجرد ؛ وهو الفرس للتصغير الشعر .

والأبَابِيل : الجماعات .

تَرْدِي بِأَسَدٍ كِرَامٍ لَا تَنَابِلَةَ عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا خُرْقٍ مَعَاذِيلٍ
 ١٤٣٠/١ فَظَلْتُ عَدَوًّا أَظُنُّ الْأَرْضَ مَائِلَةً لِمَا سَمَوَا بِرُئُوسٍ غَيْرِ مَغْذُولٍ
 قُلْتُ وَيْلُ ابْنِ حَرْبٍ مِنْ لِقَائِكُمْ إِذَا تَفَطَّمَتِ الْبَطْحَاءُ بِالْجِيلِ^(١)
 إِنِّي نَذِيرٌ لِأَهْلِ الْبَسِيلِ ضَاحِيَةٌ لِكُلِّ ذِي لُزْبَةٍ مِنْهُمْ وَمَقُولِ^(٢)
 مِنْ جَيْشٍ أَحْمَدَ لَا وَخْشٍ قَنَابِلُهُ وَلَيْسَ يُوصَفُ مَا أُنْذَرْتُ بِالْقِيلِ^(٣)

قال : ففنى ذلك أبا سفيان ومن معه . ومَرَّ به ركبٌ من عبد القيس ، فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة ، قال : ولم ؟ قالوا : نريد الميرة ، قال : فهل أنتم مبلغون عنى محمدًا رسالة أرسلكم بها إليه ، وأحمل لكم إيلكم هذه غدًا زبيباً بمكآظ إذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم ؛ قال : فإذا جئتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا المسيرَ إليه وإلى أصحابه ؛ لنستأصل بقيتهم . فرأى الركبُ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد ، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه : حسبنا الله ونعم الوكيل !

قال أبو جعفر : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد الثالثة ؛ فزعم بعضُ أهل الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظفر في وجهه إلى حمراء الأسد بمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص ، وأبى عَمْرَةَ الْجُمَحِيِّ ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلَّف على المدينة حين خرج إلى حمراء الأسد ابنَ أمِّ مكتوم .

• • •

(١) تَفَطَّمَت : اضطربت . والجِيل : الأمة وكل صنف من الناس .

(٢) في الأغاني : « لأهل السيل » ؛ والسيل : من أسهاء مكة . ضاحية : علانية . المقول المعقل .

(٣) الرنث : رذالة الناس وصغارهم . والتقابل : جمع قبيلة ؛ وهي الطائفة من الناس . وفي الأغاني : « تنابله » .

وفي هذه السنة - أعني سنة ثلاث من الهجرة - وُلِدَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي النِّصْفِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ .

وَفِيهَا عَلِقَتْ فَاطِمَةُ بِالْحُسَيْنِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا . وَقِيلَ : لَمْ يَكُنْ بَيْنَ وَلادتها الحسن وحملها بالحسين إلاّ خمسون ليلة .

وَفِيهَا حَمَلَتْ - فِيمَا قِيلَ - جَمِيلَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَعْدِ اللَّهِ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ أَبِي عَامِرٍ فِي شَوَّالٍ .

ذكر الأحداث التي كانت في سنة أربع من الهجرة

[غزوة الرجيع]

ثم دخلت السنة الرابعة من الهجرة ، فكان فيها غزوة الرجيع في صفر . وكان من أمرها ما حدثني به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ؛ قال : قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهط من عَصَل والقارة^(١) فقالوا له : يا رسول الله ؛ إن فينا إسلامًا وخيرًا ؛ فابعث معنا نفرًا من أصحابك يُفَقِّهُونَا^(٢) في الدين ، ويقرءوننا^(٣) القرآن ، ويعلموننا^(٤) شرائع الإسلام . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم نفرًا ستة من أصحابه : مرثد بن أبي مرثد الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب ، وخالد بن البكير حليف بني عدى بن كعب ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح أخا بني عمرو بن عوف ، وخبيب بن عدى أخا بني جحجحي بن كلفة بن عمرو بن عوف ، وزيد بن الدثينة أخا بني بياضة بن عامر ، وعبد الله بن طارق حليفًا لبني ظفر من بلي .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على القوم مرثد بن أبي مرثد ، فخرجوا مع القوم ، حتى إذا كانوا على الرجيع (ماء لذيل بناحية من الحجاز من صدور الهدأة) غدروا بهم ، فاستصرخوا^(٥) عليهم هذيلًا ، فلم يُرْعِ القومُ وهم في رحالهم إلا بالرجال في أيديهم السيوف ، قد غشَوْهم . فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا^(٦) القوم ، فقالوا لهم : إننا والله ما نريد قتلكم ؛ ولكننا

(١) قال ابن هشام : « عَصَل والقارة : من الهون بن خزيمه بن مدركة » .

(٢) في رواية الأغاني ، بحذف النون على الجزم في جواب الطلب ؛ وإثباتها على أن تكون الجملة صفة لنفر .

(٣) استصرخوا : استنصروا .

(٤) ابن هشام : « ليقاتلهم » .

ريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ، ولكم عهد الله وميثاقه ألاّ تقتلكم .
فأمّا مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، فقالوا : والله
لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً ، فقاتلهم حتى قتلهم جميعاً .

وأمّا زيد بن الدثينة وخبيب بن عديّ وعبد الله بن طارق فلانوا ورفقوا
ورغبوا في الحياة ، فأعطوا بأيديهم^(١) ، فأسروهم ، ثمّ خرجوا بهم إلى مكة
ليبيعوهم بها حتى إذا كانوا بالظهران ، انترع عبد الله بن طارق يده
من القيران^(٢) ، ثمّ أخذ سيفه واستأخر عنه القوم ، فرموه بالحجارة حتى
قتلوه ، فقبّره بالظهران .

وأما خبيب بن عديّ وزيد بن الدثينة ، فقيدوا بهما بكبة ، فباعوها
فابتاع خبيبا حجير بن أبي إهاب التميمي حليف بني نوفل لعقبة بن
الحارث بن عامر بن نوفل - وكان حجير أخا الحارث بن عامر لأمّه - ليقنله
بأبيه ، وأمّا زيد بن الدثينة ، فابتاعه صفوان بن أمية ليقنله بأبيه أمية بن
خلف ، وقد كانت هذيل حين قتل عاصم بن ثابت قد أرادوا رأسه ليعموه
من سلافة بنت سعد بن شهيد ، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنها يوم
أحد : لئن قدرت على رأس عاصم لئشربن في قحفه الخمر ، ففنته
الدبر^(٣) . فلما حالت بينهم وبينه ، قالوا : دعوه حتى يمسي فذهب عنه ،
فأخذوه ، فبعث الله الوادي . فاحتمل عاصم فذهب به ، وكان عاصم قد
أعطى الله عهداً ألاّ يمسه مشرك أبداً ولا يمس مشركاً أبداً ، تنجساً^(٤)
منه . فكان عمر بن الخطاب يقول حين بلغه ، أن الدبر منعت : عجا ،
لحفظ الله العبد المؤمن ! كان عاصم نذر ألاّ يمسه مشرك ، ولا يمس مشركاً
أبداً في حياته ، ففنته الله بعد وفاته كما امتنع منه في حياته^(٥) .

(١) أعطوا بأيديهم : انقادوا . (٢) القيران : الحبل يربط به الأسير .

(٣) الدبر : الزناير والنحل .

(٤) يقال : فلان يتنجس ؛ إذا فعل فلا يخرج به عن النجاسة ، كما يقال : يتأم ويتخرج
ويتحت ؛ إذا فعل فلا يخرج به عن الإثم والحرج والحش .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ١٦٧ ، ١٦٨ ، الأغاني ٤ : ٢٢٤ - ٢٢٧ .

(طبعة دار الكتب) .

قال أبو جعفر : وأما غيرُ ابنِ إسحاق ، فإنه قصّ من خبر هذه السريّة غير الذي قصّه ، والذي قصّه غيره من ذلك ما حدثنا أبو كُريب ، قال : حدثنا جعفر بن عَينِ العمريّ ، قال : حدثنا إبراهيم بن إسماعيل ، عن عمرو - أو عمر - بن أسيد ، عن أبي هريرة ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعث عشرة رهط ، وأمّر عليهم عاصم بن ثابت ، فخرجوا حتى إذا كانوا يا لَهْدَاة ذُكِرُوا لِحَيٍّ من هَدَيْل ، يقال لهم : بنو لَحِيان ، فبعثوا إليهم مائة رجل راميّاً ؛ فوجدوا ما كَلَمَهُمْ حيث أَكَلُوا التَّمْرَ ، فقالوا : هذه نَوَى يَثْرَب ، ثم اتَّبَعُوا آثارهم ، حتى إذا أَحَسَّ بهم عاصمٌ وأصحابه التَّجَنُّوا إلى جبل ، فأحاط بهم الآخرون ، فاستنزلوهم ، وأعطوهم العهد ؛ فقال عاصم : والله لا أنزل على عهد كافرٍ ، اللهم أخبر نبيك عنا . فزل إليهم ابن الدّينَة البياضيّ ، وخُبيّب ، ورجل آخر ، فأطلق القوم أوتار قسيهم ، ثم أوثقوهم ، فجرحوا رجلاً من الثلاثة ، فقال : هذا والله أوّل القَدَر ؛ والله لا أتبعكم . فضربوه فقتلوه ، وانطلقوا بخُبيّب وابن الدّينَة إلى مكّة ، فدفعوا خُبيّباً إلى بني الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ، وكان خُبيّب هو الذي قَتَلَ الحارث بأحد ؛ فبينما خُبيّب عند بنات الحارث ؛ إذ استعار من إحدى بنات الحارث موسى يستحد^(١) بها للقتل ، فإِذَا رَاعِ المرأة - ولها صبي يدْرُجُ - إلا بخُبيّب قد أَجْلَسَ الصبيّ على فَخْذِهِ ، والموسى في يده ، فصاحت المرأة ، فقال خُبيّب : أَنْخَشَيْنِ أَنْثَى أَقْتَلَهُ ! إنَّ الغدر ليس من شأنا . قال : فقالت المرأة بعد : ما رأيتُ أسيراً قطّ خيراً من خُبيّب ؛ لقد رأيتُه وما بمكّة من ثَمَرَةٍ ؛ وإن في يده لِقِطْفًا من عنب يأكله ؛ إن كانَ إلا رِزْقًا رَزَقَهُ اللهُ خُبيّباً .

وبعث حتى من قريش إلى عاصم ليؤتوا من لحمه بشيء ، وقد كان لعاصم فيهم آثار^(٢) بأحد ؛ فبعث الله عليه دَبْرًا ، فحَمَتْ لَحْمَهُ ، فلم

(١) يستحد : يخلق شعر عاتته ، وفي اللسان - حد - : « وفي حديث خبيّب أنه استعار موسى استحد بها ؛ لأنه كان أسيراً عندهم وأرادوا قتله لئلا يظهر شعر عاتته عند قتله . »

(٢) آثار : جمع ثار على القلب .

يستطيعوا أن يأخذوا من لحمه شيئاً ، فلمّا خرجوا بخُبَيْبٍ من الحرم ليقتلوه ، قال : ذَرُونِي أَصِلْ رَكْعَتَيْنِ ، فَرَكَّوه فَصَلَّى سَجْدَتَيْنِ ، فَجَرَتْ سُنَّةٌ لِمَن قَتَلَ صَبْرًا أَنْ يَصِلِيَ رَكْعَتَيْنِ . ثُمَّ قَالَ خُبَيْبٌ : لَوْلَا أَن يَقُولُوا جَزَعٌ لَزِدْتُ ، ١٤٣٦/١ وما أبالي :

• عَلَى أَى شَيْءٍ كَانَ اللَّهُ مَضْرَعِي ^(١) •

ثم قال :

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُنْمَرَعٍ ^(٢)

اللهم أَحْصِهِمْ ^(٣) عِدَدًا ، وَخُذْهُمْ بَدَدًا ^(٤) .

ثم خرج به أَبُو سَيْرُوْعَةَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَامِرٍ بْنُ نُوفَلٍ بْنُ عَبْدِ مَنْفٍ ، فَضْرِبَهُ فَقَتَلَهُ ^(٥) .

• • •

حدثنا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ، قَالَ : وَأَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ أُمَيَّةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَهُ وَحْدَهُ عَيْنًا إِلَى قَرِيْشٍ ، قَالَ : فَجِئْتُ إِلَى خَشْبَةَ خُبَيْبٍ وَأَنَا أَتَخَوَّفُ الْعَيْنَ ، فَرَقِيتُ فِيهَا ، فَحَلَلْتُ خُبَيْبًا ، فَوَقَعَ إِلَى

(١) صدره :

• فَوَافَقَ مَا أَرْجُو إِذَا مِتُّ مُسْلِمًا •

من آيات ذكرها ابن هشام في السيرة ٢ : ١٧٠ ، بنسبتها إلى خبيب ، وقال : « وبعض أهل العلم بالشعر ينكروها له » .

(٢) في ذات الإله ، أى في طاعته وطلب رضاه . والأوصال : جمع وصل ؛ وهو العضو . والشلو : الجسد .

(٣) أحصم ، أى أهلكهم بحيث لا تبق من عديم أحدًا .

(٤) خذهم بددًا ، قال ابن الأثير : « يروى بكسر الباء ؛ جمع بددة ؛ وهى الحصة والنصيب ، أى اقتلهم حصصاً مقسمة لكل واحد حصته ونصيبه ، ويروى بفتح الباء ، من التبديد ؛ أى متفرقين في القتل ، واحدًا بعد واحد » .

(٥) نقله في الأغاني ٤ : ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

الأرض، فانتبذت^(١) غير بعيد، ثم التفت فلم أر لخبيب ريمة^(٢)؛ فكأنما الأرض ابتلعت، فلم تذكر لخبيب ريمة حتى الساعة^(٣).

• • •

قال أبو جعفر : وأما زيد بن الدثينة ؛ فإن صفوان بن أمية بعث به — فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق — مع مولى له يقال له نسطاس إلى التنعيم ، وأخرجه من الحرم ليقتله ، واجتمع إليه رَهْطٌ من قريش ؛ فيهم أبو سفيان بن حرب ، فقال له أبو سفيان حين قُدم ليقتل : أنشدك الله يا زيد ، أتجِبُّ أن محمدًا عندنا الآن مكانك نضرب عنقه ، وأنك في أهلك ! قال : والله ما أحب أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي . قال : يقول أبو سفيان : ما رأيت في الناس أحدًا يحب أحدًا كحب أصحاب محمد محمدًا . ثم قتله نسطاس^(٤).

• • •

ذكر الخبر عن عمرو بن أمية الضمري

إذوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتل أبي سفيان بن حرب

ولمَّا قُتِلَ من وجهه النبي صلى الله عليه وسلم إلى عضل والقارة من أهل الرجيع ، وبلغ خبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن أمية الضمري إلى مكة مع رجل من الأنصار ، وأمرهما بقتل أبي سفيان بن حرب ؛ فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن جعفر بن الفضل بن الحسن بن عمرو بن أمية الضمري ، عن أبيه ، عن جده — يعني عمرو بن أمية — قال : قال عمرو بن

(١) انتبذت : تھتھت .

(٢) ط : « أرمه » ، وما أتبعه من الأغاني .

(٣) الأغاني ٤ : ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

(٤) الأغاني ٤ : ٢٣٠ .

أُمِيَّة : بمعنى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم بعد قتل خُبيّب وأصحابه ، وبعث معي رجلاً من الأنصار ، فقال : اثبتا أبا سفيان بن حرب فاقْتلاه ، قال : فخرجتُ أنا وصاحبي ومعى بعير لى ، وليس مع صاحبي بعير ، وبرجله علّة . فكنت أحمله على بعيرى ؛ حتى جئنا بطن يأجج ، ففعلنا بعيرنا فى فناء شِعْب ، فأسندنا فيه ، فقلت لصاحبي : انطلق بنا إلى دار أبى سفيان ، فإنى حاول قتله . فانظر ؛ فإن كانت محاولة أو خشيت شيئاً فالحق ببعيرك فاركه ، والحق بالمدينة فأت رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم فأخبره الخبر ، وخلّ عني ؛ فإننى رجل عالم بالبلد ، جرى عليه ، نجيب الساق . فلما دخلنا مكّة ومعى مثل خافية النسر — يعنى خنجره^(١) — قد أعددت له ، إن عانقنى^(٢) ، إنسان قتلته به ، فقال لى صاحبي : هل لك أن نبدأ فنطوف بالبيت أسبوعاً ، ونصلّى ركعتين ؟ فقلت : أنا أعلم بأهل مكّة منك ، إنهم إذا أظلموا رشوا أفئدتهم ، ثم جلسوا بها ، وأنا أعرف بها من الفرس الأبلق .

قال : فلم يزل بى حتى أتينا البيت ، فطفنا به أسبوعاً ، وصلّينا ركعتين ، ثم خرجنا فررنا بمجلس من مجالسهم ، فعرّفنى رجل منهم ، فصرخ بأعلى صوته : هذا عمرو بن أُمِيَّة ! قال : فتبادرتنا أهل مكّة وقالوا : تالله ما جاء بعمره خير ! والذى يُحلف به ما جاءها قطّ إلّا لشر — وكان عمرو رجلاً فاتكاً متشيطناً فى الجاهلية — قال : فقاموا فى طلبى وطلب صاحبي ، فقلت له : التّجاء ! هذا والله الذى كنت أحذر ؛ أمّا الرجل فليس إليه ١٤٣٩/١ سبيل ، فانج بنفسك ، فخرجنا نشدّ حتى أصعدنا فى الجبل ، فدخلنا فى غار ، فبشنا فيه ليلتنا ، وأعجزناهم ، فرجعوا وقد استترت دونهم بأحجار حين دخلت الغار ، وقلت لصاحبي : أمهلنى حتى يسكن الطلب عنا ؛ فإنهم والله ليطلبنّا ليلتهم هذه ويومهم هذا^(٣) حتى يمسوا . قال : فوالله لئن لقيه إذ أقبل عثمان بن مالك بن عبيد الله التيمي ، يتخيّل^(٤) بفرس له ، فلم يزل يدنو ويتخيّل بفرسه حتى قام علينا بباب الغار . قال : فقلت لصاحبي : هذا والله ابن مالك ،

(١) و : « خنجرًا » . (٢) ابن الأثير : « عانق » . (٣) و : « غدأ » .

(٤) يتخيّل ، أى يجب بنفسه ، وقط : « يتخل » . وفى ابن الأثير : « يتخل » .

والله لئن رأنا ليعلمن بنا أهل مكة . قال : فخرجت إليه فوجأته بالخنجر تحت الثدى ، فصاح صبيحة أسمع أهل مكة ، فأقبلوا إليه ، ورجعت إلى مكاني ، فدخلت فيه ، وقلت لصاحبي : مكانك ! قال : واتبع أهل مكة الصوت يشتدون ، فوجدوه وبه رمق ، فقالوا : ويلك من ضربك ! قال : عمرو بن أمية : ثم مات وما أدركوا ما يستطيع أن يخبرهم بمكاننا ، فقالوا : والله لقد علمنا أنه لم يأت الخبر ، وشغلهم صاحبهم عن طلبنا ، فاحتملوه ، ومكثنا في الغار يومين حتى سكن عنا الطلب . ثم خرجنا إلى التسعيم ، فإذا خشبة خبيب ، فقال لي صاحبي : هل لك في خبيب تنزله عن خشبته ؟

١٤٤٠/١ فقلت : أين هو ؟ قال : هو ذاك حيث ترى . فقلت : نعم ، فأمهلني وتنع عني . قال : وحوله حرس يحرسونه . قال عمرو بن أمية : فقلت للانصاري : إن خشيت شيئاً فخذ الطريق إلى جملتك فاركبه والحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ، فاشتددت إلى خشبته فاحتلته واحتملته على ظهري ، فوالله ما مشيت إلا نحو أربعين ذراعاً حتى نذروا بي ، فطرحتني ، فما أنسى وجبته حين سقط ، فاشتدوا في أثرى ، فأخذت طريق الصفراء فأعبروا ، فرجعوا ، وانطلق صاحبي إلى بعيره فركبه ، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أمرنا ، وأقبل أمشي ، حتى إذا أشرفت على الغليل ، غليل^(١) ضجنان ، دخلت غاراً فيه ، ومعى قوسي وأسهمي ، فبينما أنا فيه إذ دخل علي رجل من بني الدليل بن بكر ، أعور طويل يسوق غنماً له ، فقال : من الرجل ؟ فقلت : رجل من بني بكر ، قال : وأنا من بني بكر ، ثم أخذ بني الدليل . ثم اضطلع معي فيه ، فرفع عقيرته يتغنى ويقول :

ولست بمسلم ما دمت حياً ولست أدين دين المسلمين

فقلت : سوف تعلم ! فلم يلبث الأعرابي أن نام وغط ، فقامت إليه فقتلته أسوأ قتلة قتلتها أحد أحد ، فقامت إليه فجعلت سيئة قوسي في عينه الصحيحة ، ثم تعاملت عليها حتى أخرجتها من فقاها .

١٤٤١/١ قال : ثم أخرج مثل السبع ، وأخذت الحجّة كاني نسر ، وكان النجاء حتى أخرج على بلد قد وصفه ، ثم على ركوبة ، ثم على التقيج ، فإذا رجلان

(١) الغليل ، واحد الغليل ، وهي نبات الطلح ، وضجنان : موضع بيت .

من أهل مكة بعثتهما قريش يتحسنان من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففترتهما فقلت : استأسرا ، فقالا : أنحن نستأسر لك ! فأرأى أحدهما بسهم فأقتله ، ثم قلت للآخر : استأسر ، فاستأسر ، فأوثقته ، فقدمتُ به على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابنِ إسحاق ، عن سليمان بنِ وردان ، عن أبيه ، عن عمرو بنِ أمية ، قال : لما قدمتُ المدينة ، مررتُ بمشيخةٍ من الأنصار ، فقالوا : هذا والله عمرو بنِ أمية ، فسمع الصبيان قولهم ، فاشتدوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونه ، وقد شددتُ إليهم أسيرى بوثر قومي ، فنظر النبي صلى الله عليه وسلم إليه فضحك حتى بدت نواجذه ، ثم سألتُ فأخبرته الخبر ، فقال لي خيراً ودعا لي بخير .

• • •

وفي هذه السنة تزوج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة أمَ المساكين من بني هلال في شهر رمضان ، ودخل بها فيه ، وكان أصدقها اثنتي عشرة أوقية ونشأ^(١) ؛ وكانت قبله عند الطفيل بن الحارث ، فطلقها .

ذكر خبر بئر معونة

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة - أعني سنة أربع من الهجرة - كان من أمر السريّة التي وجهها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقتلت بئر معونة . وكان سبب توجيه النبي صلى الله عليه وسلم إليهم ليمّا وجههم له ، ما حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : وحدثنى محمد بنِ إسحاق ، ١٤١٢/١ قال : فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بقيّة شوال وذا القعدة وذا الحجة والمحرم ، وولى تلك الحجة المشركون .

ثم بعث أصحاب بئر معونة في صفر على رأس أربعة أشهر من أحد ، وكان من حديثهم ما حدثني أبي : إسحاق بن يسار ، عن المغيرة بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام ، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وغيرهما من أهل العلم ، قالوا : قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب

(١) اللش : وزن فواة من ذهب ؛ وقيل : هو وزن عشرين درهماً .

الأمّنة - وكان سيّد بنى عامر بن صعصعة - على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وأهدى له هديّة ، فأبى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يقبلها ، وقال : يا أبا براء ، لا أقبل هديّة مشرك ، فأسلم إن أردت أن أقبل هديّتك . ثم عرض عليه الإسلام ، وأخبره بما له فيه ، وما وعد الله المؤمنين من الثواب ، وقرأ عليه القرآن فلم يسلم ولم يبعد ، وقال : يا محمّد ، إنّ أمرك هذا الذى تدعو إليه حسنٌ جميلٌ ، فلو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعَوْهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إني أخشى عليهم أهل نجد ! فقال أبو براء : أنا لم جارٌ ، فابعثهم فليدعُوا النَّاسَ إلى أمرك . فبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو أخا بنى ساعدة المُعَنِقِ^(١) ليموت فى أربعين رجلاً من أصحابه من خيار المسلمين ؛ منهم الحارث بن الصّمة ، وحرام بن ملحان أخو بنى عدى بن النجار ، وعروة بن أسماء بن الصلت السُلَيسِ ، ونافع ابن بُدَيْل بن ورقاء الخزاعي ، وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر ؛ فى رجال مُسَمَّينَ من خيار المسلمين^(٢) .

فحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو فى سبعين راكباً ، فساروا حتى نزلوا بئر معونة - وهى أرض بين أرض بنى عامر وحرّة بنى سليم ، كيلاً البلدين منها قريب ، وهى إلى حرّة بنى سليم أقرب - فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عامر بن الطفيل ، فلما أتاه لم ينظر فى كتابه ، حتى عدّ على الرجل قتلته ، ثم استصرخ عليهم بنى عامر ، فأبوا أن يجيبوه إلى مادعاهم إليه ، وقالوا : لن نخفّر أبا براء ؛ قد عقد لهم عقداً وجواراً ، فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم : عصيّة ، وريعل ، وذكوان ؛ فأجابوه إلى ذلك ، فخرجوا حتى غشوا القوم ، فأحاطوا

(١) المنق : المزع ؛ وإنما سمي بذلك لأنه أسرع إلى الشهادة .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ١٧٤

بهم في رحالهم ، فلما رأوهم أخذوا السيوف ، ثم قاتلوهم حتى قُتلوا عن آخرهم ، إلا كعب بن زيد أنا بني دينار بن السَّجَّار ، فإنهم تركوه وبه رمق ، فارتث^(١) من بين القتلى ، فعاش حتى قُتِل يوم الخندق .

وكان في سَرَح القوم عمرو بن أمية الضمري ، ورجل^(٢) من الأنصار أحد بني عمرو بن عوف ، فلم يُنبئهما بمُصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على العسكر ، فقالا : والله إن لهذه الطير لشأناً ، فأقبلا لينظرا إليه ، فإذا القوم في دماهم ، وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة . فقال الأنصاري لعمرو بن أمية : ماذا ترى ؟ قال : أرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وآله ١٤٤٤/١ عليه وسلم فنخبره الخبر ، فقال الأنصاري : لكنني ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قُتِل فيه المنذر بن عمرو ، وما كنت لتخبرني عنه الرجال . ثم قاتل القوم حتى قُتِل ، وأخذوا عمرو بن أمية أسيراً ، فلما أخبرهم أنه من مُضَر ، أطلقه عامر بن الطفيل ، وجرَّ ناصيته ، وأعتقه عن رقية زعم أنها كانت على أمه . فخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة ، أقبل رجلان من بني عامر حتى نزلا معه في ظلّ هو فيه ؛ وكان مع العامريين عقد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوار لم يعلم به عمرو بن أمية ، وقد سألهما حين نزلا : ممّن أنتما ؟ فقالا : من بني عامر ، فأمهلهم حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلهما ، وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثورة^(٣) من بني عامر ، بما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره الخبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد قتلت قتيلين لأدبتيهما . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا عمل أبي براء ؛ قد كنت لهذا كارهاً متخوفاً . فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه إخفَارُ عامر إياه ، وما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه وجواره ، وكان فيمنّ أصيب عامر بن فهيرة^(٤) .

• • •

(١) ارتث ، أى وقع وبه جراح .

(٢) قال ابن هشام : « هو المنذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح » .

(٣) الثورة : الثأر . (٤) سيرة ابن هشام ٢ : ١٧٤ ، ١٧٥ .

حدثنا ابنُ حُمَيد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، أن عامر بن الطفيل ، كان يقول : إن الرجل منهم لما قتل رأيته رُفِع بين السماء والأرض حتى رأيت السماء من دونه . قالوا : هو عامر بن فهيرة ^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن أحد بني جعفر ، رجل من بني جبّار بن سُلمى بن مالك ابن جعفر ، قال : كان جبّار فيمن حَضَرها ^(٢) يومئذ مع عامر ، ثم أسلم بعد ذلك . قال : فكان يقول : ممّا دعانى إلى الإسلام أننى طعنت رجلا منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه ، فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره ، فسمعتة يقول حين طعنته : فُزْتُ والله ! قال : فقلت في نفسى : ما فاز ! أليس قد قُتِلَ الرجل ! حتى سألت بعد ذلك عن قوله ، فقالوا : الشهادة ، قال : فقلت : فاز لعمرُ الله ! فقال حسّان بن ثابت يُحَرِّضُ بنى أبى البراء على الطفيل :

بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ أَلَمْ يَرْعَكُمْ وَأَنْتُمْ مِنْ ذَوَائِبِ أَهْلِ نَجْدٍ ^(٣)
تَهَكُّمُ عَامِرٍ بِأَبِي بَرَاءٍ لِيُخْفِرَهُ ، وَمَا خَطَأُ كَمَدٍ
أَلَا أَبْلَغُ رَيْبَةَ ذَا الْمَسَاعِي فَأُحْدِثُ فِي الْحَدَثَانِ بَعْدِي ^(٤)
أَبُوكَ أَبُو الْحُرُوبِ أَبُو بَرَاءٍ وَخَالُكَ مَا جِدُّ حَكْمُ بْنُ سَعْدٍ

وقال كعب بن مالك في ذلك أيضًا :

لَقَدْ طَارَتْ شَعَاعًا كُلِّ وَجْهِ خِفَارَةٌ مَا أَجَارَ أَبُو بَرَاءٍ

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٧٥

(٢) أى فيمن حضر يوم بدر مموتة .

(٣) ديوانه ١٠٧ مع اختلاف في ترتيب الأبيات .

(٤) المساعي : السعى في طلب المجد والمكارم .

١٤٤٧/١

فَضَّلُ مُسَهَّبٍ وَبَنِي أَبِيهِ
 بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ أَمَّا سَمِعْتُمْ
 وَتَنْوِيهَ الصَّرِيحِ بَلَى وَلَكِنْ
 فَمَا صَفَرْتَ عِيَابُ بَنِي كِلَابٍ
 أَعَامِرَ عَامِرِ السَّوَاتِ قَدِمَا
 أَخْفَرْتَ النَّبِيَّ وَكُنْتَ قَدِمَا
 فَلَسْتَ كَجَارِ جَارِ أَبِي دَوَادٍ
 وَلَكِنْ عَارُكُمْ دَلَا قَدِيمٌ
 يَحْتَسِبُ الرَّدَّ مِنْ كَفَى سَوَاءٍ ^(١)
 دُعَاءُ الْمُسْتَفِثِ مَعَ الْمَسَاءِ !
 عَرَفْتُمْ أَنَّهُ صَدَقُ اللَّقَاءِ
 وَلَا الْقَرُطَاءُ مِنْ دَمِّ الْوَفَاءِ
 فَلَا بِالْعَقْلِ فُزْتُ وَلَا السَّنَاءِ
 إِلَى السَّوَاتِ تَجْرَى بِالْعَرَاءِ !
 وَلَا الْأَسَدِيَّ جَارِ أَبِي الْعَلَاءِ
 وَدَاهِ النَّذْرِ فَأَعْلَمُ شَرُّ دَاهِ

فلما بلغ ربيعة بن عامر أبي البراء قولُ حسان وقولُ كعب ، حملَ
 على عامر بن الطفيل فطعنه ، فشطب الرَّمْعُ عن مقتلِه ، فخرَّ عن فرسه .
 فقال : هذا عمل أبي براء ! إنَّ مت فدى لعَمْرِي ولا يُشْبَعَنَّ به ؛ وإن
 أعش فسأرى رأيي فيما أتى إلى ^(٢)

. . .

١٤٤٧/١

حدثني محمد بن مرزوق ، قال : حدثنا عمرو بن يونس ، عن عكرمة ،
 قال : حدثنا إسحاق بن أبي طلحة ، قال : حدثني أنس بن مالك في
 أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين أرسلهم رسول الله صلى الله عليه
 وسلم إلى أهل بئر معونة ؛ قال : لا أدري ، أربعين أو سبعين ! وعلى ذلك
 الماء عامر بن الطفيل الجعفي ، فخرج أولئك النفر من أصحاب النبي
 صلى الله عليه وسلم الذين بُعثوا ؛ حتى أتوا غارًا مشرفًا على الماء فعدوا
 فيه . ثم قال بعضهم لبعض : أيُّكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه
 وسلم أهل هذا الماء ؟ فقال - أراه ابن ملحان الأنصاري - : أنا أبليغ
 رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج حتى أتى حِوَاءَ منهم ،
 فاحتجى أمام البيوت ، ثم قال : يا أهل بئر معونة ، إنِّي رسول رسول الله إليكم ،

إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَأَمِينُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ .
فَخَرَجَ إِلَيْهِ مِنْ كِسْرِ الْبَيْتِ بِرِمَحٍ فَضْرَبَ بِهِ فِي جَنْبِهِ حَتَّى خَرَجَ مِنَ الشَّقِّ
الْآخِرِ ، فَقَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، فَزُرْتُ رَبَّ الْكَعْبَةِ ! فَاتَّبَعُوا أثرَهُ حَتَّى أَتَوْا أَصْحَابَهُ
فِي الْغَارِ ، فَقَتَلْتَهُمْ أَجْمَعِينَ عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ .

قال إسحاق : حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَ فِيهِمْ
قُرْآنًا : « بَلِّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا أَنَا قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا ، فَرْضِيَ عَنَّا ، وَرَضِينَا عَنْهُ » ، ثُمَّ
نُسِخَتْ ، فَرَفَعَتْ بَعْدَ مَا قَرَأْنَاهُ زَمَانًا ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَا تَحْصِبَنَّ
الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ .
فَرِحِينَ ﴾ ^(١)

حَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ ، قَالَ :
حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ،
قَالَ : بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَامِرِ بْنِ الطَّفِيلِ الْكَلَابِيِّ
سَبْعِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ . قَالَ : فَقَالَ أَمِيرُهُمْ : مَكَانَكُمْ حَتَّى آتِيَكُمْ بِخَبَرِ الْقَوْمِ !
فَلَمَّا جَاءَهُمْ قَالَ : اتَّخِذُونَنِي حَتَّى أَخْبِرَكُمْ بِرِسَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟
قَالُوا : نَعَمْ ، فَبَيْنَا هُوَ عِنْدَهُمْ ، إِذْ وَخَزَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ بِالسَّيْفِ . قَالَ : فَقَالَ
الرَّجُلُ : فَزُرْتُ رَبَّ الْكَعْبَةِ ! فَقَتَلَ ، فَقَالَ : عَامِرُ : لَا أَحْسِبُهُ إِلَّا أَنْ لَهُ
أَصْحَابًا ، فَاقْتَصَمُوا أثرَهُ حَتَّى أَتَوْهُمْ فَقَتَلُوهُمْ ، فَلَمْ يَفْلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ .
قَالَ أَنَسُ : فَكُنَّا نَقْرَأُ فِيمَا نُسِخَ : « بَلِّغُوا عَنَّا إِخْوَانَنَا أَنْ قَدْ لَقِينَا
رَبَّنَا ، فَرْضِيَ عَنَّا وَرَضِينَا عَنْهُ » .

١٤٤٨/١

وفي هذه السنة — أعني السنة الرابعة من الهجرة — أجلى النبي صلى الله عليه وسلم بنى النصير من ديارهم .

ذكر خبر جلاء بنى النصير

قال أبو جعفر : وكان سبب ذلك ما قد ذكرنا قبل من قتل عمرو بن

(١) سورة آل عمران ١٦٩ ، ١٧٠ ، والخبر في التفسير ٧ : ٣٩٣ .

أُمَيَّةُ الضَّمَرِيُّ الرَّجُلَيْنِ الَّذِينَ قَتَلْتَهُمَا فِي مَنْصَرَفِهِ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَّهَهُ إِلَيْهِ مَعَ أَصْحَابِ بَرْمَعُونَ، وَكَانَ لَهُمَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَوَارٌ وَعَهْدٌ. وَقِيلَ إِنَّ عَامَرَ بْنَ الطَّفِيلِ كَتَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّكَ قَتَلْتَ رَجُلَيْنِ لِمَا مَكَ جَوَارٌ وَعَهْدٌ؛ فَأَبْعَثْ يَدَيْتَهُمَا. فَاَنْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى قُبَاءَ، ثُمَّ مَالَ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ مُسْتَعِينًا بِهِمْ فِي دَيْتِهِمَا، وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فِيهِمْ أَبُو بَكْرٌ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ.

فَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ، يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَّةِ ذَيْنِكَ الْقَتِيلَيْنِ^(١) مِنْ بَنِي عَامِرِ اللَّذَيْنِ قَتَلَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةِ الضَّمَرِيُّ، لِلْجَوَارِ الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَقْدَهُ لَهَا؛ — كَمَا حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ — وَكَانَ بَيْنَ بَنِي النَّضِيرِ وَبَيْنَ بَنِي عَامِرٍ حِلْفٌ وَعَقْدٌ؛ فَلَمَّا أَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَّةِ ذَيْنِكَ الْقَتِيلَيْنِ؛ قَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، نَعِينُكَ عَلَى مَا أَحْبَبْتَ مِمَّا اسْتَعْنَتْ بِهَا عَلَيْهِ. ثُمَّ خَلَا بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، فَقَالُوا: إِنَّكُمْ لَنْ تَجِدُوا هَذَا الرَّجُلَ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ هَذِهِ — وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَنْبِ جِدَارٍ^(٢) مِنْ بَيْتِهِمْ، قَاعِدٌ — فَقَالُوا: مَنْ رَجُلٌ يَعْلُو عَلَى هَذَا الْبَيْتِ، فَيُلْقِي عَلَيْهِ صَخْرَةً فَيَقْتُلُهَا بِهَا فَيَرْحِمُنَا مِنْهُ؟ فَاتَّذَبَ لَذَلِكَ عَمْرُو بْنُ جِحَاشٍ بْنُ كَعْبٍ أَحَدِهِمْ؛ فَقَالَ: أَنَا لَذَلِكَ، فَصَعِدَ لِيْلَقِيَ عَلَيْهِ الصَّخْرَةَ — كَمَا قَالَ — وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ؛ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٌ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ؛ فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَبَرَ مِنَ السَّمَاءِ بِمَا أَرَادَ الْقَوْمُ، فَقَامَ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: لَا تَبْرَحُوا حَتَّى آتِيَكُمْ، وَخَرَجَ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا اسْتَلْبَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ، قَامُوا فِي طَلْبِهِ، فَلَفَقُوا رَجُلًا مُقْبِلًا مِنَ الْمَدِينَةِ، فَسَأَلُوهُ عَنْهُ، فَقَالَ: رَأَيْتُهُ دَاخِلًا الْمَدِينَةَ، فَأَقْبَلَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَيْهِ، فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ بِمَا كَانَتْ يَهُودٌ قَدْ أَرَادَتْ

(١) و: «الرجلين».

(٢) م: «غراب».

من الغدر به ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم ، والسير إليهم .

ثم سار بالناس إليهم ، حتى نزل بهم ، فتحصنوا منه في الحصون ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخل والتحريق فيها ، فنادوه : يا محمد ، قد كنت تنهى عن الفساد وتعييه على من صنعه ، فما بال قطع النخل وتحريقها ^(١) !

• • •

قال أبو جعفر : وأما الواقدي ، فإنه ذكر أن بني النضير لما تأمروا بما تأمروا به من إلقاء الصخرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نهاهم عن ذلك سلام بن مشكم وخوفهم الحرب وقال : هو يعلم ما تريدون ، فعصوه ، فصعد عمرو بن جحاش ليدخرج الصخرة ، وجاء النبي صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء ، فقام كأنه يريد حاجة ، وانتظره أصحابه ، فأبطأ عليهم ، وجعلت يهود تقول : ما حبس أبا القاسم ، وانصرف أصحابه ؟ فقال كنانة بن صوريا ^(٢) : جاءه الخبر بما همم به ، قال : ولما رجع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهوا إليه وهو جالس في المسجد ، فقالوا : يا رسول الله ، انتظرناك ومضيت ، فقال : همّت يهود بقتلي ، وأخبرتني الله عز وجل ، ادعوا لي محمد بن مسلمة ، قال : فأق محمد بن مسلمة ^(٣) ، فقال : اذهب إلى يهود فقل لهم : اخرجوا من بلادي فلا تسكنوني وقد هممت بما هممت به من الغدر .

قال : فجاءهم محمد بن مسلمة ، فقال لهم : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تظعنوا من بلاده ، فقالوا : يا محمد ، ما كنا نظن أن يجيئنا بهذا رجل من الأوس ! فقال محمد : تغيرت القلوب ، وبعا الإسلام العهد ؛

(١) قال السهيلي : « قال أهل التأويل : وقع في نفوس المسلمين من هذا الكلام شيء ؛ حتى أنزل الله تعالى : ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا . . . ﴾ الآية .

(٢) م : « من موريا » .

(٣) م : « فأق محمد » .

فقالوا : نتحمل . قال : فأرسل إليهم عبدُ الله بن أبيّ يقول : لا تخرجوا ، فإنّ معي من العرب وممن انضوى إلى من قوى ألفين ، فأقيموا فهم يدخلون معكم ، وقريظة تدخل معكم . فبلغ كعب بن أسد صاحب عهد بني قريظة فقال : لا ينقض العهد رجل من بني قريظة وأنا حتى ، فقال سلام بن مشكم لحبيبي بن أخطب : يا حبيبي أقبل هذا الذي قال محمد ، فإنّما شرفنا على قومنا بأموالنا قبل أن تقبل ما هو شر منه . قال : وما هو شر منه ؟ قال : أخذ الأموال وسبى الذرية وقتل المقاتلة ، فأبى حبيبي ، فأرسل جدّي ١٤٥١/١ ابن أخطب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا لا نريم^(١) دارنا فاصنع ما بدا لك ! قال : فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكبر المسلمون معه ، وقال : حاربت يهود ، وانطلق جدّي إلى ابن أبيّ يستمده . قال : فوجدته^(٢) جالساً في نفر من أصحابه ، وينادي النبي صلى الله عليه وسلم ينادي بالسلاح ، فدخل ابنه عبد الله بن عبد الله ابن أبيّ ، وأنا عنده ، فأخذ السلاح ، ثم خرج يعدو ، قال : فأيست من معونته . قال : فأخبرت بذلك كله حبيبي ، فقال : هذه مكيدة من محمد ، فزحف إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحاصروهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم خمسة عشر يوماً ، حتى صالحوه على أن يحقن لهم دماءهم ، وله الأموال والحلقة .

فحدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : حاصروهم رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعني بني النضير - خمسة عشر يوماً حتى بلغ منهم كل مبلغ ، فأعطوه ما أراد منهم ، فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم ، وأن يُخرجهم من أرضهم وأوطانهم ، ويسيرهم إلى أذرعات الشام ، وجعل لكل ثلاثة منهم بغيراً وسقاءً .

(١) م : « ندع » .

(٢) و : « فوجده » .

حدثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، قال : قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم حتى صالحهم على الجلاء ، فأجلاهم إلى الشام ، على أن لهم ما أقلت الإبل من شيء إلا الحلقة - والحلقة : السلاح .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، قال : وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج ، منهم عبد الله بن أبي بن سلول ووديعه ومالك بن أبي قوقل ، وسويد وداعس قد بعثوا إلى بني النضير : أن اثبتوا وتمنعوا ، فلما لن نسلمكم ؛ وإن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أخرجتم خرجنا معكم ، فتربصوا فلم يفعلوا ؛ وقذف الله في قلوبهم الرعب ، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعلهم ، ويكف عن دماهم ؛ على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم ؛ إلا الحلقة . ففعل . فاحتلوا من أموالهم ما استقلت به الإبل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف^(١) بابه ؛ فيضعه على ظهر بعيره ؛ فينطلق به . فخرجوا إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام ؛ فكان أشرفهم ممن سار منهم إلى خيبر سلام بن أبي الحقيق ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وحيسى بن أخطب ، فلما نزلوها دان لهم أهلها^(٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، أنه حدث أنهم استقلوا بالنساء والأبناء والأموال ، معهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفن خلفهم ، وأن فيهم يومئذ لأم عمرو ، صاحبة عروة بن الورد العبسي ، التي ابتاعوا منه ، وكانت إحدى نساء بني غفار^(٣) بزهة^(٤) وفخر ، ما رُئي مثله من حي من الناس في

(١) النجاف : العتبة التي بأعلى الباب .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ١٧٦ ، ١٧٨

(٣) هي سلمى ، وقال الأصمعي : اسمها ليل بنت شعراء ، وقال أبو الفرج : هي سلمى أم وهب ، امرأة من كنانة ؛ كانت ناكحة في مزينة ، فأغار عليهم عروة بن الورد فسيها . وكنانة من غفار . وانظر الروض الأنف .

(٤) الزهاء : الكبر والإعجاب .

زمانهم ، وخلقوا الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة يضعها حيث يشاء ، فقسّمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المهاجرين الأولين دون الأنصار ، إلا أن سهل بن حنيف وأبا دُجّانة سيمّك بن خَرَشَةَ ، ذكرا ققرًا فأعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولم يسلم من بنى النّضير إلا رجلاّن : يامين بن عمير بن كعب ابن عمّ عمرو بن جِحاش ، وأبو سعد بن وهب ، أسلما على أموالهما فأحرزاهما^(١).

قال أبو جعفر : واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ خرج لحرب بنى النّضير - فيما قيل - ابن أمّ مكتوم ، وكانت رايته يومئذ مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

• • •

وفي هذه السنة مات عبد الله بن عثمان بن عفّان ، في جمادى الأولى منها ، وهو ابن ستّ سنين ، وصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونزل في حفرته عثمان بن عفّان .

وفيها وليد الحسين بن عليّ عليه السلام ، لليالٍ خلون من شعبان .

• • •

[غزوة ذات الرقاع]

واختلف في التي كانت بعد غزوة النّبي صلى الله عليه وسلم بنى النّضير من غزواته ، فقال ابن إسحاق في ذلك ، ما حدثنا ابن حميد ؛ قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد غزوة بنى النّضير شهرى ربيع ، وبعض شهر جمادى . ثم غزا نجدًا - يريد بنى محارب وبنى ثعلبة من غطفان - حتى

١٤٥٤/١ نزل نخلاً، وهي غزوة ذات الرقاع^(١)؛ فلقى بها جمعاً^(٢) من غطفان، فتقارب الناس، ولم يكن بينهم حرب؛ وقد خاف الناس بعضهم بعضاً، حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين صلاة الخوف، ثم انصرف بالمسلمين^(٣).

وأما الواقدي؛ فإنه زعم أن غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات الرقاع، كانت في المحرم سنة خمس من الهجرة. قال: وإنما سُميت ذات الرقاع؛ لأن الجبل الذي سُميت به ذات الرقاع جبل به سواد وبياض وحمرة؛ فسميت الغزوة بذلك الجبل. قال: واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة على المدينة عثمان بن عفان.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ومحمد - يعني ابن عبد الرحمن - عن عروة بن الزبير، عن أبي هريرة، قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نجد، حتى إذا كنا بذات الرقاع من نخل، لقي جمعاً من غطفان؛ فلم يكن بيننا قتال؛ إلا أن الناس قد خافوهم، ونزلت صلاة الخوف، فصَدَعَ أصحابه صدعين، فقامت طائفة مواجهة العدو، وقامت طائفة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكبروا جميعاً، ثم ركع بمن خلفه، وسجد بهم، فلما قاموا مشوا القهقري إلى مصاف أصحابهم، ورجع الآخرون، فصلوا لأنفسهم ركعة، ثم قاموا فصلّى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة وجلسوا، ورجع الذين كانوا مواجهة العدو^(٤)، فصلوا الركعة الثانية،

(١) قال ابن هشام: «ولما قيل لها غزوة ذات الرقاع؛ لأنهم رجعوا بها زياتهم. ويقال: ذات الرقاع: شجرة بذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع».

(٢) ابن هشام: «جمعاً عظيماً».

(٣) سيرة ابن هشام ٢: ١٨٢: «بالناس».

(٤) س: «مواجهة العدو».

فجلسوا جميعاً ، فجمعهم رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم بالسلام ، فسَلَّمَ عليهم .

• • •

قال أبو جعفر : وقد اختلفت الرواية في صفة صلاة رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم هذه الصلاة بيطن نخل اختلافًا متفاوتًا ، كرهت ذكره^(١) في هذا الموضع خشية إطالة الكتاب ، وسأذكره إن شاء الله في كتابنا المسمى « بسيط القول في أحكام شرائع الإسلام » في كتاب صلاة الخوف منه . وقد حدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا معاذ بن هشام ، قال : حدثني أبي ، عن قتادة ، عن سليمان اليشكري ، أنه سأل جابر بن عبد الله عن إقصار الصلاة : أي يوم أنزل ، أو في أي يوم هو ؟ فقال جابر : انطلقنا نتلقى^(٢) غير قريش آتية من الشام ؛ حتى إذا كنا بنخل جاء رجلٌ من القوم إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، فقال : يا محمد ، قال : نعم ، قال : هل تخافني ؟ قال : لا ، قال : فمن يمنعك مني ؟ قال : الله يمنعني منك ، قال : فلن سيف ثم نهدده وأوعده . ثم نادى بالرحيل وأخذ السلاح . ثم نودى بالصلاة ، فصلّى نبي الله صَلَّى الله عليه وسلّم بطائفة من القوم ، وطائفة أخرى تحرّسهم ، فصلّى بالذين يلونه ركعتين ، ثم تأخر الذين يلونه على أعقابهم ، فقاموا في مصاف أصحابهم ، ثم جاء الآخرون فصلّى بهم ركعتين ، والآخرون يحرسونهم . ثم سلّم ، فكانت للنبي صَلَّى الله عليه وسلّم أربع ركعات ، وللقوم ركعتين ركعتين ؛ فيومئذ أنزل الله عز وجل في إقصار الصلاة ، وأمر المؤمنين بأخذ السلاح^(٣) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن البصري ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، أن رجلاً من بني محارب يقال له فلان بن الحارث ، قال لقومه من غطفان ومحارب : ألا أقتل لكم محمداً ؟ قالوا : نعم ، وكيف تقتله ؟ قال : أفنيك به ؛ فأقبل إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم وهو جالس ، وسيف

(١) كذا في و ، وفي ط : « ذكرها » . (٢) ط : « متلق » ، وما أثبتته من التفسير

(٣) الخبر في التفسير ٩ : ١٣٢

رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجره ، فقال : يا محمد ، انظر إلى سيفك هذا ! قال : نعم ، فأخذه فاستلّه ، ثم جعل يهزه ويهمّ به ، فيكبته الله عز وجل . ثم قال : يا محمد ، أما تخافني ؟ قال : لا ، وما أخاف منك ؟ قال : أما تخافني وفي يدي السيف ؟ قال : لا ، بمنعني الله منك ! قال : ثم غمد السيف ، فردّه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ مُّشْرِكُونَ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ۖ ﴾ (١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني صدقة بن يسار ، عن عتيق بن جابر ، عن جابر ابن عبد الله الأنصاري ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات الرقاع من نخل ، فأصاب رجل من المسلمين امرأة من المشركين ، فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً أتى زوجها وكان غائباً ، فلما أخبر الخبر ، حلف ألا يتنهي حتى يهرق في أصحاب محمد ، فلما خرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم منزلاً ، فقال : من رجل يكلؤنا ليلتنا هذه ؟ فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار ، فقالا : نحن يا رسول الله ، قال : فكونا بقم الشعب - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد نزلوا الشعب ، من بطن الوادي - فلما خرج الرجلان إلى قم الشعب ، قال الأنصاري للمهاجري : أي الليل تحب أن أكفيكه ؟ أو آخره ؟ قال : بل اكفي أوّله ؛ فاضطجع المهاجري فنام ، وقام الأنصاري يصلي ، وأتى زوج المرأة ، فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ريبة القوم ، فرى بهم فوضعه فيه فترعه ، فوضعه وثبت قائماً يصلي . ثم رماه بهم آخر ، فوضعه فيه ، فترعه ، فوضعه وثبت قائماً يصلي ، ثم عاد له بالثالث فوضعه فيه ، فترعه فوضعه ثم رجع وسجد ، ثم أهب صاحبه ، فقال : اجلس ، فقد أتيت (٢) .

(١) سورة المائدة ١١ ، وانظر سورة ابن هشام ٢ : ١٨٢ . (٢) ابن هشام : « أثبت » .

قال: فوثب المهاجري، فلباً رآهما الرجل، عرف أنهم قد نذروا به؛ ولما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء، قال: سبحان الله! أفلا أهبتني أول ما رماك! قال: كنت في سورة أقرأها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفدتها؛ فلما تتابع على الرمي ركعت فأذنتك، وإيم الله لولا أن أضيع نغماً أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفدتها^(١).

• • •

ذكر الخبر عن غزوة السويق *

وهي غزوة النبي صلى الله عليه وسلم بدرًا الثانية لمعاد أبي سفيان. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ١٢٥٨/١ لما قدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من غزوة ذات الرقاع، أقام بها بقيّة جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجب، ثم خرج في شعبان إلى بدر لمعاد أبي سفيان حتى نزل، فأقام عليه ثمانى ليالٍ ينتظر أبا سفيان، وخرج أبو سفيان في أهل مكة، حتى نزل مَجَنَّة من ناحية مر الظهران - وبعض الناس يقول: قد قطع عسفان - ثم بدا له الرجوع، فقال: يا معشر قريش، إنّه لا يصلحكم إلّا عامٌ خِصْب ترعون فيه الشجر، وتشربون فيه اللبن؛ وإنّ عامكم هذا عام جدب؛ وإنّى راجع فارجعوا. فرجع ورجع الناس، فسمّاهم أهل مكة جيش السويق. يقولون: إنّما خرجتم تشربون السويق.

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده، فأناه مَخْشِي بن عمرو الضمري، وهو الذي وادعه على بني ضمرة في غزوة ودّان، فقال: يا محمد، أجنث للقاء قريش على هذا الماء؟ قال: نعم يا أبا بني ضمرة؛ وإن شئت مع ذلك ردّدنا إليك ما كان بيننا وبينك،

(١) سيرة ابن هشام ٢: ١٨٢، ١٨٣.

• هي غير الغزوة التي عرفت بهذا الاسم أيضاً؛ وقد مر ذكرها في حوادث السنة الثانية ص ٤٨٣.

ثم جالداً ذلك . حتى يحكم الله بيننا وبينك . فقال : لا والله يا محمد ، ما لنا بذلك منك من حاجة ، وأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ينتظر أبا سفيان ؛ فرآه به معبداً بن أبي معبد الخزاعي ، وقد رأى مكان رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وناقته تهوي^(١) به فقال :

١٤٥٩/١ قد فررت من رُفقتي محمد وعجوة من يثرب كالمنجد^(٢)
تهوي على دين أبيها الأتلد^(٣) قد جعلت ماء قديز موعدي
وماء ضجنان لها ضعى القد^(٤) .

• • •

وأما الواقدي ؛ فإنه ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب أصحابه لغزوة بدر لموعده أبي سفيان الذي كان وعده الالتقاء فيه يوم أحد رأس الحول للقتال في ذى القعدة . قال : وكان نعيم بن مسعود الأشجعي قد اعتمر ، فقدم على قريش ، فقالوا : يا نعيم ، من أين كان وجهك ؟ قال : من يثرب ، قال : وهل رأيت محمد حركة ؟ قال : تركته على تعبئة لغزوكم ، — وذلك قبل أن يسلم نعيم — قال : فقال له أبو سفيان : يا نعيم ، إن هذا عام جدب ، ولا يصلحنا إلا عام ترعى فيه الإبل الشجر ، ونشرب فيه اللبن ، وقد جاء أوان موعده محمد ، فالحق بالمدينة فثبّطهم وأعلمهم أننا في جمع كثير ، ولا طاقة لهم بنا ؛ فيأتى الخلف منهم أحب إلى من أن يأتى من قبلنا ، ولك عشر فرائض أضعها لك في^(٥) يد سهيل بن عمرو يضمونها . فجاء سهيل بن عمرو إليهم ، فقال نعيم لسهيل : يا أبا يزيد ، أتضمن^(٦) هذه الفرائض وأنتطلق إلى محمد فأثبّطه ؟ فقال : نعم ، فخرج نعيم حتى قدم المدينة ، فوجد الناس يتجهزون ، فتدسس لهم ، وقال : ليس هذا برأى ،

(١) تهوي : تسرع .

(٢) المنجد : حبيب الزبيب .

(٣) الدين هنا : الدأب والمادة . والأتلد : القديم .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٦ .

(٥) و : « على » .

(٦) م : « تضمن » .

ألم يُجرح محمد في نفسه ! ألم يقتل أصحابه ! قال : فثبَّط الناس ؛ حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتكلَّم ، فقال : والذي نفسي بيده ، ١٤٦٠/١ لو لم يخرج معي أحد لخرجت وحدي .

ثم أتبع الله عز وجل للمسلمين بصائرهم ؛ فخرجوا بتجاراتهم ، فأصابوا الدرهم درهمين ؛ ولم يلقوا عدواً ؛ وهي بدْر الموعِد ؛ وكانت موضع سوق لهم في الجاهلية ، يجتمعون إليها في كل عام ثمانية أيام .

قال أبو جعفر : واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة عبد الله بن رَوَاحَة .

• • •

قال الواقدي : وفي هذه السنة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة بنت أبي أمية في شوال ؛ ودخل بها .

قال : وفيها أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت أن يتعلَّم كتاب يهود ؛ وقال : إني لا آمن أن يبدلوا كتابي .
وليَّ الحجَّ في هذه السنة المشركون .

ثم كانت السنة الخامسة من الهجرة

ففي هذه السنة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش .
حدثت عن محمد بن عمر ، قال : حدثني عبد الله بن عامر الأسلمي
عن محمد بن يحيى بن حبان ، قال : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيت زيد بن حارثة ، وكان زيد إنما يقال له زيد بن محمد ، ربما فقده
رسول الله صلى الله عليه وسلم الساعة ، فيقول : أين زيد ؟ فجاء منزله
يطلبه فلم يجده ، وقامت إليه زينب بنت جحش زوجته فقصا^(١) ؛ فأعرض
عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : ليس هو هاهنا يا رسول الله ،
فادخل بأبي أنت وأمي ! فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل ؛ وإنما
عجلت زينب أن تلبس إذ قيل لها : رسول الله^(٢) صلى الله عليه وسلم
على الباب ، فوثبت عجلة ، فأعجبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فولت
وهو يهيمهم بشيء لا يكاد يفهم ؛ إلا أنه أعلن : سبحان الله العظيم !
سبحان الله مصرف القلوب ! قال : فجاء زيد إلى منزله ، فأخبرته امرأته أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى منزله ، فقال زيد : ألا قلت له : ادخل !
فقالت : قد عرضت عليه ذلك فأبى ، قال : فسمعت^(٣) يقول شيئا ؟ قالت :
سمعت^(٤) يقول حين ولئى : سبحان الله العظيم ، سبحان الله مصرف القلوب !
فخرج زيد حتى أتى^(٥) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ؛
بلغنى أنك جئت منزلى^(٦) ؛ فهلا دخلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله ،
لعل زينب أعجبتك فأفارقها ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمسك

(١) يقال : امرأة فضل ، أى تلبس ثوبا واحدا . (٢) س : « هذا رسول الله » .

(٣) كذا فى م ، وفى ط : « فسمعت » . (٤) و : « قد سمعته » .

(٥) س : « رأى » . (٦) س : « إلى منزلى » .

عليك زوجتك، فما استطاع زيد إليها سبيلا بعد ذلك اليوم؛ فكان يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمسيك عليك زوجتك؛ ففارقها زيد واعتزلها وحلت.

فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدث مع عائشة؛ إذ أخذت رسول الله صلى الله عليه وسلم غشيّة، فسرى عنه وهو يتبسّم ويقول^(١): مَنْ يذهب إلى زينب يبشرها، يقول: إن الله زوجنيها؟ وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ...﴾^(٢) القصّة كلّها.

قالت عائشة: فأخذني ما قرّب وما بعد لما يبلغنا من جمالها؛ وأخرى هي أعظم الأمور وأشرفها، ما صنع الله لها؛ وزوجها، فقلت: تفخّر علينا بهذا.

قالت عائشة: فخرجت سلّمتي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم تخبرها بذلك، فأعطتها أوصاحاً عليها^(٣).

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: كان النبي صلى الله عليه وسلم قد زوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش ابنة عمته، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً يريد، وعلى الباب ستر من شعر؛ فرفعت الريح السر فانكشف وهي في حُجْرَتِها حاسرة، فوقع إعجابها في قلب النبي صلى الله عليه وسلم، فلما وقع ذلك كُرِهَتْ إلى الآخر، قال: فجاء فقال: يا رسول الله، إني أريد أن أفارق صاحبتى، فقال: مالك! أراك منها شيء! فقال: لا والله يا رسول الله، ما رأيت منها شيء، ولا رأيت إلا خيراً. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمسيك عليك زوجتك واتي الله؛ فذلك قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ تَقُولُ

(١) م؛ «وهو يقول».

(٢) سورة الأحزاب ٣٧.

(٣) الأوصاف: جمع وضع؛ وهو حل من فضة.

لِلَّذِي أُنْعِمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ، تَخْفِي فِي نَفْسِكَ إِنَّ فَارِقَهَا تَرْجِعَهَا ^(١) .

• • •

[غزوة دومة الجندل]

قال الواقدي : وفيها غزاً دومة الجندل في شهر ربيع الأول ، وكان سببها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن جمعاً تجمعوا بها ودنوا من أطرافه . فزادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى بلغ دومة الجندل ، ولم يلق كيداً ، وخلف على المدينة سباع بن عُرْفُطَةَ الْغِفَارِي .

• • •

قال أبو جعفر : وفيها وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم عُيَيْنَةَ ابن حصن أن يرعى بتغلمين وما والاها .

قال محمد بن عمر — فيما حدثني إبراهيم بن جعفر ، عن أبيه — وذلك أن بلاد عُيَيْنَةَ أُجْدِبَتْ ، فوادع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرعى بتغلمين إلى المراض ؛ وكان ما هنالك قد أخصب بسحابة وقعت ، فوادعه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرعى فيما هنالك .

قال الواقدي : وفيها توفيت أم سعد بن عبادة وسعد غائب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى دومة الجندل .

• • •

ذكر الخبر عن غزوة الخندق

وفيها : كانت غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق ^(٢) في شوال ؛ حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق :

(١) الخبر في التفسير ٢٢ : ١٠ - ١١ (بلاق) .

(٢) أخبار غزوة الخندق فيما نقل عن ابن إسحاق في سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٧ - ١٩٣ .

وكان الذى جرّ غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق - فيما قيل - ما كان من إجلال رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى النصير عن ديارهم .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رومان ، مولى آل الزبير ، عن عروة بن الزبير ومن لا أتتهم ، عن عبيد الله بن كعب بن مالك ، وعن الزهري ، وعن عاصم بن عمر بن قتادة ، وعن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وعن ١٤٦٤/١ محمد بن كعب القرظي وعن غيرهم من علمائنا ؛ كل قد اجتمع حديثه في الحديث عن الخندق ، وبعضهم يحدث ما لا يحدث بعض ، أنه كان من حديث الخندق أن نفرًا من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق النصري^(١) وحبيبي بن أخطاب النصري ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النصري ، وهوذة بن قيس الوائلي ، وأبو عمارة الوائلي ؛ في نفر من بنى النصير ونفر من بنى وائل ؛ هم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة ، فدعّوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : إننا سنكون معكم عليه حتى نستأصله ، فقالت لهم قريش : يا معشر يهود ؛ إنكم أهل الكتاب الأول ، والعلم بما أصبحنا نخلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه . قال : فهم الذين أنزل الله عز وجل فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾ - إلى قوله - ﴿ وَكَفَى بِهِمْ سَعِيرًا ﴾^(٢) .

فلما قالوا ذلك لقريش ، سرّهم ما قالوا ونشيطوا لما دعّوهم إليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأجمعوا لذلك واتّعلوا له .

(١) قال السجيل : « ونسب طائفة من بنى النصير ؛ فقليل فيهم : النصري ؛ وهكذا تقيّد في النسخة المتبعة ، ويقاسم النصيري ؛ إلا أن يكون من باب قولهم : « ثقي وقريش ؛ وهو خارج عن القياس » .

ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان فدعواهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخبرهم أنهم سيكونون معهم عليه ؛ وأن قريشا تابعوهم على ذلك وأجمعوا فيه ، فأجابوهم .

فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب ، وخرجت غطفان وقائدها عبيثة بن حصن بن حذيفة بن بدر في بني فزارة ، والحارث بن عوف بن أبي حارثة المزي في بني مرة ، ومسعود^(١) بن ربيعة بن نؤيرة ابن طريف بن سحمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان ؛ فيمن تابعه من قومه من أشجع .

° ° °

فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما أجمعوا له من الأمر ، ضرب الخندق على المدينة . فحدثت عن محمد بن عمر ، قال : كان الذي أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق سلمان ، وكان أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وهو يومئذ حرّ ، وقال : يا رسول الله ؛ إنا كنا بفارس إذا^(٢) حوصرنا خندقنا علينا .

° ° °

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق : فعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ترغيباً للمسلمين في الأجر ، وعمل فيه المسلمون : فدأب فيه ودأبوا ، وأبطأ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن المسلمين في عملهم رجال من المنافقين ، وجعلوا يورثون بالضعف^(٣) من العمل ، ويتسللون إلى أهاليهم بغير علم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا إذن . وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته نائبة من الحاجة التي لا بد منها يذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويستأذنه في اللحق بحاجته^(٤) ؛ فيأذن له ؛

(١) كلما في ط ؛ وهو يوافق ما في الإصابة ٣ : ٣٩٠ ؛ وفي السيرة : « سمر » .

(٢) م : « إن » .

(٣) ابن هشام : « بالضعيف » . ويورثون : يستثرون .

(٤) س : « بأهله لحاجته » .

فلذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله رغبةً في الخير ، واحتساباً له ؛ فأنزل الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(١) . فتزلت هذه الآية في كل من كان من أهل الحسبة من المؤمنين والرغبة في الخير ؛ والطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم . ثم قال يعنى المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل ، ويذهبون بغير إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَا تَجْمَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ إلى قوله : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾^(٢) ، أى قد علم ما أنتم عليه من صدق أو كذب ، وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه ؛ وارتجزوا فيه برجل من المسلمين يقال له جُعَيْلٌ ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم « عَمْرًا » ، فقالوا :

سَمَاهُ مِنْ بَدْرِ جُعَيْلٍ عَمْرًا وَكَانَ لِلْبَّائِسِ يَوْمًا ظَهْرًا^(٣)

فلذا مروا بعمره ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عمرًا » ، ١٤٦٧/١
وإذا قالوا : « ظهرًا » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ظهرًا »^(٤) .

فحدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا محمد بن خالد بن عثمة ، قال : حدثنا كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق عام الأحزاب

(١) سورة النور ٦٢ .

(٢) سورة النور ٦٣ ، ٦٤ .

(٣) الظهر : القوة والمعونة ؛ والضمير في « سماه » لئن صلى الله عليه وسلم . وقال : أبو ذر الحاشي : « وقد يجوز فيه وجه ثان ؛ وهو أن يكون الظهر هنا : الإبل ؛ فيكون البيت على وجه آخر تقديره : وكان المال للبائس يوماً ظهرأ ؛ فأضمر اسم « كان » ؛ وإن لم يتقدم ما يفسره ؛ لأن مساق الكلام يدل عليه ؛ كما قالوا : إذا كان غداً فأتني ؛ أى إذا كان اليوم غداً . »

(٤) ابن هشام : « وإذا مروا بظهر » .

من أجْمُ الشَّيْخَيْنِ^(١) طرف بنى حارثة ؛ حتى بلغ المذاذ^(٢) ثم قطعهُ أربعين ذراعاً بين كل عشرة ، فاحتق^(٣) المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي - وكان رجلاً قوياً - فقالت الأنصار : سلمان منا ، وقالت المهاجرون : سلمان منا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلمان من أهل البيت . قال عمرو بن عوف : فكنْتُ أنا وسلمان ، وحذيفة بن اليمان ، والنعمان بن مقرن المزني ، وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً ، فحفرنا تحت ذباب حتى بلغنا الندى^(٤) ، فأخرج الله عز وجل من بطن الخندق صخرة بيضاء^(٥) مَرَّةً فكسرت حديدنا ، وشقَّت علينا . فقلنا : يا سلمان ، ارق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبر هذه الصخرة ، فلما أن نعدل عنها فإن المعدل قريب ، وإمّا أن يأمرنا فيها^(٦) بأمره ؛ فإننا لا نحب أن نجاوز خطّه .

فَرََقَى سلمان حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضارب عليه قُبَّةً تُرْكِيَّةً ؛ فقال : يا رسول الله ، بأبينا أنت وأمّا ! خرجت صخرة بيضاء من الخندق^(٧) مَرَّةً ، فكسرت حديدنا ، وشقَّت علينا حتى ما نُحْيِكَ^(٨) فيها قليلاً ولا كثيراً ؛ فمَرْنَا فيها بأمرك ؛ فإننا لا نحب أن نجاوز خطّك .

(١) الأجم : واحد آجام المدينة ، وهو بمعنى الأطم ، وآجام المدينة أطامها وحصرها .
والشيخان : موضع بالمدينة ؛ كان فيه معسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة خرج لقتال المشركين بأحد . انظر ياقوت (أجم - شيخ) .

(٢) المذاذ ، قال ياقوت : « موضع بالمدينة حيث حفر الخندق النبي صلى الله عليه وسلم » .

(٣) في اللسان : « احتق القوم : قال كل واحد منهم : الحق في يدي ؛ وفي حديث ابن عباس في قراء القرآن : متى ما تغلوا في القرآن تحتقوا ، يعني المراد في القرآن ؛ ومعنى تحتقوا تخصصوا فيقول كل واحد منهم : الحق في يدي » . وفي س ، و ، والتفسير : « فاختلف » .

(٤) م : « الترى » ، س : « الترى » ، التفسير : « الصرى » .

(٥) المرو : حجارة بيضاء يرافقة تكون فيها النار ، وتقلع منها ، واحدها مروة .

(٦) كلنا في التفسير ، وفي ط : « فيه » .

(٧) التفسير : « من بطن المروة » .

(٨) التفسير : « حتى ما يجي منها قليل ولا كثير » .

فهبط رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم مع سلمان في الخندق ، ورقبنا نحن التسعة على شقَّة^(١) الخندق ، فأخذ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم المِعْوَل من سلمان ، فضرب الصخرة ضربةً صدَّعها ، وبرقت منها بركةٌ أضاء ما بين لابتَيْها^(٢) - يعنى لابتى المدينة - حتَّى لكَانَ مصباحاً في جوف بيت مظلم . فكبَّر رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم تكبير فتح ، وكبَّر المسلمون . ثم ضربها رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم الثانية ، فصدَّعها وبرق منها بركة أضاء ما بين لابتَيْها ، حتَّى لكَانَ مصباحاً في جوف بيت مظلم ؛ فكبَّر رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم تكبير فتح وكبَّر المسلمون . ثم ضربها رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم الثالثة فكسرها ، وبرق منها بركة أضاء ما بين لابتَيْها ؛ حتَّى لكَانَ مصباحاً في جوف بيت مظلم ، فكبَّر رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم تكبير فتح وكبَّر المسلمون ، ثم أخذ بيد سلمان فركبني ، فقال سلمان : بأبى أنت وأبى يا رسول الله ! لقد رأيت شيئاً ما رأيته قط ! فالتفت رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم إلى القوم ، فقال : هل رأيتم ما يقول سلمان ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، بأبينا أنت وأمتنا قد رأيناك تضرب فيخرج برق كالنَّوْج ، فرأيناك تكبِّر فتكبِّر ، ولا نرى شيئاً غير ذلك . قال : صدقتم ، ضربت ضربتي الأولى ، فبرق الذي رأيتم ، أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى ، كأنها أبواب الكلاب ، فأخبرني جبريلُ أن أمتي ظاهرة عليها ، ثم ضربت ضربتي الثانية ، فبرق الذي رأيتم ؛ أضاءت لي منها قصور الحُصْر من أرض الروم ، كأنها أبواب الكلاب ، فأخبرني جبريلُ أن أمتي ظاهرة عليها ، ثم ضربت ضربتي الثالثة ، فبرق منها الذي رأيتم ؛ أضاءت لي منها قصور صنعاء كأنها أبواب الكلاب ، فأخبرني جبريلُ أن أمتي ظاهرة عليها ، فأبشروا بيلغهم النصر ، وأبشروا بيلغهم النصر ، وأبشروا بيلغهم النصر ! فاستبشر المسلمون ، وقالوا : الحمد لله موعد صادق بار ، وعدنا النصر بعد الحصر . فطلعت الأحزاب ، فقال المؤمنون : **هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا**^(٣)

(١) م والتضير : « شقَّة الخندق » . (٢) الالة : الحرة ، والمدينة تقع بين لابتين .

(٣) سورة الاحزاب ٢٢ .

وقال المنافقون: ألا تعجبون! يحدّثكم ويؤمنّ بكم ويعِدُّكم الباطل! يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومداين كسرى؛ وأنها تُفتح لكم؛ وأنتم تحفرون الخندق ولا تستطيعون أن تبرؤوا! وأنزل القرآن: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾^(١).

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلمة، قال: حدّثنا محمد بن إسحاق عمن لا يشهم، عن أبي هريرة، أنه كان يقول حين فتحت هذه الأمصار في زمن عمر وعثمان وما بعده: افتتحوها ما بدالكُم! فواللّذي نفس أبي هريرة بيده، ما افتتحتُم من مدينة ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة إلاّ وقد أعطيتُ محمدًا مفاتيحها قبل ذلك.

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلمة، عن ابن إسحاق قال: كان أهلُ الخندق ثلاثة آلاف. قال: ولمّا فرغ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من الخندق، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسياال من رومة بين الجُرف والغابة^(٢)، في عشرة آلاف من أحابشهم، ومنّ تابعهم من كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومنّ تابعهم من أهل نجد؛ حتى نزلوا بدّيب نقمى إلى جانب أحد.

وخرج رسولُ الله صلّى الله تعالى وسلّم عليه والمسلمون؛ حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع، في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره^(٣)، وأمر بالذراري والنساء. فرفعوا^(٤) في الآطام^(٥). وخرج عدوُّ الله حييُّ بن أخطب؛

(١) سورة الأحزاب ١٢، وأنجز في التفسير ٢١: ٨٥، ٨٦ (بولاق).

(٢) كذا في ط، وفي ابن هشام: «زغاية». قال السبيل: «زغاية: اسم موضع، بالعين المقطوعة والزاي المفتوحة».

(٣) م: «عسكرهم».

(٤) م: «فرفعوا»، وابن هشام: «فجعلوا».

(٥) الآطام: الحصون، الواحد أطم.

حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم ، وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه ، وعاهده على ذلك وعاقده ، فلما سمع كعب بحبي بن أخطب ، أغلق دونه حصنه فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له ، فناداه حبي : يا كعب ، افتح لي ، قال : ويحك يا حبي ! إنك امرؤ مشنوم ، إني قد عاهدت محمداً فلت بناقض ما بيني وبينه ، ولم أر منه إلا وفاءً وصدقا . قال : ويحك ! افتح لي أكلحك ، قال : ما أنا بفاعل ، قال : والله إن أغلقت دوني إلا على جيشك^(١) أن أكل معك منها ، فأحفظ^(٢) الرجل ، ففتح له ، فقال : ويحك يا كعب ! جئتكم بمنزلة الدهر وببخر طام ، جئتكم بقريش على قادتها وسادتها ، حتى أنزلتهم بمجتمع الأسياال من رومة ، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذئب نقتسى إلى جانب أحد ؛ قد عاهدوني وعاهدوني ألا يبرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه . فقال له كعب بن أسد : جئتني والله بذلك الدهر ! بجهام قد هراق ماءه برعد وبرق ، ليس فيه شيء ! ويحك فدعني ومحمداً وما أنا عليه ؛ فلم أر من محمد إلا صدقا وفاءً ! فلم يزل حبي بكعب يقتله في الذروة والغارب ؛ حتى سمح له ، على أن أعطاه عهداً من ١٤٧٢/١

الله وميثاقا : لأن رجعت قریش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك . فنقض كعب بن أسد عهده ، وبرئ مما كان عليه فيما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبير وإلى المسلمين ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس أحد بني عبد الأشهل - وهو يومئذ سيد الأوس - وسعد بن عباد بن دليم ، أحد بني ساعدة بن كعب بن الخزرج - وهو يومئذ سيد الخزرج - ومعهما عبد الله بن رواحة أخو بلحارث بن الخزرج ، وخوات بن جبير ، أخو بني عمرو بن عوف ؛ فقال : انطلقوا حتى تنظروا : أحق ما بلغنا عن

(١) الجيشة : طام يصنع من الجيش . وهو البر يطمع غليظا .

(٢) أحفظه : أغضبه .

هؤلاء القوم أم لا ؟ فإن كان حقاً فالحنوا لى لِحْنًا نعرفه ، ولا تَفْتُوا فى أعضاد الناس ، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس .

فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخيث ما بلغهم عنهم ، وقالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : لا عقد بيننا وبين محمد ولا عهد . فشاتمهم سعد بن عباد وشاتموه ، وكان رجلا فيه حد^(١) ، فقال له سعد ابن معاذ : دَعْ عنك مشاتمهم ؛ فإي بيننا وبينهم أربى^(٢) من المشامة . ثم أقبل سعد وسعد ومن^{١٤٧٣/١} معهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه ، ثم قالوا : عَصَلْ والقارة [أى]^(٣) كغدر عَصَلْ والقارة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب الرجيع ؛ حَبِيب بن عدي وأصحابه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر ! أبشروا يا معشر المسلمين ، وعظم عند ذلك البلاء ، واشتد الخوف ، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن^{١٤٧٣/٢} ، ونجس النفاق من بعض المنافقين ، حتى قال معتب ابن قشير ، أخو بني عمرو بن عوف : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقبصر ، وأحدنا لا يقدر أن يذهب إلى الغائط ! وحتى قال أوس بن قيطي ، أحد بني حارثة بن الحارث : يا رسول الله ، إن بيوتنا لعورة من العدو — وذلك عن ملأ من رجال قومه — فأذن لنا فلنرجع إلى دارنا ؛ فإنها خارجة من المدينة .

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقام المشركون عليه بضعا وعشرين ليلة ، قريبا من شهر ؛ ولم يكن بين القوم حرب إلا الرمي^(٤) بالنبل والحصار .

فلما اشتد البلاء على الناس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم — كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة . وعن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري — إلى

(١) ابن هشام : « حدة » ؛ وما بمعنى النصب .

(٢) أربى : أعظم .

(٣) من سيرة ابن هشام .

(٤) ابن هشام : « الرمية » بكسر الميم والراء المشددين وتخفيف الباء ؛ وهى الرماطة .

عُيَيْنَ بن حصن ، وإلى الحارث بن عَوْف بن أَبِي حَارِثَةَ الْمُرِّيَّ - وهما قائدان - فاعطاهما ثلث ثمار المدينة ؛ على أن يرجعاً بمنّ معهما عن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم وأصحابه ، فجرى بينه وبينهم الصلح ؛ حتى كتبوا الكتاب ، ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المرافضة في ذلك ، ففعلوا ، فلما أراد رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم أن يفعل ، بعث إلى سعد بن مُعَاذ وسعد بن عباد ؛ فذكر ذلك لهما ، واستشارهما فيه فقالا : يا رسول الله ؛ أمرٌ تحبه فنصنعه ، أم شيءٌ أمرك الله عز وجل به ؛ لا بدّ لنا من عمل به ، أم شيءٌ تصنعه لنا ؟ قال : لا ، بل لكم ؛ والله ما أصنعُ ذلك إلا أني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وكالبؤكم^(١) من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم لأمر ما ساعة . فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله ؛ قد كنّا نحنُ ومؤلفاء القوم على شريك بالله عز وجل وعبادة الأوثان ، ولا نعبد الله ولا نعرفه ؛ وهم لا يعظمون أن يأكلوا منا تمرّة إلا قيرى^(٢) أو يبعّا ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام ، وهدانا له ، وأعزّنا بك ، نُعطّيهم أموالنا ؛ ما لنا بهذا من حاجة ؛ والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم . فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم : فأنت وذاك ! فتناول سعدُ الصحيفة ؛ فحما ما فيها من الكتاب ، ثم قال : ليجهنموا علينا .

فأقام رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم والمسلمون وعدوهم محاصروهم ؛ ١٤٧٠/١ لم يكن بينهم قتال إلا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبدود بن أبي قيس ، أخو بني عامر بن لُؤَيّ ، وعيكمة بن أبي جهل وهُبَيْرَةُ بن أبي وهب المخزوميّان ، ونوفل بن عبد الله ، وضرار بن الخطّاب^(٣) بن مرداس ، أخو بني عمار بن فهير ؛ قد تلبّسوا للقتال ، وخرجوا على خيلهم ، ومروا على بني كِنانة ، فقالوا : تهيّئوا يا بني كِنانة للحرب ؛ فستعلمون اليوم

(١) كالبؤكم : اشتعلوا عليكم .

(٢) القيرى : ما يصنع الضيف من الطعام .

(٣) زاد ابن هشام بعدها : « الشاعر » .

مَنْ الْفَرَسَانِ ! ثُمَّ أَقْبَلُوا نَحْوَ الْخَنْدَقِ ؛ حَتَّى وَقَفُوا عَلَيْهِ ^(١) ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا : وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَمَكِيدَةٌ مَا كَانَتِ الْعَرَبُ تَكِيدُهَا ؛ ثُمَّ تِمَسَّمُوا مَكَانًا مِنْ الْخَنْدَقِ ضَيْقًا ، فَضَرَبُوا خِيُولَهُمْ ، فَاقْتَحَمَتْ مِنْهُ ؛ فَجَالَتْ بِهِمْ فِي السَّبِيخَةِ بَيْنَ الْخَنْدَقِ وَسَلْعٍ ، وَخَرَجَ عَلَيَّ بَنُ أَبِي طَالِبٍ فِي نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ؛ حَتَّى أَخَذَ عَلَيْهِمُ الثُّغْرَةَ الَّتِي أَقْحَمُوا مِنْهَا خَيْلَهُمْ ، وَأَقْبَلَتِ الْفَرَسَانِ تَعْنِيقُ ^(٢) نَحْوَهُمْ . وَقَدْ كَانَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِودٍّ قَاتِلُ يَوْمِ بَدْرٍ ؛ حَتَّى أَثْبَتَهُ الْجِرَاحَةُ ، فَلَمْ يَشْهَدْ أَحَدًا ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْخَنْدَقِ خَرَجَ مُعْلِمًا ^(٣) لِيُرَى مَكَانُهُ ؛ فَلَمَّا وَقَفَ هُوَ وَخَيْلُهُ ، قَالَ لَهُ عَلِيٌّ : يَا عَمْرُو ؛ إِنَّكَ كُنْتَ تَعَاهِدُ اللَّهَ الْأَلَا بِدَعْوِكَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى خَلَّتَيْنِ إِلَّا أَخَذَتْ مِنْهُ إِحْدَاهُمَا ! قَالَ : أَجَلٌ ! قَالَ لَهُ عَلِيٌّ بَنُ أَبِي طَالِبٍ : فَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَى رَسُولِهِ وَإِلَى الْإِسْلَامِ ، قَالَ : لَا حَاجَةَ لِي بِذَلِكَ ؛ قَالَ : فَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى النَّزَالِ ، قَالَ : وَلِمَ يَا بَنَ أَخِي ، فَوَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ أَقْتَلَكَ ! قَالَ : عَلِيٌّ : وَلَكِنِّي وَاللَّهِ أَحَبُّ أَنْ أَقْتَلَكَ . قَالَ : فَحِمَيْ عَمْرُو عِنْدَ ذَلِكَ ، فَاقْتَحَمَ عَنْ فَرَسِهِ فَعَقَرَهُ - أَوْ ضَرَبَ وَجْهَهُ - ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى عَلِيٍّ ، فَتَنَازَلَا وَتَجَاوَلَا ، فَقَتَلَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَخَرَجَتْ خَيْلُهُ مِنْهَزِمَةً ؛ حَتَّى اقْتَحَمَتْ مِنَ الْخَنْدَقِ هَارِبَةً ، وَقَتِلَ مَعَ عَمْرُو رَجُلَانِ : مُنَبِّهُ بْنُ عُمَانَ بْنِ عَبِيدَةَ بْنِ السَّبَّاقِ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ ، أَصَابَهُ سَهْمٌ فَاتَ مِنْهُ بِمَكَّةَ ؛ وَمِنْ بَنِي عِزْزٍ نَوْفَلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ؛ وَكَانَ اقْتَحَمَ الْخَنْدَقَ فَتَوَرَّطَ فِيهِ ، فَرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ ، قَتَلْتُمَا أَحْسَنَ مِنْ هَذِهِ ! فَتَزَلَّ إِلَيْهِ عَلِيٌّ فَقَتَلَهُ ، فَغَلَبَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى جَسَدِهِ ، فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبَيِّعَهُمْ جَسَدَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا حَاجَةَ لَنَا بِجَسَدِهِ وَلَا ثَمَنَهُ ؛ فَشَأْنُكُمْ بِهِ . فَخَلَّى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُلَيْمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ

(١ - ١) سيرة ابن هشام : « ثُمَّ أَقْبَلُوا تَعْنَقَ بِهِمْ خَيْلَهُمْ ؛ حَتَّى وَقَفُوا عَلَى الْخَنْدَقِ » .

(٢) الملم : اللى جيل له علامة يعرف بها .

(٣) تَمَقَّقَ : تَسَرَّعَ .

عن أبي ليلى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل الأنصاري ، ثم أحد بني حارثة ، أن عائشة أم المؤمنين كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق ، وكان من أحرز حصون المدينة ؛ وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن .

قالت عائشة : وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب . قالت : فر سعد^(١) وعليه درع مقلصة^(٢) ، قد خرجت منها ذراعه كلها ؛ وفي يده حربته يرقده^(٣) بها ويقول :
 ١٤٧٧/١

لَبْتُ نَيْلًا يَشْهَدُ الْهَيْجَا حَمْلُ لَا بَأْسَ بِالْمَوْتِ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ^(٤)
 قالت له أمه : الحق يا بُنَيَّ ، فقد والله أحررت .

قالت عائشة : فقلت لها : يا أم سعد ؛ والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ^(٥) مما هي ! قالت : ونخت عليه حيث أصاب السهم منه .

قالت : فرمى سعد بن معاذ بسهم ، فقطع منه الأكحل^(٦) ، رماه - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد ابن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة - حبان بن قيس بن العريقة أحد بني عامر بن لؤي ؛ فلما أصابه قال : خذها وأنا ابن العريقة ؛ فقال سعد : عرق الله وجهك في النار ! اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقني لها ، فإنه لا قوم أحب إلي أن أجاهدكم من قوم آذوا رسولك ، وكذبوه وأخرجوه . اللهم وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة ولا تُمتنني حتى تقرأ عيني من بني قريظة .

حدثنا سُفيان بن وكيع ، قال : حدثنا محمد بن بشر ، قال : حدثنا محمد بن عمرو ، قال : حدثني أبي ، عن علقمة ، عن عائشة ، قالت :

(١) مقلصة : قصيرة قد ارتفعت ؛ يقال : تقلص الشيء ؛ إذا ارتفع وانقبض ، وفي : «مفاضة» . (٢) يرقده : يسرع .

(٣) قال السهيلي : هو بيت تمثل به ، يعني به حمل بن سمانة بن حارثة بن معقل بن كعب ابن عليم بن جناب الكلبي .

(٤) أسبغ : أكل .

(٥) الأكحل : عرق في الذراع .

خرجتُ يومَ الخَنْدَقِ أَقْفُو آثارَ النَّاسِ ؛ فَوَاقَهُ إِنِّي لَأَمْسِي إِذْ سَمِعْتُ وَبَيْدُ (١)
الْأَرْضِ خَلْقِي - تُعْنِي حَيْسَ الْأَرْضِ - فَالْتَفْتُ فَإِذَا أَنَا بِسَعْدٍ ؛ فَجَلَسْتُ إِلَى
الْأَرْضِ ، وَمَعَهُ ابْنُ أَخِيهِ الْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ - شَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَدَّثَنَا بِذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو - يَحْمِلُ مِجَنَّهُ ، وَعَلَى سَعْدٍ
دِرْعٌ مِنْ حَدِيدٍ قَدْ خَرَجَتْ أَطْرَافُهُ مِنْهَا .

قالت : وكان من أعظم الناس وأطولهم .

قالت : فَأَنَا أَتَخَوَّفُ عَلَى أَطْرَافِ سَعْدٍ ، فَمَرَّ بِي يَرْتَجِزُ ، وَيَقُولُ :

كَبْتُ قَلِيلًا يُدْرِكُ الْهَيْجَا حَمَلٌ مَا أَحْسَنَ الْمَوْتَ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ !

قالت : فَلَمَّا جَاوَزْنِي قَمْتُ فَاقْتَحَمْتُ حَدِيقَةً فِيهَا نَقَرَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ،
فِيهِمْ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَفِيهِمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ تَسْبِيغَةٌ لَهُ - قَالَ مُحَمَّدٌ : وَالتَّسْبِغَةُ
الْمِغْفَرُ - لَا تُرَى إِلَّا عَيْنَاهُ ، فَقَالَ عَمْرٌ : إِنَّكَ لَتَجَرِيثُهُ ؛ مَا جَاءَ بِكَ ؟
مَا يَدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَكُونُ تَحَوُّزٌ أَوْ بَلَاءٌ ! فَوَاقَهُ مَا زَالَ يُلَوِّمُنِي حَتَّى وَدِدْتُ أَنْ
الْأَرْضُ تَنْشَقَّ لِي فَأَدْخُلَ فِيهَا ، فَكَشَفَ الرَّجُلُ التَّسْبِغَةَ عَنْ وَجْهِهِ ، فَإِذَا هُوَ
طَلْحَةُ ؛ فَقَالَ : إِنَّكَ قَدْ أَكْثَرْتَ ، أَيْنَ الْفَرَارُ ، وَأَيْنَ التَّحَوُّزُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ !

قالت : فَرَمَيْ سَعْدٌ يَوْمَئِذٍ بِسَهْمٍ ، رَمَاهُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ ابْنُ الْعَرِيقَةِ ؛
فَقَالَ : خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْعَرِيقَةِ ؛ فَقَالَ : سَعْدٌ : عَرَّقَ اللَّهُ وَجْهَكَ فِي النَّارِ !
فَأَصَابَ الْأَكْحَلَ مِنْهُ قِطْعَةً . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو : زَعَمُوا أَنَّهُ لَمْ يَنْقُطْ
مِنْ أَحَدٍ قِطْعَةً إِلَّا لَمْ يَزَلْ يَبْضُ دَمًا حَتَّى يَمُوتَ . فَقَالَ سَعْدٌ : اللَّهُمَّ لَا تَمِثْنِي
حَتَّى تَقْرَأَ عَيْنِي فِي بَنِي قُرَيْظَةَ ! وَكَانُوا حُلَفَاءَهُ وَمَوَالِيَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ .

حدثنا ابنُ حميدٍ ، قال : حدثنا سلمةٌ ، قال : حدثني محمدُ بنُ
إسحاقٍ ، عنِ لائِثِهم ، عنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّهُ كَانَ

(١) قال في اللسان : « وفي حديث عائشة : خرجت أقفوا آثار الناس يوم الخندق ؛ فسمعت
وبيد الأرض خلق . الرئيد : شدة الوطء على الأرض يسمع كاللهي من بعد » .

يقول : ما أصاب سعدًا يومئذ بالسهم إلا أبو أسامة الجُشمي حليف بني غزوم ؛ فآله أعلم أى ذلك كان !

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : كانت صفيّة بنت عبد المطلب في فارع (حصن حسان بن ثابت) . قالت : وكان حسان معنّا فيه مع النساء والصبيان . قالت صفيّة : فرّ بنا رجلٌ من يهود ، فجعل يطيف بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليس بيتنا وبينهم أحدٌ يدفع عنّا ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في نحور عدوّهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم إن^(١) أتانا آت . قالت : فقلت : يا حسان ، إن هذا اليهودي كما ترى ، يطيف بالحصن ، وإنّي والله ما آمنه أن يدلّ على^{١٤٨٠/١} عوراتنا من وراءنا من يهود ، وقد شغل عنّا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فأنزل إلّيه فاقتله . فقال : يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب ! والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا ! قالت : فلمّا قال ذلك لي ، ولستم أرا عنده شيئاً احتجرت^(٢) ؛ ثم أخذت عموداً ، ثم نزلت من الحصن إليه ففرضته بالعمود حتى قتلتها ، فلمّا فرغت منه رجعت إلى الحصن ، فقلت : يا حسان ، انزل إلّيه فاسلبه ؛ فإنّه لم يمنعني من سلبه إلاّ أنه رجلٌ ؛ قال : مالى بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب^(٣) .

قال ابنُ إسحاق : وأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ؛

(١) و : « إذا »

(٢) احتجرت : شدت وسطى ، قال أبو ذر الحفصيّ : « ومن رواه : اعتجرت ، فعناه شدت

معبرى » .

(٣) قال السهيلي : « ويحمل هذا الحديث عند الناس على أن حسان كان جباناً شديد الجبن ؛ وقد رفع هذا بعض العلماء وأبكره ؛ وذلك أنه حديث منقطع الإسناد ؛ وقال : لو صح هذا لخصي به حسان ؛ فإنه كان مهاجى الشعراء ، كضرار وابن الزبيري وغيرهما ، وكانوا يناقضونه ويردون عليه ، فأبصره أحد منهم مجيب ، ولا وجه به ؛ فدل هذا على ضعف حديث ابن إسحاق ، وإن صح قلعله كان محتالاً في ذلك اليوم بملء منته من شهود القتال » .

فيما وصف الله عز وجل من الخوف والشدّة ؛ لتظاهر عدوهم عليهم ، وإتيانهم من فوقهم ومن أسفل منهم .

ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنغد بن هلال ابن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إننى قد أسلمت ، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي ، فمُرني بما شئت . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما أنت فينا رجل واحد ؛ فخذل عنا إن استطعت ؛ فإن الحرب خدعة . فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة - وكان لهم نديماً في الجاهلية - فقال لهم : يا بني قريظة ، قد عرفتم ودّي إياكم ، وخاصة ما بيني وبينكم ، قالوا : صدقت ، لست عندنا بمتهم ؛ فقال لهم : إن قريشاً وغطفان قد

جاءوا لحرب محمد ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وإن قريشاً وغطفان ليسوا كهيتكم ^(١) ؛ البلد ببلدكم ، به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ؛ لا تقدرّون على أن تحوّلوا منه إلى غيره ، وإن قريشاً وغطفان أموالهم وأبناؤهم ونساؤهم وبلدهم بغيره ؛ فليسوا كهيتكم ، إن رأوا نهزةً وغنيمةً أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم ، وخلّوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ؛ ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ؛ فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشrafهم يكونون بأيديكم ؛ ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمداً ؛ حتى تنجزوه ، فقالوا : لقد أشرت برأي ونصح . ثم خرج حتى أتى قريشاً ، فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : يا معشر قريش ، قد عرفتم ودّي إياكم ، وفراق محمداً ؛ وقد بلغني أمرٌ رأيْتُ حقاً على أن أبلغكموه نصحاً لكم ، فاكتموا على . قالوا : نفعل ، قال : فاعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه أن قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك عنا أن نأخذ من القليلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشrafهم ؛ فنعطيكهم ، فتضرب أعناقهم ؛ ثم تكون معك على من بقي منهم ؟ فأرسل إليهم أن نعم ؛ فإن بعثت إليكم يهود يلتبسون منكم رهناً من رجالكم ؛ فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً . ثم خرج حتى أتى غطفان ، فقال :

يا معشر غطفان؛ أنتم أصلي وعشيتي، وأحب الناس إليّ، ولا أراكم تشتموني؛ قالوا: صدقت، قال: فاكموا عليّ، قالوا: نفعل، ثم قال لهم مثل ما قال لقريش، وحذرهم ما حذرهم؛ فلمّا كانت ليلة السبت في شوال سنة خمس؛ وكان ممّا صنع الله عزّ وجلّ لرسوله [أن] ^(١) أرسل أبو سفيان ورعوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل، في نفر من قريش وغطفان، فقالوا لهم: إنّنا لسنا بدار مقام؛ قد هلك الحلف والحافر، فاغدوا للقتال حتّى نناجز محمداً ونفرغ ممّا بيننا وبينه؛ فأرسلوا إليهم أنّ اليوم السبت؛ وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً؛ وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً فأصابه ما لم يخف عليكم، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم حتّى تعطونا رهناً من رجالكم، يكونون بأيدينا ثقة لنا؛ حتّى نناجز محمداً؛ فإنّا نخشى إن ضرتكم الحرب، واشتدّ عليكم القتال، أن تشمروا إلى بلادكم وتركوا الرجل في بلدنا، ولا طاقة لنا بذلك من محمد. فلمّا رجعت إليهم الرّسل بالذي قالت بنو قريظة، قالت قريش وغطفان: تعلمون والله أنّ الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق. فأرسلوا إلى بني قريظة: إنّنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا، فقالت بنو قريظة حين انتهت الرّسل إليهم بهذا: إنّ الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق؛ ما يريد القوم إلّا أن يقاتلوا؛ فإن وجدوا فرصة انتهزوها؛ وإن كان غير ذلك ^{١٤٨٣/١} تشمروا ^(٢) إلى بلادهم، وخلّوا بينكم وبين الرجل في بلادكم. فأرسلوا إلى قريش وغطفان: إنّنا والله لا نقاتل معكم حتّى تعطونا رهناً، فأبوا عليهم، وخذل الله بينهم؛ وبعث الله عزّ وجلّ عليهم الريح في ليل شانية شديدة البرد، فجعلت تكفأ قدورهم، وتطرح أبنتهم. فلمّا انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم ما اختلف من أمرهم، وما فرق الله من جماعتهم، دعا حذيفة بن اليمان، فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلاً.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: حدثنا يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي؛ قال: قال فتى

(١) من ابن هشام. (٢) ابن هشام: «انتمروا إلى بلادهم».

من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان : يا أبا عبد الله ، رأيت رسول الله وصحبته !
قال : نعم يا ابن أخي ، قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد
كنّا نجهّد ، فقال الفتى : والله لو أدركناه ما تركناه يمشى على الأرض ،
ولحملناه على أعناقنا : فقال حذيفة : يا ابن أخي ؛ والله لقد رأيتنا مع رسول الله
صلّى الله عليه وسلّم بالحدائق ، وصلّى هويّاً^(١) من الليل ، ثم التفت إلينا ،
فقال : من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم [ثم يرجع]^(٢) — بشرط له رسول الله
أنه يرجع^(٣) — أدخله الله الجنة ؟ فقام رجل . ثم صلّى رسول الله صلّى الله عليه
وسلّم هويّاً من الليل ، ثم التفت إلينا فقال مثله ، فقام منّا رجل ، ثم صلّى
رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هويّاً من الليل ، ثم التفت إلينا ، فقال :
من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع — بشرط له رسول الله الرجعة —
أسأل الله أن يكون رفيقاً في الجنة ؟ فقام رجل من القوم من شدة الخوف
وشدة الجوع وشدة البرد . فلما لم يبق أحدٌ دعاني رسول الله صلّى الله عليه
وسلّم فلم يكن لي بدّ من القيام حين دعاني . فقال : يا حذيفة ؛ اذهب فادخل
في القوم فانظر ما يفعلون ، ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا ؛ قال : فذهبت
فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ؛ لا تقرّ لم قديراً ولا ناراً
ولا بناء . فقام أبو سفيان بن حرب ، فقال : يا معشر قريش ، لينظر امرؤ
جليسه ، قال : فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي ، فقلت : من
أنت ؟ قال : أنا فلان بن فلان . ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش ، إنكم
والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخف ، وأخلصنا^(٤) بنو قريظة
وبلغنا عنهم الذي نكره ؛ ولقينا من هذه الريح ما ترون ؛ والله ما تطمئن
لنا قديراً ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ؛ فارتحلوا فإني مرتحل .

ثم قام إلى جملته وهو معقول ، فجلس عليه ، ثم ضربه فوثب به على
ثلاث ؛ فما أطلق عقابله إلّا وهو قائم ؛ ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
إليّ ألاّ أحدث^(٥) شيئاً حتى آتبه ، ثم شئت لقتلته بهم . قال حذيفة :

(١) الهوى : المنزع من الليل . (٢) من ابن هشام (٣) ابن هشام : « الرجعة » .

(٤) التفسير : « وأخلصت » .

(٥) ابن هشام : « ألاّ تحدث » .

فرجعتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو قائم يصلي في مرط لبعض نساؤه مَرَحَلٍ ؛ فلما رآني أدخلني بين رجله وطرح عليّ طرف المرط ^(١) ثم ركع وسجد ، فأذلقته . فلما سلم أخبرته الخبر ، وسمعت غطفان بما فعلت قريش ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم ^(٢) .

١٤٨٥/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق قال : فلما أصبح نبي الله صلى الله عليه وسلم انصرف عن الخندق راجعا إلى المدينة والمسلمون ووضعوا السلاح .

• • •

غزوة بني قريظة

فلما كانت الظهر ، أتى جبريلُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم — كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ^(٣) ، عن ابن شهاب الزهري — معجراً ^(٤) بعمامة من إستبرق ، على بخلّة عليها رِحالَة ^(٥) ، عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أقد ^(٦) وضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال نعم ، قال جبريل : ما وضعت الملائكةُ السلاحَ وما رجعت الآن إلا من طلب القوم ؛ إن الله يأمرك يا محمد بالسّير إلى بني قريظة ، وأنا عامد إلى بني قريظة .

فأمَرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مناديا ، فأذن في الناس : إن ^(٧) من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلّين العصر إلا في بني قريظة ^(٨) .

(١) المرط : كساء من صوف ونمز أو كتان يثقبه .

(٢) الخبر في التفسير ٢١ : ٨٠ ، ٨١ (يولاق) .

(٣) أخبار غزوة بني قريظة ما نقل عن ابن إسحاق ، في سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٤ - ٢٠٣ .

(٤) الاستجار : أن يتصم الرجل دون تلح ، أي لا يلقى شيئاً تحت لحيته .

(٥) الرحالة : السرج .

(٦) ابن هشام والتفسير : « أقد » .

(٧) سابقة من ابن هشام .

(٨) بعدها في ابن هشام : « واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم » .

وقدّم رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم على بن أبي طالب برباطته إلى بني قُريظة ، وابتدروا الناس ، فسار على بن أبي طالب عليه السلام ؛ حتى إذا دنا من الحصون ، سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم منهم ؛ فخرج حتى لقي رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلّم بالطريق ، فقال : يا رسولَ الله ، لا عليك ألاّ تدنو من هؤلاء الأخباث^(١) ! قال : لِمَ ؟ أظنّك سمعتَ لي منهم أذى ! قال : نعم يا رسولَ الله . لو قد رأوتني لم يقولوا من ذلك شيئا . فلمّا دنا رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم من حصونهم ، قال : يا إخوان القردة ، هل أخزاكم الله ، وأنزل بكم نعمته ! قالوا : يا أبا القاسم^(٢) ، ما كنتَ جهولا . ومرّ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم على أصحابه بالصوّرين قبل أن يصلَ إلى بني قُريظة ، فقال : هل مرّ بكم أحد ؟ فقالوا : نعم يا رسولَ الله ، قد مرّ بنا دحيّةُ بن خليفة الكلبيّ ، على بغلة بيضاء ، عليها رِحالة عليها قطيفة ديباج ، فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم : ذلك جبريل ، بُعِثَ إلى بني قريظة يُزَلِّلُ بهم حصونهم ، ويقذف الرّعب في قلوبهم . فلمّا أتى رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم بني قريظة ، نزل على برّ من آبارها في ناحية من أموالهم ، يقال لها شرّ أنا^(٣) ؛ فلاحق به النّاس ، فأناه رجالٌ من بعد العشاء الآخرة ، ولم يُصلّوا العصرَ ، لقول رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلّم : لا يصلّين أحدُ العصر إلاّ في بني قريظة ، لشيء لم يكن لهم منه بُدٌّ من حربهم ؛ وأبوا أن يُصلّوا ، لقول النبيّ صلى الله عليه وسلّم : حتّى تأتوا بني قُريظة ، فصلّوا العصر بها بعد العشاء الآخرة . فعايهم الله بذلك في كتابه ؛ ولا عنّفهم به رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم . والحديث عن محمد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن معبد بن كعب بن مالك الأنصاريّ .

• • •

(١) التفسير : « الأخباث » .

(٢) س : « يا محمد » .

(٣) أنا ، مثل « هنا » ، أو مثل « حتى » ، أو بكر التّون المشددة ، ويرى بموحدة

بدل التّون : من آبار بني قريظة - ياقوت .

حدثنا ابنُ وكيع ، قال : حدثنا محمد بن بشر ، قال : حدثنا محمد ابن عمرو ، قال : حدثني أبي ، عن علقمة ، عن عائشة ، قالت : ضرب رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم على سعد قُبَّة في المسجد ، ووضع السِّلَاح - يعني عند منصرف رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم من الخندق - ووضع المسلمون السِّلَاح ، فجاءه جبريل عليه السَّلَام ، فقال : أَوْضَعْتُمُ السِّلَاح ! ١٤٨٧/١ فوالله ما وضعتِ الملائكةُ بَعْدُ السِّلَاح ، اخرجُ إليهم ^(١) فقاتلهم ، فدعا رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بالأمتة فلبسها ، ثم خرج وخرج المسلمون ؛ فرَبَّنِي غَنِّم ، فقال : من مَرَّ بكم ؟ قالوا : مرَّ علينا دِحْيَةُ الْكَلْبِي - وكان يشبهُ سُنَّتَهُ ^(٢) وَلِحِيَّتَهُ وجهه بجبريل عليه السلام - حتى نزل عليهم ، وسعدٌ في قُبَّتِهِ التي ضرب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ؛ فحاصروهم شهرًا - أو خمسًا وعشرين ليلة - فلما اشتدَّ عليهم الحصار قيل لهم : انزلوا على حكم رسول الله ، فأشار أبو لُبَابَةَ بن عبد المنذر إنَّه الذبيح ، فقالوا : نزل على حكم سعد بن مُعَاذ ، فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : انزلوا على حكمه ، فزلوا ، فبعث إليه رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بِحِمَارٍ بِكَتَافٍ مِنْ لَيْفٍ ، فحمل عليه . قالت عائشة : لقد كان بَرًّا . كَلَّمَهُ ^(٣) حتى ما يرى منه إلَّا مثلُ الْخُرْصِ ^(٤) .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، قال : وحاصروهم رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم خمسًا وعشرين ليلة ؛ حتى جهَّدهم الحِصَار ؛ وقذف الله في قلوبهم الرُّعْب - وقد كان حِيَّيُّ بن أخطب دخلَ على بني قُرَيْظَةَ في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان ، وفاءً لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه - فلما أيقنوا أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلَّم غيرُ منصرف عنهم حتَّى يَنَاجِزَهُمْ ، قال كعب بن أسد لهم : ١٤٨٨/١ يا معشرَ يهود ، إنَّه قد نزل بكم من الأمر ما ترون ^(١) ، وإنِّي أعرضُ ^(٥)

(١) س : « بهم » . (٢) السنة هنا : الصورة ، وقيل : صفحة الخد .

(٣) الخرص : حلقة القربط ؛ وقول عائشة في الفائق ١ : ٣٣٥ .

(٤) س : « أعرض » .

(٥) س : « قد نزل » .

عليكم خيالا ثلاثا فخذوا أيها شتم ! قالوا : وما هن ؟ قال : نتابع ^(١) هذا الرجل ونُصدِّقه ؛ فوالله لقد كان تبين لكم أنه لَنبي ^(٢) مرسل ، وأنه للذي كنتم تجعلونه في كتابكم ، فتأمنوا على دماءكم وأموالكم وأبنائكم ونساءكم ، قالوا : لا نفارق حكم التوراة أبداً ، ولا نستبدل به غيره . قال : فلاذ أيتم هذه على ^(٣) فلهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مُصلتين السيوف ؛ ولم نترك وراءنا ثَقَلاً يهمتنا ؛ حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ؛ فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا شيئاً نخشى عليه ، وإن ظهر فلعمرى لنجدن النساء والأبناء . قالوا : تقتل هؤلاء المساكين ؛ فما خير العيش بعدهم ! قال : فلاذ أيتم هذه على ^(٤) فإن الليلة ليلة السبت ؛ وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمِنُوا فيها ، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غيرةً . قالوا : نفُسد سبتنا ، ونُحدث فيه ما لم يكن أحدث فيه من ^(٥) كان قبلنا ، إلا من قد علمت . فأصابه ^(٦) من المسخ ما لم يخفَ عليك . قال : ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً .

قال : ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن ابعت إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر ؛ أخا بني عمرو بن عوف — وكانوا ^(٧) حلفاء الأوس — نستشيرهم في أمرنا ، فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فلما رأوه قام إليه الرجال ، وبهش ^(٨) إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه ؛ فرق لهم وقالوا له : يا أبا لبابة ، أترى أن نزل على حكم محمد ! قال : نعم ، وأشار بيده إلى حلقه : إنه الذبح ؛ قال أبو لبابة : فوالله ما زالت قدماي حتى عرفت أني خُشتُ الله ورسوله .

ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ، ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٤٨٩/١

(١) ابن هشام والتفسير : « نتابع » .

(٢) و : « نبي » .

(٣) التفسير : « فأصابهم » .

(٤) س : « من حلفاء » .

(٥) بهش إليه النساء : خفوا إليه ، وفي ابن هشام والتفسير : « جهش » .

حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عُمُدِه ، وقال : لا أبرح مكانى هذا حتى يتوبَ اللهَ عليَّ مما صنعت ؛ وعاهد الله ألاَّ يبطأَ بنى قريظة أبداً . وقال : لا يرانى الله في بلد خُنتَ الله ورسوله فيه أبداً . فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره ، وأبطأَ عليه - وكان قد استبطأه - قال : أما لو جاءنى لاستغفرت له ؛ فأما إذْ فعل ما فعل ، فإنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه ^(١) .

• • •

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله بن قُسيط ، أن توبة أبى لُبابة أنزلتْ على رسول الله صلى الله عليه وسلم : وهو في بيت أم سلمة . قالت أم سلمة : فسمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم من السَّحَرِ يضحك فقلت : مِمَّ تضحك يا رسول الله ، أضحكَ الله سنَّكَ ! قال : تيبَ على أبى لُبابة ، فقلت : ألاَّ أبشِّره بذلك يا رسول الله ! قال : بلى إن شئت ؛ قال : فقامت على باب حجرتها - وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب - فقالت : يا أبا لُبابة ، أبشِّرْ فقد تاب الله عليك . قال : فنارَ الناس إليه ليطلقوه ؛ فقال : لا والله حتى يكونَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يُطلقني بيده ، فلما مرَّ عليه خارجاً إلى الصَّبح أطلقته ^(٢) . قال ابن إسحاق : ثمَّ إنَّ ثعلبة بن سَعْيَةَ وأسيْد بن سَعْيَةَ ، وأسيْد ابن عُبَيْدٍ - وهم نفر من بنى هَمدَل ؛ ليسوا من بنى قُريظة ولا النَّصِير ، نسَبَهُمْ فوق ذلك - هم بنو عمِّ القوم أسلموا تلك الليلة التى نزلت فيها قُريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم - وخرج في تلك الليلة عمرو بن

(١) خبر ابن إسحاق كله في التفسير ٢١ : ٩٥ ، ٩٦ (بلاق) .

(٢) بعدها في السيرة عن ابن هشام : ه أنام أبو لُبابة مرتبطاً بالجدع ست ليال ، تأتبه امرأته

في كل وقت صلاة فتصله للصلاة ثم تعود فتريطه بالجدع ، فيها حدثني بعض أهل العلم . ولأية التى نزلت في توبته قول الله عز وجل : ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا

وَآخَرَ سَيِّئًا عَمَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ .

سُعْدَى الْقُرْطَى ، فَرَّ بِحَرَسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَعَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ؛ فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : عمرو بن سعدى - وكان عمرو قد أبى أن يدخلَ مع بنى قُرَيْظَةَ فِي غَدْرِهِمْ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ : لَا أَغْدِرُ بِمُحَمَّدٍ أَبَدًا - فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ حِينَ عَرَفَهُ : اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنِي عَشْرَاتِ الْكَرَامِ . ثُمَّ خَلَّي سَبِيلَهُ ؛ فَخَرَجَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى بَاتَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ . ثُمَّ ذَهَبَ فَلَا يُدْرَى ^(١) أَيْنَ ذَهَبَ مِنْ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا ! فَذَكَرَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَأْنَهُ ، فَقَالَ : ذَاكَ رَجُلٌ نَجَّاهُ اللَّهُ بِوَفَائِهِ .

قال ابن إسحاق : وبعضُ النَّاسِ يزعمُ أنه كان أوثقَ برُمةٍ ^(٢) فيمن أوثقَ من بنى قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم ، فأصبحت رُمته مُلقاةً لا يُدْرَى أين ذهب ، فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم فيه تلك المقالة . والله أعلم .

قال ابن إسحاق . فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم ، فنواثب الأوس ، فقالوا : يا رسول الله ، إنهم متوألينا دون الخزرج ، وقد فعلت في موالئ الخزرج بالأمس ما قد علمت - وقد كان رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم قبل بنى قُرَيْظَةَ حاصر بنى قَيْنُقَاعَ ، وكانوا حلفاء الخزرج ، فنزلوا على حكمه ؛ فسأله إِيَّاهُمْ عبد الله بن أبي بن سلَوك ، فوجههم له . فلما كلمه الأوس قال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم : ألا ترضون يا معشرَ الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ! قالوا : بلى ، قال : فذاك إلى سَعْدِ بْنِ معاذ - وكان سعد بن معاذ قد جعله رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم في خَيْمَةِ امْرَأَةٍ ^(٣) من أسلم ^(٤) يقال لها رُفَيْدَةُ في مسجده ، كانت تُدَاوِي الجرحى ، وتحسب بنفسها على خدمة مَنْ كانت به ضبيعة من المسلمين ؛ وكان رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السَّهْمُ بِالْخَنْدَقِ : اجعلوه في خيمة رُفَيْدَةَ ، حتى أعوده من قريب - فلما

(١) في ابن هشام : « فلم يدرك » .

(٢) الرية : الحبل .

(٣) س : « لامرأة » .

(٤) كذا في ابن هشام وفي ط : « المسلمين » .

حكّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني قريظة ، أتاها قومه ، فاحتملوه على حِمَارٍ قد وطئوا له بوسادة من آدمٍ - وكان رجلاً جسيماً - ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يقولون : يا أبا عمرو ، أحسن^١ ١٤٩٢/١ في مواليك ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنمّا ولاك ذلك لتحسين فيهم . فلما أكرهوا عليه قال : قد أنى لسعد ألا تأخذَه في الله لومة لائم . فرجع بعضُ مَنْ كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل ، فنعى لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد بن معاذ عن كلمته التي سمع منه .

• • •

قال أبو جعفر : فلما انتهى سعدٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما حدثنا ابنُ وكيع ، قال : حدثنا محمد بن بشر ، قال : حدثنا محمد بن عمرو ، قال : حدثني أبي ، عن علقمة : في حديث ذكره ، قال : قال أبو سعيد الخدري : فلما طلع - يعني سعداً - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا إلى سيدكم - أو قال : إلى خيركم - فأنزلوه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : احكم فيهم ، قال : فإنتى أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم ، وأن تُسبى ذراريهم ، وأن تُنقسم أموالهم . فقال : لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق : وأمّا ابن إسحاق فإنه قال في حديثه : فلما انتهى سعدٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا إلى سيدكم ، فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك^(١) مواليك لتحكم فيهم ، فقال سعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أنّ الحكم فيها ما حكمت ! قالوا : نعم ، قال : وعلى من هاهنا ؟ - في الناحية التي فيها رسول^١ ١٤٩٣/١

الله صلى الله عليه وسلم ، وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لإجلاله - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، قال سعد : فلأني أحكمكم فيهم بأن تقتل الرجال ، وتقسّم الأموال ، وتسبى النوازي والنساء .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن علقمة بن وقاص الليثي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة^(١) .

قال ابن إسحاق : ثم استنزلوا ، فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار ابنة الحارث ، امرأة من بني النجار . ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم ، فخندق بها خنادق ، ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق ، يخرج بهم إليه أرسالا ، وفيهم علو الله حبيبي بن أخطب ، وكعب بن أسد ، رأس القوم ، وهم سماء أو سبعماعة ، المكشّر لم يقول : كانوا من الثماعة إلى التسماعة . وقد قالوا لكعب بن أسد - وهم يذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا^(٢) - : يا كعب ، ما ترى ما يصنع بنا ؟ فقال كعب : في كل موطن لا تقولون : ألا ترون الداعي^(٣) لا يترع ، وأنه من ذهب به منكم لا يرجع ، هو والله القتل ! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأتى يحيى بن أخطب علو الله وعليه حلة له فتأخيه^(٤) قد شققها عليه من كل ناحية كوضع الأنملة ، أنملة أنملة ، لئلا يسلبها ، مجموعة يدها إلى عنقه بحبل . فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ، ولكنه من يأخذك الله يأخذك .

١٤٩٤/١

(١) الأربعة : السموات ، وأحدا ربيع .

(٢) أرسالا ، أي طائفة بعد طائفة .

(٣) س : الداعي .

(٤) حلة قناحية : حل ليزن الورع حين لم أن يفتتح .

ثم أقبل على الناس ، فقال : أيها الناس ، إنَّه لا بأس بأمر الله ، كتاب الله وقدَّرَه ، وعلَّمةٌ قد كتبت ^(١) على بني إسرائيل . ثم جلس ففُضِّرت عنقه ، فقال جبل بن جِوَال الثعلبي :

لَعَمْرُكَ مَا لَامَ ابْنُ أَخْطَبَ نَفْسَهُ وَلَكِنَّهُ مَنْ يَخْذُلُ اللَّهُ يُخْذَلُ
لِجَاهِدٍ حَتَّى أَبْلُغَ النَّفْسَ عَذْرَهَا وَقَلَّ لِلَّهِ يَبْنِي الْعِزَّ كُلَّ مَقْلَلٍ

حدثنا ابنُ حُمَيْد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ، قالت : لم يُقتل من نساءهم إلا امرأة واحدة . قالت : والله إنَّها لعندي تحدَّثُ معي ، وتضحك ظهراً وبطناً ، ورسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم يقتلُ رجالهم بالسوق ، إذ هتف هاتفٌ باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله . قالت : قلت : ويحك مالك ! قالت : أقتل ! قلت : ولِمَ ؟ قالت : حدَّثَ أحدثُهُ . ١٤٩٥/١
قالت : فأنطلقَ بها ففُضِّرت عنقُها ^(٢) . فكانت عائشة تقول : ما أنسى عجبنا منها ، طيبَ نفس وكثرة ضحك ، وقد عرفت أنها تُقتل !

وكان ثابت بن قيس بن شماس - كما حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن ابن شهاب الزُّهري - أني الزُّبير ^(٣) بن باطال القرظي - وكان يكنى أبا عبد الرحمن - وكان الزُّبير قد مرَّ على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية . قال محمد : مما ذكر لي بعضُ ولد الزُّبير ، أنه كان منَّ عليه يوم بُعث ؛ أخذه فجزَّ ناصيته ، ثم خلَّى سبيله - فجاءه ^(٤) وهو شيخ كبير ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، هل تعرفني ؟ قال : وهل يجهلُ مثلي مثلك !

(١) في ابن هشام : « كتبها الله » .

(٢) قال أبو ذر الحُثَني : « هي امرأة الحسن القرظي » .

(٣) قال السبيل : « هو الزُّبير ، يفتح الزاي وكسر اليا ، جد الزبير بن عبد الرحمن المذكور في الموطأ في كتاب النكاح » .

(٤) ابن هشام : « فجاءه ثابت » .

قال : إني قد أردتُ أن أُجزِيكَ بيدك عندي ، قال : إنَّ الكريم يجزى الكريم . ثم أتى ثابت رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، فقال : يا رسول الله ؛ قد كانت للزَّبير عندي يَدٌ ؛ وله على مِنةٌ ؛ وقد أحببت أن أُجزِيه بها ؛ فهب لي دَمَه . فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : هو لك ، فأتاه فقال : إنَّ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم قد وهب لي دمك فهو لك ؛ قال : شيخ كبير لا أهلَ له ولا ولد ؛ فما يصنع بالحياة ! فأتى ثابت رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، فقال : يا رسول الله ، أهله وولده ، قال : هم لك ، فأتاه فقال : إنَّ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم قد أعطاني امرأتك وولدك وفهم لك . قال : أهلُ بيتٍ بالحجاز لا مالَ لهم ، فما بقاؤهم ! فأتى ثابت رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، فقال : يا رسولَ الله ، ماله ! قال : هو لك ، فأتاه فقال : إنَّ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم قد أعطاني مالك فهو لك ، قال : أيُّ ثابت ! ما فعل الذي كَانَ وَجْهَهُ مِرْآةَ صِينِيَّةٍ تَرَأَى فِيهَا^(١) عَذَارَى الْحَيِّ ؛ كعب بن أسد ؟ قال : قُتِل ، قال : فما فعل سيّد الحاضر والبادي ؛ حَيِّى بن أخطب ؟ قال : قُتِل ، قال : فما فعل مقدّمنا إذا شدّدنا ، وحاميتنا إذا كررنا ؛ عَزَّال بن شميل ؟ قال : قُتِل ، قال : فما فعل المجلسان - يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة - قال : ذَهَبُوا ، قَتَلُوا . قال : فلأنتى أسألك يدي عندك يا ثابت ، إلّا الْخُفْتَنِي بِالْقَوْم ؛ فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير ، فما أنا بصابر لله قَبْلَةَ دَلْو^(٢) نَصَحَ حَتَّى أَلْقَى الْأَحْيَةَ ! فقدّمه ثابت فضرب عنقه ؛ فلما بلغ أبا بكر قوله : « أَلْقَى الْأَحْيَةَ » قال : يلقيهم والله فى نار جهنّم خالدًا فيها مُخَلَّدًا أبدًا . فقال ثابت بن قيس بن الشماس فى ذلك ، يذكر الزَّبير بن باطا :

(١) كذا فى ابن هشام ، وفى ط : « فيه » .

(٢) فى ابن هشام : « فلة » ، قال أبو ذر الحثي ، : « ومن رواه : « قبله » باللفاف والباء فهو بمقدار ما يقبل الرجل الدلو ليصبها فى الخوض ثم يصرفها ؛ وهذا كله لا يكون إلا عن استعجال وسرعة » .

وَقَتَّ ذِمَّتِي أَنِّي كَرِيمٌ وَأَتَقِي صَبُورٌ إِذَا مَا الْقَوْمُ حَادُوا عَنْ الصَّبْرِ
وَكَانَ زَيْبٌ أَعْظَمَ النَّاسِ مِنِّي عَلَى فَلَمَّا شُدَّ كُوعَاهُ بِالْأَنْسَرِ
أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ كَيْمَا أَفْكُهُ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ بَحْرًا لَنَا يَجْرِي

قال : وكان رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم قد أمر بقتل مَنْ أُنْبِتَ

منهم .

فحدثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدثنا سَلَمَةُ ، قال : حدثني محمد بن
إسحاق ، عن أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صَعَصَعَةَ ، أخى بنى
١٤٩٧/١ عدى بن النّجار ، أن سَلَمَةَ بنت قيس أمّ المنذر أخت سَلَيْطِ بن قيس
— وكانت إحدى خالات رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلم ، قد صَلَّتْ معه
القبلتين ، وبايعته ^(١) بيعة النساء — سألتَه رِفَاعَةَ بن شمويل ^(٢) القُرظِي —
وكان رجلا قد بلغ ولاذَ بها ، وكان يعرفهم قبل ذلك — فقالت : يا تبي الله ،
بأى أنت وأمى ! هبْ لى رِفَاعَةَ بن شمويل ؛ فإنه قد زعم أنه سيُصَلِّي ،
ويأكل لحْمَ الجمل ؛ فوجهه لها ؛ فاستحيته .

قال ابنُ إسحاق : ثم إن رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلم قَسَمَ أموال
بنى قُرَيْظَةَ ونساءهم وأبناءهم على المسلمين ، وأعلم في ذلك اليوم سُهْمَانُ
الخيَلِ وسُهْمَانُ الرّجال ، وأخرج منها الخُمُسُ ؛ فكان للفارس ثلاثة أسهم ؛
للفرس سهمان وللفارسه سهم ، وللراجل ثَمَنٌ ليس له فرسٌ سهم ، وكانت
الخيَل يوم بنى قريظة ستة وثلاثين فرساً ، وكان أولُ فتى وقع فيه السهمان
وأخرج منه الخمس ، فعلتْ سُنَّتُهَا وما مَضَى من رسولِ الله صَلَّى الله عليه
وسلمَ فيها وقعت المقاسم ، ومضت السنّة في المغازى ؛ ولم يكن يُسَهِم للخيَل
إذا كانت مع الرجل إلا لفارسين .

ثم بعث رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم سعدَ بن زيد الأنصاري ،

(١) و : « وبايعت » .

(٢) ابنُ هشام : « شمويل » .

أنا بنى عبد الأشهل بسبايا من سبايا بنى قُرَيْظَةَ إلى نجد ، فابتاع له بهم خيلا وسلاحاً ، وكان رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم قد اصطنع لنفسه من نسائهم رِيحانة بنت عمرو بن خُنافة^(١) لإحدى نساء بنى عمرو بن قُرَيْظَةَ ، فكانت عند رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم حتى توفى عنها وهي في مِلْكِهِ ، وقد كان رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم عرض عليها أن يتروّجها ، ويضربَ عليها الحجاب ، فقالت : يا رسولَ الله ، بل تركني في ملكك فهو أخفّ عليّ وعليك . فتركها ؛ وقد كانت حين سباها رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم قد تعصّت^(٢) بالإسلام ، وأبّتْ إلاّ اليهوديّة ، فعزّها رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم عليه وسلّم ووجد في نفسه لذلك من أمرها ؛ فبينما هو مع أصحابه إذ سمع وقعَ نعلين خلفه ، فقال : إنّ هذا لثعلبة بن سعيّة يبشّرني بإسلام رِيحانة ، فجاءه فقال : يا رسولَ الله ، قد أسلمت رِيحانة ، فسرّه ذلك .

فلما انقضى شأن بنى قريظة انفجر جُرْحُ سعد بن معاذ ، وذلك أنه دعا — كما حدّثني ابنُ وكيع ، قال : حدّثنا ابنُ بشر ، قال : حدّثنا محمد بن عمرو ؛ قال : حدّثني أبي ، عن علقمة ، في خبر ذكره عن عائشة : ثم دعا سعد بن معاذ — يعني بعد أن حكم في بنى قريظة ما حكم — فقال : اللهم إنّك قد علمت أنّه لم يكن قوم أحبّ إلىّ أن أقاتلَ أو أجاهد من قوم كذبوا رسولك . اللهم إنّ كنتَ أبقيت من حرب قريش على رسولك شيئاً فأبقني لها ، وإن كنتَ قد قطعت الحرب بينه وبينهم فأقبضني إليك . فانفجر ككلمه ، ١٤٩٩/١ فترجّعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيمته^(٣) التي ضربت عليه في المسجد . قالت عائشة : فحضره رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، وأبو بكر ، وعمر ؛ فوالذي نفس محمد بيده ؛ إني لأعرف بكاء أبي بكر من بكاء عمر وإني لني جُجرتي . قالت : وكانوا كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿ رُحِمَا بَيْنَهُمْ ﴾^(٤)

(١) كذا في ابن هشام وشرح المواب ، والطبري ٣ : ٢٤٣٢ ؛ وفي الأصل : وجنافة .

(٢) تعصّت ، أى عصت .

(٣) س : « القبة » .

(٤) سورة الفتح ٢ .

قال علقمة : أى أمه ! كيف كان يصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟
قالت : كانت عينه لا تدمعُ على أحدٍ ؛ ولكنه كان إذا اشتدَّ وجدهُ
على أحد ، أو إذا وجدَ فإِذَا هو آخذٌ بِلحيته .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابنُ إسحاق ،
قال : لم يُقتل من المسلمين يوم الخندق إلا ستة نفر ، وقُتل من المشركين
ثلاثة نفر ، وقُتل يوم بنى قريظة خَلَاد بن سُوَيْد بن ثعلبة بن عمرو
ابن بلحارث بن الخزرج ، طُرِحَتْ عليه رَحَى فشدخته شدخاً شديداً .
ومات أبو سنان بن محصن بن حرثان ، أخو بنى أسد بن خزيمه ، ورسولُ
الله صلى الله عليه وسلم محاصراً بنى قريظة ، فدفن في مقبرة بنى قريظة .
ولمَّا انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن الخندق ، قال : الآن نَغْزُوهم
— يعنى قريشاً — ولا يغزونا ، فكان كذلك حتى فتح الله تعالى على رسوله
صلى الله عليه وسلم مكة .

وكان فتح بنى قريظة في ذى القعدة أو في صدر^(١) ذى الحجة ، في قول
ابن إسحاق . وأما الواقدي فإنه قال : غَزَاهُم رسول الله صلى الله عليه وسلم
في ذى القعدة ، لليال بقيين منه ؛ وزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أمر أن يُشَقَّ لبنى قريظة في الأرض أخاديد ثم جلس ؛ فجعل على والزبير
يضربان أعناقهم بين يديه ، وزعم أن المرأة التي قتلها النبي صلى الله عليه وسلم
يومئذ كانت تسمى بُنَانَة ، امرأة الحَكَم القرظي ، كانت قتلت خلاد بن
سُوَيْد ، رمَتْ عليه رَحَى ، فدعا له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فضرب
عنقه بخَلَاد بن سويد .

• • •

واختلف في وقت غزوة النبي صلى الله عليه وسلم بنى المصطلق ؛ وهي
الغزوة التي يقال لها غزوة المُرَيْسِع — والمُرَيْسِع اسم ماء من مياه خَزْاعة
بناحية قديد إلى الساحل — فقال : ابن إسحاق — فيما حدثنا ابن حميد ،

قال : حدثنا سلمة ، عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا بني المصطلق من خُزاعة ، في شعبان سنة ست من الهجرة .

وقال الواقدي : غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم المريسيع في شعبان سنة خمس من الهجرة . وزعم أن غزوة الخندق وغزوة بني قريظة كانتا بعد المريسيع لحرب بني المصطلق من خُزاعة .

وزعم ابنُ إسحاق - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم انصرف بعد فراغه من بني قريظة ؛ وذلك في آخر ذي القعدة أو في صدر ذي الحجة - فأقام بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفرًا وشهر ربيع ، وولى الحجة في سنة خمس المشركون .

ذكر الأحداث التي كانت في سنة ست من الهجرة

غزوة بني لحيان

قال أبو جعفر: وخرج رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم في جُمادى الأولى على رأسِ ستَّة أشهر من فتحِ بني قُريظة إلى بني لحيان، يطلب ١٥٠١/١ بأصحاب الرِّجيع؛ خُبَيْب بن عدَّى وأصحابه؛ وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غيرةً. فخرج من المدينة، فسلك على غُرَاب (جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام) ثم على مَخِيض، ثم على البَرَاء؛ ثم صفق^(١) ذات اليسار، ثم على يَبْن، ثم على صُخَيْرَات اليمام، ثم استقام به الطريق على المحجة من طريق مكة، فأغذت السير سريعاً؛ حتى نزل على غُرَان؛ وهي منازل بني لحيان - وغُرَان وادٍ بين أَمَسَج وعُسْفَان - إلى بلد يقال له مابة، فوجدهم قد حنَّروا وتمنَّعوا في رموس الجبال، فلمَّا نزلها رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم وأخطأه من غرَّتهم ما أراد، قال: لو أنَّنا هبطنا عُسْفَان لرأى أهل مكة أنَّنا قد جئنا مكة. فخرج في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عُسْفَان، ثم بعث فارسين من أصحابه؛ حتى بلغا كُرَاع الغَسِيم، ثم كَرَّراً وراح قافلاً^(٢).

حدثنا ابنُ حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني ابنُ إسحاق .
- قال: والحديث في غزوة بني لحيان - عن عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر، عن عبيد الله بن كعب .

قال ابنُ إسحاق: ثم قدِم رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم المدينة، فلم يُقَمِّ إلاَّ ليلًا قلائل حتى أغار عُبَيْسَةُ بن حِصْن بن حذيفة بن بدر الفزاري في خيل لطفان على لِقَاح رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بالغابة؛ ١٥٠٢/١ وفيها رجلٌ من بني غِفَار وامرأته، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللقاح^(٣)

• • •

(١) صفق: عدل .

(٢) الخبر في مئة ابن هشام ٢ : ٢١٢ .

(٣) اللقاح : الإبل الحوامل ذوات الألبان .

غزوة ذي قرد

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ومن لا أتهم ، عن عبيد الله بن كعب بن مالك ، كلٌّ قد حدث في غزوة ذي قرد بعض الحديث ، أنه أول من نذر^(١) بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي ، غدا يريد الغابة متوشحاً قوسه ونبله ، ومعه غلام لطلحة بن عبد الله .

* * *

وأما الرواية عن سلمة بن الأكوع بهذه الغزوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مقدمه المدينة ، منصرفاً من مكة عام الحديبية ، فإن كان ذلك صحيحاً ، فينبغي أن يكون ما روى عن سلمة بن الأكوع كان إما في ذي الحجة من سنة ست من الهجرة ، وإما في أول سنة سبع ، وذلك أن انصراف رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة عام الحديبية كان في ذي الحجة من سنة ست من الهجرة ، وبين الوقت الذي وقتته ابن إسحاق لغزوة ذي قرد والوقت الذي روى عن سلمة بن الأكوع قريب من ستة أشهر . حدثنا حديث سلمة بن الأكوع الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا أبو عامر العقدي ، قال : حدثنا عكرمة بن عمار البماي ، عن إياس بن سلمة ، عن أبيه ، قال : أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة - يعني بعد صلح الحديبية - فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهره^(٢) مع رباح غلام رسول الله ، وخرجت معه بفرس لطلحة بن عبيد الله . ١٠٠٣/١ فلما أصبحنا إذا عبد الرحمن بن عبيدة قد أغار على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستاقه أجمع ، وقتل راعيه . قلت : يا رباح ، خذ هذا الفرس وأبلغه طلحة . وأخبر رسول الله أن المشركين قد أغاروا على سرجه . ثم قمت

(١) نذر : علم .

(٢) الظهر : الإبل تعد للركوب أو حمل الثقل .

على أكمة فاستقبلت المدينة، فتأديت ثلاثة أصوات: يا صبا حاه ! ثم خرجت في آثار القوم أرميهم بالنبل ، وأرتجز وأقول : « أنا ^(١) ابن الأكوع ، واليوم يوم الرضع » .

قال : فوالله ما زلت أرميهم وأعير بهم ^(٢) ، فلذا رجع إلى فارس منهم أتيت شجرة وقعت في أصلها ، فومئته ففقرت به ؛ وإذا تضايق الجبل فدخلوا في متضايقي ^(٣) علوت الجبل ، ثم أردتهم بالحجارة ، فوالله ما زلت كذلك حتى ما خلتني الله بعيراً من ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا جعلته وراء ظهري ، وخلتوا بيني وبينه وحتى ألقوا أكثر من ثلاثين رُمحاً وثلاثين بردة ^(٤) ، يستخفون ^(٥) بها لا يُلْقُون ^(٦) شيئاً إلا جعلت عليه آراماً ^(٧) حتى يعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، حتى إذا انتهوا إلى متضايق من ثنية ^(٨) وإذا هم قد أتاهم عبيئة بن حصن بن ١٥٠٤/١ بلر مُمِداً ، فقمعدوا يتصَحَّحُونَ ^(٩) ، وقعدت على قرن ^(١٠) فوقهم ، فنظر

(١) كذا في صحيح مسلم ، وفي ط : « وأنا » .

(٢) في اللسان : « أصل المقر : ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف وهو قائم . . . ومنه حديث ابن الأكوع » وما زلت أرميهم وأعيرهم ، أي أقتل مركوبهم ، يقال : عقرت به ؛ إذا قتلت مركوبه » .

(٣) صحيح مسلم : « فدخلوا في تضايقه » . والتضايق : ضد الاتساع .

(٤) صحيح مسلم : « ثم أتيتهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة » .

(٥) يستخفون ، أي يطلبون باللقائها الخفة ؛ ليكونوا أقدر على الفرار .

(٦) صحيح مسلم : « لا يطرحون » .

(٧) الأرام : الأعلام .

(٨) الثنية : العقبة والطريق في الجبل ، وفي صحيح مسلم : « حتى أتوا متضايقا من

ثنية » .

(٩) في نهاية ابن الأثير : « بينما نحن نتضحى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ أي نتعدى ، والأصل فيه أن العرب كانوا يسرون في ظلمهم ، فإذا مروا ببقعة من الأرض فيها كاذ وعشب قال قائلهم : ألا غصوا رويداً ! أي ارفقوا بالإبل حتى نتضحى أي نزال من هذا المرمى ، ثم وضعت التضحية مكان الرفق لتصل الإبل إلى المنزل وقد شبت ، ثم اتسع فيه حتى قيل لكل من أكل في وقت الضحى : هو يتضحى ؛ أي يأكل في هذا الوقت ؛ كما يقال : يتندى ويتمشى في الغذاء والمشاء » .

(١٠) القرن : الجبل الصغير المنقطع عن الجبل الكبير ، وفي صحيح مسلم : « وجلست على رأس قرن » .

عِيَّيْنَه، فقال : ما الذى أرى^(١) ؟ قالوا : لقينا من هذا البرح^(٢) ، لا والله ما فارقنا هذا منذ غلَس ، برميْنَا حَتَّى اسْتَقْدَ^(٣) كُلَّ شَيْءٍ فِى أَيْدِينَا . قال : فليَقْسُمْ إِلَيَّ مِنْكُمْ أَرْبَعَةً . فَعَمَدٌ إِلَى أَرْبَعَةٍ^(٤) مِنْهُمْ . فَلَمَّا أَمْكُونُ مِنَ الْكَلَامِ ، قُلْتُ : أَتَعْرِفُونِى ؟ قالوا : مَنْ أَنْتَ ؟ قُلْتُ : سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ ، وَالَّذِى كَرَّمَ وَجْهَهُ مُحَمَّدٌ لَا أَطْلُبُ أَحَدًا مِنْكُمْ إِلَّا أَدْرَكْتَهُ ، وَلَا يَطْلُبُنِى زَجَلٌ مِنْكُمْ فَيُدْرِكُنِى . قال أَحَدُهُمْ : أَنَا^(٥) أَظُنُّ ، قال : فَرَجِعُوا فَهَاجِرَتْ مَكَانِى ذَاكَ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى فَوَارِسَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَلَّلُونَ الشَّجَرَ ، أَوْ لَمْ الْأَخْرَمَ الْأَسَدَى ، وَعَلَى إِثْرِهِ أَبُو قَتَادَةَ الْأَنْصَارَى ، وَعَلَى إِثْرِهِ الْمُقْدَادُ بْنُ الْأَسَدِ الْكِنْدَى ، فَأَخَذْتُ بَعِيَانِ فَرَسِ الْأَخْرَمِ ، [فَوَلَّيْتُ مَدْبَرَيْنِ] ^{١٥٠٥/١} ، فَقُلْتُ : يَا أَخْرَمُ ؛ إِنَّ الْقَوْمَ قَلِيلٌ ، فَاحْذَرْهُمْ لَا يَقْتَطِعُوكَ حَتَّى يَلْحَقَ بَنَا رَسُولِ اللَّهِ وَأَصْحَابِهِ . فقال : يَا سَلَمَةُ ، إِنْ كُنْتُ تَوْثِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَتَعْلَمُ أَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ ، فَلَا تَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّهَادَةِ . قال : فَحَلَّيْتُهِ ، فَالْتَقَى هُوَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عِيَّيْنَةَ ، فَعَقَرَ الْأَخْرَمَ بَعْدَ الرَّحْمَنِ فَرَسَهُ ، فَطَعَنَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَتَلَهُ ، وَتَحَوَّلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَى فَرَسِهِ ، وَلَحِقَ أَبُو قَتَادَةَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَطَعَنَهُ وَقَتَلَهُ ، وَعَقَرَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِأَبَى قَتَادَةَ فَرَسَهُ . وَتَحَوَّلَ أَبُو قَتَادَةَ عَلَى فَرَسِ الْأَخْرَمِ ؛ فَانْطَلَقُوا هَارِبِينَ . قال سَلَمَةُ : فَوَالَّذِى كَرَّمَ وَجْهَهُ مُحَمَّدٌ ، لَتَتَّبِعُنَّهُمْ أَعْدُو عَلَى رَجُلٍ ؛ حَتَّى مَا أَرَى وَرَأَى مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا غِبَارِهِمْ شَيْئًا .

قال : وَيَعْدِلُونَ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى شِعْبٍ فِيهِ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ ذُو قَرَدٍ

(١) صحيح مسلم : « ما هذا الذى أرى ؟ » .

(٢) البرح : الشدة .

(٣) صحيح مسلم : « حَتَّى انْتَزَعَ » .

(٤) صحيح مسلم : « فصعد إلى أربعة منهم في الجبل » .

(٥) ط : « إِنْ » .

(٦) من صحيح مسلم .

يشربون منه وهم عطاش ؛ فنظروا إلى أعدو في آثارهم ؛ فَحَلَّتْهُمْ^(١) فما ذاقوا منه قطرة .

قال : وَيُسْنَدُونَ^(٢) في ثنية ذى أثير^(٣) ، ويعطف على واحد فأرشفه بسمه في تُنْفَر^(٤) كفه ، فقلت :

خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ

فقال : أَكْوَعِي غُدْوَةً^(٥) ! قلت : نعم يا عدو نفسه ؛^(٦) وإذا فترسان على الثنية ، فجئت بهما أقودهما إلى رسول الله^(٧) ، ولحقني عامر عتي بعد ما أظلمت بسطحية^(٨) فيها مِدْقَةٌ من لبن ، وسطيحة فيها ماء ، فتوضأت وصاليت وشربت ، ثم جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الماء الذي حلَّتْهُمْ^(٩) عنه ، عند ذى قرد ، وإذا رسول الله قد أخذ تلك الإبل التي استنقذت من العدو ، وكل رُحْم ، وكل بُرْدَة ؛ وإذا بلال قد نَحَرَ ناقة من الإبل التي استنقذت من العدو ، فهو يشوي لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كبدها وسنامها ، فقلت : يا رسول الله ؛ خلني فلأُتَخِبَ^(١٠) مائة رجل من القوم ، فأَتَّبِعُ القوم فلا يَبْقَى^(١١) منهم عين . فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدا - وقد بانَتْ - نواجذُه . [في ضوء النار]^(١٢) . ثم قال : أَكُنْتَ فاعلا ! فقلت : إِي وَالَّذِي أَكْرَمَكَ !

(١) فحلَّتْهُمْ ، أي طردتهم وأجلَّتْهُمْ .

(٢) أسندوا ، أي صعدوا ، وفي صحيح مسلم : « ويخرجون فيشتدون في ثنية » .

(٣) كذا ذكر في ط ، ولم أجد هذا الموضع في ياقوت .

(٤) التنفير : العظم الرقيق على طرف الكتف ؛ سمي بذلك لكثرة تحركه .

(٥) صحيح مسلم : « قال : يا ثكلته أمه ! أكوعه بكرة ! » .

(٦-٧) صحيح مسلم : « قال : وأردوا فرسين على ثنية ، قال : فجئت بهما أسوقهما إلى رسول الله صل الله عليه وسلم » .

(٨) السطحة : إزاء من جلود ، سطح بعضها على بعض . والمفقة : قليل من لبن مزوج بماء .

(٩) صحيح مسلم : « حلَّتْهُمْ » .

(١٠) صحيح مسلم : « فأُتَخِبَ » .

(١١) صحيح مسلم : « فلا يَبْقَى منهم من غير إلا قلته » .

(١٢) من صحيح مسلم .

فَلَمَّا أَصْبَحْنَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ إِنَّهُمْ لَيُفَرِّقُونَ^(١) بَارِضَ غَطَّاقَان . قَالَ ،
فَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ غَطَّاقَان ، فَقَالَ : نَحَرُ لِمِ فُلَانٍ جَزْرًا ، فَلَمَّا كَشَعُوا^(٢)
عَنِهَا جِلْدَهَا رَأَوْا غُيَّبَارًا ؛ فَقَالُوا : أَنْتِمْ^(٣) ! فَخَرَجُوا هَارِبِينَ ، فَلَمَّا
أَصْبَحْنَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : خَيْرُ فَرَسَانَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ ،
وَخَيْرُ رَجَالِنَا سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَع . ثُمَّ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ [سَهْمِينَ]^(٤) سَهْمَ الْفَارِس ، وَسَهْمَ الرَّاجِل ؛ [فَجَمَعَهُمَا لِي
جَمْعًا]^(٥) ، ثُمَّ أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ وَرَاءَهُ عَلَى الْعَصْبَاءِ^(٦) ؛ [رَاجِعِينَ
إِلَى الْمَدِينَةِ]^(٧) . فَبَيْنَمَا نَحْنُ نَسِير ؛ وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لَا يُسَبِّقُ شِدًّا^(٨)
فَجَعَلَ يَقُولُ : أَلَا مِن مَّسَابِقٍ ! فَقَالَ ذَاكَ مِرَارًا ؛ فَلَمَّا سَمِعْتُهُ قُلْتُ :
أَمَا تُكْرِمُ كَرِيمًا وَلَا تَهَابُ شَرِيفًا ! فَقَالَ : لَا ؛ إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ ،
فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، بِأَيِّ أَنْتَ وَأَمِي ! ائْذَنْ لِي^(٩) . فَلَأَسَابِقُ الرَّجُل ! قَالَ :
إِنْ شِئْتُ ، قَالَ : فَفَطَفَرْتُ^(١٠) ، فَعُدْتُ ، فَرَبَطْتُ شَرَفًا أَوْ شَرَفِينَ فَالْحَقَّةُ^(١١)
وَأَصْكُهُ بَيْنَ كَفَيْهِ ، فَقُلْتُ : سَبَقْتُكَ^(١٢) ، وَاللَّهِ ! فَقَالَ : إِنِّي أَظُنُّ^(١٣) ،
فَسَبَقْتُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَلَمْ تَمُكَّ بِهَا إِلَّا ثَلَاثًا حَتَّى خَرَجْنَا إِلَى خَيْبَرَ^(١٤) .

• • •

- (١) يَفَرِّقُونَ : يَضَافُونَ .
(٢) صَحِيحُ سَلَم : « كَشَعُوا جِلْدَهَا » .
(٣) صَحِيحُ سَلَم : « أَنْتَا كُمُ الْقَوْم » .
(٤) مِّنْ صَحِيحِ سَلَم .
(٥) الْعَصْبَاء : لَقَبُ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
(٦) شِدًّا ، أَيْ عَدُوًّا عَلَى الرَّجُلَيْنِ .
(٧) صَحِيحُ سَلَم : « ذَرَفَ » .
(٨-٨) صَحِيحُ سَلَم : « فَرَبَطْتُ عَلَيْهِ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ أَسْبَقْتُ لِنَفْسِي ، ثُمَّ عُدْتُ فِي إِثَرِهِ ،
فَرَبَطْتُ عَلَيْهِ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ ؛ ثُمَّ إِنِّي رَفَعْتُ حَتَّى أَحْلَقَهُ » . وَالشَّرَفُ : مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ ، وَمَعْنَى
رَبَطْتُ ، حَيْثُ نَفْسِي عَنِ الْبُحْرِ الشَّدِيدِ .
(٩) صَحِيحُ سَلَم : « قَدْ سَبَقْتُ » .
(١٠) أَيْ أَظُنُّ ذَلِكَ ، وَفِي ط : « إِنْ أَظُنُّ » .
(١١) الْخَبَرُ فِي صَحِيحِ سَلَم ٣ : ١٤٣٣ - ١٤٤١ ؛ يَسْتَدْنِ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَع ؛ مَعَ
اِخْتِلَافٍ فِي الرِّوَايَةِ .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله - يعنى مع سلمة بن الأكوع - معه فرس له يقوده ، حتى إذا علا على ثنية الودّاع نظر إلى بعض خيولهم ، فأشرف في ناحية سلّم ، ثم صرخ : واصبّاحاه ! ثم خرج يشتدّ في آثار القوم - وكان مثل السبع - حتى لحق بالقوم ، فجعل يرُدّهم بالتبيل ، ويقول إذا رى : «خُذْهَا مِنِّي وَأَنَا ابْنُ الْأَكُوعِ ، وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ» .

فإذا وُجِّهَتْ الخيل نحوه ، انطلق هارباً ، ثم عارضهم ؛ فإذا أمكنه الرى رَمَى ، ثم قال :

خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكُوعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ^(١)

قال : فيقول قائلهم : أَوَيْكُنَا^(٢) هو أول النهار .

قال : وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم صباح ابن الأكوع ؛ فصرخ بالمدينة : الفرع الفرع ! فتأملت^(٣) الخيول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فكان أول من انتهى إليه من الفرسان المقداد بن عمرو .

ثم كان أول فارس وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد المقداد من الأنصار ، عباد بن بشر بن وقش بن زُعْبَةَ بن زَعُورَا ، أخو بني عبد الأشهل ، وسعد بن زيد ، أحد بني كعب بن عبد الأشهل ، وأسيد بن ظُهَيْر أخو بني حارثة بن الحارث - يشك فيه - وعُكَّاشَة بن مِحْصَن ، أخو بني أسد بن خزيمة ، ومُحَرِّز بن نَضْلَة ، أخو بني أسد بن خزيمة ، وأبو قتادة الحارث بن ربيعة ، أخو بني سلمة ، وأبو عيَّاش ؛ وهو عبِيد بن زيد بن صامت ، أخو بني زُرَيْق .

فلما اجتمعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عليهم سعد بن زيد .

ثم قال : اخرجُ في طلب القوم حتى ألحقك في النَّاسِ .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني عن رجال من بني زُرَيْق - لأبي عيَّاش : يا أبا عيَّاش ، لو أعطيت هذا الفرس رجلاً هو أفرس منك فلحق بالقوم ! قال أبو عيَّاش : فقلت : يا رسول الله ، أنا

(١) الرضع : جمع راضع ، وهو التيمم . (٢) كذا في ابن هشام ، وفي ط : « أكيما » .

(٣) ابن هشام : « قترمت » .

أفرس^١ الناس ، ثم ضربت الفرس ، فوالله ما جرتى خمسين ذراعاً حتى طرحنى ؛ فعجيت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لو أعطيه أفرس منك ! وأقول : أنا أفرس الناس . فزعم رجال من بنى زريق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى فرس أبى عبيّاش معاذ بن معاص - أو عائذ بن ما عاص - ابن قيس بن خثلثة - وكان^(١) ثامنا - وبعض الناس يعدّ سلمة بن عمرو بن الأكوع أحد الثمانية ، ويطرح أسيد بن ظهير أخا بنى حارثة ، ولم يكن سلمة يومئذ فارساً ، وكان أول من لحق بالقوم على رجله ؛ فخرج الفرسان في طلب القوم ، حتى تلاحقوا^(٢) .

١٥٠٩/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : وحدثنى محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أن أول فارس لحق بالقوم مُحَرز بن نَضْلَة ، أخو بنى أسد بن خزيمه - ويقال لمحرز : الأخرم ، ويقال له : قمير - وأن الفرع لما كان ، جال فرس لمحمود بن مسلمة في الحائط حين مع صاحبة الخيل ، وكان فرسا صنيماً^(٣) جاماً^(٤) ، فقال نساء من نساء بنى عبد الأشهل حين رأى الفرس يجول في الحائط بجذع من نخل هو مربوط به : يا قمير ، هل لك في أن تركب هذا الفرس - فإنه كما ترى - ثم تلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين ! قال : نعم ، فأعطنيه إياه ، فخرج عليه ، فلم ينشَب أن يند الخيل بجسمامه^(٥) حتى أدرك القوم ، فوقف لهم بين أيديهم ، ثم قال : فقوا معشر الكبيعة حتى يلحق بكم من وراءكم من أدباركم من المهاجرين والأنصار .

قال : وحمل عليه رجل منهم فقتله ، وجال الفرس فلم يقدروا عليه ؛

(١) كذا في ابن هشام ، وفي ط : « كان » ، بدون واو .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٣ ، ٢١٤ .

(٣) الفرس الصنيع : الذي يخنمه أهله ، ويقومون عليه .

(٤) يقال : جم الفرس ؛ إذا ترك ولم يركب .

(٥) الجام كسحاب : الراحة ، وإياه هنا للبيعة .

حتى وقف على آريته^(١) في بني عبد الأشهل ، فلم يقتل من المسلمين غيره ، وكان اسم فرس محمود ذا اللمة^(٢) .

حدثنا ابن حُميد ، قال : جدّتنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن لا يتهم ، عن عبيد الله بن كعب بن مالك الأنصاري ، أن محرزاً إنما كان على فرس لعكاشة بن محصن يقال له^(٣) الجناح ، ١٥١٠/١ فقتل محرز ، واستلب الجناح . ولما تلاحقت الخيول قتل أبو قتادة الحارث بن ربعي أخو بني سلمة ، حبيب بن عينة بن حصن ، وغشاه ببرده ، ثم لحق بالناس ، وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، فإذا حبيب مسجى^(٤) ببردة أبي قتادة ، فاسترجع^(٥) الناس ، وقالوا : قتل أبو قتادة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس بأبي قتادة ، ولكنه قتل لأبي قتادة ، وضع عليه برده ، لتعرفوا أنه صاحبه . وأدرك عكاشة ابن محصن أو باراً وابنه عمرو بن أو بار على بعير واحد ، فانتظهما بالرمح فقتلهما جميعاً ، واستنقذوا بعض اللقاح . وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالجبل من ذي قرد ، وتلاحق به الناس ، فترسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقام عليه يوماً وليلة . فقال له سلمة بن الأكوع : يا رسول الله ، لو سرحتني في مائة رجل لاستنقذت بقية السرح ، وأخذت بأعناق القوم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني : إنهم الآن ليغيبون^(٦) في غطفان .

وقسم^(٧) رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه في كل مائة جزوراً ،

(١) الآي : الجبل الذي تشد به الدابة ، وقد يسمى الموضع الذي تقف فيه الدابة آرياً أيضاً .

(٢) سيرة ابن هشام ٢: ٢١٣، ٢١٤ .

(٣) س : « لها » .

(٤) مسجى : مضطرب .

(٥) استرجع الناس : قالوا : إننا لله وإنا إليه راجعون .

(٦) يغيبون : يهربون إلى وقت العشي .

(٧) ابن هشام : « قسم » .

فَأَقَامُوا عَلَيْهَا ، ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَافِلًا حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ ^(١) .

فَأَقَامَ بِهِ بَعْضُ جُمَاةِ الْآخِرَةِ وَرَجَبَ . ثُمَّ غَزَا بِلُصُطَلِقٍ مِنْ خَزَاعَةِ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ سِتٍّ .

• • •

ذِكْرُ غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ

١٥١١/١

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْفَضْلِ وَعَلِيُّ بْنُ مَجَاهِدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ ، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ . وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ ، قَالَ : كُلُّ قَدْ حَدَّثَنِي بَعْضُ حَدِيثِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ ، قَالُوا : بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ بِلُصُطَلِقٍ ^(١) يَجْتَمِعُونَ لَهُ ، وَقَاتِلُهُمُ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي ضَرَّارٍ ؛ أَبُو جُوَيْرِيَةَ بِنْتُ الْحَارِثِ ، زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ إِلَيْهِمْ حَتَّى لَقِيَهُمْ عَلَى مَاءٍ ^(٢) مِنْ مِيَاهِهِمْ ، يُقَالُ لَهُ : الْمُرَيْسِيعُ ، مِنْ نَاحِيَةِ قُدَيْدٍ إِلَى السَّاحِلِ ، فَتَرَاخَفَ النَّاسُ وَاقْتَلَوْا قَتَالًا شَدِيدًا ، فَهَزَمَ اللَّهُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ ، وَقُتِلَ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ ، وَنَقَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ؛ فَأَفَاءَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ .

وَقَدْ أَصَابَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَنِي كَلْبٍ بِنَ عَوْفِ بْنِ عَامِرٍ بَنَ لَيْثِ ابْنِ بَكْرٍ ، يُقَالُ لَهُ هِشَامُ بْنُ صُبَّابَةَ ، أَصَابَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ رَهْطِ عُبَادَةَ ابْنِ الصَّامِتِ ، وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ مِنَ الْعَدُوِّ ، فَقَتَلَهُ خَطَأً .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٤

(٢) ابن هشام : « بني المصطلق » .

(٣) ابن هشام : « على ماء لهم » .

(٤) س : « وأصيب » .

فبينما الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس ، ومع عمر بن الخطاب
أجير له من بني غفار يقال له جهنجاه بن سعيد^(١) ، يقود له فرسه ، فازدحم
جهنجاه وسنان الجهني^(٢) حليف بني عوف بن الخزرج على الماء ،
فاقتلا ، فصرخ الجهني : يا معشر الأنصار ، وصرخ جهنجاه : يا معشر
المهاجرين^(٣) ، فغضب عبد الله بن أبي بن سلول ، وعنده رَهْط من قومه^(٤) ،
فيهم زيد بن أرقم غلام حديث السن ، فقال : أقدموا^(٥) فملوها ! قد نافرنا
وكاثرونا في بلادنا ، والله ما عدونا^(٦) وجلابيب^(٧) قريش ما قال القاتل :
« سَمَنْ كَلْبِكَ بِأَكَلِكَ » ؛ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخْرِجَنَّ
الأعزُّ منها الأذلَّ ! ثم أقبل على مَنْ حضره من قومه ، فقال : هذا ما فعلتم
بأنفسكم ! أحلَّسْتُم بِلادكم ، وقاسمتُمهم أموالكم ! أما والله لو أمسكتُم عنهم
ما بأيديكم لتحوَّلوا إلى غير بلادكم .

فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فغضب به إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ،
وذلك عند فراغ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم من عدوه . فأخبره الخبر

(١) ابن هشام : « جهجاه بن سمود » . وفي الإصابة ١ : ٢٥٤ : « جهجاه بن سعيد ،
وقيل : ابن قيس ، وقيل ابن سمود القفاري ؛ شهد بيعة الرضوان بالمدينة . . . وذكر غيره في
غزاة بني المصطلق .

(٢) في ابن هشام : « وسنان بن وبر الجهني » . وقال السبيل : « وقال غيره : هو سنان
ابن تميم - من جهينة - بن سود بن أسلم ، حليف الأنصار » .

(٣) قال السبيل : « ولم يذكر ما قال النبي صلى الله عليه وسلم حين سمعها ؛ وفي الصحيح
أنه عليه السلام قال : دعوها فإنها متنة . يعنى أنها كلمة خبيثة ؛ لأنها من دعوى الجاهلية . وجعل الله
المؤمنين إخوة وحزباً ؛ فلما يتنبى أن تكون الدعوة للمسلمين ؛ فن دعا في يدعى الجاهلية فيعوجه
للفقهاء فيه ثلاثة أقوال : أحدها أن يحلله من استجاب له خمسين سوياً ؛ اقتداء بأبي موسى
الأشعري في جلده التابعة للمدنى خمسين سوياً ؛ حين سمع : « يا لعامر الإسلام ! » فأقبل يشتد بصصة .
والثاني أن فيها الجلد دون الشر لئيه عليه السلام أن يحلله أحد قومه العشرة إلا في حد . والقول الثالث
اجتهاد الإمام في ذلك على حسب ما يراه من سد الذريعة وإغلاق باب الشر ، إما بالوحيد ،
وإما بالسجن ، وإما بالجلد » .

(٤) س : « قومه » .

(٥) ابن هشام : « ألقه » .

(٦) ابن هشام : « ما أعدنا » .

(٧) جلايب قريش ؛ كان المشركون يلتقبون من يسلم من قريش بذلك . وأصل الجلايب
الأزور الغلاظ ؛ وكانوا يلتحفون بها ؛ فلقبهم بذلك .

وعنده عمر بن الخطاب ، فقال : يا رسول الله مُرْ به عَبَّادُ بنِ يَشْرٍ بنِ وَقَشٍ فليقتله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فكيف يا عُمَرُ إذا تحدث الناس : أن محمداً يقتل أصحابه ! لا ، ولكن أذن بالرحيل - وذلك في ساعة لم يكن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها - فارتحل الناس ، وقد مثنى عبد الله بن أبي بن سكرٍ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه . فحلف بالله : ما قلت ما قال ، ولا تكلمت به - وكان عبدُ الله بن أبي في قومه شريفاً عظيماً - فقال ممن حضر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه من الأنصار : يا رسولَ الله ، عسى أن يكون الغلام أو هم ^(١) في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل ! حَتَبًا ^(٢) على عبد الله بن أبي ودفعاً عنه .

١٠١٣/١

فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وشار ، لقيه أسيد بن حضير ، فحياه تحية النبوة ، وسلم عليه ، ثم قال : يا رسولَ الله ، لقد رُحْتُ في ساعة منكرة ما كنت تروح فيها ! فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أو ما بلغك ^(٣) ما قال صاحبكم ! قال : وأى صاحب يا رسولَ الله ! قال : عبد الله بن أبي ، قال : وما قال ؟ قال : زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعرض منها الأذل ، قال أسيد : فأنت والله يا رسولَ الله تخرجه إن شئت ، هو والله الذليل وأنت العزيز ! ثم قال : يا رسولَ الله ، ارفقْ به فوالله لقد جاء الله بك ، وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه ؛ فإنه ليرى ^(٤) أنك قد استلبته ملكاً ^(٥) .

ثم متن ^(٦) رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومهم ذلك حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح ، وصدرَ يومهم ذلك حتى آذنهم الشمس .

(١) يقال : هم في كذا ، إذا سقط وأخطأ ، وشبهه « أيم » .

(٢) التفسير : « حذراً » .

(٣) التفسير : « أما » .

(٤) و : « يرى » .

(٥) س : « سلبته ملكه » .

(٦) و : « سار » . ابن هشام والتفسير : « مشى » . ومن ، أي سار بهم حتى أضعف

إيلهم ؛ يقال : متن بالإيل ؛ إذا أضعف حتى الضعف .

ثم نزل بالناس ؛ فلم يكن إلا أن وجدوا مسّ الأرض وقعوا نياما ؛ وإنما فَعَلَ ذلك [رسول الله صلى الله عليه وسلم] ^(١) ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبي .

ثم راح بالناس ، وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فَوَيْقُ النَّفِيع ^(٢) ، يقال له نفعاء ، فلما راح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هَبَّت على الناس ريحٌ شديدةٌ آذتهم ، وتخوفوها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تخافوا ^(٣) ، فإنما هَبَّتْ لموت عظيم من عظماء الكفار ، فلما قدموا المدينة وجدوا رِفاعَةَ بنَ زيد بنِ التَّأبوت ، أحد بني قَيْنُفَاع — وكان من عظماء يهود ، وكَهَنَةً للمنافقين — قد مات في ذلك اليوم .

ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين في عبد الله بن أبي بن سَلُول ومن كان [معه] ^(٤) على مثل أمره ، فقال : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ﴾ ، فلما نزلت هذه السورة أخذ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأذن زيد بن أرقم فقال : هذا الذي أوفى الله بأذنه .

• • •

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : حدثنا يحيى بن آدم ، قال : حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن زيد بن أرقم ، قال : خرجت مع عمي في غزاة ، فسمعت عبد الله بن أبي بن سلول يقول لأصحابه : ﴿ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ ، والله ، ﴿ لَنْ نَزْجَمَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾ ^(٥) ؛ فذكرت ذلك لعمي ، فذكره عمي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إلى

(١) من ابن هشام .

(٢) كذا في ط والتفسير ، بالنون ، وفي رواية ابن إسحاق بالباء ؛ وما قولان ذكرهما ياقوت

في معجم البلدان ٨ : ٣٠٩ ، ٣١٢ ، ٣١٣ .

(٣) س : « لَا تَخَافُوا » .

(٤) من التفسير .

(٥) سورة المنافقين ٧ : ٨٠ .

فحدثته ، فأرسل إلى عبد الله وأصحابه ، فحلفوا ما قالوا ، قال : فكذبني رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقه ، فأصابني همٌّ لم يصيبني مثله قط ، فجلست^(١) في البيت ، فقال لي عمي : ما أردت إلى^(٢) أن كذبتك رسول الله ومقتلتك ! قال : حتى أنزل الله عز وجل : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ﴾ ، قال : فبعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها ، ثم قال : إن الله صدقك^(٣) يا زيد^(٤) .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي الذي كان من أمر أبيه . فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد ابن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ؛ أن عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سكول أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إنّه قد بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي - فيما بلغك عنه - فإن كنت فاعلاً فرني به ، فأنا أحمل إليك رأسه ؛ فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بهارجل أبرّ بوالده مني ؛ وإنني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله ، فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله ، فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل نرفق به ، ونحسين صحبتهم ما بقي معنا . وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحديث ، كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ، ويعتفونه ويتوعدونه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك عنهم من شأنهم : كيف ترى يا عمر ! أما والله لو قتله يوم أمرتني بقتله ، لأرعدت له آنف لو أمرتها اليوم

(١) التفسير : « فدخلت » .

(٢) س : « إلا » .

(٣) س : « صدقت يا زيد » .

(٤) الخبر في التفسير ٢٨ : ٧٠ ، ٧١ (يولاق) .

بقتله لقتلته. قال : فقال عمر : قد والله علمتُ ، لأمرُ رسولِ الله أعظمُ بركة من أمرى . (١)

قال : وقدم مِقَيْسُ بن صُبَابَةَ من مكة مسلماً فيما يُظهر ، فقال : يا رسولَ الله ، جئتُك مسلماً وبحث أطلب دية أخى قتل خطأ . فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بدية أخيه هشام بن صُبَابَةَ ، فأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غير كثير ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ، ثم خرج إلى مكة مرنداً ، فقال فى شعر :

شَقَى النَّفْسَ أَنْ قَدَّ بَاتَ بِالْقَاعِ مُنْذَرًا تُصْرَجُ ثَوْبِيَّةٌ دِمْلَهُ الْأَخَادِعُ (٢)
وَكَانَتْ هُمُومُ النَّفْسِ مِنْ قَبْلِ قَتْلِهِ نُيْلٌ ، فَتَحْمِي وَطَاءُ الْمَصَاحِعِ (٣)
حَلَّتْ بِهِ وَتَرَى ، وَأَذْرَكَتُ نُورَتِي وَكُنْتُ إِلَى الْأَوْثَانِ أَوَّلَ رَاجِعِ (٤)
تَأَزَّتْ بِهِ فِهْرًا وَحَصَلَتْ عَقْلُهُ سَرَاةُ بَنَى النَّجَارِ أَرْبَابَ فَارِجِ (٥)

وقال مقيسُ بن صُبَابَةَ أيضًا :

جَلَّتْهُ ضَرْبَةٌ بَاءَتْ ، لَهَا وَشَلٌّ مِنْ نَاقِعِ الْجَوْفِ يَمْلُوهُ وَيَنْصَرِمُ (٦)
فَقُلْتُ وَالْمَوْتُ تَنْشَاهُ أَسِرَّتُهُ لَا تَأْمَنَنَّ بَنَى بَكْرٍ إِذَا ظَلِمُوا (٧)

وأصيب من بنى المصطلق يومئذ ناسٌ كثيرٌ ، وقتل على بن أبى طالب منهم رجلين : مالكاً وابنه ، وأصاب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منهم

(١) التفسير ٢٨ : ٧٥ ، ٧٦ (يولاق) ، وابن هشام ٢ : ٢١٧ ، ٢١٨ .

(٢) القاع : المنخفض من الأرض . وتصرج : تلتطخ . والأخادع : عروق النقا ؛ وإنما هما أصدعان ؛ فجمعهما مع يلبها .

(٣) تلم : تمل بى . وتحمى : تمنى . ووطاء المصاحج : ليناتها .

(٤) الوتر : طلب الثأر . والثورة : الثأر .

(٥) ط : « تأزت به قهراً !! » وما أثبتته ابن هشام . العقل : الدية . وسراة بنى النجار :

خيارهم . وفارح : حصن لهم .

(٦) جلته ضربة : علوته بها . وبات : أخذت بالثأر . يقال : يؤت يفلان ؛ إذ أخذت

بثأره . والشل : القطر ، ويريد بنافع الجوف الدم . ينصرم : ينقطع .

(٢٨)

(٧) الأسرة : التكرس الذى يكون فى جلد الوجه والجبهة .

سبيًا كثيرًا ، ففشا قَسَمُهُ في المسلمين ؛ ومنهم جُوَيْرِيَّة بنت الحارث بن أبي ضرار زَوْج النبی صلی الله عليه وسلم^(١) .

حدثنا ابنُ حمید ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عُرْوَة ، عن عائشة زوج النبي صلی الله عليه وسلم ، قالت : لما قَسَمَ رسولُ الله صلی الله عليه وسلم سبایا بنی المصطلق ، وقعت جُوَيْرِيَّة بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس ابن الشماس - أو لابن عم^٢ له - فكاتبته على نفسها - وكانت امرأة حُلْوَةً مَلَاةً^(٣) ، لا يراها أحدٌ إلا أخذت بنفسه - فأتت رسول الله صلی الله عليه وسلم تستعينه على كتابتها ، قالت : فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حُجْرَتِي كَرِهْتَهَا ، وعرفت أنه سِرَى منها مثل ما رأيت ، فدخلت عليه ، فقالت : يا رسول الله ، أنا جويرة بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قوم ، وقد أصابني من البلاء ما لم يتخف عليك ؛ فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس - أو لابن عم^٢ له - فكاتبته على نفسي ، فجتك أستعينك على كتابتي ، فقال لها : فهل لك في خير من ذلك ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : أقضى كتابتك وأتزوجك ، قالت : نعم يا رسول الله ، قال : قد فعلت ، قالت : وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله صلی الله عليه وسلم قد تزوج جويرة بنت الحارث ، فقال الناس : أضرار رسول الله صلی الله عليه وسلم ، فأرسلوا ما بأيديهم .

قالت : فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق ، فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها^(٣) .

• • •

حديث الإفك

حدثنا ابنُ حمید ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ،

(١) سيرة ابن هشام ٤ : ٢١٨ .

(٢) الملاحة : الشديدة الملاحة .

(٣) سيرة ابن هشام ٤ : ٢١٨ ، ٢١٩ .

قال : وأقبل رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم من سفره ذلك - كما حدّثني أبي إسحاق ، عن الزهريّ ، عن عروة ، عن عائشة - حتى إذا كان قريباً من المدينة - وكانت [معه] ^(١) عائشة في سفره ذلك - قال أهل الإفك فيها ما قالوا ^(٢).

١٥١٨/١

حدّثنا ابنُ حميد قال : حدّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهريّ ، عن علقمة بن وقاص الليثيّ وعن سعيد بن المسيّب ^(٣) ، وعن عروة بن الزبير وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة [بن مسعود] ^(٤) قال الزهريّ : كلُّ قد حدّثني بعض هذا الحديث ، وبعض القوم كان أوعى له من بعض . قال : وقد جمعت لك كلّ الذي حدّثني القوم .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق ، قال : حدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عائشة ، قال : وحدّثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاريّ ، عن عمرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة ، قال : وكلّ قد اجتمع حديثه في خبر قصّة عائشة عن نفسها حين قال أهل الإفك فيها ما قالوا ، فكلّ قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعاً ، ويحدّث بعضهم ما لم يحدّث بعض ، وكلّ كان عنها ثقة ، وكلّ قد حدّث عنها ^(٥) ١٥١٩/١ بما سمع .

قالت عائشة : كان رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم إذا أراد سفرًا أفرغ بين نسائه ، فأبتهنّ خرج سهمها خرج بها معه ؛ فلمّا كانت غزوة بني المصطلق ، أفرغ بين نسائه كما كان يصنع ؛ فخرج سهمي عليهنّ ، فخرج في رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم . قالت : وكان النساء إذ ذاك إنّما يأكلن العلق ^(٥) لم يهتجنّ ^(٦) اللحم فيثقلن . قالت : وكنت إذا رُحِلَ بعيري جلستُ في هودجِي ، ثمّ يأتي القوم الذين يرحلون هودجِي في بعيري ،

(١) من سيرة ابن هشام . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٠ .

(٣) ابن هشام : « سعيد بن جبير » . (٤) من التفسير .

(٥) العلق : بضم ففتح ؛ وهي ما فيه بلغة من الطعام إلى وقت الفداء .

(٦) التهجج ، كالورم في الجسم ، قد يكون من سنن وقد يكون من آفة .

ويحملوني فيأخذون بأسفل المودج ، فيرفعونه فيضعونه على ظهره^(١) . بعير ، فيشدونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير ، فينطلقون به . قالت : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك ، وجهه قافلاً ، حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً ، فبات فيه بعض الليل ، ثم أذن في الناس بالرحيل ، فلما ارتحل الناس خرجت لبعض حاجتي وفي عنق عقدة لي فيه جَزَعٌ^(٢) ظَفَار ، فلماً فرغت أنسل من عنق ولا أدري ؛ فلماً رجعت إلى الرَّحْل ذهب ألتمسه في عنق فلم أجده ، وقد أخذ الناس في الرحيل . قالت : فرَجَعْتُ عَوْدِي على بدئي إلى المكان الذي ذهبت إليه ؛ فالتمسته حتى وجدته ، وجاء خلافي القوم الذين كانوا يرجلون لي البعير ، وقد فرغوا من رحلته ، فأخذوا المودج ، وهم يظنون أنني فيه كما كنت أصنع ، فاحتلموه ، فشدوه على البعير ، ولم يشكوا أنني فيه . ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به ، ورجعت إلى العسكر وما فيه داع ولا محجب ، قد انطلق الناس . قالت : فتلفت بجلبابي ثم اضطجعت في مكاني الذي ذهبت إليه ؛ وعرفت أن لو قد افتقدوني قد رجعوا إلي . قالت : فوالله إنني لمضطجعة ، إذ مر بي صفوان بن المُعْطَل السُّلَمي^(٣) ، وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته ، فلم يبت مع الناس في العسكر ؛ فلماً رأى سوادى أقبل حتى وقف على فعرقي - وقد كان يراني قبل أن يضرب علينا الحجاب - فلماً رأي قال : إننا لله وإننا إليه راجعون ! أظعينة رسول الله ! وأنا متلفعة في ثيابي . قال : ما خلتك رحمك الله ؟ قالت : فما كلمته ، ثم قرّب البعير فقال : اركبني رحمك الله ! واستأخر عني . قالت : فركبت وجاء فأخذ برأس البعير ، فانطلق بي سريعاً يطلب الناس ؛ فوالله ما أدركنا الناس ، وما افتقدت حتى أصبحت ، ونزل الناس ، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقودني ، فقال أهل الإفك في ما قالوا . فارتج^(٤)

(١) الجزع : الخرز . وظفار : مدينة باليمن قرب صنعاء ؛ ينسب إليها الجزع الظفاري .
(٢) قال السهيلي : « يكنى أبا عمرو ؛ وكان يكون على ساقة العسكر » ، يلتقط مما يسقط من متاع المسلمين حتى يأتيهم به ؛ ولذلك تخلف في هذا الحديث الذي قال فيه أهل الإفك ما قالوا . وقد روى في تخلفه سبب آخر ؛ وهو أنه كان ثقيل النوم لا يستيقظ حتى يرحل الناس .
(٣) ابن هشام : « ارتج العسكر » ، أي تحرك واضطرب .

العسكر، ووالله ما أعلم بشيء من ذلك . ثم قدمنا المدينة ، فلم أمكث^(١) أن اشتكت شكوى شديدة ، ولا يبلغني شيء من ذلك ؛ وقد انتهى الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبوتى ، ولا يذكران لى من ذلك قليلاً ولا كثيراً^(٢) ، إلا أننى قد أنكرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض لطفه بى ؛ كنت إذا اشتكت رحميتى ولطف بى ؛ فلم يفعل ذلك فى ١٦٢١/١ شكواى^(٣) تلك ، فأنكرت منه ، وكان إذا دخل على أُمى تمرّضت ، قال : كيف تيكُم ؟ لا يزيد على ذلك . قالت : حتى وجدت فى نفسى ممّا رأيت من جفائه عني ، فقلت له : يا رسول الله ، لو أذنت لى فانتقلت إلى أُمى فمرّضتني ! قال : لا عليك ! قالت : فانتقلت إلى أُمى ، ولا أعلم بشيء ممّا كان ، حتى قهيّت من وجعى بعد بضع وعشرين ليلة . قالت : وكنا قوماً عرباً لا نتخذ فى بيوتنا هذه الكنف التى تتخذها الأعاجم ، نعافها ونكرها ؛ إنّما كنا نخرج فى فُسح المدينة ؛ وإنّما كان النساء يخرجن كل ليلة فى حوائجهن ؛ فخرجت ليلة لبعض حاجتى ، ومعى أمّ مسطح بنت أبى رهم بن المطّلب بن عبد مناف ، وكانت أمّها بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم ، خالة أبى بكر . قالت : فوالله إنّها لتمشي معى ، إذ عثرت فى مِرطِها^(٤) ، فقالت : تعيس مسطح^(٥) ! قالت : قلت : بشئ لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدرًا ! قالت : أو ما بلغك الخبر يا بنت أبى بكر ! قالت : قلت : وما الخبر ؟ فأخبرتني بالذى كان من قول أهل الإفك . قالت : قلت وقد كان هذا ! قالت : نعم والله لقد كان . قالت : فوالله ما قدرت على أن أقضي حاجتى ، ورجعت فإزلت أبكى حتى ظننت أن البكاء سيصدع^(٦) كبدى . قالت : وقلت لأُمى :

(١) ابن هشام : « ألبث » .

(٢) و : « لا يذكر لى منه قليل ولا كثير » .

(٣) و : « شكائى » .

(٤) المرط : الكساء .

(٥) قال ابن هشام : « وسطح لقب ، واسمه عوف » .

(٦) سيصدع : يشق .

يغفر الله لك ! تحدث الناس بما تحدثوا به بولغك ما بولغك ؛ ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً ! قالت : أى بُنْيَّة خَفَضِي الشَّانُ ^(١) ؛ فوالله قلماً كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرن وكثر الناس عليها .

قالت : وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس يخطبهم ^(٢) ولا أعلم بذلك . ثم قال : أيها الناس ، ما بال رجال يؤذونني في أهلي ، ويقولون عليهن "غير الحق" ! والله ما علمتُ منهن ^(٣) إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً ! وما دخل ^(٤) بيتاً من بيوتى إلا وهو معي . قالت : وكان كبير ^(٥) ذلك عند عبد الله بن أبي بن سئول في رجال من الخزرج ؛ مع الذي قال مسطح وحمئة بنت جحش — وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، [ولم تكن من نسائه امرأة تناصبني في المتزلة عنده غيرها ، فأما زينب فعصمها الله ، وأما حمئة بنت جحش] ^(٦) ، فأشاعت من ذلك ما أشاعت ، تضارني ^(٧) لأختها زينب بنت جحش — فشقيت بذلك . فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة ، قال أسيد بن حضير أخو بني عبد الأشهل : يا رسول الله ، إن يكونوا من الأوس نكفكهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فرئنا بأمرك ؛ فوالله إنهم لأهل أن تضرب ^(٨) أعناقهم . قالت : فقام سعد بن عباد — وكان قبل ذلك يرى رجلاً صالحاً — فقال : كذبت لعمر الله لا تضرب أعناقهم ! أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا ! قال أسيد : كذبت لعمر الله ! ولكنك منافق تجادل عن

(١) خفضي الشان : هويته عليك .

(٢) و : « فخطبهم » .

(٣) س : « عليهن » .

(٤) و : « ولا دخل » .

(٥) الكبير ، بالقلم والكسر : الإثم ومعظم الشيء .

(٦) من سيرة ابن هشام .

(٧) ابن هشام : « تضادني » .

(٨) و : « تضرب » .

المنافقين ! قالت : وتناوره^(١) النَّاسُ حَتَّى كَادَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ هَذَيْنِ الْحَيَيْنِ مِنَ الْأَوَّسِ وَالْخَزْرَجِ شَرٌّ ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَخَلَّ عَلَى ،
قالت : فدعا عليَّ بنَ أبي طالبٍ وأسماءَ بنَ زيدٍ ، فاستشارهما ، فأما أسماءُ
فأثني خيراً وقاله^(٢) ، ثم قال : يا رسولَ الله ، أهلك ، ولا نعلمَ عليهنَّ إلا خيراً ،
وهذا الكذبُ والباطلُ . وأما عليٌّ فإنه قال : يا رسولَ الله ؛ إنَّ النساءَ لكثيرٌ ،
وإنَّك لقادرٌ على أن تستخلفَ ؛ وسيلَ الجاريةِ فإنَّها تصدُّك . فدعا رسولُ الله
صلَّى الله عليه وسلم بـريرةَ يسألها . قالت : فقام إليها عليٌّ فضربها ضرباً
شديداً^(٣) ؛ وهو يقول : اصدُقِي رسولَ الله ؛ قالت : فقول : والله ما أعلمُ إلا
خيراً ، وما كنتُ أعيبُ^(٤) على عائشة ؛ إلا أنَّي كنتُ أعجبن عجبي^(٥)
فأمرها أن تحفظه^(٦) فتنام عنه ، فيأتى الدَّاجنُ فيأكله^(٧) .

ثم دخلَ عليٌّ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم وعندي أبوتَي ، وعندى
امراًة من الأنصار ؛ وأنا أبكي وهي تبكي معي ؛ فجلس فحيد الله وأثنى
عليه ، ثم قال : يا عائشة ؛ إنَّه قد كان ما بلغك من قول الناس ، فأتني الله ؛
وإن كنتِ قارفتِ سوءاً^(٨) ممَّا يقول النَّاسُ فتوبِي إلى الله ؛ فإنَّ الله
يقبلُ التَّوبَةَ عن عباده ؛ قالت : فوالله ما هو إلاَّ أن قال ذلك ، وتقلص^(٩)
دمعي ؛ حتى ما أحسُّ منه شيئاً ، وانتظرتُ أبوتَي أن يجيئَا رسولَ الله
صلَّى الله عليه وسلم فلم يتكلَّما . قالت : وإيَّسُ الله لأنا كنتُ أحقرُّ في
نفسِي وأصغرُّ شأنًا من أن يتركَ الله عزَّ وجلَّ في قرآنًا يقرأ به في المساجد ،

١٥٢٤/١

(١) س : « وتنافر » . وفي ابن هشام : « وتناور الناس » ، أي قام بعضهم إلى بعض .

(٢) س : « وقال خيراً » .

(٣) قال السبيل : « وأما ضرب على الجارية وهي حرة ، ولم تستوجب ضرباً ، ولا استأذن رسول الله في ضربها ؛ فأرى معناه أنه أغلظ لها بالقول ، وتوعدا بالضرب ، واتهما أن تكون خائنة الله ورسوله ، فكنت من الحديث ما لا يسعها كنهه » .

(٤) س : « أعتب » .

(٥) و : « عجنى » .

(٦) س : « بحفظه » .

(٧) ابن هشام : « فتأتى الشاة فتأكله » .

(٨) قارفتِ سوءاً : دخلت فيه .

(٩) ابن هشام : « تقلص » ، وقيل وتقلص : ارتفع .

ووصلني به ، ولكنني قد كنت أرجو أن يرى رسول الله في نومه شيئاً يكذب الله به عني ، لا أعلم من براءتي ، أو يخبر خبراً ؛ فأما قرآن ينزل في ، فوالله لنفسي كانت أحقر عندى من ذلك . قالت : فلما لم أر أبوي يتكلمان . قالت : قلت ألا تعجبان رسول الله ! قالت : فقالا لى : والله ما ندرى بماذا نجيبه ! قالت : وإيم الله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر^(١) في تلك الأيام ! قالت : فلما استعجبنا على استعبرت فبكيت ثم قلت : والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً ؛ والله لئن أقررت بما يقول الناس - والله يعلم أئى منه بريئة - لتصدقني ؛ لأقولن ما لم يكن ؛ ولئن أنا أنكرت ما تقولون لاتصدقوني . قالت : ثم التمس اسم يعقوب فأكذره ؛ ولكنني أقول كما قال أبو يوسف : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ .

قالت : فوالله ما برح رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه ، فسُجِّيَ بثوبه ، ووضعت وسادة من آدم تحت رأسه ؛ فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت ؛ فوالله ما فزعت كثيراً ولا باليت ؛ قد عرفت أنني بريئة ، وأن الله غير ظالمى ، وأما أبواي ؛ فوالذي نفس عائشة بيده ، ما سررت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرقا أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس . قالت : ثم سررت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس وإنه ليتحدّر منه مثل الجمان في يوم شات ، فجعل يمسح العرق عن جبينه ، ويقول : أبشري يا عائشة ؛ فقد أنزل الله براءتك ، قالت : فقلت : بحمد الله وذمكم . ثم خرج إلى الناس فخطبهم ، وتلا عليهم ما أنزل الله عز وجل من القرآن في . ثم أمر بمسطح بن أثانة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش - وكانوا ممن أفصح بالفاحشة - فضربوا^(٢) حدّهم^(٣) .

(١) س : « أهل بيت » .

(٢) س : « فجلدوا »

(٣) - سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٠ - ٢٢٢ ، التفسير ١٨ : ٧١ - ٧٤ (بولاق) ، مع اختلاف في آخر الخبر .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق . عن أبيه ، عن بعض رجال بني النجار ، أن أبا أيوب خالد بن زيد ، قالت له امرأته أم أيوب : يا أبا أيوب ، أما تسمع ما يقول الناس في عائشة ؟ قال : بلى ، وذلك الكذب ؛ أكنت يا أم أيوب فاعلة ذلك ! قالت : لا والله ما كنت لأفعله ^(١) ، قال : فعائشة والله خير منك . قال : فلما نزل القرآن ذكر الله من قال من الفاحشة ما قال من أهل الإفك : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ .. ﴾ ^(٢) . الآية ؛ وذلك حسان بن ثابت في أصحابه الذين قالوا ما قالوا ^(٣) .

ثم قال الله عز وجل : ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا . ﴾ ^(٤) الآية ، أى كما قال أبو أيوب وصاحبه . ثم قال : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْهُ بِالنِّسْبَةِ .. ﴾ ^(٥) الآية . فلما نزل هذا في عائشة وفيمن قال لها ما قال قال أبو بكر - وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وحاجته : والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً ، ولا أنفعه بنفع أبداً بعد الذى قال ١٥٢٦/١ لعائشة ، وأدخل علينا ما أدخل ! قالت : فأنزل الله عز وجل في ذلك : ﴿ وَلَا يَأْتِلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى .. ﴾ ^(٦) الآية .

(١) س : « فاعلة ولا أفعله » .

(٢) سورة النور ١١ ، ١٢ .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٢ .

(٤) سورة النور ١٥ .

(٥) سورة النور ٢٢ . قال ابن هشام : ولا يأتل أولو الفضل منكم ؛ منه قول امرئ القيس

ابن حجر الكندي :

أَلَا رَبَّ خَصْمٍ فِيكَ أَلْوَى رَدَدْتَهُ نَصِيحٍ عَلَى تَمَذَّالِهِ غَيْرِ مُؤْتَلٍ

وفي كتاب الله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ يُؤُولُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ﴾ وهو من الآية ، والآية :

اليمين ، قال حسان بن ثابت :

آلَيْتُ مَا فِي جَمِيعِ النَّاسِ مُجْتَهِدًا مِنْ أَلِيَّةٍ بَرٍّ غَيْرِ إِفْنَادٍ

فنى « أن يؤولوا » في هذا المذهب : « ألا يؤتوا » .

قالت: فقال أبو بكر: والله لأحب أن يغفر الله لي. فرجع إلى مسطح نفقته التي كان يتفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً.

ثم إن صفوان بن المعطل اعترض حسان بن ثابت بالسيف حين بلغه ما يقول فيه، وقد كان حسان قال شعراً مع ذلك يعرض بآبن المعطل فيه. وبمن أسلم من العرب من مضّر، فقال:

أَمْسَى الْجَلَابِيبُ قَدِ عَزُّوا وَقَدْ كَثُرُوا وَابْنُ الْفُرَيْعَةِ أَمْسَى بَيْضَةَ الْبَلَدِ^(١)
قَدْ تَكَلَّتْ أُمُّهُ مِنْ كُنْتِ صَاحِبَهُ أَوْ كَانَ مُنْتَشِبًا فِي بُرْنِ الْأَسَدِ^(٢)
مَا لَتَتَلَى الذِّى أَغْدُو فَأَخْذُهُ مِنْ دِيَةِ فِيهِ يُعْطَاهَا وَلَا قَوْدِ^(٣)
مَا لَتَبَحُرُ حِينَ تَهْبُ الرِّيحُ شَامِيَةً فَيَفْطُلُ وَيَرْمِي الْعَبْرَ بِالزَّبْدِ^(٤)
يَوْمًا بِأَغْلَبَ مَنِّي حِينَ تُبْعِرْنِي مَلْفِيطُ أَفْرَى كَفَرَى الْمَارِضِ الْبَرْدِ^(٥)

١٠٢٧/١

فاعترضه صفوان بن المعطل بالسيف فضربه ثم قال - كما حدثنا ابن

حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق:

تَلَقَّى ذُبَابَ السَّيْفِ عَنِّي فَإِنِّي غَلَامٌ إِذَا هُوَ جِئْتُ أَتَيْتُ بِشَاعِرٍ^(٦)
حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن
محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، أن ثابت بن قيس بن الشماس أخطأ

(١) ديوانه ١٠٤. قال السجستاني: «يعني بالجلابيب القرباء». وبيضة البلد، يعنى منفرداً؟
وعنى كلمة يتكلم بها في الملح تارة، وفي معنى القل أخرى، يقال: فلان بيضة البلد؛ أى أنه واحد
في قومه عظيم فيهم. وفلان بيضة البلد؛ يريد أنه ذليل ليس معه أحد.

(٢) تكلمته أمه: فقدته. والبرن: الكف مع الأصابع.

(٣) القود: قتل النفس.

(٤) يفتل: يبحل ويتحرك. والعب: جانب البحر.

(٥) ملفيط، أى من الفيط. أفري: أقطع. والمريض: السحاب. والبرد، بكسر الراء:
الذى فيه برد. ويعد في سيرة ابن هشام:

أَمَّا قَرِيشُ فَإِنِّي لَنْ أَسْأَلَهُمْ حَتَّى يَشِيرُوا مِنَ الْغِيَاثِ لِلرَّشَدِ
وَيَتَرَكُوا اللَّاتَ وَالْعُزَّى بِمَنْزِلَةٍ وَيَسْجُدُوا كُلُّهُمْ لِلْوَاحِدِ الصَّمَدِ
وَيَشْهَدُوا أَنَّ مَا قَالَهُ الرَّسُولُ لَهُمْ حَقٌّ، وَيُؤْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ وَالْوَكْدِ

بلحارث بن الخزرج ، وكتب على صفوان بن المعطل في ضربه حسان ، فجمع يديه إلى عنقه ، فانطلق به إلى دار بني الحارث بن الخزرج ، فلقبه عبد الله بن رواحة ، فقال : ما هذا ؟ قال : ألا أعجبك^(١) ضرب حسان بن ثابت بالسيف ! والله ما أراه إلا قد قتله . قال : فقال له عبد الله ابن رواحة : هل عليم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء مما صنعت ؟ قال : لا والله ، قال : لقد اجترأت ! أطلق الرجل ، فأطلقه . ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكروا له ذلك ؛ فدعا حسان وصفوان بن المعطل ، فقال ابن المعطل : يا رسول الله ، آذاني وهجاني ، فاحتلمي الغضب فضربته . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان : يا حسان أتشوه^(٢) على قومي أن هدام الله للإسلام ! ثم قال : أحسين يا حسان في الذي قد أصابك ، قال : هي لك يا رسول الله^(٣) .

١٥٢٨/١

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد ابن إبراهيم بن الحارث ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه عوصاً منها بيئرحاً - وهي قصر بني حذيلة اليوم بالمدينة ؛ كانت مالا لأبني طلحة بن سهل ، تصدق بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاه حسان في ضربته - وأعطاه سيرين ؛ أمة قبطية ، فولدت له عبد الرحمن بن حسان . قال : وكانت عائشة تقول : لقد سئل عن صفوان بن المعطل فوجدوه رجلاً حصوراً ما يأتي النساء . ثم قتل بعد ذلك شهيداً^(٤) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الواحد ابن حمزة ، أن حديث عائشة كان في عمرة القضاء .

* * *

قال أبو جعفر : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة شهر رمضان وشوالاً ، وخرج في ذي القعدة من سنة ست معتمراً .

(١) : سره ألا أعجل .

(٢) : أتشوه على قومي ، أي أتيت ذلك من ضلهم حين سميتهم الجلابيب من أجل هجرتهم إلى الله ورسوله !

(٣) : سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

ذكر الخبر عن عمرة النبي صلى الله عليه وسلم التي صدّه المشركون فيها عن البيت ، وهي قصة الحديبية

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا الحكم بن بشير ، قال : حدثنا عمر ابن ذرّ الهمداني ، عن مجاهد ، أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتمر ثلاث عُمَرٍ ، كلها في ذى القعدة ؛ يرجع في كلها إلى المدينة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق^(١) ، قال : خرج النبي صلى الله عليه وسلم معتمراً في ذى القعدة لا يريد حرباً ، وقد استنفر^(٢) العرب ومنّ حوله من أهل البوادي من الأعراب أن يخرجوا معه ، وهو يخشى من قريش الذي صنعوا به أن يعرضوا له بحرب ، أو يصدّوه عن البيت ، فأبطأ عليه كثير من الأعراب ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنّ معه من المهاجرين والأنصار ، ومنّ لحق به من العرب ، وساق معه الهدى ، وأحرم بالعمرة ، ليأمن الناس من حربه ، وليعلم الناس أنه إنما جاء زائراً لهذا البيت ، معظماً له .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد إسحاق ، عن محمد بن مسلم الزهري ، عن عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ؛ أنهما حدثاه قالاً : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية ، يريد زيارة البيت ، لا يريد قتالاً ، وساق معه سبعين بدنة ، وكان الناس سبعائة رجل ؛ كانت كل بدنة عن عشرة نفر .

وأما حديث ابن عبد الأعلى ؛ فحدثنا عن محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة .

(١) أخبار قصة الحديبية عن ابن إسحاق في سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٦ - ٢٢٣ .

(٢) س : « استنفر » .

وحدثني يعقوب ، قال : حدثني يحيى بن سعيد ، قال : حدثنا عبد الله بن مبارك ، قال : حدثني معمر ، عن الزهري ، عن عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ، قالوا : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية ، في بضعة عشر ومائة من أصحابه . . . ثم ذكر الحديث .

حدثنا الحسن بن يحيى ، حدثنا أبو عامر ، قال : حدثنا عكرمة بن عمار اليمامي ، عن إياس بن سلمة ، عن أبيه ، قال : قلنا مع رسول الله ١٥٢٠/١ صلى الله عليه وسلم الحديبية ، ونحن أربعة عشر^(١) ومائة .

حدثنا يوسف بن موسى القطان ، قال : حدثنا هشام بن عبد الملك وسعيد بن شريحيل المصري ، قالوا : حدثنا الليث بن سعد المصري ، قال : حدثنا أبو الزبير ، عن جابر ، قال : كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : كان أهل البيعة تحت الشجرة ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرين .

حدثنا ابن المنثي ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، قال : سمعت عبد الله بن أبي أوفى ، يقول : كنا يوم الشجرة ألفا وثلثمائة ، وكانت أسلم^(٢) ثمن المهاجرين .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال : كنا أصحاب الحديبية أربعة عشر ومائة .

• • •

قال الزهري : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان بمُصَفَّانَ لقيَه بشر بن سفيان الكعبي ، فقال له : يا رسول الله ، هذه ١٥٣١/١

(١) و : « بضع عشرة » .

(٢) س : « من المهاجرين » .

قريش قد سمعوا بمسيرك ، فخرجوا معهم العوذ المطافيل^(١) ، قد لبسوا جلود النمر ، وقد نزلوا بنى طوى ، يحلفون بالله^(٢) لا تدخلها عليهم أبداً ، وهذا خالد بن الوليد في خيئلهم ، قد قدموها إلى كراع الغميم .

• • •

قال أبو جعفر : وقد كان بعضهم يقول : إن خالد بن الوليد كان يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلماً .
• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب القُصَمي ، عن جعفر - يعني ابن أبي المغيرة - عن ابن أبيزى ، قال : لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم بالهَندى ، وانتهى إلى ذى الحليفة ، قال له عمر : يا رسول الله ، تدخل على قوم هم لك حربٌ بغير سلاح ولا كراع ! قال : فبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فلم يدع^(٣) فيها كراعاً ولا سلاحاً إلا حِمْلَهُ ، فلما دنا من مكة منعوه أن يدخل ، فصار حتى أتى منى ، فنزل بمنى ، فأثابه عنه أن عكرمة بن أبي جهل قد خرج عليك في خمسمائة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد بن الوليد : يا خالد ، هذا ابن عمك ، قد أتاك في الخيل ، فقال خالد : أنا سيفُ الله وسيفُ رسوله - فيومئذ سُمي سيفَ الله - : يا رسول الله ارمِ بى حيث شئت . فبعثه على خيل ، فلقى عكرمة في الشعب ، فهزمه حتى أدخله حيطانَ مكة ، ثم عاد في الثانية ، فهزمه حتى أدخله حيطانَ مكة ، ثم عاد في الثالثة فهزمه حتى أدخله حيطانَ مكة ، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَرْفِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ - إلى قوله : ﴿ عَذَاباً أَلِيماً ﴾^(٤) قال : وكفَّ الله النبي صلى الله عليه

(١) العوذ : جمع عاذ ؛ ومنه من الإبل : الحديثة النجاج . والمطافيل : التي معها أولادها ؛ يريد أنهم خرجوا معهم النساء والصبيان .

(٢) ابن هشام والتفسير : « يماهدون الله » .

(٣) س : « منها » .

(٤) سورة الفتح ٢٤

وسلم عنهم بعد أن أظفروهم عليهم لبقايا من المسلمين كانوا بقوا فيها من بعد أن أظفروهم عليهم كراهية أن تطأهم الخيل بغير علم^(١).

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ويح قريش ! قد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين سائر العرب ؛ فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وأفرين ؛ وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة . فما تظن قريش ! فوالله لا أزال أجاهدكم على الدّين بعني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة^(٢) .

ثم قال : من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها ؟ فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، أن رجلاً من أسلم قال : أنا يا رسول الله ، قال : فسلك بهم على طريق وعبر حزن^(٣) بين شعاب ، فلما أن خرجوا منه - وقد شق ذلك على المسلمين ، وأفضوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس : قولوا : نستغفر الله ونتوب إليه . ففعلوا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله إنها للحيطة^(٤) التي عرضت على بني إسرائيل فلم يقولوها^(٥) .

قال ابن شهاب : ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فقال : اسلكوا ذات اليمين ، بين ظهري الحمص في طريق تُخرجه على^(٦) ثنية المرار ، على مهبط الحديبية من أسفل مكة . قال : فسلك الجيش ذلك الطريق ،

(١) المبر في التفسير ٣٦ : ٥٩ ، ٦٠ (بولاق) .

(٢) السالفة : صفحة المنق ؛ وهما سالفان من جانيه ؛ وكذا بانفرادها عن الموت .

(٣) ابن هشام : « فسلك بهم طريقاً وعراً أجراً » ، والأجرل : الكثير الحجارة .

(٤) يريد قوله تعالى لبني إسرائيل : ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ ؛ ومعناه : اللهم سط عنا ذنوبنا .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٦ .

(٦) س : « إل » .

فلما رأت خيل قريش قَسْرَةَ^(١) الجيش ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خالفهم عن طريقهم ، ركضوا راجعين إلى قريش ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا سلك في ثنية المُرَار ، بركت ناقته ، فقال الناس : خلأت^(٢) ! فقال : ما خلأت ، وما هو لها بخلق ، ولكن حبسها حابس القيل عن مكة ؛ لا تدعوني قريش اليوم إلى خُطَّةٍ يسألوني صلوة الرَّحِمِ إلا أعطيتهم إياها . ثم قال للناس : انزلوا ، فقيل : يا رسول الله ما بالوادي ماء نزل عليه ! فأخرج سهما من كتانته فأعطاه رجلاً من أصحابه ، فنزل في قليب من تلك القليب فغرز في جوفه ، فجاش^(٣) الماء بالرى^(٤) حتى ضرب الناس عليه ببطن^(٥) .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، أن رجلاً من أسلم حدثه ، أن الذي نزل في القليب بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ناجية [بن جندب] بن عُمَيْر ابن بَحْر بن دارم ، وهو سائق بَدَن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وقد زعم لي بعض أهل العلم أن البراء بن عازب كان يقول : أنا الذي نزلت بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وأنشدت أسلم أياتاً من شعر قالها ناجية ، قد ظننت أنه هو الذي نزل بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزعمت أسلم أن جارية من الأنصار أقبلت بدلوها ، وناجية في القليب يَمِيع على الناس^(٦) ، فقالت :

- (١) قَسْرَةُ الجيش : ما يشبه من البار . وفي الفائق ١ : ٣٢٢ : « فلم يشمر خالد وأصحابه إلا وقد خلفتهم قَسْرَةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه » .
(٢) خلأت : بركت ؛ قال أبو ذر : « الخلا في الإبل بمنزلة الحران في الدواب . وقال بعضهم : لا يقال إلا لناقاة خاصة » .
(٣) جاش : ارتفع .
(٤) الرواء : « الرواء » .
(٥) ضرب الناس عليه بطن : أسله في الإبل ، يقال : ضربت الإبل بطن ، إذا رويت ثم بركت حول الماء أو عند الحياض لتعاد إلى الشرب مرة أخرى لتشرب عللاً بعد نهل ؛ فإذا استوفت ردت إلى المراعي ؛ ضرب ذلك مثلاً لاتساع الناس . وانظر اللسان (حطن) .
(٦) يَمِيع على الناس : يملأ الدلاء ليسقيهم .

(٥) ضرب الناس عليه بطن : أسله في الإبل ، يقال : ضربت الإبل بطن ، إذا رويت ثم بركت حول الماء أو عند الحياض لتعاد إلى الشرب مرة أخرى لتشرب عللاً بعد نهل ؛ فإذا استوفت ردت إلى المراعي ؛ ضرب ذلك مثلاً لاتساع الناس . وانظر اللسان (حطن) .
(٦) يَمِيع على الناس : يملأ الدلاء ليسقيهم .

يَأْتِيَا الْمُنَاجُ دَلَوِي دُونَكَا إِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ يَحْمَدُونَكَا
يُتَنَوْنَ خَيْرًا وَيُجَدُّونَكَا .

وقال ناجية ، وهو في القليب يَمِيعُ الناس :

قد علمت جاريةً يَمَانِيَةً أَنِّي أَنَا الْمُنَاجُ وَأَسْمَى نَاجِيَةً
وَطَمَنَةً ذَاتِ رَشَائِشٍ وَاهِيَةٍ . طَعَنَتْهَا تَحْتَ صَدُورِ الْعَادِيَةِ^(١)

حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعائي ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن
معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن المسور بن مخرمة .
وحدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد القطان ، قال :
حدثنا عبد الله بن المبارك ، قال : حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة ،
عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ، قالوا : نزل رسول الله صلى الله
عليه وسلم بأقصى الحديبية على ثمد^(٢) قليل الماء ؛ إنما يتبرأه الناس تبرأ^(٣)
فلم يلبثه الناس أن نزعوه ، فشكيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
العطش ، فترع سهماً من كنانته ، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فوالله ما زال
يحبش لهم بالرى حتى صدروا عنه ؛ فبيناهم كذلك جاء بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخَزَاعِي^(٤)
في نفر من قومه من خزاعة - وكانوا عبيبةً نصح^(٥) رسول الله صلى الله
عليه وسلم من أهل تهامة - فقال : إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن
لؤي قد نزلوا أعداد^(٦) مياه الحديبية ؛ معهم العود المطافيل ؛ وهم مقاتلون
وصادوك عن البيت . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنا لم نأت لقتال أحد ،
ولكننا جئنا معتمرين ، وإن قريشا قد نهكتهم الحرب وأضررت بهم ، فإن شاءوا
ماددناهم مدةً ويُخَلُّوا بيني وبين الناس ، فإن أظهروا ، فإن شاءوا أن يدخلوا

(١) الرواية : الواصلة للثق . والعادية : القوم الذين يملكون ؛ أي يسمعون في المنور .

(٢) الثمد : موضع يجتمع فيه ماء السماء .

(٣) يقال : هو يتبرأ من شيء ؛ كلما اجتمع منه شيء غره .

(٤) عيبة نصح رسول الله ؛ أي خاصته وأصحابه سره .

(٥) الأعداد : جمع عد ، بالكسر ، وهو الماء الدائم الذي له مادة لا انقطاع لها .

فَمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلَوْا وَإِلَّا فَقَدْ جَمُّوا ؛ وَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَوَالَّذِي نَفْسِي
بِيَدِهِ لَأَقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفِرَ سَالِفَتِي ^(١) ، أَوْ لَيُسْقِذَنَّ اللَّهُ
أَمْرَهُ . فَقَالَ بُدَيْلٌ : سَنَبْلُغُهُمْ مَا تَقُولُ .

فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى قَرِيضًا فَقَالَ : إِنَّا قَدْ جِئْنَاكُمْ مِنْ عِنْدِ هَذَا الرَّجُلِ ،
وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلًا ؛ فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَعْرِضَهُ عَلَيْكُمْ فَعَلْنَا . فَقَالَ سَفَهَاؤُهُمْ : لَا حَاجَةَ
لَنَا أَنْ تَحْدِثْنَا عَنْهُ بَشَىءٌ ، وَقَالَ ذُو الرَّأْيِ مِنْهُمْ : هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ ،
قَالَ : سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا ، فَحَدَّثَهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ النَّقِيُّ ، فَقَالَ : أَيُّ قَوْمٍ ؛ أَلَسْتُ بِالْوَلَدِ ! قَالُوا : بَلَى ، قَالَ :
أَوْ لَسْتُ بِالْوَلَدِ ! قَالُوا : بَلَى ، قَالَ : فَهَلْ تَتَّهَمُونَنِي ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : أَلَسْتُ
تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عُكَاظَ ؛ فَلَمَّا بَلَغُوا ^(٢) عَلَى جِئْتِكُمْ بِأَهْلِ وَلَدِي
وَمِنْ أَطَاعَنِي ! قَالُوا : بَلَى .

١٥٣٦/ ١

* * *

وَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ
الزَّهْرِيِّ ، فِي حَدِيثِهِ ، قَالَ : كَانَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ لَسْبِيْعَةَ بِنْتُ عَبْدِ شَمْسٍ .

* * *

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى وَيَعْقُوبَ . قَالَ : فَإِنْ هَذَا
الرَّجُلُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطْبَةً رُشِدَ فَاقْبِلُوهَا ، وَدَعُونِي آتِيهِ . فَقَالُوا :
اِنَّهُ ، فَأَنَاهُ ، فَجَعَلَ يَكْلِمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ نَحْوًا مِنْ مَقَالَتِهِ
لِبُدَيْلٍ ، فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ : أَيُّ مُحَمَّدَ ، أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتَ قَوْمَكَ ، فَهَلْ
سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اجْتَنَحَ أَصْلَهُ قَبْلَكَ ! وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى ، فَوَاللَّهِ إِنِّي
لَأَرَى وَجْهَهَا وَأَوْشَابًا ^(٣) مِنَ النَّاسِ خُلِقُوا أَنْ يَنْفِرُوا وَيَدْعَوْكَ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ :
أَمْتَصَصَ بَطْرَ اللَّاتِ - وَاللَّاتُ طَاغِيَةٌ ثَقِيْفٌ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَ - أَمْحَنَ نَفِيرُهُ
وَنَدَّعَاهُ ! فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالُوا : أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَ : أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ

(١) السالفة : صفحة التلق ، وهما سالفتان من جانيه .

(٢) بلحوا ، أي أبوا .

(٣) الأوشاب : الأخطا . وفي ط : « أشوايا » ، والتصويب من الفائق ١ : ٣٨٨ .

(طبع الهند) .

لولا يَدٌ كانت لك عندي لم أَجْزِكَ بها لأَجْبِتَكَ؛ وجعل يَكَلِّمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فكلَّمَا كَلَّمَهُ أَخَذَ بِلَحِيَّتِهِ - وَالْمَغِيرَةُ بِنِ شَعْبَةٍ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَعَهُ السِّيفُ وَعَلَيْهِ الْمَغْفَرُ ؛ فَكَلَّمَا ^(١) أَهْوَى عُرْوَةَ بِيَدِهِ إِلَى لَحْيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَرَبَ يَدَهُ بِعَمَلِ السِّيفِ ، وَقَالَ : أَخْزَرُ يَدَكَ عَنْ لَحْيَتِهِ ، فَرَفَعَ عُرْوَةَ رَأْسَهُ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا : الْمَغِيرَةُ ١٥٣٧/١
ابْنُ شَعْبَةَ ، قَالَ : أَيُّ غَدَرٍ ؟ أَلَسْتُ ^(١) أَسْعَى فِي غَدَرِكَ ! وَكَانَ الْمَغِيرَةُ بِنِ شَعْبَةَ صَحْبًا قَوْمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَقَتَلَهُمْ ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ ، ثُمَّ جَاءَ فَاسَلِمَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَمَا الْإِسْلَامُ فَقَدْ قَبِلْنَا ، وَأَمَا الْمَالُ فَبِإِنِّهِ مَالُ غَدَرٍ ، لَا حَاجَةَ لَنَا فِيهِ .

وإِنَّ عُرْوَةَ جَمَلَ يَرْمِي أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَيْنِهِ . قَالَ : فَوَاللَّهِ إِنْ يَتَنَحَّمُ النَّبِيُّ نَحْمَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَّكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ ؛ وَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُمْ ؛ وَإِذَا تَوَضَّأُوا كَادُوا يَقْتُلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ ؛ وَإِذَا تَكَلَّمُوا عَنْده خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ وَمَا يُحَدِّثُونَ النَّظَرَ إِلَيْهِ تَعْظِيمًا لَهُ . فَرَجَعَ عُرْوَةَ إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : أَيُّ قَوْمٍ ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ وَوَفَدْتُ عَلَى كَسْرَى وَبِقِصْرٍ وَالتَّجَانِي ؛ وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مُلِكًا قَطُّ يُعْظِمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعْظِمُهُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا ، وَاللَّهِ إِنْ يَتَنَحَّمُ نَحْمَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَّكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُمْ ، وَإِذَا تَوَضَّأُوا كَادُوا يَقْتُلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ ، وَإِذَا تَكَلَّمُوا عَنْده خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ ؛ وَمَا يُحَدِّثُونَ النَّظَرَ إِلَيْهِ ١٥٣٨/١
تَعْظِيمًا لَهُ ؛ وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ كِتَانَةِ دَعْوَى آتِيهِ ، فَقَالُوا : ائْتِهِ ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَذَا فُلَانٌ ، وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعْظِمُونَ الْبُذْنَ فَابْعَثُوهُا لَهُ ، فَبِعِثْتُ لَهُ ، وَاسْتَقْبَلَهُ قَوْمٌ يُكَلِّبُونَ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلَاءِ أَنْ يُصَدَّوْا عَنْ الْبَيْتِ !

وَحَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ

(١) س : « فلما » .

(٢) س : « أولست » .

الزهرى؛ قال في حديثه: ثم بعثوا إليه الحليّ بن علقمة - أو ابن زبّان - وكان يومئذ سيد الأحابيش؛ وهو أحد بلّحارث بن عبد مئة بن كنانة، فلمّا رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إنّ هذا من قوم يتألمون^(١)، فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه، فلمّا رأى الهدى يسيل عليه من عرض^(٢) الوادى في قلائده^(٣)، قد أكل أو باره من طول الحبس، رجع إلى قریش، ولم يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إعظاماً لما رأى، فقال: يا معشر قریش، إننى قد رأيتُ ما لا يحلّ صدّه: الهدى في قلائده، قد أكل أو باره من طول الحبس عن محلّه؛ قالوا له: اجلس، فإنما أنت رجل أعرابي لا علم لك.

وحدثنا ابن حمّيد، قال: حدثنا سلّمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر؛ أنّ الحليس غضب عند ذلك، وقال: يا معشر قریش، والله ما على هذا حالناكم، ولا على هذا عاقدناكم؛ أنّ تصدّوا عن بيت الله من جاءه معظماً له؛ والذي نفس الحليس بيده لتتخلّسن بين محمد وبين ما جاء له؛ أو لأنفركن بالأحابيش نفرة رجل واحد! قال: فقالوا له: مه! كفّ عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به.

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن عبد الأعلى ويعقوب. فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص، فقال لهم: دعوني آتية، قالوا: آتية، فلمّا أشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم: هذا مكرز بن حفص؛ وهو رجل فاجر؛ فجاء فجعل يكلّم النبي صلى الله عليه وسلم؛ فيينا هو يكلّمه إذ جاء سهيل بن عمرو.

وقال أيوب عن عكرمة: إنّه لما جاء سهيل قال النبي صلى الله عليه وسلم: قد سهّل لكم من أمركم.

• • •

(١) يتألمون: يتعبون ويظلمون الإله.

(٢) عرض الوادى: جانبه.

(٣) القلائد: ما يعلق في أذنك الهدى ليعلم أنّه هدى.

فحدثني محمد بن عُمارة الأسدي ومحمد بن منصور - واللفظ لابن عمارة -
 قال : حدثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا موسى بن عبيدة عن إياس
 ابن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه ، قال : بعثت قريش سهيل بن عمرو
 وحويطب بن عبد العزى وحفص بن فلان ، إلى النبي صلى الله عليه وسلم
 ليصالحوه ، فلما رآهم رسول الله فيهم سهيل بن عمرو ، قال : سهّل الله لكم
 من أمركم ، القوم ماثون إليكم بأرحامكم^(١) ، وسائلوكم الصلح ، فابعثوا الهدى ،
 وأظهروا التلبية ؛ لعلّ ذلك يلين قلوبهم . فلبّوا من نواحي العسكر حتى
 ارتجبت أصواتهم بالتلبية . قال : فجاءوا فسألوه الصلح ، قال : فبينما الناس قد
 توادّعوا ، وفي المسلمين ناس من المشركين ، وفي المشركين ناس من المسلمين ،
 قال : ففتك به أبو سفيان ، قال : فإذا الوادي يسيل بالرجال والسلاح . قال
 إياس : قال سلمة : فجئت بسة من المشركين متسلحين أسوقهم ، ما يملكون
 لأنفسهم نفعا ولا ضرا ، فأتيت بهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم يسلب
 ولم يقتل ، وعفا .

• • •

وأما الحسن بن يحيى فإنه حدثنا قال : حدثنا أبو عامر قال : حدثنا
 عكرمة بن عمار الهامّي ، عن إياس بن سلمة ، عن أبيه ، أنه قال : لما
 اصطالحنا نحن وأهل مكة ، أتيت الشجرة فكسحت شوكها ، ثم اضطجعت في
 ظلها ، فأتاني أربعة نفر من المشركين من أهل مكة ، فجعلوا يقعون في
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأبغضتهم . قال : فتحوّلت إلى
 شجرة أخرى ، فعلقوا سلاحهم ، ثم اضطجعوا ، فبينما كذلك ،
 إذ نادى مناد من أسفل الوادي : بالمهاجرين ! قتل ابن زُنَيْم !
 فاخترطت سيفي ، فشددت على أولئك الأربعة وهم رقود ، فأخذت سلاحهم
 فجعلته ضففاً^(٢) في يدي ، ثم قلت : والذي كرم وجهه محمد صلى الله عليه
 وسلم ، لا يرفع أحد منكم رأسه إلاّ ضربت الذي فيه عيناه . قال : ففجئت بهم

(١) و : « بأرحامهم » .

(٢) ضففاً ، أي حزمة في يده .

١٥٤١/١ أقودهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاء عمتي عامر برجل من العَبَلَات ، يقال له مكرز؛ يقوده مجففاً^(١) ، حتى وقفنا بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين من المشركين ، فنظر إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : دعوهم يكن لهم بدء الفجور ، فعفا عنهم . قال : فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَرْفِ مَكَّةَ ﴾^(٢) .

• • •

رجع الحديث إلى حديث محمد بن عمارة ومحمد بن منصور ، عن عبيد الله . قال سلمة : فشددنا على من في أيدي المشركين منا ، فتركنا في أيديهم منا رجلاً إلا استغفناه . قال : وغلبنا على من في أيدينا منهم . ثم إن قريشاً بعثوا سهيل بن عمرو وحويتباً فولتوهم صلحتهم ، وبعث النبي صلى الله عليه وسلم علياً عليه السلام في صلحه .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقال له زعيم ، اطلع الثنية من الحديبية ، فرماه المشركون فقتلوه ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلاً ، فأتوه باثني عشر رجلاً فارساً من الكفار ، فقال لهم نبي الله صلى الله عليه وسلم : هل لكم على عهد ؟ هل لكم على ذمة ؟ قالوا : لا ، قال : فأرسلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فأنزل الله في ذلك القرآن : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَرْفِ مَكَّةَ ﴾ - إلى قوله : ﴿ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ .

وأما ابن إسحاق ، فإنه ذكر أن قريشاً إنما بعثت سهيل بن عمرو بعد رسالة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلها إليهم مع عثمان بن عفان .

(١) مجففاً ، أي لابساً الخفاف (بكر التاء) ، وهو آلة للحرب يلبس الفرس والإنسان ليقى في الحرب .

(٢) سورة الفتح ٢٤ . والخبر في التفسير ٢٦ : ٦٠ ، ٦١ (بولاق) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال :
حدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خيرا ش بن
أمية الخزاعي ، فبعثه إلى قريش بمكة ، وحمله على جمل له يقال له الثعلب ؛
ليبلغ أشrafهم عنه ما جاء له ، فعقروا به جمل رسول الله وأرادوا قتله ،
فمنعته الأحابيش ، فخلّوا سبيله ؛ حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ،
قال : حدثني من لا أنهم ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، أن قريشا بعثوا
أربعين رجلا منهم - أو خمسين رجلا - وأمرهم أن يطبقوا بعسكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليصيبوا لهم من أصحابه ، فأخذوا أخذاً ، فأتوا بهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعفا عنهم ، وخلص سبيلهم - وقد كانوا رموا
في عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة والنبل - ثم دعا النبي صلى الله
عليه وسلم عمر بن الخطاب لبيعة ^(٢) إلى مكة ، فبلغ عنه أشraf قريش ما
جاء له ؛ فقال : يا رسول الله ؛ إني أخاف قريشا على نفسي ؛ وليس بمكة من
بني عدى بن كعب أحد يمنعني ؛ وقد عرفت قريش عداوتي إياها ، وغلظتي
عليها ، ولكنني أدلك على رجل هو أعزّ بها مني ، عثمان بن عفان !

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان ، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف
قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب ؛ وإنما جاء زائراً لهذا البيت ، معظماً لحرمته . ١٥٤٣/١
فخرج عثمان إلى مكة ، فلقه أبا ن من سعيده بن العاص حين دخل
مكة - أو قبل أن يدخلها - فترل عن دابته ، فحمله بين يديه ، ثم ردفه
وأجاره ؛ حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق عثمان حتى
أتى أبا سفيان وعظماء قريش ، فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما أرسله به ، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم
إليهم : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به ؛ قال : ما كنت لأفعل
حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فاحتبسته قريش عندها ،

(١) الخبر في التفسير ٢٦ : ٥٣ ، ٥٤ (بولاق) .

(٢) س : « لينفذه » .

فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان قد قُتل .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال :
فحدثني عبد الله بن أبي بكر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه
أن عثمان قد قُتل ، قال : لا نبرح حتى نناجز القوم ؛ ودعا الناس إلى البيعة
فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة

• • •

حدثني ابن عمار الأسدي ، قال : حدثني عبيد الله بن موسى ، عن
موسى بن عبيدة ، عن إياس بن سلمة ، قال : قال سلمة بن الأكوع : بينما نحن
قافلون من الحديبية ، نادى منادى النبي صلى الله عليه وسلم : أيها الناس ؛ البيعة
البيعة ! نزل رُوح القدس . قال : فسرنا إلى رسول الله وهو تحت شجرة سمرة ،
قال : فبايعناه ، قال : وذلك قول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ
إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ (١) .

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل
ابن أبي خالد ، عن عامر ، قال : كان أول من بايع بيعة الرضوان رجلاً من
بنى أسد ، يقال له : أبو سنان بن وهب

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا
القاسم بن عبد الله بن عمر ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله ؛
أنهم كانوا يوم الحديبية أربعة عشر ومائة . قال : فبايعنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وعمر أخذ بيده تحت الشجرة ، وهي سمرة ، فبايعناه غير الجند بن
قيس الأنصاري ، اختبأ تحت بطن بعيره .

قال جابر : فبايعنا رسول الله على ألا نغير ؛ ولم نبايعه على الموت (٢) .

(١) سورة الفتح ١٨ .

(٢) الخبر في التفسير ٢٦ ، ٥٤ ، ٥٥ (بلاق)

وقد قيل في ذلك ما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبر أبو عامر ،
قال : أخبرنا عكرمة بن عمار الباهلي ، عن إياس بن سلمة بن الأكوع ،
عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا الناس للبيعة في أصل الشجرة ،
فبايعته في أول الناس ، ثم بايع وبايع ؛ حتى إذا كان في وسط من الناس ،
قال : بايع يا سلمة ، قال : قلت : قد بايعتك يا رسول الله في أول الناس !
قال : وأيضاً ؛ وراى النبي صلى الله عليه وسلم أعزك ، فأعطاني حجة
أو درقة . قال : ثم إن رسول الله بايع الناس ؛ حتى إذا كان في آخرهم ،
قال : ألا تبايع يا سلمة ! قلت : يا رسول الله ، قد بايعتك في أول الناس وأوسطهم !
قال : وأيضاً . قال : فبايعته الثالثة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
فأين الدرقة ، والحجفة التي أعطيتك ؟ قلت : لقيتني عمتي عامر أعزك ١٥٤٥/١
فأعطيتني إياها ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : إنك كالذي
قال الأول : اللهم ابغني حبيباً هو أحب إلي من نفسي .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجد ابن قيس ، أخو بني سلمة ، قال : كان جابر بن عبد الله يقول : لكانني أنظر إليه لاصقاً بليط ناقته ، قد ضباً^(١) إليها يستربها من الناس . ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذي كان من أمر عثمان باطل .

قال ابن إسحاق : قال الزهري : ثم بعث قريش سهيل بن عمرو ،
أخا بني عامر بن لؤي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا له : ائت
محمدأ فصالحه ، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله
لا تحدث العرب أنه دخل علينا عنوة أبداً .

قال : فأقبل سهيل بن عمرو ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم
مقبلاً ، قال : قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل . فلما انتهى سهيل

(١) ضباً إليها : لمق بها واستر .

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلّم فأطال الكلام ، وتراجعا ، ثم جرى بينهما الصلح ، فلما تأم الأمر ، ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر بن الخطاب ، فأقى أبا بكر ، فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله ! قال : بلى ، قال : أو لستنا بالمسلمين ! قال : بلى ، قال : أو ليسوا بالمشركين ! قال : بلى ؛ قال : فعَلَامَ نُعْطِي الدِّينَةَ^(١) في ديننا ! قال أبو بكر : يا عُمَرُ الزَّمْ غَرْزَهُ^(٢) ؛ فإني أشهد أنه رسول الله ، قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله . قال : ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أَلَسْتُ برسول الله ! قال : بلى ، قال : أو لستنا بالمسلمين ! قال : بلى ، قال : أو ليسوا بالمشركين ! قال : بلى ، قال : فعَلَامَ نُعْطِي الدِّينَةَ في ديننا ! فقال : أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ، ولن يُضِيعَتْنِي . قال : فكان عمر يقول : ما زلت أصومُ وأُصَدِّقُ وأُصَلِّي وأُعتِق من الذي صنعت يومئذ ، مخافة كلامي الذي تكلّمت به ؛ حتى رجوت أن يكون خيرا .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن بُرَيْدَةَ بن سفيان بن فروة الأسلمي ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن علقمة ابن قيس النخعي ، عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، قال : ثم دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم . فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب : «باسمك اللهم» ، فقال رسول الله : اكتب «باسمك اللهم» ، فكتبها . ثم قال : اكتب : «هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو» . فقال سهيل بن عمرو : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاثلُك ؛ ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب : «هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ؛ اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشرين ، يأمن فيهن الناس ، ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى رسول الله من قريش بغير

(١) الدية : الذل والأمر الخسيس .

(٢) الزم غرزه ؛ أى أزم أمره ، والفرز الرسل بمنزلة الركاب للسر .

إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع رسول الله لم تردّه عليه. وأنّ
 بيننا عتيبة مكفوفة^(١)، وأنه لا إسلال^(٢) ولا إغللال^(٣)؛ وأنه من أحب أن
 يدخل في عقد رسول الله وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد
 قريش وعهدهم، دخل فيه - فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن في عقد رسول الله وعهده،
 وتواثبت بنو بكر، فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدها - وأنتك ترجع عنا
 عامك هذا، فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك،
 فدخلتها بأصحابك؛ فأقمت بها ثلاثاً، وأن معك سلاح الراكب، السيوف في
 القرب لا تدخلها بغير هذا.

فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو،
 إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في الحديد، قد انفلت إلى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال: وقد كان أصحاب رسول الله صلى
 الله عليه وسلم خرجوا وهم لا يشكون في الفتح، لرؤيا رآها رسول الله صلى
 الله عليه وسلم؛ فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع، وما تحمّل عليه رسول
 الله صلى الله عليه وسلم في نفسه، دخل الناس من ذلك أمر عظيم حتى
 كادوا أن يهلكوا - فلما رأى سهيل أبا جندل، قام إليه فضرب وجهه، وأخذ
 بلبّيه^(٤)، فقال: يا محمد قد لجأت^(٥) القضية بيني وبينك قبل أن
 يأتيك هذا! قال: صدقت، قال: فجعل ينثره^(٦) بلبّيه، ويجره ليردّه
 إلى قريش، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين،
 أردّ إلى المشركين يفتنونني في ديني! فزاد الناس ذلك شراً^(٧) إلى ما بهم فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا جندل، احتسب، فإن الله جاعل لك

(١) حبة مكفوفة، أي لا تكون عدوة بيننا، عل التمثيل.

(٢) الإسلال: السرقة الخفية.

(٣) الإغللال: الحياطة.

(٤) ابن هشام: «بليبه».

(٥) بليت القضية: تمت.

(٦) ينثره، أي يخلطه بجنباً شديداً مع جفاه.

(٧) ساقطة من ابن هشام.

ولن معك من المستضعفين فَرَجًا ومُخْرَجًا ، إِنَّا قد عقدنا بيننا وبين القوم
عَقْدًا واصلحًا ، وأعطيناكم على ذلك عهدًا ، وأعطونا عهدًا ، وإِنَّا لا نغدر
بهم .

قال : فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ، ويقول :
اصبر يا أبا جندل ؛ فَإِنَّمَا هم المشركون ؛ وإِنَّمَا دَمٌ أَحَدُهُم دَمُ كَلْبٍ !
قال : وَيُدْفَنِي قائمُ السيف منه ، قاله : يقولُ عمر : رجوتُ أَن يأخذَ
السيفَ فيضرب به أباه ، قال : ففَضَّنَ الرجلُ بَأبيه .

فلَمَّا فرغ من الكتاب أشهد على الصلح رجالا من المسلمين ، ورجالا
من المشركين : أبا بكر بن أبي قُحافة ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن
عوف ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وسعد بن أبي وقاص ، وعمود بن مسلمة
أخا بني عبد الأشهل ، ومِكْرَز بن حفص بن الأَخِيْف - وهو مشرك - أخوا
بني عامر بن لُؤي ، وعلى بن أبي طالب ، وكتب^(١) وكان هو كاتب الصحيفة .

حدثنا هارون بن إسحاق ، قال : حدثنا مُصعب بن المقدام ، حدثنا
سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، قال جميعًا : حدثنا إسرائيل ، قال : حدثنا
أبو إسحاق ، عن البراء ، قال : اعتَمَر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في ذِي
القَعْدَةِ ، فَأَبَى أَهْلُ مَكَّة أَن يَدْخُلُوهُ يَدْخُلُ مَكَّة ، حتى يقاضيتهم على أَن
يقيم بها ثلاثة أيام . فلَمَّا كتب الكتاب كتب : « هذا ما تقاضى عليه
محمد رسول الله » ؛ فقالوا : لو نعلم أَنك رسولُ الله ما منعناك ؛ ولكن أنت محمد بن
عبد الله ، قال : أَنَا رسولُ الله ، وَأَنَا محمد بن عبد الله ، قال لعلي عليه السلام : امسحْ
« رسولَ الله » ، قال : لا والله لا أمحاك أَبَدًا ، فأخذَه رسولُ الله صلى الله عليه
وسلم - وليس يُحْسِنُ يَكْتُبُ - فكتب مكان « رسول الله » « محمد » فكتب : « هذا
ما قاضى عليه محمد ، لا يدخل مكة بالسلاح إلا السيوف في القيراب ، ولا
يخرج من أهلها بأحد أراد أَن يتبعه ، ولا يمنع أَحَدًا من أصحابه أراد أَن يقيم
بها » . فلما دخلها ومضى الأجل ، أَتَوْا عليًّا عليه السلام ، فقالوا له^(٢) : قل

لصاحبك : اخرج عنا فقد مضى الأجل ، فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة . وحدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد ، قال : حدثنا عبد الله بن المبارك ، قال : حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم في قصة الحديبية : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قضيته ^(١) قال لأصحابه : قوموا فانحروا ، ثم اخلقوا . قال : فوالله ما قام منهم رجلٌ حتى قال ذلك ثلاث مرات ^(٢) ؛ فلما لم يبقَ منهم أحد ، قام فدخل على أم سلمة ، فذكر لها ما لى من الناس ، فقالت له أم سلمة : يا نبي الله ، أتحب ذلك ! اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنتك ؛ وتدعو حالقك فيحلقك ؛ فقام فخرج فلم يكلم أحداً منهم كلمة حتى فعل ذلك ؛ فخر بدنته ودعا حالقه فحلقه . فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا ؛ وجعل بعضهم يحلق بعضاً ؛ حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمماً .

قال ابن حميد : قال سلمة : قال ابن إسحاق : وكان الذي حلقه فيها بلغني ذلك اليوم - خراش بن أمية بن الفضل الخزاعي .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : حلق رجال يوم الحديبية ، وقصر آخرون ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يرحم الله الملقطين ، قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟ قال : يرحم الله الملقطين ، قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟ قال : يرحم الله الملقطين ، قالوا : والمقصرين ؟ قال : والمقصرين ؛ قالوا : يا رسول الله ؛ فلم تظاهرت الرحمة للملقطين دون المقصرين ؟ قال : لأنهم لم يشكوا .

حدثنا ابن حميد قال : حدثنا سلمة ، عن أبان بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نجيع ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : أهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم عامَ الحديبية في هداياه جملاً لأبي جهل ، في رأسه برة من فضة ، ليغيظ المشركين بذلك .

• • •

رجع الحديث إلى حديث الزهري الذي ذكرنا قبل (١) . ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة - زاد ابن حميد عن سلمة في حديثه ، عن ابن إسحاق عن الزهري ، قال : يقول الزهري : فافتتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه ؛ إنما كان القتال حيث اتقى الناس - فلما كانت الهدنة ، ووضعت الحرب أوزارها ، وأمن الناس كلهم بعضهم بعضاً فالتقوا ، وتفاوضوا في الحديث والمنازعة ، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه ، فلقد دخل في تينك (٢) الستين في الإسلام مثل ما كان في الإسلام قبل ذلك وأكثر . وقالوا جميعاً في حديثهم عن الزهري ، عن عروة ، عن المسور وروان : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، جاءه أبو بصير ؛ رجل من قريش - قال ابن إسحاق في حديثه : أبو بصير عتبة بن أسيد ابن جارية - وهو مسلم ، وكان ممن حبس بمكة ، فلما قدم على رسول الله كتب فيه أزر بن عبد عوف والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعث رجلاً من بني عامر بن لؤي ، ومعه مولى لهم . فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب الأزر والأخنس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بصير ؛ إننا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ؛ ولا يصلح لنا في ديننا الغدر ، وإن الله جاعل لك ولن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً .

١٠٠٢/١ قال : فانطلق معهما حتى إذا كان بذى الحليفة ، جلس إلى جدار وجلس معه أصحابه ، فقال أبو بصير : أصارم سيفك هذا يا أخا بني عامر ؟ قال : نعم ، قال : انظر إليه ؟ قال : إن شئت فاستله أبو بصير ، ثم علاه

(١) س : « في الذي ذكرناه » .

(٢) و : « تينك » .

به حتى قتله ، وخرج المولى سريعاً حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ، فلما رآه رسول الله طالماً ، قال : إن هذا رجل قد رأى فترعاً ، فلما انتهى إلى رسول الله قال : ويلك ! مالك ! قال : قتل صاحبكم صاحبي ؛ فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحاً السيف ، حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، وقت ذمتك ، وأدّى عنك ، أسلمتني ورددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ويل أمه مسعر حرب ! - وقال ابن إسحاق في حديثه : محش حرب^(١) - لو كان معه رجال ! فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم . قال : فخرج أبو بصير حتى نزل بالعيص من ناحية ذي المروة على ساحل البحر بطريق قريش الذي كانوا يأخذون إلى الشام . وبلغ المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بصير : «ويل أمه محش حرب لو كان معه رجال» ، فخرجوا إلى أبي بصير بالعيص ؛ وينفلت أبو جندل بن سهيل بن عمرو ، فلاحق بأبي بصير ؛ فاجتمع إليه قريب من سبعين رجلاً منهم ؛ فكانوا قد ضيقوا على قريش ؛ فوالله ما يسمعون بغير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لهم فقتلوه ، وأخذوا أموالهم ، فأرسلت قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم يناشدونه بالله وبالرحم^(٢) لئلا أرسل إليهم ! فنأناه فهو آمين ، فأواهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدموا عليه المدينة .

زاد ابن إسحاق في حديثه : فلماً بلغ سهيل بن عمرو قتل أبي بصير صاحبهم العامري أسند ظهره إلى الكعبة ، وقال : لا أؤخر ظهري عن الكعبة ؛ حتى يؤدوا هذا الرجل ؛ فقال أبو سفيان بن حرب : والله إن هذا هو السف ! والله لا يؤدوني ! ثلاثاً .

• • •

(١) محش حرب : مؤد حرب وبعيها .

(٢) س : « الله والرحم » .

وقال ابن عبد الأعلى ويعقوب في حديثهما : ثم جاءه - يعنى رسول الله -
نسوة مؤمنات ، فأنزل الله عز وجل عليه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ
الْمُؤْمِنَاتُ مَهَاجِرَاتٍ ﴾ - حتى بلغ : ﴿ يَمِصُّنَ الْكُوفَارَ ﴾ ^(١) . قال :
فطلق عمر بن الخطاب يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك . قال : فنهاهم أن
يردوهن ، وأمرهم أن يردوا الصداق حيثن .

قال رجل للزهري : أمينٌ أجل الفُروج ؟ قال : نعم ؛ فتزوج إحداهما
معاوية بن أبي سفيان ، والأخرى صفوان بن أمية .

زاد ابن إسحاق في حديثه : وهاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم أم كلثوم بنت عتبة بن أبي معيط في تلك المدة ؛ فخرج أخوها
عمارة والوليد ابنا عتبة ؛ حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسألانه أن يرداها عليهما بالعهد الذى كان بينه وبين قريش في الحديبية ؛
فلم يفعل ، أبى الله عز وجل ذلك .

وقال أيضاً في حديثه : كان ممن طلق عمر بن الخطاب ؛ طلق امرأته
١٥٥٤/١ قُرَيْبَةَ بنت أبي أمية بن المغيرة ؛ فتزوجها بعده معاوية بن أبي سفيان ؛
وهما على شركهما بمكة ، وأم كلثوم بنت عمرو بن جَرُول الخزاعية أم
عبيد الله بن عمر ؛ فتزوجها أبو جهنم بن حذافة بن غانم ، رجل من
قومها ؛ وهما على شركهما بمكة .

• • •

وقال الواقدي : في هذه السنة - في شهر ربيع الآخر منها - بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم عكاشة بن محصن في أربعين رجلاً إلى الغمر ؛
فيهم ثابت بن أقرم وشُجَاع بن وهب ؛ فأغذ السير ، ونذر ^(٢) القوم به
فهربوا ؛ فتل على مياههم وبعث الطلائع ؛ فأصابوا عينا قتلهم على بعض
ماشيتهم ؛ فوجدوا مائتي بعير ، فحدروها إلى المدينة .

(١) سورة المتحنة ١٠

(٢) نذر : علم .

قال : وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة في عشرة نفر في ربيع الأول منها ، فكمن القوم لهم حتى نام هو وأصحابه ، فاشعروا إلا بالقوم ، فقتل أصحاب محمد بن مسلمة وأفلت محمد جريحاً .

قال الواقدي : وفيها أسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذى القصة في شهر ربيع الآخر في أربعين رجلاً ، فساروا ليلتهم مشاة ، ووافوا ذى القصة مع عمارة الصبح ، فأغاروا عليهم ، ١٠٠٠/١ فأعجزهم هرباً في الجبال ، وأصابوا نعلماً وريثة^(١) ورجلاً واحداً ، فأسلم ، فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وفيها كانت سرية زيد بن حارثة بالجسوم ، فأصاب امرأة من مزينة ؛ يقال لها حليلة ، فدلّتهم على محلة من محالّ بنى سليم ، فأصابوا بها نعلماً وشاء وأسراء ؛ وكان في أولئك الأسراء زوج حليلة ، فلمّا قفل بما أصاب وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم للمزنية زوجها ونفسها .

قال : وفيها كانت سرية زيد بن حارثة إلى العيص في جمادى الأولى منها .

وفيها أخذت الأموال التي كانت مع أبي العاص بن الربيع ؛ فاستجار بزينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم فأجارتها .

قال : وفيها كانت سرية زيد بن حارثة إلى الطّرف ، في جمادى الآخرة ، إلى بنى ثعلبة في خمسة عشر رجلاً ؛ فهربت الأعراب وخافوا أن يكون رسول الله سار إليهم ، فأصاب من نعلهم عشرين بعيراً . قال : وغاب أربع ليال .

قال : وفيها سرية زيد بن حارثة إلى حِسْمَى في جمادى الآخرة .

(١) و : « قعدة وريثة » ، ولارث والريثة : السقط من المتاع .

قال : وكان أول ذلك - فيما حدثني موسى بن محمد ، عن أبيه ، قال : أقبل دحية الكلبي من عند قيصر ؛ وقد أجاز دحية بمال ، وكساه كسبي ؛ فأقبل حتى كان بحسبي ، فلقينه ناس من جذام ؛ فقطعوا عليه الطريق ، فلم يترك معه شيء ؛ فجاء إلى رسول الله قبل أن يدخل بيته فأخبره ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة إلى حسبي . ١٥٥٦/١

قال : وفيها تزوج عمر بن الخطاب جميلة بنت ثابت بن أبي الأفلح ؛ أخت عاصم بن ثابت ، فولدت له عاصم بن عمر ؛ فطلقها عمر فتزوجها^(١) بعده يزيد بن جارية ؛ فولدت له عبد الرحمن بن يزيد ؛ فهو أخو عاصم لأمه .

قال : وفيها سرية زيد بن حارثة إلى وادي القرى في رجب . قال : وفيها سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل في شعبان ؛ وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أطاعوك فتزوج ابنة ملكهم ؛ فأسلم القوم ، فتزوج عبد الرحمن ثماضر بنت الأصمغ ؛ وهي أم أبي سلمة ؛ وكان أبوها رأسهم وملكهم .

قال : وفيها أجذب الناس جذبا شديدا ، فاستسقى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان بالناس .

قال : وفيها سرية علي بن أبي طالب عليه السلام إلى فدك في شعبان .

قال : وحدثني عبد الله بن جعفر ، عن يعقوب بن عتبة ، قال : خرج علي بن أبي طالب في مائة رجل إلى فدك ، إلى حن من بني سعد بن بكر ؛ وذلك أنه بلغ رسول الله أن لم جمعاً يريدون أن يمدوا يهود خيبر ؛ فصار إليهم الليل وكمن النهار ؛ وأصاب عتيق ؛ فأقر لهم أنه بعث إلى خيبر يعرض عليهم نصرهم على أن يجعلوا لهم ثمر خيبر .

قال : وفيها سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة في شهر رمضان . ١٥٥٧/١

وفيها قتلت أم قرفة ؛ وهي فاطمة بنت ربيعة بن بدر ، قتلها قتلا

عنيفاً ؛ ربط برجليها حبلاً ثم ربطها بين بعيرين حتى شقها شقاً ؛ وكانت عجزاً كبيرة .

وكان من قصتها ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة إلى وادي القرى ؛ فلقى به بنى فزارة ؛ فأصيب به أناس من أصحابه ، وارثت زيد من بين القتل ، وأصيب فيها ورد ابن عمرو أحد بني سعد بنى هذيم ، أصابه أحد بنى بدر ؛ فلما قدم زيد نذر ألا يمسه رأسه غسل من جنبه حتى يغزوا فزارة ؛ فلما استبل من جراحه ^(١) ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في جيش إلى بنى فزارة ، فلقىهم بوادي القرى ، فأصاب فيهم ؛ وقتل قيس بن المسحر اليمعري مسعدة بن حكمة بن مالك بن بدر ، وأسر أم قرفة - وهي فاطمة بنت ربيعة بن بدر ، وكانت عند مالك بن حذيفة بن بدر ، عجزاً كبيرة - وبتناتها ، وعبد الله بن مسعدة . فأمر زيد بن حارثة أن يقتل أم قرفة ؛ فقتلها قتلاً عنيفاً ، ربط برجليها حبليْن ثم ربطهما ^(٢) إلى بعيرين حتى شقها . ١٠٠٨/١ ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بابتة أم قرفة وبعد الله بن مسعدة ؛ وكانت ابنة أم قرفة لسلمة بن عمرو بن الأكوع ؛ كان هو الذي أصابها ، وكانت في بيت شرف من قومها ، كانت العرب تقول : لو كنت أعز من أم قرفة ما زدت . فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمة ، فوهبها له ، فأهداها لخاله حزن بن أبي وهب ؛ فولدت له عبد الرحمن بن حزن .

وأما الرواية الأخرى عن سلمة بن الأكوع في هذه السرية ، أن أميرها كان أبا بكر بن أبي قحافة ؛ حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا أبو عمار ، قال : حدثنا عكرمة بن عمار ، عن إياس بن سلمة ، عن أبيه ، قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا أبا بكر ؛ فغزونا ناساً من بنى فزارة ، فلما دفنونا من الماء أمرنا

(١) س : جراحه .

(٢) س : ربطها .

أبو بكر فمرّسنا ؛ فلمّا صلّينا الصبح ، أمرنا أبو بكر فشنتّا الغارة عليهم . قال : فوردنا الماء فقتلنا به من قتلنا . قال : فأبصرت عُنُقاً^(١) من الناس ؛ وفيهم النساء والذرائع قد كادوا يسبقون إلى الجبل ، فطرحت سهماً بينهم وبين الجبل ، فلمّا رأوا السهم وقفوا ، فجثت بهم أسوقهم إلى أبي بكر ؛ وفيهم امرأة من بني فزارة عليها قشع^(٢) آدم ، معها ابنة لها من أحسن العرب . قال : فنفلني أبو بكر ابتها ، قال : فقدمت المدينة ، فلقيتني رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسوق ، فقال : يا سلمة ، لله أبوك ! هب لي المرأة ! فقلت : يا رسول الله ؛ والله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوباً . قال : فسكت عني حتى إذا كان من الغد لقيتني في السوق ، فقال : يا سلمة ، لله أبوك ! هب لي المرأة ، فقلت : يا رسول الله ؛ والله ما كشفت لها ثوباً ؛ وهي لك يا رسول الله . قال : فبعث بها رسول الله إلى مكة ؛ ففادى بها أسارى من المسلمين كانوا في أيدي المشركين . فهذه الرواية عن سلمة .

• • •

قال محمد بن عمر : وفيها سرية كُرُز بن جابر الفهري إلى المرُتبين الذين قتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستاقوا الإبل في شوال من ستة ستّ ؛ وبعثه رسول الله في عشرين فارساً .

• • •

[ذكر خروج رسل رسول الله إلى الملوك]

قال : وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الرُّسل ؛ فبعث في ذى الحجة سنة نقر : ثلاثة مصطحين ؛ حاطب بن أبي بلتعة من لَحْم حليف بني أسد بن عبد العزى إلى القوقس ، وشجاع بن وهب من بني أسد بن خزيمه - حليفاً لحرب بن أمية شهد بدرًا - إلى الحارث بن أبي شَمِير الضَّاساني ، ودر حية ابن خليفة الكلبي إلى قيصر . وبعث سليط بن عمرو العامري عامر بن لؤي إلى هُوذة بن علي الحنفي . وبعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى . وعمر بن أمية الضمري إلى النجاشي .

(٢) القشع : الفرو الخلق .

(١) عناق : جماعة .

وأما ابنُ إسحاق ، فإنه - فيما زعم ، وحدثنا به ابنُ حميد - قال :
حدثنا سلمة ، عنه قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد فرّق
رجالا من أصحابه إلى ملوك العرب والعجم ، دعاة إلى الله عز وجل فيما بين
الحديسيّة ووفاته .

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، عن
يزيد بن أبي حبيب المصري ، أنه وجد كتاباً فيه تسمية من بعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم إلى ملوك الخائبين ، وما قال لأصحابه حين بعثهم ، فبعث به
إلى ابن شهاب الزهري ، مع ثقة من أهل بلدة فعرّفه . وفي الكتاب أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه ذات غداة ، فقال
لهم : إني بُعِثْتُ رحمةً وكافةً ، فأدّوا عني يرحمكم الله^(١) ، ولا تختلفوا عليّ
كاختلاف الحواريين على عيسى بن مريم ، قالوا : يا رسول الله ، وكيف
كان اختلافهم ؟ قال : دعا إلى مثل ما دعوتكم إليه ، فأما من قُرِبَ به^(٢)
فأحبّ وسليم ، وأما منْ بَعُدَ به فكره وأبى ، فشكا ذلك منهم عيسى إلى
الله عز وجل ، فأصبحوا من ليثهم تلك ؛ وكلُّ رجلٍ منهم يتكلّم بلغة القوم
الذين بُعث إليهم . فقال عيسى : هذا أمرٌ قد عزم الله لكم عليه ؛
فامضوا^(٣) .

قال ابنُ إسحاق : ثم فرّق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه ؛
فبعث سكيّط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ أخا بني عامر بن لؤي إلى
هَوَظَةَ بن عليّ ، صاحب اليمامة . وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنزبرين
ساوى أخى بنى عبد القيس صاحب البحرين ، وعمرو بن العاص إلى جيّفر بن
جلندى وعباد بن جلندى الأزديّين صاحبيّ عُمان . وبعث حاطب بن
أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية ، فأدّى إليه كتاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، وأهدى المقوقس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع جوار ،
منهنّ مارية أم إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وبعث رسول الله

(١) س : رحمكم الله .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٣ .

(٣) و : امضوا .

دِحْيَةَ بن خليفة الكَلْبِيِّ ثم الخزرجي^(١) إلى قيصر ، وهو هِرَقْل ملك الروم ؛ فلَمَّا أتاه بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر فيه ثم جعله بين فخذَيْهِ وخاصِرَتِهِ^(٢).

• • •

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن ابن شهاب الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله ابن عباس ، قال : حدثني أبو سفيان بن حرب ، قال^(٣) : كُنَّا قَوْمًا تَجَارًا ، وكانت الحرب بيننا وبين رسول الله قد حصرتنا حتى نَهَكَتْ أَمْوَالُنَا ، فلَمَّا كانت الهدنة بيننا وبين رسول الله ، لم نَأْمَنْ إِلَّا نَجْدًا أَمْنًا ؛ فخرجت في نَفَرٍ من قريش تجار إلى الشام ؛ وكان وجهُ متجرنا منها غَزَّةً ، فقدمناها حين ظهر هِرَقْل على مَنْ كان بأرضه من فارس ؛ وأخرجهم منها ، وانزع له منهم صليبه الأعظم ؛ وكانوا قد استلبوه إياه ، فلَمَّا بلغ ذلك منهم ، وبلغه أن صليبه قد استنقذ له - وكانت حِمَصُ منزله - خرج منها يمشي على قدميه متشكرًا لله حين رُدَّ عليه ماردٌ ، ليصلني في بيت المقدس ، تَبَسَّطَ له البُسْطُ ، وتلقى عليها الرياحين ، فلَمَّا انتهى إلى إيلياء وقضى فيها صلاته ، ومعه بطارقه وأشراف الروم ، أصبح ذات غداة مهمومًا يقلب طرفه إلى السماء ، فقال له بطارقه : والله لقد أصبحتَ أيها الملك الغداة مهمومًا ، قال : أجل ، أريت في هذه الليلة أن ملكَ الختان ظاهرٌ ! قالوا له : أيها الملك ، ما نعلم أُمَّةً تختن إلا يهود ؛ وهم في سلطانك وتحت يدك ؛ فابعث إلى كلِّ مَنْ لك عليه سلطان في بلادك ، فمره فليضرب أعناقَ كلِّ مَنْ تحت يديه من يهود ، واستريح من هذا الهم ؛ فوالله إنهم لن ي ذلك من رأيهم يُدِيرُونَهُ ؛ إذ أتاه رسولُ صاحب بُصْرَى برجل من العرب ، يقوده - وكانت الملوك تهادى الأخبار بينها - فقال : أيها الملك ؛ إن

(١) ط : « الخزرجي » ، والتصويب من القاموس ، نسبة إلى الخزرج بن عامر ، وموجد دحية .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٢ ، ٣٥٣ .

(٣) الخبر في الأغاني ٦ : ٣٤٥ - ٣٤٩ (طبعة دار الكتب) .

هذا الرجل من العرب من أهل الشام والإبل ؛ يحدث عن أمر حدث بيلاده عجب ؛ فسله عنه .

فلما انتهى به إلى هرقل رسول صاحب بصرى ، قال هرقل لتَرجُمانه : سلّه ، ما كان هذا الحدث الذي كان بيلاده ؟ فسأله فقال : خرج بين أظهرنا رجلٌ يزعم أنه نبيّ ، قد اتبعه ناسٌ وصدّقه ، وخالفه ناسٌ ؛ وقد كانت بينهم ملاحم في مواطن كثيرة ؛ فتركهم على ذلك . قال : فلما أخبره الخبر قال : جرّدوه ، فجرّدوه ؛ فإذا هو مختون ، فقال هرقل : هذا والله الذي أريت^(١) ؛ لا ما تقولون ؛ أعطوه ثوبه ؛ انطلق عنا . ثم دعا صاحب شرطته ، فقال له : قلّب لي الشام ظهرًا وبطنًا ؛ حتى تأتيني ١٥٦٣/١ برجل من قوم هذا الرجل - يعنى النبيّ صلى الله عليه وسلم .

قال أبو سفيان : فوالله إنّنا لبغرة .، إذ هجم علينا صاحب شرطته ؛ فقال : أنتم من قوم هذا الرجل الذي بالحجاز ؟ قلنا : نعم ، قال : انطلقوا بنا إلى الملك ؛ فانطلقنا ؛ فلما انتهينا إليه قال : أنتم من رهط هذا الرجل ؟ قلنا : نعم ؛ قال : فأبكم أمسّ به رحيماً ؟ قلت : أنا .

قال أبو سفيان : وإيم الله ما رأيت من رجل أرى أنّه كان أنكر من ذلك الأغلف - يعنى هرقل - فقال : اذنه فأقعدى بين يديه ، وأقعده أصحابي خلتى ، ثم قال : إني سأسأله ؛ فإن كذب فرّدوا عليه ؛ فوالله لو كذبت ما ردّوا علىّ ؛ ولكنى كنتُ امرأً سيّداً أتكرّم عن الكذب ؛ وعرفت أن أسر ما في ذلك إنّ أنا كذبتّه أن يحفظوا ذلك علىّ ؛ ثمّ يحدّثوا به عني ؛ فلم أكذبه ، فقال : أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج بين أظهركم يدعى ما يدعى ! قال : فجعلتُ أزهد له شأنه ؛ وأصغر له أمره ؛ وأقول له : أيّها الملك ، ما يهلك من أمره ! إنّ شأنه دون ما يبلغك ؛ فجعل لا يلتفت إلى ذلك ، ثم قال : أنبئني عمّا أسألك عنه من شأنه . قلت : سئل عمّا بدا لك ؛ قال : كيف نسبّه فيكم ؟ قلت : محض^(٢) ؛ أو سطنا نسباً . قال :

(١) الأغاني : « رأيت » .

(٢) محض : خالص .

فَأَخْبِرْنِي هَلْ كَانَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ يَقُولُ مِثْلَ مَا يَقُولُ ، فَهُوَ يَتَشَبَّهُ بِهِ ؟
 قُلْتُ : لَا : قَالَ : فَهَلْ كَانَ لَهُ فِيكُمْ مُلْكٌ فَاَسْتَلْبِثْتُمُوهُ لِرَأْيِهِ ، فَجَاءَ بِهَذَا
 الْحَدِيثِ لَتَرْدًا عَلَيْهِ مُلْكُهُ ؟ قُلْتُ : لَا ؛ قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَتْبَاعِهِ مِنْكُمْ ، مَنْ
 هُمْ ؟ قَالَ : قُلْتُ الضَّعَفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ وَالْأَحْدَاثُ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالنِّسَاءِ ، وَأَمَّا
 ذَوُو الْأَسْنَانِ وَالشَّرَفِ مِنْ قَوْمِهِ ؛ فَلَمْ يَتَّبِعْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي ١٥٦٤/١
 عَمَّنْ يَتَّبِعُهُ ، أَيُّجِبُهُ وَيُلْزِمُهُ ^(١) أَمْ يَقْلِيهِ وَيَفَارِقُهُ ؟ قَالَ : قُلْتُ : مَا يَتَّبِعُهُ
 رَجُلٌ فَيَفَارِقُهُ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي كَيْفَ الْحَرْبُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ ؟ قَالَ : قُلْتُ :
 سَيَجَالُ يَدَالُ عَلَيْنَا وَتَدَالُ عَلَيْهِ ؛ قَالَ : فَأَخْبِرْنِي هَلْ يَغْدِرُ ؟ فَلَمْ أَجِدْ
 شَيْئًا مِمَّا سَأَلَنِي عَنْهُ أَغْزَمُهُ فِيهِ غَيْرَهَا ، قُلْتُ : لَا ، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي هُدًى ،
 وَلَا نَأْمَنُ غَدْرَهُ . قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا التَفْتُ إِلَيْهَا مِنْنِي ، ثُمَّ كَرَّرْتُ عَلَى الْحَدِيثِ .
 قَالَ : سَأَلْتُكَ كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ ، فَرَعَمْتُ أَنَّهُ مَحْضَرٌ ، مِنْ أَوْسَطِكُمْ نَسَبًا ؛
 وَكَذَلِكَ يَأْخُذُ اللَّهُ النَّبِيَّ إِذَا أَخَذَهُ ؛ لَا يَأْخُذُهُ إِلَّا مِنْ أَوْسَطِ قَوْمِهِ نَسَبًا .
 وَسَأَلْتُكَ : هَلْ كَانَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ يَقُولُ بِقَوْلِهِ ؛ فَهُوَ يَتَشَبَّهُ بِهِ ؛ فَرَعَمْتُ
 أَنْ لَا ؛ وَسَأَلْتُكَ : هَلْ كَانَ لَهُ فِيكُمْ مُلْكٌ فَاَسْتَلْبِثْتُمُوهُ لِرَأْيِهِ ، فَجَاءَ بِهَذَا
 الْحَدِيثِ يَطْلُبُ بِهِ مُلْكَهُ ؟ فَرَعَمْتُ أَنْ لَا . وَسَأَلْتُكَ عَنْ أَتْبَاعِهِ ، فَرَعَمْتُ أَنَّهُمْ
 الضَّعَفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ وَالْأَحْدَاثُ وَالنِّسَاءُ ؛ وَكَذَلِكَ أَتْبَاعُ الْأَنْبِيَاءِ فِي كُلِّ زَمَانٍ ،
 وَسَأَلْتُكَ عَمَّنْ يَتَّبِعُهُ ، أَيُّجِبُهُ وَيُلْزِمُهُ أَمْ يَقْلِيهِ وَيَفَارِقُهُ ؟ فَرَعَمْتُ أَنَّهُ لَا يَتَّبِعُهُ
 أَحَدٌ فَيَفَارِقُهُ ؛ وَكَذَلِكَ حِلَاوَةُ الْإِيمَانِ لَا تَدْخُلُ قَلْبًا فَتَخْرُجُ مِنْهُ . وَسَأَلْتُكَ :
 هَلْ يَغْدِرُ ؟ فَرَعَمْتُ أَنْ لَا ؛ فَلَنْ كُنْتَ صَدَقْتَنِي عَنْهُ لِيُغْلِبَتَنِي ^(٢) عَلَى مَا تَحْتَ
 قَدَمَيْ هَاتَيْنِ ؛ وَلَوْ دِدْتُ أَنْتَنِي عَنْده فَأَغْسَلَ قَدَمِيهِ . انْطَلِقْ لِسَانَكَ . ١٥٦٥/١

قَالَ : فَقَعْتُ مِنْ عَنْده وَأَنَا أَضْرِبُ إِحْدَى يَدَيَّ بِالْأُخْرَى ؛ وَأَقُولُ : أَيُّ
 عِبَادَةِ اللَّهِ ؛ لَقَدْ أَمَرَ أَمْرُ ^(٣) ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ ! أَصْبَحَ مُلُوكُ بَنِي الْأَصْفَرِ يَهَابُونَهُ
 فِي سُلْطَانِهِمْ بِالشَّامِ !
 قَالَ : وَقَدْ مِ عَلَيْهِ كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ دَحِيَّةِ بْنِ

(١) م : « وَيَكْرَهُ » .

(٢) الْأَخْي : « ظَلَمَتْنِي » .

(٣) أَمْرُ أَمْر : قَوِي وَاشْتَدَّ .

خليفة الكلبي : بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى هِرَقْل عظيم الروم . السَّلام على من اتَّبَعَ الهدى . أمَّا بعد : أَسْلِمَ ، وأَسْلِمَ ، يُؤْتِيكَ الله أَجْرَكَ مرتين ؛ وإن تتولَّ فإنَّ لَأَثَمَ الْكَافِرِينَ عَلَيْكَ - يعنى تَحِيمًا لَهُ .

حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا يحيى بن آدم ، قال : حدثنا عبد الله بن إدريس ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن الزُّهْرِيِّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، قال : أخبرني أبو سفيان ابن حرب ، قال : لما كانت الهدنة بيننا وبين رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم عامَ الحديبية ، خرجتُ تاجرًا إلى الشام . ثم ذكر نحو حديث ابن حميد ، عن سلمة ، إلا أنه زاد في آخره : قال : فأخذ الكتاب فجعله بين فخذيه وخاصرته .

حدثنا ابنُ حُمَيْد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابنُ إسحاق ، قال : قال ابنُ شِهَاب الزُّهْرِيُّ : حدثني أسقفُ النصارى أدركتهُ في زمان عبد الملك بن مروان ، أنه أدرك ذلك من أمرِ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم وأمرِ هرقل وعقده ، قال : فلمَّا قدِم عليه كتابُ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم مع دحية بن خليفة ، أخذه هِرَقْل ، فجعله بين فخذيه وخاصرته . ثم كتب إلى رجل برومية كان يقرأ من العبرانية ما يقرءونه ؛ يذكر له أمره ، ١٥٦٦/١ ويَصِفُ له شأنه ، ويخبره بما جاء منه ؛ فكتب إليه صاحب رومية : إنَّه لَكُنْبِيُّ الَّذِي كُنَّا نَنْتَظِرُهُ ^(١) ؛ لا شكَّ فيه ؛ فاتَّبعه وصدَّقَه .

فأمر هرقلُ بطارقة الرُّوم ؛ فجمعوا له في دَسَكْرَةِ ^(٢) ، وأمر بها فأُشْرِجَتْ ^(٣) أبوابُها ^(٤) عليهم ؛ ثم اطلع عليهم من عُلْيَا له ؛ وخافهم على نفسه ، وقال : يا معشرَ الروم ؛ إني قد جمعتُكم لخير ؛ إنه قد أتاني كتاب

(١) و : « ننتظره » .

(٢) الدسكرة : القرية ، والصومعة ، والأرض المستوية ، ويوت الأعاجم يكون فيها الشراب والملاهي ، وبناء بالقصر حوله بيوت ، وهو المراد هنا .

(٣) أُشْرِجَتْ : مدت . (٤) و : « بأبوابها » .

هذا الرجل يدعوني إلى دينه ، وإنه والله لكني الذي كنّا ننتظره ونجده في كتبنا ؛ فهلّموا فلنُتبِّعه ونصدِّقه ، فتسلم لنا ديانا وآخرتنا .

قال : فَتَسَخَّرُوا نَخْرَةَ رجل واحد ؛ ثم ابتدروا أبواب الدِّسْكَرة ليخرجوا منها فوجدوها قد أغلقت ؛ فقال : كرّوهم على - وخافهم على نفسه - فقال : يا معشر الرُّوم ؛ إني قد قلت لكم المقالة التي قلت لأنظر كيف صلابتكم على دينكم لهذا الأمر الذي قد حدّث ؛ وقد رأيت منكم الذي أَسْرُّ به ؛ فوقعوا له سُجْدًا ؛ وأمر بأبواب الدِّسْكَرة ففتحت لهم ؛ فانطلقوا^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلّمة ، قال : حدّثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، أن هرقل قال لدحيّة بن خليفة حين قدم عليه بكتاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ويحك ! والله إنني لأعلمُ أن صاحبك نبيٌّ مرسل ؛ وأنه الذي كنّا ننتظره ونجده في كتابنا ؛ ولكني^(٢) أخاف الرُّوم على نفسي ؛ ولو لا ذلك لاتّبعتُه ؛ فاذهب إلى صفاطر الأسقف فاذكر له أمرَ صاحبكم ؛ فهو والله أعظم في الروم مِنّي ، وأجوز^(٣) قولاً عندهم مِنّي ؛ فانظر ما يقول لك . ١٥٦٧/١

قال : فجاءه دحيّة ؛ فأخبره بما جاء به من رسول الله صلّى الله عليه وسلم إلى هرقل ، وبما يدعوه إليه ، فقال صفاطر : صاحبك والله نبيٌّ مرسل ؛ نعرفه بصفته ، ونجده في كتبنا باسمه .

ثم دخل فأتى ثياباً كانت عليه سوداً ، وليس ثياباً بيضاً ، ثم أخذ عصاه ؛ فخرج على الرُّوم وهم في الكنيسة ، فقال : يا معشر الرُّوم ؛ إنه قد جاءنا كتابٌ من أحمد ؛ يدعوننا فيه إلى الله عزّ وجلّ ؛ وإني أشهدُ أن لا إله إلا الله ، وأن أحمد عبده ورسوله .

قال : فزبوا عليه وثبّة رجل واحد ، فضربوه حتى قتله . فلمّا رجع

(١) الأغانى ٦ : ٣٤٨ ، ٣٤٩ .

(٢) و : ولكن .

(٣) ابن الأثير : « وأجوز » .

دجنية إلى هرقل فأخبره الخبر قال : قد قلت لك : إنا نخافهم على أنفسنا ؛ فصاغطر - والله - كان أعظم عندهم وأجورَ قولاً مني .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن خالد بن يسار ، عن رجل من قدماء أهل الشام ، قال : لما أراد هرقل الخروجَ من أرض الشام إلى القسطنطينية ، لما بلغه من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جمع الروم ، فقال : يا معشر الروم ؛ إني عارضٌ عليكم أموراً ، فانظروا فيمَ قد أردتها ! قالوا : ما هي ؟ قال : تعلمون والله أن هذا الرجل لبني مرسل ؛ إنا نجده في كتابنا نعرفه بصفته التي وصف لنا ، فهلُم فكلتبيعه ، فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا ، فقالوا : نحن نكون تحت يدي العرب ؛ ونحن أعظم الناس مُلكاً ، وأكثرهم رجالاً ، وأفضلهم بلداً !

قال : فهلُم فاعطيه الجزية في كل سنة ، اكسروا عني شوكته وأستريح من حربيه بما ل أعطيه إياه ، قالوا : نحن نعطي العرب الذل والصغار ، بخرَج ١٥٦٨/١ يأخذونه منا ؛ ونحن أكثر الناس عدداً ، وأعظمهم ملكاً ، وأمنهم^(١) بلداً ؛ لا والله لا نفعل هذا أبداً .

قال : فهلُم فإلصاحه على أن أعطيه أرض^(٢) سورية ، ويدعني وأرض الشام - قال : وكانت أرضُ سورية أرضَ فلسطين والأردن ودمشق وحمص ومادون الدرب من أرض سورية ؛ وكان ما وراء الدرب عندهم الشام - فقالوا له : نحن نعطيهِ أرضَ سورية ؛ وقد عرفت أنها سرّة الشام ؛ والله لا نفعل هذا أبداً .

فلما أبوا عليه ، قال : أما والله لآتون أنكم قد ظفرتُم إذا امتنعتم منه في مدينتكم . ثم جلس على بغلٍ له ؛ فانطلق حتى إذا أشرف على الدرب استقبل أرض الشام ، ثم قال : السلام عليكم أرض سورية تسليم الوداع ، ثم ركض حتى دخل القسطنطينية .

• • •

(١) س : « وأمنه » .

(٢) س : « حل أن أصاحه بأرض » .

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شُجَاعَ بن وهب ، أخا بني أسد بن خزيمة إلى المنذر بن الحارث بن أبي شمير الغساني صاحب دمشق .

وقال محمد بن عمر الواقدي : وكتب إليه معه : سلام على من اتبع الهدى ، وآمن به . إني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبق لك ملكك .

فقدم به شجاع بن وهب ، فقرأ عليهم ، فقال : من ينزع مني ملكي ! أنا سائر إليه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : باد ملكه ^(١) !

• • •

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا ابن إسحاق ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ١٥٦٩/١ في شان جعفر بن أبي طالب وأصحابه ، وكتب معه كتاباً .

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصم ملك الحبشة ، سلم ^(٢) أنت ؛ فإنني أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ؛ وأشهد أن عيسى بن مريم روحُ الله وكلمته ، ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة ، فحملت به عيسى ؛ فخلق الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه ، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ؛ والموالاة على طاعته ؛ وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني ؛ فإنني رسول الله ، وقد بعث إليك ابن عمي جعفرًا ونفراً ^(٣) معه من المسلمين ؛ فإذا جاءك فأقرهم ، ودع التجبر ؛ فإنني أدعوك وجنودك إلى الله ؛ فقد بلغت ونصحت ؛ فاقبلوا نصحي ؛ والسلام على من اتبع الهدى .

فكتب النجاشي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى محمد رسول الله ، من النجاشي الأصم بن أبيير . سلام عليك

(١) باد ملكه : ذهب .

(٢) س : « سلام » .

(٣) س : « ومعه نفر » .

يأبى الله^(١) ورحمة الله وبركاته^(٢) ، من الله الذى لا إله إلا هو ، الذى هدانى إلى الإسلام . أما بعد ؛ فقد بلغنى كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى ، فرب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت تُفَرِّقًا^(٣) ؛ إنه كما قلت ؛ وقد عرفنا ما بُعثت به إلينا ؛ وقد قرئنا ابن عمك وأصحابه^(٤) ؛ فأشهد أنك رسول الله صادقًا مصدقًا ؛ وقد بايعتك وبايعت ابن عمك ؛ ١٥٧٠/١ وأسلمت على يديه^(٥) ؛ لله رب العالمين ؛ وقد بعثت إليك بابني أرها بن الأصم ابن أبحر ؛ فإنى لا أملك إلا نفسى ؛ وإن شئت أن آتيتك فعلت يا رسول الله ؛ فإننى أشهد أن ما تقول حق ، والسلام عليك يا رسول الله .

قال ابن إسحاق : وذكر لى أن النجاشي بعث ابنه فى ستين من الحبشة فى صفيئة ؛ فلما كانوا فى وسط البحر غرقت بهم صفيئتهم ، فهلكوا .

وحدثت عن محمد بن عمر ، قال : أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ليزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان ؛ ويبعث بها إليه مع من عنده من المسلمين ، فأرسل النجاشي إلى أم حبيبة يخبرها بخطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها جارية له يقال لها أبرهة ؛ فأعطتها أوصاحًا^(٦) لها وفتحًا^(٧) ؛ سرورًا بذلك ، وأمرها أن توكل من يزوجهها ، فوكلت خالد بن سعيد بن العاص ، فزوجها ، فخطب النجاشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخطب خالد فأنكح أم حبيبة ، ثم دعا النجاشي بأربعمائة دينار صداقها ؛ فدفعها إلى خالد بن سعيد ؛ فلما جاءت أم حبيبة تلك الدنانير ، قال : جاءت بها أبرهة فأعطتها خمسين مثقالا ، وقالت : كنت أعطيتك ذلك ؛ وليس بيدي شيء ، وقد جاء الله عز وجل بهذا .

(١-١) س : « من الله ورحمته » .

(٢) يقال : ماله تفروق ، أى شيء وأصله قمع الثمر ، أو ما يلتزق به قمعها .

(٣) و : « وأصحابك » .

(٤) س : « يله » .

(٥) أوصاحًا ، أى حلياً من فضة .

(٦) الفتحة : خاتم كبير يكون فى اليد والرجل .

١٥٧١/١

فَقَالَتْ أُبْرَهة : قد أمرني الملك ألاّ أخذ منك شيئاً ، وأن أردّ إليك الذي أخذت منك ، فرددته وأنا صاحبة دُهن الملك وثيابه ، وقد صدقتُ محمداً^(١) رسول الله وأمنتُ به ؛ وحاجتني إليك أن تقرّبه مني السّلام .

قالت : نعم ؛ وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بما عندهن من عود وعنبر ؛ فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عليها وعندها فلا ينكره .
قالت أمّ حبيبة : فخرجنا في سفينتين ؛ وبعث معنا التّوآني حتّى قدمنا البحار ، ثم ركبنا الظّهر إلى المدينة ؛ فوجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ، فخرج من خرج إليه ، وأقمت بالمدينة حتّى قدّم رسولُ الله ؛ فدخلتُ إليه ، فكان يسألني عن النّجاشي ؛ وقرأت عليه من أברהة السّلام ، فردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها ؛ ولما جاء أبا سفيان تزويجُ النّبي صلى الله عليه وسلم أمّ حبيبة قال : ذلك الفحل لا يقدّعُ أنفه .

. . .

وفيها كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى ، وبعث الكتاب مع عبد الله بن حذافة السهمي ؛ فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس . سلامٌ على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ؛ وشهد أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله ، إلى الناس كافّة ، لينذّر من كان حيّاً ؛ أسلّم تسلم ، فإنّ أبيت فعليك إمّ المحجوس .
فرّق كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله : مرّق ملكه !

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن حبيب ، قال : وبعث عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، إلى كسرى بن هرمز ملك فارس وكتب معه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ؛ سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده

لا شريك له ؛ وأن محمداً عبده ورسوله ؛ وأدعوك بدعاء الله ؛ فإنى أنا رسول الله إلى الناس كافةً لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، فأسلم تسليم ، فإن آيت ، فإن إثم المجوس عليك .
فلما قرأه مزقه ، وقال : يكتب إلى هذا وهو عبدى !

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن الزهري ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ؛ أن عبد الله بن حذافة قديم بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على كسرى ، فلما قرأه شقه ، فقال رسول الله : مزق ملكه ! حين بلغه أنه شق كتابه .

• • •

ثم رجع إلى حديث يزيد بن أبي حبيب . قال : ثم كتب كيمرى إلى باذان ؛ وهو على اليمن : أن ابعث إلى هذا الرجل الذى بالحجاز رجلين من عندك جندين ، فليأتاني به ؛ فبعث باذان قهرمانه وهو بابويه - وكان كاتباً حاسباً بكتاب فارس - وبعث معه رجلاً من الفرس يقال له خرّخسره ، ١٥٧٣/١ وكتب معهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى ، وقال لبابويه : ائت بلد هذا الرجل ، وكلمه وأتني بخبره ، فخرجنا حتى قدما الطائف فوجدا رجلاً من قريش بنسخ من أرض الطائف فسألهم عنه ، فقالوا : هو بالمدينة ، واستبشروا بهما وفرحوا ؛ وقال بعضهم لبعض : أبشروا فقد نصيب^(١) له كسرى ملك الملوك ، كُفيت الرجل ! فخرجنا حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلمه بابويه ، فقال : إن شاهان شاه ملك الملوك كيمرى ؛ قد كتب إلى الملك باذان ، يأمره أن يبعث إليك من آتيه بك ؛ وقد بعثني إليك لتتطلق معي ؛ فإن فعلت كتب فيك إلى ملك الملوك ينفعك ويكفه عنك ؛ وإن آيت فهو من قد علمت ! فهو مهلكك ومهلك قومك ، ومخرّب بلادك ؛ ودخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حلقا لحاهما ، وأعفيا شواربهما ؛ ففكر النظر إليهما ، ثم

أقبل عليهما فقال: ويلكُما ! مَنْ أَمركُما بهذا ؟ قالَا : أَمَرنا بهذا رَبَّنَا — يعنيان كسرى — فقال رسول الله : لكنَّ رَبِّي قد أَمَرَنِي بِإِعْفَاءِ الْحَيِّينَ وَقِصِّ شَارِبِي . ثُمَّ قَالَ لهُمَا : ارجعا حتَّى تأتياَنِي غَدًا ، وَأَتَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الخَبْرُ مِنَ السَّمَاءِ أَنَّ اللهَ قد سَلَطَ على كسرى ابنه شيرويه ؛ فقتله في شهر كذا وكذا ليلة كذا وكذا من الليل ؛ بعد ما مضى من الليل ؛ سَلَطَ عليه ابنُه شيرويه فقتله . ١٥٧٤/١

— قال الواقدي: قَتَلَ شيرويه أباه كسرى ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين^(١) من جمادى الأولى من سنة سبع لست ساعات مضت منها —

رجع الحديث إلى حديث محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن أبي حبيب . فدعاهما فأخبرهما ، فقالَا : هل تدري ما تقول ! إنا قد نَقِمْنَا عليك ما هو أيسرُ من هذا ؛ أفنكتب هذا عنك ، ونخبره الملك ! قال : نعم ، أخبراه ذلك عني ، وقولا له : إنَّ دِينِي وسلطانِي سيبُلُغُ ما بلغ ملك كسرى ، ويتهي إلى منتهى الخُفِّ والخافِر ؛ وقولا له : إنك إن أسَلَمْتَ أُعْطِيْتُكَ ما تحت يَدِكَ ؛ وملكُك على قومك من الأبناء ؛ ثم أعطى خُرَّ خمره مِنطقة فيها ذهب وفضة ، كان أهداها له بعض الملوك .

فخرجوا من عنده حتَّى قدما على باذان ، فأخبراه الخبر ، فقال : والله ما هذا بكلام مَلِك ، وإنِّي لأَرى الرَّجُلَ نَبِيًّا كما يقول ؛ ولننظرنَّ ما قد قال ؛ فلئن كان هذا حَقًّا ما فيه كلام ؛ إنه لَنبِي مُرْسَلٌ ؛ وإن لم يكن فسرَى فيه رأينا .

فلم ينشب باذان أن قدم عليه كتابُ شيرويه ؛ أما بعدُ فلأنِّي قد قتلت كسرى ، ولم أقتله إلا غَضَبًا لفارس لما كان استحلَّ من قتل أشرافهم وتجميرهم^(٢) في ثغورهم ؛ فإذا جاءك كتابي هذا فخذْ لي الطاعة مِمَّن قَبيلُكَ ؛ وانظر الرجل الذي كان كسرى كتب فيه إليك فلا تُهَجِّجْهُ حتَّى يَأْتِيكَ أمرِي فيه .

فلمَّا انتهَى كتابُ شيرويه إلى باذان قال : إنَّ هذا الرجل لرسولٌ . فأسلم وأسلمت الأبناءُ معه من فارس مَنْ كان منهم باليمن ؛ فكانت حِمْيَرٌ تقول ١٥٧٥/١

(١) و : « بقين » .

(٢) التجمير : الحبس في الثغور .

لخرُخُسره : ذو المِعْجَزَةِ ، للمنطقة التي أعطاه إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم - والمنطقة بلسان حمير المِعْجَزَةِ^(١) - فبَسَّوْهُ اليوم ينسبون إليها خُرُخُسره ذو المِعْجَزَةِ .

وقد قال : أبويه لباذان : ما كَلَمْت رجلاً قطَّ أهيبَ عندي منه ، فقال له باذان : هل معه شُرْطٌ ؟ قال : لا .

• • •

قال الواقدي : وفيها كتب إلى المقوقس عظيم القبط ، يدعوهُ إلى الإسلام فلم يُسَلِّم .

• • •

قال أبو جعفر : ولما رجع رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم من غزوة الحديبية إلى المدينة أقام بها ذا الحِجَّة وبعضَ المحرم - فيما حدثنا ابنُ حُمَيْدٍ قال : حدثنا سَلَمَةُ ، عن ابنِ اسحاق . قال : وولى الحجَّ في تلك السنة المشركون .

—————

تم الجزء الثاني من تاريخ الطبرى ، ويليه
الجزء الثالث ، وأوله :
ذكر الأحداث الكائنة في سنة سبع .

(١) المعجزة : المنطقة ؛ بالهمائية ، وفي و : « المعجزة » .

فهرس الموضوعات

صفحة	
١٠ - ٥	ذكر الخبر عن أصحاب أهل الكهف
١٧ - ١١	يونس بن متى
٢١ - ١٨	إرسال الله رسله الثلاثة
٢٣ - ٢٢	شمسون
٣٦ - ٢٤	ذكر خبر جرجيس
	•
	ذكر الخبر عن ملوك الفرس وسنى ملكهم
٤٣ - ٣٧	ذكر ملك أردشير بن بابك
٥١ - ٤٤	ذكر الخبر عن القائم كان بملك فارس بعد أردشير بن بابك .
٥٣ - ٥١	ذكر ملك هرمز بن سابور
٥٣	ذكر ملك بهرام بن هرمز .
٥٤	ذكر ملك بهرام بن بهرام بن هرمز .
٥٤	ذكر ملك شاهنشاه بن بهرام .
٥٤	ذكر ملك نرسی بن بهرام .
٥٥ - ٥٤	ذكر ملك هرمز بن نرسی .
٦٢ - ٥٥	ذكر ملك سابور ذى الأكثاف .
٦٢	ذكر ملك أردشير بن هرمز .
٦٢	ذكر ملك سابور بن سابور .
٦٣ - ٦٢	ذكر ملك بهرام بن سابور .
٦٨ - ٦٣	ذكر ملك یزدجرد الأئیم
٨١ - ٦٨	ذكر ملك بهرام جور
٨٨ - ٨٢	ذكر ملك فیروز یزدجرد
	ذكر ما كان من الأحداث فی أيام یزدجرد بن بهرام و فیروز بن
٩٠ - ٨٨	عالمها على العرب وأهل اليمن

صفحة	
٩٠	ذكر ملك بلاش بن فيروز
٩٠ - ٩٤	ذكر ملك قباذ بن فيروز
	ذكر ما كان من الحوادث التي كانت بين العرب في أيام
٩٥ - ٩٨	قباذ في مملكته وبين عماله
٩٨ - ١٠٤	ذكر ملك كسرى أنو شروان
	ذكر بقية خبر تبع أيام قباذ وزمن أنو شروان وتوجيه الفرس
١٠٥ - ١٥٤	الجيش إلى اليمن لقتال الحبشة
١٥٥ - ١٦٦	ذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٦٦ - ١٧٢	رجع الحديث إلى تمام أمر كسرى بن قباذ أنو شروان
١٧٢ - ١٧٦	ذكر ملك هرمز بن كسرى أنو شروان
١٧٦ - ١٨٧	ذكر ملك كسرى أبرويز بن هرمز
	ذكر الخبر عن الأسباب التي حدثت عند إرادة الله إزالة ملك
١٨٨ - ١٩٣	فارس عن أهل فارس
١٩٣ - ٢١٢	ذكر خبر يوم ذي قار
	ذكر من كان على ثغر العرب من قبل ملوك الفرس بالحيرة
٢١٢ - ٢١٨	بعد عمرو بن هند
٢١٨ - ٢٢٩	ذكر ملك شيرويه بن أبرويز
٢٣٠	ذكر ملك أردشير بن شيرويه
٢٣١	ذكر ملك شهر براز
٢٣١ - ٢٣٢	ذكر ملك بوران بنت كسرى أبرويز
٢٣٢	ذكر ملك جشنسده
٢٣٢ - ٢٣٣	ذكر ملك آزر ميدخت بنت كسرى أبرويز
٢٣٣	كسرى بن مهرا جشنس
٢٣٣	ذكر ملك خرزا خسروا
٢٣٣	ذكر ملك فيروز بن مهرا جشنس

صفحة

٢٣٤	ذكر ملك فرّ خزاذ خسروا
٢٣٤	ذكر ملك يزديجرد بن شهريار
	ذكر أقوال علماء المسلمين وغيرهم فيما كان بين هبوط آدم
٢٣٨ - ٢٣٤	إلى الهجرة من السنين
	ذكر نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر بعض أخبار
٢٧٦ - ٢٣٩	آبائه وأجداده
٢٥١ - ٢٤٦	عبد المطلب
٢٥٤ - ٢٥١	هاشم
٢٥٤	عبد مناف
٢٦٠ - ٢٥٤	قصي
٢٦٠	كلاب
٢٦١	مرة
٢٦١	كمب
٢٦٢	لؤي
٢٦٢	غالب
٢٦٣ - ٢٦٢	فهر
٢٦٥ - ٢٦٣	مالك
٢٦٦ - ٢٦٥	النضر
٢٦٦	كنانة
٢٦٦	خزيمة
٢٦٧ - ٢٦٦	ملركة
٢٦٨	إلياس
٢٧٠ - ٢٦٨	مضر
٢٧٠	نزار
٢٧١ - ٢٧٠	معد

صفحة	
٢٧٦ - ٢٧١	عدنان
٢٧٩ - ٢٧٧	ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسبابه
٢٨٢ - ٢٨٠	ذكر ترويع النبي صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله عنها
	ذكر باقى الأخبار عن الكائن من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يتنبأ وما كان بين مولده ووقت نبوته
٢٩٢ - ٢٨٣	من الأحداث فى بلده
	ذكر اليوم الذى نبئ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشهر الذى نبئ فيه وما جاء فى ذلك
٢٩٧ - ٢٩٣	ذكر الخبر عما كان من أمر نبي الله صلى الله عليه وسلم عند ابتداء الله تعالى ذكره إياه بإكرامه بإرسال جبريل عليه السلام بوحيه وما تلا ذلك من الأحداث إلى وقت الهجرة
٣٨٧ - ٢٩٨	ذكر الوقت الذى عمل فيه التاريخ
٣٩٣ - ٣٨٨	

. . .

	ذكر ما كان من الأمور فى أول سنة من الهجرة
٣٩٦ - ٣٩٥	خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول جمعة بالمدينة

. . .

السنة الثانية

٤٠٩ - ٤٠٨	غزوة ذات المشيرة
٤١٠	سرية عبد الله بن جحش
٤٧٩ - ٤٢١	ذكر وقعة بدر الكبرى
٤٨٣ - ٤٧٩	غزوة بنى قينقاع
٤٨٥ - ٤٨٣	غزوة السويق

. . .

السنة الثالثة

٤٨٧	غزوة ذي أقر
٤٩٢ - ٤٨٧	خبر كعب بن الأشرف
٤٩٣ - ٤٩٢	غزوة القردة
٤٩٩ - ٤٩٣	مقتل أبي رافع اليهودي
٥٣٣ - ٤٩٩	غزوة أحد
٥٣٦ - ٥٣٤	غزوة حمراء الأسد

• • •

السنة الرابعة

٥٤٢ - ٥٣٨	غزوة الرجيع
	ذكر الخبر عن عمرو بن أمية الضمري حين وجهه رسول الله
٥٤٥ - ٥٤٢	صلى الله عليه وسلم لقتل أبي سفيان بن حرب
٥٥٥ - ٥٤٥	ذكر خبر بئر معونة
٥٥٩ - ٥٥٥	غزوة ذات الرقاع
٥٦١ - ٥٥٩	ذكر الخبر عن غزوة السويق

• • •

السنة الخامسة

٥٦٤ - ٥٦٣	زواج النبي صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش
٥٦٤	غزوة دومة الجندل
٥٨١ - ٥٦٤	ذكر الخبر عن غزوة الخندق
٥٩٤ - ٥٨١	غزوة بني قريظة

• • •

صفحة

السنة السادسة

٥٩٥	غزوة بنى لحيان
٦٠٤ - ٥٩٦	غزوة ذي قرد
٦١٠ - ٦٠٤	غزوة بنى المصطلق
٦١٩ - ٦١٠	حديث الإفك
	ذكر الخبر عن عمرة النبي صلى الله عليه وسلم التي صدره
٦٤٤ - ٦٢٠	المشركون فيها عن البيت ، وهي قصة الحديبية
٦٥٧ - ٦٤٤	ذكر خروج رسل رسول الله إلى الملوك

١٩٩٠ / ٣٧٢٠	رقم الإيداع
ISBN 977-02-2944-X	الترقيم الدولي

١ / ٩٠ / ٤٠

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

Dhakhā'ir Al-'Arab

30

Tārīkh Aṭ-Ṭabarī

Par

Abī Ja'far Moḥammad ibn Jarīr Aṭ-Ṭabarī

Tome II

Edition Critique

Par

Moḥammad Abūl Fadl Ibrahim



DAR AL-MAAREF

Bibliotheca Alexandrina



قروش جنیه